٢١ فيه ابيات لطيفة فليراجع

٨١ فيه ما يراجع

٩٠ فيه ما يطلب

رسالة ابي محمد بن حزم في فضائل الاندلس ٢	اول غزوة ركبها المسلمون البحر ٣	نسبة الرجل الى مكان هجرته ٤	لا ينقص النبي حرمته الاني بدع ٤	تعداد الكتب المؤلفة بالاندلس ٥	مولف المؤلف في الكلام على مذهب الداخلي ٧
اجل ما صنف في التفسير والقراءة ٧	المؤلفة في التواريخ والادب والنحو ٨	المؤلفات في الحساب والطب والتنجيم والموسيقى ٩	جامع قرطبة وابنيته عشرة اميال ١٧	اوصاف مالقة وبلنسية ومرسية وعلماؤها وشعراؤها ١٨	اهل الاندلس والشام كانوا على مذهب الاوزاعي ١٨
قبول جوائز السلاطين ومن تورع عن اخذها ٢٣	ابن مجبر ٢٢	نبذة من الظرف وسرعة الارتجال ٢٤	قصيدة ذي الوزارتين ابن زيدون ٣٣	حكاية ابن زقاق الاندلسي ٣٧	في سرعة الجواب ٣٧
قصة ابن ظاهر ٤٤	عبد الجليل ابن وهبون ٤٦	قصة ابن سيد المهواني وابي الحسن ابن جودي ٥٠	ما حكاه بدر الدين بن نهض الاربلي في حمام ٥٤	محمد بن خلف من بني البيري ٥٥	حكاية ابي البركات هبة الله والنصيبي الوكيل ٥٦
ابو عامر بن شهيد ٥٧	ابو عمر يوسف الرمادي ٥٨	ومن الحكايات في العدل ٥٩	ومنها في الوفاء وحسن الاعتقاد ٦١	ومنها في علو الهمة والزكا ٦١	اول من اشتهر في الاندلس بعلم الاوائل ابو عبيدة مسلم ٦٢
ومنهم ابو الحسن الزهراوي ٦٢	ومنهم ابو الحكم عمرو الكرماني ٦٢	ومنهم ابو القسم بن خلدون ٦٢	ومنهم ابن البيطار ٦٢	ومن حكاياتهم في الحفظ ٦٢ فيه طير ابي الحكم	ومنهم في حب العلم ٦٣
دعابة اهل الاندلس ٦٣	لطف اهل الاندلس ورقة طباعهم ٦٩	ضوابط حروف الزيادة ٨٣	امتحان الخطيب امام اللغة ابي بكر الزبيدي لكتاب العين وتصحيح قواعده ٨٨	ابو بكر الانصاري في قصة ابن [illegible] حليه ولا [illegible] حتى يحفظ الغريب ٩٢	من شعر امام النحاة ابو علي الشلوبين ٩٢
الامير ابو الحسن بن نزار ٩٣	الوزير ابو الاصبع ٩٥	الوزير ابو بلول ٩٦	ابو عبد الله اللوشي وابنه عبد المولى ٩٧	اجتماع ابن غالب الرصافي وابن عبد الرحمن الكتندي بعد فقد الفضلاء ٩٩	قصة ابن صا غرنلي ١٠٠

١٠٢ فيه ما يراجع اليه

قصة ابن ابي الخصال ١٠٠	نبذة من اخبار النصارى ويهود الاندلس ١٠١	الخلوف في اسلام ابن سهل وكأنه ١٠١	ابراهيم بن الفخار وبداعته مع المستنصر ١٠٣	قسمونة بنت اسمعيل اليهودي ١٠٣	ابن رشيق القلعي ١٠٣
ابو يحيى الرهيمي ١٠٤	الوزير الكاتب ابو جعفر ١٠٤	هذول شاعر ناظم محمد بن الاسنجي ١٠٥	الكاتب محمد بن سعيد الزجالي ١٠٥	ابنه حامد ١٠٦	الوزير ابو عبد الله بن عبد العزيز ١٠٦
الوزير ابو الفرج بن مكبود ١٠٦	الوزير ابو عامر بن سنمه ١٠٦	الوزير ابو حفص بن برد ١٠٧	الوزير ابو جعفر بن اللمائي ١٠٨	الوزير حسان بن مالك ١٠٨	الوزير الفقيه ابن ابي امية ١٠٨
صهر الوزير ابو عمرو ابن الرب ١٠٩	الوزير ابو الوليد ابن الحزم ١٠٩	ابو عبد الله بن ابي زمنين ١١٠	خلف بن هارون ١١٠	نبذة من دعابات اهل الاندلس واجوبة الملوك وشجاعة اهلها ١١١	نبذة من ظرف اهلها وبلوغهم ١١٣
في جود اهلها وعدم احتمال الضيم ١١٤	نبذة من اخبار بني مروان ١١٥	ومن حكاياتهم في علو الهمة ١١٥	اولاد الامير محمد المتوفى ١١٧	الدهيري في التشبيه ١٢٢	علي بن موسى مؤلف الشذور ١٢٤
سرعة البديهة ١٢٤	ومن حكايات اهل الاندلس في العفو ١٢٨	ابو عبد الله محمد بن الصائغ النحوي ١٣١	ابو بكر بن القوطية صاحب الافعال في اللغة ١٣٢	ابو الحسن علي بن سيده امام اللغة ١٣٢	الفقيه ابو محمد غانم بن الوليد المخزومي ١٣٣
الفقيه العالم الحافظ ابو عمر ابن عبد البر ١٣٣	القاضي ابو الفضل بن الاعلم ١٣٣ فيه ابيات مطربة	ابو بكر بن ابي الدوس ١٣٣	ابو عمرو يوسف بن هرون الكندي المعروف بالرمادي ١٣٥	الاديب ابو القاسم محمد بن هاني ١٣٦	الشاعر المشهور ابو عبد الله محمد بن الحداد ١٣٩
الاسعد بن بليطه ١٣٩	عبادة بن ماء السماء ١٤٠	ابو عبد الله بن عايشه ١٤٠	يزيد بن عبد الله اللخمي ١٤١	استشكال المصنف تسمية المهب ١٤٧	المسئلة الزنبورية ١٤٧
المعتمد بن عباد ١٥١	قصة الاديب النحوي بن ميمون ١٥٨	الحافظ ابو عبد الله ابن الابار ١٥٩	حافظ الاندلس ابو محمد بن ابرهيم الصنهاجي ١٦٠	مداعبة النحوي الاشبيلي ١٦١	مداعبة المغنية وقصة السارق المشهور بالبازي الاشهب ١٦١

I

الثاني من نفح الطيب للمقري

ع ١٣١

آيا صوفيه

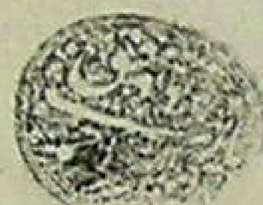
٢٥٠٦

اللهم صلى على محمد وعلى آله
دخل هذا الجزء مع الجزء الذي بعده والجزء الذي قبله
في ملك ملك العبد الفقير الراجي من ربه عز وجل
كرمه وفضله مصطفى بن محمد المعروف بموقع زاده
الانصاري غفر ذنوبهما الباري وذلك بالشراء
الشرعي في سنة ست وتسعين والف ختم بالخير
بثمن قدره خمسة وسبعون
غرشا اسديا
٧٥

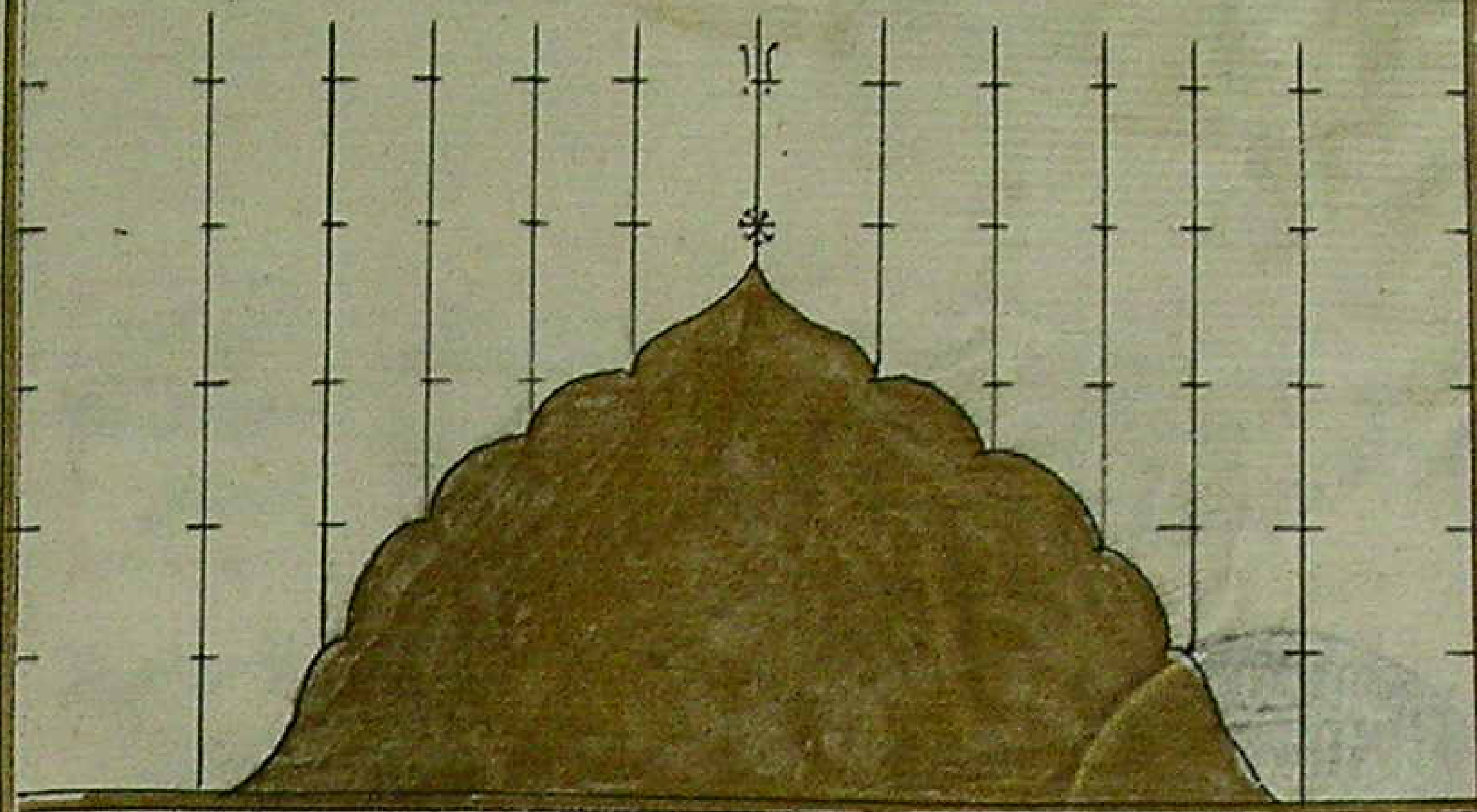
4506



قد وقف هذه النسخة الجميلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع
واستنسخ وانا الفقير احمد شيخ زاده المفتش
باوقاف الحرمين الشريفين عفي لهما



م



ومن كلام ابن بسام صاحب الذخيرة في جزيرة الاندلس اسرات عرب المشرق افتتحوها
وسادات اجناد الشام والعراق نزلوها فبقي النسل فيها بكل اقليم على عرق كريم
فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر وشاعر قاهر وذكر ان ابا علي البغدادي صاحب
الامالي لما وفد على الاندلس في زمان بني مروان قال لما وصلت القيروان وانا
اعتبر من امر به من اهل الامصار فاجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم بحسب
تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد كان منازلهم من الطريق هي منازلهم
من العلم محاصة ومقايسة قال ابو علي فقلت ننعق اهل الاندلس عن مقادير من رايت
في فهمهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فاحتاج الى ترجمان في هذه الاوطان قال
ابن بسام فبلغني انه كان يصل كلامه بهذا التعجب من اهل هذا الافق الاندلسي في ذكائهم
ويتغطى عنهم عند المباحثة والمفاتشة ويقول لهم ان علمي علم رواية وليس بعلم دراية
فخذوا عني ما نقلت فلم الكم ان صححت هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم
وكثرة الروايات والاخذ عن الثقاة انتهى ومن كلام الحجاري في المسهب الاندلس
عراق المغرب عزة انساب وزفرة اداب واشتغالا بفنون العلم وافتنانا في المنثور
والمنظوم لم تضق لهم في ذلك ساحة ولا قصرت عنه راحة فما منهم فيها بعصر
الا وفيه نجوم وبدور وشموس وهم اشعر الناس فيما كثر الله في بلادهم وجعله
نصب اعينهم من الاشجار والانهار والاطيار والكؤوس لا ينازعهم احد في هذا الشان
وابن خفاجة في هذا الشان وابن خفاجة سابقهم في هذا المضمار الحائز فيه قصب الرهان
واما اذا امتد نسيم وردار كاس في كف ظبي رخيم ورجع زير وصفق للماء
خرير او رقت العشية وخلعت السحب ابرادها الفضية والذهبية او تبسم
عن شعاع ثغر نهر او ترقرق بطل حسن زهر او خفق بارق او وصل طيف طارق
او وعد حبيب فزار من الظلمات تحت جناح وبات من يهواه كالماء والراح الى
ان ودع حين اقبل راية الصباح او ازهرت دوحة السماء بزهر كواكبها او قوضت
عند فيض نهر الصباح بيض مضاربها فاولئك هم السابقون السابقون الذين
لا يجارون ولا يلحقون وليس هؤلاء بالمقصرين في الوصف اذا تقعقعت السلاح

وسالت

وسالت خلجان الصوارم بين قضبان الرماح ونبت الحرب من العجاج سما واطلعت
شبه النجوم اسنة واجرت شبه الشفق دما وبالجملة فانهم في جميع الاوصاف
والتخيلات ائمة ومن وقف على اشعارهم في هذا الشان فضلهم فيه على اصناف
الامة وقد اعانتهم في الشعر انسابهم العربية وبقاعهم المفتنة وهممهم الابية
وللشطار الاندلس من النوادر والنكتات والتركيبات وانواع المضحكات
ما تملا الدواوين كثرته وتضحك الثكلى وتسلي المسلوب فصته مما لو سمعه
الجاحظ لم يقطع عمره ما حكى وما ركب ولا استغرب احدهما اورده ولا تعجب
الا ان مؤلفي هذا الكتاب طمحت هممهم عن التصنيف في هذا الشان فكاد يمر ضياعا
فقمت محتسبا للظرف فها انا ذكره جامعا فيه ما امشي شعاعا انتهى وقد رايت
ان اذكر رسالة ابي محمد بن حزم الحافظ التي ذكر فيها بعض فضائل علماء الاندلس ه
لاشتمالها على ما نحن بصدده وذلك انه كتب ابو علي الحسن بن محمد بن احمد بن الربيب
التميمي القيرواني الى ابي المغيرة عبد الوهاب بن احمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر تقصير
اهل الاندلس في تخليد اخبار علمائهم وماثر فضائلهم وسير ملوكهم ما صورته
كتبت يا سيدي واجل عددي كتب الله لك السعادة وادام لك العز والسيادة
سائلا مسترشدا وباحثا مستخبرا وذلك اني فكرت في بلادكم اذ كانت قرارة كل فضل
ومنهل كل خير ومقصد كل طرفة ومورد كل تحفة وغاية امال الراغبين ونهاية اماني
الطالبين ان بارت تجارة فاليها تجلب وان كسدت بضاعة فيها تنفق مع كثرة علمائها
ووفور ادبائها وجلالة ملوكها ومحبتهم في العلم واهله يعظمون من عظمه علمه ويرفعون
من رفعه ادبه وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدمون من قدمته شجاعته وعظمت
في الحروب نكايته فتشجع الجبان واقدم الهيبان ونبه الخامل وعلم الجاهل ونطق
العيي وشعر البكي واستنسر البغاث وتثعبن الحفاث فتنافس الناس في العلوم
وكثر الحذاق بجميع الفنون ثم هم مع ذلك على غاية التقصير ونهاية التفريط من
اجل ان علماء الامصار دونوا فضائل امصارهم وخلدوا في الكتب ماثر بلدانهم
واخبار الملوك والامراء والكتاب والوزراء والقضاة والعلماء فابقوا لهم
ذكرا في الغابرين يتجدد على مر الليالي والايام ولسانا لهم صدق في الاخرين
يتاكد مع تصرف الاعوام وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم قائم
في ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزحزح يخاف ان صنف ان يعنف وان الف ان
يخالف ولا يؤالف او تخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق لم يتعب احد منهم
نفسا في جميع فضائل اهل بلده ولم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكهم ولا بل قلما بمناقب
كتابهم ووزرائهم ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاتهم وعلمائهم على انه لو اطلق ما عقل الاغفال
من لسانه وبسط ما قبض الاهمال من بيانه لوجد للقول مساغا لم تضق عليه المسالك

ولم يخرج به المذاهب، ولا اشتبهت عليه المصادر والموارد، ولكن همة احدهم ان يطلب
شيا من تقدمه من العلما ليحرز قصبات السبق ويفوز بقدح ابن مقبل ويأخذ بكظم
دغفل ويصير شجى في حلق ابي العميثل فاذا ادرك بغيته واخترمته منيته
دفن معه ادبه وعلمه فمات ذكره وانقطع خبره ومن قدمنا ذكره من علما الامصار
احيا لهم البقا ذكرهم لحياة الاكياس فالمواد وادرس بقي لهم بها ذكر يتجدد طول الابد
فان قلت انه كان مثل ذلك من علماينا والفوا كتبا لكنها لم تصل الينا فهذه
دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب او رحلة قارب
لو نفث من بلدكم مصدور لاسمع من ببلدنا في القبور فضلا عمن في الدور والقصور
وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان احمد بن عبد ربه الذي سماه بالعقد على انه
يلحقه فيه بعض اللوم لاسيما اذ لم يجعل فضايل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه
يتيمة سلكه اكثر الحز واخطا المفصل واطال الهز لسيف غير مفصل وقعد به ما
قعد باصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال ما يهمهم فارشدنا اخاك ارشدك الله واهده
هداك الله ان كانت عندك في ذلك الجلية وبين لنا فصل القضية والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته فكتب الوزير الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم
عند وقوفه على هذه الرسالة ما نصه الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد عبده
ورسوله وعلى اصحابه الاكرمين وازواجه امهات المومنين وذريته الفاضلين
وذريته الفاضلين الطيبين **اما بعد** يا اخي يا ابا بكر سلام عليك سلام اخ مشوق
طالت بينه وبينك الاميال والفراسخ وكثرة الايام والليالي ثم لقيتك في حال سفر
ونقلة وواداك في خلال جولة ورحلة فلم يتقض من مجاورتك اربا ولا بلغ في محاورتك
مطلبا واني لما احتللت بك وجالت يدي في مكنون كتبك ومضمون دواوينك
لمحت عيني في تضاعيفها درجا فتاملته فاذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مقيمنا
في الدار اهل افريقية ثم ممن ضمته حاضرة قيروانهم الى رجل اندلسي لم يعينه باسمه
ولا ذكره بنسبه يذكر فيه ان علما بلدنا بالاندلس وان كانوا على الذروة العليا
من التمكن بافانين العلوم وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف
فان هممهم قد قصرت عن تخليد ماثر بلادهم ومكارم ملوكهم ومحاسن فقهايهم
ومناقب قضاتهم ومفاخر كتابهم وفضايل علمايهم ثم تعدى ذلك الى ان اخلى
ارباب العلوم منا من ان يكون لهم تاليف يحيي ذكرهم ويبقي علمهم بل قطع على ان كل واحد
منهم قد مات فدفن علمه معه وحقق ظنه في ذلك واستدل على صحته عند نفسه
بان شيا من هذه التاليف لو كان لنا موجودا لكان الينا منقولا وعندهم ظاهرا
لقرب المزار وكثرة السفار وترددهم الينا وتكررهم علينا ثم لما ضمنا المجلس الحافل
باصناف الاداب والمشهد الاهل بانواع العلوم والقصر المعمور بانواع الفضايل

والمنزل

والمنزل المحفوف بكل لطيفة وشيعة من دقيق المعاني وجليل المعالي قرار المجد
ومحل السودد ومحط رحال الخايفين وملقى عصي التسيار عند الرئيس الاجل الرتب
قديمه وحسبه الرفيع حديثه ومكتسبه الذي اجله عن كل خطة يشركه فيها من لا
توازي قومته نومته ولا ينال الحضيض موتياه واربى به عن كل مرتبة يلحقه فيها من لا
يسمو الى المكارم سموه ولا يدنو من المعالي دنوه لا يبلغوا في حميد الخلال علوه
بل اكتفي من مدحه باسمه المشهور واجتزي من الاطالة في تقريظه بمنتماه المذكور
فحسبي بذينك للمتأملين دليلا على سعيه المشكور وفضله المشهور ابا عبد الله
محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت اطال الله بقاه وادام اعتلاه ولا عطل
الحامدين من تحليتهم بحلاه ولا اخلى الايام من تزينها بعلاه فرايته اعزه الله حريصا
على ان يجاوب هذا المخاطب وراغبا في ان يبين له ما لعله قد راه فنسي او بعد
عنه فخفي فتناولت الجواب المذكور بعد ان بلغني ان ذلك المخاطب قد مات
رحمنا الله واياه فلم يكن لقصدي بالجواب معنى وقد صارت المقابر له مغنى
فلسنا بمسمعين من في القبور فصرفت عنان الخطاب اليك اذ من قبلك صرت الى الكتاب
المجاوب عنه ومن لدنك وصلت الى الرسالة المعارضة وفي دخول كتابي على هذه
الهيئة حيثما وصل كفاية لمن غاب عنه من اخبارنا ليعلم مثل بلدنا مثل ما غاب عن
هذا الباحث الاول ولله الامر من قبل ومن بعد وان كنت في اخباري اياك بما
ارسمه في كتابي هذا كمهدي الى البركان نار الحباحب وباني صرح في مهيع الفرقد
اللاحب فانك وان كنت المقصود والمواجه فانما المراد من اهل تلك الناحية
من ناى عنه علم ما استجلبه السايل الماضي وما توفيقي الا بالله فاما ماثر بلدنا
فقد الف في ذلك احمد بن محمد الرازي التاريخي كتبا جمة منها كتاب ضخم ذكر فيه
مسالك الاندلس ومراسيها وامهات مدنها واجنادها الستة وخواص كل بلد
منها وما فيه مما ليس في غيره وهو كتاب مريح مليح وانا اقول لو لم يكن لاندلسنا
الا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف اسلافنا المجاهدين فيه
بصفات الملوك على الاسرة في الحديث الذي رويناه من طريق ابي حمزة انس بن مالك
ان خالته ام حرام بنت ملحان زوج ابي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله تعالى
عن جميعهم حدثته عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخبرها بذلك لكفى شرفا
بذلك الحديث اهل صقلية واقريطش واما الدليل على ما ادعيته من انه صلى
الله عليه وسلم عنى الاندلس حتما ومثل هذا من التاويل لا يتساهل فيه ذو ورع
دون برهان واضح وبيان لايح لا يحتمل التوجيه ولا يقبل التجريح فالجواب
وبالله التوفيق انه صلى الله عليه وسلم قد اوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب
وامر بالبيان لما اوحي اليه وقد اخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن

المذكور بطائفتين من امته يركبون ثبج البحر غزاة غزاة واحدة بعد واحدة فسألته
ام حرام ان يدعو ربه تعالى ان يجعلها منهم فاخبرها صلى الله عليه وسلم وخبره
الحق بانها من الاولين وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وهو الاخبار بالشي
قبل كونه وصح البرهان على رسالته بذلك وكانت من الغزاة الى قبرس وخرت عن بغلتها
هناك فتوفيت رحمها الله وهي اول غزاة ركب فيها المسلمون البحر فثبت يقينا
ان الغزاة الى قبرس هم الاولون الذين بشر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت ام
حرام منهم كما اخبر صلوات الله وسلامه عليه ولا سبيل ان يظن به وقد اوتي ما اوتي
من البلاغة والبيان انه يذكر طائفتين قد سمى احداهما اولى الا والثانية
لها ثانية فهذا من باب الاضافة وتركيب العدد وهذا يقتضي طبيعة صناعة
المنطق اذ لا تكون الاولى اولى الا للثانية ولا الثانية ثانية الا للاولى فلا سبيل
الى ذكر ثالث الا بعد ذكر الثاني ضرورة وهو صلى الله عليه وسلم انما ذكر طائفتين
وبشر بفيئتين وسمى احداهما الاولين واقتضى ذلك بالمقتضى الصدق اخرين
والاخر من الاول هو الثاني الذي اخبر صلى الله عليه وسلم ان خير القرون بعد
قرنه والى القرون بكل فضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه
خير من كل قرن بعده ثم ركب البحر بعد ذلك وايام سليمان بن عبد الملك الى
القسطنطينية وكان الامير بها في تلك الغزوة هبيرة الفزاري واما صقلية
فانها فتحت صدرا ايام الاغالبة سنة ٢١٢ ايام قاد اليها الاسطول غازيا
اسد بن الفرات القاضي صاحب ابي يوسف رحمه الله تعالى وبها مات واما اقريطش
فانها فتحت بعد الثلاث والمائتين افتتحها ابو حفص عمر بن شعيب المعروف بابن
الغليظ من اهل قرية بطروج من عمل فحص البلوط المجاور لقرطبة من بلاد الاندلس
وكان من فل الربضيين وتداولها بنوه بعده الى ان كان اخرهم عبد العزيز بن شعيب
الذي غنمها في ايامه ارمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ٣٥٠ ولنا
الكثير المستحسن لها اهل الاندلس واما في قسم الاقاليم فان قرطبة مسقط رؤوسنا
ومعق تمائمنا مع سر من راى في اقليم واحد فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه اقليمنا
وان كانت الانوار لنا بينها الامر بين عن مطالعها على الجزء المعمور وذلك عند
المحسنين للاحكام التي تدل عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها فلها من
ذلك على كل حال حظ يفوق حظ اكثر البلاد وبارتفاع احد النيرين بها تتعين
درجة وذلك من ادلة التمكن في العلوم والنفاذ فيها عند من ذكرنا وقد صدق
ذلك الخبر وابانته التجربة فكان اهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات
وحفظ كثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب
والنجوم بمكان رحب الفناء واسع العطن متناهي الاقطار فسيح المجال والذي

نعاه

نعاه علينا الكاتب المذكور لو كان كما ذكر لكنا فيه شركا لاكثر امهات الحواضر وجلائل
البلاد ومتسعات الاعمال فهذه القيروان بلد المخاطب لنا ما اذكر اني رايت في اخبارها
تاليفا غير المعرب عن اخبار المغرب وحاشى تواليف محمد بن يوسف الوراق فانه الف
للمستنصر رحمه الله تعالى في مسالك افريقية وممالكها ديوانا ضخما وفي اخبار ملوكها
وحروبهم والقائمين عليهم كتبا جمة وكذلك الف ايضا في اخبار تيهرت ووهران وتنس
وسجلماسة ونكور والبصرة وغيرها تواليف حسانا ومحمد هذا اندلسي الاصل والفرع
اباؤه من وادي الحجارة ومدفنه بقرطبة وهجرته اليها وان كانت نشاته بالقيروان
ولا بد من اقامة الدليل على ما اشرنا اليه هاهنا اذ مرادنا ان ناتي منه بالمطلب فيما
بيننا ان شا الله وذلك ان جميع المورخين من ائمتنا السالفين والباقين دون محاشاة
احد بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقون على ان ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التي استقر رجيع
بها ولم يرحل عنها ترك لسكناها الى ان مات فان ذكروا الكوفيين من الصحابة رضي الله
عنهم صدروا بعلي وابن مسعود وحذيفة رضي الله تعالى عنهم وانما سكن علي الكوفة
اربعة اعوام واشهرا وقد بقي ثمانية وخمسين عاما واشهرا بمكة والمدينة شرفهما
الله وكذلك ايضا اكثر اعمار من ذكرنا وان ذكروا البصريين بدءوا بعمران بن حصين وانس
ابن مالك وهشام عامر وابي بكرة وهولاموا لبدهم وعامة زمن اكثرهم واكثر مقامهم
بالحجاز وتهامة والطائف وجمهرة اعمارهم خلت هنالك وان ذكروا الشاميين
نوهوا بعبادة بن الصامت وابي الدرداء وابي عبيدة بن الجراح ومعاذ والامر
في هؤلاء كالامر فيمن قبلهم وكذلك في المصريين بعمرو بن العاصي وخارجة بن حذافة
العدوي وفي المكيين بعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير والحكم في هؤلاء كالحكم
فيمن قصصنا فمن هاجر الينا من ساير البلاد فنحن احق به وهو منا بحكم جميع اولي الامر منا
الذين اجماعهم فرض اتباعه وخلافه محرم اقترافه ومن هاجر منا الى غيرنا فلا حظ
لنا فيه والمكان الذي اختاره اسعد به فكما لا ندع اسماعيل بن القاسم فكذلك لا
تنازع في محمد بن هاني سوانا والعدل اولى ما حرص عليه والنصف افضل ما دعي اليه
بعد التفضيل الذي ليس هذا موضعه وعلى ما ذكرنا من الانصاف فتراضي الكل
وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التي سبق اهلها الى حمل
الوية المعارف والتدقيق في تصريف العلوم ورقة الاخلاق والنباهة والذكا
وحدة الافكار ونفاذ الخواطر وهذه البصرة وهي عين المعمور في كل ما ذكرنا
وما اعلم في اخبار بغداد تاليفا غير كتاب احمد بن ابي طاهر واما ساير التواريخ التي
الفها اهلها فلم يخصوا بلدتهم بها دون ساير البلاد ولا اعلم في اخبار البصرة غير
كتاب عمر بن شبة وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب الى ابي سفيان في خطط
البصرة وقطايعها وكتابين لرجلين من اهلها يسمى احدهما عبد القاهر كريزي

النسب وصفاتها وذكر اسواقها ومحالها وشوارعها ولا اعلم في اخبار الكوفة غير كتاب عمر بن شبة واما الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند والري وارمينية واذربيجان وتلك الممالك الكبيرة الضخمة فلا اعلم في شيء منها تاليفا قصد به اخبار ملوك تلك النواحي وعلمائها وشعرائها واطبائها ولقد تاقت النفوس الى ان يتصل بها تاليف في اخبار فقهاء بغداد وما علمناه علم على انهم العلية الرؤساء والعظماء ولو كان في شيء من ذلك تاليف لكان الحكم في الاغلب ان يبلغنا كما بلغ سائر تواليفهم وكما بلغنا كتاب حمزة ابن الحسن الاصفهاني في اخبار اصبهان وكتاب الموصلي وغيره في اخبار مصر وكما بلغنا سائر تواليفهم في انحاء العلوم وقد بلغنا تاليف القاضي ابي العباس محمد بن عبدون القيرواني في الشروط واعتراضه على الشافعي رحمه الله تعالى وكذلك بلغنا رد القاضي احمد بن طالب التميمي على ابي حنيفة وتشنيعه على الشافعي وكتب ابن عبدوس ومحمد بن سحنون وغير ذلك من حواصل تواليفهم دون مشهورها واما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى به المثل السائر ازهد الناس في عالم اهله وقرات في الانجيل ان عيسى عليه السلام قال لا يفقد النبي حرمته الا في بلده وقد تيقنا ذلك بما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وهم اوفر الناس احلاما واصحهم عقولا واشدهم تثبتا مع ما خصوا به من سكناهم افضل البقاع وتغذيتهم باكرم المياه حتى خص الله الاوس والخزرج بالفضيلة التي ابانهم بها عن جميع الناس والله يؤتي فضله من يشاء ولا سيما اندلسنا فانها خصت من حسد اهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم واستقلالهم كثير ما ياتي به واستهجانهم حسناته وتتبعهم سقطاته وعثراته واكثر ذلك مدة حياته باضعاف ما في سائر البلاد ان اجاد قالوا سارق مغير ومنتحل مدع وان توسط قالوا غث بارد وضعيف ساقط وان باكر الحيازة لقصب السبق قالوا متى كان هذا ومتى تعلم وفي اي زمان قرا ولامه الهبل وبعد ذلك ان ولجت به الاقدار احد طريقين اما شفوفا بائنا يعليه على نظرائه او سلوكا في غير السبيل التي عهدوها فهنالك حمي الوطيس على البائس وصار غرضا للاقوال وهدفا للمطالب ونصبا للتسبب اليه ونهبا للالسنة وعرضة للتطرق الى عرضه وربما نحل ما لم يقل وطوق ما لم يتقلده والحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه وبالحرا وهو السابق المبرز ان لم يتعلق من السلطان بحظ ان يسلم من المتالف وينجو من المخالف فان تعرض لتاليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه وعظم يسير خطبه واستشنع هين سقطه وذهبت محاسنه وسترت فضائله وهتف ونودي بما اغفل فتنكس لذلك همته وتكل نفسه وتبرد حميته وهكذا عندنا نصيب من ابتدا

يحوك

يحوك شعرا او يعمل رسالة فانه لا يفلت من هذه الحبائل ولا يتخلص من هذه النصب الا الناهض الفائت والمطفف المستولي على الامد وعلى ذلك فقد جمع ما ظننته الظان غير مجموع والفت عندنا تواليف في غاية الحسن لنا خطر السبق في بعضها فمنها كتاب الهداية ليحيى بن دينار وهي ارفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم واجمعها للمعاني الفقهية على المذهب فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب الجدار في الاقضية وكتاب النكاح والطلاق ومن الكتب المالكية التي الفت بالاندلس كتاب القاضي مالك بن علي وهو رجل قرشي من بني فهر لقي اصحاب مالك واصحاب اصحابه وهو كتاب حسن فيه غرائب ومستحسنات من الرسائل المولدات ومنها كتاب ابي اسحاق ابراهيم بن مزين في تفسير الموطا والكتب المستقصية لمعاني الموطا وتوصيل مقطوعاته من تواليف مزين ايضا وكتابه في رجال الموطا وما لمالك عن كل واحد منهم من الاثار في موطائه ومما في تفسير القران كتاب ابي عبد الرحمن بقي بن مخلد فهو الكتاب الذي اقطع قطعا لا استثني فيه انه لم يؤلف في الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد ابن جرير الطبري ولا غيره ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبه على اسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم فروى فيه عن الف وثلاثمائة صاحب ونيف ثم رتب حديث كل صاحب على اسماء الفقه وابواب الاحكام فهو مصنف ومسند وما اعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه فانه روى عن مائتي رجل واربعة وثمانين رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم اعلام مشاهير ومنها مصنفه في فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذي اربى فيه على مصنف ابي بكر بن ابي شيبة ومصنف عبد الرزاق ابن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها وانتظم علما عظيما لم يقع في شيء من هذه فصارت تواليف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد احدا وكان ذا خاصة من احمد بن حنبل رحمه الله تعالى ومنها في احكام القران كتاب ابن امية الحجاري وكان شافعي المذهب بصيرا بالكلام على اختيار وكتاب القاضي ابي الحكم منذر بن سعيد وكان داودي المذهب قويا في الانتصار له وكلاهما في احكام القران غاية وللمنذر مصنفات منها كتاب الابانة عن حقائق اصول الديانة ومنها في الحديث مصنف ابي محمد قاسم بن اصبغ بن يوسف بن ناصح ومصنف محمد بن عبد الملك بن ايمن وهما مصنفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات وللقاسم بن اصبغ هذا تواليف حسان جدا منها احكام القران على ابواب كتاب اسماعيل وكلامه ومنها احكام القران على ابواب كتاب اسماعيل وكلامه ومنها كتاب المجتبى على ابواب كتاب ابن الجارود المنتقى وهو

خبرهم وانقى حديثا واجلى سندا واكثر فايدة ومنها كتاب في فضايل قريش وكنانة وكتابه في الناسخ والمنسوخ وكتاب غرايب حديث مالك بن انس مما ليس في الموطا ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا ابي عمر يوسف بن عبد البر وهو الان بعد في الحياة لم يبلغ من السن الشيخوخة وهو كتاب لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله اصلا فكيف احسن منه ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور ولصاحبنا ابي عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثل لها منها كتابه المسمى بالكافي في الفقه على مذهب مالك واصحابه خمسة عشر كتابا اقتصر فيه على ما بالمفتي الحاجة اليه وبوبه وقربه فصار مغنيا عن التصنيفات الطوال في معناه ومنها كتابه في الصحابة ليس لاحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا في ذلك ومنها كتاب بهجة المجالس الاكتفا في قراة نافع وابي عمرو بن العلا والحجة لكل واحد منهما ومنها كتاب بهجة المجالس وانس المجالس مما يجري في المذاكرات من غرر الابيات ونوادر الحكايات ومنها كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته ومنها كتاب شيخنا القاضي ابي الوليد عبد الله بن محمد ابن يوسف بن الفرضي في المختلف والموتلف في اسما الرجال ولم يبلغ عبد الغني الحافظ البصري في ذلك الا كتابين وبلغ ابو الوليد رحمه الله نحو الثلاثين لا اعلم مثله في فنه البتة ومنها تاريخ احمد بن سعيد ما وضع في الرجال لاحد مثله الا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلي البغدادي ولم اره واحمد بن سعيد هو المتقدم الي التاليف الطاير في ذلك ومنها كتب محمد بن يحيى بن مفرج القاضي وهي كثيرة منها اسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصري وكتب كثيرة جمع فيها فقه الزهري ومما يتعلق بذلك شرح الحديث لقاسم بن خلف الطرطوشي فما ساه ابو عبيد الا بتقدم العصر فقط ومنها في الفقه الواضحة والمالكيون لا تمانع بينهم في فضلها واستحسانهم اياها ومنها المستخرجة من الاسمعة وهي المعروفة بالعتبية ولها عند اهل افريقية القدر العالي والطيران الحثيث والكتاب الذي جمعه ابو عمر احمد ابن عبد الملك بن هاشم الاشبيلي المعروف بابن المكوي والقرشي ابو مروان المعيطي في جمع اقاويل مالك كلها على نحو الكتاب الباهر الذي جمع فيه القاضي ابو بكر محمد بن احمد ابن الحداد البصري اقاويل الشافعي كلها ومنها الكتاب المنتخب الذي الفه القاضي محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة وما رايت لمالكي قط كتابا انبل منه في جمع روايات المذهب وشرح مستغلقها وتفريع وجوهها وتوالين قاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثايق وكلها حسن في معناه وكان شافعي المذهب نظارا جاريا في ميدان البغداديين ومنها في اللغة الكتاب البارع الذي الفه اسماعيل بن القاسم يحتوي على لغة العرب وكتابه في المقصور والممدود والمهموز لم يؤلف مثله في بابه وكتاب الافعال لمحمد بن عم

العزي

العزي المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبيديين فلم يوضع في فنه مثله وكتاب جمعه ابو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا واكثارا وثقة نقل ولمواطن في الحياة بعد وهنا منا قصة لا ينبغي ان تخلو رسالتنا منها وهي ان ابا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي حدثني ان ابا الجيش مجاهدا صاحب الجزاير ودانية وجه الى ابي غالب ايام غلبته على مرسية وابو غالب ساكن بها الف دينار اندلسية على ان يزيد في ترجمة الكتاب المذكور مما الفه تمام بن غالب لابي الجيش مجاهد فرد الدنانير وابى من ذلك ولم يفتح في هذا بابا البتة وقال والله لو بذلت لي الدنيا على ذلك ما فعلته ولا استجزت الكذب لاني لم اجمعه له خاصة بل لكل طالب فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها ومنها كتاب احمد بن ابان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب العالم نحو مائة سفر على الاجناس في غاية الايعاب بدا بالفلك وختم بالذرة وكتاب النوادر لابي علي اسماعيل بن القاسم وهو مبار لكتاب الكامل لابي العباس المبرد ولعمري لئن كان كتاب ابي العباس اكثر نحوا وخبرا فان كتاب ابي علي لاكثر لغة وشعرا وكتاب الفصوص لصاعد بن الحسن الربعي وهو جار في مضمار الكتابين المذكورين ومن الانحا تفسير الحوفي لكتاب الكسائي حسن في معناه وكتاب ابن سيده في ذلك المسمى بالعالم والمتعلم وشرح له لكتاب الاخفش ومما الف في الشعر كتاب عبادة بن ما السما في اخبار شعرا الاندلس كتاب حسن وكتاب الحدايق لابي عمر احمد بن فرج عارض به كتاب الزهرة لابي محمد بن داود رحمه الله تعالى الا ان ابا بكر انما ادخل مائة باب في كل باب مائة بيت وابو عمر اورد مائتي باب في كل باب مائتي بيت ليس منها باب تكرر اسمه لابي بكر ولم يورد فيه لغير اندلسي شيا واحسن الاختيار ما شا واجاد فبلغ الغاية واتى الكتاب فردا في معناه ومنها كتاب التشبيهات من اشعار اهل الاندلس جمعه ابو الحسن علي بن محمد بن ابي الحسن الكاتب وهو حي بعد ومما يتعلق بذلك شرح ابي القاسم ابراهيم بن محمد بن الافليلي لشعر المتنبي فهو حسن جدا ومن الاخبار تواريخ احمد بن محمد بن موسى الرازي في اخبار ملوك الاندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم وذلك كثير جدا وكتاب له في صفة قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها على نحو ما بدا به ابن ابي طاهر في اخبار بغداد وذكر منازل صحابة ابي جعفر المنصور بها وتواريخ متفرقة رايت منها اخبار عمر بن حفصون القايم برية ووقايعه وسيره وحروبه وتاريخ اخر في اخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القايم بالجوف وفي اخبار بني قسي والتجيبيين وبني الطويل والثغر فقد رايت من ذلك كتبا مصنفة في غاية الحسن وكتاب يحتوي على اجزا كثيرة في اخبار رية وحصونها وحروبها وفقهايها

وشعرائها تاليف اسحاق بن سلمة بن اسحاق الليثي وكتاب محمد بن الحارث الخشني
في اخبار القضاة بقرطبة وساير الاندلس وكتاب في اخبار الفقهاء بها وكتاب لاحمد
ابن محمد بن موسى في انساب مشاهير اهل الاندلس في خمسة اسفار ضخمة من احسن
كتاب في الانساب واوسعها وكتاب قاسم بن اصبغ في الانساب في غاية الحسن والايعاب
والايجاز وكتابه في فضايل بني امية وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر
امره وانتشر ذكره ومنها كتب مؤلفة في اصحاب المعاقل والاجناد الستة
بالاندلس ومنها كتب كثيرة جمعت فيها اخبار شعراء الاندلس للمستنصر رحمه
الله تعالى رايت منها اخبار شعراء البيرة في نحو عشرة اجزاء ومنها كتاب
الطوالع في انساب اهل الاندلس ومنها كتاب التاريخ الكبير في اخبار اهل
الاندلس تاليف ابي مروان بن حيان نحو عشرة اسفار من اجل كتاب الف في هذا
المعنى وهو في الحياة بعد لم يتجاوز الاكتهال وكتاب المآثر العامرية لحسين
ابن عاصم في سير ابن ابي عامر واخباره وكتاب الافتنان لمحمد بن عاصم النحوي في
طبقات الكتاب بالاندلس وكتاب سكن بن سعيد في ذلك وكتاب احمد بن فرج في
المنتزين والقايمين بالاندلس واخبارهم وكتاب اخبار اطبا الاندلس لسليمان بن جلجل
واما الطب فكتب الوزير يحيى بن اسحاق وهي كتب حسان رفيعة وكتب محمد بن الحسن
المذحجي استاذنا رحمه الله تعالى وهو المعروف بابن الكتاني وهي كتب رفيعة
حسان وكتاب التصريف لابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي وقد ادركناه وشاهدناه
ولين قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه ولا احسن للقول والعمل في الطبايع لنصدقن
وكتب ابن الهيثم في الخواص والسموم والعقاقير من اجل الكتب وانفعها واما
الفلسفة فاني رايت فيها رسايل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي
المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعة واما رسايل استاذنا ابي عبد الله
محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة وتامة الحسن فايقة الجودة
عظيمة المنفعة واما العدد والهندسة فلم يقسم لنا في هذا العلم نفاذ ولا
تحققنا به فلسنا نثق بانفسنا في تمييز المحسن من المقصر في المؤلفين فيه من اهل بلدنا
الا اني سمعت من اثق بعقله ودينه من اهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول انه لم
يؤلف في الازياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمح وهما من اهل بلدنا وكذلك كتاب
المساحة المجهولة لاحمد بن نصر فانه تقدم الجملة في معناه وانما ذكرنا التواليف
المستحقة للذكر والتي تدخل تحت الاقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل عالم الا في
احدها وهي اما شيء لم يسبق اليه يخترعه او شيء ناقص يتممه او شيء مستغلق يشرحه
او شيء طويل يختصره دون ان يخل بشيء من معانيه او شيء متفرق يجمعه او شيء مختلط
يرتبه او شيء اخطا فيه مؤلفه يصلحه واما التواليف المقصرة عن مراتب عزها فلم

نلتفت

نلتفت الى ذكرها وهي عندنا من تاليف اهل بلدنا اكثر من ان نحيط بعلمها واما
علم الكلام فان بلادنا وان كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل
فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب فهي على كل حال غير عرية عنه وقد كان فيهم قوم
يذهبون الى الاعتزال نظار على اصوله ولهم فيه تواليف منهم خليل بن اسحاق ويحيى
ابن السمينة والحاجب موسى بن حدير واخوه الوزير صاحب المظالم احمد وكان داعية
الى الاعتزال لا يستتر بذلك ولنا على مذهبنا الذي تخيرناه من مذاهب اصحاب
الحديث كتاب في هذا المعنى وان كان صغير الجرم قليل عدد الورق يزيد على المايتين
زيادة يسيرة فعظيم الفايدة لانا اسقطنا فيه المشاغب كلها واضربنا عن التطويل
جملة واقتصرنا على البراهين المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة الى شهادة
الحس وبديهة العقل لها بالصحة ولنا فيما تحققنا به تواليف جملة منها ما قد
تم ومنها ما شارف التمام ومنها ما قد مضى منه صدر ويعين الله تعالى على اتمامه
لم نقصد به قصد مباهاة فنذكرها ولا اردنا السمعة فنسميها والمراد بها ربنا
جل وجهه وهو ولي العون فيها والملي بالمجازاة عليها وما كان لله تعالى فسيبدو
وحسبنا الله ونعم الوكيل وبلدنا هذا على بعده من ينبوع العلم ونايه من محلة
العلما فقد ذكرنا من تواليف اهله ما ان طلب مثلها بفارس والاهواز وديار
مضر وديار ربيعة واليمن والشام اعوز وجود ذلك على قرب المسافة في هذه
البلاد من العراق التي هي دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف واربابها
ونحن اذا ذكرنا ابا الاجرب جعونة بن الصمة الكلابي في الشعر لم نباه به الا جريرا
والفرزدق لكونه في عصرهما ولو انصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب
الاوايل لا على طريقة المحدثين واذا سمينا بقي بن مخلد لم نسابق به الا محمد بن اسماعيل
البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وسليمان بن الاشعث السجستاني واحمد
ابن شعيب النسوي واذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباه به الا القفال ومحمد بن عقيل الفريابي
وهو شريكهما في صحبة المزني بن ابراهيم والتلمذ له واذا نعتنا عبد الله بن قاسم
ابن هلال ومنذر بن سعيد لم نجارهما الا ابا الحسن بن المغلس والخلال والدبياجي
ورويم بن احمد وقد شركهم عبد الله في ابي سليمان وصحبته واذا اشرنا الى
محمد بن عمر بن لبابة وعمه محمد بن عيسى وفضل بن سلمة لم نناطح بهم الا محمد بن عبد
الله بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد بن عبدوس واذا صحنا بذكر محمد بن يحيى
الرباحي وابي عبد الله محمد بن عاصم لم نبعد عن اكابر اصحاب محمد بن يزيد المبرد
ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا احمد بن محمد بن دراج القسطلي لما تاخر عن شاو بشار
وحبيب والمتنبي فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب واحمد بن عبد الملك
ابن مروان واغلب بن شعيب ومحمد بن شخيص واحمد بن فرج وعبد الملك بن سعيد

المرادي وكل هو لا تحل نقاب جانبه ومعصان ممسوح المتن ولنا من البلغا احمد بن
عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا وهو حي لم يبلغ سن الاكتهال وله من
التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لساني
عمرو وسهل ومحمد بن عبد الله بن مسرة في طريقته التي سلك فيها وان كنا لا نرضى
مذهبه في جماعة يكثر تعدادهم وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله
من البيان ولم نتزيد فيما رغب فيه الا ما دعتنا الضرورة الى ذكره لتعلقه بجوابه
والحمد لله الموفق لعلمه والهادي الى الشريعة المزلفة منه والموصلة وصلى الله
على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم انتهت الرسالة
وكتب الحافظ ابن حجر على هامش قوله فيها وانما سكن على الكوفة خمسة اعوام واشهرا
ما نصه صوابه اربعة اعوام انتهى **وقال** ابن سعيد بعد ذكره هذه الرسالة
ما صورته وانا اذيل ما ذكره الوزير الحافظ ابو محمد بن حزم من مفاخر اهل الاندلس
بما حضرني والله ولي الاعانة **اما** القرآن فمن اجل ما صنف في تفسيره كتاب الهداية
الى بلوغ النهاية في نحو عشرة اسفار صنفه الامام العالم الزاهد ابو محمد مكي
ابن ابي طالب القرطبي وله كتاب تفسير اعراب القرآن وعد ابن غالب في كتاب فرحة
الانفس تواليف مكي المذكور فبلغ بها سبعة وسبعين تاليفا وكانت وفاته
سنة ٤٣٧ ولابي محمد بن عطية الغرناطي في تفسير القرآن الكتاب الكبير الذي
اشتهر وطار في الغرب والشرق وصاحبه من فضلا المائة السادسة **واما** القراآت
فلمكي المذكور فيها كتاب التبصرة وكتاب التيسير لابي عمرو الداني مشهور في ايدي
الناس واما الحديث فكان بعصرنا في المائة السابعة الامام ابو الحسن علي بن القطان
القرطبي الساكن بحضرة مراكش في تفسير غرائبه وفي رجاله له مصنفات واليه
كانت النهاية والاشارة في عصرنا وسمعت انه كان اشتغل بجمع امهات كتب الحديث
المشهورة وحذف المكرر وكتاب رزين بن عمار الاندلسي في جمع ما يتضمنه كتاب مسلم
والبخاري والموطا والسنن والنسائي والترمذي كتاب جليل مشهور في ايدي
الناس بالمشرق والمغرب وكتاب الاحكام لابي محمد بن عبد الحق الاشبيلي مشهور
متداول للقراءة وله احكام كبرى واحكام صغرى قيل ووسطى وكتاب الجمع بين
الصحيحين للحميدي مشهور **واما** الفقه فالكتاب المعتمد عليه الان الذي يطلق
عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالاسكندرية فكتاب التهذيب للبراذعي
السرقسطي وكتاب النهاية لابي الوليد بن رشد كتاب جليل معظم معتمد عليه
عند المالكية وكذلك كتاب المنتقى للباجي **واما** اصول الدين واصول الفقه
فللامام ابي بكر بن العربي الاشبيلي من ذلك ما منه كتاب العواصم والقواصم
المشهور بايدي الناس وله تصانيف في غير هذا ولابي الوليد بن رشد في اصول

الفقه

ما منه مختصر المستصفى **واما** التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف بالمتين
في نحو ستين مجلدة وانما ذكر ابن حزم كتاب المقتبس وهو في عشر مجلدات والمتين
يذكر فيه اخبار عصره ويميز فيها مما شاهده ومنه ينقل صاحب الذخيرة وقد
ذيل عليه ابو الحجاج البياسي احد معاصرينا وهو الان بافريقية في حضرة
تونس عند سلطانها مختاضا ن العز وكتاب المظفر بن الافطس بطليوس المعروف
بالمظفري نحو كتاب المتين في الكبر وفيه تاريخ على السنين وفنون اداب كثيرة
وتاريخ ابن صاحب الصلاة في الدولة اللمتونية وذكر ابن غالب ان ابن الصيرفي
الغرناطي له كتاب في اخبار دولة لمتونة وان ابا الحسن الشالحي له كتاب في اخبار
الفتنة الثانية بالاندلس بدا من سنة ٣٩٩ ورتبه على السنين وبلغ به
سنة ٤٧٠ وابو القاسم خلف بن بشكوال له كتاب في تاريخ اصحاب الاندلس
من فتحها الى زمانه واضاف الى ذلك من اخبار قرطبة وغيرها ما جاب الخاطر
وله كتاب الصلة في تاريخ العلماء والحميدي قبله جذوة المقتبس وقد
ذيل كتاب الصلة في عصرنا هذا ابو عبد الله بن الابار البلنسي كاتب سلطان
افريقية وذكر ابن غالب ان الفقيه ابا جعفر بن عبد الحق الخزرجي القرطبي
له كتاب كبير بدا فيه من بدا الخليقة الى ان انتهى في اخبار الاندلس الى دولة
عبد المومن فاد وفاة وفاته سنة ٥٦٤ وابو محمد بن حزم صاحب الرسالة
المتقدمة الذكر له كتب جمة في التواريخ مثل كتاب نقط العروس في تواريخ
الخلفاء وقد صنف ابو الوليد بن زيدون كتاب التبيين في خلفاء بني امية بالاندلس
على منزع كتاب التعيين في خلفاء المشرق للمسعودي وللقاضي ابي القاسم صاعد
ابن احمد الطليطلي كتاب التعريف باخبار علماء الامم من العرب والعجم وكتاب جامع
اخبار الامم وابو عمر بن عبد البر له كتاب القصد والامم في معرفة اخبار العرب
والعجم وعريب ابن سعيد القرطبي له كتاب اختصار تاريخ الطبري فقد سعد
باغتباط الناس به واضاف اليه تاريخ افريقية والاندلس ولاحمد بن سعيد
ابن محمد بن عبد الله بن الفياض كتاب العبر وكتاب ابي بكر الحسين بن محمد الزبيدي
في اخبار النحويين واللغويين بالمشرق والاندلس وكتاب القاضي ابي الوليد
ابن الفرضي في اخبار العلماء والشعراء وما يتعلق بذلك وليحيى بن حكم الغزال
تاريخ الفه كله منظوما كما صنع ايضا بعده ابو طالب المتنبي من جزيرة شقر
في التاريخ الذي اورده منه صاحب الذخيرة ما اورد من كتاب الذخيرة لابن
بسام في جزيرة الاندلس ليس هذا مكان الاطناب في تفصيلها وهي كالذيل
على حدائق ابن فرج وفي عصرها صنف الفتح كتاب القلائد وهو مملوء بلاغة
والمحاكمة بين الكتابين ذكرت بمكان اخر ولصاحب القلائد كتاب المطمح وهو ملاك نسخ

كبرى ووسطى وصغرى يذكر فيها من الذين ذكرهم في القلائد ومن غيرهم الذين كانوا قبل
عصرهم وكتاب سمط الجمان وسقيط المرجان لابي عمرو بن الامام تبعا للكتابين المذكورين
ذكر من اخلا ابن خاقان فيه جملة من الفضلا واستدرك من ادركه بعصره في بقية المائة الخامسة
وذيل عليه وان كان ذيلا قصيرا ابو بحر صفوان بن ادريس المرسي بكتاب زاد المسافر
ذكر فيه جماعة ممن ادرك المائة السابعة وكتاب ابي محمد عبد الله بن ابراهيم الحجاري
المسمى بالمسهب في فضائل المغرب صنفه بعد الذخيرة والقلائد من اول ما عمرت الاندلس
الى عصره وخرج فيه عن مقصد الكتابين الى ذكر البلاد وخواصها مما يختص بعلم الجغرافيا
وخلطه بالتاريخ وتفنن الادب على ما هو مذكور في غير هذا المكان ولم يصنف
في الاندلس مثل كتابه ولذلك فضله المصنف له عبد الملك بن سعيد وذيل عليه
ثم ذيل على ذلك ابناه احمد ومحمد ثم موسى بن محمد ثم علي بن موسى كاتب هذه النسخة
وتمم كتاب فلك الادب المحيط بحلى لسان العرب المحتوي على كتابي المشرق في حلى
المشرق والمغرب في حلى المغرب فيكفي الاندلس في هذا الشان تصنيف هذا الكتاب
بين ستة اشخاص في مائة وخمس عشرة سنة اخرها سنة خمس واربعين وستمائة
وقد احتوى على جميع ما يذاكر به ويحاضر بحلاه من فنون الادب المختارة على جهد
الطاقة في شرق وغرب على النوع الذي هو مذكور في غير هذا الموضع ومن اغفلت
التنبيه على عصره وغير ذلك من المصنفين المتقدمين الذكر فيطلب الملتمس منهم
في مكانه المنسوب اليه كابن بسام في شنترين والفتح في اشبيلية وابن الامام في
استجة والحجاري في وادي الحجارة **واما** ما جاء منثورا من فنون الادب فكتاب
سراج الادب لابي عبد الله بن ابي الخصال الشقوري رئيس كتاب الاندلس صنفه على
منزع كتاب النوادر لابي علي وزهر الاداب للحصري وكتاب واجب الادب لوالدي موسى
ابن محمد بن سعيد واسمه يغني عن المراد به وكتاب اللآلي لابي عبيد البكري على كتاب
الامالي لابي علي البغدادي مفيد في الادب وكذلك كتاب الاقتضاب في شرح ادب
الكتاب لابي محمد بن السيد البطليوسي واما شرح سقط الزند فهو الغاية
ويكفي ذكره عند ارباب هذا الشان وثناؤهم عليه وشروح ابي الحجاج الاعلم
لشعر المتنبي والحماسة وغير ذلك مشهورة **واما** النحو فلاهل الاندلس من
الشروح على الجمل ما يطول ذكره **فمنها** شرح ابن خروف **ومنها** شرح الزند
ومنها شرح شيخنا ابي الحسن بن عصفور الاشبيلي واليه انتهت علوم النحو
وعليه الاحالة الان من المشرق والمغرب وقد اتيت له من افريقية بكتاب المقرب
في النحو فتلقي باليمين من كل جهة وطار بجناح الاغتباط ولشيخنا ابي علي الشلوبيني
كتاب التوطئة على الجزولية وهو مشهور ولابن السيد وابن الطراوة والسهيلي
من التقييدات في النحو ما هو مشهور عند اصحاب هذا الشان معتمد عليه ولابن

الحسن

الحسن بن خروف شرح مشهور على كتاب سيبويه **واما** علم الجغرافيا فيكفي في ذلك
كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري الاونبي وكتاب معجم ما استعجم من البقاع
والاماكن وفي كتاب المسهب للحجاري من هذا الشان وتذييلنا عليه في هذا الكتاب
الجامع ما جمع زبد الاولين والاخرين في ذلك **واما** الموسيقى فكتاب ابي بكر بن باجة
الغرناطي في ذلك فيه كفاية وهو في المغرب بمنزلة ابي نصر الفارابي بالمشرق واليه
تنسب الالحان المطربة بالاندلس التي عليها الاعتماد وليحيى الخدج المرسي كتاب الاغاني
الاندلسية على منزع الاغاني لابي الفرج وهو ممن ادرك المائة السابعة **واما** الطب
فالمشهور بايدي الناس الان في المغرب وقد سار في المشرق ايضا النيله كتاب التيسير
لعبد الملك بن ابي العلا بن زهر وله كتاب الاغذية ايضا مشهور مغتبط به في المغرب
والشرق ولابي العباس بن الرومية الاشبيلي من علما عصرنا بهذا الشان كتاب في
الادوية المفردة وقد جمع ابو محمد المالقي الساكن الان بقاهرة مصر كتابا في هذا الشان
حشر عليه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب
الزهراوي وكتاب الشريف الادريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم
وهو النهاية في مقصده **واما** الفلسفة فامامها في عصرنا ابو الوليد بن رشد
القرطبي وله فيها تصانيف جحدها لما راى انحراف منصور بني عبد المومن عن هذا العلم
وسجنه بسببها وكذلك ابن حبيب الذي قتله المامون بن منصور المذكور على هذا
العلم باشبيلية وهو علم ممقوت بالاندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره فلذلك تخفى
تصانيفه **واما** التنجيم فلابن زيد الاسقف القرطبي فيه تصانيف وكان مختصا
بالمستنصر بن الناصر المرواني وله الف كتاب تفصيل الازمان ومصالح الابدان وفيه
من ذكر منازل القمر وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه وكان مطرف
الاشبيلي في عصرنا قد اشتغل بالتصنيف في هذا الشان الا ان اهل بلده كانوا
ينسبونه للزندقة بسبب اعتكافه في هذا الشان فكان لا يظهر شيا مما يصنف
ثم قال ابن سعيد واخبرني والدي قال كنت يوما في مجلس صاحب سبتة
ابي يحيى بن ابي زكريا صهر ناصر بني عبد المومن فجرى بين ابي الوليد الشقندي
وبين ابي يحيى بن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البرين فقال الشقندي
لولا الاندلس لم يذكر بر العدوة ولا سارت عنه فضيلة ولولا التوقير للمجلس
لقلت ما تعلم فقال الامير ابو يحيى اتريد ان تقول كوننا اهل برنا عربا واهل بركم
بربر فقال حاش لله فقال الامير والله ما اردت هذا فظهر في وجهه انه
اراد ذلك فقال ابن المعلم اتقول هذا وما الملك والفضل الا من بر العدوة
فقال الامير الراي عندي ان يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل بره فالكلام
هنا يطول ويمر ضياعا وارجوا اذا اخليتما له فكركما صدر عنكما ما يحسن

تحليته فعملا ذلك فكانت رسالة الشقندي الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بجزيرة
الاندلس ان يتكلم ملا فيه . وينطق ما شا فلا يجد من يعترض عليه ولا يثنيه اذ لا
يقال للنهار يا مظلم . ولا للوجه النعيم يا قبيح . وقد وجدت مكانا للقول ذا سعة
فان وجدت لسانا قايلا فقل احمد علي ان جعلني من انشاته . ومنحني بان كنت
من اظهرته . فامتد في الفخر باعي . واعانني علي الفضايل كرم طباعي . واصلي علي
سيدنا محمد نبيه الكريم وعلي اله وصحبه الطاهرين واسلم تسليما اما بعد
فانه حركني مجلس ما كنا وملاهي فارغا . فخرجت عن سجيتي في الاغضا مكرها الي
الحمية والابا متنازع في فضل الاندلس اراد ان يخرق الاجماع . وياتي بما لا تقبله
النواظر والاسماع . اذ من راي ومن سمع لا يجوز عنده ذلك . ولا يضله من تاه
في تلك المسالك . رام ان يفضل بر العدوة علي بر الاندلس . فرام ان يفضل
علي اليمين اليسار . ويقول ان الليل اضوء من النهار . فيا عجبا كيف قابل النوا
بالزجاج . وصادم الصفاة بالزجاج . فيا من نفخ في غير ضرم . ودوام صيد
البزاة بالرخم . كيف تتكبر بما جعله الله قليلا . وتفتخر بما حكم الله ان
يكون ذليلا . ما هذه المباهتة التي لا تجوز كيف تبدي امام الفتاة العجو
سل العيون الي وجه تمثيل . واستخبر الاسماع الي حديث من يقتضي

لشتان ما بين اليزيدين في الندي . يزيد سليم والاغر بن حاتم

اقل حياك ايها المفرد بالبحث المتزين بالحلق المتخيبا الي الغواني بالمشيب
الخضيب اين غرب عقلك . وكيف نكص علي عقبيه فهمك ولبك . ابلغت العصبية
من قلبك ان تطمس علي نور بصرك ولبك اما قولك الملوك منا ابقنا وما
نحن الا كما قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا . ويوم نساء ويوم نسر

ان كان الان كرسي جميع بلاد المغرب عندكم بخلافة بني عبد المومن ادامها الله
تعالي فقد كان عندنا بخلافة القرشيين الذين يقول مشرقيهم

واني من قوم كرام اعزة . لاقدامهم صيغت رووس المنابر
خلايف في الاسلام في الشرك قادة . بهم واليهم فخر كل مفاخر

ويقول مغربيهم .

السنا بني مروان كيف تبدلت . بنا الحال او دارت علينا الدواير
اذا ولد المولود منا تهللت . له الارض واهتزت اليه المنابر

وقد نشا في مدتهم من الفضلا والشعرا ما اشتهر في الافاق . وصارت ابياته
علي صحايف الايام مثل الاطواق في اعناق الحمام

وسار مسير الشمس في كل بلدة . وهبت هبوب الريح في البر والبحر

ولم تزل

ولم تزل ملوكهم في الاتساق كما قيل .

ان الخلافة فيكم لم تزل نسقا . كالعقد منظومة فيه فرايده

الي ان حكم الله بنثر سلكهم . وذهاب ملكهم . فذهبوا وذهبت اخبارهم ودرسوا
ودرست اثارهم

جمالا لذي الارض كانوا في الحياة وهم . بعد الممات جمال الكتب والسير

فكم مكرمة اناولوها . وكم غنى اقالوها .

وانما المرء حديث بعده . فكن حديثا حسنا لمن وعي

وكان من حسنات ملكهم المنصور بن ابي عامر وما ادراك الذي بلغ في بلاد النصارى
غازيا الي البحر الاخضر ولم يترك اسيرا في بلادهم من المسلمين ولم يبرح في جيش الهرقل
وعزمة الاسكندر وليا تنفي بخبه كتب علي قبره

اثاره تنبيك عن اوصافه . حتي كانك بالعيان تراه
تالله لا ياتي الزمان بمثله . ابدا ولا يحمي الثغور سواه

وقد قيل فيه من الامداح والف له من الكتب ما سمعت وعلمت حتي قصد من بغداد
وعم خيره وشره اقاصي البلاد . ولما انتثر بعد انتثار هذا النظام ملوك الطوايف
وتفرقوا في البلاد كان في تفرقهم اجتماع علي النعم لفضلا العباد . اذ نفقوا سوق
العلوم وتباروا في المثوبة علي المنثور والمنظوم . فما كان اعظم مباهاتهم الا في
قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني . والشاعر الفلاني
مختص بالملك الفلاني . وليس منهم الا من بذل وسعه في المكارم . ونبهت الامداح
من ماثره ما ليس طول الدهر بنايم . وقد سمعت ما كان من الفتيان العامرية
مجاهد ومنذر وخيران وسمعت الملوك العربية بنو عباد وبنو صمادح وبنو
الافطس وبنو ذي النون وبنو هود كل منهم قد خلد فيه من الامداح . ما لو مدح
به الليل لصار اضوء من الصباح . ولم تزل الشعرا تتهادي بينهم تهادي النسيم
بين الرياض . وتفتك في اموالهم فتكة البراض . حتي ان احد شعرايهم بلغ به
ما اراه من منافستهم في امداحهم ان حلف ان لا يمدح احدا منهم بقصيدة الا بماية
دينار وان المعتضد بن عباد علي ما اشتهر من سطوته . وافراط هيبته . كلفه
ان يمدحه بقصيدة فابي حتي يعطيه ما شرطه في قسمه . ومن اعظم ما يحكي من
المكارم التي لم يسمع لها اخت ان ابا غالب اللغوي الف كتابا فبذل له مجاهد العامري
ملك دانية الف دينار ومركوبا وكسي علي ان يجعل الكتاب باسمه فلم يقبل ذلك
ابو غالب وقال كتاب الفته لينتفع به الناس واخلد فيه همتي اجعل في صدره اسم
غيري واصرف الفخر له لا افعل ذلك فلما بلغ هذا مجاهد استحسن انفته وهمته
واضعف له العطا وقال هو في حل من ان يذكرني فيه لا نصدق عن غرضه وان كان كل

ملوك الاندلس المعروفين بملوك الطوايف قد تنازعوا في ملاءة الحضرة فالي اخص
منهم بني عباد كما قال الله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان فان الايام لم تزل بهم
كاعياد وكان لهم من الحنو على الادب ما لم يقم به بنو حمدان في حلب وكانوا هم وبنوهم
ووزراؤهم صدورا في بلاغتي النظم والنثر مشاركين في فنون العلم واثارهم مذكورة
واخبارهم مشهورة وقد خلدوا من المكارم الثابتة ما هو متردد في السن الخاصة
والعامة • وبالله الا سميت لي من تفخرون قبل هذه الدعوة المهدية ابسقوت الحاجب
ام بصالح البرغواطي ام بيوسف بن تاشفين الذي لولا توسط ابن عباد لشعراء الاندلس
في مدحه ما اجروا له ذكرا ولا رفعوا للملك قدرا وبعد ما ذكروه بوساطة المعتمد
ابن عباد فان المعتمد قال له وقد انشدوه ايعلم امير المسلمين ما قالوه قال
لا اعلم ولكنهم يطلبون الخبز ولما انصرف عن المعتمد الى حضرة ملكه كتب له المعتمد
رسالة فيها •

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا • شوقا اليكم ولا جفت ماقينا
حالت لفقدكم ايامنا فغدت • سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرئ عليه هذان البيتان قال للقارئ يطلب منا جواري سودا وبيضا
قال لا يا مولانا ما اراد الا ان ليله كان بقرب امير المسلمين نهارا لان ليالي
السرور بيض فعاد نهاره ببعده ليلا لان ايام الحزن ليال سود فقال والله جيد
اكتب له في جوابه ان دموعنا تجري عليه ورؤوسنا توجعنا من بعده فليت ابا العباس
ابن الاحنف قد عاش حتى يتعلم من هذا الفاضل رقة الشوق

ولا تنكرن مهما رايت مقدما • على حمر بغلا فثم تناسب

فاسكتوا فلولا هذه الدولة • لما كان لكم على الناس صولة

وانا الورد يقتطف من قتاد • وان النار تقتبس من رماد

وانك ان تعرضت للمفاضلة بالعلماء فاخبرني هل لكم في الفقه مثل عبد الملك
ابن حبيب الذي يعمل باقواله الى الان ومثل ابي الوليد الباجي ومثل ابي بكر
ابن العربي ومثل ابي الوليد بن رشد الاكبر ومثل ابي الوليد بن رشد الاصغر
وهو ابن الاكبر نجوم الاسلام • ومصابيح شريعة محمد عليه السلام وهل
لكم في الحفظ مثل ابي محمد بن حزم الذي زهد في الوزارة والمال ومال الى رتبة
العلم وراها فوق كل رتبة وقال وقد احرقت كتبه

دعوني من احراق رق وكاغد • وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي • تضمنه القرطاس بل هو في صدري

ومثل ابي عبد الله بن عبد البر صاحب الاستذكار والتمهيد ومثل ابي بكر بن الجد حافظ عمر بن ح
الاندلس في هذه الدولة وهل لكم في حفاظ اللغة كابن سيده صاحب كتاب المحكم

وكتاب السما

وكتاب السماء والعالم الذي ان اعمى الله بصره فما اعمى بصيرته وهل لكم في النحو
مثل ابي محمد بن السيد وتصانيفه ومثل ابن الطراوة ومثل ابي علي الشلوبيني
الذي بين اظهرنا الان وقد سار في المغارب والمشارق ذكره وهل لكم في علوم
اللحون والفلسفة كابن باجه وهل لكم في علم النجوم والفلسفة والهندسة
ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة فانه كان في ذلك اية وهل لكم في الطب
مثل ابن طفيل صاحب رسالة حي بن يقظان المقدم في علم الفلسفة ومثل بني
زهر ابي العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه ابي بكر ثلاثة على نسق وهل لكم في علم
التاريخ كابن حيان صاحب المتين والمقتبس وهل عندكم في رؤساء علم الادب مثل
ابي عمر بن عبد ربه صاحب العقد وهل لكم في الاعتناء بتخليد مآثر فضلاء اقليمه والاجتهاد
في حشر محاسنهم مثل ابن بسام صاحب الذخيرة ومن اين كان يكون لكم مثله فما تصنع
الكتيبة في البيت الفارغ وهل لكم في بلاغة النثر كالفتح بن عبيد الله الذي ان
مدح رفع وان ذم وضع وقد ظهر له من ذلك في كتاب القلائد ما هم عندنا
ومثل ابن ابي الخصال في ترسيله ومثل ابي الحسن سهل بن مالك الذي بين اظهرنا
الان في خطبه وهل لكم في الشعر ملك مثل المعتمد بن عباد في قوله

وليل بسد النهر انسا قطعته • بذات سوار مثل منعطف النهر
نضت بردها عن غصن بان منعم • فيا حسنها انشق الكمام عن الزهر

وقوله في ابيه •

سميدع يهب الالاف مبتديا • ويعتد ذلك يلفى وهو معتذر
له يد كل جبار يقبلها • لولا نداها لقلنا انها الحجر

ومثل ابنه الراضي في قوله •

مروا بنا اصلا من غير ميعاد • فاوقدوا نار قلبي اي ايقاد
لا غرو ان زاد في وجدي مرورهم • فرؤية الماء تذكي غلة الصادي

وهل لكم ملك الف في فنون الاداب كتابا في نحو مائة مجلدة مثل المظفر بن الافطس
ملك بطليوس ولم تشغله الحروب ولا المملكة عن همة الادب وهل لكم من
الوزراء مثل ابن عمار في قصيدته التي سارت اشرد من مثل واحب الى الاسماع من
لقاء حبيب وصل التي منها •

اعرت دماك من ورس ملوكهم • لما رايت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء كماتهم • لما رايت الحسن يلبس احمرا

ومثل ابن زيدون في قصيدته التي لم يقل مع طولها في النسيب ارق منها ومنها التي
يقول فيها •

كانا لم نبت والوصل ثالثنا • والسعد قد غض من اجفان واشينا

سَرَّانِ في خاطر الظلماء يكتمنا • حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وهل لكم من الشعراء مثل ابن زيدون في بديهته بين يدي المعتمد بن عباد وأصابه
العرض حين استحسن المعتمد قول المتنبي

إذا ظفرت منك العيون بنظرة • أثاب بها معيي المطي ورازمه

فارتجل •

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما • يجيد العطايا واللهى تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى • بأنك تروي شعره لتألها

وهل لكم مثل شاعر الأندلس ابن دراج الذي قال فيه الثعالبي هو بالصقع الأندلسي
كالمتنبي بصقع الشام الذي إن مدح الملوك قال مثل قوله

ألم تعلمي أن الثواء هو التوي • وأن بيوت العاجزين قبور
فإن خطيرات المهالك ضمن • لراكبها أن الجزاء خطير
تخوفني طول السفار وإنه • بتقبيل كف العامري جدير
بحير الهدى والدين من كل ملحد • وليس عليه للضلال مجير
تلاقت عليه من تميم ويعرب • شموس تلاقى في العلا وبدور
هم يستقلون الحياة لراغب • ويستصغرون الخطب وهو كبير
فلما توافوا للسلام ورفعت • عن الشمس في أفق الشروق ستور
وقد قام من زرق الأسنة دونها • صفوف ومن بيض السيوف سطور
رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها • وآيات صنع الله كيف تنير
وكيف استوى بالبر والبحر مجلس • وقام بعبء الراسيات سرير
فجاءوا عجالا والقلوب خوافق • وولوا بطاء والنواظر صور
يقولون والإجلال يخرس ألسنا • وحازت عيون ملأها وصدور
لقد حاط أعلام الهدى بك حائط • وقدر فيك المكرمات قدير

وأنا أقسم بما حازته هذه الأبيات • من غرائب الآيات • لو سمع هذا المدح سيد بني
حمدان لسلا به عن مدح شاعره الذي ساد كل شاعر • ورأى أن هذه الطريقة
أولى بمدح الملوك من كل ما تفنن فيه كل ناظم وناثر • وإن ذكر الغربة عن الأوطان
ومكابدة نوائب الزمان قال •

قالت وقد مزج الفراق مدامعا • بمدامع وترائبا بترائب
أتفرق حتى بمنزل غربة • كم نحن للأيام نهبة ناهب
ولئن جنيت عليك ترحة راحل • فأنا الزعيم بفرحة آيب
هلا بصرت عيناك بدرا طالعا • في الأفق إلا من هلال غارب

وإن شبه فقال •

لمعاقل

لمعاقل من سوسن قد شيدت • أيدي الربيع بناءها فوق القضب
شرفاتها من فضة وحماتها • حول الأمير لهم سيوف من ذهب

وهل من شعرائكم من تعرض لذكر العفة فاستنبط ما يبهر به السحر ويطيب به الزهر
وهو أبو عمر بن فرج في قوله •

وطائعة الوصال عففت عنها • وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت • دياجي الليل سافرة القناع
وما من لحظة إلا وفيها • إلى فتن القلوب لها دواع
فملكت النهى جمحات شوقي • لأجري في العفاف على طباعي
وبت بها مبيت السقب يظما • فيمنعه الكعام من الرضاع
كذاك الروض ما فيه لمثلي • سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات • فأتخذ الرياض من المراعي

وهل بلغ أحد من مشبهي شعرائكم أن يقول مثل قول أبي جعفر اللمائي

عارض أقبل في جنح الدجى • يتهادى كتهادي ذي الوجى
بددت ريح الصبا لؤلؤه • فانبرى يوقد عنها سرجا

ومثل قول أبي حفص بن برد •

وكأن الليل حين لوى • ذاهبا والصبح قد لاحا
كلة سوداء أحرقها • عامد أسرج مصباحا

وهل منكم من وصف ما تحدثه الخمرة من الحمرة على الوجنة بمثل قول الرئيس الطليق

أصبحت شمسا وفوه مغربا • ويد الساقي المحيي مشرقا [المحيا]
وإذا ما غربت في فمه • تركت في الخد منه شفقا [أطلعت]

عبل هذا الشعر فليطلق اللسان • ويفخر على كل إنسان • وهل منكم من عمد
إلى قول امرئ القيس •

سموت إليها بعد ما نام أهلها • سمو حباب الماء حالا على حال

فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الأزهار • واستلبه بلطف استلاب الشمس
لرضاب طل الأسحار • فلطفه تلطيفا يمتزج بالأرواح • ويغني في الارتياح
عن زب الراح وهو ابن شهيد في قوله •

ولما تملأ من سكره • ونام ونامت عيون العسس
دنوت إليه على قربه • دنو رفيق درى ما التمس
أدب إليه دبيب الكرى • وأسمو إليه سمو النفس
أقبل منه بياض الطلى • وأرشف منه سواد اللعس
فبت به ليلتي ناعما • إلى أن تبسم ثغر الغلس

وقد تناول هذا المعنى ابن ابي ربيعة على عظم قدره وتقدمه فعارض التسهيل بالنهاق • وقابل العذب بالزعاق • فقال وليته سكت وتنفست عني الصبح
اقبلت مشية الحباب وركني خشية القوم راد ورادنا اقسم لولا دجمل محبوبين لسنا
لكان الطف في الزيادة من هذا الازورار الركن المنقص للعيون لكننا انا سا امنا
فقد احسن في قوله •

قالت لقد اعيتنا حجة • فأت اذا ما هجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى • ليلة لا ناه ولا زاجر

ولله در محمد بن سفر احد شعرا المتاخرين عصر المتقدمين قدرا حيث نقل
التشبيه الى محبوبته فقال وليته لم يزل يقول مثل هذا فبمثله ينبغي ان يتكلم
ومثله يليق ان يدون •

وواعدتها والشمس تجنح للنوى • بزورتها شمسا وبدر الدجى يسري
فجاءت كما يمشي سنا الصبح في الدجى • وطورا كما مر النسيم على النهر
فعطرت الآفاق حولي فاشعرت • بمقدمها والعرف يشعر بالزهر
فتابعت بالتقبيل آثار سعيها • كما يتقصى قاري احرف السطر
فبت بها والليل قد نام والهوى • تنبه بين الغصن والحقف والبدر
اعانقها طورا والثم تارة • الى ان دعتنا للنوى راية الفجر
ففضت عقودا للتعانق بيننا • فيا ليلة العقد انثري ساعة النثر

وهل منكم من قيد بالاحسان فاطلق لسانه بالشكر فقال وهو ابن اللبانه
باهلي وبنفسي جيرة ما استغنتهم • على الدهر الا وانثنيت معانا
اراشوا جناحي ثم بلوه بالندى • فلم استطع من ارضهم طيرانا

ومن يقول وقد قطع عنه ممدوحه ما كان يعتاده منه من الاحسان فتقابل
ذلك بقطع مدحه له فبلغه انه عتبه على ذلك وهو ابن وضاح

هل كنت الا طائرا بثنائكم • في دوح مجدكم اقوم واقعد
ان تسلبوني ريشكم وتقلصوا • عني ظلالكم فكيف اغرد

وهل منكم شاعر راى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الثغر بالاقاحي وتشبيه
الزهر بالنجوم وتشبيه الخدود بالشقائق • فتلطف لذلك في ان ياتي به في
منزع يصير خلقه في الاسماع جديدا • وكليله في الافكار حديدا • فاغرب باحسن
اغراب واعرب عن فهمه بحسن تخيله ابلغ اعراب • وهو ابن الزقاق

واغيد طاف بالكؤوس ضحى • وحثها والصباح قد وضحا
والروض اهدى لنا شقائقه • وآسه العنبري قد نفحا
قلنا واين الاقاح قال لنا • اودعته ثغر من سقى القدحا

فظل

فظل ساقي المدام يجحد ما • قاله فلما تبسم افتضحا

وقال

ادرها على الروض المندى • وحكم الصبح في الظلماء ماض
وكاس الراح تنظر عن حباب • ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الافق لكن • نقلن من السماء الى الرياض

وقال

ورياض من الشقائق اضحت • يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها • زهرات تروق لون الراح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا • سرقت حمرة الخدود الملاح

فانظر كيف زاحم بهذا الاختيال المخترعين • وكيف سابق بهذا اللفظ المبدعين
وهل منكم من برع في اوصاف الرياض والمياه وما يتعلق بذلك فانتهى الى غاية
السباق وفضح كل من طمع ان يعد في اللحاق • وهو ابن اسحاق بن خفاجة القايل

وعشي انس اضجعتنا نشوة • فيها يمهد مضجعي ويدمث
خلعت علي بها الاراكة ظلها • والغصن يصغي والحمام يحدث
والشمس تجنح للغروب مريضة • والرعد يرقي والغمامة تنفث

والقايل

لله نهر سال في بطحاء • اشهى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كانه • والزهر يكنفه مجر سماء
قد رق حتى ظن قرصا مفرغا • من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كانها • هدب تحف بمقلة زرقاء
ولطالما عاطيت فيه مدامة • صفراء تخضب ايدي الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى • ذهب الاصيل على لجين الماء

والقايل

حث المدامة والنسيم عليل • والظل خفاق الرواق ظليل
والروض مهتز المعاطف نعمة • نشوان تعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى • عنه فذهب صفحتيه اصيل

والقايل

اذن الغمام بديمة وعقار • فامزج لجينا منهما بنضار
واربع على حكم الربيع باجرع • هزج المكاء مصفق الاطيار
متقسم الالحاظ بين محاسن • من ردف رابية وخصر قرار
نثرت بحجر الروض فيه يد الحيا • دررا الندى ودراهم الانوار

ومنت مزهيد هنالك ايكم • خافقة تهب ريح عطار
هزت لها اعطافها والزنما • خلعت عليه ملاءة النوار

والقايل

سفيا لها من بطاح خز • ودوح يهتز هامسطل
اذ لا ترى غير وجه شمس • اطل فيه عذار طل

والقايل

يهتز كاسا الى سلسال • وصبا بليل في بليلها مكسال
ونهت نفحة روضة مطلولة • في جانبيها للنسيم مجال
غازلته والاقحوانة مبسم • والاس صدغ والبنفسج خال

والقايل

وساق تخيل اللحظ في شاوشي • جماح وما لصير الجميل حمان
ترى للصبي نارا بخدية لم يشر • لها من سوادي عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية • كما اعوج في درع الكمي سنان
عشاما اعاها الكرم فهي كريمة • ولم تزر بابن المزن فهي حصان
وقد جالس حولنا لغمامة ادهم • له البرق سوط والهلال عنان
وضح درع الشمس يحوحديقة • عليه من الطل السقيط جمان
ومنت باسرار الرياض خميلة • لها النور ثغر والنسيم لسان

والقايل في وصف مدلم يخرج عن طريقته

واشقر تضرم منه الوغي • بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه • واذنه من ورق الآس
يطلع للغرة في شقرة • حبابة تضحك في كاس

وهل منكم من يقول مناديا لنديمه وقد باكر روضا بمحبوب وكاس فالفاه قد
عطي محاسنه ضباب تحافان يكسل نديمه عن الوصول اذا راى ذلك وهو ابو الحسن
ابن بسام •

الا بادر فلا ثاني سوي • ما عهدت الكاس والبدر التمام
ولا تكسل برويته ضبابا • تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم الي ان • توافيه فينحط اللثام

وهل منكم من تغزل في غلام حايك بمثل قول الرصافي

قالوا وقد اكثروا في حبه عذلي • لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو كان امري في الصبابة لي • لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لي
علقته حبي الثغر عاطره • حلو اللما ساحر الاجفان والمقل

غزيل

غزيل لم تزل في الغزل جايلة • بنانه جولان الفكر في الغزل
جذلان تلعب بالمحواك انمله • في السدي لعب الايام بالاجل
ضما بكفيه او فحصا باخمصه • تخبط الظبي في اشراك محتبل

ومثل قوله في تغلب سكة الظلام على خلوق الاصيل

وعشي رايق منظره • قد قطعناه على صرف الشمول
وكان الشمس في اثنائه • الصقت بالارض خدا للنزول
والصبا ترفع اذيال الربا • ومحيا الجو كالنهر الصقيل
حبذا منزلنا مغتبقا • حيث لا يطرقنا غير الهديل
طاير شاد وغصن منثن • والدجي تشرب صهبا الاصيل

وهل منكم من يقول في موشح فيما يجري هذا المعني ورد الاصيل تطوية كف الظلام
وهو ابو القاسم بن العريف وهل منكم من وصف غلاما جميل الصورة راقصا بمثل
قول ابن حزوف •

ومنوع الحركات يلعب بالنهي • لبس المحاسن عند خلع لباسه
متاودا كالغصن وسط رياضه • متلاعبا كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مقبلا او مدبرا • كالدهر يلعب كيف شا بناسه
ويضم للقدمين منه راسه • كالسيف ضم ذبابه لرياسه

وهل منكم من وصف خالا باحسن من قول النشار •

الوامي على كلفي بيحيي • متي من حبه ارجو سراحا
وبين الخد والشفتين خال • كزنجي اتي روضا صباحا
تحير في جناه فليس يدري • ايجني الورد ام يجني الاقاحا

وهل منكم الذي اهتدي الي معني في لثم وردة الخد ورشف رضاب الثغر لم يهتد
اليه احد غيره وهو ابو الحسن بن سلام المالقي في قوله

لما ظفرت بليلة من وصله • والصب غير الوصل لا يشفيه
انضجت وردة خده بتنفسي • وطفقت ارشف ماها من فيه

وهل منكم من يتجاوز غير النطق باقذاع فبلغ مالم يبلغه المقذع وهو المخزومي في قوله

يود عيسي نزول موسي • عساه من دايه مستريح
وموضع الدامنه عضولا • ير نفخ منه المسيح

ولما اقذع اتي انصنا بابدع فقول •

يا فارس الخيل الافارس • الا على متن جواد الحصي
زدت على موسي واياته • تفجر الما وتخفي العصي

وهل فيكم من مدح بمعني بلغ به النهاية من المدح ثم نقله الي الهجا فبلغ به النهاية

من الذم وهو المكي في قوله مادحا •

قوم لهم شرف العلى في حمير • واذا انتموا المتونة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة • غلب الحيا عليهم فتلثموا

وفي قوله هاجيا •

انا المرابط ما خل بنواله • لكنه يعياله بيت كرم
الوجه منه يخلق بقبيحها • يا بيته فهو من اجله يتلثم

وهل منكم من يحكي استنزال الغين بمثل قول ابي العباس بن حونا الاشبيلي

يا طلعة ابدت قبايح جمة • فالكل منها ان نظرت قبيح
ابعينك الشزاعين شوة • منها ترقرق دمعها المسفوح
شزرت فقلت دورق في لجة • مالت باحد في فيه الريح
وكانما انسانها ملاحها • قد خاف من غرق فظل يميح

وهل منكم من حضر مع عدو له حاجد لما فعله معه من الخير وامامهما زجاجة سودا فيها خمر فقال له الحسود المذكور ان كنت شاعرا فقل في هذه فقال ارتجالا وهو
ابن بجير

ساشكوا الى الندمان امر زجاجة • تردت بثوب حالك اللون اسحم
فصبت بها شمس المدامة بيننا • فتغرب في جنح من الليل مظلم
وتجحد انوار الحميا بلونها • كقلب حسود جاحد يد منعم

وهل منكم من قال الفاضل جمع بينه وبين فاضل وهو ابو جعفر الذهبي

ايها الفاضل الذي قد هدا في • نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما اتيت وجازاك • ولا زلت نجم هدي لسار
اي برق فاذاي غمام • وصباح اذي لضوء نهار
واذا ما غدا النسيم دليلي • لم يحلني الا على الازهار

وهل منكم اعمى قال في ذهاب بصره وسواد شعره وهو التطيلي

اما اشتفت مني الايام في وطني • حتى تضايق فيما عن من وطري
ولا قضت من سواد العين حاجتها • حتى تكر على ما طل في الشعر

وهل منكم الذي طار في مشارق الارض ومغاربها قوله وهو ابو القاسم محمد بن هاني الالبيري •

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر • وامدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقايع يانعا • بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وقد سمعت حايته في النجوم ولولا طولها لانشدتها ثمنا فانها احسن ما قيل في معناها
وهل منكم من قال في الزهد مثل قول ابي وهب العباسي القرطبي

انا في حالتي التي قد تراني • ان تاملت احسن الناس حالا
منزلي حيث شيت من مستقر • الارض اسقي من المياه زلالا
ليس لي كسوة اخاف عليها • من مغير ولا ترى لي مالا
اجعل الساعد اليمين وسادا • ولا اخشى مذ عقلت عيالا
قد تلذذت حقبة باموري • فتاملتها فكانت خيالا

ومثل قول ابي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي

انظر الدنيا فان • ابصرتها شيا يدوم
فاغد منها في امان • ان يساعدك النعيم
واذا ابصرتها • منك في كره تهيم
فاسل عنها واطرحها • وارتحل حيث تقيم

وهل لكم عندكم من النسا مثل ولادة المروانية التي تقول معاتبة للوزير ابن زيدون وكان له غلام اسمه علي •

ما لابن زيدون على فضله • يغتابني ظلما ولا ذنب لي
ينظرني شزرا اذا جيته • كانما جيت لاخصي علي

ومثل زينب بنت زياد المودب الوادي اشية التي تقول

ولما ابى الواشون الا فراقنا • وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة • وقل حماتي عند ذاك وانصاري
غزوتهم من مقلتيك وادمعي • ومن نفسي بالسيف والما والنار

وانا اختم هذه القطع المتخيرة بقول ابي بكر بن بقي ليكون الختام مسكا

عاطيته والليل يسحب ذيله • صهبا كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه • وذوابتاه حمايل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى • وحرخته شيا وكان معانقي
باعدته عن اضلع تشتاقه • كي لا ينام على وساد خافق

لعله زحزحته

وبقول القاضي ابي حفص بن عمر القرطبي

هم نظروا لواحظها فهاموا • وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها • ايذعر قلب حامله الحسام
سما ظني اليها وهو باك • وتحت الشمس ينسكب الغمام
واذكر قدها فانوح وجدا • على الاغصان تنتدب الحمام
واعقب بينها في الصدر غما • اذا غربت ذكا اتى الظلام

وبقوله ايضا

لما ردف تعلق من لطيف • وذاك الردف لي ولها ظلوم

لنا ردف تعلق من لطيف • وذاك الردف لي ولها ظلوم
يعذبني اذا فكرت فيه • ويتعبها اذا رامت تقوم

فما اطلقت عنان النظم على اني اكتفيت عن الاستدلال على النهار بالصباح فبالله الا ما اخبرتني من شاعركم الذي تتاملون به شاعرا ممن ذكرت لا اعرف لكم اشهر ذكرا واضخم شعرا من ابي العباس الجراوي واولى لكم ان تجحدوا انحره وتنسوا ذكره فقد كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم في قوله من قصيدة يمدح بها خليفته

اذا كان املاك الزمان اراقما • فانك فيهم دائم الدهر ثعبان

فانجح ما وقع ثعبان وما اضعف ما جاء دائم الدهر ولقد انشدت احد ظرفاء الاندلس هذا البيت فقال لا ينكر هذا على مثل الجراوي فسبحان من جعل نفسه ودروحه وشعره تتناسب في الثقالة واما اردت الافتخار بالفرسان والتفاضل بالشجعان فمن كان قبلنا منهم في مدة المنصور بن ابي عامر ومدة ملوك الطوائف • اخبارهم مشهورة واثارهم مذكورة وكفاك من ابطال العصر فيما سمعت عن الامير ابي عبد الله بن مردنيش انه كان يندفع في المواكب ويشقها يمينا ويسارا منشدا •

اكر على الكتيبة لا ابالي • احتفي كان فيها ام سواها

حتى انه دفع يوما في موكب من النصارى فصرع وقتل وظهر منه ما اعجبت به نفسه فقال لشيخ من خواصه عالم بامور الحرب مشهور بها كيف رايت فقال له لو راك السلطان زاد في مالك في بيت المال واعلى مرتبتك ان يكون راس جيش يتقدم هذا الاقدام ويتعرض بهلاك نفسه الى هلاككم فقال له دعني فاني لا اموت مرتين واذا مت انا فلا عاش من بعدي والقايد ابو عبد الله بن قادس الذي اشتهر من نجدته ومواقعه في النصارى وخرب بلاده ما صير النصارى من رعبه والاقرار بفضله في هذا الشان ان يقول احدهم لفرسه اذا سقاه فلم يشرب اش رايت ابن قادس في الما وهذه مرتبة عظيمة والفضل ما شهدت به الاعدا ولقد اخبرني من اثق به انه خرج من عسكره في كتيبة مجردة يريد بهم الغارة على بلاد النصارى فوقع في جمع كبير منهم فجهد جهده في الخلاص منهم والرجوع الى العسكر فجعل يقاتل مع اصحابه في حالة الفرار الى ان نجا باحد جندي فرسه وفرعنه فناداه مستغيثا فقال الامير انظر الى الفارس من النصارى قد طرق فقال اجرا الى هذا النصراني فخذ فرسه وركض نحو فاسقطه وقال لصاحبه اركبه فركب وجامعه سالما واما الهذا كثير واما جئت بحصاة من ثبير واما كرم النفس وشمايل الرياسة فانا احكي لك حكاية تتعجب منها وهي مما جرى في عصرنا وذلك ان ابا بكر بن زهر كانت بينه وبين الحافظ ابي بكر بن الجد عداوة مفرطة للاشتراك في العلم والرياسة وكثرة المال والبلد فجرى بابن زهر يوما ذكر في جماعة من اصحابه وقال العقد انا هذا الرجل اشد اذايته ولم يقصر في

القول

في القول عند امير المومنين وعند خواص الناس وعوامهم فقال له احد غوامهم ان اذكر لك عليه عقدا فيه مخاصمة في موضع مما تعز عليه من مواضعه ومتى خاصمته في ذلك بلغت منه النكاية اشد مبلغ فخرج ابن زهر واظهر التشديد والانكار لذلك وقال لوكيله امثلي يجازي على العداوة بالسفلة والاوباش واني اجل ابن الجد في حل من موضع الخصام وامر بان يحمل له العقد ثم قال واني والله ما اروم بذلك اصلاحه فان عداوته من حسد وانا اسال الله ان يديمها لانها مقترنة بدوام نعم الله علي وان تعرضنا الى ذكر البلاد وتفسير محاسنها وما خصها الله تعالى به تماحرتها عنها فاسمع ما يميت الحسود كمدا اما اشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهوى وحسن وحسن المباني وتزيين الخارج والداخل وتمكن التمصر حتى ان العامة تقول لو طلب لبن الطير في اشبيلية وجد ونهرها الاعظم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر •

شق النسيم عليه جيب قميصه • فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها • هزءا فضم من الحيا ازراره •

وزيادة على الانهار كون ضفتيه مطرزة بالمنازل والبساتين والكروم والانشام متصلة ذلك اتصالا لا يوجد على غيره واخبرني شخص من الاكياس دخل مصر وقد سالته عن نيلها انه لا تتصل بشطيه البساتين والمنازل اتصالها بنهر اشبيلية وكذلك اخبرني شخص اخر دخل بغداد وقد سعد هذا الوادي بكونه لا يخلو من مسرة وان جميع ادوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر لا ناه من ذلك ولا منتقد ما لم يود السكر الى شر وعربدة وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك فلم يستطيعوا ازالته واهله اخف الناس ارواحا واطبعهم نوادر واحملهم للمزاح باقبح ما يكون من السب قد مرنوا على ذلك فصار لهم ديدنا حتى صار عندهم من لا يتبذل فيه ولا يتلقى عن ممقوتا ثقيلا وقد سمعت من شرف اشبيلية الذي ذكره احد الوشاحين في موشحة مدح بها المعتضد بن عباد اشبيليا عروسا وبعلها عباد • وتاجها الشرف وسلكها الواد • اي شرف فقد حاز ما شاء من الشرف • اذ عم اقطار الارض خيره • وصغر ما يعصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الاسكندرية وتزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانيها وتهمم سكانها فيها داخلا وخارجا اذ هي من تبييضهم لها نجوم في سما الزيتون وقيل لاحد من راى مصر والشام ايهما رايت احسن هذا ام اشبيلية الذي ذكره احد الوشاحين في موشحة مدح بها المعتضد بن عباد فقال بعد تفضيل اشبيلية وشرفها غابة بلا اسد ونهرها نيل بلا تمساح وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها وكثرة ما فيها من التين القوطي والشعري وبهذان الصنفان اجمع المتجولون في اقطار الارض ليس

في غير إشبيلية مثل لها وقد سمعت ما في هذا البلد من أصناف أدوات الطرب كالخيال
والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمونس والكثيرة والفنار والزلامي
والشقرة والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والبوق
وإن كان جميع هذا موجودًا في غيرها من بلاد الأندلس فإنه فيها أكثر وأوجد وليس في
بر العدوة من هذا شيء إلا ما جلب إليه من الأندلس وحسبهم الدف وأقوال واليرا وأبو
قرون ودبدبة السودان وحماقي البرابر وأما جارتها ومراكبها برًا وبحرًا ومطابخها
وفواكهها الخضراء واليابسة فأصناف أخذت من التفضيل بأوفر نصيب • وأما مبانيها
فقد سمعت عن نقائها واهتمام أصحابها وكون أكثر ديارها لا تخلو من الماء الجاري
والأشجار المتكاثفة كالنارنج والليم والليمون والزنبوع وغير ذلك وأما علماؤها
في كل صنف رفيع أو وضيع جدًا أو هزل فأكثر من أن يعدوا وأشهر من أن يذكروا وأما
فيها من الشعراء والوشاحين والزجالين فلو قسموا على بر العدوة ضاق بهم والكل
ينالون جز وسيبها ورفدهم وما من جميع ما ذكرت في هذه البلدة الشريفة إلا
ويقتدي به العبادة عن قضايا بل جميع الأندلس فما تخلو بلادها من ذلك ولكن جعلت
إشبيلية بلا شك جعلها أم قراها ومركز فخرها وعلاها • إذ هي أكبر مدنها وأعظم
أمصارها • وأما قرطبة فكرسي المملكة في القديم • ومركز العلم ومنار التقى ومحل
التعظيم والتقديم • بها استقرت ملوك الفتح وعظماؤه ثم الملوك المروانية
وبها كان يحيى بن يحيى راوية مالك وعبد الملك بن حبيب وقد سمعت من تعظيم
أهلها للشريعة ومنافستهم في التسود بعلمها وأن ملوكها كانوا يتواضعون
لعلمائها ويرفعون أقدارهم ويصدرون عن آرائهم وأنهم كانوا لا يقدمون وزيرًا
ولا مشاورًا ما لم يكن عالمًا حتى أن الحكم المستنصر مما كلم له العلماء بعض الحرمة بقطع
شجرة العنب من الأندلس فقيل له إنها تعتصر من سواها فأمسك عن ذلك وأنهم كانوا
لا يقدمون أحدًا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له
مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في غالب الحال خوفًا من أن يميل به الفقر إلى الطمع فيما
في أيدي الناس فيبيع به حقوق الدين ولقد أخبرت أن الحكم الربضي أراد تقديم شخص
من الفقهاء يخصه للشهادة فأخذ في ذلك الشيخ يحيى بن يحيى وعبد الملك وغيرهما
من أعلام العلماء فقالوا له هو أهل ولكنه شديد الفقر ومن يكون في هذه الحالة
لا نؤمنه على حقوق المسلمين لا سيما وأنت تريد اصطناعه وظهوره في الدخول في
المواريث والوصايا وأشباه ذلك فسكت ولم ير منازعتهم وبقي مهمومًا من
كونهم لم يقبلوا قوله فنظر إليه ولده عبد الرحمن الذي ولي الملك بعده وعلى
وجهه أثر ذلك فقال له ما بالك يا مولاي فقال له ألا ترى لهؤلاء الذين نقدمهم
وننوه عند الناس بمكانهم حتى إذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه شطط بل ما لا يعنيهم

ولا هو

ولا هو مما يرزأهم شيئًا صدونا عنه وأغلقوا أبواب الشفاعة وذكر له ما كان منهم
فقال يا مولاي أنت أولى الناس بالإنصاف إن هؤلاء ما قدمتهم أنت ولا نوهتهم
وإنما قدمهم ونوه بهم علمهم إذ كنت تأخذ فوقهم جاها فتوضعهم في مواضعهم
قال لا قال فأنصفهم فيما تعبوا فيه من العلم لينالوا به لذة الدنيا وراحة
الآخرة قال صدقت ثم قال وأما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره
فالعلة في ذلك تخشهم مما ينبغي لك في الصالحات ذكرًا قال وما هو قال تعطيه
من مالك قدر ما يلحقه من الغنى ما يؤهله لتلك المنزلة ويزيل عنك هذا الخجل
ردهم لك وتكون هذه مكرمة ما سبقك إليه أحد فتهلل وجه الحكم وقال الي
الي إنها والله شنشنة عبشمية وأنا الذي قال فينا الصادق

وأبناء الملوك غضارم سادة • صغيرهم عند الأنام كبير

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وسأله عن قدر ما يؤهله لتلك المرتبة
من الغنى فذكر له عددًا فأمر له به في الحين وثنيه قدرت بأن أعطاه من أصطبله
مركوبًا وكانت هذه أكرومة لا تخفى بغطها يعني الزمان وما بنته يخلده ثم
أنه إذا كان له من الغنى ما يكفه عن أموال الناس ومن الدين ما يصده عن محارم
الله ومن العلم ما لا يجهل به الفرق في الشريعة أباحوا له الفتوى والشهادة
وجعلوا علامة لذلك بين الناس لباس الرداء وأهل قرطبة أشد الناس
محافظة على العمل بأصح الأقوال المالكية حتى أنهم كانوا لا يولون حاكمًا إلا بشرط
أن لا يعدل في الحكم عن مذهب ابن القاسم وقال ابن سارة لما دخل قرطبة
الحمد لله قد دوا فيتنعقرطبة دار العلوم وكرسي السلاطين وبها كانت تجمع جيوش
الإسلام ومنها نصر الله على عبدة الصليب ثنيا لا أنا المنصور بن أبي عامر حين
تم له ملك البرين وتوفرت الجيوش والأموال عرض بظاهر قرطبة خيله ورجله
وقد جمع من أقطار البلاد ما ينهض به إلى قتال العدو وتدويخ بلاده فنيف
الفرسان على مائتي ألف والرجالة على ستمائة ألف وبها حتى الآن من صناديد
المسلمين وقوادهم من لا يفتر عن محاربته ولا يمل من مضاربته أسماؤهم باقية
ببلاد النصارى مشهورة • وآثارهم فيها مأثورة وقلوبهم على البعد بخوفهم
مشحونة ويحكى أن الحمامات في مباني قرطبة والزهراء والزاهرة اتصلت إلى أن
كان يمشي فيها لضوء السرج المتصلة عشرة أميال وأما جامعها الأعظم فقد
سمعت أن ثرياته من نواقيس النصارى وأن الزيادة التي زاد في بنائه ابن أبي
عامر من تراب نقله النصارى على رؤوسهم مما هدم من كنائس بلادهم وقد سمعت أيضًا
عن قنطرتها العظمى وكثرة أرحي واديها ثم لأنها تشتمل على خمسة آلاف حجر وقد سمعت
عن كنبانيتها وما فضل الله به تربتها من بركة ما ينبت فيه من القمح وطيبه وفيها جبال

الورد الذي يبلغ الرطل منه من ثمانية الى ربع درهم وصار اصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده
ما يتحفونه منه ونهرها ان صغر عندها عن عظمه عند اشبيلية فان لتقارب بريه مماثلة
وتقطع عذب ومروجه معنى اخر وحلاوة اخرى وزيادة انس وكثرة امان من الغرق
وفي جوانبه من البساتين والمروج ما زاده نضارة وبهجة واما جيان فانها بلاد
الاندلس قلعة اذ هي اكثرها زرعا واصرمها ابطالا واعظمها منعة وكم رامتها من عساكر
النصارى عند فترات الفتن فرادها ابعد من العيوق واعز منالا من بيض الانوق
ولا خلت من علماء ولا من شعراء ويقال لها جيان الحرير لكثرة اعتناء باديتها وحاضرتها
بدود الحرير ومما انفرد في مفاخرها ما ببياسة احدى بلادها من الزعفران الذي
يسفر برا وبحرا وما في ابدة من الكروم التي كاد العنب فيها لا يباع ولا يشترى لكثرته
وما كان بابدة من اصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة
فانهن احذق خلق الله باللعب بالسيوف والدرق واخراج القروي والمرابط والمثقف
واما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس لها
القصبة المنيعة ذات الاسوار الشامخة والمباني الرفيعة وقد اختصت بكون
النهر يتوزع على ديارها وحماماتها واسواقها وارحاها الداخلة والخارجة
وبساتينها وزانها الله تعالى بان جعلها مرتبة على بسيطها الممتد الذي تفرعت
فيه سبائك الانهار بين زبرجد الاشجار ولنسيم نجدها وبهجة منظر حورها
في القلوب والابصار استلطاف يرق الطباع ويحدث فيها ما شاء الاحسان
من الاختراع والابداع ولم تخل من اشراف اماثل • وعلماء اكابر وشعراء افاضل
ولو لم يكن لها الا ما خصها الله به من كونها قد نبغ فيها من النساء مثل نزهون القلاعية
وزينب بنت زياد وقد تقدم شعرها وحفصة بنت الحاج وناهيك في الظرف
والادب ومن ترى اظرف منها في جوابها للوزير الحسيب الناظم الناثر ابي جعفر
ابن القائد الاجل ابي مروان بن سعيد وذلك انهما باتا بحور مؤمل على ما يبيت به
الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال ابو جعفر

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم • عشية وارانا بحور مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد اريجة • اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمري على الدوح وانثنى • قضيب من الريحان من فوق جدول
ترى الروض مسرورا بما قد بدا له • عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتب اليها بعد الافتراق لتجاوبه على عادتها في ذلك فكتبت له ما لا يخفى فيه فيهما •

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا • ولكنه ابدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا • ولا صدح القمري الا بما وجد

فلا تخش

فلا تحسن الظن الذي انت اهله • فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق ابدى نجومه • لامر سوى كيما تكون لنا رصد

واما مالقة فانها قد جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة التي لا تكاد ترى
فيها فرجة لموضع غامر والبروج التي شابهت نجوم السماء كثرة عدد وبهجة ضياء وتحلى
الوادي الزائر لها في فصلي الشتاء والربيع في سرد بطحائها وتوشيح لحضور ارجائها
ومما اختصت به من سائر البلاد التين الريي المنسوب اليها لان اسمها في القديم رية
ولقد اخبرت انه يباع في بغداد على جهة الاستطراف واما ما يوسق منه المسلمون
والنصارى في المراكب البحرية فاكثر من ان يعبر عنه بما يحصر ولقد اجتزت بها
واخذت على طريق الساحل من سهيل الى ان بلغت الى بليش قدر ثلاثة ايام منتجعا فيما
حوته هذه المسافة من شجر التين وان بعضها ليجتني جميعها الطفل الصغير
من لزوقها بالارض وقد حوت ما يتعجب الجماعة كثرة ومن بليش هو الذي قيل فيه
لليزيري كيف رايته قال لا اشا الله عنه وصب في حلقي بالقمع وهو لعمر الله معذور
لانه لما حرمت بلاده منها وقد خصت بطيب الشراب الحلال والحرام حتى سار المثل
بالشراب المالقي وقيل لاحد الخلعاء وقد اشرف على الموت اسال ربك المغفرة فرفع
يديه وقال يا رب اسالك من جميع ما في الجنة خمر مالقة وزبيب اشبيلية وفيها
تنسج الحلل الموشية التي تجاوز اثمانها الالاف ذات الصور العجيبة المنتخبة
برسم الخلفاء فمن دونهم وساحلها محط تجارة لمراكب المسلمين والنصارى واما
المرية فانها البلد المشهور الذكر العظيم القدر الذي خص اهله باعتدال
المزاج ورونق الديباج ورقة البشرة وحسن الوجوه والاخلاق وكرم المعاشرة
والصحبة وساحلها انظف السواحل واشرحها واملحها منظرا وفيها الحصى
الملون العجيب الذي يجعله رؤساء من اكثر في البرانيد والرخام الصقيل
الملوكي وواديها المعروف بوادي بجانة من افرج الاودية منقادا بالرياض
كالعذار من حول الثغر فحق ان ينشد فيها

ارض وطئت الدر رضراضها • والترب مسكا والرياض جنابا

وفيها كان ابن ميمون القائد الذي قهر النصارى في البحر وقطع سفرهم فيه وضرب
على بلاد الرومانية فقتل وسبى وملأ صدورها رعبا حتى كان كما قال المتنبي

فاذا تنبه رعته واذا غفا • سلت عليه سيوفك الاحلام

وبها كان محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم ومنها كانت تسفر لسائر البلاد
بضائعهم ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التي تصلح لهم وقصد بضبط ذلك
لها حصر ما يجتمع في اعشارهم ولم يوجد لهذا الشان مثلها لكونها متوسطة
ومتسعة قائمة بالوارد والصادر وهي ايضا معدن للحلل الموشية النفيسة

وأما مرسية فإنها حاضرة شرق الأندلس ولأهلها من الصرامة والإباء ما هو معروف مشهور وواديها قسيم وادي إشبيلية كلاهما ينبع من شقورة وعليه من البساتين المنهدلة الأغصان والنواعير المطربة الألحان والأطيار المغردة والأزهار المتضوعة ما قد سمعت وهي من أكثر البلاد فواكه وريحانا وأهلها أكثر الناس راحات وفرجا لكون خارجها مغنيا على ذلك الحسن منطق وهي بلدة تجهز منها العروس التي تنتخب شورتها لا تفتقر في شيء من ذلك إلى سواها وهي للمرية ومالقة في صنعة الوشي ثالثة وقد اختصت بالبسط التنتلية التي تسفر لبلاد المشرق وبالحصر التي تغلف بها الحيطان المبهجة للبصر إلى غير ذلك مما يطول ذكره ولم تخل من علماء وشعراء وأبطال **وأما** بلنسية فإنها لكثرة بساتينها تعرف بمطيب الأندلس ورصافتها من أحسن منتزهات الأرض وفيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء والرونق ويقال إنه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية إذ هي موصوفة بذلك ومما اختصت به العنبر البلنسي الذي يسفر لأقطار المغرب ولم تخل من علماء ولا من شعراء ولا فرسان يكابدون مضايقة الأعداء ويتجرعون فيها النعماء ممزوجة بالضراء وأهلها أصلح الناس مذهبا وأمتنهم دينا وأحسنهم صحبة وأرفقهم بالغريب **وأما** جزيرة ميورقة فمن أخصب بلاد الله رحابا وأكثرها زرعا ورزقا وماشية وهي على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها يصل فاضل خيرها إلى غيرها إذ فيها من الحضارة والتمكن والتمصر وعظم البادية ما يغنيها وفيها من الفوائد ما فيها ولها فضلاء وأبطال اقتصر وأعلى حمايتها من الأعداء المحدقة بها

من كل من جعل الحسام خليله • لا يبتغي أبدا سواه معينا

هذا ناشدتك فضلك بالإنصاف • وشرف كرمك بالاعتراف • ما حضرني الآن في فضل جزيرة الأندلس ولم أذكر من بلادها إلا ما كان بلد منها مملكة مستقلة يليها ملوك بني عبد المؤمن على انفراد وغيرها في حكم التبع **وأما** علماؤها وشعراؤها فإني لم أعرض منهم إلا لمن هو في الشهرة كالصباح وفي مسير الذكر كمسير الرياح وأنا أحكي لك حكاية جرت لي في مجلس الفقيه الرئيس أبي بكر بن زهر وذلك أني كنت يوما بين يديه فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان وكان ابن زهر يكرمه فقلت له ما تقول في علماء الأندلس وكتابهم وشعرائهم فقال كبرت فلم أفهم مقصده واستبردت ما أتى به وفهم عني أبو بكر بن زهر أني نظرته نظر المستبرد المنكر فقال لي أقرأت شعر المتنبي قلت نعم وحفظت جميعه قال فعلى نفسك إذا فلتنكر وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم فذكرني بقول المتنبي •

كبرت حول ديارهم لما بدت • منها الشموس وليس فيها المشرق

فاعتذرت للخراساني وقلت له قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي

عندي

عندي حين لم أفهم نبل مقصدك فالحمد لله الذي أطلع من المغرب مطلع الشموس وجعلها وجعلنا بين جميع أهله بمنزلة الرؤوس وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المختار من صميم العرب وعلى آله وصحبه صلاة متصلة على غابر الحقب كملت رسالة الشقندي وهو أبو الوليد إسماعيل بن محمد وشقندة المنسوب إليها قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب قال ابن سعيد وهو ممن كان بيني وبينه وبين والدي صحبة أكيدة ومجالسات أنس عديدة • ومزاورات تتصل • ومحاضرات لا تكاد تنفصل وانتفعت بمجالسته وله رسالة في تفضيل الأندلس لعارض بها أبا يحيى في تفضيل بر العدوة أورد فيها من المحاسن ما يشهد له بلطافة المنزع • وعذوبة المشرع وكان جامعا للفنون من العلوم الحديثة والقديمة وعني بمجلس المنصور فكانت له فيه مشاهد عزيز قيمة وولي قضاء بياسة وقضاء لورقة ولم يزل محفوظ الجانب محمود المذاهب سمعته ينشد والدي قصيدة في المنصور وقد نهض للقاء العدو ومنها

إذا نهضت فإن السيف منتهض • ترمي السعود سهاما والعدو غرض
لك البسيطة تطويها وتنشرها • فليس في كل ما تنويه معترض

قال وسمعته يقول له أنشدت الوزير أبا سعيد بن جامع قصيدة أولها

استوقف الركب قد لاحت لنا الدار • وانشد ربعا نأت عنه أقمار
لا خفف الله عني بعد بينهم • فإنني سرت والأحباب ما ساروا

ومنها

ألا رعى الله ظبيا في قبابهم • منه لهم في ظلام الليل أنوار

وله

عللاني بذكر من همت فيه • وعداني عنها ارتجيه
وإذا ما طربتما لارتياحي • فاجعلا خمرتي مدامة فيه
ليت شعري وكم أطيل الأماني • أي يوم في خلوة ألتقيه
وإذا ما ظفرت يوما بشكوى • قال لي أين كل ما تدعيه
لا دموع ولا سقام فماذا • شاهد عنك بالذي تدعيه
قلت دمعي أمت بدائي فإني • لو تراني الغرام لا أبديه

وقال في عوده لما مرض

إني مرضت مرضة • أسقط منها في يدي
فكان في الإخوان من • لم أره في العود ٥
فقلت في كلهم • قول امرئ مقتصد
أين الذي قد عادني • فاشتفي من لم يعد

مات بإشبيلية سنة ٦٢٩ انتهى وقال ابن سعيد أنشدني والدي الحافظ

ابي الطاهر السلفي قال ذكوي به شاهدا وينبوله مفتخرا •

بلاد اذربيجان في الشرق عندنا • كاندلس بالغرب في العلم والادب
فان تكاد الدهر تلقي مميزا • من امثليهما الا وقد جد في الطلب

وحكي غير واحد كابن الابار ان عباس بن ناصح الشاعر لما توجه من قرطبة الي بغداد ولقي ابا نواس قال له انشدني لابي الاجرب قال فانشدته ثم قال انشدني لبكر الكناني فانشدته وهذان شاعران من شعرا الاندلس **واعلم** انا ان تتبعنا كلام الاندلسيين وحكاياتهم الدالة علي سبقهم طال بنا الكتاب ولم نستوف المراد فراينا ان نذكر بعضا من ذلك بحسب ما اقتضاه الحال وابداه ليكون عنوانا دالا علي ما عداه نكتفي من الحلي بما قد خف بالعنق ولنبدا بما نسوقه من اخبار الاندلسيين واشعارهم وحكاياتهم في الجد والهزل والتولية والعزل بقول الفقيه الزاهد ابي عمران موسي بن عمران المارتلي وكان باشبيلية •

لابك ثوبك ان ابليت جدته • وابك الذي ابلت الايام من بدنك
ولا تكونن مختالا بجدته • فربما كان ذاك الثوب عن كفنك
ولا تنغص اذا ابصرت دنسا • فانما اكتسي الاوساخ من بدنك

وقال ابو علي اليحصبي اللوشي •

شرد النوم عن جفونك وانظر • حكمة توقظ النفوس النياما

وقال ايضا •

ليس للمرء اختيار في الذي • يتمني من حراك وسكون
انما الامر لرب واحد • ان يشا قال له كن فيكون

وقال ابو وهب القرطبي •

تنام وقد اعد لك السهاد • وتوقن بالرحيل وليس زاد
وتصبح مثل ما تمسي مضيعا • كانك لست تدري ما المراد
اتطمع ان تفوز غدا هنيا • ولم يك منك في الدنيا اجتهاد
اذا فرطت في تقديم زرع • فكيف يكون من عدم حصاد

وقيل ان الابيات السابقة التي اولها انا في حالي الي اخره وجدت في تركته بخطه في شقف وبعضهم ينسبها لغيره واسم ابي وهب المذكور عبد الرحمن وذكر ابن بشكوال في الصلة واثني عليه بالزهد والانقطاع وكان في اول امره قد حسب عامة الناس انه مختل العقل فجعلوا يوذونه ويرمونه بالحجارة ويصيحون عليه يا مجنون يا احمق فيقول •

يا عاذلي انت به جاهل • دعني به لست بمغبون
اما تراني ابدا والها • به مسحور ومفتون

احسن

20

احسن ما اسمع في حبه • وصفي بمختل ومجنون

وقال الخطيب ابو محمد بن برطلة •

يا ربه ارجو نجاة فانها • لاكرم مذخور لذي واعظم
شهادة اخلاصي وحبي محمدا • وحسن ظنوني ثم اني مسلم

وقال ابن جبير

قالوا نصبر علي الدنيا الدنية او • كن عبدها واصطبر للذل واحتمل
لا بد من احد الصبرين قلت نعم • الصبر عنها بعون الله اوفق لي

وقال ابن الشيخ

اطلب لنفسك فوزها واصبر لها • نظر الشفيق وخف عليها واتق
من ليس يرحم نفسه ويعدها • عما يهلكها فليس بمشفق

وقال ابو محمد القرطبي

لعمرك ما الدنيا وسرعة سيرها • بسكانها الا طريق مجاز
حقيقتها ان المقام بغيرها • ولكنهم قد اولعوا بمجاز

وقال التميمي

لله في الدنيا وفي اهلها • معميات قد وكنا ها
من بعد ما نخرق طبعنا • تحب فيها المال والجاها
دعني من الناس ومن قولهم • فان الناسك خلاها
لم تقبل الدنيا علي ناسك • الا وبالرغب تلقاها
وانما يعرض عن وصلها • من صرفت عنه محياها

وقال ابو القاسم بن بقي

الا انما الدنيا كراح عتيقة • اراد مديروها بها جلب الانس
فلما ادروها اثارت حقودهم • فعاد الذي راموا من الانس بالعكس

وقال ابو محمد عبد الله بن العسال الطليطلي

انظر الدنيا فان • ابصر فيها شيا يدوم
فاغد منها في امان • اذ يساعدك النعيم
واذا ابصرتها • منك علي كره يقيم
فاسل عنها واطرحها • وارتحل حيث تقيم

وقال ابن هشام القرطبي •

وابي المدامة ما اريد بشربها • صلف الرقيع ولا انهماك اللاهي
لم يبق من عهد الشباب وطيبه • شي كعهدي لم يحل الا هي
اذ كنت اشربها لغير وفا بها • فتركتها للناس لا لله

وقال ابو محمد بن السيد البطليوسي مما نسبه اليه في المغرب
اخو العلم حي خالد بعد موته • واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى • يظن من الاحياء وهو عديم
وقال ابو الفضل بن شرف •
لعمرك ما حصلت على خطير • من الدنيا ولا ادركت شيا
وها انا خارج منها سليبا • اقلب نادما كلتا يديا
وابكي ثم اعلم ان مبكاي • لا يجدي فامسح مقلتيا
ولم اجزع لهول الموت لكن • بكيت لقلة الباكي عليا
وان الدهر لم يعلم مكاني • ولا عرفت بنوه ما لديا
زمان سوف انشر فيه نشرا • اذا انا بالحمام طويت طيا
اسر بانني ساعيش ميتا • به ويسوءني ان مت حيا
وقال الزاهد العارف بالله تعالى سيدي ابو العباس بن العريف نفعنا الله بهم
سلوا عن الشوق من اهوى فانهم • ادنى الى النفس من وهمي ومن نفسي
من رسولي الى قلبي ليسالهم • عن مشكل من سؤال الصب ملتبس
حلوا فؤادي فما يندى ولو وطئوا • صخرا لجاد بماء منه منبجس
وفي الحشا نزلوا والوهم يجرحهم • فكيف قروا على اذكى من القبس
لانهضن الى حشري بحبهم • لا بارك الله فيمن خانهم ولنسي
قلت وقد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر والف وهو ممن يتبرك به
في تلك الديار ويستسقى به الغيث وهو من اهل المرية واحضره السلطان
الى مراكش فمات بها وله كرامات شهيرة ومقامات كبيرة نفعنا الله تعالى به
واعلم ان اهل الاندلس كانوا في القديم على مذهب الاوزاعي واهل الشام منذ
اول الفتح ففي دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو ثالث الولاة
بالاندلس من الامويين انتقلت الفتوى الى راي مالك بن انس واهل المدينة
فانتشر علم مالك ورايه بقرطبة والاندلس جميعا بل والمغرب وذلك براي
الحكم واختياره واختلفوا في السبب المقتضي لذلك فذهب الجمهور الى ان سببه
رحلة علماء الاندلس الى المدينة فلما رجعوا الى الاندلس وصفوا فضل مالك وسعة
علمه وجلالة قدره وعظموه كما قدمنا ذلك وقيل ان الامام مالكا سال بعض
الاندلسيين عن سيرة ملك الاندلس فوصف له سيرته فاعجبت مالكا لكون سيرة
بني العباس في ذلك الوقت لم تكن بمرضية وكابد لما صنع ابو جعفر المنصور
بالعلوية بالمدينة من الحبس والاهانة وغيرهما على ما هو مشهور في كتب التاريخ
فقال الامام مالك رضي الله تعالى عنه لذلك المخبر نسال الله ان يزين حرمنا

بملككم

بملككم او كلاما هذا معناه فنميت المسالة الى ملك الاندلس مع ما علم من جلالة مالك
ودينه فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب الاوزاعي والله اعلم وحكي ان القاضي الزاهد
ابا اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن ابي يغمور لما ندبه اهل الامر لولاية بمدينة فاس استعفى
فلم يقبل منه وخرج الى تلك الناحية وخرج الناس لوداعه فانشد
عليكم سلام الله اني راحل • وعيناي من خوف التفرق تدمع
فان نحن عشنا هو يجمع بيننا • وان نحن متنا فالقيامة تجمع
وانشد اصحابه رحمه الله ولا ادري هل هي له او لغيره
كنا نعظم بالامال قدركم • حتى انقضت فتساوى عندنا الناس
لم تفضلونا بشيء غير واحدة • هي الرجا فسوى بيننا الياس
وانشد ايضا
بلوتهم مذ كنت طفلا فلم اجد • كما اشتهي منهم صديقا وصاحبا
فصوبت رايي في فراري منهم • وشمرت اذيالي وامعنت هاربا
وانشد لغيره في الكتمان
اخفي الغرام فلا تجوز جوارحه • سترت بنانك ولا امنا صلة
كالسيف يصحبه الحمام ولم • يعلم بما حملت حمائله
وانشد
قد كنت ارغب في المشيبة دايما • والموت ليس يمر لي في البال
والان شبت وصحتي موجودة • واري كان الموت في اذيالي
قلت انشد تاج الدين بن حموية السرخسي الوافد على المغرب من المشرق قول بعضهم
فلا تحقرن عدوا رماك • وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب • وتعجز عما تنال الابر
قال حسن جيد ولكن اسمع ما قال شاعرنا المنطلي وانشد
اري لك الخطب والخطب مشكل • وكلي لليث الغاب وهو هصور
فقد تخفض الاسماء وهي سواكن • ويعمل في الفعل الصريح ضمير
وتنبو الردينيات والطول وافر • ويبعد وقع السهم وهو قصير
وكان الوزير الكريم ابو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافري احد وزراء الاندلس كثير
الصنائع جزيل المواهب عظيم المكارم على سنن عظماء الملوك واخلاق السادة لم
ير بعده مثله في رجال الاندلس ذاكرا للفقه والحديث بارعا في الادب شاعرا مجيدا
وكاتبا بليغا كثير الحشم والاهل ومن اثاره الحسان ما يحوي الجامع الاعظم من غرناطة
وزاد في سقف الجامع من صحنه وعوض ارجل قسيه اعمدة الرخام وجلب لروس والكوا
من قرطبة وفرش صحنه بكذان الصخر ووجهه امير علي بن يوسف بن تاشفين الخطر طوشه

بوشم بنانيها فلما حلها سال قاضيها فكتب له جملة من املها ممن ضعفت حاله وقل
تصرفه من ذوي البيوتات فاستعملهم امنا ووسع ارزاقهم حتى يحمل الزمان الذي من عمله
ومن عجز ان يستعمله وصله من ماله فصدر عنها وقد انعش خلقا رضي الله تعالى عنه
ورحمه ومن شعره في مجلس اطربه سماعه ونشطه احتشاد الانس فيه واجتماعه فقال

لا تلمني اذا طربت لشجو • يبعث الانس فالكريم طروب
ليس شق الجيوب حقا علينا • انما الحق ان تشق القلوب

وخاطب غلاما من غلمانه نواة ومدحها بذ الى ابي نصر الفتح بن عبيد الله فقال ابو نصر

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه • وفي كفه من رائق النور كوكب
يروح لتعذيب النفوس ويغتدي • ويطلع في افق الجمال ويغرب

فقال ابو محمد بن مالك
•
ويحسد منه الغصن اي مهفهف • يجي على مثل الكثيب ويذهبا

وقد سبق هذا وكتب الى الفتح من عزيز ويا سيدي جرت الايام بفراقك وكان الله جارك
في انطلاقك • فغيرك روع بالظعن واوقد للوداع جاحم السجن فانك من ابناء هذا
الزمن خليفة الخضر لا يستقر على وطن • كانك والله يختار لك ما تاتيه وما تدعيه
موكل بفضاء الارض تذرعه • فحسب من نوى بسيرتك الاستمتاع ان يمدك من الصوارى
السريعة الارتجاع • فلا ياس على قلة النوى • وبينه وفارقت حتى ما ابالي من
النوى • ومات رحمه الله بغرناطة سنة ٤١٨ وحضر جنازته الخاصة والعامة
وهو من محاسن الاندلس رحمه الله تعالى ومن نوادر الاتفاق ان جارية مشت بين
يدي المعتمد وعليها قميص لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها ودوايبها تخفي اثار
مشيها فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه وقال

علقت جايلة الوشاح غريرة • تختال بين اسنة وبواتر

وقال بعض الخدم سرا لابي الوليد البطليوسي المشهور بالنحلي وخذ باجازة
هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه فلجاب النحلي الاول ووقع الرقعة بين يديه

راقت محاسنها ورق اديمها • فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن في دعص النقى • والتف في ورق الشباب الناضر
يندى بماء الورد مسبل شعرها • كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وعز جمالها • زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره • وعنا له صرف الزمان الجائر
واذا لمحت جبينه ويمينه • ابصرت بدرا فوق بحر زاخر

فلما قراها المعتمد استحسنها وقال له احسنت او معنا كنت فقال له يا قاتل
المحل اما تلوت واوحى ربك الى النحل واصبح المعتمد يوما ثملا فدخل الحمام وامر
ان يدخل النحلي معه فجا وقعد في مسلخ الحمام حتى يستاذن عليه فجعل المعتمد

يحبق

يحبق في الحمام ويتوخاه وقد بقيت في راسه بقية من السكر وجعل كلما سمع دوي ذلك
الصوت يقول الجوز اللوز الفستق ومر على هذا ساعة الى ان تذكر النحلي فصاح به
فلما دخل قال له من اي وقت انت هنا قال من اول ما رتب مولانا الفواكه في
النصبة فغشي عليه من الضحك وامر له باحسان والنصبة ما ياتي بعبيون فيها
هذه الاصناف ولما استحسن المعتمد قول المتنبي اذا ظفرت منك العيون بنظرة
الحاجر قال ابن وهبون بديهة وقالوا اجاد ابن الحسين الحاجر وقد تقدم
ذكرهما فامر له بمائتي دينار ولما قال ابن وهبون المذكور

غاض الوفاء فما تلقاه في رجل • ولا يمر بمخلوق على بال
فصار عندهم عنقاء مغربة • او مثل ما حدثوا عن الف مثقال

فقال له المعتمد عنقاء مغربة والف مثقال يا عبد الجليل عندك سواء فقال له
نعم قال قد امرنا لك بالف دينار وبالف دينار اخرى تنفقها وذكر القرطبي
صاحب التذكرة في كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة ما صورته روينا ان الامام
ابا عمر بن عبد البر رضي الله تعالى عنه حين بلغه وهو بشاطبة ان قوما عابوه
باكل طعام السلطان وقبول جوائزه فقال

قل لمن ينكر اكلي • لطعام الامراء
انت من جهلك هذا • في محل السفهاء

لان الاقتدا بالصالحين • من الصحابة والتابعين • والايمة الفتوى من المسلمين
من السلف الماضين • هو ملاك الدين • فقد كان زيد بن ثابت وكان من الراسخين
في العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد وكان ابن عمر رضي الله عنهما مع ورعه
وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن ابي عبيد وياكل طعامه ويقبل جائزته قال نعم
لك المهنا وعليه المأثم ما لم تعلم الشي بعينه حراما وقال عثمان بن عفان رضي الله
تعالى عنه حين سئل عن جوائز السلاطين لحم ظبي ذكي وكان الشعبي وهو من كبار
التابعين وعلمائهم يؤدب بني عبد الملك بن مروان ويقبل جوائزه وياكل طعامه
وكان ابراهيم النخعي وساير علماء الكوفة والحسن البصري مع زهده وورعه وساير
علماء البصرة ابو سلمة بن عبد الرحمن وابان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة
حاشا سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان وكان ابن شهاب يقبلها ويتقلب
في جوائزهم وكانت اكثر كسبه وكذلك ابو الزناد وكان مالك وابو يوسف والشافعي
وغيرهم من فقهاء الحجاز والعراق يقبلون جوائز السلاطين والامراء وكان سفيان الثوري
مع ورعه وفضله يقول جوائز السلطان احب الي من صلة الاخوان لان الاخوان يمنون والسلطان
لا يمن ومثل هذا عن العلماء والفضلاء كثير قد جمع الناس فيه ابوابا ولاحمد بن خالد فقيه
الاندلس وعالمها في ذلك كتاب حمله على وضعه وجمعه طعن اهل بلده عليه في قبوله

جوا ابن عبد الرحمن الناصر اذ نقله الى المدينة بقرطبة واسكنه دارًا من دور الجامع قربه
واجرى عليه الرزق من الطعام والادام والناض وله ولمثله في بيت المال الخالص المسلم
عن التخليط فيه من السلطان كما قال عبد الله بن مسعود ذلك المهنا وعليه المباثم
ما لم تعلم الشي بعينه حرامًا ومعنى قول ابن مسعود هذا قد جمع العلما عليه فمن علم الشي
بعينه حرامًا ماخوذا من غير حله كالجزية وغيرها وشبهها من الطعام او الدابة ومما
كان مثل ذلك كله من الاشيا المتعينة غصبًا او سرقة او ماخوذة بظلم بين لا شبهة
فيه فهذا الذي لم يختلف احد في تحريمه وسقوط عدالة اكله واخذه وتملكه وما
اعلم من علما التابعين احدًا تورع عن جوائز السلطان الا سعيد بن المسيب بالمدينة
ومحمد بن سيرين بالبصرة وهما قد ذهبا مثلا في التورع وسلك سبيلهما في ذلك احمد
ابن حنبل واهل الزهد والورع والتقشف رحمة الله عليهم اجمعين والزهد في الدنيا
من افضل الفضائل ولا يحل لمن وفقه الله تعالى وزهده فيها ان يحرم ما اباح منها
والعجب من اهل زماننا يعيبون الشبهات وهم يستحلون المحرمات وما لهم عندي
كالذين سالوا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن المحرم يقتل القراد والحلمة
فقال للسائلين له من انتم فقالوا من اهل الكوفة فقال تسالوني عن هذا
وانتم قتلتم الحسين بن علي رضي الله عنهما وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما اتاك من غير مسالة فكله وتموله وروى هذا الحديث ايضا عن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما ما اتاك من غير مسالة فكله وتموله وروى ابو سعيد الخدري
وجابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه وفي حديث احدهما انما
هو رزق رزقه الله وفي لفظ بعض الرواة ولا ترد على الله رزقه وهذا كله مركب
مبني على ما اجمعوا عليه وهو الحق فمن عرف الشي المحرم بعينه انه لا يحل المسالة
من كلام ابن عبد البر انتهى وحضر ابن مجبر مع عدوله جاحد لمعروفه واماما
مهما وامامهما زجاجة سودا فيها خمر فقال له الحسود اذ كنت شاعرًا فقل بيتا في
هذه فقال ارتجالا اسا سكوا الى الندمان الى اخر الحكاية وقد تقدمت في رسالة
الشقندي رحمه الله تعالى وابن مجبر هو ابو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن
ابن مجبر الفهري كان في وقته شاعر المغرب ويشهد له بتفوق عارضته وسلامة طبعه
قصائده التي صارت تمثالا وبعدت عن قربها منالا وشعره كثير يشتمل على كثر من
نسخة الاف وارنعمائة بيت واتصل بالامير ابي عبد الله بن سعد بن مردنيش وله فيه
امداح وانشد يوسف بن عبد المومن هنية بفتح

انجز الفتوح ما جاء عفوا • مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا

وكان ابو العباس الجراوي بحاضرًا فقطع عليه الحادة وجدها وقال يا سيدنا اهتدم
بيت وضاح

جز

جز شراب ما كان عفوا • كان خطبة ارتجال

فبدر المنصور ومو حين يدر بترابيه وسنه قريب العشرين وقال الان كان اهتدمه
فقد استحقه لنقله اياه من معنى خسيس الى شريف فسر ابن مجبر بجوابه وعجب الحاضرون
ومر المنصور ايام امرته بافقه من ارض شلب فوقف على قبر الحافظ ابي محمد بن حزم
وقال العجب لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم ثم قال كل العلما عيال على ابن حزم
ثم رفع راسه وقال كما ان الشعرا عيال عليك يا ابا بكر يخاطب ابن مجبر ومن شعر ابن مجبر
يصف خيل المنصور من قصيدة في مدحه

له حلبة الخيل العتاق كانها • تساوي تهادت تطلب الرفد الفصفا
عرايس اغنتها الحجول عن الحلي • فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب انه • وان جردوه في ملاته التحفا
وابلق اعطى الليل نصف اهابه • وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشى جلده شفق الدجى • فاذ حان دلى له الذيل والعرفا
واشقر مج الراح صرفا اديمه • واصفر لم يمسح بها جلده صرفا
واشهب فضي الاديم مدنر • عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خطط الزاهي بمهرق كاتب • فجر عليه ذيله وهو ما جفا
تهيب على الاعدا منها عواصف • ستنسف ارض المشركين بها نسفا
ترى كل طرف كالغزال فتمترى • اظبيا ترى تحت العجاجة ام طرفا
وقد كان في البيدا يالف سربه • فربته مهرا وهي تحسبه خشفا
تناوله لفظ الجواد لانه • على ما اردتا الجري اعطاكه ضعفا

فلما اتخذ المنصور مقصورة الجامع بمراكش يا رملكها وكانت تستعد بن على انتصا بها
اذا استقر المنصور ووزراوه بمصلاه واحتفا بها اذا انفصلوا عنها انشد في ذلك
الشعرا فقال ابن مجبر من قصيدة اولها •

اعلمتني القي عصى التسيار • في بلدة ليست بدار قرار

الى ان قال •

طورا تكون بمن حوته محيطة • فكانها سور من الاسوار
وكانها علمت مقادير الورى • فتصرفت لهم على مقدار
فاذا احست بالامام يزورها • في قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده • كتكون الهالات للاقمار

وممن روى عنه ابو علي الشلوبين وطبقته وتوفي بمراكش سنة ٥٨٨ وعمره ثلاث
وخمسون سنة رحمه الله وقد حكى الشريف الغرناطي شارح المقصورة هذه الحكاية باتم
مما ذكرناه فقال عن الكاتب ابن عياش كاتب يعقوب المنصور الموحدي قال كان لابي بكر

ابن بجير وفادة على المنصور في كل سنة فصادف في احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة
التي كان اخذها بجامعه المتصل بقصره في حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات
هندسية ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعرا
والادبا قد نظموا اشعارا انشدوه اياها في ذلك فلم يزيدوا على شكر وتجربته
الخير فيما جدد من معالم الدين واثار ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى
قام ابو بكر ابن بجير فانشد قصيدته التي اولها اعلمتني التي عصى للتيسار واستمر
فيها حتى الم بذكر المقصورة فقال يصفها طورا تكون الى اخره فطرب المنصور لسماعها
وارتاح لاختراعها انتهى وقد بطلت حركات هذه المقصورة الان وبقيت اثارها
حسبما شاهدته سنة عشرة والف والله وارث الارض ومن عليها ومن نظم ابن بجير
انفيا ما كتب به الى السلطان ملك المغرب رحمه الله وقد ولد له ابن اعني لابن بجير

ولنا العبيد الذي انعامكم • طينة انشي منها جسده
ونعود ون اسم لعلي امته • لا ينسي العبد الا سيده

وقوله

ملك تروئك منه شيمه • انسنا لطما ندرق النطف
جمعت من كل مجد فحكت • لفظة قد جمعت من احرف
يحجب السامع من وضيها • وورآ العجز ما لم اصف
لواحاذ السهم ما في ذايه • من سداد ومديلم يصف
حلمه الراجح ميزان الهدى • يزن الاشيا وزن المنصف

وقال ابن خفاجة

صح الهوى منك ولكنني • اعجب من بين لنا يقدر
كاننا في فلك داير • فانت تخفى وانا اظهر

ومما الغاية في معنا مما كما قاله ابن ظافر رحمه الله تعالى وقال الاعمى

اما اشتفت مني الايام في وطني • حتى تضايق فيما عز من وطري
فلا قضت من سوادا العين حاجتها • حتى تكر على ما طل في الشعر

وقال القاضي ابو حفص بن عمر القرطبي

هم نظروا لواحظها فهاموا • وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها • ايذعر قلب حامله الحسام
سماط في ليلها وهو باك • وتحت الشمس ينسكب الغمام
واذكر قدها فانوح وجدا • على الاغصان تندب الحمام
فاعقب بينها في الصدر غما • اذا غربت ذكا اتى الظلام

وقال الحاجب عبد الكريم بن مغيث •

طارت

قد نفى [illegible] ابن الاعمى [illegible]
[illegible] السعدي
[illegible]

طارت بنا الخيل ومن فوقها • شهب بزاة لحمام الحمام
كانما الايدي قسي لها • والطير اهداف ومن السهام

وقال اخو اتهم

اشرب على البستان من كف من • يسقيك من فيه واحداقه
وانظر الى الايكة في برده • ولاحظ البدر باطواقه
وقد بدا السرو على نهره • كخائض شمر عن ساقه

فقال ابو العباس احمد بن ابي عبد الله بن امية البلنسي

اذا كان ودي وهو انفس قربة • يجازى ببغض فالقطيعة احزم
ومن ضيع الاشيا وضع ثقته • الى غير من يحظى لديه ويكرم

ومن حكايات اهل الاندلس في خلع العذار والطرب والظرف وغير ذلك كسرعة
الارتجال ما حكاه صاحب بدايع البداية قال اخبرني من اثق به مما مد ما معناه
قال خرج الوزير ابو بكر بن عمار والوزير ابو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير
ابن خلدون من اشبيلية الى منظرة لبني عباد بموضع يقال له الفنت تحف مروج
مشرقة الانوار متنسمة الانجاد والاغوار • متبسمة عن ثغور النوار في زمان
ربيع سقت الارض السحب فيه بوسميها ووليها وجلتها في زاهر ملابسها وباهر
حليها واردافا الزمن فقد فازت بالازر الخضر من نباتها واجياد الجداول قد
نظم النوار قلايد حول لباتها • ومجامر الزهر تعطرا ذيال النسايم عند هبابها
ومناديل النهار ما يزري على مدام النضار ومن الزجل الرنان ما يهز اعطاف
الاغصان وقد نووا الانفراد للهو والطرب • والتنزه في روضتي النبات والادب
ويعنوا صاحبا لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم • ونظام مسرتهم ليأتيهم بنبيذ يذهب
الهم بذهبه في لجين زجاجه • ويزمون منه بما يقضي بتحريكه للهرب عن القلوب وازعاجه
وجلسوا لانتظاره وترقب عوده على اثاره • فلما بصروا به مقبلا من اول النهج بادروا
الى لقايه • وسارعوا الى نحوه وتلقايه • واتفق ان فارسا من الجند ركض فرسه
فصدمه • ووطي عليه فهشم اعظمه واجرى دمه وكسر قصالا للنبيذ الذي كان
معه وفرق من شملهم ما كان الدهر جمعه ومضى على غلوايه راكضا حتى خفي عن العين
خائفا من متعلق به يحين بتعلقه الحين • وحين وصل الوزرا اليه تاسفوا عليه وافاضوا
في ذكر الزمان وعدوانه • والخطب والوانه • ودخوله بطوارق المضرات • على تمام
المسرات وتكديره الاوقات المنعمات • بالافات المولمات فقال ابن زيدون

اللهو والحتوف بنا مطيفه • وناس والمنون لنا مخيفه

فقال ابن خلدون

وفي يوم وما ادراك يوم • مضى قتصا لنا وما خليفه

فقال ابن عمار

ما لنجار تاراح وروح • تكسرتا فاشتاف وجيفه

انتهى وذكر ابن بسام ما معناه ان ابا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب ابي عامر ابن المظفر بن المنصور بن ابي عامر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة عجيبة صغيرة الخلق ولم تزل تسقيهم في خدمتهم الى ان تم جند الليل بالانهزام واخذ في تقويض خيام الظلام وكانت تسمى اسيما فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر الطويل ليلتها على صغر سنها فسأله المظفر وصفها فصنع ارتجالا •

افديك اسيماء من نديم • ملازم للكؤوس راتب
قد عجبوا في السهاد منها • وما لعمري من العجائب
قالوا تجافي الرقاد عنها • فقلت لا ترقد الكواكب

وحكى ابن بسام ما معناه ان ابن شهيد المذكور كان يوما مع جماعة من الادباء عند القاضي ابن ذكوان فجيء بباكور باقلاء فقالوا لابن ذكوان لا ينفرد بها الامير وصفها فقال ابن شهيد ها انا وارتجل •

ان لاليك احدثت صلفا • فاتخذت من زمرد صدفا
يسكن منها البحور زورق • تكن الحسن دونه انفا
هامت بحب الجبال فاتخذت • من سندس في جنانها لحفا
شبهتها بالثغور من لطف • حبك بدا من بر من لطفا
جاد ابن ذكوان في مكارمه • حدود كعب وما به وصفا
قدم در الرياض منتخبا • منه لافراس مدحه علفا
اكل ظريف وطعم ذي ادب • والنوك يهواه كل من ظرفا
رخص فيه شيخ له قدم • فكان جنسي من المني وكفى

وقال ابن بسام ان جماعة من اصحاب ابن شهيد المذكور قالوا له يا ابا عامر انك لتأتي بالعجائب • وتجاذب بذوائب الرغائب • ولكنك شديد الاعجاب بما يأتي منك هازلا لفظك عند النادر يباح لك ونحن نريد منك ان تصف لنا مجلسنا هذا وكان الذي طلبوه منه زبدة التغنيت لان المعنى اذا كان نحلها ثقيلا على النفس قبيح الصورة عند الحس كلت الفكرة عنه وان كانت ماضية واساءت القريحة في وصفه وان كانت محسنة وكان مما في المجلس باب مخلوع معترض على الارض وقلند احمر مبسوط قد رصت خفافهم عند حاشيته فقال مسرعا •

وفتية كالنجوم حسنا • كلهم شاعر نبيل
منفذ الجانبين ماض • كانه الصارم الصقيل
داسوا النضار في عز المعالي • والعز بعز دونها قليل

فانشد

فاشتد في اثرها فبيح • كل كثير له قليل
في مجلس زانه التصابي • وطاردت وصفه العقول
كانما الباب اذ اسير • قد عرضت دونه الفصول
يراد منه المقال قسرا • ونحو على ذاك لا يقول
تنظر من لبده لدينا • بجر دم تحتنا يسيل
كانا خفافنا عليه • مراكب ما لها دليل
ضلت فلم تدر اين تجري • فنل على شطه ثقيل

فعجب القوم من امره ثم خرج من عندهم فمر على بعض معارفه من الظرائفيين وبين يديه زنبيل ملآن حرشفا فحمل بين في لجام بغلته وقال له لا انزل او تصف الحرشف فقد وصفه صاعد فلم يقل شيئا فقال له ابن شهيد وتحلف او على مثل هذه الحالة قال نعم فارتجل •

هلا بصرت عيناك يا خليلي • قنافذا تباع في زنبيل
من حرشف معتمد جليل • ذي ابر تنفذ جلد الفيل
كانها انياب بنت الغول • لست ترى بطي حتى منديل
نقل السخيف المائل الجهول • واكل قوم نازحي العقول
اقسمت لا اطعمها اكيلي • ولا لطعمتها على شمول

انتهى وقال في بدائع البداية دخل الوزير ابو العلاء زهر بن الوزير ابي مروان عبد الملك بن زهر على الامير عبد الملك بن رزين في مجلس انس وبين يديه ساق يسقي حرس من كاسه ولحظه • وبين يديه من حبابه ولفظه • وقد بدا خط عذاره في صفحة خده • وكمل حسنه باجتماع المفصل منه مع ضده • فكان بسحر لحظه ابدى ليلا في شمس • وجعل يومه في الحسن احسن من امس • فسأله ابن رزين ان يصنع فيه فقال بديها •

تضاعف وجدي اذ تبدا عذاره • ودم فخان القلب مني اصطباره
وقد كان ظني ان سيمحو ليله • بدايع حسن هام فيها نهاره
فاظهر ضد ضده فيه اذ دنت • بعنبر في صفحة الخد ناره

واستزاده فقال بديها •

محبت اية النهار فاضحى • بدر تم وكان شمس نهار
كان يعشي العيون نورا الى ان • شغل الله خده بالعذار

وصنع ايضا

عذار الم فابدى لنا • بدايع كنا لها في عمى
ولو لم يجن النهار الظلام • لم يستبن كوكب في السما

وصنع ايضا

تمت محاسن وجهه وتكاملت • لما استدار به عذار مونق
وكذلك البدر المنير جماله • في ان يكنفه سما ازرق

انتهي وحكي الحميدي وغيره ان عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة كان اديبا شاعرا سريع البديهة كثير النوادر وهو من جلسا الامير محمد بن عبد الرحمن الاموي ملك الاندلس وحكوا انه دخل عليه في يوم ذي غيم وبين يديه غلام حسن المحاسن جميل الزي لين الاخلاق فقال الامير يا بن عاصم ما يصلح في يومنا هذا فقال العقار يبعد الدنان ويونس الغزلان وحديث كمقطع الروض قد سقطت فيه مونة التحفظ وارخي له عنان التبسط بيد ترها مدا الاعيد المليح فلما دارت الكاس واستمطر الامير نوادره اشار الي الغلام ان يلح في سقيه ويوكد عليه فلما اكثر رفع راسه اليه وقال على البديهة

يا حسن الوجه لا تكن صلفا • يا لحسان الوجوه والصلف
تحسن ان تحسن القبيح ولا • ترثي لصب متيم دنف

فاستبدع الامير بديهته وامر له ببدرة وقال انه خيره بينها وبين الوصيف فاختارها نفيا للظنة عنه انتهي قلت اذكرتني هذه الحكاية ما حكاه ابن ظافر عن نفسه اذ قال كنت عند المولى الملك الاشرف بن العادل بن ايوب سنة ٦٠٣ بالرها وقد وردت اليه في رسالة فجعلني بين سمعه والبصر وانزلني في نعيم دون بالقلعة بحيث يقرب عليه حضوري في وقت طلبني لاعادة الحديث معي فلم اشعر في بعض الليالي وانا نايم في فراشي الا به وهو قايم على راسي والسكر قد غلب عليه والشمع تزهر حواليه وقد حف بما ليكه وكانهم الاقمار الزواهر • في ملابس كالرياض ذات الازاهر • فقمت مروعا فاسكنني وبادر بالجلوس الي جانبي بحيث منعني عن القيام عن الوساد وابدي من الجميل ما ابدلني بالنفاق بعد الكساد • ثم قال غلبني الشوق اليك ولم ارد ازعاجك والتثقيل عليك ثم استدعى من كان في مجلسه من خواص القوالين فحضروا واخذوا في الغنا فيما يملا المسامع التذاذا ويجعل القلوب من الوجد جذاذا وكان له في ذلك الوقت مملوكان هما نيرا سما ملكه • وواسطتا درسلكه • وقطبا فلك طربه ووجد • وركنا بيت سروره ولهو وكانا يتناوبان في خدمته فحضر احدهما في تلك الليلة وغاب الاخر وكان كثيرا ما يداعبني في امرهما ويتطلب مني القول فيهما والكلام في التفضيل بينهما فقلت للوقت

يا مالكا لم يحك سيرته • ماض ولا ات من البشر
اجمع لنا تفديك انفسنا • في الليل بين الشمس والقمر

فطرب وامر في الحال باستدعاء الغايب منهما فحضر والنوم قد زاد اجفانه تفتيرا ومعاطفه تكسيرا • وقلت بين يديه بديها في صفة المجلس

سقى الرحمن عصرا قد مضى لي • باكناف الزبير صوب الغمام

وليلا

وليلا باتت الانوار فيه • تناوب في منافعة الظلام
فنور من شعاع او ندامى • ونور من سقاة او مدام
يطوف بانجم الكاسات فيه • سقاة مثل اقمار التمام
تزيد بها الكوس جمود ماء • فيحسب راحها ذوب الضرام
يميل به غصونا من قدود • غنا مثل اصوات الحمام
فكم من موصلي فيه يبدو • فينسي النفس عادية الحمام
وكم من زلزل للضرب فيه • وكم للزمر فيه من زنام
لدى موسى بن ايوب المرجى • اذا ما ضن غيث بانسجام
ومن كمظفر الدين المليك • الاجل الاشرف الندب الهمام
فاشمس تقاس الي نجوم • تحاكي قدره بين الكرام
فدام مخلدا في الملك يبقى • اذا ما ضن دهر بالدوام

فلما انشدتها قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفي ووضع سربوشة بيده على راس مملوك صغير كان لي انتهى قال ابن ظافر هذا بدايع منها ما حكاه عن نفسه اذ قال ومن اعجب ما دميت به ورميت الا ان الله بفضله نصر واعطى الظفر واعان خاطري الكليل حتى مضى مضا السيف الصقيل الصقيل • انني كنت في خدمة مولانا السلطان الملك العادل بالاسكندرية سنة احدى وستماية مع من ضمته حاشيتنا العسكر المنصور من الكتاب والحواشي والخدام ودخلت سنة اثنتين وستماية ونحن بالثغر مقيمون في الخدمة من تضعون لافاويق النعمة • فحضرت في جملة من حضر الهنا من الفقها بالثغر والعلما والمشايخ والكبرا وجماعة الديوان والامرا • واتفق اذ كان اليوم من ايام الجلوس لامضا الاحكام • والعرض لطوايف الاجناد فلم يبق احد من اهل البلد ولا من اهل العسكر الا حضر مهنيا ومثل شاكرا وداعيا • فحين غص المجلس باهله • وشرق بجمع السلطان وحفله • وخرج مولانا السلطان الي مجلسه واستقر في دسته اخرج من بركة قبايه كتابا ناوله للصاحب الاجل صفي الدين ابي محمد عبد الله بن علي وزيره ودولته • وكبير جملته • وهو مفضوض الختام • مفكوك الغدام ففتحه واذا فيه قطعة وردت من المولى المعظم كتبها اليه يتشوقه ويتعطفه لزيادته ويترققه ويستحثه على عوده وركابه الي بلاد الشام للمشاعرة بها وقمع عدوها ويعرض بذكر مصر وشدة حرها • ووقد جمرها • وذلك بعد ان كان وصل الي خدمته بالثغر ثم رجع اليها والابيات

اروي رماحك من نحور عداكا • وانهب بخيلك من اطاع سواكا

واركب خيولا كالسعالي شزبا • واضرب بسيفك من يشق عصاكا
واجلب من الابطال كل سميدع • يفري بعزمك كل من يلقاكا
واسترعف السمر الطوال وردها • واسق المنية سيفك السفاكا
وسر العداة الى العداة مبادرًا • بالضرب في هام العدو دراكا
وانكح رماحك للثغور فانها • مشتاقة ان تبتني بعلاكا
فالعز في نصب الخيام على العدى • تردي الطغاة وتدفع الملاكا
والنصر مقرون بهمتك التي • قد اصبحت فوق السماك سماكا
فاذا عزمت وجدت من هو طايع • واذا نهضت وجدت من يخشاكا
والنصر في الاعدا يوم كريهة • احلى من الكاس الذي رواكا
والبحر ان تضحي بمصر داهنا • وتحل في تلك العراض عراكا
فارح حشاشتك الكريمة من لظى • مصر لكي تخطي العداة بذاكا
فلقد عزا قلبي عليك بحرقة • شنعا ولا حتى البلاد منا كا
وانهض الى راجي لقاك مسارعًا • فنأي من كل الامور لقاكا
وابرد فوادي المستهام بنظرة • واعد علينا العيش من ذكراكا
واشف العداة غليل صبها آيم • اضحى مناه من الحياة مناكا
فسعادتي بالعادل الملك الذي • ملك الملوك وقارن الافلاكا
فبقيت لي باما لكي في غبطة • وجعلت من كل الامور فداكا

فلما تلا الصاحب على الحاضرين محكم اياتها وجلا منها العروس التي حازت من المحاسن ابعد غاياتها اخذ الناس في الاستحسان لغريب نظامها وتناسق التامها والثنا على الخاطر الذي نظم ابياتها • واطلع من مشرق فكر اياتها • فقال السلطان نريد من يجيبه عنا بابيات على قافيتها فالتفت مسرعا الي واقفا عن يمينه فقال يا مولانا مملوكك فلان هو فارس هذا الميدان • والمعاذ للتخلص في مضايق هذا الشان • ثم قطع وصلين من درج كان بين يديه والقاه الي وعمد الى دواته فاذا رها بين يدي فقال له السلطان هكذا على مثل هذا الحال وفي مثل هذا الوقت فقال نعم انا قد جربته فوجدته متقد الخاطر حاضر الذهن سريع الاجابة النكر فقال السلطان وعلى كل حال قم اليها منا لتنكشف عنك ابصار الناظرين وتنقطع عنك صوضا الحاضرين • واشار الى مكان عن يمين البيت الخشب الذي هو بالجلوس فيه منفرد • فقمت وقد فقدت رجلي لحد الاوذ مني احتلاله هيبة المجلس في صدري وكثرة من حضر من المترقبين الي المستطرين خلولفا تترح الشماتة بي • فما هو الا ان جلست حتى ثاب الي خاطري • وانثال الكلام على سراتره فكنت نونتم اذ فكري كالبازي الصيود • لا يري كلمة الا انشب فيها منسر • ولا

معني الا شبك فيه ظفر • فقلت في اسرع وقت

وصلت من الملك المعظم تحفة • ملأت بناظر دُرّها الاملاكا
ابيات شعر كالنجوم جلالة • فلذا حكت اوراقها الافلاكا
عجبا وقد جات كمثل الروض اذ • لم تذوها بالحر فنا وذكاكا
جلت الهموم عن الفواد كانما • تجلو بغرة وجهك الاحلاكا
كقميص يوسف اذ شفت يعقوب • رؤياه شفتني مثله رياكا
قد اعجزت شعرا هذا العصر كلهم • فلمن لا تعجز الاملاكا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله • ان يحتويه من الانام سواكا
لم لا اغيب عن الشام وهل له • من حاجة عندي وانت هناكا
ام كيف اخشى والبلاد جميعها • محمية في جاه طعن قناكا
يكفي الاعادي حر باسك فيهم • اضعاف ما يكفي الولي ببذاكا
ما زرت مصر لغير ضبط ثغورها • فلذا صبرت فديت عن رؤياكا
ام البلاد غلا عليها قدرها • لا سيما مذ شرفت بخطاكا
طابت وحق لها ولم لا وهي قد • حوت المعلى في القداح اخاكا
انا كالسحاب ازور ارضا ساقيا • حينا وانتح غيرها ستقياكا
مكني جهاد للعدو ولا انثني • اغزوه بالراي السديد دراكا
لولا الرباط وغيره لقصدت بالسير الحثيث لنيك نيل رضاكا
ولئن اتيت الى الشام فانما • تحثني شوقي الى لقياكا
اني لاسمحك المحبة جاهدا • وهواي فيما تشتهيه هواكا
فافخر فقد اصبحت في بياسك • الحاي وكل ممالك بحشاكا
لا زلت تقهر من يعادي ملكنا • ابدا ومن عاداك كان فداكا
واعيش انظر ابنك الباقي ابا • وتعيش تخدم في السعود اباكا

ثم عدت الى مكاني وقد بيضتها • وخليت بزهر ساحة القرطاس وروضتها • فلما راني السلطان قد عدت قال عملت بما ظننته انا لعمل في تلك اللمحة القريبة ميسر متعذر • وبلوغ الغرض فيها غير مقصود • فقلت قد اجبت فقال انشد فصمت الناس وحدقت الابصار • واصاخت الاسماع وظن الناس الى الظنون وترقبوا مني ما يكون • فما هو الا ان نوالي الانشاد لابياتها حتى صفقت الايدي اعجابا وتغامزت الاعين استغرابا • وحين انتهيت الى ذكر مولانا الملك الكامل بان المعلي في البنين اذ اضربت اقداحهم • وسردت امداحهم اغرورقت عيناه دمعا لذكره • وبان ضمنه مخفي المحبة حتى اعلن بسره وحين انتهيت الى اخرها افاض دمعه • ولم يمكنه دفعه • فجذبني مستدعيا للورقة فناولتها اليه يدا لحناجي

فنا ولهاله وعند حصولنا في يده قام من غير استعار لاحد بما دار من ارادة القيام
في خلده سترا لما ظهر عليه من الرقة على الموالي الاولاد وكتما لما عليه من الوجد
بهم والمحبة لهم وانفض المجلس وانما حمل الصاحب على هذا الفعل الذي غرز في نفسه
وخاطره ميلي بالتعريض له ابياتا كان يقترحها فانفذ فيها بين يديه ويخفا لاشر
على منها لنا لتي عليه منها انني كنت في خدمته سنة ٥٩٩ بدمشق فورد عليه
كتاب من الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين صاحب حماه وقد بعث صحبته
نسخة فتشاغل بتسويد جواب كتابه فلما كتب بعضه التفت الي وقال اصنع ابياتا
اكتبها اليه في صدر الجواب واذكر فيها شعره فقلت له على مثل هذه الحال
فقال نعم فقلت بعد رما انجز بقية النسخة

ايا ملكا قد اوسع الناس نايلا • واغرقهم بذلا وعمهم عدلا
فديناك من للناس فضلا يزينهم • فقد حزت دون الناس كلهم الفضلا
ودونك فامنحهم من العلم والحجى • كما منحتهم كفك الجود والبذلا
اذا حزت اعلى الفضل عفوا فما الذي • تركت لمن كان القريض له شغلا
وماذا عسى من ظل بالشعر قاصدا • لبابك ان ياتي به حلا وقلا
فلازلت في عز يدوم ورفعة • يجوز بنا ميلا الوعر والسهلا

انتهى ووقع لابن ظافر ايضا من هذا النمط انه دخل في اصحاب له يعودون صاحبا
لهم وبين يديه بركة رقما وها • وصحت سما وها • وقد رص تحت دساتيرها
نارنج • فتن قلوب الحضار • وملا بالمحاسن عيون النظار • فكانما رفعت صوالج
فضة على كرات من النضار • فاشار الحاضرون الي وصفها فقال بديهتها

ابدعت يا ابن هلال في فسقيته • جات محاسنها بما لم يعهد
عجبا لمولاه الدساتير التي • فاضت على نارنجها المتوقد
فكانهن صوالج من فضة • رفعت كضرب كرات خالص عسجد

انتهى ومن بديع الارتجال ما حكاه المذكور عن ابن قلاقس الاسكندري رحمه الله
تعالى اذ قال دخل الاعز ابو الفتوح ابن قلاقس على بلال بن مدافع بن بلال النزاري
فعرض عليه شيئا قد نظم الزند في صفحته جوهر • واذكى الدهر فانه وجد نمش
والبس من سلخ الافاعي ردا وجسمه ردي لا يمنع من برقه يد ركن ولا اثر يا مغفر
ولا يسلم من حتفه من ثبت ولا ينجو لطوله من فر • فهو يبكي للنفاق ويضحك ويرعد
للغيظ ويقتنك واسم يصنعه شانه • فقال على لسانه

اروق كما اروع وان نضفني • فاني رايق الصفحات رايع
تنافع بي خطوب الدهر حتى • نقلنا الي بلال عن مدافع

وقال ايضا فيه

رب يوم له من النقع سحب • ما لها غير ما يرا الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بجدي • فكاني في راحة الشمس برق

وقال ايضا فيه

انا في الكريهة كالشهاب الساطع • من صفحة تبدو وحد قاطع
فكانما استجليت ذاك وذا • من وصف كف بلال بن مدافع

وقال ايضا فيه

انظر المطر والمياه بصفحتي • وللنار حدي كم لها من صالب
كم عاد شدي في المضايق شيمتي • كبلال بن مدافع بن بلال

وسأله صاحب له مشط عاج قد اشبه الثريا شكلا ولو فا وشق لهلال من الشعر
جوفا

فقال

ومتيم بالابنوس وجسمه • عاج ومن ذهبها به حرفاته
كتمت دياجي الشعر منه بدرها • نوشت به للعين عيوقاته

وقال فيه

وابيض لليل الابنوس اذا سري • تمزق عن صبح من العاج باهر
وان غاص في بحر الشعور رايته • تبشرنا اطرافه بالجواهر

وقال فيه

ومشرق يشبه ليل الضحى • خمسا ويسري في الدجى لمام
وكلما قلب في لمة • اضحكها عن ثغر باسم

وجلس في مصر في دار الانماط يوما مع جماعة فمرت بهم امراة تعرف بابنة
امين الملك وهي شمس تحت سحاب النقاب • وغصن في اوراق الشباب
تحدقوا اليها تحديق الرقيب الي الحبيب • والمريض الي الطبيب • فجعلت تتلفت
تلفت الظبي المذعور • افرقه القانص فهرب • وتنثني تثني الغصن الممطور
عانقه النسيم فاضطرب • فسالوه العمل في وصفها فقال هذا يصلح ان
يعكس فيه قول العطار الاردي العيروا في

اعوض لما ان عرض فان يكن • حذرا فاين تلفت الغزلان

ثم صنع

لها ناظر في ذري ناضر • كما ركب السن فوق القناة
لو ان حي ولت لنا جيدها • فاي حياة بدت من وفاة
كما ذعر الظبي من قانص • فمر وكرر في الالتفات

ثم صنع ايضا

ولطيفة الالفاظ لكن قلبها • لم اسك منه لوعة الا عتا

كملت محاسنها فود البدر لو • يحظى ببعض صفاتها او بنعتها

قد قلت لما اعرضت وتعرضت • يا موئسا يا مطمعا قل لي متى

قالت انا الظبي الغرير وانما • ولي دار وحشي بنوة فتلفتا

قال علي بن ظافر وحضرت يوما عند بني خليف بظاهر الاسكندرية في قصر رسا بنا وسما • وكاد يمزق بمز احمته اثواب السما • فدار تدي جلابيب السحايب • ولاث عمايم الغمايم • وابتسمت ثنايا شرفاته وارتسمت بالحسن خبايا غرفاته • واشرف على ساير نواحي الدنيا واقطارها • وجهتها الرياض بما ابتسمتنا السحب عليه من ودايع امطارها • فالرمل بفنايه قد نشرت بين وزبرجد كرومه • والجو قد بعث بذخاير الطيب لطيمة نسيمه • والنخل قد اظهرت جواهرها • ونشرت غدايرها • والطل ينثر لولوه في مشارب النسيم ومساحيه • والبحر يرعد من عبث الرياح به • فساله بعض الحضور ان يصف ذلك الموضع الذي تمت محاسنه • وغبط به ساكنه • فجاشت لذلك لجج بحره والقت اليه جواهر لترصيع ليته ذلك القصر ونحو فقال

قصر بمدرجة النسيم تحدثت • فيه الرياض بسرها المستور

خفض الحوزنق والسدير سموه • وثنى قصور الروم ذات قصور

لاث الغمام عمامة مسكية • واقام في روض من الكافور

غنى الربيع بمحاسن وضعه • فافتر عن نور يروق ونور

فالروح يسحب حلة من سندس • تزهي بلولو طلعها المنثور

والنخل كالغيد الحسان تقرطت • بنبايك المنظوم والمنثور

والرمل في جيد النسيم كانما • ابدى غصون سوالف المذعور

والبحر يرعد متنه فكانه • درع تشن بمعطفي مقدور

وكاننا والقصر يجمع شملنا • في الافق بين كواكب وبدور

وكذاك دهر بني خليف لم يزل • يثني المعاطف في حبير حبور

ثم قال ابن ظافر واخبرني الفقيه ابو الحسن علي بن الطوسي المعروف بابن السوري الاسكندري النحوي مما مذ امعناه قال كنت مع الاعز بن قلاقس في جماعة فمر بنا ابو الفضل بن فتوح المعروف بالصري وهو راح من الكتب ومعه دواته وهو في تلك الايام قرة العين ظرفا وجمالا وراحة القلب قربا ووصالا • كل عين الى وجنته محدقة • وللسهد حذيه بخلوق الخجل مخلقه • فاقترحنا عليه ان يتغزل فيه فصنع بديها

علقته متعلقا • بالحظ معتكفا عليه

حمل الدواة ولا دوا • ء لعاشق يرجى لديه

فدماحيات القلوب • تلوح صبغا في يديه

لم ادر ما اشكو اليه • اهجره ام مقلتيه

والحب يجرسني على • ابن الكرم سيبويه

ما لي اذا ابصرته • شغل سوى نظري اليه

انتهى وقد انتهى قفنا الرجعة الى كلام الاندلسيين الذي حلاوا بعدنا عنه بما سمر البجعة فنقول ذكر الفتح في قلايد العقيان كما قال ابن ظافر ما معناه احبرني الوزير ابو عامر بن بشتغير انه حضر مجلس القايد ابي عيسى بن لبون في يوم سفرت فيه اوجه المسرات • ونامت عنه اعين المضرات • واظهرت ستائره غضونا ما تحمل بدورا • وتطوف من المدام بنار ما رجعت من الماء نورا • وشموس الكاسات تطلع في اكفها كالورد في السوسان • وتغرب بين اقاحي نجوم الثغر فتدب بين جسر الاجفان وعنده الوزير ابو الحسن بن الحاج اللورقي وهو يوميذ قد بذل الجهد في التحلي بالزهد • فامر القايد بعض السقاة ان يعرض عليه بسطه • ففعل ذلك مجلا فانشد ابو الحسن مرتجلا •

ومهفهف مزج الفتور بشدة • واقام بين تبذل وتمنع

يثنيه من فعل المدامة والصبا • سكران سكر طبيعة وتطبع

اوما الي بكاسه فكففتها • ودنا فشفعها بلحظ مطمع

والله لولا ان تياك بموى الهدى • منه بفضل عزيمة وتورع

لاخذت في تلك السبيل باخذه • فيما مضى ونزعت منها منزعي

انتهى وحكى الحميدي ان عبد الملك بن ادريس الجزيري كان ليلة بين يدي الحاجب ابي عامر والقمر يبدو تارة وتخفيه السحاب تارة فقال بديهها

اري بدر السماء يلوح حينا • فيبدو ثم يلتحف السحابا

وذاك لانه لما تبدى • وابصر وجهك استحيى فغابا

مقال لو نمى عني اليه • لراجعني بتصديقي جوابا

انتهى وكان صاعد اللغوي صاحب كتاب الفصوص قد تكرر ذكره في هذا الكتاب كثيرا ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن ابي عامر ويصفها ويقرظها فكتب الوزير ابو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير ابي عامر احمد بن شهيد صاحب العرا وقد تقدم بعض كلامه قريبا الى المنصور في يوم برد وكان ناخص ونزداته به بهذه الابيات

اما ترى برد يومنا هذا • صيرنا للكمون فذا اذا

قد ظهرت صحة الكبود به • حتى لكادت تغوذ افذاذا

فادع بنا للشمول مصطليا • نقذ سيرا اليك غدا اذا

وادع المسمي بها وصاحبه • تدع نبيلا وتدع استاذا

ولا يبالي بالعذل ازهار • بخمر قطربل وكلواذا
ما دام من ارملا طشربنا • مع ديرعما ودير نا باذا

وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالحرم فامر باحضار من جرى رسمه من الوزرا والندما واحضر ابن شهيد في محفة للنقرس كان يعتاده واخذوا في شانهم فمر لهم يوم لم يعهدوا مثله ووقت لم يعهدوا انطيب وطما الطرب وسما بهم حتى تهايج القوم ورقصوا وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور الى ابن شهيد فاقامه الوزير ابو عبد الله بن عباس فجعل يرقص ويومي متوكيا عليه ويرتجل ويومي الى المنصور وقد غلبه السكر •

هاك شيخ قاده عذر لكا • قام في رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثنيا • فانثنى يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا • نقرس اخنا عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصة • قام للسكر يناغي ملكا
انا لو كنت كما تعرفني • قمت اجلالا على راسي لكا
قهقه الابريق مني ضاحكا • وراى رعشة رجلي فبكى

قال ابن ظافر وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الاخير واسطتها وكان حاضرهم ذلك اليوم رجل بغدادي يعرف بالفكيك حسن النادرة سريعها وكان ابن شهيد استحضره الى المنصور فاستطبعه فلما راى ابن شهيد يرقص قايما مع الم المرض الذي كان يمنعه من الحركة قال لله درك يا وزير ترقص بالقايمة وتصلي بالقاعدة فضحك المنصور وامر لابن شهيد بما لجزيل ولساير الجماعة وللبغدادي وقال ابن بسام حدث ابو بكر محمد بن احمد بن جعفر بن عثمان المصحفي قال دخلت يوما على ابي عامر بن شهيد وقد ابتدات به علته التي مات بها فانسني وجرى الحديث الى ان شكوت له تجني بعض اصحابي علي ونفاره عني فقال لي ساسعى في اصلاح ذات البين فخرجت عنه واتفق لقائي لذلك المتجني على بعض اخواني واعزهم علي فلما راى ذلك الصديق تولينا عنه انكر عليه وسالني عن السبب الموجب فاخبرته وزاد في مشيهما حتى لحقنا بي وعزم علي في مكالمة صاحبي وتعاتبنا عتابا ارق من الهوى واشهى من الماء على الظما حتى جينا دار ابي عامر فلما رانا جميعا ضحك وقال من كان الذي تولى اصلاح ما كان شجر بينكما فقلنا قد كان ما كان فاطرق قليلا ثم انشد

من لا اسمي ولا ابوح به • اصلح بيني وبين من اهوى
ارسلت من كان بالهوى غدري • كيف يداوي مواقع البلوى
ولي حقوق في الحب سابقة • لكن التي بعدها دعوى

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من غرايب ابي عامر بن شهيد في مواضع متفرقة الغرايب

وقد منا

مجلس لم

30

وقد منا في الباب الرابع حكايته مع المراة الداخلة في رمضان لجامع قرطبة وحكينا هنالك بلفظ المطمح فلنراجع وعبر ابن ظافر عن معناها بقوله ان ابا عامر كان مع جماعة من اصحابه بجامع قرطبة في ليلة السابع والعشرين فمرت به امراة من بنات اجلا قرطبة قد كملت حسنا وظرفا ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفا وقد حفت بها الجواري كالبدر حف بالدراري • فتخيرت تلك الجماعة المعروفة بالخلاعة وقد رمقوا ذلك الظبي بعيون الاسود فرات الغريبة ارتاعت وتخوفت ان تختطف تلك الدرة النفيسة • فاستدنت اليها خشفها • والزمته عطفها • فارتجل ابن شهيد
وناظرة تحت طي القناع • الى اخره ومرت في الباب الرابع هذه الابيات
وقال الرئيس ابو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدي لما نعيت ابا عامر بن شهيد الى عبد الله الخياط الشاعر وقد عرف ما كان بينهما من المنافسة بكى وانشد في لحينه

بديهة

لما نعى الناعي ابا عامر • ايقنت اني لست بالصابر
اودى فتى الظرف وترب الندى • وسيد الاول والاخر

وقال ابن بسام اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمايه فابرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة في انواع اللعب المطرب من ذلك وحضر ايضا لاعب مصري هنالك فكان لعبه حسنا فارتجل ابو عبد الله بن الحداد •

كذا فليلح قمرا زاهرا • ويجني الهوى فاتنا ناضرا
وسيبك سيب ندي مغدق • اقام لنا هاميا هامرا
وان ليومك ذا رونقا • منيرا لنور الضحى باهرا
صباح اصطباح باشجانه • لحظنا محيا العلى سافرا
واطلعت فيه نجوم الكوس • فاز الكوكبها زاهرا
واسمعتنا الاعيب فاتنا • واحضرتنا لاعبا ساحرا
يزرف فوق ذويل القيان • فتنظر ما يذهل الناظرا
ويحفظها ذيل من بالسه • فينظر طالعها غابرا
فظاهرها ينثني باطنا • وباطنها ينثني ظاهرا
وشاه ثان لالعابه • دقايق تثني الحجا حايرا
وفي سوق الراح من سحره • خواطر دلهت الخاطرا
اذ وردا اللحظ اشامهما • فما الوهم عن ورده صادرا
ومن حسن نمرك ابداعه • فما انفك عارضها ماطرا
وسعدك يجلب المعربات • فيحمل غايبها حاضرا

قال وحضر الاديب احمد بن الشقاق عند القايد بن ذي زيد بجيان هو وابو زيد بن مقانا

زا

الاشبوني فاحضرهما عنبا اسود مغطى بورق اخضر فارتجل ابن الشقاق

عنب تطلع من حشى ورق له • صيغت غلايله جلت بالاثمد
فكانه من بينهن كواكب • كسفت فلاحت في سماء زبرجد

قال وحضر ابن مرزقان ليلة عند ذي الوزارتين بن خلدون وبحضرته وصيفة تحمل شمعة فاستحسنها ابن مرزقان فقال بديهتها

يا شمعة تحملها اخرى • كانها شمس علت بدرا
استحسنت احداهما مثلي • مثل ما تستحسن الاخرى

قال ودخل الاديب غانم يوما على باديس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان في المجلس فقال بديهتا •

صير فؤادك للمحبوب منزلة • سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة • فقلما تسع الدنيا بغيضين

واخذه من قول الخليل ما تضايق سم الخياط بمتحابين ولا اتسعت الدنيا بمتباغضين وكان الخليل على نمرقة صغيرة والمجلس متضايق فدخل عليه بعض اصحابه فرحب به واجلسه معه على النمرقة فقال له الرجل انها لا تسعنا فقال له ما ذكر وقال ابن بسام انشأ امر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة بعرض بعض الجند في بعض الايام وفيهم مملوك له رومي يقال له خيار في نهاية الجمال فجعل ينفخ في القرن ليجتمع اصحابه على عادة لهم في ذلك فقال ابن هند الداني فيه ارتجالا

اعن بابل اجفان عينيك تنفث • ومن قوم موسى انت للعهد تنكث
الي الحان تحكي سرافيل نافخا • وامكث في رمس الصدود والبث
عساك بنفخ الحسن تاتي باية • فتنفخ في ميت الصدود فيبعث

قال وكان بقرطبة غلام وسيم فمر علينا ابن فرج الجياني ومعه صاحب له فقال صاحبه انه لصبيح لولا صفرة فيه فقال ابن فرج ارتجالا

قالوا به صفرة عابت محاسنه • فقلت ما ذاك من عيب به نزلا
عيناه تطلب في اوتار من قتلت • فليس تلقاه الا خائفا وجلا

قال وكان يوما مع لمة من اهل الادب في مجلس ابن فاخاج رئيس المنزل الى دينار فوجه الى السوق فدخل به عليهم غلام من الصبا رقيق في نهاية الجمال فرمى بالدينار اليهم من فيه تماجنا فقال ابن فرج •

ابصرت دينارا بكف مهفهف • يزهى به من كثرة الاعجاب
اومى به من فيه ثم رمى به • فكانه بدر رمى بشهاب

قال وخرج الاديب ابو الحسن بن حصن الاشبيلي الى وادي قرطبة في نزهة فتذكر اشبيلية فقال بديهتها •

ذكرت

ذكرت بحمص ذكرى هوى • امات الحسود وتغنيته
كانك والشمس عند الغروب • عروس من الحسن مبخوتة
غدا النهر عقدك والطود تا • جك والشمس اغلاه ياقوته

انتهى وعبر بعضهم ونحو صاحب بدائع البداية عن بعض حكايات صاحب القلائد بما يقاربها في المعنى فقال ان المستعين بن هود ملك سرقسطة والثغور ركب نهر سرقسطة يوما لتفقد بعض معاقله • المنتظمة بجنبات ساحله • ونهرها رقة ماء وراق وزري على نيل مصر ودجلة العراق • قد اكتنفته البساتين من جانبيه • والتفت ظلالها عليه • فلا تكاد عين الشمس ان تنظر اليه • هذا على اتساع عرضه • وبعد سطح مائه من ارضه • وقد توسط دونهم زورق حاشيته توسط البدر الهالة • واحاطت به احاطة الطفاوة بالغزالة • وقد اعدوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء واخاف حتى حوت السماء • واهلة الاهلات طالعة من الموج في سحاب • وقانصة من نبات الماء كل طائرة كالشهاب • فلا ترى الا صيودا كقنص الصوارم • وقد زين اللهاذم ومعاصم الابكار النواعم فقال الوزير ابو الفضل بن حسداي والطرب استهواه • وبدائع ذلك المراي قد استرق هواه

لله يوم انيق واضح الغرر • مفضض مذهب الآصال والبكر
كانما الدهر لما ساء اعتبنا • فيه بعتبى فابدى صنع معتذر
نسير في زورق حف السرور به • في جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به قدا على ملك • بذي الاوائل في ايامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى • عليا مؤتمن في هدي مقتدر
تحوي السفينة منه اية عجبا • بحرا تجمع حتى صار في نهر
تثار في شبق النينان مقنعة • صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عيث ومن نشب • كالريق يعذب في ورد وفي صدر
والشرب في ود مولى خلقه زهر • يذكو ومنحته ابهى من الثمر

انتهى ثم قال ما معناه وقوله نينان غير معروف فان نونا لم يجئ جمعها على نونان وقد كان سيبويه يلحن بشار بن برد في قوله في صفة السفينة

تلاعب نينان البحور وربما • رايت نفوس القوم من جريها تجري

فغيره بشار بتيار البحور وقد قال ابو الطيب يصف خيلا

فهن مع السيدان في البر عسل • وهن مع النينان في البحر عوم

انتهى والمستعين بن هود هو احمد بن المؤتمن على امر الله يوسف بن المقتدر بالله احمد ابن المستعين بالله سليمان بن هود الجذامي رحم الله الجميع وعبر المذكور عن قضية ابن ومنيون في هلال شوال بما نصه خرج ابن ومنيون يوما لنظر هلال شوال ابو بكر

مما نصه خرج ابن وهبون يوما لنظر هلال شوال وابو بكر بن القبطرنة الوزير
ثابن ومعه يومئذ غلام يخجل البدر ويزدري الغصن النضر وصفحته لم يسطرها العذار
بانفاسه ووردة خده لم ينثرها الشعر باسه فارتجل عبد الجليل

يا هلالا استتر بوجهك عني • انه مولاك فابصر بسمائي
هبك تحكي سناه خدا بخد • ثم تحكيني لحظ بمثال

انتهى وقد ذكرنا هذه الحكاية في غير هذا الموضع بلفظ الفتح في القلائد • ولكنا اعدناها
هنا لتغيير صاحب البدائع عنها حاكيا لطريقته • وذكر ابن بسام ان الوزير ابا عبد
الله بن ابي الخصال وقف بباب بعض القضاة واستاذن عليه فحجب عنه فكتب اليه بذيهتها

جيناك للحاجة الممطول صاحبها • وانت تنعم والاخوان في بوس
وقد وقفنا طويلا عند بابكم • ثم انصرفنا على راي ابن عبدوس

اشار به الى قول الوزير ابي عامر بن عبدوس •

لنا قاض له خلق • اقل فيه النزق
اذا جئناه يحجبنا • فنلعنه ونفترق

وهو تمليح مليح سائح ائمة الجميع وقال ابو جعفر الكاتب القرطبي الربضي

واني للمدامة ما ارتديت بشربها • صلف الرقيع ولا انهماك اللاهي
لم يبق من عصر الشباب وطيبه • شيء كعهدي لم يحل الا هي
ان كنت اشربها لغيرة فاننا • فتركتها للناس لا بيه

وبعضهم ينسبها لابي القاسم عامر بن هشام والصواب كما قال ابن الابار الاول وقال
ابو جعفر المذكور في قوارة رخام كلفه وصفها والي قرطبة

ما شغل الطرف مثل فاثرة • تخرج ضرا الحياة من فيها
اشرب بها والحباب في جدل • يطعن حسنها ويحييها
تكاد من رقة نضمنها • تخطبها العين اذ توافيها
كانها درة منعمة • زهر افذاب نضعها فيها

ومن شعره قوله

ضحك المشيب براسه • فبكي باعين كاسه
رجل تخونه الزمان • ببوسه وبباسه
فجرى على غلوائه • طلق الجموح براسه
لحذا باو فرحته • لرجائه من ياسه

وقال احد بني القبطرنة الوزرا •

ذكرت سلمى ونار الوغى • بقلبي كساعة فارقتها
وابصرت قد القنا بينها • وقد ملن نحوي فعانقتها

وهذا

وهذا معنى بديع ما اراه سبق به وقال ابو الحسن بن الغليظ المالقي قلت يوما للاديب ابي
عبد الله بن السراج المالقي ونحن على جرية ما اجرينا على ما كان نحن بين فقال مبادرا

بكاء محب بان عنه حبيب •
فما كان مشغوفا كئيبا بالعه • فاني مشغوف به وكئيب

وكتب ابو بكر البلنسي الى الاديب ابي بحر صفوان بن ادريس هاذين البيتين يستجيز القسيم
الاخر منهما خليلي ابا بحر وما رقت الكي • بما غذي من قولي خليلي ابا بحر
اجز غير مامور فيما نظمته • تامل على مجرى المياه حلى الزهر

فاجازه

تامل على مجرى المياه حلى الزهر • كعهدك بالخضراء والانجم الزهر
وقد ضحكت للياسمين مباسم • لتنسم ما يتلوه من صور السحر

وقال ابن خفاجة

وما الانس الا في مجاج زجاجة • ولا العيش الا في صرير سرير
واني وان جئت المشيب لمولع • بطرة ظل فوق وجه غدير

وله

واسود يسبح في لجة • ولا تكتم الحصباء غدرانها
كانها في شكلها مقلة • وذلك الاسود انسانها

وكتب الوزير الشهير ابو الوليد بن زيدون الى الوزير ابي عبد الله بن عبد العزيز
اثر صدوده عن بلنسية •

راحت فصح به السقيم • ريح معطرة النسيم
مقبولة هبت قبولا • فهي تعبق في الشميم
افضيض مسك ام بلنسية لرياها نسيم
بلد حبيب افقه • لفتى يحل به كريم
ايه ابا عبد الاله • ندا مغلوب العزيم
ان عيل صبري من فرا • قك فالعذاب به اليم
او اتبعتك حنينها • نفسي فانت لها قسيم
ذكري لعهدك كالسراد • سري فبرح بالسليم
مهما ذممت فما لجي • في ذمامك بالذميم
زمن كالوف الرضاع • يشوق ذكراه الفطيم
ايام اعقد ناظري • في ذلك المراي الوسيم
واري الفتوة غضة • في ثوب اواه حليم
الله يعلم ان حبك • من فوادي في الصميم

ولين تخل عنك لي • جسم فمن قلب مغنيم
قل لي باي خلال سروك • فيك اقبل او اهيم
ابمجدك العمم الذي • نسق الحديث مع القديم
ام ظرفك المنفس الجني • ام عرضك الصافي الاديم
ام برك العذب الجمام • ام نشرك المنفس الجسيم
اذ اسمت تلك الطلاقة • فالندي منها مغنيم
ام بالبدايع كاللالي • من نثر او نظيم
لبلاغة اذ تغتداهدوها فانت بها زعيم
فتروتسوغ بها المدام • اذا تكررها النديم
انا الذي قسم الحظوظ • حباك بالخلق العظيم
لا انثنيا انه سعى • فيك لا بل استديم
فلقدا قر العين انك • عزة الزمن البهيم
حسبي المنا تحيي بربك • ما بدا برق وشيم
ثم الدعاء بان تهنى • طول عيشك في نعيم
ثم السلام تبلغنه • فتغيب مهد منه سليم
فلما ورد اشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب ذي الوزارتين ابي عامر بن سلمة
وتبوين بني مجلسا فصنع ابياتا كتبت فيه
عمر من يعمر ذا المجلسا • اطول عمر يصبح الانفسا
وبعد ذا اعوض من دان • عدنا ومن ديباجه السندسا
ولقي السرور بها والرضى • ووقي الاسواء والابوسا
ودام عبادا لمعتضد الهوى • يحوس حتى يبني الاحرسا
معتضد بالله احسانه • جم اذا ما الدهر يوما اسا
الملك الغر الذي المنتقى • من كل حمد علقه الانفسا
اندام يوما وصنعه ليائيه • مغنوم مقتدر احترسا
لا زال تبدا طالعا نيرا • يكشف عن امالنا الحندسا
وقال ايضا فيه
ادرها فقد حسن المجلس • وقد آن ان تترع الاكوس
ولا تنس انا وانا الربيع • اذا لم يجد فقده الانفس
فانخلال ابي عامر • بها يحتقر الورد والنرجس
وكتب الى الوزير ابي المعالي المهلب بن عامر يستدعيه
طابت لنا ليلتنا الخاليه • فلنتبعها هذه الثانيه

ابا المعالي نحن في راحة • فانظر الينا القدم العاليه
لانها عاطلة ان تغب • عنا فزرنا كي ترى حاليه
انت الذي لو تشتري ساعة • منه بدهر لم تكن غاليه
وكتب اليه ذو الوزارتين ابو عامر المذكور معاتبا
تباعدنا على قرب الجوار • كانا صدنا سخط المزار
تطلع لي هلال البحر بدرا • وصار هلال وصلك في سرار
وشاع شنيع قطعك لي بوصلي • فملا كان ذلك في استتار
ابجمل ان ترى عني صبورا • فاضحى مولعا دون اصطباري
وكنت اريد سمعك من عتابي • ولكن عاقني فرط الجماري
فراع مودتي واحفظ جواري • فان الله اوصى بالجوار
وزرني منعما من غير امر • وانس موحشا من عقر داري
فكتب اليه ابن زيدون
هواي وان تنات عنك داري • كمثل هواي في حال الجوار
مقيم لا يغيره عواد • تباعد بين اخيان المزار
رايتك قلت ان البحر بدر • متى خلت البدور من السرار
ورابك انني جلد صبور • وكم صبر يكون من اصطبار
ولم اهجر لعتب غير اني • اضرت بي معاقرة العقار
وان الخمر ليس لها خمار • يبرح بي فكيف مع الخمار
وهل انسى لديك نعيم عيش • كوشي الخد طرز بالعذار
وساعات يجول اللهو فيها • مجال الظل في حدق النهار
وان يك فرغك اليوم جسمي • فذيت فما لقلبي من قرار
وكنت على البعاد اجل شيء • لدي فكيف اذ اضحت جاري
وكان ابو المطاف اذ اورد اشبيلية رسولا تذنسا لنا بريه شيا من شعر فطلبه
حتى كتب اليه شعرا يستبطيه فاجابه ابن زيدون في العروض والقافية
اتحفتني من نفايس الدرر • ما ابرزته غوايص الفكر
من لفظة قارنت نظايرها • قران سحر الجفون للحور
ومما اكثر مما ذكر وكتب رحمه الله تعالى اغني ذا الوزارتين ابن زيدون
اضحى التنائي بديلا من تدانينا • وناب عن طيب لقيانا تجافينا
الا وقد حان صبح البين صبحنا • حين فقام بنا للحين ناعينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم • حزنا مع الدهر لا يبلى ويبلينا
ان الزمان الذي ما زال يضحكنا • انسا بقربهم قد عاد يبكينا

غيض العدى من تساقينا الهوى فدعوا • بان نغص فقال الدهر امينا
فانحل ما كان معقودا بانفسنا • وانبت ما كان موصولا بايدينا
وقد نكون وما يخشى تفرقنا • فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا
يا ليت شعري ولم نعتب اعاديكم • هل نال حظا من العتبى اعادينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم • رايا ولم نتقلد غيره دينا
كنا نرى الياس تسلينا عوارضه • وقد يئسنا فما للياس يغرينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا • شوقا اليكم ولا جفت ماقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا • يقضي علينا الاسا لولا تاسينا
حالت لفقدكم ايامنا فغدت • سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تالفنا • ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا فنون الوصل دانية • قطوفها فجنينا منه ما شينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما • كنتم لارواحنا الا رياحينا
لا تحسبوا نايكم عنا يغيرنا • ان طالما غير الناي المحبينا
والله ما طلبت اهواؤنا بدلا • منكم ولا انصرفت عنكم امانينا
يا ساري البرق غاد القصر فاسق به • من كان صرف الهوى والود يسقينا
واسال هنالك هل عنى تذكرنا • الفا تذكره امسى يعنينا
ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا • من لو على البعد حيا كان يحيينا
من لا يرى الدهر يقضينا مساعفه • فيه وان لم يكن غبا تقاضينا
ربيب ملك كان الله انشاه • مسكا وقدر انشاء الورى طينا
او صاغه ورقا محضا وتوجه • من ناصع التبر ابداعا وتحسينا
اذا تاود ادته رفاهية • تدمي العقود وادمته البرى لينا
كانت له الشمس ظئرا في تكلله • بل ما تجلى لها الا احايينا
كانما اثبتت في صحن وجنته • زهر الكواكب تعويذا وتزيينا
ما ضر ان لم نكن اكفاءه شرفا • وفي المودة كاف من تكافينا
يا روضة طالما اجنت لواحظنا • وردا جلاه الصبا غضا ونسرينا
ويا حياة تملينا بزهرتها • منى ضروبا ولذات افانينا
ويا نعيما خطرنا من غضارته • في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا
لسنا نسميك اجلالا وتكرمة • وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وما شوركت في صفة • فحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا
يا جنة الخلد ابدلنا بسلسلها • والكوثر العذب زقوما وغسلينا
كانا لم نبت والوصل ثالثنا • والسعد قد غض من اجفان واشينا

سران

سران في خاطر الظلماء يكتمنا • حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
لا غرو في ان ذكرنا الحزن حين نهت • عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
انا قرانا الاسى يوم النوى سورا • مكتوبة واخذنا الصبر تلقينا
اما هواك فلم نعدل بمشربه • شربا وان كان يروينا فيظمينا
لم نجف افق جمال انت كوكبه • سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجنبناك عن كثب • لكن عدتنا على كره عوادينا
ناسى عليك اذا حثت مشعشعة • فينا الشمول وغنانا مغنينا
لا اكوس الراح تبدي من شمائلنا • سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا
دومي على العهد ما دمنا محافظة • فالحر من دان انصافا كما دينا
فما استعضنا خليلا عنك يحبسنا • ولا استفدنا حبيبا منك يغنينا
ولو صبا نحونا من افق مطلعه • بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
ابكي وفاء وان لم تبذلي صلة • فالطيف يقنعنا والذكر يكفينا
وفي الجواب متاع قد شفعت به • بيض الايادي التي ما زلت تولينا
عليك مني سلام الله ما بقيت • صبابة بك نخفيها فتخفينا

وانما ذكرت هذه القصيدة مع طولها لبراعتها ولان كثيرا من الناس لا يذكر جملتها ويظن ان ما في القلايد وغيرها منها هو جميعها وليس كذلك فهي وان اشتهرت بالمشرق والمغرب لم يذكر جملتها الا القليل وقد كنت وقفت بالمغرب في تسديس لها لبعض علماء المغرب ولم يحضرني منها الان الا قوله في المطلع

ما للعيون بسهم الغنج تصمينا • وعن قطاف جنى الالطاف تحمينا
تالله كانت تحيينا وتضنينا • تفرق غال في شمل المحبينا

اضحى الفراق بديلا الى اخره وما احسن قوله في هذا التسديس

ما للاحبة دانوا بالنوى وناوا • تعويضهم عهد الوفا بالبعد حين نووا
رعاهم الله كانوا للعهود رعوا • فغيرتهم وشاة بالفساد سعوا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا • بان نغص فقال الدهر امينا

وقد ذكرنا في اوائل الباب الرابع موشحة ابن الوكيل التي عارض بها نونية ابن زيدون هذه فليراجع رجع وقال ذو الوزارتين ابن زيدون يتغزل وضح الصبح المبين

وضح الصبح المبين • وجلا الشك اليقين •
ورأى الاعدا ما • غرتهم منك الظنون •
املوا ما ليس يمنى • ورجوا ما لا يكون •
وتمنوا ان يخون الـ • ـعبد مولى لا يخون •
فاذا الغيب سليم • واذا العهد مصون •

قل

قل لمن ذاد لعبري • ومن والى اذ يدين
ارخص الحب فؤادي • لك والعلق ثمين
يا هلالا ستراه • نفوس لا عيون
عجبا للقلب يقسو • منك واللطف يلين
ما الذي ضرك لو سر بمرآك الحزين
وتلطفت بصب • حينه فيك يحين
فوجوه اللطف شتى • والمعاذير فنون

وقال ايضا

اليك من الانام غدا ارتياحي • وانت من الزمان مدى اقتراحي
وما اعترضت همومي الصدر الا • ومن ذكراك ريحاني وراحي
فديتك ان صبري عنك صبري • لدى عطشي عن الماء القراح
ولي امل لو الواشون كفوا • لاطلع غرسه ثمر النجاح
واعجب كيف يغلبني عدو • رضاك عليه من احدى سلاحي
ولما ان تجلتك لي اختلاسا • اكفّ الدهر للحين المتاح
رايت الشمس تطلع في نقاب • وغصن البان يرفل في وشاح
فلو اسطيع طرت اليك شوقا • وكيف يطير مقصوص الجناح
على حالي وصال واجتناب • وفي يومي دنو وانتزاح
وحسبي ان تطالعك الاماني • بافقك في مساء او صباح
فؤادي من اسى بك غير خالي • وقلبي من هوى لك غير صاحي
وان تهدي السلام الي شوقا • ولو في بعض انفاس الرياح

وقال

كم ذا اريد ولا اراد • لله ما يلقى الفؤاد
اصفى الوداد الى الذي • لم يصف لي منه الوداد
كيف السلو عن الذي • مثواه من قلبي السواد
يقضي علي دلاله • في كل حين او يكاد
ملك القلوب بحسنه • فلها اذا امر انقياد
يا هاجري كم استفيد • الصبر عنك فلا افاد
افلا رثيت لمن يبيت • وحشو مقلته السهاد
انا جرذنبا في الهوى • خطا فقد يكبو الجواد
كان الرضى واعيذه • ان يغتدي لكون النفاد

وقال

متي

متى انبيك ما بي • يا راحتي وعذابي
متى ينوب لساني • في شرحه عن كتابي
الله يعلم اني • اصبحت فيك لما بي
فما يلذ منامي • ولا يسوغ شرابي
يا فتنة المتغدي • وحجة المتصابي
الشمس انت توارت • عن ناظري بالحجاب
ما البدر شف سناه • على رقيق السحاب
الا لوجهك لما • اضاء تحت النقاب

وقال

هل لداعيك مجيب • ام لشاكيك طبيب
يا قريبا حين ناي • حاضرا حين يغيب
كيف يناوك محب • ذاته منك حبيب
انما انت نسيم • تتلقاه القلوب
قد علمنا علم ظن • هو لا شك مصيب
ان سر الحسن مما • اضمرت تلك الجيوب

وقال

اني تضيع عهدك • ام كيف تخلف وعدك
وقد رايتك الا ما • رضي فلم تتعدك
يا ليت شعري وعندي • من الهوى ليس عندك
هل طال ليلك بعدي • فطول ليلي بعدك
سل عن حياتي اهبها • فلست املك ردك
الدهر عبدي لما • اصبحت في الحب عبدك

وقال رحمه الله وقد امره السلطان ان يعارض قطعة كان يغني بها واستحسن الحانها

يقصر قربك ليلي الطويلا • ويشفي وصالك قلبي العليلا
وان عصفت منك ريح الصدود • فقدت نسيم الحياة البليلا
كاني اذا طلت الشاعر • ولم يتعد غذري وجها جميلا
وجدت ابا القاسم الظافر • المؤيد بالله مولى مقيلا
لاقلامه فعل اسيافه • يظل العزيز بها لي العزيزا

وقال يهنئه بالقدوم من السفر

ايها الظافر ابشر بالسفر • واجل التاييد في ابهى الصور

وتنياظل سعد تجتني • فيه من غرس المنى احلى الثمر
وردا النجح فكم من متوحش • شايق منك الى امر المقتدر
وكان من قربك في عيش ندى • عاطر الاوصال ومناح البكر
فنوى دونك مثوى قلق • يشتكي من ليله مطل السحر
قل لساقينا تجد اكوسه • ولشادينا يطل قطع الوتر

ومنها

لي فيذ المثل السائر في • جانب التمر الى ارض هجر
ثم قد وفق عبد عظمت • نعمة المولى عليه فشكر
لا عدت حظك افيا ليرى • قاضيا ابناءه كل وطر
واصطبح كاس الرضى من ملك • صرت في ارضائه ازكى السير
حين صممت الى اعدائه • فانتحتهم منك صمما العير
فاض عن للندى من فوقهم • كان يروي منهم منه الغمر
سبق الناس فضلي سابق • اذ رأى انا ن مثل الزهر

ونى طويلة وقال رحمه الله •

لم يكن هجر حبيبي عن قلي • لا ولا ذاك التجني مللا
سرع دعوى ادعاي ولئم • يدر ما غاية صبري فابتلى
انا راض بالذي يرضى به • لي من او فاك من ما قلت لا
مثل في كل حسن مثل ما • صار حالي في هواه مثلا
يا فتيت المسك يا شمس الضحى • يا قضيب البان يا ظبي الفلا
ان يكن لي امل غير الرضى • منك لا بلغت ذاك الاملا

وقال رحمه الله

اذكرتني ما لنا العيش الذي طابا • يا ليت غايب ذاك الوقت قد ابا
اذ نحن في روضة للوصل انجمها • من السرور وغمام فوقها صابا
اني لاعجب من شوق يطالبني • فكلما قيل فيه قد تفني نابا
كم نظرة لك عندي قد علمت بها • يوم الزيارة ان القلب قد ذابا
قلب بطيل معاصاتي لطاعتكم • فان اكلفه يوما سلوة يابي

وقال رحمه الله

عاودت ذكرا لهوى من بعد نسياني • واستحدث القلب بعد العشق سلواني
من حب جارية يبدو بها صنم • من اللجين عليها تاج عقيان
غرين لم تنا رقها تمايمها • تسبي القلوب بساجي الطرف وسنان
لا سجدن في عشقي لها زمنا • يحيي سوالف ايامي وازماني

حتى

حتى يكون لمن احببت خاتمة • لسحت في حبها كفرا بايمان

وقال

انت معنى الهوى وسر الدموع • وسبيل الهوى وقصد الولوع
انت والشمس ضرتان ولكن • لك عند الغروب فضل الطلوع
ليس يا مونسي تكلفك العتب • ولا الامن الرضى الممنوع
انما انت والحسود معنى • كوكب يستقيم بعد الرجوع

وقال

يا ليل طل لا اشتهي • الا بهندي قصرك
لو بات عندي قمري • ما بت ارعى قمرك
يا ليل خبر انني • التذ عنه خبرك
بالله قل لي هل وفي • فقال لا بل غدرك

وقال

لئن فاتني منك حظ النظر • لاكتفين بسماع الخبر
وان عرضت غفلة للرقيب • فحسبي بتسليمة تختصر
احاذر ان يجتني الوشاة • وقد يستدام الهوى بالحذر
فاصبر مستيقنا انه • سيحظى بنيل المنى من صبر

وقال

ايها البدر الذي • يملا عيني من تامل
حمل القلب تباريح • التجني فتحمل
ثم لا تياس فكم • قد نيل امر لم يؤمل

وقال

احدو من اهواه في الحب عابث • واوفي له بالعهد اذ هو ناكث
حبيب نأى عني مع القرب والاسى • مقيم له في مضمر القلب ماكث
جفاني بالطاف العدى وازاله • عن الوصل راي في القطيعة حادث
تغيرت عن عهدي وما زلت دائما • بعهدك لكن غيرتك الحوادث
وما كنت اذ ملكتك القلب عالما • باني على حتفي بكفي باحث
ستبلى الليالي والوداد بحاله • مقيم وعض في مودتك وارث
فلو انني اقسمت انك قاتلي • واني مقتول لما قيل حانث

وقال

يا غزالا صار لي • مونسا في بدا لحزن
انني مذ هجرتني • لم اذق لذة الوسن

ليت حظي اشارة • منك او لحظة تعن
شافني يا معذبي • في الهوى وجهك الحسن
كنت خلوا من الهوى • وانا اليوم مرتهن
كان سري مكتما • وهو الان قد علن
ليس لي عنك مذهب • فكما شيت لي فكن

وقال

ايوحشني الزمان وانت انسي • ويظلم لي النهار وانت شمسي
واغرس في محبتك الاماني • واجني الموت من ثمرات غرسي
لقد جازيت غدرا عن وفائي • وبعت مودتي ظلما ببخس
ولو ان الزمان اطاع حكمي • فديتك من مكارهه بنفسي

ومحاسن ابن زيدون كثيرة وقد ذكرنا منها في غير هذا المحل جملة وسالت جارية من جواري الاندلس ذا الوزارتين ابا الوليد بن زيدون ان يزيد على بيت انشدته اياه وهو •

يا معطشي عن وصال كنت وارده • هل منك لي غلة ان صحت واعطشي

وكانت الجارية المذكورة تتعشق فتى قرشيا والوزير يعلم ذلك وهي لا تعلم انه يعلم

فقال

كسوتني من ثياب السقم اسبغها • ظلما وصيرت من لحف الضنى فرشي
الى نحرف الهوى عن مقلة كحلت • بالسحر منك وخد بالجمال وشي
لما بدا الصدغ مسودا بأحمره • اريا التشاكل بين الروم والحبش
او في الى الخد ثم انصاع منعطفا • كالعقربان انثنى من خوف محترش
لو شيت زرت وسلك الليل منتظم • والافق يختال في ثوب من الغبش
جفا اذا التذت الاجفان طيف كرى • جفني المنام وصاح الليل يا قرشي
هذا وان تلفت نفسي فلا عجب • فقد كان قتلي في تلك الجفون خشي

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة اولاد من اجمل الناس صورة رحمون وعزون وحسون فاولع بهم الحافظ الشهير ابو محمد بن السيد البطليوسي صاحب شرح الادب ادب الكتاب وغيره وقال فيهم •

اخفيت سقمي حتى كاد يخفيني • وهمت في حب عزون فعزوني
ثم ارحموني برحمون وان ظميت • نفسي الى ريق حسون فحسوني

ثم خاف على نفسه فخرج عن قرطبة وهو القائل

لنفسي الذاتي الجوذر حلو اللمى • مستحسن بصدوده افنائي
في فيه سمط جوهر يروي الظما • لو علني منه برود احيائي

وهذان

وهذان البيتان تخرج منهما عدة مقطعات كثيرة كما لا يخفى وقال ابو بكر محمد ابن احمد الانصاري الاشبيلي المعروف بالابيض في تهنيته بمولود قال ابن دحية ومن هذا ابدع ما قيل في هذا المعنى •

اصاخت الخيل اذ انا لصرخته • والمت كل هزبر عندما عطسا
تعشق الدرع مذ شدت لفايفه • وابغض المهد لما ابصر الفرسا
تعلم الركض ايام المخاض به • فما امتطى الخيل الا وهو قد فرسا

وقال الوزير الكاتب ابو عامر الشالي في غلام يرش الما على خديه فتزداد حمرتهما

لقد همت بحمام تطلع في • ارجايه قمر والحسن يكمله
انفرته كلما وافت محاسنه • ونعمة الجسم والارداف تخجله
يرش بالما خديه بصارمه • دما توهم على خدي فاغسله

وقال ايضا

اوقد النار بقلبي • ثم هبت ريح صد
فشرار النار طارت • فانطفت في ماخد

وهو تخييل عجيب وقال ابن الخياط المكفوف الاندلسي في المعنى المشهور

لم يخل من نوب الزمان اديب • كلا فشان النائبات تنوب
وغضارة الايام تابى ان يرى • فيها لابناء الذكاء نصيب
وكذاك من صحب الليالي طاليا • جدا وفهما فاته المطلوب

وكان ابن الزقاق الاندلسي الشاعر المشهور وقد تكرر ذكره في هذا التاليف مرات يسهر في الليل ويشتغل بالادب وكان ابوه فقيرا جدا فلامه وقال له نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت التي الذي تسهر عليه فاتفق ان برع في الادب والعلم ونظم الشعر فقال في ابي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة اولها

يا شمس خدر ما لها مغرب • ارامة خدرك ام يثرب
ذبت فاستعبر طرفي دما • مفضض الدمع به مذهب

ومنها

ناشدتك الله نسيم الصبا • اني استقرت بعدنا زينب
لم تسر الا بشذى عرفها • اولا فماذا النفس الطيب
ابدو وان عذبني حبها • فمن عذاب النفس ما يعذب

فاطلق له ثلاثماية دينار فجابها الى ابيه وهو جالس في حانوته مكب على صنعته فوضعها في حجره وقال خذها فاشتر بها زيتا وقال رحمه الله تعالى في غلام رام يرمي حجرا فشدخ وجهه •

واحوى رمى عن قسي الحور • سهاما يفوقهن النظر

يقولون وجنته قسمت • ورسم محاسنه قد دثر
وما شق وجنته عابثا • ولكنها اية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى • بها كيف كان انشقاق القمر

وقال

بابي وغيري ابي اعن مهفهف • مهضوم ما خلف الوشاح خميصه
لبس السواد ومزقته جفونه • فاتى كيوسف حين قد قميصه

وقال

سقتني بيمناها وفيها فلم ازل • يجاذبني من ذا ومن هذه سكر
ترشفت فاها اذ ترشفت كاسها • فلا والهوى لم ادر ايهما الخمر

وقال

رق النسيم وراق الروض بالزهر • فنبه الكاس والابريق بالوتر
ما العيش الا اصطباح الراح او شنب • يغني عن الراح من سلسالها الذي اشر
قل للكواعب غضي للكرى مقلا • فاعين الزهر اولى منك بالسهر
وللصباح الا فانشر دراسني • هذا الدجى قد طوته راحة السحر
وقام بالقهوة الصهباء ذو هيف • يكاد معطفه ينقد بالنظر
يطفو عليها اذا ما شجها درر • تخالها اختلست من ثغره الخصر
والكاس من كفه بالراح محدقة • كهالة احدقت في الافق بالقمر

وقال

نضو عن انفاسنا واشرق اوجها • فهن منيرات الصباح بواسم
لئن كن زهرا فالجوانح ابرج • وان كن زهرا فالقلوب كمائم

ونحو من بديع التقسيم وقال السميسر

تحفظ من ثيابك ثم صنها • والا سوف تلبسها حدادا
وميز عن زمانك كل حين • وناصر اهله تسد العبادا
وظن بسائر الاجناس خيرا • واما جنس ادم فالعبادا
ارادوني بجمعهم فردوا • على الاعقاب قد نكصوا فرادا
وعادوا بعد ذا اخوان صدق • كبعض عقارب رجعت جرادا

وقال ابن ذرين ونحو من رجال الذخيرة

لا سرحن نواظري • في ذلك الروض النضير
ولاكلنك بالمنى • ولاشربنك بالضمير

وقال سلطان بلنسية عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز

ولا غرو بعد يا ان يسود معشر • فيضحي لهم يوم وليس لهم امس

كذلك

كذاك نجوم الجو تبدو زواهرا • اذا ما توارت في مغاربها الشمس

وتحاكم الى ابي ايوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسي المعروف بالمتلمس غلامان جميلان لاحدهما وفرة شقرا وللاخر سودا ايهما احسن والمتلمس المذكور هو صاحب كتاب الاحكام فيما لا يستغنى عنه الحكام فقال

وشادنين المتابي على منة • تنازعا الحسن في غايات مستبق
كان لمة ذا من نرجس خلقت • على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب في التفضيل بينهما • ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يدلي اليه الريم حجته • مبينا بلسان منه منطلق
وقال وجهي بدر يستضاء به • ولون شعري مصبوغ من الغسق
وكحل عيني سحر للنهى وكذا • والسحر احسن ما يعزى الى الحدق
فقال صاحبه احسنت وصفك لا • كن فاستمع لمقال في منتفق
انا على فتى شمس النهار ولم • تغرب وشعرة شعري حمرة الشفق
وفضل ما عيب في عيني من زرق • اذا الاسنة قد تعزى الى الزرق
فقضيت للمة الشقرا اجتحكت • لو في كذا حكمها يقضي على رمقي
فقام ذو اللمة السودا يرشقني • سهام اجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على • قلبي ولي شاهد من دمعي الغدق
فقلت عفوك اذ اصبحت منهما • فقال دونك هذا الحبل فاختنق

وقال ابو محمد عبد الله بن غالب •

ومهفهف خنث الجفون كانما • من ارجل النمل استفاد عذارا
فتخاله ليلا اذا استقبلته • وتخاله يجري عليه نهارا

وقال ابو القاسم خلف بن فرج السميسر المتقدم

الناس مثل حباب • والدهر لجة ماء
فعالم في طفو • وعالم في انطفا

وقال احمد بن برد الاندلسي في النرجس ونوار البهار عند الاندلسيين ويسمى العبهر

تنبه فقد شق البهار مغلسا • كمائمه عن نوره الخضل الندي
مداهن تبر في انامل فضة • على اذرع مخروطة من زبرجد

وقال الوزير عبد المجيد بن عبدون في دار انزلها المتوكل بن الافطس وسقفها قديم فقطر عليه المطر منه

ايا ساميا من جانبيه الى العلا • سمو حباب الماء حالا الى حال
لعينيك دار حل فيها كانها • ديار لسلمى عافيات بذي الخال
يقول لنا لما راى من دثورها • الا عم صباحا ايها الطلل البالي

فقالت ولم تغيا برد جوابه • وهل يعمى من كان في العصر الخالي
فرض الجدال لا نزال فيهما بناصل • فانا الفتى يهذي وليس بفعال

قيل وهذا ابو عذرة تضمين لامية امرئ القيس وقد اولع الناس بعده بتضمينها وقال ابو الفضل بن حسداي وكان يهوديا فاسلم ويقال انه من ولد موسى على نبينا وعليه وعلى سائر الانبيا الصلاة والسلام

تورد خده للاحداق لذات • عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى • لكن وصالك للانسان واصل جنات
كانما الراح والراحات تحملها • بدور تم وايدي الشرب هالات
حشاشة ما تركنا الما يقتلها • الا لتحيى بها منا حشاشات
قد كان من قبلها في كاسها ثقل • فخف اذ مليت منها الزجاجات

وقد تبارى المشارقة والمغاربة من المتقدمين والمتاخرين في هذا الوزن والقافية ولولا خوف السامة لذكرت من ذلك الجملة الشافية الكافية ومن سرعة جواب اهل الاندلس ان ابن عبد ربه صاحب العقد كان صديقا لابي محمد يحيى القلفاط الشاعر ففسد ما بينهما بسبب ان ابن عبد ربه مر به يوما وكان في مشيه اضطراب فقال يا ابا عمر ما علمت انك اعرج الا اليوم لما رايت مشيك فقال له ابن عبد ربه كذبتك عرسك ابا محمد فعز على القلفاط كلامه وقال لم تعرض للحرم والله لارينك كيف الهجا صنع فيه قصيدة اولها

يا عرس احمد اني مزمع سفرا • فودعيني سرا من ابي عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك وكان القلفاط يلقب بطلاس لانه كان اطلس اللحية ويسمي كتاب العقد حبل الثوم فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزرا فقال الوزير للقلفاط كيف حالك اليوم مع ابي عمر فقال مرتجلا

طلاس لي عن رايه • وكنت في معد ابنايه

فبدر ابن عبد ربه وقال •

ان كنت في فقد ابنايه • فقد سنى امك من مائيه

فانقطع القلفاط خجلا وعاش ابن عبد ربه اثنين وثمانين سنة رحمه الله تعالى ومن الحكايات في مروءة اهل الاندلس ما ذكره صاحب الملتمس في ترجمة الكاتب الاديب الشهير ابي الحسين بن جبير صاحب الرحلة وقد قدمنا ترجمته في الباب الخامس من هذا الكتاب وذكرنا هنالك انه كان من اهل المروات عاشقا في قضا الحوايج والسعي في حقوق الاخوان وانشدنا هنالك قوله يحسب الناس باني متعبا لي الحاج وقد ذكر ذلك كله صاحب الملتمس ثم قال اعني صاحب الملتمس ومن اغرب ما يحكى اني كنت احرص الناس على ان اصاهر قاضي غرناطة ابا محمد

عبد المنعم

عبد المنعم بن الفرس فجعلته يعني ابن جبير الواسطة حتى يتيسر ذلك فلم يوفق الله ما بيني وبين الزوجة بحيلة وشكوت له ذلك فقال اما ما كان القصد في اجتماعكما ولكن سعيت جهدي في غرضك وها انا استحي منك في افتراقكما اذ لم يتم غرضك وخرج في الحين ففصل القضية ولم ار في وجهه اولا ولا اخرا عنوانا للامتنان ولا التعتب ثم انه طرق بابي ففتحت له ودخل وفي يده محفظة فيها مايتا دينار مومنية فقال يا ابن اخي اعلم اني كنت السبب في هذه القضية ولم اشك انك خسرت فيها ما يقارب هذا القدر الذي وجدته الان عند عمك فبالله الا ما سررتني بقبوله فقلت له انا ما استحي منك في هذا الامر والله ان اخذت هذا المال لا اقبله فيما اتلفت فيه مالا والذي من امور الشباب ولا يحل لك ان تكلفني به لكنك ان شرحت لك امري فتبسم وقال لقد احتلت في الخروج عن المنة بحيلة وانصرف بماله انتهى ثم قال صاحب الملتمس وتذاكرنا يوما معه حالة الزاهد ابي عمران المارتلي فقال صحبته مدة فما رايت مثله وانشدني شعرين ما نسيتهما ولا انساهما ما استطعت فالاول قوله •

الى كم اقول فلا افعل • وكم ذا احوم ولا انزل
وازجر عيني فلا ترعوي • وانصح نفسي فلا تقبل
وكم ذا اعلل الى وحتى • لعل وسوف وكم تمطل
وكم ذا اومل طول البقا • واغفل والموت لا يغفل
وفي كل يوم ينادي بنا • منادي الرحيل الا فارحلوا
امن بعد سبعين ارجو البقا • وسبع اتت بعدها تعجل
كان بي وشيكا الى مضجعي • يساق بنعشي ولا امهل
فيا ليت شعري بعد السوال • وطول المقام لما انقل

والثاني قوله

اسمع اخي نصيحتي • والنصح من محض الديانه
لا تقربن الى الشهادة • والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى • لزور او فضول او خيانه

قال فقلت له اراك لم تعمل بوصيته في الوساطة فقال ما ساعدتني رقة وجهي على ذلك انتهى رجع الى نظم الاندلسيين وقال ابو الصلت امية بن عبد العزيز

افضل ما يستصحب النبيل فلا • تعدل به في المقام والسفر
جرم اذا ما التمست قيمته • جل عن التبر وهو من صفر
مختصر وهو اذ تفتشه • عن ملح العلم غير مختصر
ذو مقلة تستبين ما رمقت • عن صايب اللحظ صادق النظر

تحمله ونحوها مثل فلكا • لو لم يدر بالبنان لم يدر
مسكنه الارض ونحو بيتنا • عن كل ما في السماء من خبر
ابوعه رب فكرة بعدت • في اللطف عن ان تقاس بالفكر
فاستوجبا الشكر والثناء • من كل ذي فطنة من البشر
ومولدي الكبير بعد عجيب • على اختلافها العقول والصور
قلت ومن احسن ما سمعت في الاسطرلاب وامر رحمه الله ان يكتب على قبره
سكنتك يا دار الفنا مصدقا • باني الى دار البقا اصير
واعظم ما في الامر اني صائر • الى عادل في الحكم ليس يجور
فيا ليت شعري كيف القاه عنده • وزادي قليل والذنوب كثير
فان ك مجزيا بذنبي فانني • بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو من غني ومفضل • فثم نعيم دائم وسرور
وقال ابن خفاجة ونحو مما اورده له صاحب الذخيرة
لقد زار من اهوى على غير موعد • فعاينت بدر التم ذاك التلاقيا
وعاتبته والعتب يحلو حديثه • وقد بلغت روحي لديه التراقيا
فلما اجتمعنا قلت من فرحي به • من الشعر بيتا والدموع سواقيا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما • يظنان كل الظن ان لا تلاقيا
ومن مجون الاندلسيين هذه القضية المنسوبة لسيدي ابي عبد الله بن الازرق
ومني •
عم بانقضاء الزمن • ولا انبالي بهن
ومن يواسي بالرضى • من سمج وحسن
او من عجوز تختطي • والظهر منها منحني
او من مليح مسعد • موافق في الزمن
مهمي تبدا خده • يبدو لنا الورد الجني
والغصن في اثوابه • اذا تمشى ينثني
لا امر لي لا الم يلي • انهم ابرد شجني
واخلعن في المجون • والتصابي رسني
واجعل الصبر على • هجر الملاح ديدني
يا عاذلي في مذهبي • اذ ذاك شرب اللبن
اعطيت في البطن تشا • نا ان تخالف سنني
اي فتى خالفني • يوما ولما يلقني
فانني لناصح • واني واني
فلا تكن

فلا تكن لي لاحيا • وفي الامور استفتني
فلم ازل اعرب عن • نفسي لمن لم يلحني
وان تسفه نظري • ومذهبي وتنتهي
فالصفع تستوجبه • ثم وتنثنا لذقن
والزبل في وجهك تعلوا يا تقنا الازمن
وبعد هذا اشتفي • منك ويبرا شجني
واضرب الكف امام • ذلك الوجه الذي
طقطقطق طقطقطق • اصخ يسمع الاذن
قحح قحح قح قحح • الضحك يغلبلبني
فذكا نا ولي بك عن • هذي المخازي تنثني
النفي تستوجبه • لو اسطا وعدن
عرضت بالشر كذا • الى ارتكاب المحن
اهذي صديقا كان لي • ببغضه يسعدني
فتارة اضحكه • وتارة يضحكني
وتارة العنه • وتارة يلعنني
وربما اصفعه • وربما يصفعني
استغفر الله فهذا • القول لا يعجبني
يا ليت هذا كله • فيما مضى لم يكن
اضحكت والله بذا • الحديث من يسمعني
ثم تولى وانقضى • عني كطيف الوسن
يا ليتني لم ارى • وليته لم يرني
دنست فيه جانبي • وملبسي بالدرن
وبعت فيه عيشتي • لكن بنجس الثمن
كانني ولست ادري • الا انما كانني
والله ما النتيجة عند شاعر بهين
لكنه انطقني • بالقول ضيق العطن
واحسرتي وااسفي • زلت وضاعت فطني
لو انصف الدهر لما • اخرجني من وطني
وليس لي من جنة • وليس لي من مسكن
وليس لي من فرس • وليس لي من سكن
اسرح الطرف وما • لي دمنة في الدمن

يا ليت شعري وعسى • يا ليتان تنفعني
هل أنتهي يوما الى • الشرق طهور الشعن
واجتلي ما شئته • في المنزل المومن
حينئذ اخلع في • هاذي المواني رسني
وتخشن الفكرة بالفدوش والسمنتني
واللحم مع شحم طوا • بو الكبش السني
والبيض في المقلات بالـزيت اللذيذ الدهن
وجلدة الفروج مشـوي كثير السمن
من منقذي افديه من • ذا الجوع والتمكن
وقلة قد استوى • فيها الفقير والغني
هل للثريد دعوة • الي قد شوقتني
نغوص فيها انملي • عوض الاكول المحسن
ولي الي الاسفنج شوق • دايم يسطربني
وللارز الفضل اذ • نطبخه باللبن
وللشواء والرقاق • من هيام انثني
واسكن عن الجبن • فان بنيته تذهلني
ظاهرها كالورد اذ • باطنها كالسوسن
اي امرء ابصرها • يوما ولم يفتتن
تهيم فيها فكره • الاستاذ والموذن
لو كان عندي معدن • لبعت فيها معدني
لكنني عزمت ان • ابيع كم البدن
والكم قد اكسيه • بعد ولا يكسبني
لا تنسبوني سفها • فالجوع قد ارشدني
وهات ذكر الكسكسو • فهو شريف وسني
لا سيما ان كان مصـنوعا بفتل حسن
ارفع منه كورا • لهن تذوي اذني
وان ذكرت عنبرا ذا • اطعمه في الوطن
فابدا من المومات • بالحسن الممكن
من فوقها الفروج قد • انهى في التسمن
وثن بالعصيدة الـتي بها تسطربني
لا سيما ان صنعت • على يدي ممركن

كذلك

كذلك البلياط بالزيت الذي يقنعني
نطبخه حتى يرى • يحمر في التلون
والزبزين في الصحاف • حسنه اهل البطن
فاسمع فضائم ناصح • ياتي بنصح بين
من اقتني لنعتين • فهو نعم المقتني
وان في شاشيتة • الفقير انسا للغني
تبعدني عن وصلها • عن وصلها تبعدني
توبيني عن اللقا • عن اللقا توبيني
فاصلني ان ذكرت • تهفو الكبل العضن
كم رمت تقريبا لها • لكنه لم يهن
وصدني عن ذاك قلة الوفا بالثمن
ايه خليلي هذه • مطاعم لكنني
اعجب من نبلك اذ • يسيل فوق الذقن
هل نلت منها شيعا • فذكرها اشبعني
وان تكن جوعان يا • صاح فكل بالاذن
فليس عندي شاعر • عن كلام الالسن
يصور الاشياء وني • ابدا لم يستكن
فقوله يريك ما • ليس يرى في الممكن
فاسمح وسامح واقتنع • واطوحشا لك واسكن
ولنصرف مقصدنا • اصراف هذا الوطن

انتهي وقال ابن خفاجة رحمه الله •

وردوا العلوم ليملكوا بجدالهم • فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى اصابوا فرصة • في اخذهم المساجد وكنايس

وهذا المعنى استعمله الشعرا كثيرا وقال فيما اظن الفقيه الكاتب المحدث الاديب الشهير ابو عبد الله محمد بن الابار القضاعي وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب في مواضع •

لقد غضبت على الشمط خوفه • فلم تتقلد عن مبسمها سمطا
وانكرت الشيب الملم بلمتي • ومن عرف الايام لم ينكر الوخطا

وقال ابو سعيد في المدح المعلى في حق كاتب مشهور • وشاعر مذكور كتب عن ولاة بلنسية وورد رسولا حين اخذ النصارى بحق تلك الجهات

وانشد قصيدة بتراء السينية

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا • إن السبيل إلى منجاتها درسا

وعارضه جمع من الشعراء ما بين مخطئ ومحروم • وأعزي الناس بحفظها أعرابي تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم • إلا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء بأسباب الخدمة • فقلصت عنه تلك النعمة وأخرج عن تلك العناية وارتحل إلى بجاية وهو الآن بها عاطل من الرتب خال من حلي الأدب • مشتغل بالتصنيف في فنونه • مستقل منه بجوابه وشؤونه ولي معه مجالسات أنق من الشباب • وأبهج من الروض عند نزول السحاب ومما أنشدنيه من شعره •

يا حبذا بحديقته دولاب • سكنت إلى حركاتها الألباب
غنى ولم يطرب وسقى قومه • ليسر ومنه العود والأكواب
لو يدعي لطف الهواء أو الهوى • ما كنت في تصديقه أرتاب
وكأنه مما شدا مستهزئ • وكأنه مما بكى نداب
وكأنه بيناته ومداره • فلك كواكبه لها أذناب

انتهى وقال أبو المعالي الفنجاطي

فقلت يا رئيسهم أين من • أحببته فيك وأين النديم
فقال عهدي قد غدا شمله • كمثل ما ينثر در نظيم

وقال أبو عمرو بن الحكم القبطلي وقبطلة من أعمال الوادي اشبيلية

كم أقطع الدهر بالمطال • سئمت وحق الإله حالي
رحلت أبغي بكم نجاحا • فلم تفيدوا سوى ارتحال
وعدتم الغالف وعد • لكنني عدت بالمحال

وقال أبو عمران القلبي •

طلعت على والأحوال سود • كما طلع الصباح على الظلام
فقل لي كيف لا أوليك شكري • وإخلاص التحية والسلام

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن أيوب المرسي

أنا سكران ولكن • من هوى ذاك الغلاني
كلما رمت سلوا • لم يزل بين عياني

وقال

جنبني ما لقيت من مراد • سوى لا تدوم على البعاد
فإن كان ابتغاؤك بعد مثلا • متيما فالسلام على فؤادي

قال ابن سعيد وكان المذكور إذا غنى هذه الأشعار اللطيفة على الأوتار لم يبق لسامعه عند الهموم من ثار • مع أخلاق كريمة • وآداب كانسكاب الديمة انتهى • وقال ابن سعيد في أبي بكر محمد بن عمار البرجي كاتب ابن هود

القائل

القائل لمن يبيه حربا تحت رايات ابن هود إلى آخر •

يا ابن عمار لقد • أحييت لي ذاك المسميا
في حلي نظم ونثر • علقا من مسمعيا
ولقد حزت مكانا • من ذرى الملك عليا
مثل ما قد حاز لكن • عش بنعماك هنيا

وقال أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز الإشبيلي المعروف بابن صاحب الرد

يا أبدع الخلق بلا مرية • وجهك فيه فتنة الناظرين
لا سيما إذ تلتقي خطرة • يغلب الورد على الياسمين
طوبى لمن قد زرته خاليا • فنغم النفس ولو بعد حين
من ذلك الثغر الذي ورده • ما زال فيه لذة الشاربين
وما حوى ذاك الإزار الذي • لم يبعد عنه أمل الزائرين

وهذه الأبيات يقولها في غلام كان أديبا إشبيلية قد فتنوا به وكان مروره على داره وحكي عنه أنه أعطاه في زيارة خمسين دينارا ومرت أيام ثم صادفه عند داره فقال له إنه يريد أن أزورك ثانية فقال له لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وهذا الجواب على ما فيه من قلة الأدب وهتك حجاب الشريعة من أشد الأجوبة إصابة للغرض والله يسمح له فقد قال ابن سعيد في حقه إن بيته بإشبيلية من أجل البيوت ولم يزل له مع تقلب الزمان ظهور وخفوت وكان أديبا شاعرا ذواقا لأطراف العلوم انتهى ومن المشهورين بالمجون والخلاعة بالأندلس مع البلاغة والبراعة أبو جعفر بن طلحة الوزير الكاتب وهو من بيت مشهور بجزيرة شقر من عمل بلنسية وكتب عن ولاة من بني عبد المؤمن ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب على الأندلس وربما استوزره في بعض الأحيان قال ابن سعيد وهو ممن كان والدي يكثر مجالسته ولم أستفد منه إلا ما كنت أحفظ في مجالسته وكان شديد التهور كثير الطيش ذاهبا بنفسه كل مذهب سمعته مرة وهو في محفل يقول تقيمون القيامة لحبيب والبحتري والمتنبي وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم يهتدوا إليه فانبرى له شخص له همة وإقدام فقال يا أبا جعفر فأرنا برهان ذلك ما أظنك تعني إلا نفسك فقال نعم ولم لا وأنا الذي أقول ما لم يتنبه إليه متقدم ولا يهتدي لمثله متأخر •

يا هل ترى أظرف من يومنا • قلد جيد الأفق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها • مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى • في الأرض إلا بكؤوس الشقيق

فلم ينصفوه في الاستحسان وردوه في الغيظ إلى أضيق مكان فقلت له يا سيدي هذا هو السحر الحلال فبالله إلا ما زدتني من هذا النمط فقال

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا • ان السبيل الي منجاتها درسا

وعارضه جمع من الشعرا ما بين مخطي ومحروم • واعزي الناس بحفظها اعرابي تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم • الا ان اخلاقه لم تعنه علي الوفا باسباب الخدمة • فقلصت عنه تلك النعمة واخرج عن تلك العناية وارتحل الي بجاية وهو الان بها عاطل من الرتب خال من حلي الادب • مشتغل بالتصنيف في فنونه • مستقل منه بجواهره وشنونه ولي معه مجالسات انق من الشباب • وابهج من الروض عند نزول السحاب وبما انشدنيه من شعره •

يا حبذا الجدينة دولاب • سكنت الي حركاتها الالباب
غنى ولم يطرب وسقى قومه • ليشرب ومنه العود والاكواب
لو يدعي لطف الهوا او الهوى • ما كنت في تصديقه ارتاب
وكانه مما شدا مستهزي • وكانه مما بكي نداب
وكانه بيشانه ومداره • فلك كواكبه لها اذناب

انتهي وقال ابو المعالي الفيجاطي

فقلت يا ريمهم اين من • احببته فيك واين النديم
فقال عهدته قد غدا اسمه • كمثل ما يثرد ترسطيم

وقال ابو عمرو بن الحكم القبطلي وقبطلة من اعمال الوادي اشبيلية

كم اقطع الدهر بالمطال • سات وحق الاله حالي
رحلت ابغي بكم نجاحا • فلم تفيدوا سوي ارتجال
وعدتم الغالف وعد • لكنني عدت بالمحال

وقال ابو عمران الفلعي •

طلعت علي والاحوال سود • كما طلع الصباح علي الظلام
فقل لي كيف لا اوليك شكري • واخلاص التحية والسلام

وقال ابو اسحاق ابراهيم بن ايوب المرسي

انا سكران ولكن • من هوي ذاك الغلام
كلما رمت سلوا • لم يزل بين عياني

وقال

جنبني ما لصبك من مراد • سوي لا تدوم علي البعاد
فان كان ابتعادك بعد هذا • مقيما فالسلام علي فوادي

قال ابن سعيد وكان المذكور اذا غني هذه الاشعار اللطيفة علي الاوتار لم يبق لسامعه عند النوم من ثار • مع اخلاق كريمة • واداب كالشكاب الديمة انتهي • وقال ابن سعيد في ابي بكر محمد بن عمار البرغي كاتب ابن هود

القايل

القايل لمن بينه وحربا تحت رايات ابن هود الي اخر •

يا ابن عمار لقد • اجبت لي ذاك السميا
في حلي نظم ونثر • علقا من سمعيا
ولقد حزت مكانا • من ذري الملك عليا
مثل ما قد حاز لكن • عش بنعماك هنيا

وقال ابو بكر عبد الله بن عبد العزيز الاشبيلي المعروف بابن صاحب الرد

يا ابدع الخلق بلا مرية • وحبك فتنة الناظرين
لا سيما اذ تلتقي خطرة • يغلب الورد علي الياسمين
طوبي لمن قد زرته خاليا • فتنعم النفس ولو بعد حين
من ذلك الثغر الذي ورده • ما زال فيه لذة الشاربين
وما حوي ذاك الازار الذي • لم يعد عنه امل الزايرين

وهذه الابيات يقولها في غلام كان اديبا اشبيلية قد فتنوا به وكان مروره علي داره وحكي عنه انه اعطاه في زيارة خمسين دينارا ومرت ايام ثم صادفه عند داره فقال له اتريد ان ازورك ثانية فقال له لا يلدغ المومن من جحر مرتين وهذا الجواب علي ما فيه من قلة الادب وهتك حجاب الشريعة من اشد الاجوبة اصابة للغرض والله يسمح له فقد قال ابن سعيد في حقه انه بيته باشبيلية من اجل البيوت ولم يزل له مع تقلب الزمان ظهور وخفوت وكان اديبا شاعرا ذواقا لاطراف العلوم انتهي ومن المشهورين بالمجون والخلاعة بالاندلس مع البلاغة والبراعة ابو جعفر بن طلحة الوزير الكاتب وهو من بيت مشهور من جزيرة شقر من عمل بلنسية وكتب عن ولاة من بني عبد المومن ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب علي الاندلس وربما استوزره في بعض الاحيان قال ابن سعيد وهو ممن كان والدي يكثر مجالسته ولم استفد منه الا ما كنت احفظ في مجالسته وكان شديد التهور كثير الطيش ذاهبا بنفسه كل مذهب سمعته مرة وهو في محفل يقول تقيمون القيامة لحبيب والبحتري والمتنبي وفي عصركم من يهتدي الي ما لم يهتدوا اليه فاهوي له شخص له لحية واقدام فقال يا ابا جعفر فارنا برهان ذلك ما اظنك تعني الا نفسك فقال نعم ولم لا وانا الذي اقول ما لم يتنبه اليه متقدم ولا يهتدي لمثله متاخر •

يا هل تري اظرف من يومنا • قلد جيد الافق طوق العقيق
وانطق الورق بعيدانها • مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندي • في الارض الا بكوس الشقيق

فلم ينصفوه في الاستحسان وردوه في الغيظ الي اضيق مكان فقلت له يا سيدي هذا هو السحر الحلال فبالله الا ما زدتني من هذا النمط فقال

ادرها فالسماء قد رتعروسا • مضمخة الملابس بالغوالي
وخدا لروض احمر اصيل • وجفن النهر كحل بالظلال
وجيد الغصن يشرق في لآل • تضئ بهن اكناف الليالي

فقلت زد وعد فعاد والارتياح قد ملك عطفه • والتيه قد رفع انفه فقال

لله نهر عند ما زرته • عاين طرفي منه سحر الحلال
اذا صفح الظل به ليلة • وجال في الغصن شبه الخيال

فقلت زد فانشد

ولما ماج بحر الليل بيني • وبينكم وقد جدت ذكرا
اراد لقاءكم انسان عيني • فمد له المنام عليه جسرا

فقلت ايه فقال

ولما ان راي انسان عيني • بصحن الخد منه غريق ماء
اقام له العذار عليه جسرا • كما مد الظلام على الضياء

فقلت اعد فعاد وقال حسبك لئلا تكثر عليك المعاني فلا تقوم بحق فيهما

وانشد

هات المدام اذا رايت شبيهها • في الافق يا فردا بغير شبيه
فالصبح قد ذبح الظلام بنصله • فغدت تخاصمه الحمايم فيه

انتهي ثم قال وكان قد تهتك في غلام لابن هود ولكثرة انهزام ابن هود ربما انهزم مع العلج **وفيه يقول**

الفت الحرب حتي علمتني • مقارعة الحوادث والخطوب
ولم اك عالما وابيك حربا • بغير لواحظ الرشا الربيب
فها انا بين تلك وبين هادي • مصاب من عدو او حبيب

ولما هرب بالعلج الي سبتة احسن اليه القايم بها ابو العباس الينشتي فلم يقنع بذلك الاحسان وكان يا تي بما يوغر صدره فقال يوما في مجلسه رميت مرة بقوس فبلغ السهم الي كذا فقال ابن طلحة لشخص بجانبه لو كان قوس قزح ما بلغ كذا فسمع بقوله

سمعنا بالموفق فارتحلنا • وشافعنا له حسب وعلم
ورمنا يا اقبلنا واخري • اعيش بفضلها ابدا واسمو
فانشدنا لسان الحال فيه • يدسلا وامر لا يتم

فزاد في حنقه وبقي مترصدا له الغوايل فحفظت عنه ابيات قالها وهو في حالة استهتار في شهر رمضان وهي •

يقول اخو الفضولة قد رانا • علي الايمان يغلبنا المجون
اتنتهكون شهر الصوم ملا • حماه منكم عقل ودين

فقلت

فقلتا صحب سوانا نحن قوم • زنادقة مذاهبنا فنون
ندين بكل دين غير دين الر • عاع فما به ابدا ندين
نحي علي الصبوح الدهر ندعوا • وابليس تقول لنا امين
فيا شهر الصيام اليك عنا • اليك ففيك اكفر ما نكون

فارسل اليه من يجر عليه وهو علي هذه الحالة واظهر انه يرضي العامة بقتله فقتله وذلك سنة ٦٣١ انتهي وحاكي الكفر ليس بكافر • والله لذلات غير الكفر غافر

وقال محمد بن احمد الاشبيلي ابن المنيا •

كانك من جنس الكواكب كنتم • يعتك طلوعا حالها وتواريا
تجليت من برق تروق تلالا • فلما انتحيت الغرب اصبحت هاويا

ولما امر المستنصر الموحدي بضرب ابن غالية الداني السوط وصلبه وضرب باشبيلية خمسماية فمات وضرب بقية الالف حتي تناثر لحمه ثم صلب قال ابنه ابو الربيع يرثيه

جملا لملك ان يبكي لها قدرا • وان يقول اسايا ليته قبرا
فاضت دموعك اذ قاموا باعظمه • وقد تطاير عنه اللحم وانتثرا

ومنها

ضاقت به الارض ممن كان حملها • من الايادي فجت شلوه ضجرا
وعزا • ك ان يحظي به كفن • فما تربل الا الشمس والقمرا

وقال ابو العلي عبد الحق المرسي رحمه الله

يا ابا عمران دعني والذي • لم يمل في خاطري الا اليه
ما ندمي عز من تخدمني • لا الذي يجلسني بين يديه
يرفع الكلفة عني ويري • انها واجبة مني عليه

وقال ابن غالب الكاتب بمالقة •

لاتخش قولا قد عقدت الالسنا • وابعث خيالك قد سحرت الاعينا
واعطف علي فان روحي زاهق • وانظر الي بنظرة ان امكنا
لا يخدعنك ان تراني لابسا • ثوبي فقد اصبحت فيه مكفنا
ما زال سحرك يستميل خواطري • بارق من ما الصفا او البينا
حتي غدوت بسحر حب زاجر • فرمت بي الامواج في شط الفنا

وقال

ما للئيم لدي الاصيل عليلا • انراه يشكو ازفرة وغليلا
جر الذيول علي ديار احبتي • فاتي يجر من السقام ذيولا

وقال ابو عبد الله بن عسكر الغساني قاضي مالقة

اهواك يا بدر واهوي الذي • يعذلني فيك واهوي الرقيب

ما ان تنصّرت ولكنني • اقول بالتثليث قولا عجيب
يطابق الالحان والكاس اذ • تبسم عجبا والغزال الربيب

وكان ابو امية بن عفير قاضي اشبيلية مع براعته وتقدمه في العلوم الشرعية اقوى الناس بالعلوم الادبية المرعية وقد اشتهر بسرعة الخاطر في الارتجال وعدم المماطلة في ذلك المجال قال ابن سعيد رايت كثيرا ما يصنع المقطعات وهو يتحدث ويفصل بين الخصما في اكثر الاوقات ومن شعره

ديار سمي بغصب عيني • وليس لي وصلة اليها
الا سلامي لذي ابتعاد • من بعد شكواها عليها

وقوله

ووجنة تسرق الابصار فيه • ولكن يترك الارواح هيما
اتاني ثم حياني حبيب • به وابا حني الخد الرقيما
فسر لنا بخوت في فنون • سلكت به الصراط المستقيما

قلت اما مجرد الارتجال فامر عن الكثير صادر واما كونه مع التحدث وفصل الخصومات فهو نادر وقد حكينا في هذا الكتاب من القسم الاول موارد ومصادر ويعجبني من الواقع لاهل المشرق في ذلك قضية ابن ظافر اذ قال بت ليلة والشهاب يعقوب بن اخت نجم الدين في منزل اعترفت له مشيدات القصور • بالانخفاض والقصور • وشهدت له ساميات البروج • بالاعتلاء والعروج • قد ابيضت حيطانه • وطاب استيطانه • وابتهج بسكانه وقطانه • والبدر قد محا خضاب الظلماء • وجلا محياه في زرقة قناع السماء • وكسى الجدران ثيابا من فضته ونثر كافوره على مسك الثرى بعد ان سحقه ورضه • والروض قد ابتسم محياه • ووشت باسرار محاسنه رياه • والنسيم قد عانق قامات الاغصان فقبلها • وعقيقها مباسم نورها فقبلها • وعندنا مغن قد وقع على تفضيله الاجماع • وتغاير على محاسنه الابصار والاسماع • اذ بدا فالشمس طالعة • وان شدا فالورق ساجعة • تغازله مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه • وقابله فقلنا البدر قابل عيوقه • وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب • ويستجيش عليه بتناوح بارقه الموشى بالذهب • ويديم حرقته وسهده • ويبذل في اطفائه طاقته وجهده • فتارة يفضحه بخلوقه • وتارة يجليه بعقيقته • واونة يكسوه اثواب شقيقته • فلم يزل كذلك حتى نفس طرف الصباح • واستيقظ نائم الصباح • فصنعت بديها في المجلس وكتبت بها الى الاعز بن المؤيد رحمه الله اصف تلك الليلة التي ازرت على ايام الاعياد • كازدراء الروس على الاجياد • بل فضلت ليالي الدهر كفضل البدر على النجوم الزهر •

غنت

غبت عني يا ابن المؤيد في • وقت شهي يلهي المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجدران • ثوبا مفضضا منموقا
وغدا الظل فيه ينثر كافو • را فيغدو مسك التراب سحيقا
وبدا النسيم يعتنق الاغـصان • لما سرى عناقا رقيقا
بت فيها منادما للصديق • ظل بين الانام خلا صدوقا
هو مثل الهلال وجها صبيحا • ومثال النسيم ذهنا دقيقا
وغزال كالبدر وجها وغصن البان • قدا والخمر عرفا وريقا
مظهر للعيون ذا فاه ميلا • وحشانا حلا وقدا رشيقا
ان تغنى سمعت داود ولا • ح تاملت يوسف الصديقا
واذا قابل السراج راينا • منه بدرا يقابل العيوقا
والظن الصباح هام بمراه • فابدى قلبا حرينا خفوقا
فهو نجم ما لاح في الجو كافور • ببياض لا كساه خلوقا
ما بدا ارجس الكواكب الا • قام في نومه يريننا الشقيقا
واذا ما ابدت جواهرها في • الجو بدوا في الارض منهم عقيقا
فغدونا تحت الدجى نتعاطى • من رحيق الاداب خمرا رحيقا
وجعلنا ريحاننا طيب ذكراك • فخلناه عنبرا مفتوقا
ذاك وقت لولا مغيبك عنه • كان بالمدح والثناء خليقا

قال فاجابني عنها على الوزن دون الروي

قد اتتني من الجمال قصيدة • يا لها من قصيدة عذراء
جمعت رقة الهوى وطيب المسك • في سبكها وصفو الماء
فاز نشاط عبره وشذاه • والذي حاز ذهنه من ذكاء
سيدي هل جمعت فيها اللآلي • يا اخا المجد ام نجوم السماء
ألجمتني حسنا وحقا ايا ديك • التي لا تعد بالاحصاء
فتركت الجواب والله عجزا • فابسط العذر فيه يا مولاي
هل يسامي الثرى الثريا واني • يدعي النجم فرط نور ذكاء

انتهى ورجع الى اهل الاندلس وقال ابن الشماد

اياك ان تكثر الاخوان مغتنما • في كل يوم الى ان يكثر العدد
في واحد منهم تكفي الوداد له • من التكاليف ما يعيي به الجلد

وله

يحن ذكا بي نحو ارض وما لها • وما لي من ذاك الحنين سوى الهم
وكم راغب في موضع لا يناله • وامسيت منه مثل يونس في اليم

بهذا قضى الرحمن في كل ساخط • يموت على كره ويحيى على رغم
ولما قام الباجي باشبيلية وخلع طاعة ابن هود • وابدل شعاره الاسود العباسي
في البنود قال ابو محمد عبد الحق الزهري القرطبي في ذلك
كانما الراية السودا قد نعبت • لهم غرابا ببين الاهل والولد
مات الهوى تحتها من فرط روعته • فاظهر الدهر منها لبسة الكمد
وانشد مما القايم الباجي في جملة قصيدة • وقال الوزير ابو القاسم اسماعيل
ابن حجاج الاعلم الاشبيلي •
اشبي الفراش يطوف حول كوسنا • اذ خالنا نختال الدجى قنديلا
مازال يخفق حولنا بجناحه • حتى رمته على الفراش قتيلا
وله
لاموا على حب الصبوح الكاس • لما بدا وضح المشيب براسي
والغصن احوج ما يكون لسقيه • ايام يبدو بالازاهر كاسي
وله وقد راى على نهر قرطبة ثلاثين نفسا
مصلوبين من قطاع الطريق •
ثلاثون قد صمعوا احبلهم • وقد فتحوا اذرعا للوداع
وما ودعوا غير ازواجهم • فكان وداعا لغير اجتماع
وله في فتى وسيم عض كلب وجنته
واغيد وضاح المحاسن باسم • اذا قاس الادواح ناظر قمر
تعمد كلب عض وجنته التي • هي الورد ايناعا وابقى بها اثر
فقلت لهم لا فرق كيف ما كم • وقد اثر العوا في صفحة القمر
وقال الفقيه ابو الحجاج يوسف بن محمد البياسي المورخ الاديب المصنف
الشهير وكان حافظا لنكت الاندلسيين حديثا وقديما ذاكرا الفكاهاتهم
التي صيرته للملوك نديما وخليلا • في صبي من اعيان الجزيرة الخضرا تهافت
في حبه جماعة من الادبا والشعرا وكان من القوم الذين هاموا بالمذكور وقاموا
فيه المقام المشهور اذ بيت بيات لذا الغار فتسلط على البياسي حتى سافر
من الجزيرة وكان يلقب بالنط •
عذرت ابا الحجاج من رب شيبة • غدا لابسا في الحب ثوبا من العار
والجاه الغار المنادك للنوى • ولم ار قطا قبله فر من فار
وله
فسلوتا عن الذي تدريه • وجفوناه اذ جفا بالتيه
وتركناه صاغرا لاناس • خدعوه بالزور والتمويه

اصل

٣
اصل بسوقه المصل • وسفينه بعوده لسفينه
وله وقد كتب الى بعض اصحابه يذكره بالايام السوالف
اباحسن لعمرك ان ذكري • لايام النعيم من الصواب
امثلي ليس يذكر عهد حمص • وقد جمحت بنا خيل التصابي
ونحن نجر اثواب الاماني • مطرزة هنالك بالشباب
وعهد بالجزيرة ليس ينسي • وانا غفلته عند الخطاب
نوالاحلى لذي ما ان تحابي • عن العسل اجتماع للذباب
وسار الى المحبوب وكان كثير الاجتماع به في جنة لوالده على وادي العسل وقال
جنة وادي العسل • كم لي بها من امل
لو لم يكن ذبابها • يمنع ذوق العسل
قال ابن سعيد ولما التقينا بتونس بعد ايابي من المشرق وقد دبج كلام الشعر
على وجهه المشرق قلت لابي الحجاج مشيرا الى محبوبه وقد غطى هواه على عيونه
خل ابا الحجاج هذا الذي • فقد كنت فيه دايم الوجد
وانظر الى لحيته واعتبر • مما جنى الشعر على الخد
والله يسمح للجميع في هذا الهزل الشنيع • ويتجاوز عنا في ذكره انه مجيب سميع وقال
صاحب البدايع • وركب الاستاذ ابو محمد بن صارة مع اصحاب له في نهر اشبيلية
في عشية سال اصيلها على لجين الما عقيانا • وطارت زواريقها في سماء النهر
عقبانا وابدى نسيمها من الامواج والدارات سرورا واعكانا في زورق يحول
جولان الطرف ويسود اسوداد الطرف فقال بديها •
تامل حالنا والجو طلق • محياه وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذرا حبلي • تجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسجنجل كوثري • تعبس وجهها فيه السما
وانفق اذ وقف ابو اسحاق بن خفاجة على القطعة فاستظرفها واستطابها
فقال ليعارضها على وزنها ورويها وطريقتها •
الا يا حبذا ضحك الحميا • بحانتها وقد عبس المسا
وادهم من جياد الما مهر • تنازع جله ريح رخاء
اذا بدت الكواكب فيه غرقى • رايت الارض يحسدها السما
انتهى وقال الاديب بن خفاجة في ديوان صاحب في صفر من العرب سنة
٣٨٤ ابا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد وكان ابو جعفر بن رشيق
يومئذ قد تمنع ببعض حصون مرسيه وشرع في النفاق فقطع السبيل واخاف
الطريق ولما حاذينا قلعته وقد اخذت جرة البحر وملا الركبة سيه وذميله

واخذ كل منا يرتاد متيله • اتفقنا على ان نطعم طعامًا • ولا نذوق منامًا • حتى نتولى في صورة تلك الحالة • وذلك الترحال ما حضر وشا الله ان احل ابن وهبون واعتذر واخذت عفو خاطري • فقلت ارتبض به واعرض بعظم لحيته

الا قل للمريض القلب مهلًا • فان السيف قد ضمن الشفاء
ولم ارَ كالنفاق شكاة عز • ولا كدم الوريد له دواء
وقد دحي النجيع هناك ارضًا • وقد شمل العجاج به سماء
ودبت به الخطاطيط واد • فداعب شعر لحيته صنراء

وقال ابن خفاجة ايضًا حضرت يومًا مع اصحاب لي ومعهم صبي منهم في نفسه واتفق انهم تحاوروا في تفضيل الرمان على العنب فانبرى ذلك الصبي فافرط في تفضيل العنب فقلت بديهًا اعبث به

صلى لك الخير • بزمانه لم تنتقل عن كرم العهد
لا عنبًا امتص عنقوده • ثديًا كاني بعد في المهد
وهل يرى بينهما نسبة • من عدل الحصبية بالنهد

فخجل خجلًا شديدًا وانصرف قال وخرجت يومًا بشاطبة الى باب السمادين ابتغا الفرجة على جزيرة ذلك الماء بتلك الساقية وذلك سنة ٨٠ ع واذا بالفقيه ابي عمران بن ابي تليد رحمه الله قد سبقني الى ذلك فالفيته جالسًا على دكان كانت هنالك مبنية لهذا الشان فسلمت عليه وجلست اليه متانسا به فجرى تناشد تناشدناه ذكر قول ابن رشيق •

يا من يمر ولا تمر • به القلوب من الفرق
بعمامة من خده • او خده منها استرق
فكانه وكانها • قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى • واذا شدا واذا نطق
شغل الخواطر والجوارح • والمسامع والحدق

فقلت وقد اعجب بها جدًا • واثنى عليها كثيرًا احسن ما في القطعة سياقة الاعداد والافانت نزاه قد استرسل فلم نتابل بين الفاظ البيت الاخير والبيت الذي قبله فينزل بازا كل واحدة منها ما يلايمها وهل ينزل بازاء قوله واذا نطق قوله شغل الحدق وكان زعمي التولي في مداغاية الجهد فقلت بديهًا

ومهفهف طاوي الحشى • خنث المعاطف والنظر
ملا العيون بصورة • تليت محاسنها سور
واذا رنى واذا مشى • واذا شدا واذا سفر
فضح الغزالة والغمامة • والحمامة والقمر

فحزبها

فحزبها استحسانًا انتهى قال ابن ظافر والقطعة القافية لبيت لابن رشيق بل هي لابي الحسن بن علي بن بشر الكاتب احد شعراء اليتيمة وكان بين التميمي الشاعر وبين بعض رؤسا المرية واقع لمدح مدحه فلم يجز عليه فصنع ذلك الرجل دعوة للمعتصم بن صمادح صاحب المرية واحتفل فيها بما يحتفل مثله في دعوة سلطان مثل المعتصم فصبر التميمي الى ان ركب السلطان متوجهًا الى الدعوة توقف له في الطريق فلما حاذاه رفع صوته بقوله •

يا ايها الملك الميمون طائره • ومن لذي مأتم في وجهه عرس
لا تفترس طعامًا عند غيركم • ان الاسود على الماكول تفترس

فقال المعتصم صدق والله ورجع من الطريق وفسد على الرجل ما كان عمله ونظير هذه الحكاية ان عباد بن الحريش كان قد مدح رجلًا من كبار اصبهان ارباب الضيع والاملاك والتبع الكثير فمطله بالجائزة ثم اجازه بما لم يرضه فرده عليه وبعد ذلك بحين عمل الرجل دعوة غرم عليها الوف دنانير كثيرة لابي دلف القاسم ابن عيسى العجلي على ان يجي اليه من الكرج ووصل ابو دلف فلما وقعت عين عباد عليه وثم وثب بين بعض خواصه واوما الى ذلك التاير وانشد باعلى صوته

قل له يا فدينه • قال عباد ذا سمح
جئت في الف فارس • لغداء من الكرج
ما على النفس بعد ذا • في الدناءات من حرج

فقال ابو دلف وكان اخوف الناس من شاعر صدق والله اجي من الكرج الى اصبهان حتى اتغدى بها والله ما بعد هذا في دناءة النفس من شي ثم رجع من طريقه وفسد على الرجل كل ما غرمه وعرف من ابن ابي وتخوف ان يعود عباد عليه بشر منها فسير اليه جايزة سنية مع جماعة من اصحابه فاجتمعوا به فسالوه فيه وفي قبول الجايزة فلم يقبل الجايزة ثم انشد بديهًا

ومنيت يا قوم لكم عرضه • فقالوا لو اجزاك الله خيرًا فقال
كرامة للشعر لا للفتى • لانه اخل من ذرة • على الذي يجمعه في الثنا

انتهى وذكر ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي ما معناه انه عزم بمصر هو ورفقة له على الاصطباح فقصدوا بركة الحبش • في وقت ولاية العيش وحلوا منها روضًا بسم زهره • وتبسم غطره • فاداروا كوسًا • تطلع من المدام شموسًا وعايثوها نجومًا • فطرب حتى اظهر الطرب نشاطه • وابرز ابتهاجه والبساطة فقال •

لله يومي ببركة الحبش • والجو بين الضيا والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب • كصارم في يمين مرتعش

ونحن في روضة مفوفة • دبج بالنور عطفها ووشي
قد نسجتها يد الغمام لنا • فنحن من نورها على فرش
فعاطني الراح ان تاركها • من سورة الهم غير منتعش
وسقني بالكبار مترعة • فهن اروى لشدة العطش
فاثقل الناس كلهم رجل • دعاه داعي الصبا فلم يطش

وهذا ابو الصلت امية من كبراء ادباء الاندلس العلماء الحكماء وقد ترجمناه في الباب الخامس في المرتحلين من الاندلس الى المشرق وقال رحمه الله كنت مع الحسن ابن علي بن تميم بن المعز بن باديس بالمهدية في الميدان وقد رشق يرمي بالنشاب فصنعت فيه بديهتها •

يا ملكا مذ خلقت كفه • لم تدر الا الجود والباسا
انا النجوم الزهر مع بعدها • قد حسدت في قربك الناسا
وودت الاملاك لو انها • تحولت تحتك افراسا
كما تمنى البدر لو انه • عاد لنشابك برجاسا

انتهى وصنع الوزير ابو جعفر احمد الوقشي وزير الرئيس ابي اسحاق بن همشك صهر الامير ابي عبد الله محمد بن مردنيش في غلام اسود في يده قضيب نور بديهتها

وزنجي اتى بقضيب نور • وقد زفت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفها • فقلت الليل اقبل بالنجوم

ولما افرط ابو يحيى اليكي في هجاء اهل فاس تعسفوا عليه وساعدهم والبهم مظفر الخصي من قبل امير المسلمين علي بن يوسف والقائد عبد الله بن خيار الجياني وكان يتولى امور السلطانية بها فقدموا رجلا ادعى عليه بدين وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتي ورجل اخر يكنى بابي الحسين من مشايخ البلد فاثبت الحق عليه وامر به الى السجن فرفع اليه وسيق سوقا عنيفا فلما وصل الى باب طلب ورقة من كاتبه وكتب فيها وانفذها الى مظفر مع العون الذي اوصله الى السجن فكان ما كتب

ارشوا الزناتي الفقيه ببيضة • ليشهد بان مظفرا ذو بيضتين
واعدوا اليه دجاجة بخلفكم • ما نال عبد الله غير ابي الحسين

وقال ابو الحسن علي بن عتيق بن مومن القرطبي الانصاري عملها الذي كملا للكتب من قضبان تشبه سلما فدخل عليه ابو محمد عبد الله بن سعيد فراه فقال ارتجالا

ايها السيد الذكي الجنان • لا تغنني بسلم البنيان
فضل شكلي على السلالم اني • محمل للعلوم والقران
حزت من حلية المحبين ضعفي • واصفراري ورقة الابدان
فادع للصانع المجيد بفوز • ثم والِ الدعاء للاخوان

ثم عمل ايضا

ايها السيد الكريم المساعي • التفت صنعتي وحسن ابتداعي
انا للنسخ محمل خف حملي • انا في الشكل سلم الاطلاع

وقال احمد بن رضي المالقي •

ليس المدامة مما استريح له • ولا مجاوبة الاوتار والنغم
وانما الذي كتب اطالعها • وخادمي ابدا في نصرتي قلمي

وقال ابو القاسم الباوي الاشبيلي

لمن اشكو مصابي في البرايا • ولا القى سوى رجل مصاب
اما في الدهر من فتى لبيب • باشراري فيونس بالجواب
بيئست من الانام فما جليس • يعز علي نهائي سوى كتابي

وقال ابو زكريا يحيى بن صفوان بن ادريس صاحب العجالة وزاد المسافر وغيرهما

ليت شعري كيف انتم • وانا الصب المعنى
كل شيء لم تكونوا • فيه لفظ دون معنى

وله في نصراني وسيم لقيته يوم عيد •

تو حد في الحسن من لم يزل • يثلث والقلب في صده
يشف لك الماء من كفه • ويقتدح النار من خده

وهذان البيتان يشبههما له بعض معاصريه وابو صفوان سابق الميدان وقال ابن بسام سار ابن عمار في بعض اسفاره غلامان من بني جهور احدهما اشقر العذار والاخر اخضر فجعل يميل بحديثه للمخضر العذار ثم قال ارتجالا

تعلقته جوهري النجار • حلو المجاجة حري الثنايا
من النفر البيض جروا الزمان • رقاق الحواشي كرام السجايا
ولا عرو ان تغرب الشارقات • وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل الا جمان الحديث • تساقط من ظهور المطايا
شنئت المثلث للزعفران • وملت الى الخضرة في الثنايا

انتهى ومعناه ان ابن عمار ابغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الاشقر منهما واحب خضرة الثنايا وهو لون طعام يعمل بالكزبرة لشبهها بعذار الاخضر منهما وقال ابو العرب بن معيشة الكناني السبتي اخبرني شيخ من اهل اشبيلية كان قد ادرك دولة ال عباد وكان عليه من اثار الكبر السن ودلايل التميز ما يشهد له بالصدق وينطق بان قوله الحق قال كنت في صباي حسن الصورة بديع الخلقة لا تلمحني عين احد الا ملكت قلبه • وخلبت لبه • وسلبت لبه • واطلت كربه • فبينما انا واقف على باب دارنا اذا بالوزير ابي بكر بن عمار قد اقبل في موكب زجل

على فرس كالصخرة الصماء قدت من قنة الجبل فحين حاذى الي وراى اسراب الى ينظرني
ونهت تياتلني بعد دفع لمحضرة كانت بيدي في صدري وانشد

كنت بهذا النهر عني • فبقلبي منه جرح
هو في صدرك نهد • وهو في صدري رمح

وعن في البدايع على طريقة التلاكيد بما صورته • ذكر الفتح بن خاقان
ما هذا معناه اجرى ذو الوزارتين ابو المطرف عبد العزيز بن حضر عند المؤتمن
ابن هود في يوم اجرى الجو فيه اشقر برقه • وادرى بنبل ودقه • وحلت الرياح فيه
اوقار السحايب على اعناقها • وتمايلت قامات الاغصان في الحلل الخضر من اوراقها
والازهار قد فتحت عيونها • والكمايم قد ظهرت مكنونها • والاشجار قد انفتلت
بالنطر • ونشرت ما يفوق الوان التبر • وبثت ما يعلو العطر والراح قد اشرقت
نجومها في بروج الراح • وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومذكرها
قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه • والجلنار قد هاحسنا فتكلل بعرق حبابه • اذا بفتى
رومي من اصبح فتيان المؤتمن قد اقبل متدرعا كالبدر احتجب سحابا • والحسام اكتست
حبابا • والطاوس انقلب حبابا • هو ملك حسنا الا انه جسد • وغزال لينا
الا انه في هيئة الاسد • وقد جاء بريدا بنشارة المؤتمن في الخروج الى موضع كان عول
فيه عليه • وامر ان يتوجه اليه • فحين وصل الى حضرته لمحه ابن عمار والسكر قد
استحوذ على لبه • وانبثت سراياه في ضواحي قلبه • فاشار اليه وقربه واستدعى
ذلك اللباس واستغربه • وجد في ان يستخرج تلك الدرة من ما ذلك الدلاص
وان يحلي عنه ما يحلي الخبث عن الخلاص • وان يوفر عن ذلك لو فرنعم حسنه ويكون
هو الساقي على عادته القديمة ورسمه • فامر المؤتمن بقبول امره وامتثاله فحين
ظهرت تلك الشمس من حجبها • ورمت شياطين النفوس من كميت المدام بشهبها
ارتجل ابن عمار

وهويته يسقي المدام كانه • قمر يدور بكوكب في خندس
متارج الحركات يندي عطفه • كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسقي بكاس في انامل سوسن • ويدير اخرى من محاجر نرجس
يا حامل السيف الطويل نجاده • ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس • خشن القناع على عذار املس
جهم وان حسر القناع فانما • كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب في دلال عذاره • كالمهر يلعب في اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا • وسطا بليث الغاب ليث الكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة • حوراء قايمة بسكر المجلس

وصنع

وصنع فيه ايضا

واحور من ظبياء الروم عاط • بسالفتيه من دمعي فريد
قسا قلبا وشن عليه درعا • فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا وناي رضاه • وقد يبكي من الطرب الجليد
وان في يمكنه برق • واحرز حسنه الفتى سعيد

انتهى وقال في البدايع مؤلفه ما نصه خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية
يوما الى بعض منتزهاته بنخل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج وتنفست
عن مسكها الاريج • وماست معاطف اغصانها • وتكللت بلولو الطل اجياد
قضبانها • فتشوق الى الوزير ابي طالب بن غانم احد كبراء دولته • وشيوخ حضرته
فكتب اليه بيديه بورقة كرنب من شجرة

اقبل ابا طالب الينا • واسقط سقوط الندى علينا

وجلس المعتصم بن صمادح المذكور يوما وبين يديه ساقية قد اجهرت ببردها
حر الاوار والتوى ماؤها فيها التوا قضبة السوار • فقال ارتجالا

انظر الى الماء كيف انحط في صببه • كانه ارقم قد جد في هربه

وقال السميسر

بعوض شر بني دمي فهنوة • وغنيني بضروب الاغاني
كان عروقي اوتار دهن • وجسمي الرباب ومنها الغناني

قيل واخس منه قول ابن شرف القيرواني

لك مجلس كملت شرور لهونا • فيه ولكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب فظل يزمر حوله • فيه البعوض ويرقص البرغوث

والسابق الى هذا المعنى ابو احمد بن ايوب من شعراء اليتيمة اذ قال

لا اعذل الليل في تطاوله • لو كان يدري ما نحن فيه نقص
لي والبراغيث والبعوض اذا • اجنتنا حندس الظلام قصص

ونحو هذا قول الحصري فيما نسب اليه ابن دحية

ضاقت بلنسية بي • وذاد عني غموضي
رقص البراغيث فيها • على غناء البعوض

رجع الى اهل الاندلس فنقول كان ابن سعد الخير البلنسي الشاعر كثير الذهول
مفرط النسيان ظاهر التغفل على جودة نظمه • ورطوبة طبعه • وكان كثيرا ما
يسلك سكة الاشكافيين الذين يعملون الخفاف على بغلة له • فاتخذت البغلة
النفور من اطراف الادم وفضلات الجلود الملقاة في السكة عادة لها واتفق
ان عبر في السكة عادة لها واتفق ان عبر في السكة راجلا ومعه جماعة من اصحابه

فلما راي الجلود الملقاة قفز ووثب راجعا علي عقبيه فقال له اصحابه ما هذا
ايها الاستاذ فقال البغلة نفرت فعجبوا من تخلفه وتغفله كيف ظن مع ما يتأ
من الم الشي ونصبه لتعب انه ادرك ان حركة الاختيارية منه حركة الدابة الضرور
له فكان تغفله ربما اوقعه في تهمة عند من لم يعرفه فاقترح عليه بعض الامرا
ان يصنع بيتين اول احدهما كاب واخره ذيب واول الاخر جوارح واخره انابيب فصنع
بديهيا •

كاب بجيع لاح في حومة الوغي • وقارنه نسر هنالك او ذيب
جوارح اسليه حروف ورمحا • لولته من نقط الطعان انابيب

وقال الحميدي ذكرلي ابو بكر المرواني انه شاهد محبوبا الشاعر النحوي قال
بديهة في صفة ناعورة •

وذات حنين ما تغيض جفونها • من اللجج الخضرا الصوافي علي شط
تبكي فتحيي من دموع جفونها • رياضا تبدت بالازاهر في بسط
فمن احمر قان واصفر فاقع • وازهر مبيض وادكن مشمط
كان طوقا لما بين فوق متنها • لالي جمان قد نظمن علي قرط

وقال ابو الخطاب بن دحية دخلت علي الوزير الاجل ابي بكر عبد الرحمن بن محمد
ابن مغاور السلمي فوقع الكلام في علوم لم تكن من جنس فنونه فقال بديهيا

ايها العالم ادركني سماحا • فلمثلي يحق منك السماح
ان تخلني اذا نطقت جبيا • فبناني اذا كتبت وقاح
احرز السبق في نظام ونثر • لم انثني وفي العنان جماح
فيهز لكما تاود غصن • ويجد كما تهز الصفاح

وقال دخلت عليه بمنزله بشاطبة في اليوم الذي توفي فيه وهو يجود بنفسه

فانشد بديهيا

ايها الواقف اعتبارا بقبري • استمع فيه قول عظمي الرميم
اودعوني بطن الضريح وخافوا • من ذنوب كلومها بادمي
اودعوني بما اكتسبت رهينا • غلق الرهن عند مولي كريم

وقال ابن طوفان دعا ابي ابا الوليد النحلي فلما فضوا وطرهم من الطعام
سقيتهم وجعلنا نرع الكاسات فلما مشت في النحلي سورة الحميا ارتجل لابن طوفان

اياد قل فيها مشبهوه • ملا الكاسات حتي قيل في البيت ابوه

ونظيره قول المتنبي من شعرا الذخيرة في الشاعر ابن الفرا

فاذا ما قال شعرا • نفقت سوق ابيه

وذكر في بدايع البداية ان جماعة من الشعرا في ايام الافضل خرجوا متنزهين

الي

الي الاهرام ليروا عجايب مبانيها • ويتاملوا ما سطر الدهر من العبر فيها
فاقترح بعض من كان معهم العمل فيها فصنع ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي

بعيشك هل ابصرت اعجب منظرا • علي ما رات عيناك من هرمي مصر
انافا باعنان السماء واشرفا • علي الجو اشراف السماك او النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا • كانهما نهدان قاما علي صدر

وصنع ابو منصور ظافر الحداد

تامل هباة الهرمين وانظر • وبينهما ابو الهول العجيب
كعماريتين علي رحيل • بمحبوبين بينهما رقيب
وفيض النيل عندهما دموع • وصوت الريح بينهما نحيب

انتهي وقال ابن بسام كان للمتوكل بن الافطس فرس ادهم اغر محجل علي كفله ست
نقط بيض فندب المتوكل الشعرا لصفته فصنع النحلي ابو الوليد فيه بديهيا

ركب البدر جوادا ساجيا • تقف الريح لادني مهله
لبس الليل قميصا سابغا • والثريا نقط في كفله
وغدير الصبح قد خيض به • فبدا تحجيله من بلله
كل مطلوب وان طالت به • رجله من اجله في اجله

ثم ابتدر الشعرا بعد ذلك العمل فيه فصنع ابن اللبانة

لله طرفك جال يا ابن محمد • فحكيت به خوبا وه الناميلا
لما راي انا الظلام اديمه • اهدي لاربعه الهدي تحجيلا
وكانما في الردف منه باسم • يبغي هنالك الرجلة تقبيلا

وقال فيه ابو عبد الله بن عبد البر السنتريني من قطعة

وكانما عمر علي صهواته • قمر تسير به الرياح الاربع

ويعني بعمر المتوكل المذكور لان اسمه عمر وقال احمد بن عبد الرحمن بن الصقر
الخزرجي قاضي اشبيلية •

لله اخوان تناءت دارهم • حفظوا الوداد علي النوي وتخانوا
يهدي لنا طيب الثنا ودادهم • كالند يهدي الطيب وهو دخان

وحكي ان ايوب بن سليمان السهيلي المرواني حضر يوما عند ابن باجة
والشاعر ابو الحسن بن جودي هناك فتكلم المرواني بكلام ظهر فيه نبل
وادب فتشوق ابو الحسن بن جودي لمعرفته وكان اذ ذاك فتي السن فقال له
من انت اكرمك الله فقال هلا سالت غيري عني فيكون ذلك احسن للادب
والي توقيرا فقال ابن جودي قد سالت من المعرف عنك فلم يعرفك فقال يا هذا
لطالما مر علينا زمان يعرفنا من يجهل • ولا يحتاج من راتا فيه الي ان يسال

واطرق ساعة ثم رفع راسه وانشد •

انا ابن الاولى قد عوض الدهر عزهم • بذل وفلوا واستحبوا التنكرا
ملوك على من الزمان بمشرق • وغرب دهاهم دهرهم وتغيروا
فلا تذكرنهم بالسوال مصابهم • فان حياة الرزءات بتذكرا

فتفطن ابن جودي انه من بني مروان فقام وقبل راسه واعتذر اليه ثم انصرف المرواني فقال ابن باجة لابن جودي يا بنا ادبك بعد ما عهدت منك كيف تتعدا الى رجل في مجلسي تراني قد قربته واكرمته وخصصته بالاصغا الى كلامه فتقدم عليه بالسوال عن نسبه فاحذر ان تكون لك عادة فانها من اسوا الادب فقال ابن جودي لم ازل من الشيخ على ما قاله ابو تمام ناخذ من ماله ومن ادبه وحكي ان بكار المرواني لما ترك وطنه وخرج في الجهاد وقتل قال الصاحب السقط انه اجتمع به في اشبونة فقال فقصدت منزله بها ونقرت الباب فنادى من هذا فقلت رجل ممن يتوسل لرؤياك بقرابة فقال لا قرابة الا بالتقى فان كنت من اهله فادخل والا فتنح عني فقلت ارجو في الاجتماع بك والاقتباس منك ان اكون ممن اهل التقى فقال ادخل فدخلت عليه فاذا به في مصلاه وسبحة امامه وهو يعيد حبوبها ويسبح فيها فقال لي ارفق علي اتم وظيفتي من هذا التسبيح وانفض حقك فقعدت الى ان فرغ فلما قضى شغله عطف علي وقال ما القرابة التي بيني وبينك فانتسبت له فعرفني وترحم علي ابيه وقال لقد كان نعم الرجل وكان لديه ادب ومعرفة فهل لديك انت مما كان لديه شي فقلت انه كان ياخذ بالقراءة وتعلم الادب وقد تعلقت من ذلك بما امتزته فقال لي هل تنظم شيا قلت نعم وقد الجاني الدهر الى ان ارتزق به فقال يا ولدي ان بيسما يرتزق به ونعم ما يحلى به اذا كان على غير هذا الوجه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولكن تحل الميتة عند الضرورة فانشدني اصلحك الله مما على ذكرك من شعرك قال فطلبت بخاطري شيا اقابله به مما يوافق حاله فاوقع لي الا فيما لا يوافقه من مجون ووصف خمر وما اشبه ذلك فاطرقت قليلا فقال لعلك تنتظم فقلت لا ولكني افكر فيما اقابلك به فقال لي اكثر فيما حملني عليه الصبا والسخف وهو لا يليق بغير مجلسك فقال يا بني ولا هذا كله انا لا نبلغ من تقوى الله الى حد نخرج به عن السلف الصالح واذا صح عندنا ان عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومفسر كتاب الله تعالى ينشد مثل قول القايل • اذ يصدق الطير ننل عيشا نمرحتى نابى مثل هذا والله لا انشد عن السلف الصالح انشدني ما وقع لك غير متكلف فلم يمد في خاطري الى غير قولي من شعر اتخ فيه

ابطات عني واني • لي اشتياق شديد

وفي يدي لك شي • قد قام مثل العمود
لو ذقته مرة لن • تعد لهذا الصدود

فتبسم الشيخ وقال اما كان في نظمك اطهر من هذا فقلت له لما وقفت لعيني فقال لا باس عليك فانشدني غيره فتذكرت الى ان انشدته قولي

ولما وقفت على ربعهم • تجرعت وجدي بالاجرع
وارسلت دمعي شداد الدموع • لنار تاجج في الاضلع
فقال العذول لما راى • بكايه قفا على الادمع
فقلت له هذه سنة • لمن حفظ العهد في الاربع

قال فرايت الشيخ قد اختلط وجعل يبكي ويذهب ثم افاق وقال اعد يحق ابايك الكرام فاعدت فاعاد ما كان فيه وجعل يردده فقلت له لو علمت ان هذا يحركك وما انشدتك اياه فقال وهل حرك مني الا خيرا وعظة يا بني ان هذه القلوب المخلاة تشكو ورقا لتي جفت وبقي مستعدة لهبوب الرياح فان هب عليها اقل ريح لعب بها كيف شا وصادف منها طوعه فاعجبني منزعه وتانست به ولم ار عنه ما يعتاد من هولا المدبين من الانجماع والانكماش بل ما زال يبسطني ويحدثني باخبار فيها هزل ويذكر لي من تاريخ بني امية وملوكها ما ارتاح له ولا اعلم اكثره فلما كثر تانسي به اهويت الى يده كي اقبلها فضمها بسرعة وقال ما شا الله فقلت داعيا الك ان تنشدني شيا من نظمك فقال اما نظمي في زماننا الصبا فكان له وقت ذهب ويجب للنظم ان يذهب معه واما نظمي في هذا الوقت فهو فيما انا بسبيله وهو يثقل عليك فقلت له انا نضيف سيدي الشيخ نفع الله به انشدني من نظم صباه ومن نظم شيخه فياخذ كلا بحظه فضحك وقال ما اعصاك وانت ضعيف وقريب ولك حرمة ادب ووسيلة فقدم ثم انشدني وقد بدا عليه الخشوع وخنقته العبرة •

ثق بالذي سواك من • عدم فانك من عدم
وانظر لنفسك قبل قر • ع السن من فرط الندم
والحذر وقيت من الردى • واصحبتهم اعمى اصم
قد كنت في تيه الى • ان لاح لي هدى علم
فاقتدت نحو ضيابه • حتى خرجت من الظلم
لكن قناديل الهوى • في نور رشدي كالحمم

قال فوالله لقد ادركني فوق ما ادركه وغلب على خاطري مما سمعت من هذه الابيات وفعلت بي من الموعظة غاية لم اجد منها التخلص الا بعد حين فقال لي الشيخ ان هذه يقظة يرجى معها خيرك والله مرشدك ومنقذك

ثم قال لي يا بني هذا ما نحن بسبيله الان فاسمع فيما مضى والله ولي المغفرة وانا الرجو منه غفرانا لفعل فكيف القول وانشد

اظل عذار على خده ● فظنوا سلوي عن مذهبي
وقالوا غراب لوشك النوى ● فقلت اكسني البدر يا لعيهب
ونادت قلبي ان السبيل ● وبدر الدجى حل في العقرب
فقال ولو زمت عن جيه ● رحيلا عصيت ولم اذهب

قال فسمعت ما يقصر عنه صدور الشعرا وشهدت له بالتقدم وقلت له لم ار احسن من نطقك في جد ولا هزل ثم قلت له ادونه عنك فقال نعم ما ارى به باسا بعد اطلاع من يعلم السرائر على ما في الضمائر فما قد رهف العكامة في اعضاء من يغفر الكبائر ويعفو عن العظائم قال فقلت له فانا سيغت على النعمة بزيادة شي من هذا الفن فعلت ما تملك به قلبي اخر الدهر فقال يا بني لا املك قلبك عن حب الله ثم قال ولا اجمع عليك رد قول ومنعا وانشد

ايها الشادن الذي ● حسنه في الورى غريب
لحظاتك الجمال يطغي ● ما يجي من اللهيب
وعليه احوم دهري ● ولكنني اخيب
كلما رمت زورة ● قبض الله لي رقيب

قال فارح قلبي من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما اعجز عن التعبير عنه فقلت له زدني زادك الله خيرا فانشدني

ما كان قلبي يدري قد رحبكم ● حتى بعدتم فلم يقدر على الجلد
وكنت احسب اني لا اضيق به ● ذرعا فاحان حتى قت في عضدي
ثم استمرت على كون مرزيته ● فكاد يفرق بين الروح والجسد
عساكم ان تلافوا بالتلاف رمقي ● فليس في مهجة تقوى على الكمد

ثم قال حسبك وان كلفتني زيادة فالله حسبك فقلت له قد وكلتني الى كريم غفور رحيم فبالله الا ما زدتني واكتبت لاقبل حليه فضمهما وانشد

من قال لنا ● ستكون فيه بحولي
اما السبيل لوصل ● فما له من وصول
فقلت حسبي التماح ● بحسن وجه جميل
وجه تلوح عليه ● علامة للقبول
فقال دعني فهذا ● تعرض للفضول
فقلت عاتب وخاطب ● بالامر لنا العقول

فلا سمعني عجائب وبسط انسي وكتبت كما انشدني ثم قلت له لولا خوفي من

التثقيل

التثقيل عليك لم ازل استدعي منك الانشاد حتى لا تجد ما تنشد فقال ان عدت ان شاء الله الي هنا تذكرت وانشدتك ما عندي مما اضيفك عن ما سمعت وما تراه ثم قام وجاء من بيت له خرب في داره بصحفة فيها لحسا من دقيق وكسور يابسة يجعل يفت فيها ثم اشار الي ان اشرب فشربت ثم شرب الي ان اتينا على اخرها ثم قال لي هذا غذا عمك نهار وانه لنعمة من الله استديم بشكرها اتصالها قال فقلت له يا عم ومن اين عيشك فقال يا بني عيشتي بتلك الشبكة اصطاد بها في سواحل البحر ما اقتات به ولي زوجة وبنت يعود من غزلهما مع ذلك ما نجد فيه معونة وهذا مع العافية والاستغنا عن الناس خير كثير جعلنا الله ممن يلقاه على حالة يرضاها وختم لنا بخاتمة لا نخاف معها فضيحة قال فتركته وقمت وفي نيتي ان اعود لزيارته ونويت ان يكون ذلك بعد ايام خوفا للتثقيل فعدت اليه بعد ثلاثة ايام فقرعت الباب فكلمتني المراة بلسان عليه اثر الحزن فقالت ان الشيخ خرج الي الغزو وذلك بعد انفصالك عنه بيوم رنا له كالجنون فقلت له ما شانك فقال اريد ان اموت شهيدا في الغزو وهو لا جيران لي قد عزموا على الغزو وانا ان شا الله ماض معهم ثم احتال في سيف ورمح وتوجه معهم وقال نفسي هي التي قتلتني بهواها افلا اقتص منها فاقتلها قال فقلت لها من خلف للنظر في شانكم فقالت لبس ذلك لك فالذي خلفنا له لا نحتاج معه الي غيره فادركني من جوابها روعة وعلمت انها مثله زهدا وصلاحا فقلت اني قريبه ويجب علي ان انظر في حالكم بعده فقالت يا هذا انك لست بذي محرم لنا من العجايز من ينظر منا ويبيع غزلنا ويتفقد احوالنا فجزاك الله خيرا انصرف عنا مشكورا فقلت لها هذه دنانير خذوها تستعينوا بها فقالت ما اعتدنا ان ناخذ شيا من غير الله وما كان لنا ان نخل بالعبادة فانصرفت نادما على ما فاتني من الاستكثار من شعر الشيخ والتبرك بزيادة دعائه ثم غدت بعد ذلك لنا ان سايل عنه فقالت لي المراة انه قد قبله الله فعلمت انه قتل فقلت لها اقتل فقرات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية فانصرفت معتبرا من حاله رحمة الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وكانت للمروانيين بالاندلس يد عليا في الدين والدنيا وقال محمد بن ايوب المرواني لما كلف قوما حاجة له سلطانية فانهضوا لها فكلفها رايس بني مروان القايد سعيد بن المنذر فنهض بها

نهضت بما سالتك غير وان ● وقد ضعفت لسالكها الطريق
وليس يبين فضل المرء الا ● اذا كلفته ما لا يطيق

وعتبه يوما سعيد بن المنذر في كونه يتعرض لمدح خدام بني مروان فقال له اعزك الله القايد الوزير انكم جعلتموني ذنبا وجعلوني راسا والنفس تتوق

الي من يكرمها وان كان دونها اكثر منها الي من يهينها وان كان فوقها واين من هذا
وهذا في امر لا يعلمه الا الذي ابلاني به وما وقع البحي من الحلي وانا الذي اقول
فيما يتخلل هذا المنزع •

نسبت لقوم ليتني بحل غيرهم • فلي نسب يعلو وحظي يسفل
اقطع عمري بالتعلل والمنى • وكم يخدع المرء اللبيب التعلل
فالي مكان ارتضيه لهمة • ولا مال منه استعف وافضل
ولكنني افني الحياة تجملا • وهل يهلك الانسان الا التجمل

فقال له سعيد قصدنا لومك فعطفتنا للايمة علينا ونحن احق بها وسننظر
ان شا الله فيما يرفع اللوم عن الجانبين ثم تكلم مع الناصر في شانه فاجري له
رزقا اغناه عن التكفف فكانت هذه من حسنات سعيد واياديه وقال
المطرف بن عمر المرواني يمدح المظفر بن المنصور بن ابي عامر

انا المظفر لا نزال مظفرا • حكما من الرحمن غير مبدل
ونمو الاخي بكلما قد حازه • من رفعة ورياسة وتفضل
تلقاه صدرا كلما قلبته • مثل السنان تحمل وتجمل

وحضر يوما مع شاعر الاندلس في زمانه ابن دراج القسطلي فقال له القسطلي
انشدني ابياتك التي تقول فيها علي قدر ما يصفو الخليل يكدر فانشده

تخيرت من بين الانام مهذبا • ولم ادر اني خايب حين اخبر
فازجي كالراح للماء اغتدي • علي كل ما جشمته يتصبر
الي ان دهاني اذا منت عزوره • سناها واداني لما ليس يذكر
وكدر عيشي بعد صفو وانما • علي قدر ما يصفو الخليل يكدر

فاهتز القسطلي وقال والله انك في هذه الابيات لشاعر وانا انشدك
فيما يقابلها لبلال بن جرير •

لو كنت اعلم ان اخر عهدهم • يوم الفراق فعلت ما لم افعل

لكن جعل نفسه فاعلا وعرضت نفسك لان تنال انك مفعول فقال ومن اين
بلوح ذلك فقال له القسطلي من قولك واداني لما ليس يذكر فما يظن في ذلك
الا انه اداك الي موضع نعل بك فيه فاغتاظ الاموي وقال يا ابا عمر ومن اين
جرت العادة بان تمزح معي في هذا الشان فقال له رحلم بني مروان يحملنا علي
ان نخرق العادة في الحمل علي مكارمهم فسكن غيظه وكتب المرواني المذكور الي
صاحب له يستعير منه دابة يخرج عليها للفرجة والخلاعة • انهض الله سيدي
باعبا المكارم ان هذا اليوم قد تبسم افقه بعدما بكي ودقه • وصقلت اضداه
اوراقه • وفتحت احداق حدايقه وقام نون خطيبا علي ساقه • وقضت

عذرانه

عذرانه • وتوجت اغصانه • وبرزت شمسه من حجابها • بعدما تلفعت بسحابها
وتنبه في ارجا الروض اريج النسيم • وعرف في وجوهه نضرة النعيم • وقد دعا
كل هذا ناظر اخيك الي ان يجيله في هذه المحاسن • ويجدد نظره في المنظر الذي
هو غير متبذل والما الذي هو غير اسن • والمحض اليوم احسن ما ملح • وابدع ما
حزن فيه وجمح • فجد لي باعارة ما انهض عليه لمشاهدته ويرفع عني خجل الابتذال
عناكبة الاندال • لا زلت نهاضا بالامال • مسعفا بمراد كل خليل غير مقصر ولا
ال وكتب الامير هشام بن عبد الرحمن الي اخيه عبد الله المعروف بالبلنسي
حين فر كتابا يقول في بعض فصوله والعجب من فرارك دون ان تري شيا فخاطبه
بجواب يقول فيه ولا تتعجب من فراري دون ان اري شيا لانني خفت ان اري ما لا
اقدر علي الفرار بعده ولكن تعجب مني ان حصلت في يدك بعد ما افلت منك
وقال له وزيره احمد بن شعيب البلنسي اليس من العار ان يبلغ بك الخوف من هذا
الصبي ان تخلي بيتك وبينه البحر وتترك بلاد ملكك وملك ابيك فقال ما
اعرف ما تقول وكل ما وقي به الانسان النفس ليس بعار بل هو محض العقل واول ما
ينظر الاديب في حفظ راسه فاذا نظر في ذلك نظر فيما بعده وقال عبد الله
ابن عبد العزيز الاموي ويعرف بالحجر •

احل لنا منك حظا ايها القمر • فانما حظنا من وجهك النظر
راك ناس فقالوا ان ذا قمر • فقلت كفوا فعندي منهما الخبر
البدر ليس بغير النصف بهجته • حتي الصباح وهذا كله قمر

وقال ابو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثي ابا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبي ابانه • والبسه من حسن منطقه وشيا
وكم معضب للنحو قد راض صعبه • فعاد ذلولا بعدما كان قد اعيا

وحكي انه دخل بعض شعرا الاندلس علي الفقيه سعيد بن اضحي وكان من اعيان غرناطة
مدحه بقصيدة ثم بموشحة ثم بزجل فلم يعطه شيا بل شكا اليه فقره حتي انه بكا
فاخذنا الدواة والقرطاس وكتب ووضع بين يديه

شكا ما الذي اشكوه من عدم • وساءه مثل ما قد ساءني فبكي
انا المثل الذي اعطاك دمعته • نعم الجواد فتي اعطاك ما ملكا

وقال ابن خفاجة

نهر كما سال اللجي سلسال • وصبا بليل ذيلها مكسال
ومهب نفحة روضة مطلولة • فيها لافراس النسيم مجال
غار النهر والاقحوانة مبتسم • والاس صدغ والبنفسج خال

وقال

وساق كحيل اللحظ في شاوحشته • جماح وبالصبر الجميل حران
ترى للصبا نارا بخديه لم تثر • لها من سوادي عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية • كما اعوج في درع الكمي سنان
عقارا اماها الكرم فهي كريمة • ولم تزن بابن المزن فهي حصان
وقد لاح من جون الغمامة ادهم • له البرق سوط والعنان عنان
وضح درع الشمس نحو حديقة • عليه من الطل السقيط جمان
ونمت باسرار الرياض خميلة • لها النور ثغر والنسيم لسان
وقال في وصف فرس اصفر ولم يخرج عن طريقته
واشقر نضرمنه الوغى • بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه • واذنه من ورق الاس
يطلع للغرة في شقره • حباية تضحك في كاس
وقال ابو بكر محمد بن سهل اليكي يهجو
اعدا لوضوء اذا نطقت به • مستنجيا من قبل ان تنسي
ولحظ ثيابك ان مررت به • فالظل منه ينجس الشمسا
وقال ابن اللبانة
انصرته فصدني المشية • لما بدت في خده لحيه
فذكت الشعر على خده • او كالذي مر على قريه
وقال الوزير الكاتب ابو محمد بن عبد الغفور الاشبيلي في الامير ابي بكر
سير من امراء المرابطين وكتب بها اليه في غزاة غزاها
سر حيث سرت يحله النوار • واراك فيه مرادك المقدار
واذا ارتحلت فشيعتك سلامة • وغمامة لاديمة مدرار
تنفي الهجير بظلها وتنيم بالرش القتام وكيف شئت تدار
وقضى الاله بان تعود مظفرا • وقضت بسيفك نحوها الكفار
هذا غير ما تمناه الجعفي حيث قال • حيث ارتحلت وديمة • وما تكاد تنتقد
معها عزيمه • واذا سحت على ذي سفر • فما اراها بان تعوق عن الظفر
وتغنها بمدرار • فكان في ذلك ابلغ في الاضرار • وما احسن قول التابلي
فسر فدا ابنة خفقت بنصر • وعد في محفل بهج الجمال
الى حمص فانت بها حلي • تغاير فيه ربات الحجال
وقال الحجاري في المسهب كتبت الى القاضي ابي عبد الله محمد اللوشي استدعي منه
شعرا لاكتبه في كتابي فتوقف عن ذلك وانقبض عني فكتبت اليه
يا ما نعا شعره عن سمع ذي ادب • نائي المحل بعيد الشخص مغترب

ببير

ببير عنك به في كل مسبحة • كما يمر نسيم الريح بالعذب
اني وحقك امل ان افوز به • واسال فديتك عن ذا اي ومن اي
فكان جوابه
يا طالبا شعر من لم يسم في الادب • ماذا تريد بنظم غير منتخب
اني وحقك لم ابخل به صلفا • ومن يضن على جيد بمخشلب
لكنني صنت قدري عن روايته • فمثله قل عن سام الى الرتب
خذه اليك كما اكرهت مضطربا • محللا ذم مولا مهدي الحطب
قال ثم كتب لي مما اتحفني به من نظمه محاسن اسمى من الاقمار • وارق من نسيم الاسحار
وقال صالح بن شريف في البحر وهو من احسن ما قيل فيه
البحر اعظم مما انت تحسبه • من لم ير البحر يوما ما راى العجبا
طام له حبب طاف على زرق • مثل السما اذا ما ملئت شهبا
وقال
ما احسن العقل واثاره • لو لازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه • كما يصون الحر اسراره
لاسيما ان كان في غربة • يحتاج ان يعرف مقداره
وقال ابن برطلة
خطوب زماني ناسبتني غرابة • لذلك يرميني بهن مصيب
غريب اصابته خطوب غريبة • وكل غريب للغريب نسيب
وهذا من الحسن التضمين الذي يزري بالدر الثمين • ودخل ابن بقي الحمام وفيه
الاعمى التطيلي فقال له اجز •
حمامنا كزمان القيظ محتدم • وفيه للبرد برد غير ذي ضرر
فقال الاعمى
ضدان ينعم جسم المرء بينهما • كالغصن ينعم بين الشمس والمطر
ولا يخفى حسن ما قال الاعمى وقد ذكر في بدائع البداية البيتين معا
منسوبين الى ابن بقي ولنذكر كلامه برمته لما اشتمل عليه من الفوائد ونصه
ذكر ابن بسام قال دخل الاديبان ابو جعفر بن هريرة التطيلي المعروف بالاعمى
وابو بكر بن بقي الحمام فتعاطيا العمل فيه فقال الاعمى
ضدان ينعم جسم المرء بينهما • كالغصن ينعم بين الشمس والمطر
ولا يخفى حسن ما قال الاعمى وقد ذكر في بدائع البداية
يا حسن حمامنا وبهجته • مراى من السحر كله حسن
ماء ونار حماما كنفا • كالقلب فيه السرور والحزن

ثم اعجبه المعنى فقال
ليس على لهونا مزيد • ولا لحمامنا ضريب
ماء وفيه لهيب نار • كالشمس في ديمة تصوب
وابيض من تحته رخام • كالثلج حين ابتدا يذوب
وقال ابن نقي حماما فيه فضل لقيط البيتين فقال الاعمى وقد نظر فيه
الى فتى صبيح
مل استمالك جسم ابن الاثير وقد • سالت عليه من الحمام انداء
كالغصن باشر حر النار من كثب • فظل يقطر من اعطافه الماء

قلت تذكرت بما عند ذكر الحمام ما حكاه بدر الدين الحسن بن زفير الاربلي المتطبب اذ قال رايت ببغداد في دار الملك شرف هارون بن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجويني حماما متقن الصنعة حسن البنا كثير الاضوا قد احاطت به الازهار والاشجار فادخلني اليه سايسه وذلك بشفاعة الصاحب بها الدين بن الفخر عيسى المنشي الاربلي وكان سايس هذا الحمام خادما حبشيا كبير السن والقدر فطاف بي عليه وابصرت مياهه وشبابيكه وانابيبه المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية وبعضها على هيئة طاير اذا خرج منها الما صوت باصوات طيبة ومنها احواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من ساير الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض الى بركة حسنة الاتقان ثم منها الى البستان ثم اراني نحو عشر خلوات كل خلوة صنعتها احسن من صنعة اختها ثم انتهى بي الى خلوة عليها باب مقفل بقفل حديد ففتحه ودخل بي الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض الساذج وفي صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب نحو اربعة انفس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانوا نياما ورايت من العجايب في هذه الخلوة ان حيطانها الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبين صقال المرآة يرى الانسان ساير بشرته في اي حايط شا منها ورايت ارضها مصورة في بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه اصفر وبعضه احمر فاما الاخضر فبلغنا انه حجارة تاتي من الروم واما المذهب فزجاج ملبس بالذهب وتلك الصور في غاية الحسن والجمال على هيات مختلفة في اللون وغيره ومنها ما بين فاعل ومفعول به اذا نظر المرء اليها تحركت شهوته وقال لي الخادم السايس هذا صنع على هذه الصفة لمخدومي حتى انه اذا نظر اليها بفعله هولاء بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع ايدي بعضهم على اعجاز بعض تتحرك شهوته

سريعا

سريعا فيبادر الى مجامعة من يحبه قال الحاكي وهذه الخلوة دون ساير الخلوات التي دخلت اليها هي مخصوصة بهذا الفعل اذا اراد الملك شرف الدين هارون الاجتماع في الحمام بمن يهواه من الجواري الحسان والصور الجميلة والنسا الغانيات الحسن لم يجتمع به الا في هذه الخلوة من اجل انه يرى كل محاسن الصور الجميلة مصورة في الحايط ومجسمة بين يديه ويرى كل منهما صاحبه على هذه الصفة ورايت في صدر الخلوة حوض رخام مضلع وعليه مركب في صدره انبوب اخر برسم الما البارد والانبوب الاول برسم الما الفاتر وعن يمينه الحوض وشماله عمدان صغار مخروطة من البلور يوضع عليها مباخر الند والعود وابصرت منها خلوة شديدة الضيا مفرحة بديعة قد انفق عليها اموال كثيرة وسالت الخادم عن تلك الحيطان المشرقة المضية من اي شي صنعت فقال لي ما اعلم قال الحاكي فما رايت في عمري ولا سمعت بمثل تلك الخلوة ولا باحسن من ذلك الحمام مع اني ما احسن ان اصفهما كما رايتهما فانه لم يتكرر دخولي لهما ولا اتفق لي النظر بصناعتهما ومباشرتهما وفي الذي ذكرت كفاية انتهى ولما اتصل ابو القاسم على بن افلح البغدادي الكاتب بامير المومنين المسترشد بالله العباسي ولقبه جمال الملك واعطاه اربع ديار في درب الشاكرية اشترى دورا اخر الى جانبها وهدم الكل وانشا دارا كبيرة واعانه الخليفة في بنايها واطلق له اموالا والات البنا وكان في جملة ما اطلقه له مايتي الف اجرة واجرى الدار بالذهب وصنع فيها الحمام العجيب الذي فيه بيت مستراح فيه انبوبان اذا فركه شمالا اخرج ما باردا وكان على ايوان الدار مكتوب

انا عجيب الراوون من ظاهري • فباطني لو علموا اعجب
شيدني من كفه مزنة • يهطل منها العارض الصيب
ودبجت روضة اخلاقه • في رياضا نورها مذهب
صدر كسا صدري من نوره • شمسا على الايام لا تغرب

وكتب على الطرز

ومن المروءة للفتى • ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها • واعمل لدار الاخره
هاتيك وافية بما • وعدت وهذي ساخره

وكتب على النادي

وناد كانجنان الخلود • اعارته من حسنها رونقا
واعطته من حادثات الزمان • الا تسلم به موثقا
فاضحى يتيه على كل ما • بني مغربا كان او مشرقا

تظل الوفود به عكفا • ويمسي الضيوف به طرقا
بقيت له يا جمال الملوك • والفضل مهما اردت البقا
وسالمه فيك صرف الزمان • ووقيت فيه الذي يتقي
انتهى وعلى ذكر الحمام فما احكم قول ابن الوردي فيما اظن
وما اشبه الحمام بالموت لامرئ • تذكر لكن اين من يتذكر
يجرد عن اهل ومال وملبس • ويصحبه من كل ذلك مئزر

وقال الشهاب بن فضل الله

وحمامكم كغنية للوفود • تحج اليه حفاة عراه
يكرر صوت انابيبه • كتاب الطهارة باب المياه
وقد تمثل بهذين البيتين البرهان القيراطي في جواب كتاب استدعاه فيه
بعض اهل عصره الى الحمام وافتتح الجواب بقوله •
قد اجبنا وانت ايضا نصحت • بصبحي سوالف وسلاف
وبساق يبني العقول بساق • وقوام وفوق الهنا خلافي
ووصله بنثر تمثل فيه بالبيتين كما مر ولبعضهم
ان حمامنا الذي نحن فيه • اي ماء وبرواية نار
قد نزلنا به على ابن معين • ورويناعنه صحيح البخار

والغز بعضهم في الحمام بقوله

ومنزل اقوام اذا ما تقابلوا • تشابه فيه وغده ورئيسه
ينفس كربي اذ ينفس كربه • ويظهر اسني اذ يبين انيسه
اذا ما اعرت الجو طرفا تكاثرت • على من به اقماره وشموسه
رجع الى ما كنا فيه من كلام اهل الاندلس فنقول وكان محمد بن خلف بن موسى البيري
متكلما متحققا براي الاشعرية وذاكرا الكتب الاصولية في الاعتقاد مشاركا في
الادب متقدما في الطب ومن نظمه يمدح امام الحرمين رحمه الله تعالى
حب حبر يكنى ابا المعالي • هو ديني ففيه لا تعذلوني
انا والله مغرم بهواه • عللوني بذكره عللوني
وكتب ابو الوليد بن الحناط الشاطبي يستدعي بعض اخوانه الى مجلس انس بما
صورته نحن في مجلس اغصانه الندامى وغمامه الصهبا فبالله الا ما كنت لروض
مجلسنا نسيما • وللزهر حديثنا شميما • وللجسم روحا وللمطيبة نحا • وبيننا
عذراء زجاجها خدرها • وحبابها ثغرها • بل شقيقة جونها كمامه • او شمس
حجبتها غمامه • اذا طاف بها معصم الساقي فوردة على غصنها • او سربها متهتهة
حمامة على فننها • طافت علينا طوفانا لم تمر على منازل الحلول • فانت وحياتك

اكليلنا

اكليلنا وقد ان نخلو لها في الاكليل انتهى قال ابو الوليد المذكور
فوقحها الورد دمع • من عيون السحب يذرف
برد الشمس ضحى • بعد ماسال يجفف •
وتذكرت هنا بذكر الورد ماحكاه الشيخ ابو البركات هبة الله بن محمد النصيبي
المعروف بالوكيل وكان شيخا ظريفا فيه ادب كثيرة اذ قال كنت في زمن الربيع
والورد في داري بنصيبين وقد احضر من بستاني من الورد والياسمين شي
كثير وعملت على سبيل الولع دايرة من الورد تقابلها دايرة الياسمين شي كثير
وعملت على سبيل الولع دايرة من الورد تقابلها دايرة من الياسمين فاتفق
ان دخل على شاعران كانا بنصيبين احدهما يعرف بالمهذب والاخر يعرف بالحسن
ابن البرقعيدي فقلت لهما اعملا في هاتين الدايرتين ففكرا ساعة ثم قال المهذب
يا حسنها دايرة • من ياسمين مشرق
والورد قد قابلها • في حلة من شفق
كعاشق وحبه • تغامزا بالحدق
فاحمر ذا من خجل • واصفر ذا من فرق
قال فقلت للحسن هات فقال سبقني المهذب الى ما اختمه في هذا المعنى

ومن قولي

يا حسنها دايرتا • من ياسمين كالحلي
والورد قد قابلها • في حلة من خجل
كعاشق وحبه • تغامزا بالمقل
فاحمر ذا من خجل • واصفر ذا من وجل
قال فعجبت من اتفاقهما في سرعة في الاتحاد والمبادرة الى حكاية الحال انتهى
وما الطف قول بعضهم
ارى الورد عند الصبح الفاه جنة • وقد دارت في وسطها قبلة الشمس
وقال ابن ظافر في بدايع البداية اجتمع الوزير ابو بكر بن القبطرنة والاديب ابو
العباس بن صارة الاندلسيين في يوم جلي غب برقه • واذاب ورق ودقه والارض
قد ضحكت لتعبيس السماء • واهتزت وربت عند نزول الماء • فقال ابن
القبطرنة
هذي البسيطة كاعب ابرادها • حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن صارة

وكان هذا الجو فيها عاشق • قد شفه التعذيب والاضرار

ثم قال ابن صارة ايضا

وإذا شكا فالبرق قلب خافق • وإذا بكا فدموعه الأمطار

فقال ابن القبطرنة

من أجل ذا وعزة هذه • يبكي الغمام وتضحك الأزهار

وتذكرت هنا ما حكاه ابن ظافر في الكتاب المذكور أنه اجتمع مع القاضي الأعز يومًا فقال له ابن ظافر أجز • طار نسيم الروض من وكر الزهر • فقال الأعز

وجاء مبلول الجناح بالمطر • أنشدني ويعجبني قول ابن قرناص

أظن نسيم الروض والزهر قد روى • حديثًا ففاحت من شذاه المسالك

وقال دنا فصل الربيع فكله • ثغور لما قال النسيم ضواحك

رجع إلى الأندلسيين وما أرق قول ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت • يتهادى بها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلد منها • زهرات تروق لون الراح

قلت ما ذنبها فقال مجيبًا • سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال أبو إسحاق بن خفاجة

تعلقته نشوان من خمر ريقه • له رشفها دوني ولي وزرها السكر

ترقرق ماء مقلتي ووجنته • ويذكي على قلبي ووجنته الجمر

أرق نسيمي فيه نسمة خشنه • فلم أدر أي قبلنا منهما السحر

وطبنا معًا شعرًا ونثرًا كأنما • له منطقي ثغر ولي ثغره شعر

وقال أبو الصلت أمية ابن عبد العزيز

وقائلة ما بال مثلك خاملًا • أأنت ضعيف الرأي أم أنت عاجز

فقلت لها ذنبي إلى القوم أنني • لما لم يجوزوه من المجد حائز

وما فاتني شيء سوى الحظ وحده • وأما المعالي فهي عندي غرائز

وقال

جد بقلبي وعبث • ثم مضى وما اكترث

واحربا من شادن • في عقد الصبر نفث

يقتل من شاء بعينيه ومن شاء بعث

وقال البليغ الفاضل يحيى بن هذيل أحد أعيان شعراء الأندلس

نام طفل النبت في حجر النعامى • لاحتراز الطل في مهد الخزامى

(في الهامش: بدل لاهتزاز)

وسقى الوسمي أغصان النقا • فهوت تلثم أفواه الندامى

كحل الفجر لهم جفن الدجى • وغدا في وجنة الصبح لثامًا

تحسب البدر محيًا ثملًا • قد سقته راحة الصبح مدامًا

حوله الزهر كؤوس قد غدت • مسكة الليل عليهن ختامًا

وتذكرت

وتذكرت هنا قول الآخر وأظنه مشرقيًا •

بكر العارض تحدوه النعامى • فسقاك الري يا دار أماما

وتمشت فيك أرواح الصبا • يتأرجن بأنفاس الخزامى

قد قضى حفظ الهوى أن تقتضي • للمحبين مناخًا ومقامًا

وبجرعا الحمى قلبي فعج • بالحمى واقرأ على قلبي السلاما

وترحل فتحدث عجبًا • أن قلبًا سار عن جسم أقاما

قل لجيران الغضى آهًا على • طيب عيش بالغضى لو كان داما

حملوا ريح الصبا من نشركم • قبل أن تحمل شيحًا وثماما (في الهامش: وخزاما)

وابعثوا أشباحكم لي في الكرى • إن أذنتم لجفوني أن تناما

وخرج بعض أدباء الأندلس من قرطبة إلى طليطلة فاجتاز بحوز ابن عكاشة الشجاع المشهور الذي ذكرنا في هذا الباب ما يدل على شجاعته وقوته وأين بلغت رياح فنزل بخارجها في بعض جناتها وكتب إليه •

يا فريدًا دون ثاني • وهلالًا في العيان

عدم الراح فصارت • مثل دهن البلسان

فبعث إليه بها وكتب معها •

جاء من شعرك روض • جاده صوب اللسان

فبعثناها سلافًا • كسجاياك الحسان

وقال الوزير أبو عامر بن شهيد يتغزل

أصباح شيم أم برق بدا • وسنى المحبوب أورى زندا

هب من مرقده منكسرًا • مسبلًا للكم مرخيًا للردا

يمسح النعسة من عيني رشا • صائد في كل يوم أسدا

أوردته لطفًا آياته • صفوة العيش أرعته ددا

فهو من دل عراه زينة • من مزيج لم يجد الطرف بدا

قلت هب لي يا حبيبي قبلة • تشف من عمك تبريح الصدا

فانثنى يهتز من منكبه • مائلًا لطفًا وأعطاني اليدا

كلما كلمني قبلته • فهو إما قال قولًا رددا

كاد أن يرجع من لثمي له • وارتشافي الثغر منه أدردا

وإذا استنجزت يومًا وعده • أمطل الوعد وقال اصبر غدا

مربت أعطافه ماء الصبا • وسقاه الحسن حتى عربدا

فإذا بت به في روضة • أغيد يعز وثنانا أغيدا

قام في الليل بجيد أتلع • ينفض اللمة من دمع الندا

ومكان عازب عن حسن • اضدقاء ونم عين العدي
ذي بنات طيب اعراقه • كعذار الشعر في خد بدا

وقال يرثي القاضي ابن ذكوان بحيث ذلك الاوان • وقد افتن في الاداب وسن فيها سنة ابن داب • وما فارق ديع الشباب من حجر • ولا اشمجد في الكهولة اغناوه ولا اوجر • وكان لابي عامر هذا قسيم نفسه • ونسيم انسه

ظننا الذي نادي محنا بموته • لعظم الذي انحي من الرزء كاذبا
وخلنا الصباح الطلق ليلا وانما • خبطنا حذار اليأس من الحزن كاربا
ثكلت الدجي لما استقل وانما • فقدناك يا خير البرية ناعيا
وما ذهبت ان تحمل المرء نفسه • ولكنما الاسلام اذ يرد اميا
ولما ابي الا التحمل رأسا • منحناه اعناق الكرام ركائبا
تبيير به النعش الاعز وحوله • اباعد راموا الانصاب اقاربا
عليه حفيف للملائك اقبلت • تصافح شيخا ذاكر الله تائبا
تخال الفينا للناس حول ضريحه • خليط قطي وافي الشريعة هاديا
اذا ما امتروا سحب الدموع تفرعت • فروع البكاء عن بارق الحزن لاميا
فرد المفضل التوانيطع نوره • اذا اخرنا ولنا الالد المناويا
ومن ذا يبيع المسلمين نفوسهم • اذا الناس شاموها سروة الكواكبا
فيا السف قلبي له ذات حاشيه • مضى شيخنا الدفاع عنا النوائبا
وماتا لذي غاب المروة لموته • فليس وان طال الثري منه ايبا
وكان عظيما يطرق الجمع عنده • ويغشوله رب الكتيبة هائبا
وذا معقول عضب لرائين صارم • يروح به عن حومة الدين ضاربا
اباحاتم صبرا لا ديم فانني • رايت جميل الصبر احلي عواقبا
وما زلت ترهب الدهر سطوة • وصعبا به تغني الخطوب المصاعبا
ساستعتب الايام فيك لعلها • لصحة ذاك الجسم تطلب طالبا
لين افلت شمس المكارم عنكم • لقد اشارت بدرا لها وكواكبا

قال في المطمح ودبت الي ابي عامر بن شهيد ايام العلويين عقارب برئت بها منها اباعد واقارب • والجمت لها صرف قطوب • وانبرت اليه منه خطوب • نبا لها جفنه عن المضجع • وبقي لها ليالي يارق ولا يهجع • الي اذا اعلقته في الاعتقال اماله • وعقلته في عقال الذ مّت ما له واقام من زمنا • والتي وسنا وقال قريب

قريب بمحتل الهوان مجيد • يجود ويشكو حزنه فيجيد
فصبر عند الامام وما له • عدو لابنا الكرام حسود
وما ضر الامراخ ورقة • تنقيه سفينا الذكر وهو رشيد

جني ما جني

جني ما جني من قبة الملك غيبة • وطوق منه بالعظيمة جيد
وما في الا الشعر اثبته الهوي • فسار به في العالمين فريد
اقول بما لم انه متعرضا • لحسن المعاني تارة فازيد
فان طال ذكري بالمجون فانني • شقي عطلوم الظلام سعيد
وهل كنت في العشاق اول عاقل • هوت بحجاه اعين وخدود
وان طال ذكري بالمجون فانها • عظائم لم يصبر لهن جليد
فراق وشجو واشتياق وذلة • وجبار حفاظ علي عنيد
فمن يبلغ الفتيان اني بعدهم • مقيم بدار الظالمين وحيد
مقيم بدار ساكنوها من الاذي • قيام علي جمر الحمام قعود
ويسمع للجنان في جنباتها • بسيط كرجيع الصدا ونشيد
ولست بذي قيد يرن وانما • علي اللحظ من سخط الامام قيود
وقلت لصداح الحمام وقد بكي • علي العصر الفا والدموع تجود
وهل انتدان من محب نأي به • عن الالف سلطان عليه شديد
فصفق من ريش الجناحين واقفا • علي الغرب حتي ما عليه مزيد
وما زال يبكيني وابكيه جاهدا • وللشوق من دون الضلوع وقود
الي ان بكي الجدلان من طول شجونا • واجهش بابجا بناه حديد
اطاعت امير المومنين كتائب • تصرف في الاماد كيف تريد
فللشمس عنها بالنهار تاخر • وللبدر عنها بالظلام عدو
الا انها الايام تلعب بالفتي • نحوس تهادي تارة وسعود
وما كنت ذا ايد فاذعن ذا قوي • من الدهر مبدي صرفه ومعيد
وراضت صعابي سطوة علوية • لها بارق نحو الندي ورعود
تقول التي من بيتها كف مركبي • تقربك دانا ام نداك بعيد
فقلت لنا امري الي ما سمت به • الي المجد ابا له وجدود

ثم قال • ولزمته اخر عمره علة دامت به سنين • ولم تفارقه حتي تركته يد جنين • واحسب ان الله اراد بها تمحيصه • واطلاقه من ذنب كان قنيصه • فطهره تطهيرا • وجعل ذلك علي لمقوله ظهيرا • فانها اقعدته حتي حمل في المحفة • وعادته حتي غدت لروعته مستنفره • وعلي ذلك فلم يعطل لسانه ولم يبطل احسانه • ولم يزل يستريح الي القول • ويزيح ما كان يجد من الهول • واخر شعر قاله قوله •

ولما رايت العيش لوي براسه • وايقنت ان الموت لا شك لاحق
تمنيت اني ساكن في عباءة • باعلي مهب الريح في راس شاهق

ارى سبط الطل في صحن عينيه • وجيدا واحوى المآقي المعانق
خليلي من رام المنية سره • فقد رمتها حين قولك صادق
كاني وقد طار ارتحالي لم افز • قديما من الدنيا بلمحة بارق
فمن مبلغ عني ابن حزم وكان لي • يدا في ملماتي وعند مضايقي
عليك سلام الله اني مفارق • وحسبك زادا من حبيب مفارق
فلا تنس تابيني اذا ما ذكرتني • وتذكار ايامي وفضل خلائقي
وحرك له بالله نهما اذ كرتني • اذا غيبوني كل شهم غرانق
عسى هامتي في القبر تسمع بعضه • بترجيع شاد او بتطريب طارق
فلي في ادكاري بعد موتي راحة • فلا تمنعوها لي علالة زاهق
واني لارجو الله فيما تقدمت • ذنوبي به فيما دري من حقائق

وكان ابو مروان عبد الملك بن حصن مستوليا في وزارة ابن عبيدة ولسانه ينشد

وسيلة تجري بين اهلي ولم اقل • الا ليت قومي يعلمون صنيعي

وهجا ابن ذي النون بقوله •

تلقبت بالمامون ظلما وانني • لآمن كلبا جئت لست بمومنه
حرام عليه ان يجود ببشره • واما الندى فاندب هنالك مدفنه
سطور المخازي دون ابواب قصره • تجاه للقاصدين معنونه

فلما تمكن منه المامون سجنه فكتب الى ابن هود من ابيات

ابا راكب الوجناء بلغ تحية • امير جذام من اسير مقيد
ولما دهتني الحادثات ولم اجد • لها وزرا اقبلت نحوك اغتدي
ومثلك من يعدي على كل حادث • رمى بسهام للردى لم تقصد
فملك ان تخلو افكارك ساعة • لتنقذني من طول هم مجدد
وها انا في بطن الثرى وهو حالك • فيسر على رقي الشفاعة مولدي
حنانيك لما بعد العفا انني • جعلتك بعد الله اعظم مقصدي
وانت الذي يدري اذا رام حاجة • تقضى بها الامر من حيث يهتدي

فرق له ابن هود وتحيل حتى خلصه بشفاعته فلما قدم عليه انشد

حياتي موهوبة من علاكا • وكيف ارى عادلا عن ذراكا
ولو لم يكن لك من نعمة • علي واصبحت ابغي سواكا
لناديت في الارض هل منصف • مجيب فلم يصنع الا نداكا

فطرب ابن هود وخلع عليه ثوب وزارته وجعله من اعلام سلطنته وامارته وقال المنصور بن ابي عامر للشاعر المشهور ابي عمر يوسف الرمادي كيف ترى حالك هي فقال فوق قدري ودون قدرك فاطرق المنصور كالغضبان فانسل الرمادي

وخرج

وخرج وقد ندم على ما بدر منه وجعل يقول اخطات لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق ما كان ضرني لو قلت له اني بلغت السما • وتمنطقت بالجوزا

وانشدته

متى يات هذا الموت لا يلف حاجة • لنفسي الا قد قضيت قضاها

لا حول ولا قوة الا بالله ولما خرج كان في المجلس من يحسد على مكانه من المنصور فوجد فرصة فقال وصل الله لمولانا الظفر والسعد ان هذا الصنف زور وهذيان لا يشكرون نعمة • ولا يرعون الا ولا ذمة • كلاب من غلب واصحاب من اخصب • واعدا من اجدب • وحسبك منهم ان الله جل جلاله يقول فيهم الشعرا يتبعهم الغاوون الى ما لا يفعلون • فالابتعاد منهم اولى من الاقتراب وقد قيل فيهم ما ظنك بقوم الصدق يستحسن الا منهم • فرفع المنصور راسه وكان محبا في اهل الادب والشعر فقد اسود وجهه وظهر فيه الغضب المفرط • ثم قال ما بال اقوام يشيرون في شي لم يستشاروا فيه ويسيئون الادب بالحكم فيما لا يدرون ايرضون ام يسخط وانت ايها المنبعث للشر دون ان يبعث قد علمنا غرضك في اهل الادب والشعر عامة وحسدك لهم لان الناس كما قال القائل

من راى الناس له • فضلا عليهم حسدوه

وعرفنا غرضك في هذا الرجل خاصة ولسنا ان شا الله احد غرضه في احد ولو بلغناكم بلغتنا في جانبكم وانك ضربت في حديد بارد واخطات وجه الصواب وفردت بذلك احتقارا وصغارا واني ما اطرقت من خطاب الرمادي انكارا عليه بل رايت كلاما يجل عن الاقدار الجليلة وعجبت من تهديه له بسرعة واستنباطه له على قلته من الاحسان الغامر ما لا يستنبطه غيره بالكثير ولو لو حكمته في بيوت الاموال لرايت انها لا ترجح ما تكلم به قلبه ذرة واياكم ان يعود احد منكم الى الكلام في شخص قبل ان يوخذ معه فيه ولا تحكموا علينا في اوليائنا ولو ابصرتم منا التغير عليهم فانا لا نتغير عليهم بغضا لهم وانحرافا عنهم بل تاديبا وانكارا فانا من نريد ابعاده لم نظهر له التغير بل ننبذه مرة واحدة فان التغير انما يكون لمن نريد استبقاءه ولو كنت مائل السمع لكل احد منكم في صاحبه لتفرقتم ايدي سبا وجونتنا نار مجانبة الاجرب واني قد اطلعتكم على ما في ضميري فلا تعدلوا عن مرضاتي فتجنوا سخطي بما جنيتموه على انفسكم ثم امر ان يرد الرمادي وقال له اعد علي كلامك فارتاع فقال الامر على خلاف ما قدرت الثواب اولى بكلامك من العقاب فسكن لتانيسه واعاد ما تكلم به فقال المنصور بلغنا ان النعمان ابن المنذر حشى فم النابغة بالدر لكلام استحسنه منه وقد امرنا لك بما لا يقصر عن ذلك ما لم يوانو واحسن عاية وكتب له بمال وخلع وموضع ينقش منه ثم

ثم رد راسه الى المتكلم في شان الرمادي وقد كاد يغوص في الارض لو وجد لشدة ما حل به عما سمع وراي وقال وا العجب من قوم يقولون الابتعاد من الشعرا اولى من الاقتراب ثم ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها ولا ايادي يرغب في نشرها فاين الذي قيل فيهم

علي مكثريهم رزق من يعتريهم • وعند المقلين السماحة والبذل

واين الذي قيل فيه

انما الدنيا ابو دلف • ولت الدنيا على اثره

اما كان في الجاهلية والاسلام اكرم ممن قيل فيه هذا القول بلي ولكن صحبة الشعرا والاحسان لهم احيت غابر ذكرهم • وخصتهم بمفاخر عصرهم وغيرهم لم تخلد الامداح ماثرهم فدثر ذكرهم ودرس فخرهم انتهى ومن حكاياتهم في العدل انه لما بنى المعتصم بن صمادح ملك المرية قصوره المعروفة بالصمادحية عضو احد الصالحين في جنة والحقوها بالصمادحية وزعم ذلك الصالح انها للايتام من اقاربه فبينما المعتصم يوما يشرب على الساقية الداخلة الى الصمادحية اذ وقعت عينه على انبوب قصبة شمع فامر من ياتيه به فلما ازال عنه الشمع وجد فيه ورقة فيها اذا وقفت بها الغاصب على هذه الورقة فاذكر قول الله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب لا لذ الا انت ملك قد وسع الله عليك ومكن لك في الارض ويحملك الحرص على ما نعيني اذ تضم الى جنتك الواسعة القطيعة قطعة ارض الايتام حرمت بها حلالها وخنت طيبها ولين تحجبت عني بسلطانك وافتدرت علي بعظم شانك فنجتمع غدا بين يدي من لا يحجب عن حق ولا تضيع عنده شكوى فلما استوعب قراءتها دمعت عيناه واخذته خشية خيف عليه منها وكانت عادته رحمه الله وقال علي بالمشتغلين ببنا الصمادحية فاحضروا فاستقرهم عما زعم الرجل فلم يسعهم الا الصدق واعتذروا بان نقصها من الصمادحية يعيبها في عين الناظر فاستشاط غضبا وقال والله ان عيبها في عين الخالق اقبح من عيبها في عين المخلوق ثم امر بان تصرف عليه واحتمل تعويرها الصمادحية ولقد مر بعض اعيان المرية واخيارها مع جماعة على هذا المكان الذي اخرجت منه جنة الايتام فقال احدهم والله لقد عورت هذه القطعة هذا المنظر العجيب فقال له اسكت فوالله لقد عورت ان هذه القطعة طراز هذا المنظر وفخره وكان المعتصم اذا نظر اليها قال لاصحابه ان هذا المكان المعوج في عيني احسن من سائر ما استقام من الصمادحية ثم ان ورثة ابن ازهم لم يزل يلاطفا الشيخ والايتام حتى باعوها عن رضى بما اشتهوا من الثمن وذلك بعد مدة طويلة فاستقام لها بنا الصمادحية وحصل للمعتصم

حسن

60

حسن التسمية في الناس والاجر عند الله ولما مات المعتصم بن صمادح ركب البحر ابنه ولي عهده الواثق عز الدولة ابو محمد عبيد الله وفارق الملك كما اوصاه المعتصم والده وفي ذلك يقول •

لك الحمد بعد الملك اصبح خاملا • بارض اغتراب لا امر ولا احلي

وقد اصدات فيها الجداول منصلي • كما نسيت ركض الجياد بها رجلي

فلا مسمعي يصغي لنغمة شاعر • وكفي لا تمتد يوما الى بذل

قال ابن اللبانة الشاعر ما علمت حقيقة جور الدهر حتى اجتمعت ببجاية مع عز الدولة ابن المعتصم بن صمادح فاني رايت منه خير من يجتمع به كانه لم يخلقه الله الا للملك والرياسة واحيا الفضايل ونظرت الى همته تنم من تحت خموله كما ينم فرند السيف وكرمه من تحت صداه مع حفظه لفنون الادب والتواريخ وحسن استماعه واسماعه ورقة طباعه ولطافة ذهنه ولقد ذكرته لاحد من صحبة الادبا في ذلك المكان ووصفته بهذه الصفات فتشوق الى الاجتماع به ورغب الي في ان استاذنه في ذلك فلما اعلمت عز الدولة قال يا ابا بكر لتعلم انا اليوم في خمول وضيق لا يتسع لنا معهما ولا يجمل بنا الاجتماع مع احد لا سيما مع ذي ادب ونباهة يلقانا بعين الرحمة ويزورنا بمنة التفضل في زيارتنا ونكابد من الفاظ توجعه والحاظ تفجعه ما يجدد لنا همّا قد بلي ويحيي كمدا قد فني وما لنا قدرة على ان نجود عليه بما يرضي به عن همتنا قد عفنا كاننا في قبر نتدرع لسهام الدهر بدرع الصبر واما انت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم وامتزجت امتزاج الما بالخمر فكانا لم نكشف حالنا لسوانا ولا اظهرنا ما بنا لغيرنا فلا تحمل غيرك محملك قال ابن اللبانة فلا والله ما سمعت بلاغة لا تعتذر الا عن سداد وكنفس ابية متمكنة من اعنة البيان فانصرفت متمثلا

لسان الفتى نصف ونصف فواده • ولم يبق الا صورة اللحم والدم

وكاين ترى من صامت لك معجب • زيادته او نقصه في التكلم

وكتب اليه ابن اللبانة

يا ذا الذي هز امداحي بحليته • وعز ان يهز الجود والكرما

واديك لا زرع فيه اليوم تبذله • فخذ عليه لايام المني سلما

فتحيل في قليل بر وجهه اليه وكتب معه

الجد يخجل من يعديك من زمن • ثناك عن واجب البر الذي علما

فدونك النزر من مصفي مودته • حتى يوفيك ايام المني السلما

ومن شعر عز الدولة المذكور •

افدي اباعمرو وان كان عاتبا • ولا خير في ود يكون بلا عتب

وما كان ذاك الود الا كبارق • اضا لعيني ثم اظلم في قلبي

وقال الشقندي في الطرف ان عز الدولة اشعر من ابيه واما اخوه رفيع الدولة الحاجب ابو زكريا يحيى بن المعتصم فله ايضا نظم رايق ومنه ما كتب به الى يحيى ابن مطروح يستدعيه لانس •

يا اخي بل سيدي بل سندي • في مهمات الزمان الانكد

لح بافق غاب عنه بدره • في اختفاه من عيون الحسد

وتعجل فجبيني خاصر • وفي دشتاق كاسي في يدي

فلجاوبه ابن مطروح وهو من اهل باغه بقوله

انا عبد من اقل الاعبد • فيلتي وجه بالافق الاسعد

كلما اظماني ورد ظما • منهلي الا ينابك المورد

ها انا بالباب ابغي اذنكم • والظما قد مد للكاس يدي

وكان قد سلط عليه انسان يختل اذا راه يقول هذا الف لا شي عليه يعني انه الكه ذهب عنه وبقي فارغا منه فشكى رفيع الدولة ذلك الى بعض اصحابه فقال انا اكفيك مونته واجتمع مع الاحمق واشتري له حلوا وقال له اذا رايت رفيع الدولة ابن المعتصم فسلم عليه وقبل يده ولا تقل هذا هو الف لا شي عليه فقال نعم واشترط الوفا بذلك الى ان لقيه يجري نحوه وقبل يده وقال هذا هو يا بنقطة من اشغل فقامت قيامة رفيع الدولة وكان ذلك اشد عليه وكان به علة الحصى فنظر ان الاحمق علم ذلك وقصده وصار كلما احس به في موضع تجنبه واستاذن يوما على احد وجوه دولة المرابطين فقال الاحد جلسايه تلك امة قد خلت استحقارا له واستثقالا للاذن له فبلغ ذلك رفيع الدولة فكتب اليه

خلت امني لكن ذاتي لم تخل • وفي الفرع ما يغني اذا ذهب الاصل

وما ضركم لو قلتم قول ماجد • يكون له فيما يجي به الفضل

وكل اناء بالذي فيه راشح • ومن عنيخ الزنبور ما مجه النحل

سامرف وجهي عن جناب بخله • ولو لم تكن الا الي وجهه السبل

فما موضع تختله بمرفع • ولا ابن تصغي فيه مقال ولا فعل

وقد كنت ذا عذل لعلك ترعوي • ولكن بارباب العلى يجمل العذل

واما اخوهما ابو جعفر بن المعتصم فله ترجمة في المسهب والمطرب والمغرب

ومن شعره

كتبت وقلبي ذو اشتياق ووحشة • ولو انه يستطيع مر بسلم

جعلت سواد العين فيه سواده • وابيضه طرسا واقلت الثم

تخيل لي اني اقبل موضعا • يصافحه ذاك البنان المسلم

واما اخيهم

واما اخيهم ابن الكرم فذكرنا ها مع النسا فلتراجع وقال ابو العلي بن زهر

تمت محاسن وجهه وتكاملت • لما بدا وعليه صدغ مونق

وكذلك البدر المنير جماله • في ان تكنفه سماء ازرق

وقال ابو الفضل بن شرف •

يا من حكي البيذق في شكله • اضيع يحكيك ويحكيه

اسفله اوسع اجزايه • وراسه اصغر ما فيه

وقال ابن خفاجة

يا ايها الصب المعني به • ها هو لا خل ولا خمر

سود ما ورد من خده • فصار فحما ذلك الجمر

وقال ابو عبد الله البياسي

صغر الراس وطول العنق • شاهدا عدل بفرط الحمق

ولما سمعه ابو الحسن بن حريق قال

صغر الراس وطول العنق • خلعة منكرة في الخلق

فاذا ابصرتها من رجل • فاقض في الحين له بالحمق

وقال ابو الحسن بن المفضل يذكر معا ما قامة سهل بن مالك وابن عياش

لعمري لمقتدر الخلافة قايما • بخطبته العز اسهل بن مالك

واما ابن عياش ومن كان مثله • فضلوا جميعا بين تلك المسالك

ومات وما نال حسرة وحسادة • وغيظا فقلنا هالك في الهوالك

وسهل بن مالك له ترجمة مطولة رحمه الله ومن حكاياتهم في الوفا وحسن الاعتذار والقيام بحق الاخا ان الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم كان صديقا للوزير هاشم بن عبد العزيز ثابتا على مودته ولما قضى الله على هشام بالاسر ايدي السلطان محمد بن عبد الرحمن الاموي ذكره في جماعة من خدامه والوليد حاضر فاستقصره ونسبه للطيش والعجلة والاستبداد برايه فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد فقال اصلح الله الامير انه لم يكن على هاشم التخير في الامور ولا الخروج عن المقدور بل قد استعمل جهده واستفرغ نصحه وقضى حق الاقدام ولم يكن ملاك النصر بيده فخذله من وثق به ونكل عنه من كان معه فلم يزحزح قدمه عن موطن حافظ حتى ملك مقبلا غير مدبر مبليا غير فشل فجوزي جزا عن نفسه وسلطانه فانه لا طريق للملام عليه وليس عليه ما جنته الحرب العشوم وايضا فانه ما قصد ان يجود بنفسه الا رضى للامير واجتنابا للسخط فاذا كان ما اعتمد فيه الرضى جالب التقصير فذلك معدود في سوء الحظ فاعجب الامير كلامه وشكر له وفاه واقصر فيما بعد عن تفنيد هاشم وسعى في تخليصه واتصل الخبر بهاشم فكتب اليه الصديق

منه صدقك في الشدة لا في الرخا والاخ من ذب عنك في المغيب لا في المشهد والوفي من وفي لك اذا خانك زمان وقد اتاني من كلامك بين يدي سيدنا جعل الله نعمه شهيدًا ما زادني بمودتك اغتباطا وبصداقتك ارتباطا ولذلك ما كنت اشد يدي على وصلك واخصك بالخاء وانا الان بموضع لا اقدر فيه على جزاء غير الثنا وانت اقدر مني على ان تزيد ما بدات به بان تتم ما شرعت فيه حتى تتكمل لك المنة ويستوثق عقد الصداقة ان شا الله تعالى وكتب اليه بشعر منه

انا ذاكر بالغيب في محفل به • وفي كلمات خلصتني من الاسر

فان قربت منه اللقاء فانني • ساجزيك ما لا ينقضي غابر الدهر

فاجابه الوليد خلصك الله ايها البدر من سرارك • وعجل بطلوعك في اكمل تمامك وابدارك • وصلني شكرك على ان قلت ما علمت ولم اخرج عن النصح للسلطان بما زكيته من ذلك والله شاهد على ان ذلك في مجالس غير المجلس المنقول لسيدي ان خفت عن المخلوق فما تخفى على الخالق وما اردت بها الا اداء بعض ما اعتقده لك وكم سهرت وانا نايم • وقمت في حقي وانا قاعد • والله لا يضيع اجر من احسن عملا • ثم ذكر ابياتا لم تحضرني الان ومن حكاياتهم في علو الهمة في العلم والدنيا انه دخل ابو بكر الصايغ المعروف بابن باجة جامع غرناطة وبه نحوي حوله شباب يقرون فنظروا اليه وقالوا مستهزئين به ما يحمل الفقيه وما يحسن من العلوم وما يقول فقال لهم احمل اثني عشر الف دينار وها هي تحت ابطي واخرج لهم اثني عشر ياقوتة كل واحدة منها بالف دينار واما الذي احسنه فاثني عشر علما اودونها علم العربية الذي تبحثون فيه واما الذي اقول فانتم كذا وجعل يبكتهم هكذا نقلت هذه الحكاية من خط الشيخ ابي حيان النحوي رحمه الله ورضي عنه ومن حكاياتهم في الذكا واستخراج العلوم واستنباطها ان ابا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس اول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة واول من فك بها كتاب العروض للخليل واول من فك الموسيقى وصنع الالة المعروفة بالمنقالة ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال واحتال في تطيير جثمانه وكسى نفسه الريش ومد له جناحين وطار في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتاذي في موخره ولم يدر ان الطاير انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنبا وفيه قال مومن بن سعيد الشاعر من ابيات

يطم على العنقاء في طيرانها • اذا ما كسى جثمانه ريش قشعم

وصنع في بيته هياة السما وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبرق والرعود وفيه يقول مومن بن سعيد ايضا •

سما عباس الاديب ابي القاسم ناميك حسن رايقها

مطلب طيران حكيم الاندلس

انا افراط

انا افراط استد فراعدها • فليت شعري ما لمع بارقها

لقد تمنيت حين دومها • نكري بالبق في است خالقها

وانشد ابن فرناس الامير محمدا من ابيات •

رايت امير المومنين محمدا • وفي وجهه بذر المحبة يثمر

فقال له مومن بن سعيد قبحًا لما ارتكبته جعلت وجه الخليفة محرثا يثمر فيه البذر فخجل ونسيه واول من اشتهر في الاندلس بعلم الاوايل والحساب والنجوم ابو عبيدة مسلم بن احمد المعروف بصاحب القبلة لانه كان يشرق في صلاته وكان عالما بحركات الكواكب واحكامها وكان صاحب فقه وحديث دخل المشرق وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز وبمصر من المزني وغيره ومنهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة من اهل قرطبة وكان بصيرًا بالحساب والنجوم والنحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل ورحل الى المشرق وقيل انه كان معتزلي المذهب وابو القاسم اصبغ بن السمح وكان بارعا في علم النحو والهندسة والطب وله تواليف منها كتاب المدخل الى الهندسة في تفسير اقليدس وكتاب كبير في الهندسة وكتابان في الاسطرلاب وزيج على مذاهب الهند المعروف بالسندهند وابو القاسم ابن الصفار وكان عالما بالهندسة والعدد والنجوم وله زيج مختصر في مذاهب السندهند وكتاب في عمل الاسطرلاب ومنهم ابو الحسن الزهراوي وكان عالما بالعدد والطب والهندسة وله كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان ومنهم ابو الحكم عمر الكرماني من اهل قرطبة من الراسخين في علم العدد والهندسة ودخل المشرق واشتغل بحران وهو اول من دخل برسايل اخوان الصفا الى الاندلس ومنهم ابو مسلم بن خلدون من اشراف اشبيلية وكان متصرفا في علوم الفلسفة والهندسة والنجوم والطب وتلميذ ابن برغوث وكان عالما بالعلوم الرياضية وتلميذه ابو الحسن مختار الرعيني وكان بصيرًا بالهندسة والنجوم وعبد الله بن احمد السرقسطي كان نافذا في علم الهندسة والعدد والنجوم ومحمد بن الليث كان بارعا في العدد والهندسة وحركات الكواكب وابن حي قرطبي بصير بالهندسة والنجوم وخرج عن الاندلس سنة ٤٤٢ ولحق بمصر ودخل اليمن واتصل بامرها الصليحي القايم بدعوة المستنصر العبيدي فحظي عنده وبعثه رسولا الى بغداد وابن الوقشي الطليطلي عارفا بالهندسة والمنطق والزيوج وغيرهم ممن يطول تعدادهم وكان الحافظ ابو الوليد هشام الوقشي من اعلم الناس بالهندسة واراء الحكما والنحو واللغة ومعاني الاشعار والعروض وصناعة الكتابة والفقه والشروط والفرايض وغيرها ونحو ما قال الشاعر

وكان من العلوم بحيث يقضي • له في كل فن بالجميع

ومن شعره قوله

قد بينت فيه الطبيعة انها • بدقيق اعمال المهندس ماهر
عنيت بمبسمه فخطت فوقه • بالمسك خطا من محيط الداير

وعزم على ركوب البحر الى الحجاز فهاله ذلك فقال

لا اركب البحر ولو انني • ضربت فيه بالعصا فانفلق
ما ان رات عيني امواجه • في فرق الا تناهى الفرق

وكان الوزير ابو المطرف عبد الرحمن بن شهيد مصنف الادوية المفردة
اية الله في الطب وعني حتى انه جمع ما في كتابه الادوية المفردة
وعرف ترتيب قواها ودرجاتها وكان لا يرى التداوي بالادوية ما امكن
بالاغذية او ما يقرب منها واذا اضطر الى الادوية فلا يرى التداوي بالمركبة
ما وجد سبيلا الى المفردة وان اضطر الى المركب لم يكثر التركيب بل يقتصر
على اقل ما يمكنه وله غرايب مشهورة في الابراء من الامراض الصعبة والعلل
المخوفة بايسر علاج واقربه ومنهم ابن البيطار وهو عبد الله بن احمد المالقي
الملقب ضياء الدين وله عدة مصنفات في الحشايش لم يسبق اليها وتوفي بدمشق
سنة ٦٤٦ اكل عقارا قاتلا فمات من ساعته رحمه الله ومن حكاياتهم في
الحفظ ان الاديب الاوحد حافظ اشبيلية بل الاندلس في عصره ابو المتوكل
الهيثم بن احمد بن ابي غالب كان اعجوبة دهره في الرواية للاشعار والاخبار وقال
ابن سعيد اخبرني من اثق به انه حضر معه ليلة عند احد رؤسا اشبيلية فجرى
ذكر حفظه وكان ذلك في اول الليل فقال لهم ان شيتم تختبروني اجبتكم فقالوا
له باسم الله فانا نريد ان يتحدث عن تحقيق فقال اختاروا اي قافية شيتم
لا اخرج عنها حتى تعجزوا فاختاروا القاف فابتدا من اول الليل الى ان طلع
الفجر وهو ينشد وزنا رقيقا على القاف ومثلي يا رق وسمان قد نام بعض وضجر
بعض وهو ما فارق قافية القاف وقال ابو عمران بن سعيد دخلت
عليه يوما بدار الاشراف باشبيلية وحوله ادبا ينظرون في كتب منها ديوان
ذي الرمة فمد الهيثم يده الى الديوان المذكور فمنعه منه احد الادبا فقال
يا ابا عمران واجبان يمنعه مني وما يحفظ منه بيتا وانا احفظه قال فاكذبته
الجماعة فقال اسمعوني واسكتوا فابتدا من اوله حتى قارب نصفه فاقسمنا
عليه ان يكف وشهدنا له بالحفظ وكان اية في سرعة البديهة مشهورا بذلك
قال ابو الحسن بن سعيد عهدي به في اشبيلية يملي على احد الطلبة شعرا
وعلى ثان موشحة وعلى ثالث زجلا كل ذلك ارتجالا ولما اخذ الحصار بمخنق
اشبيلية في مدة الباجي خرج خروج الفارطين ولا يدري حيث ولا اين ومن

شعره

ومن شعره وقد نزل بدار عبيد السلطان وكتب به الى صاحب الانزال

كم من يملك لا اقوم بشكرها • وبها ابشر اليك ان خرست فمي
وقد استقرتك في الحديث فلا تر • ان يدخل العريان وكرا الهيثم

وله

تجني الفقير ويثني الناس قاطبة • بابا لغني كذا حكم المقادير
وانما الناس امثال الفراش فهم • بحيث تبدو مصابيح الدنانير

وله

عندي لفقدك اوجال ابيت بها • كانني واضع كفي على قبس
ولا ملامة ان لم اهد نشيتي • حتى تمد اليها كف مقتبس
قد كنت اودع سر الشوق في طرس • لكنني خفت ان يعدو على الطرس

وانشد له ابو سهل شيخ دار الحديث بالقاهرة في املا به

قف بالكثيب لعينك التانيب • ان الكثيب هوى لنا محبوب
يا راحلين لنا عليكم وقفة • ولكم علينا دمعنا المسكوب
تخلى الديار من الاحبة والهوى • ابدا وتعمر اضلع وقلوب

وقال ارتجالا في صفة فرس اصفر •

اطرف فات طرفي ام شهاب • مضى كالبرق ضرمه التهاب
اعار الصبح صفحته نقابا • فغرته وضح له النقاب
فمهما جئت خال الصبح وافى • ليطلب ما استعار فما يصاب
اذا ما انقض كالنجم عنه • وضلت عن مساكلة السحاب
فيا عجبا له فضل الدراري • فكيف اذا ال ارتبعة التراب
سل الارواح عن اقصى مداه • فعند الريح قد بلغني الجواب

وقال ابو عمر الطلمنكي دخلت مرسية فتشبث بي اهلها يسمعوا على الغريب المصنف
فقلت انظروا من يقرا لكم وامسكت انا كتابي فاتوني برجل اعمى يعرف بابن سيدة
فقراه على من اوله الى اخره فعجبت من حفظه وكان اعمى ابن اعمى وابن سيدة المذكور هو
ابو الحسن علي بن احمد بن سيدة وهو صاحب كتاب المحكم ومن نظمه مما كتب به الى ابن
الموفق

الا مل الى تقبيل راحتك اليمنى • سبيل فان الامن في ذاك واليمنا

ومنها

ضحيت فهل في برد ظلك نومة • لذي كبد حرا وذي مقلة وسنا

وتوفي ابن سيدة المذكور سنة ٤٥٨ وعمره نحو الستين رحمه الله ومن حكاياتهم في
حب العلم ان المظفر بن الافطس صاحب بطليوس كان كما قال ابن الابار كثير الادب جم المعرفة

محبًا لاهل العلم جامعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن في ملوك الاندلس من يفوقه في ادب ومعرفة قاله ابن حيان وقال ابن بسام كان المظفر اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرايق والتاليف الفايق المترجم بالتذكرة والمشتهر اسمه ايضًا بالكتاب المظفري في خمسين مجلدًا يشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الادب ابقاه للناس خالدًا وتوفي المظفر سنة ٤٦٠ وكان يحضر العلما للمذاكرة فيفيد ويستفيد رحمه الله ومن التواليف لكبار اهل الاندلس كتاب التسماء والمعالم الذي الفه احمد بن ابان صاحب شرطة قرطبة وهو ماية مجلد رايت بعضه بفاس وتوفي ابن ابان سنة ٣٨٢ رحمه الله ولاهل الاندلس دعابة وحلاوة في محاوراتهم واجوبة بديهية مسكتة والظرف فيهم والادب كالغريزة حتى في صبيانهم ويهودهم فضلًا عن علمايهم واكابرهم ولنذكر جملة من ذكر الجملة فنقول حكي عن عالم المرية القاضي ابي الحسن مختار الرعيني وكان فيه حلاوة ولوذعية ووقار وسكون انه استدعاه يومًا زهير ملك المرية من مجلس حكمه فجاء يمشي مشية قاض قليلًا قليلًا فاستعجله رسول زهير فلم يتعجل فلما دخل عليه قال له يا فقيه ما هذا البطا فنا خر الى باب المجلس وطلب عصي وشمر ثيابه فقال له زهير ما هذا قال بلغني استعجال الحاجب لي فوقع في خاطري انه عزلني عن القضاء ولّاني الشرطة فضحك زهير واستحلاه ولم يعد الى استعجاله وهذا القاضي هو القايل وقد دخل حمامًا فجلس بازايه عامي ليس عليه الادب

الا ان الحمام دار فانه • سوا به ذو العلم والجهل في القدر

تضيع به الاداب حتى كانها • مصابيح لم تنفق على طلعة الفجر

وروي ان المقري ابا عبد الله محمد بن الفرا امام النحو واللغة في زمانه وكانت فيه فطنة ولوذعية ابطا خروجه يومًا الى تلامذته فطال بهم الكلام في المذاكرة فقال احدهم تصنعت بيت وكان فيهم وسيم من ابنا الاعيان وكان ابن الفرا كثير الميل اليه فلما خرج قال له يا استاذ عملت نصف بيت واريد ان تتمه فقال له ما هو فقال الابا بي شادنا وطف فقال الاستاذ ابن الفرا بديهًا •

اذا كان ورد لا ينعطف • وثغر ثناياك لا يرتشف

فاي اصطبار بنا ان نقول • الابابي شادنا وطف

وهذا ابن الفرا هو القايل •

قيل لي قد تبدلاه • فاسل عنه كما سلا •

للنسيم وناظر • وفوادِ فقلت لا

قيل قال وصالك • قلت لما غلا حلا

ايها العاذل الذي • يعذا بي توكلا

عد صحيحًا مسلمًا • لا تغير فتبتلا

وتذكرت

وتذكرت بهذا ما انشد لسان الدين في كتابه روضة التعريف بالحب الشريف

قلت للشاعر الذي • رفع الانف واعتلا

انت لم تاتِ من الهوى • لا تغير فتبتلا

ومن بديع نظم ابن الفرا المذكور قوله •

شكوت اليه بفرط الدنف • فانكر من قصتي ما عرف

وقال الشهود على المدعي • واما انا فعلي الحلف

فجينا الى الحاكم الالمعي • قاضي المجون وشيخ الطرف

وكان بصيرًا بشرع الهوى • ويعلم من اين اكل الكتف

فقلت له اقض ما بيننا • فقال الشهود على ما تصف

فقلت له شهدت ادمعي • فقال اذا شهدت تنتصف

ففاضت دموعي من حينها • كسيل السحاب اذا ما يكف

فحرك راسًا الينا وقال • دعوا يا مهاتيك هذا الصلف

كنا تقتلون مشاهيرنا • اذا مات هذا فاين الخلف

واوما الى الورد ان يجتني • واوحى الى الريق ان يرتشف

فلما راه حبيبي معي • ولم يختلف بيننا مختلف

ازال العناد فعانقته • كاني لام وحبي الف

وظلت اعاتبه في الجفا • فقال عفا الله عما سلف

وحكي عن الزهري خطيب اشبيلية وكان اعرج انه خرج مع ولده الى وادي اشبيلية فصادفه جماعة في مركب وكان ذلك بقرب الاضحى فقال بعضهم له بكم هذا الجزو واشار الى ولده فقال له الزهري ما هو للبيع فقال فكم هذا التيس واشار الى الشيخ الزهري فرفع رجله العرجا وقال هو معيب لا يجزي في الضحية فضحك كل من حضر وعجبوا من لطف خلقته وركب مرة هذا النهر مع الباجي يوم خميس فلما اصبحا وصعد الزهري يخطب يوم الجمعة والباجي حاضر قدامه فنظر اليه الباجي واوما الى محل الحدث واخرج لسانه فجعل الزهري يلمس عصى الخطبة يشير بالعصى الى جوابه على ما قصد رحمه الله ومن العالم ابو الناسم ابن ورد فوقف بالباب وكتب اليه •

شاعر قد عراك يبغي اباه • عندما اشتاق حسنه وشذاه

وهو بالباب مصغيًا للجواب • يرتضيه الندى فماذا تراه

فعندما وقف على البيتين علم ان ابن ورد فبادر من جنته اليه • واقسم في النزول عليه ونثر من الورد ما استطاع بين يديه وحكي ان ابا الحسين سليمان بن الطراوة نحوي المرية حضر مع ندما والى جانبه من اخذ بمجامع قلبه فلما بلغت النوبة اليه استعفى من الشرب وابدى التطوب فاخذ ابن الطراوة الجام من يده وشربها عنه وبا يده

على كبد

ثم قال بعدها

يثير بها الشيخ وامثاله • وكل من يحمد افعاله
والبكر ان لم تستطع صولة • تلقي على الباذل اثقاله

ودخل عليه وهو مع ندمائه غلام تكابس في يده فقال

الا ابي وغيرا بي غزال • اتى وبراحه للشرب راح
فقال المنادي في الحرصه • فقلت الشمس جاء بها الصباح

وقال فيمن حيا بالراح

ولما رايت الصبح لاح بحسنه • دعوتهم رفقا تلح لكم الشمس
واطلعها مثل الغزالة وهو كالـ • غزالة فتم الطيب واكمل الاس

وقال وقد شرب ليلة القدر

شربنا بمصباح السما مدامة • بشاطي غدير والازاهر تنفح
وظل جهول يرقب الصبح ضلة • ومن كوسي لم يبرح الليل يصبح

وكان ابو عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يشرب مع ندما ظراف في جنة بهجة فجاءتهم ورقة من ثقيل يرغب في الاذن وكان له ابن مليح فكتب اليه مدغليس

سيدي هذا مكان • لا يرى فيه بجيه
غير تيس صفعاني • لذا بالصفع كريه
او له ابن شافع • فيه فيلقى بالتحية
ايها القايل بادر • سائقا تلك المطية

وكان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة في الازجال خليفة ابن قزمان في زمانه وكان اهل الاندلس يقولون ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعرا ومدغليس بمنزلة ابي تمام بالنظر الى الانطباع والصناعة فابن قزمان ملتفت للمعنى ومدغليس ملتفت للفظ وكان اديبا معربا لكلامه مثل ابن قزمان ولكنه لما راى نفسه في الزجل انجب اقتصر عليه ومن شعره قوله

ما ضركم لو كتبتم • حرفا ولو باليسار
اذ انتم نور عيني • ومطلبي واختياري

وقال الخطيب الاديب النحوي ابو عبد الله محمد بن عبد الله الغرا المذكور قبل هذا بقرب الضرير في صبي كان يقرا عليه النحو اسمه حسن وهو في غاية الجمال بعد ان سأله كيف تقول اذا تعجبت من حسنك فقال ما احسني

يا حسنا ما لك لم تخش • الى نفوس بالهوى متعبه
رقمت بالورد وبالسوسن • صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد ابى صدغك ان يجتنى • منه وقد اذعني عقربه

ياحسنه

يا حسنه اذ قال لي ما احسني • ويا لذاك اللفظ ما اعذبه
فوق السهم ولم يخطني • وادراني ميتا اعجبه

وقال

كم عاشق كم حيني • وحبه اياي قد عذبه
يرحمه الله على انني • قبلته لم ادر ما اوجبه

وهذا ابن الغرا من فضلاء المائة السادسة ذكره ابن غالب في فرحة الانفس في فضلاء العصر من الاندلس وكان شاعرا مجيدا يعلم بالمرية القران والنحو واللغة وكانت فيه فطنة ولوذعية وذكا والمعية خرق بها العوائد وذكر ان قاضي المرية قبل شهادته في سطل مين في حمام باللمس واختبره في ذلك بحكاية طويلة وذكره صفوان في زاد المسافر ووصفه بالخطيب وجده القاضي ابو عبد الله بن الغرا مشهورا بالصلاح والفضل والزهد ومن العجائب انه ليس له ترجمة في المغرب ولما كتب امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى اهل المرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذي يقول فيه اما بعد فما ذكره امير المسلمين من اقتضا المعونة وتاخري عن ذلك وان الباجي وجميع القضاة والفقها بالعدوة والاندلس افتوا بان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه في قبره ولا يشك في عدله فليس امير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه في قبره ولا ممن لا يشك في عدله فان كان الفقها والقضاة انزلوك بمنزلته في العدل فالله سائلهم عن تقلدهم فيك وما اقتضاها عمر رضي الله عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف ان ليس عنده درهم واحد ولا في بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام انتهى واما ابن الغرا الاخفش بن ميمون الذي ذكره الحجاري في المسهب فليس من هولا بل هو من حضرة العيداق من اعمال قلعة بني سعيد وتادب في قرطبة ثم عاد الى حضرة غرناطة واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودي وهو القايل

صافح بحياه تلق النجح في الامل • وانظر بناديه حسن الشمس في الحمل
ما ان يلاقي خليل فيه من خلل • وكلما حال صرف الدهر لم يحل

وكان يهاجي المنفتل شاعر البيرة ومن هجايه المنفتل له قوله

لابن ميمون قريض • زمهرير البرد فيه
فاذا ما قال شعرا • نفثت سوق ابيه

ولما وفد على المرية مدح رفيع الدولة ابن المعتصم بن صمادح بشعر فقال له بعض من اراد ضرره يا سيدي لا تقرب هذا اللعين فانه قال في اليهودي

ولكن عندي للوفاء بقية • تركت بها الاسلام يبكي على الكفر

فقال له رفيع الدولة هذا والله هو الذي ينبغي ان يصطنع فلولا وفاؤه ما بكى كافر

بعد موته وقد وجدنا في اصحابنا من لا يرعي مثلما في حبايته وقال فيه المنفتل

ان كنت اخفش عينين • فان قلبك اعمي
فكيف تنثر نثرا • وكيف تنظم نظما

ومن شعر الاخفش المذكور •

اذا زرتكم غبا فلم الق بالبر • وان غبت لم اطلب ولم اجر في الذكر
فاني اذا اولي الوري ببراقكم • ولا سيما بعد التجلد والصبر

ولما وفد علي المنصور بن ابي عامر الشاعر المشهور ابو عبد الله محمد بن مسعود الغساني البجاني اتهم برهق في دينه فسجنه في المطبق مع الطليق القرشي والطليق غلام وسيم وكان ابن مسعود به كلفا يوميذ وفيه يقول

غدوت في السجن خدنا لابن يعقوب • وكنت احسب هذا في الاكاذيب
رامت عدا في تعذيبي وما شعرت • ان الذي فعلوه ضد تعذيبي
راموا ابعادي عن الدنيا وزخرفها • فكان ذلك ادناي وتقريبي
لم يعلموا ان سجني لا ابا لهم • قد كان غاية مامولي ومرغوبي

وانطلق ابن مسعود والطليق قبله ووقع بينه وبين الطليق وعاد المدح هجا

فقال فيه

ولي جليس قريب مني • يعد الاماني كذبا عني
فقد تبت من لحظه متلق • وقرحت من لفظه اذني
رامني في السجن من قربه • اشد في السجن من السجن
لو ان خلقا كان ضدا له • زاد علي يوسف في الحسن
اذا ازتمي فكري في وجهه • سلطا بطبيه علي ذهني
كانما يجلس من ذا وذا • بين كنيفين من النتن

وقال يخاطب المنصور من السجن •

دعوت لتاعيل صبري فهل • يسمع دعواي المليك الحليم
مولاي مولاي الا عطفة • تذهب عني بالعذاب الاليم
ان كنت اضمرت الذي زخرفوا • عني فدعني للقدير الرحيم
فعنده نزاعة للشوي • وعنده الفوز وروضات النعيم

وركب بعض اهل المرية في وادي اشبيلية فمر علي طاقة من طاقات شنتبوس وهو يغني

خليلي من واد ومن قوارب • ومن نزاهاتي في شنتبوس
عرس الحبق الذي في داري • احب عندي من العروس

فاخرجت راسها جارية وقالت له من اي بلد انت يا من يغني فقال وانا ايضا حصلت في يد لا تستغني الا طاعته ومن نظم المذكور •

دفعت من دهري الي جاير • ويبتغي العدل باحكامي
افحص براملاكه مثل اشكاله • خيال طوع ايامي
هذا لما ابرم ذا نا قبض • كانهم في حكم احلام

وكان الفقيه العالم ابو محمد عبد الله الوحيدي قاضيها لقة جري كما قال الحجاري في صباه طلق الجموح • ولم يزل يعاقب بين غبوق وصبوح • الي ان دعاه النذير فاهتدي منه بسراج منير • واحلته تلك الرجعة • فيما منا من الرفعه وقال بعض معاشريه كنت اماشيه زمن الشباب • فكنا مررنا علي امراة يدعو حسنها وشكلها الي ان تحير الالباب • اما لعليها طرفه • ولم يبح عنها طرفه ثم سايرته بعدها رجع عن ذلك واقتصر • فرايته يغض البصر • ويخلي الطريق معرضا الي ناحيه • متي زاحمته امراة ولو حكت الشمس ضاحيه • فقلت له في ذلك

فقال

ذاك وقت قضيت فيه غرامي • من شبابي في سترة الاظلام
ثم لما بدا الصباح لعيني • من مشيبي ودعته بسلام

ومن شعره في صباه

لا تزجوا رجعتي بالنوم عن عرض • ولا تتركوني وصيدي فرصة الخالس
طلبتم رد قلبي عن صبابته • ومن يرد عنان الجامح الشرس

ولما اقصر باطله وعريت افراس الصبي ورواحله

ولما بدا شيبي عطفت علي الهوي • كما يهتدي خلف السري بنجوم
وفارقت اشياع الصبابة والطلي • وملت الي اهل العلي وعلوم

ولما تالب بنو احسون علي القاضي الوحيدي المذكور صاد رعنه العالم الاصولي ابو عبد الله بن النجار وطلع في حقه الي الحضرة الامامية مراكش وقام في مجلس امير المسلمين ابن تاشفين وقد غص باربابه وقال انه لمقام كريم نبدا فيه بحمد الله علي الذ نومنه ونصلي علي خيرة انبيايه محمد الهادي الي الصراط المستقيم وعلي آله وصحابته نجوم الليل البهيم اما بعد فانا نحمد الله الذي اصطفاك للمسلمين اميرا وجعلك للدين الحنيفي نصيرا وظهيرا • ونفزع اليك مما دهمنا في حماك وبث لديك ما لحقنا من الضيم ونحن تحت ظل علاك • ويابي الله ان يدهم من احتمي بامير المسلمين ويصاب بضيم من اذرع بحصنه الحصين • شكوي قمت بها بين يديك • في حوامرك الذي عضده موتيه • لتسمع منها ما تحتج برايك وتنتقده • وان قاضيك ابن الوحيد الذي قدمته في مالقة للاحكام • ورضيت بعدله فيمن بها من الخاصة والعوام لم يزل يدل علي حسن اختيارك بحسن سيرته • ويرضي الله والناس بظاهره وسريرته ما علمنا عليه من سوء ولا درينا له موقف خزي ولم يزل جاريا علي ما يرضي الله تعالي

دبر ضيك وبرضينا الي ان تعرضنا بنو لحصون الي التطفل في احكامه • والهدم من اعلا
ولم يعلموا انا بمنتقم المقدم • والج علي المقدم • بل جمحوا في لجاجهم فعموا وصموا
وضلوا وانضوا ما به هموا والي السحب برفع الكتب من قدحت عنه مثل عين ونهر
فلا سمعه بلاغة اعقبت نقص ونصر صاحبه ومن شعر ابن النحاس المذكور ويعرف
بابن نصف الرتبض **قولـــه**

استنكر اشيب المفارق في الصبا • ويمل بيكر النور المتنح في الغصن
اطرط لابا لمجد شيب مفرقي • وان كنت في احدى وعشرين من سني

وقولـــه

اقل عتابك ان الكريم • يجازي علي حبه بالقلي
وخل اجتنابك ان الزمان • يمر بتكدير ما حلا
وواصل اخاك بعلته • فقد يلبس الثوب بعد البلا
وقل كالذي قاله الشاعر • نبيل وحقك ان تنبلا
اذا ما خليلي اساء مرة • وقد كان فيما مضى مجملا
ذكرت المقدم من فعله • ولم يفسد الاخر الاولا

ولما وفد ابو الفضل بن شرف من برجة في زي تظهر عليه البداوة بالنسبة الي
اهل حضرة المملكة العظمي انشده قصيدته القافية

سطل الليل بوعد الفلق • وتشكي النجم طول الارق
ضربت ريح الصبا مسك الدجا • فاستفاد الروض طيب العبق
والاح الفجر خدا خجلا • جال من رشح الندي في عرق
جاور الليل الي انجمه • فتساقطن سقوط الورق
واستفاض الصبح فيها فيضة • ايقن النجم لها بالغرق
فانجلي ذاك السنى عن حلك • وانمحى ذاك الدجا عن شفق
بابي بعد الكرى طيف سرى • طارقا عن سكن لم يطرق
زارني والليل ناع سدفه • وهو مطلوب بباقي الرمق
ودموع الطل تمريها الصبا • وجفون الروض غرقى الحدق
فتاني في ازار شايب • وتثني في وشاح قلق
وتجلي وجهه عن شعره • فتجلى فلق عن غسق
نهب الصبح دجى ليلته • فحبا الخد ببعض الشفق
سلبت عيناه حدي سيفه • وتحلي خده بالرونق
وامتطي من طرفه ذا اجنب • يلثم الغبرآ انه لم يعشق
اشوس الطرف علته نخوة • يتهادى كالغزال الخرق

لو غنى

لو تمطي بين اسراب المهى • نازعته في الحشى والعنق
حرت دهمته عن غرة • كشف الظلما عن يقق
لبست اعطافه ثوب الدجا • وتحلي خده بالايقق
وانبرى يخنبه اجفل عن • لسعة ارجله او زلق
مذركا بالمهل ما لا ينتهي • لاحقا بالرفق ما لم يلحق
ذو رضي مستتر في غضب • ذو وقار منطو في خرق
وعلي خد كمصقب ابيض • اذن مثل سنان ازرق
كلما نقبها مستمعا • بدت الشهبا الي مسترق
حاذرت منه شبي خطيه • لا تجيد الخط ما لم يمشق
كلما شامت عذاري خده • خفقت خفق فؤاد الفرق
في ذري ظمان فيه هيف • لم يدعه للقضيب المورق
يتلقاني بكعب مفعم • يقتفيها وعذار مشلق
ان يزد زرق طرف يلتهج • او يجل جول لسان ينطق
عصفت ريح علي انبوبه • وجرت كعينه في زيبق
كلما قلبه باعد عن • متن ملساء كمثل البرق
جمع السرد فوي ازرها • فتاخذن بعهد موثق
او جيت في الحرب من وخز القنا • فتوارت حلقا في حلق
كلما دارت بها ابصارها • صورت منها مثال الحدق
نال عنه متن مفتول القوى • يرتمي في مائها بالحرق
لو تقضي وهو عليه ثوبه • لتفرى عن شواظ محرق
اكمين هبوات احضر • من فرند احمر من علق
وارتوت صفحاه حتى خلته • نحبا من كفيك سقي
يا بني معن لقد طلت بكم • شجر لولاكم لم تورق
لو سقى حسان احسانكم • ما بكى ندمانه في جلق
او دنا الطائي من حيكم • ماحدا البرق لربع الابرق
ابدعوا في الفضل حتى كلفوا • كاهل الايام ما لم تطق

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه وحسد بعض من حضره كان من جملة من حسد
ابن اخت غانم فقال له من اي البوادي انت فقال انا من الشرف في الدرجة العالية
وان كانت البادية علي بادية ولا انكر حالي ولا اعرف بحالي فمات ابن اخت غانم خجلا
وشمت به كل من حضر وابن شرف المذكور هو الحكيم الفيلسوف ابو الفضل جعفر بن اديب
افريقية ابي عبد الله محمد بن شرف الجذامي ولد ببرجة وقيل انه دخل الاندلس مع ابيه

ومنه ابن سبع سنين ومن نظمه قوله •

رأى الحسن ما في خده من بدايع • فاعجبه ما ضم منه وحرفا

وقال لعل النبت فيه نوادرا • فتلك له لا بل غريبا مصنفا

وقوله

قد وفقنا الشكر في لديكم • فلست اقوى على الوفادة

ونلت افضى المراد منكم • فصرت اخشى من الزيادة

وقوله

اذا ما عدوك يوما سما • الى رتبة لم تطق نقضها

فقبل ولا تأنفن كفه • اذا انت لم تستطع عضها

وقوله وقد تقدم به على كل شاعر •

لم يبق للجور في ايامهم اثر • الا الذي في عيون الغيد من حور

واول هذه القصيدة قوله •

قامت تجر ذيول العصب والحبر • ضعيفة الخطو والميثاق والنظر

وكان قد قطر مداحه على المعتصم وكان ينشد عليه في الاعياد واوقات الفرج والفتوحات فوفد عليه مرة يشكو عاملا نافسه في قرية بجرت فيها وانشد الرائية التي من مطلعها الى ان بلغ قوله لم يبق للجور البيت فقال لكم في القرية التي بحرت فيها فقال فيها نحو خمسين بيتا فقال له انا اسوغك جميعها لهذا البيت الواحد ووقع له بها وعزل عنها نظر كل وال الدولة ابن فيلسوف شاعر مثله ومنه ابو عبد الله محمد بن ابي الفضل المذكور وهو القايل •

وكريم اجادني من زمان • لم تكن من حظوبه لي يد

منشد كلما اقول تناهى • ما لمن يبتغي المكارم حد

وابن اخت غانم هو العالم اللغوي ابو عبد الله محمد بن معمر من اعيان مالقة متفنن في علوم شتى الا ان الغالب عليه علم اللغة وكان قد رحل من مالقة الى المرية فحل عند ملكها المعتصم بن صمادح بالمكانة العلية وهو القايل في ابن شرف المذكور

قولوا للشاعر برجية هل جاء من • ارض العراق فحاز طبع البحتري

واتى باشعار نفخ بكفه • ونقول هل اعزى لمن لم يشعر

يا جعفر اردد القريض لاهله • واترك مباراة لتلك الابحر

لا تدعي ما لم تكن اهلا له • هذا الرضاب لغير فيك لا نجر

وذكر ابن اليسع في معربه وقال انه حدثه بذلك في مالقة وهو ابن مائة سنة واخذ عنه عام اربعة وعشرين وخمسمائة وله تواليف منها شرح كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري في ستين مجلدا وغير ذلك وغانم خاله الذي يعرف به هو الامام العالم غانم

المخزومي

المخزومي نسبا اليه اشتهر ذكره • وعلا قدره • ولما قرا العالم الشهير ابو محمد بن عبدون في اول شبابه على ابي الوليد بن ضابط النحوي المالقي جرى بين يديه ذكر الشعر وكان قد تبحر منه فقال الشعر خطة خسف فقال ابن عبدون متعرضا به حين كان منتحيا باب النظم وكان اذ ذاك شيخا لكل طالب عرف للشيخ عيبة عيب وللفتى ظرف ظرف وابن ضابط هو القايل في المظفر بن الافطس •

نظمنا لك الشعر البديع لاننا • علمنا بان الشعر عندك ينفق

فان كنت تهوى بامتداح مظفرا • فاني في قصدي اليك موفق

ودخل غانم المخزومي السابق وهو من رجال الذخيرة على الملك بن حبوس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان في المجلس فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة • سم الخياط مجال للمحبين

ولا تسامح بغيضا في معاشرة • فقلما تسع الدنيا بغيضين

ومنه القايل

وقد كنت اغدو نحو قطرك فارحا • فها انا اغدو نحو قبرك ثاكلا

وقد كنت في مدحيك سحبان وايل • فها انا من فرط الاسى باقلا

وله

الصبر اولى بوقار الفتى • من ملك يهتك ستر الوقار

من لزم الصبر على حاله • كان على ايامه بالخيار

وكتب ابو علي الحسن بن الغليظ الى صاحبه ابي عبد الله بن السراج وقد قدم من سفر

يا من اقلب طرفي في محاسنه • فلا ارى مثله في الناس انسانا

لو كنت تعلم ما لاقيت بعدكم • ما شربت كاسا ولا استحسنت ريحانا

فورد عليه من حينه وقال اردت مجاوبتك فخفت ان ابطي وصنعت الجواب في الطريق

يا من اذا ما سقتني الراح راحته • اهدت الي بها روحا وريحانا

من لم يكن في صباح السبت ياخذها • فليس عندي بحكم الظرف انسانا

فكن على حسن هذا اليوم مصطبحا • مذكرا حسنا فيه واحسانا

وفي البساتين ان ضاق المحل بنا • مندوحة لا عدمنا الدهر بستانا

ووفد ابو علي الحسن بن كسرى المالقي الشاعر المشهور على ملك اشبيلية السيد ابي اسحاق ابراهيم بن امير المومنين يوسف بن امير المومنين عبد المومن بن علي فانشد قصيدة طار مطلعها في الاقطار كل مطار وهو

قسما بحمص انه لعظيم • فيها المقام وانت ابراهيم

ووصف الشاعر غطا المالقي غادة جعلت على راسها تاجا فقال

وذات تاج رصعوا دونه • فزاد في لالايها باللال

كانها شمس وقد توجت • بانجم الجوزاء فوق الهلال
فداشتكي الخلخال منها الي • سوارها فاشبهها في المقال
والجر ياذكرا لوشاح الذي • لما يزل من حضرها في مجال
فقال لم ارض بما نلته • وليتني مثلكما لا ازال
اعض بالخصر واعني به • كمغض ظمان بماء زلال
وانما الدهر بغير الرضي • يقضي فكل عن رضا من محال

ومنه القايل

سل بحمامنا الذي • كل عن شكوى في
كم ارانى بقربه • جنة في جهنم

وكان يحضر حلقة الامام السهيلي وضي الوجه من تلامذته فانقطع لعارض فخرج الشيخ السهيلي مارا في الطريق الذي جرت عادته بالمشي فيه فوجد فناه نضح فمنعته من المرور فرجع وسلك طريقا اخر فمر على دار تلميذه الوضي فقال له بعض اصحابه مما زحا بعبور على منزله فقال نعم وانشد ارتجالا

جعلت طريقي على بابه • ومالي على بابه من طريق
وعاديت من اجله جيرتي • واخيت من لم يكن لي صديق
فان كان قتلي حلالا لكم • فسيروا بروحي سيرا رفيق

وابو القاسم السهيلي مشهور عرف به ابن خلكان وغيره ويكنى ايضا بابي زيد وهو صاحب كتاب الروض الانف وغيره واجتاز على سهيل وقد خربه العدو ولما اغار عليه وقتلوا اهله واقاربه وكان غايبا عنهم فاستاجر من اركبه دابته واتى به اليه فوقف بازايه وانشد •

يادار اين البيض والارام • ام اين جيران على كرام
راب المحب من المنازل انه • حيي فلم يرجع اليه سلام
لما اجابني الصدى عنهم ولم • يلج المسامع للحبيب كلام
طارحت ورق حمامها مترنما • بمقال صب والدموع سجام
يادار ما فعلت بك الايام • ضامتك والايام ليس تضام

وجري بين السهيلي والرصافي الشاعر المشهور ما اقتضي قول الرصافي

عفي الله عني فاني امرء • اتيت السلامة من بابها
على ان عندي لمن هاجني • كنايز غصت بنشابها
ولو كنت ازري بها مسلما • لكان السهيلي اولي بها

وتوفي السهيلي بمراكش سنة ثلاث وثمانين وخمسماية وزرت قبره بها مرارا سنة عشر والف وسكن رحمه الله اشبيلية مدة ولازم القاضي ابا بكر بن العربي وابن

الطراوة وعنه اخذ لسان العرب وكان ضريرا ومن شعره ايضا لما قال كيف امسيت موضع كيف اصبحت •

لين قلت صبحا كيف امسيت مخطيا • فما انا في ذاك الخطا بملوم
طلعت وافقي مظلم لفراقكم • فخلتك بدرا والمساء بموم

وحكي ان الوزير الكاتب ابا الفضل بن حسداي الاسلامي السرقسطي وهو من رجال الذخيرة عشق جارية ذمية بلية • وغلبت على قلبه • فجن بها جنونه • وخلع عليها دينه • وعلم بذلك صاحبه • فزفها اليه • وجعل زمامها في يديه • فتجافي عن موضعه منه وصلها انفة من ان يظن الناس ان اسلامه كان من اجلها • فحسن ذكره وخفي على كثير من الناس امره • ومن شعره قوله

واطربنا غيم يمانع شمسه • فيستر طورا بالسحاب ويكشف
نري قدحا في الجو فيتح قوسه • مكبا على قطن من الثلج يندف

وكان في مجلس المقتدر بن هود ينظر في مجلد فدخل الوزير الكاتب ابو الفضل بن الدباغ واراد ان يندر به فقال له وكان ذلك بعد اسلامه يا ابا الفضل ما الذي تنظر فيه من الكتب لعله التوراة فقال نعم وتجليدها من جلد ذبيحة من يعلم فات خجلا وضحك المقتدر واراد الشاعر ابو الربيع سليمان السرقسطي حضور نديم له فكتب اليه •

بالراح والريحان والياسمين • وبكرة الندمان قبل الاذين
وبهجة الروض باندائه • معتلدا منه بعقد ثمين
الا اجب سيقا نداي الي الـ • كاس فقد تلته الشاربين
هامت بها الاعين من قبل ان • تخبرها الذوق بحق اليقين
لاحت لدينا شفقا معلنا • فكن لها بالله صبحا مبين

وكتب علي بن حصن التطيلي الي ابن عبد الصمد السرقسطي يستدعيه الي مجلس انس انا اطال الله بقا الكاتب سراج العلم • وشهاب الفهم في مجلس قد عبقت تفاحه تفاحه • وضحكت راحه • وخفقت حولنا للطرب الويه • وسالت بيننا للهو اوديه • وحضرتنا مقلة تسال منك انسانها • وصحيفة فكن عنوانها فان رايت ان تجعل الينا القصد لنحصل بك في جنة الخلد صقلت نفوسنا اصداها بعدك وامرت سموسا ادجاها فقدك • فاجابه ابن عبد الصمد • فضضتها الكاتب العليم • والمصقع الحبر الصميم • طابع كتابك • فنجني منه جوهر منتخب لا يليق به فخشلب لو السحر الا انه حلال دل علي عهد حفيت صلوعك عليه • ووثق عهدك انتدب كريم سجيتك اليه • فسالت فالق الحب • وعامر القلب بالحب ان يصون لي حظي منك • ويدرا لي النوايب عنك • ولم يمنعني ان اصرف وجه الاجابة الي

مرعوبك • واستطي جواد الانحدار الي محبوبك • الاغار من البرالمر في خفيد بقيد
نشاطي وتركيني اتحامل علي فراشي كالسليم • واستمطر الاشباح من الليل البهيم
وانا منتظر للادبار ومن لطف اهل الاندلس ورقة طباعهم ما حكاه ابو عمرو
ابن سالم المالقي قال كنت جالسا بمنزلي بمالقة فملجت نفسي ان اخرج الي الجبانة
وكان يوما شديد الحر فراودتها علي القعود فلم يمكني القعود فمشيت حتي انتهيت
الي مسجد يعرف برابطة الغبار وعنده الخطيب ابو محمد عبد الوهاب بن علي المالقي
فقال لي اني كنت ادعو الله ان ياتيني بك وقد فعل فالحمد لله فاخبرته بما كان مني
ثم جلست عنده فقال انشدني فانشدته لبعض الاندلسيين •

عصبوا الصباح فقسموه خدودا • واستوعبوا قضب الاراك قدودا
وراوا حصي الياقوت دون نحورهم • فتقلدوا شهب النجوم عقودا
لم يكفهم حد الاسنة والظبا • حتي استعاروا اعينا وخدودا

فصاح الشيخ واغمي عليه وتصبب عرقا ثم افاق بعد ساعة وقال يا بني اعذرني
فشيا ان يتهر اني ولا املك نفسي عندهما النظر الي الوجه الحسن وسماع الشعر
المطبوع انتهي وستاتي هذه الابيات في هذا الباب باتم من هذا وعلي كل حال فهي
لاهل الاندلس لا لابن دريد كما ذكر بعضهم وسياتي تسمية صاحبها الاندلسي كما
في كتاب المغرب لابن سعيد العنسي المشهور رحمه الله وقال بعض الادبا ليحيي الجزار
وهو يبيع لحم ضان لحم اناث الكباش مهزول فقال يحيي يقول المشتري من مهزول
وقال التطيلي الاعمي في وصف اسد رخام يرمي بالماء علي بحيرة

ولو انني ناقشته • الحساب لقلت صحن
وكانما اسد السما • يمج من فيه المجرة

وحضر جماعة من اعيان الادبا مثل الابيض وابن بقي وغيرهما من الوشاحين واتفقوا علي
ان يصنع كل واحد منهم موشحة فلما انشد الاعمي موشحته التي مطلعها

ضاحك عن جمان • سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان • وحواه صدري

فخرق كل منهم موشحته • وتحاكمت امراة الي القاضي ابي محمد عبد الله الادري
الاصبحي وكانت ذات جمال ونادرة فحكم لزوجها عليها فقالت له من يضيع قلبه
كل طرف فانت جدير ان يحكم بهذا تشير الي قوله

اين قلبي اضاعه كل طرف • فاتر يفترع الحليم لديه
كلما ازداد ضعفه ازداد فتكا • اي صبر اني نكون عليه

وحضر ابو اسحاق بن خفاجة مجلسا بمرسية مع ابي محمد جعفر بن عتق العضة الفقيه
الشاطبي فتذاكرا فاستطال ابن عتق العضة ولعب باطراف الكلام ولم يكن ابن خفاجة

يتزهر فقال له يا هذا لم تترك لاحد حظا في هذا المجلس فليت شعري من تكون فقال انا

القائل

الهوي علمني شعر هذا الليالي • ونظام الشعر من هذا اللآل
كلما ملت شمال منهم • لعبت بي عن يمين وشمال
وارقت فكري فيها ز واحبا • فانت منهن با لسحر الحلال
كان كالملح اجاجا خاطري • وسحاب الحب ابدته زلال

فاهتز ابن خفاجة وقال من تكون هذا قوله لا ينبغي ان تجهل وتلك المعذرة في
جهلك فانك لم تعرفنا بنفسك فبالله من تكون فقال انا فلان فعرفه وقضي حقه
وحكي ابن غالب في فرحة الانفس ان الوزيرا با عثمان بن شنتغير وابا عمر بن عبد البر
وفدا رسولين علي المعتمد بن عباد عن اقبال الدولة بن مجاهد والمعتصم بن صمادح
والمقتدر بن هود لاصلاح ما كان بين المعتمد وبين ابن ذي النون فسر المعتصم بهم
واكرمهم ودعاهم الي طعام صنعه لهم وكان لا يظهر شرب الراح منذ ولي الملك
فلما راوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب فلما امر بكتب اجوبتهم كتب اليه

ابو عامر

بقيت حاجة لعبد رغيب • لم يدع غيرها الذهن نصيب
انا خيرته المساحرتنا • وانا في الصباح لخشي رقيب
فاذا الامر كان عندي نهارا • لم تخفني عليه بعد العيوب
واذا الليل جن حدثت جلاسي • بما كان من حديث عجيب
قيل ان الدجي لديك نهار • وكذا الكا لعجا نهار الاريب
فتمنيت ليلة ليس فيها • لذكا ذلك السنا من مغيب
حيث اعطيك في الخلاء ونعطي • مدامنا كمثل ريق الحبيب
ثم اغدو كانني كنت في النوم • واخفي المنام جوف قهريب

والهزيب الرقيب لسيد في كلام الاندلس فسر المعتمد وانبسط بانبساطه وضحك من نحوه

وكتب اليه

يا مجابا دعي الي مستجيب • فسمعنا دعاءه من قريب
ان فعلت الذي دعوت اليه • كنت فيما رغبت عين رغيب

واستخصه فنادمه خاليا وكساه ووصله وانقلب مسرورا وظن المعتمد ان
ذلك يخفي من فعله عن ابن شنتغير فاعلم بالامر القايد بن مرتين فكاد ينفطر حسدا

وكتب الي المعتمد

انا عبد ولينه كل بر • لم يدع من فنون بر كه فنا
عند رفع الحجاب في شرب الراح • فماذا جناه ان يتجنى

ونمني تراب سورك في الكا • س فبادته اعطر ما شممتني
فسترته ابيانه

واجابه

يا كريم المحل في كل معنى • والكريم المحل ليس يعني
مذ للحمد تشغلك نحو نهضا • او فدعها او كيف ما شيت كنا

وكان يوما في مجلس المتوكل ابي مروان بن رزين ذي الرياستين ديوان شعر محمد بن هاني وكان القاري فيه بلدا فلما انتهى الى قوله حرام حرام زمان المغيرة تتق ان عرض الملك ما اشتغل به فقال للقاري ابن وقفت فقال في حرام فقام الملك وقال هذا موضع لا اقتعدك فيه ادخل انت وخدك ثم دخل الى قصره وانقلب المجلس ضحكا وكان للملك المذكور وزير من اعاجيب الدهر وهو الكاتب ابو بكر بن سدراي ذكره الحجاري في المسهب وقال ان له شعرا ارق من نسيم السحر والندى من الطل على الزهر ومنه قوله

ما ضركم لو نعمتم • ولو بادي تحيه
تهدي من شذاها • اليكم الاريحيه
خذوا سلامي اليكم • مع الرياح الندية
في كل سحرة يوم • تسري وكل عشيه
يا ربط العطباري • ما الوجد الا بليه
غيلان بالشرق اضحى • وحلت الغرب ميه

وقوله

سابغي المجد في شرق وغرب • فما ساد الفتى دون اغتراب
فان بلغت ما مولا فاني • جهدت ولم اقصر في الطلاب
وان انا لم افز بمراد سعيي • فكم من حسرة تحت التراب

وقال ملك بلنسية مروان بن عبد العزيز لما ولي مكانه من لا ينساويه

ولا غرو ان يغدي بنو دمعشر • فيضحي لهم يوم وليس لهم امس
كذاك النجوم الجون تبدو زواهرا • اذا ما توارت في مغاربها الشمس

وقال ابن وحية دخلت عليه وهو يتوضا فنظر الى الجنة وقد اشتغلت بالشيب اشتعالا فانشدني لنفسه ارتجالا •

ولما رايت الشيب تنبت انه • نذير لجسمي بانهدام بنايته
اذا ابيض مخضر النبات فانه • دليل على استحصاده وفنايته

واعتل ابن ذي الوزارتين ابي عامر بن الفرج وزير المامون بن ذي النون وهو من رجال الذخيرة والقلايد فوصف له ان يتداوي بالخمر العتيق وبلغه ان عند بعض العلما منها فكتب اليه يستهديه •

ابعث بها مثل ودك • ارق من ماء خدك

شقيقة المسك فانضح • بها جوى ابني وعبدك

وهو القايل معتذرا عن تخلفه عن جنازة منذرا

ما تخلفت عنك الا لعذر • ودليلي في ذاك خوفي عليكا
هبك ان الفراد من غير عذر • اتراه يكون الا اليكا

وله من رسالة تهنيا

امني بالعيد من وجهه • هو العيد لو لاح لي طالعا
وادعو الى الله سبحانه • بشمل يكون لنا جامعا

وكتب الى الوزير الحضرمي يستدعيه ان يكون من ندمايه فكتب اليه الوزير الحضرمي يستعمله اليوم فلما اراده كتب اليه •

ها قد اهبتكم وكلكم هوى • واحقكم بالشكر مني السابق
كالشمس انت وقد اطل طلوعها • فاطلع وبين يديك فجر صادق

وله في راس مرثية ابي عبد الرحمن بن طاهر وكان ممتع المجالسة كثير النادرة

قد انبا منك الذي قد سمعنا • فغدا الخبر عاضد الاخبار
اذ وردنا لديك بحرا نميرا • وارتقينا حيث النجوم الدراري
ولكم مجلس لديك انصرفنا • عنه مثل الصبا عن الازهار

وسرى الاديب الفاضل ابو الحسن علي بن حريق عشية مع من يهواه ورام الانفصال عنه لداره فمنعه سيل حال بينه وبين داره فبات عنده على غير اختياره فقال ابن حريق

يا ليلة جادت الليالي • بها على رغم انف دهري
للسيل فيها علي نعمى • يقصر عنها لسان شكري
اباتني في منزل حبيبي • وقام في اهله بعذري
فبت لا حالة كحالي • ضجيع بدر صريع سكر
يا ليلة القدر في الليالي • لانت خير من الف شهر

ومن حسنات ابن حريق المذكور قوله

يا ويح من بالمغرب الاقصى ثوى • خلفا النوى وحبيبه بالمشرق
لولا الحذار على الورى لملات ما • بيني وبينك من زفير محرق
وسكبت دمعي ثم قلت لسكبه • من لم يذب من زفرة فليغرق
لكن خشيت عتاب ربي ان انا • احرقت واغرقت من لم اخلق

وله

لم يبق عندي للصبا لذة • الا الحاديث على الخمر

وله

فقبلت اثرك فوق الثرى • وعانقت ذكرك في مضجعي

وله •

اذ ما كان في وجنتها • وردة السن حتى نشفا
وذوي العناب من انملها • فاعادته الليالي حشفا

واورد له ابو بحر في زاد المسافر قوله

كلمته فاحمر من خجل • حتى اكتسى بالعسجد الورق
وسالته تقبيل راحته • فابى وقال اخاف احترق
حتى زفيري عاق عن املي • ان الشقي بريقه شرق

وقوله في النواقي

وكانما سكن الاراقم جوفها • من عهد نوح مدة الطوفان
فاذا راين الماء يطفح نضنضت • من كل خرت حية بلسان

وقال الفيلسوف ابو جعفر بن الذهبي فيمن جمع بينه وبين احد الفضلاء

ايها الفاضل الذي قد هداني • نحو من قد حمدته باختبار
شكر الله ما اتيت وجازاك • ولا زلت نجم هدي لسار
اي برق فادى غمام • وصباح ادى لضوء نهار
واذا ما النسيم كان دليلي • لم يحلني الا على الازهار

وانشد ابو عبد الله محمد بن عبادة الوشاح المعتصم بن صمادح شعرا يقول فيه

ولو لم اكن عبدا لال صمادح • وفي ارضهم عيشي واصلي ومولدي
لما كان لي الا اليهم ترحل • وفي ظلهم امسي واضحي واغتدي

فارتاح وقال لابن عبادة ما انصفناك بل انت الحر لا العبد فاشرح لنا في املاك فقال انا عبدكم كما قال ابن نباته •

لم يبق جودك لي شيا اومله • تركتني اصحب الدنيا بلا امل

فالتفت الى ابنه الواثق يحيى ولي عهده وقال اذا اصطنعنا الرجال فمثل هذا فاصطنع فضمه اليك وافعل معه ما تقتضيه وصيتي به وبهني اليه كل وقت فاقام نديما لولي العهد المذكور وله فيهما الموشحات المذكورة كقوله

كم في قدود البان تحت اللمم • من اقمر عواطي
بانمل وبنان مثل العنم • لم تنبري العاطي

ولما بلغ المعتصم ان خلف بن فرج السميسر هجاه تحايل في طلبه حتى حصل في قبضته فقال له انشدني ما قلت في فقال له وحق من حصلني في يدك ما قلت مما فيك وانما قلت •

رايت ادم في نومي فقلت له • ابا البرية ان الناس قد حكموا
ان البرابر نسل منك قال اذا • حوا طالقة ان كان ما زعموا

فنذرا

فنذرا ان بلقين صاحب غرناطة دمي فخرجنا الى بلاده هاديا فوضع على من اشاع ما يلغك لتقتلني انت فيدرك ثاره بك ويكون الاثم عليك فقال وما قلت فيه خاصة معناه الى ما قلته في عامة قومه فقال لما رايته مشغوفا بتشييد قلعته التي يتحصن فيها بغرناطة قلت •

يبني على نفسه سفاها • كانه دودة الحرير

فقال له المعتصم لقد احسنت في الاساءة له فاختر هل احسن اليك واخلي سبيلك او اجيرك منه

فارتجل

خيرني المعتصم • وهو بقصدي اعلم
وهو اذا تجمع لي • امننا ومننا اكرم

فقال خاطرك خاطر شيطان • ولك المن والامان • فاقام في احسانه باوطانه حتى خلع عن ملكه وسلطانه • ولما انشد عمر بن الشهيد قصيدته التي يقول فيها

سبط البنان كان كل غمامة • قد ركبت في راحتيه انا ملا
لا عيش حيث كنت وانما • تمضي لياليّ العمر بعدك باطلا

التفت الى من حضر من الشعرا وقال فيكم من يحسن ان يحلب القلوب بمثل هذا فقال ابو جعفر الخراز البطرني نعم ولكن السعادة مبانه وقد انشدت مولانا قبل هذا ابياتا اقول فيها •

وما زلت اجني منك والدهر ممحل • ولا ثمر يجنى ولا الزرع يحصد
ثمار ايادٍ دانيات قطوفها • لاغصانها ظل علي ممدد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها • واطيار شكري فوقهن تغرد

فارتاح المعتصم وقال انت انشدتني هذا قال نعم قال والله كانها ما مرت بسمعي الا ان صدقت للسعادة هبات ونحن نجيزك عليها بجايزتين الاولى لها والثانية لمطلوبها وعظ احسانها انتهى وقال بعض ذرية ملوك اشبيلية

نثر الورد بالخليج وقد • درجته بالهبوب منه الرياح
مثل درع الكمي مزقها • الطعن فسالت بها دما الجراح

قال ابن صارة في النارنج •

كرات عقيق في غصون زبرجد • بكف نسيم الريح منها صوالج
تقبلها طورا وطورا تشمها • فهن خدود بيننا ونوافج

وقال ابو الحسن بن الزقاق ابن اخت ابن خفاجه

وما شق وجنته عابثا • ولكنها اية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى • بها كيف كان انشقاق القمر

وله

من بوابسطن الواديين قبابهم • بين الصوارم والقنا المتاد
والورق تهتف حولهم طربا بهم • فبكل محنية ترنم شاد
يا بانة الوادي بكي حزنا بنا • الانطارح عن بانة واد

وله

ونحن في مجلس يكمل الانس • والورزنتا الزادكالا
طلعت فيه من كوس الحميا • ومن الزمر انجم تتلالا
غرانا النجوم دون هلال • فلتكن منعما المزهلالا

وله

ومونيها سمرا غنت وانثنت • فنظرت من ورقا في املودها
تشدو وسواس الحلي تجيبها • مهما انثنت في وشيها وعقودها
اوليس من بدع الزمان حمامة • غنت فغني طوقها في جيدها

وقال

لين بكيت دما والعزم من شيمي • علي الخليط فقد يبكي الحمام وما
وقال ابو تمام غالب بن رباح الحجام في دولاب طار منه لوح فوقف
وذات سرور ما لها حلم • كل فتي بالضمير حياها
وطار لمح بها فافقدها • كلمحة العين ثم اجراها
وكان المذكور زبي في قلعة رباح غزي طليطلة ولا يعلم لذات وتعلم
الحجامة فاتقنها ثم تعلق بالاداب حتي صار اية ونموا القايل في ثريا الجامع
تحكي الثريا الثريا في تالقها • وقد غراها نسيم فهي تتقد
كانها لذوي الايمان افيدة • من التخشع خوف الليل ترتعد

وله

زرت الحبيب ولا شي احاذره • في ليلة قد لوت بالغمض اشفارا
في ليلة خلت من حسن كواكبها • درا بها وحسبت الليل دينارا

وقوله في الثريا ايضا

انظر الي سرج في الليل مشرقة • من الزجاج تراها وهي تلتهب
كانها السن الحيات قد برزت • عند الهجير فما تنفك تضطرب

وقال

تري النسر والنسر علي عدد الحصي • وقد مزقت احشاها والترايبا
مضرجة مما اكلن كانها • عجايز بالحنا خضبن ذوايبا
وقال وقد ابدع غاية الابداع واتي بما يحير الالباب وان كان ابو نواس فاتح

هذا الباب

وكاس

وكاس تري كسري بها في قرارة • غريبا ولكن في خليج من الخمر
وما صورته فارس عبثا به • ولكنهم جاوا باخفي من السحر
اشاروا بما كانوا له في حياته • فتومي اليه بالسجود وما تدري

ومما اخلي قوله

الا قحوان اري عليك طلاوة • لما عنقت عليه بالمسواك
لا يجمل النور الامين تمسه • كف بعود بشامة واراك
وجلاوة المخلوق فيه قد كفي • من ان يراع عرانه بسواك

وقوله

صغار الناس اكثرهم فسادا • وليس لهم لصالحة نهوض
الم تر في سباع الطير سترا • تسالمنا وياكلنا البعوض
وقد بلغ غاية الاحسان في قوله •
فالملك لبني يري مكا في • وقد كحلت لواحظه بنوري
كذا المسواك متطرحا مهانا • وقد ابتي جلاء في الثغور

ومن حسناته قوله

لي صاحب لا كان من صاحب • فانه في كبدي جرحه
يحكي اذا ابصر لي زلة • ذبابة تعرب في قرحه
ولقيه ابو حاتم الحجاري علي فرس في غاية الضعف والرذالة قد اهلكها
الوجا وكانا في جماعتين فقال له يا ابا تمام انشدني قولك
وتحتي ريح تسبق الريح ان جرت • وما خلت ان الريح ذات قوايم
لها في المدي سبق الي كل غاية • كان لها سبقا بسوق عزايمي
ومتمة نفسي بنزهتها عن الوجا • فيا عجبا حتي العلي في البهايم
فلما انشده اياها رد راسه ابو حاتم الي الجماعتين وقال لهما ناشدتكم الله ايجوز الحجام علي
فرس مثل هذه الرمكة الهزيلة العرجا ان يقول مثل هذا فضحك جميع من حضر واقبل
ابو تمام في غبيطة بيسه ومن شعر الحجام المذكور قوله
لا يفخر السوق والاقلام في يده • فقد صار قطع سيوف الهند للقضب
فان يكن اصلها لم يقو قوتها • فان في الخمر معني ليس في العنب

وقال

نقلت علي الاعداء الا انها • خفت علي الشباب والابهام
اخذت من الليل البهيم سواده • وبدت تمتع وجه الايام

وقال

نظر الحسود فازدري لي هيئة • والفضل مني لا يزال مبينا

فبحث صنائي من تغير وده • صدا المرات يقبح التخبيثا

وقال

تصبر وانا بدي العدو مذمة • فهمي دي ترجع اليه سهامه
كما يفعل النحل المسلم بلسعه • يريد به ضرا وفيه حمامه

وقال

ونادرا الشعر يولم به ولقد • اضرمنه جميع الناس واعتزلا
كانه الصل لا تؤذيه ريقته • حتى اذا مجها في غيره قتلا

وقال ابن الزقاق

دعاك خليل والاصيل كانه • عليل يقضي مدة الرمق الباقي
الى شط منساب كانك ماوه • صفا ضميرا وعذوبة اخلاق
ومهوى جناح للصبا يمسح الربا • خفي الخوافي والقوادم خفاق
على حين راح البرق في الجو مغمدا • ظباه ودمع المزن من جفنه راقي
وقد حارمني المرياض المتفاته • حسبت بها كاسي قليلا عن الساقي
على سطح جري ذكرتك فانثني • يميل باعناق ويرنو باحداق
تصل زهرات منه هذا كانها • وقد خضلت قطرا محاجر عشاق

ولما مدح الحسيب ابو القاسم بن سعدة الاوسي امير المومنين عبد المومن بقوله

حنانيك ندعو والبيك داعيا • فكل بما ترضاه اصبح راضيا
طلعت على ارجائنا بعد فترة • وقد بلغت منا النفوس التراقيا
وقد كثرت منا سيوف لدى العلى • ومن سيفك المنصور نبغي التقاضيا
وغيرك ناديناه زمانا فلم يجب • وعزمك لم يجنح علاه مناديا

وكتب اسمه وزير عبد المومن في جملة الشعرا فلما وقف على ذلك عبد المومن ضرب على اسمه وقال انما يكتب رسمه هنا في جملة الحسبا ولا تدنسوه بهذه النسبة فلسنا ممن يتغاضى على غمط حسيبه ثم اجزل صلته وامر له بضيعة بجزيرة له بها يعني بذلك انه من ذرية ملوك لانه جده كان ملك وادي الحجارة وقال ابو بكر محمد بن ازرق

هل علم الطاير في ايكه • بان قلبي للحمى طاير
ذكرني عهد الصبا شجوه • وكل صب للصبا ذاكر
سقى عهودا لهم بالحمى • دمع لهم ذكرهم ناشر

وقال ابو جعفر بن ازرق

اراك ملكت الخافقين مهابة • بها ما تخا الشمس في الخفقان
وتغضي العيون عن سناك كانما • تقابل منك الشمس في اللمعان
وتصفر الوان العداة كانما • رموا منك طول الدهر باليرقان

وقال

وقال ابو القاسم ازرق •

ذاك الزمان الذي تقضى • يا ليته عاد منه حين
بكل عمري الذي تبقى • وما انا في الشرا غبين

وقال راشد بن عريف الكاتب •

جمع في مجلس ندامى • تحسدني فيهم النجوم
فقال لي منهم نديم • ما لك اذ قمت لا تقوم
فقلت ان قمت كل حين • فان حظي بكم عظيم
وليس عندي اذا انتدى • بل عندي المقعد المقيم

وقال الحسيب ابو جعفر بن عايش •

ولي اخ اوردته سلسلا • لكنه يوردني مالحا
الناه كي ابسطه ضاحكا • ويلتقيني ابدا كالحا
وليس ينفك عنائي به • ما رمت من فاسد صالحا

قال الحجاري وكتب الى جدي ابراهيم في يوم صحو بعد مطر

اذا ارانا الجو بصحو فلا • نضح سقاك الله من شكر
تعال فانظر لدموع الندى • ما فعلت في مبسم الزهر
ولا تقل انك في شاغل • فليس يثنا اخر الدهر
تخلف ما فات سوى ساعة • تقتضي فيها لذة الخمر

فاجابه

لبيك لبيك ولو انني • اسعى على الراس الى مصر
فكيف والدهر جاري وما • عندي من شغل ولا عذر
ولو غدا لي الف شغل بلا • عذر تركت الكل للحشر
وكلما ابصرني ناظر • بما كم عظم من قدري
انا الذي يشرفها دايما • ما حضرت في الصحو والقطر
وليس يتلى ابدا بعدها • الا الذي تحمد من شكري

ولم يقصر جدي في جوابه ولكن ابن عايش استغرقه في ابتدايه ولو لم يكن له الا قوله تعالى فانظر الى الكماه قال وفيه يقول جدي ابراهيم يمدحه

ولو كان ثان في الندى لابن عايش • لما كان في شوق وغرب اخو فقر
يسر الى الامداح كالغصن للصبا • وينشر محياه ينوب عن الزهر
فيا رب زد في عمره ان عمره • حياة اناس قد كفوا كلفة الدهر

وقتله ابن مسعدة ملك وادي الحجارة الثاير بها ولما قدمه ليقتله قال له ارفق علي حتى اخاصم نفسي فقال على لسانك قتلناك فقال له لا رفق الله عليك

يوم يحتاج الى دفنه فقال يجبر وته ما دهينا السيوف الحداد رهب دعا الحساد
وقال ابو الحسن علي بن شعيب •

انزعي الوشي فهو يستر حسنًا • لم يحزه برقمه الثياب
ودعيني عسى اقبل ثغرًا • لذ فيه اللمى وطاب الرضاب
وعجيب ان تحجبيني ظلمًا • وتغنيني لي صبابك الثياب

وقال اخوه ابو حامد الحسين حين كتابه فرسه تحصل في اسر العدو

وكنت اعد طرفي للرزايا • تخلصني اذا جعلت تحوم
فاصبح للعدى عونًا لانى • اطلت عناه فانا الظلوم
وكم دامت مسراتي عليه • وما شيء على الدنيا يدوم

وقال ابو الحسن علي بن نجاح صاحب دار السكة والاحباس بقرطبة

يا سايلي عن حالتي انني • لا اشتكي حالي لمن يضعف
مع انني اخذر من نعتد • لا سيما ان كان لا ينصف

وانشد له الحميدي في الجذوة •

قل لمن نال عرض من لم ينله • حسبنا ذو الجلال والاكرام
لم تزد في سيئا سوى حسنات • ولا لانته سوى اثام
كان ذا منعة فنقل ميزاني • بهذا فصار من خدامي

وقال ابو محمد القاسم بن الفتح •

ايام عمرك تذهب • وجميع سعيك يكتب
ثم الشهيد عليك منك • فاين اين المهرب

وقال ابو مروان عبد الملك بن غصن

فديتك لا تخف مني سلوًا • اذا ما غير الشعر الصغارا
اهيم به نجيرًا صار خلا • والهوى لحية كانت عذارا

وقال

فدا الحنا لغيم بانسكابه • والتحفا الجو في سحابه
وقام داعي السرور يدعو • حيّ على الدن وانتهابه
وتاه فيه النديم حتى • يزدحم الناس عند بابه

وكان احد الاعلام في الاداب والتاريخ والتاليف ونقم عليه المامون ابن ذي النون بسبب صحبته الرئيس بلدة بن عبيدة وبلغه انه يتقع فيه فنكبه اشر نكبة وحبسه فكتب اليه من السجن

فديتك هل لي منك رحمى لعلني • افارق قبرًا في الحياة فانشر
وليس عتاب المذنبين بمنكر • ولكن دوام السخط والعتب ينكر

ومن عجب قولي العداة مثقل • ومثلي في الحاجة لدنهم بعيد
وألف للمامون رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون ورسالة اخرى
سماها بالعشر كلمات وقال •

يا فتية خير فدلهم • من حادثات الزمان نفسي
سرهم الخمر في بكور • ونطقهم عندها بهمس
اما ترون الشتاء يلقي • في الارض بسطا من الدمقس
منطق غابتي ينادي • يوم سرور ويوم انس

وقال عنه الحميدي في الجذوة انه شاعر اديب دخل المشرق وتادب وحج ورجع وسمع كثيرًا وله ابيات كتبها في طريق الحج الى احد القضاة

يا قاضيًا عدلا كان امامه • ملك يريه واضح المنهاج
طافت بعبدك في بلاده علة • قعدت به عن مقصد الحجاج
واعتل في البحر الاجاج فكن له • بحرًا من المعروف غير اجاج

وقال الزاهد الورع المحدث ابو محمد اسماعيل بن الديواني

الا ايها الغايب المعتدي • ومن لم يزل موذيًا ازدد
مساعيك يكتبها الكاتبون • فبيض كتابك او سود

وقال ابنه ابو بكر محمد

خاصم عدوك بالمساف • وان قدرت فبالمسان
ان العداوة ليس يصلحها الخضوع مدى الزمان

وقال ابراهيم الحجاري جد صاحب المسهب قد

لين كرهوا يوم الوداع فانني • اهيم به وجدًا من اجل عنا
اصافح من اهواه غير مسا تر • وسر التلاقي مودع في فراقه

وقال

كن كما شيت انني لا احول • غير مصغ لما يقول العذول
لك والله في الفواد محل • ما اليه مدى الزمان وصول
ومرادي ان تزور خفيا • ليت شعري متى يكون السبيل

وقال

قد توالت في حالتينا الظنون • فلنصدق ما كذبته العيون
ومرادي ان تلوح بافق • يدر ثم وذاك ما لا يكون
انا قد قلت ما دعا في اليه • كثرة الياس والحديث شجون
واذا شيت ان تشفه رايي • فمحلي من الرقيب مصون
وبه ما تشاء من كل معنى • كل من لم يجب له مجنون

والي كم نقنع ليل الاماني • ومن الياس لاح صبح مبين

وقال

سالمته عن ابيه • فقال لي خالي فلان
فانظر عجايب ما قد • اتت به الازمان
دهر عجيب لديه • عن المعالي حران
خاله عير ذفر • كما تدين تدان

وقال الكاتب العالم ابو محمد بن خيرة الاشبيلي صاحب كتاب الريحان والريعان يمدح السيد ابا حفص ملك اشبيلية ابن امير المومنين عبد المومن من قصيدة

كانما الافق صرح والنجوم به • كواعب وظلام الليل حاجبة
وللهلال اعتراض في مطالعه • كانه اسود قد شاب حاجبه
فاقبل الصبح فاستخفت مشارقه • وادبر الليل فاستخفت كواكبه
كالسيد الماجد الاعلى الهمام ابي • حفص لرحلته ضمت مضاربه

وانشد لابن الامام في سمط الجمان

رعيا لمنزله الخصيب وظله • وسقي الثرى النجدي تحت ربابه
واها على ساداته لا ادعي • كلفا بزينبه ولا برَبابه

ويعرف رحمه الله تعالى بابن المواعيني وقال ابنه ابو جعفر احمد

يا اخي هاتها وحب سناها • عن مثير بها جنونا وسخفا
هذه الشمس ان بدت لضعيف • البين زادت في ذلك الضعف ضعفا
انما يشرب المدامة من ان • خشنت كفه جفاها وكفا

وكتب الوزير ابو الوليد اسماعيل بن احمد حبيب الملقب بحبيب الى ابيه • لما خلق الربيع من اخلاقك الغر • وسرق زهره من شيمك الزهر حسن في كل عين منظره • وطاب في كل سمع خبره • وتاقت النفوس الى الراحة فيه • ومالت الى الاشراق على بعض ما يحتويه • من النور الذي بسط على الارض حللا لا ترى في اثنايها خللا ملوك نثرت على الثرى وقد مليت مسكا وعنبرا ان تنسمتها فارجة • او توسمتها فبهجة

فالارض في برق من يانع الزهر • تزري اذا قستها بالوشي والحبر
فدا خمتها اكف المزن واكفة • وطرزتها بما يهمي من الدرر
تبرجت فسبت منا العيون هدى • وفتنة بعد طول الستر والخفر

فاوجد في سبيلا الى اعمال بصري فيها • لاجلو بصري في محاسن نواحيها والنفس على ان يجمل اوانه • ونقدم وقته وزمانه • فلا تخلني من بعض التشفي منه لاصدر نفسي متيقظة عنه • فالنفوس تصدى كما يصدى الحديد

ومن شعري

ومن شعري في جلابها ونوا الرشيد الشديد • ومن شعري يصف وردا بعث به الي

يا من تأزر بالمكارم وارتدي • بالمجد والفضل الرفيع الفايق
انظر الى خد الربيع مركبا • في وجه هذا المهرجان الرايق
ورد تقدم اذ تاخر واغتدي • في الحسن والاحسان اول سابق
وافاك مشتملا بثوب حيايه • خجلا لانه جا لك احمر لاحق

وله

اري الباقلا الباقل اللون لابسا • برود سحاب من سحايبها غذي
ترى نونه يلتاح في ورقاته • كبلق جياد في جلال زمرد

وقال

اذا ما اردت كوس الهوى • فنبه بها لست بالموقل
مدام تعتق بالناظرين • وتلك تعتق بالارجل

وكان ونوا ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفايق • وينثر النثر الرايق وابو جعفر بن الابار هو الذي صقل مرغاته • واقام قناته • واطلعه شهابا ثاقبا • وسلك به الى فنون الاداب طريقا لاحبا • وله كتاب سماه بالبديع في فصل الربيع جمع فيه اشعار اهل الاندلس خاصة اعرب فيه عن ادب غزير وحظ من الادب موفور وتوفي ونوا ابن اثنتين وعشرين سنة واستوزره ذا منية الفتنة ورحي المحنة قاضي اشبيلية بن عباد جد المعتمد ولم يزل يصغي الي مقاله • ويرضي بفعاله • ونوما جاوز العشرين اذ ذاك واكثر نظمه ونثره في الازاهر وذلك يدل على رقة نفسه رحمه الله تعالى

وقال الوزير الكاتب ابو الحسن علي بن حصن وزير المعتضد بن عباد

علي انا نتذلل • لمن وان يستذلل
خد كان الثريا • عليه قرط مسلسل

وقال

طل على خده العذار • فافتضح الليل والنهار
وابيض هذا واسود هذا • فاجتمع الليل والنهار

وقال الوزير ابو الوليد بن طريف في المعتمد بعد خلعه

يا العبادا لا عطفة • فالدهر من بعدكم مظلم
من الذي يرجي لنيل العلى • ومن الذي بعدنا المعدم
ما انكر الدهر سوى انه • بجوركم في فعله يزعم

وله

من حلقت لحية جار له • فليسكب الماء على لحيته

وقد اجرينا في هذا الكتاب ذكر جملة من اخبار المعتمد بن عباد ونظمه في اماكن
متعددة فلتراجع ومن نظم المعتمد رحمه الله تعالى قوله

ثلاثة منعتها عن زيارتنا • خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما • تحوي معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره • والحلي تنزعه ما حيلة العرق

وقال

يوم يقول الرسول قد اذنت • فأت على غير رقبة ولج
اقبلت اهوي الى رحالهم • اهدى اليها بريحها الارج

قالوا ويستدل على الملوكية بالطيب في المواطن التي يكون الناس فيها
عن هم وفي كالحمام ومعارك الحرب ومواسم الحج رجع الى ما كنا فيه وقال
الوزير ابو سليمان بن ابي امية يخاطب بيتا قد بلغه عن بعض اصحابه كلام
فيه غض منه

هون عليك كلامه • واسمح له فيمن سمح
فاذا يسوءك ان هجا • ماذا يضرك ان مدح
او ما علمت بلى جهلت • بانه غسل طفح
وحقي حتى كما من • دابوا له حتى انتفخ
هذا بمستن الوقار • فكيف لو دار القدح
فاشكر عوارف ذي الجلال • بما وفى وبما منح

وقال ابو علي عمر بن ابي خالد يخاطب اباحسن علي بن الفضل

اباحسن وما قدمت عهود • لنا بين المنات والجزيرة
اتذكر انسنا والليل داج • بخمر في زجاجتها منير
اذا الملاح ضل بنا اليها • فابصر في مناحيه مسير

وكتب الكاتب عبد الله المهيريس وكان خلوا للنادرة لما شرب عند الوزير
ابي العلي بن جامع اليه وقد نظر الى فاختة فاعجبه حسنها ولحنها

الا اخنها اليك ابا العلاء • على الامداح نرفل في الثناء
وهبها فتية تجلي عروسا • خضيب الكف قانية الرداء
لاجعلها بحل حليش انسي • واغني بالهزيل عن الغناء

وحكي انه ناوله ليمونة وامره بالغزل فيها فقال

اهدى الي بروضة ليمونة • واشار بالتشبيه فعل السيد
فضممت حينا ثم قلت جلجل • من فضة تعلوه صفرة عسجد

وقال الكاتب ابو بكر بن اللبانة احدثني عبد الموهوب وقد عزل من بلنسية
وولي اشبيلية فمات بها
•

كانك

كانك من جنس الكواكب كنت لم • تفارق طلوعا لها وتواريا
تجليت من شرق تروق تلالا • فلما انتحيت الغرب اصبحت هاويا

وكان محمد بن مروان بن زهر • في الغرب والمسهب والمطرب وقد قدمنا بعض اخباره
منشا الدولة العبادية واول من تثني عليه الخناصر وتشخص اليه البواصر فتمكنت
الدولة العبادية عن مكانه واخرج عن بلده • واستصفيت امواله فلحق
بشرق الاندلس واقام فيه بقية عمره • ونشا ابنه الوزير ابو مروان عبد الملك
ابن محمد فلما بلغ اشده حتى سد مسده وما الى اليقين في انواع التعاليم
من الطب وغيره ورحل الى المشرق لاداء الفرض فدخل البلاد جلالة ونشا
ابنه ابو العلي زهر بن عبد الملك فاخترع فضلا لم يكن في الحساب • وشرع
نبلا قصرت عنه نتايج اولي الالباب • ونشا بشرق الاندلس والافاق تتهادى
عجايبه • والشام والعراق • تتدارس بدايعه وغرايبه • ومال الى علم
الابدان • فلولا جلالة قدره • لقلنا جاذب هاروت طرفا من سحره • ولولا
انا لغلوا في المدح • لما اكتفي فيه بالكناية عن التصريح • ولم يزل مقيما
بشرق الاندلس الى ان كان من غزاة امير المسلمين يوسف بن تاشفين ومن
انضم اليه من ملوك الطوايف ما علم وشخص ابو العلا معهم فلعقبه
المعتمد بن عباد واستماله واستهواه وكاد يغلب على هواه ونصرف عليه
امتلاكه • فحن الى وطنه • حنين الكئيب الى عطنه • والكريم الى سكنه ونزع
الى مقر سلفه • نزوع الكوكب الى [illegible] شرفه • الا انه لم يستقر باشبيلية
الا بعد خلع المعتمد • وحل عند يوسف بن تاشفين محلا لم يحله الماء من العطشان
ولا الروح من جسد الجبان • ولما كتب اليه حسام الدولة ابن رزين بملك
السهلة
•

عاد اللئيم فانت من اعدايه • ودع الحسود بغله وبدايه
لا كان الا من غدت اعداؤه • مشغولة افواههم بهجائه
ابا العلاء لئن حسدت لطالما • حسد الكريم بجوده ووفائه
فخر العلا فكنت من اباينه • وزها السنا فكنت من ابنائه
لكن كيف ثبتت مساهما او فا • لا كان قلب لست في سودايه

اجابه بقوله

يا صارما حسد العدى بمضايه • وتقيد الاحرار حسن وفايه
ما اثر العضب الحسام بذاته • الا بان سميت من اسمايه

وكلفه الحسام المذكور القول في غلام قايم على راسه وقد عذر فقال

تحجبت ابنة النهار فاضحى • بدر تم وكان شمس نهار

كان يبشي العيون نارًا الي ان • اشعل الله خده بالعذار

وقال

عذار المرء فابدي لنا • بدايع كنا لها في عمي
ولولم يجز النهار الظلام • لم يستبن كوكب في السما

وقال

يا رامي بسهام ما لها غرض • الا الفواد وما منه له عوض
وممرضي بجفون لحظها غنج • صحت وفي طبعها التمريض والمرض
امنن ولو بخيال منك يوسفني • فقد يسد مسد الجوهر العرض

وهذا معنى في غاية الحسن وكان بينه وبين الامام ابي بكر بن باجة بسبب المشاركة ما يكون بين النار والما والارض والسما ولما قال فيه ابن باجة

يا ما لك الموت وابن زهر • جاوزتما الحد والنهايه
ترفقا بالورى قليلا • في واحد منكما الكفايه

قال ابو العلا

لابد للزنديق ان يصلبا • شا الذي يفضه او ابى
قد مهد الجذع له نفسه • وسدد الرمح اليه الشبا

والذي يفضه مالك بن وهيب جليس امير المسلمين وعالمه واما حفيده ابو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر فهو وزير اشبيلية وعظيمها وطبيبها وكريمها ومن شعره •

دمت كبدي لخط السما فاقصدت • الا بابي امر يصيب ولا يخطي
قريبة ما بين الخلاخل ان مشت • بعيدة ما بين القلادة والقرط
نعمت بها حتى اتيحت لنا النوى • كذا شيم الايام تاخذ ما تعطي

وتوفي سنة ٥٩٤ وامر ان يكتب على قبره

تامل بفضلك يا واقفا • ولاحظ مكانا دفعنا اليك ‹لعله اليه›
تراب الضريح على صفحتي • كاني لم امش يوما عليه
اداوي الانام حذار المنون • فها انا قد صرت رهنا لديه

رحمه الله وعفى عنه وفي هذه الابيات اشارة الى الطب ومعالجة الناس رحمه الله تعالى وقد ذكرنا بعض اخباره في غير هذا الموضع وقال الوليد بن حزم

مراك مرآك لا شمس ولا قمر • وورد خديك لا ورد ولا زهر
في ذمة الله قلب انت ساكنه • ان بنت بان فلا عين ولا اثر

وقال

لله ايام وادي العشري • سلفت لنا والدهر ذو الوان

اذ يختني

اذ يختني في ظله ثمر المنى • والطير ساجعة على الاغصان
والشمس تنظر من محاجر رمد • والطل يركض في النسيم الواني
فلثمت فاه والتزمت عناقه • وبدا الوصال على قفا الهجران

وقال ابن عبد ربه

يا قابض الكف لا زالت مقبضة • فما انامها للناس ارزاق
وغب اذا شيت حتى لا ترى ابدا • كما لغيبتك في الاحشا اقلاق

وقال في المدح

وما خلقت كفاك الا لاربع • عقايل لم تخلق لهن يدان
لتقبيل افواه واعطا نايل • وتقليب هندي وحبس عنان

وقال الكاتب ابو عبد الله بن مصادف الرندي الاصل

صارمته اذ ان عارضه • عاد من بعد الشباب اشيبا
قلت ما ضرك شيب فلقد • بقيت فيه فكاهات الصبا
هو كالعنبر غال نفحه • وشذاه احضر او اشهبا

وقال

ووردة وردت في غير موقتها • والسحب قد هملت اجفانها مطلا وله
والما الروض لما لم يعد ثمرا • بفرتكه انفتحت في خده خجلا
لم احتفل لغد وما العيد من زمن • فقد كان يبهجني اذ كنت في وطني
لم الق اهلي ولا الفي ولا ولدي • فليت شعري سرور واقع بمن

وله

يقول لي العاذل تب عن هوى • من ليس يدنيك الى مطلب
وكيف لي والدين دين الهوى • فلا ارى ارجع عن مذهبي
الييس باب التوب قد سدته • طلوعه شمسا من المغرب

وله

امنع كرايمك الخروج ولا • تظهر لذاك وجه منبسط
ولا تعتبر منهن مسخطة • نيل الرضى في ذلك السخط
او لسن مثل الدر في شبه • والدر من صدف الى سفط

وقال المعتمد بن عباد •

تم له الحسن بالعذار • واختلط الليل بالنهار
احضر في ابيض تبدي • ذلك اسني وذا اهاري
فقد حوى مجلسي تماما • ان يك من ريقه عقاري

وقال ابن فرج الجياني

وطائفة الوصال صددت عنها • وما الشيطان فيها بالمطاع

فبدت في الليل سافرة فباتت • دياجي الليل سافرة القناع

وما من لحظة الا وفيها • الى فتن القلوب لها دواعي

فملكت النهى جمحات امري • لاجري في العفاف على طباعي

كذاك الروض ما فيه لمثلي • سوى نظر وشم من متاع

ولست من السوائم مهملات • فاتخذ الرياض من المراع

وقال

بايهما انا في الحسن بادي • ببكر الصبا ام طيفها المرتاد

سرى لي فازدري املي ولكن • عففت فلم انل منه مرادي

وما في النوم من حرج ولكن • جريت مع العفاف على اعتيادي

وقال الرصافي

وعشي انس اضجعتني نشوة • فيه تمهد مضجعي وتدمث

خلعت علي به الاراكة ظلها • والغصن يصغي والحمام يحدث

والشمس تجنح للغروب مريضة • والرعد يرقي والغمامة تنفث

وقال ابن عبد ربه

يراعة غرني منها وميض سني • حتى مددت لها الكف مقتبسا

فصادفت حجرا لو كنت تضربه • من لومه بعصى موسى لما انبجست

كانما صيغ من لوم ومن كذب • فكان ذاك له روحا وذا نفسا

وقال ابن صارة في فروة •

اوذت بنات بري فرية ارنب • كفؤاد عروة في الضنا والرقة

يحجبها العز ائم في ترقيعها • يحكي لزاد على رمال الرفقة

اذ قلت بسم الله عند لباسها • قرات علي اذا السما انشقت

وقال الغزالي

والمرء يعجب من صغيرة غيره • اي امرئ الا وفيه مقال

لسنا نرى من ليس فيه غميزة • اي الرجال القائل الفعال

وقال ابو حيان

لا ترجون دوام الخير من احد • فالشر طبع وفيه الخير بالعرض

ولا تظن امرءا اسدى اليك ندى • من اجل ذاتك بل اسداه للغرض

وقال ابن شهيد

ولما تملاء ما بيننا وجدنا • الى كاشحينا ما القلوب كواتم

امرنا بامساك الدموع جفوننا • ليشجي بما نطوي عذول ولائم

ابى دمعنا يجري مخافة شامت • فنظمه بين المحاجر ناظم

وراق

وراق الهوى منا عيون كريمة • تبسمن حتى ما تروق المباسم

وقال في الانتحال

وبلغني قوم ان يخبيش صدورهم • علي واني فيهم فارع التقدر

اصاخوا الى قولي فاسمعت معجزا • وغاصوا على سري فاعياهم امري

فقال فريق ليس ذا الشعر شعره • وقال فريق ايمن الله ما ندري

فمن شاء فليخبر فاني حاضر • ولا شيء اجلى للشكوك من الخبر

وينظر الى مثل هذا قصة ابي بكر بن بقي حين استهدى من بعض اخوانه اقلاما فبعث اليه بثلاث من القصب وكتب معها

خذها اليك ابا بكر العلي قصبا • كانما صاغها الصواغ من ورق

يزهى بها الطرس حسنا ما نثرت بها • مسك المداد على الكافور من ورق

فاجابه ابو بكر

ارسلت نحوي ثلاثا من قنى سلب • منادة تطعن القرطاس في ورق

فالخط ينكرها والخط يعرفها • والرق يحذمها بالرق في عنقه

فحسده عليه بعض من سمعه ونسبه الى الانتحال فقال ابو بكر يخاطب صاحبه

الاول

وجاهل نسب الدعوى الى كلمي • لما رماه بمثل النبل في حدقه

فقلت من حنق لما تعرض لي • من ذا الذي اخرج اليربوع من نفقه

ما دام شعري وايم الله لي قسم • الا امرء ليست الاشعار من طرقه

الشعر يهدي الى من كواكبه • بل الصباح الذي ينشق من افقه

وقال ابن شهيد يهجنا في ضيف •

وما انفك مشتوقا لشايمد • ببشر وترحيب وبسط بنان

الى ان تشهى البين من ذات نفسه • وحن الى الاهلين حنة حان

فاتبعته ما سد خلة حاله • واتبعني ذكرا بكل مكان

وقال

وبتنا نراعي الليل لم يطو برده • ولم يجل شيب الصبح في فوده وخطا

تراه كملك الزنج من فرط كبره • اذا رام مشيا في تبخترة ابطا

مطلا على الآفاق والبدر تاجه • وقد جعل الجوزاء من اذنه قرطا

وقال بعضهم في لباس اهل الاندلس البياض في الحزن مع ان اهل المشرق يلبسون فيه السواد •

الا يا اهل اندلس فطنتم • بلطفكم الى امر عجيب

لبستم في ماتمكم بياضا • فجئتم منه في زي غريب

صدقتم فالبياض لباس حزن • ولا حزن اشد من المشيب

وقال ابو جعفر بن خاتمة

بل حسوم يوم النوى ودعوها • باقيات لسوءما اودعوها

يا حداة القلوب ما العدل هذا • اتبعوها اجسامها اودعوها

وقال المنسطلي يصف هول البحر •

الليل ركبنا الفلك تهوي كانها • وقد ذعرت عن مغرب الشمس غربان

على لج خضر اذا هبت الصبا • تراءى بها فينا ثبير وثهلان

مواثل ترعى في ذراها مواثلا • كما عبدت في الجاهلية اوثان

فقابل موج البحر واليم الدجى • يموج بها فيها عيون واذان

الاهل الى الدنيا معاد وهل لنا • سوى البحر قبرا وسوى الماء اكفان

وقال الرمادي يهني ابن العطار المغنية بمولود

يهنيك ما زادت الايام في عددك • من فلذة برزت للسعد من كبدك

كانما الدنيا دينار كان مكتنزا • من انفرادك حتى زاد في عددك

لا خلفتك الليالي تختطل ذكر • حتى ترى ولدا قد شب من ولدك

وقال ابن صارة في النار

هات التي للايك اصل ولادها • ولها جبين الشمس في الاشماس

بتقشع الياقوت في لباتها • بوساوس تشفي من الوسواس

انس الوحيد وضيح عين الجتلي • ولباس من امسى بغير لباس

حمرا ترفل في السواد كانما • ضربت بعرق في بني العباس

وقال فيها ايضا

لا بنة الزند في الكوانين جمر • كالدراري في الليلة الظلماء

خبروني عنها ولا تكذبوني • الديها صناعة الكيمياء

سبكت فحمها سبائك تبر • رصعته بالفضة البيضاء

كلما ولولا النسيم عليها • رقصت في غلالة حمراء

سفرت عن جبينها فارتنا • حاجب الليل طالعا بالعشاء

لو تراها من حولنا قلت قوم • يتعاطون كوس الصهباء

وقال فيها المغنية الاديب بن لبال •

فحمة ذكا في حشاه جمر • فقلت مسك وجلنار

او خد من قد هويت لما • اطل من فوقه العذار

وكان ابو المطرف الزهري جالسا في باب داره مع ابي اسحاق فخرجت عليهما
من زقاق تان جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين نظرتهما على غفلة

منها نفرت

منها نفرت خجلة فرأى الزاير ما ابهته فكلفه وصفها فقال مرتجلا

يا ظبية نفرت والقلب مسكنها • خوفا الحلي بل عمدا لتعذيبي

لا تخشني فابن عبد الحق اخلتنا • عذلا يؤلف بين الظبي والذيب

وقال ابن شهيد

اصباح لاح ام بدر بدا • او سنى المحبوب اورى زندا

هب من نعسته منكسرا • مسبل للكم مرخ للردا

يمسح النعسة من عيني رشا • صايد في كل يوم اسدا

قلت هب لي من جبينك قبلة • تشف من همك تبريح الصدى

فانثنى يهتز من منكبه • قايلا لا ثم اعطاني اليدا

كلما كلمني قبلته • فهو ما قال كلاما رددا

قال لي يلعب صدلي طايرا • فترا لي الدمع اجري بالكدا

واذا استنجزت يوما وعده • قال لي يمطل ذكرني غدا

شربت اعطافه خمر الصبا • وسقاه الحسن حتى عربدا

رشا بل غادة ممكورة • عممت صبحا بليل اسودا

احمت من عضة في نهدها • ثم عضت حرة خدي عمدا

فانا المجروح من عضتها • لا شفاني الله منها ابدا

وقال محمد بن هاني في الشيب •

بنتم فلولا ان اغير لمتي • العاكم يوما على عضابا

لخضبت شيبا في مفارق لمتي • ومحوت محو النفس عنه شبابا

وخضبت مبيض الحداد عليكم • لو انني اجد البياض خضابا

واذا اردت على المشيب وفادة • فاجعل مطيك دونه الاحقابا

فلتاخذن من الزمان حمامة • ولتدفعن الى الزمان غرابا

وكتب ابن عمار الى ابن رزين وقد عتب عليه ان اجاز بيلده ولم يلقه

لم تثن عنك عنانى سلوة خطرت • كفاني العذر منها بيت معتذر

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم • والعذب يهجر للافراط في الخصر

وقال ابن الحداد

واني لصب للتلاقي وانما • يصد ركابي عن معاهدك العسر

اذو نحياء من زيارة صاحب • اذا لم يساعدني على برة الوفر

وقال ابن عبد ربه

يا من عليه حجاب من جلالته • وان بدا لك يوما غير محجوب

ما انت وخدك مكسو ثياب ضنى • بل كلنا بك من مضني ومشحوب

التي عليك يدًا للضر كاشفة • كشاف ضر نبي الله ايوب

وقال النخلي في مغنية

ولاعبة الوشاح بغصن بان • لها اثر تستطيع القلوب
اذا سوت طريقا للعود نقرا • وغنت في محب او حبيب
فيمناها تقد بها فوادي • ويسراها تعذ بها ذنوبي

وقال ابن شهيد

كلفت بالحب حتى لو دنا اجلي • لما وجدت لطعم الموت من الم
وعاقني كرمي عمن ولهت به • ويلي من الحب او ويلي من الكرم

وكان صوفي بشريش حافظ للشعر فلا يعرض في مجلسه مغني الا وهو ينشد عليه فاتفق ان عطس رجل بمجلسه فشمته الحاضرون فدعا لهم فراي الصوفي ان ان شمته قطع انشاده بما لا يشاكله من النظم وان لم يشمته كان تقصيرا في البر فرغب حين اجيح من الطلبة نظم هذا المغني فقال الوزير الحسيبا بو عمرو

ابن ابي محمد

يا عاطسا برحمك الله اذ • اعلنت بالحمد على عطستك
ادع لنا ربك يغفر لنا • واخلص النية في دعوتك
وقل له يا سيدي رغبتي • حضور هذا الجمع في حضرتك
وانت يا ربنا لندى والتقى • بارك رب الناس في ليلتك
فان يكن منكم لنا دعوة • فانت محمود على دعوتك

وهذا الوزير المذكور كان يصرف شعره في اوصاف الغزلان ومخاطبات الاخوان وكتب الى الشريشي شارح المقامات يستدعي منه كتابا للعقد

ايا من غدا سلكا الجيد معارفه • ومن لفظه زهر ابيق لناطفه
محبك اضحى عاطل الجيد فلتجد • بعقد على لباته وسوالفه

ووعك في بعض الاعياد فعاده من اعيان الطلبة جملة فلما هموا بالانصراف

انشدهم ارتجالا

لله در افاضل امجاد • سرفوا الندى بقصدهم والنادي
لما اشاروا بالسلام وازمعوا • انشدتهم وصدقت في الانشاد
في العيد عدتم وهو يوم عروبة • يا فرحتي بثلاثة الاعياد

وقال الشريشي في شرح المقامات ولقد زرته في مرضه الذي توفي منه رحمه الله انا وثلاثة فتيان من الطلبة فسالني عنهم وعن اباءهم فلما ارادوا الانصراف ناول احدهم مجبرة وقال له اكتب واملى عليه ارتجالا •

ثلاثة فتيان يولف بينهم • ندي كريم لا ارى الله بينهم

تشابه

تشابه خلق منهم وخليقة • فان قلت ابن الحسن فانظر ابن هم
وزينهم استاذهم اذ غدا لهم • معلم ايات فتمم زينهم
فان خفت عيني في الكل فلتقل • وفي الله رب الناس للكل عينهم

وقال الشريشي حدثني شيخنا ابو الحسين بن زرقون عن ابيه ابي عبد الله تقدم مع صهره ابي الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر المجاز وهو مضطرب الامواج فقال له ابو الحسن اجز وملتطم الغوارب موجته • جوارح في مناكبها غيوم

فقال ابو عبد الله

تمنع لا يعوم به سفين • ولو جذبت به الزهر النجوم

وكان لابن عبد ربه فتى يهواه فاعلمه انه يبيت عنده غدا فلما اصبح عاقه المطر عن السفر فاتجلى عن ابن عبد ربه همه وكتب اليه •

هلا ابتكرت لبين انت مبتكر • هيهات يابي عليك الله والقدر
ما زلت ابكي حذار البين ملتهبا • حتى رثا لي فيك الريح والمطر
يا برده من حيا مزن على كبد • نيرانها بغليل الشوق تستعر
اليتان لا ارى شمسا ولا قمرا • حتى اراك فانت الشمس والقمر

وقال ابن عبد ربه

صل من هويت وان ابدى معاتبة • فاطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبائل خدن لا تلايمه • فقلما تسع الدنيا بغيضين

وقال ابو محمد غانم بن الوليد المالقي •

صير فوادك للمحبوب منزلة • سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة • فقلما تسع الدنيا بغيضين

وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود اخيه عليه من شنترين يوم الجمعة فاتاه يوم السبت فلما لقيه عانقه وانشد

تخيرت اليهود السبت عيدا • وقلنا في العروبة يوم عيد
فلما ان طلعت السبت فينا • اطلت لسان محتج اليهود

وقال ابو بكر بن بقي

اقمت فيكم على الاقتار والعدم • لو كنت حرا ابي النفس لم اقم
فلا حديقتكم يجني لها ثمر • ولا سماؤكم تنهل بالديم
انا امرؤ ان نبت بي ارض اندلس • جبت العراق فقامتني على قدم
ما العيش بالعلم الا حيلة ضعفت • وحرفة وكلت بالعقد البرم

وقال الابيض في الفقهاء المرائين

اهل الريا لبستم ناموسكم • كالذيب يدلج في الظلام العاتم

فلكتم الدنيا بمذهب مالك • نورا للعيون ونزهة الاسماع
لله درك من همام ماجد • قد كنت راعينا فنعم الراعي
قضيت محمود النقية طاهرا • وتركتنا نهبا لشر سباع
الكوابك الدنيا وانت بمعزل • طاوي الحشا متكفت الاضلاع
تشكوك دنيا لم تزل بك ترتع • ماذا رفعت لها من الاوضاع

وقال ابن صارة

يا من تعذبني لما تملكني • ماذا تريد بتعذيبي واضراري
تروق حسنا وفيك الموت اجمعه • كالحتف في السيف او كالنور في النار

وقال عبدون البلنسي

يا من محياه جنات منفحة • ويحرم لي ذنب غير مغفور
لقد تناقضت في خلق وفي خلق • تناقض النار بالتدخين والنور

وقال ابن الوزير بن الحكيم

رسخنا اصولا علاكم تحت الثرى • ولكم على خط المجرة دار
تبدو شموس الدجن من اطواقكم • وتفيض من يمنى البنان بحار
ان الكارم صورة معلومة • انتم لها الاسماع والابصار
ذلت لكم شم الخلائق مثل ما • ذلت لشعري فيكم الاشعار
فمتى مدحت ولا مدحت سواكم • فذ يحكم في مدحه اضمار

وقال القاضي ابو جعفر بن برطال

استودع الرحمن من لوداعهم • قلبي وروحي اذنا بوداع
يا نواظرى في الفؤاد ومقلتي • باك ومسلوب العزاء وداع
فتوك يا مولاي حفظهم ولا • تجعل تفرقنا فراق وداع

وقال ابن خفاجة

وما هاجني الا تالق بارق • لبست به بردا الدجنة معلما

ونيحطويلة

وقال من اخرى

جمعت ذوائبه ونور جبينه • بين الدجنة والصباح المشرق

وقال ذو الوزارتين ابو الوليد بن الحضرمي البطليوسي في غلام للمتوكل

ابن الافطس يرثيه

غالته ايدي المنايا • وكن في مقلتيه
وكان يسقي الندامى • بطرفه ويديه
غصن ذوى وهلال • جار الكسوف عليه

وقال الفقيه العالم ابو ايوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسي

عالمها

عالمها في المذهب المالكي وقد تحاكم اليه وسيمان اشقر واكحل فيمن يفضل بينهما

وشادنين اتانا بي على مقة • تنازعا الحسن في غايات مستبق
كانما ذا من نرجس خلقت • على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب في التفضيل بينهما • ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يبدي ملالا لدجن حجته • مبينا بلسان منه منطلق
فقال وجهي بدر يستضاء به • ولون شعري مقطوع من الغسق
والكحل عيني سحر للنهي وكذا • لك الحسن احسن ما يعزى الى الحدق
وقال الصاحبة احسنت وصفك لا • لكن فاستمع المقال في متفق
انا على افقي شمس النهار ولم • تغرب وشقرة شعري شقرة الشفق
وفضل ما عيب في العينين من زرق • ان الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للمة الشقراء حيث حكت • نورا كذا حجتها يقضي على رمتي
فقام ذو اللمة السوداء يرشقني • سهام اجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على • قلبي ولي شاهد من دمعي الغدق
فقلت عنوك اذ اصبحت بينهما • فقال ذونك هذا الحبل فاختنق

وكان فيه ظرف وادب وعنوان طبقته هذه الابيات وقال

وغائب من الاكواس فيها ضرا غنم • من الزاج البابلي الرجال قريبها
قرعت بها من الحلوم فاقطعت • وقد كاد يسطو بالفؤاد دبيبها

وله رحمه الله شرح البخاري واكثر ابن حجر من النقل عنه في فتح الباري وله كتابا الاحكام وغير ذلك وترجمته شهيرة وقال الاديب النحوي المؤرخ ابو اسحاق ابراهيم بن الاعلم البطليوسي صاحب التواليف لما بلغت نحو خمسين

يا حمص لا زلت دارا • لكل بوس وساحه
ما فيك موضع راحه • الا وما فيه راحه

وهو شيخ ابي الحسن بن سعيد صاحب المغرب وانشد هذين البيتين لما ضجر من الاقامة باشبيلية ايام فتنة الباجي وقال الاديب الطبيب ابو الاصبغ عيسى العزيز البطليوسي الملقب بالقلندر

جرت مني الخمر مجرى دمي • فخل حياتي من سكرها
ومهما دجت ظلمات الهموم • فتمزيقها بسنى بدرها

وخرج يوما وهو سكران فلقي قاضيا في نهاية من قبح الصورة فقال سكران خذوه فلما اخذه الشرط قال القاضي يفضل من ولاك على المسلمين بهذا الوجه القبيح عليك الاما افضلت علي وتركتني فقال القاضي والله لقد ذكرتني بفضل عظيم ودرا الحد عنه وقال ابن خاج الصباغ البطليوسي

ونهو من اعاجيب الدنيا لا يقرا ولا يكتب

ولما وقفنا غداة النوى • وقد اسقط البين ما في يدي
رايت الهوادج فيها البدور • عليها البراقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها • تدب على ورد خد ندي
تسالم من وطيت خده • وتلدغ قلب الشجي المكمد

وقال في المتوكل وقد سقط عن فرس

لا عتب للطرف ان زلت قوايمه • ولا يدنسه من عايب دنس
حملت جودا وباسا فوقه ونهى • وكيف يحمل هذا كله الفرس

وقال الشاعر المشهور بالكميت البطليوسي

لا تلوموني فاني عالم • بالذي تاتيه نفسي وتدع
بالحميا والمحيا صبوتي • وسوى جنتهما عندي بدع
فصل الجمعة يوم وانا • كل ايامي بافراحي جمع

وقال ابو عبد الله محمد بن البين البطليوسي ونهو ممن عيل الى طريقة ابن هاني

عصبوا الصباح فقسموه خدودا • واستنهبوا قضب الاراك قدودا
ورا واحصى البياقوت دون محلهم • فاستبدلوا منه النجوم عقودا
واستودعوا حدق المهى اجفانهم • فسبوا بهن ضراغما واسودا
لم يكفهم حمل الاسنة والظبا • حتى استعانوا اعينا ونهودا
وتقنعوا بضفايرا بدوا لنا • ضوء النهار بليلها معقودا
صاغوا الثغور من الاقاحي بينها • ماء الحياة لو اغتدى مسرودا

وكان عند المتوكل مضحك يقال له الخطارة فشرب ليلة مع المتوكل وكان في السقاة وسيم فوضع عينه عليه • فلما كان وقت السحر دنا اليه وكان بالقرب من المتوكل فلحقه فقال له ما هذا يا خطارة فقال يا مولاي هذا وقت تندرج الخطارة الى الرياض فقال له لا تغد ليلا يكون ماء احمر فرجع الى نومه ولم يعد في ذلك كلمة بقيت عن معه ولا انكر منه شيا ولم يحدث بها الخطارة حتى قتل المتوكل رحمه الله والخطارة صنف من الدواليب الخفاف يستقي بها اهل الاندلس الاودية ونهو كثير على وادي اشبيلية واكثر ما يباكرون العمل في السحر وقال الوزير ابو زيد عبد الرحمن بن مولود

• •

ادني يوما من الدهر • علي فوق الاماني
ثم دعني بعد هذا • كيف ما شئت تراني

وقال اديب الاندلس وحافظها ابو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري

اليابري

اليابري ونهو من رجال الذخيرة والقلايد وشهرته مغنية عن الزيادة يخاطب المتوكل وقد انزله في دار وكنت عليه

ايا سامعا من جانبيه كلاهما • سمو حباب الماء حالا على حال
لعبدك دار حل فيها كانها • ديار لسلمى عافيات بذي خال
تقول لها لما راى من دثورها • الا عم صباحا ايها الطلل البالي
فقالت وما عيت جوابا برده • وهل يعمن من كان في العصر الخالي
فرصا جيلا انزل فيها بعاجل • فانا لمثلي يهدي ولست بغتال

وقال في جمع حروف الزيادة حسبما ذكر عنه في المغرب

سالت الحروف الزايدات عن اسمها • فقالت ولم تكذب امان وتسهيل

قلت وعلى ذكر اجماع حروف الزيادة فقد اكثر الناس في انتقاء الكلمات الجامعة لها وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط ولنذكر الان بعضها فنقول منها الموي تلمسانا ونظمتها فقلت •

قالت حروف زيادات لسايلها • من هويت بلدة الهوى تلمسانا

وجمعها ابن مالك في بيت واحد باربعة امثلة من غير حشو ونهو

هنا وتسليم تلا يوم انسه • نهاية مسئول امان وتسهيل

ومنها هويت السمان وحكى ان ابا عثمان المازني سيل عنها فانشد

هويت السمان فشيبنني • وقد كنت قدما هويت السمانا

فقيل له اجبنا فقال اجبتكم مرتين ويروى انه قال سالتمونيها فاعطيتكم ثلاثة اجوبة هكذا حكاه بعض المحققين ونهو ارق مما حكاه غير واحد على غير هذا الوجه ومنها سالتمونيها ومنها اليوم تنساه الموت ينساه اسلمني وتاه نم يتساءلون التنابي سموتني وسايلة اسلمني تهاون تهاونني اسلم التمس هواني ما سالت يهون موسى النياه لم يا تنا سهوا ونهل نمت لوت سوالهم نويت مسايله سالتم هوايي تاملها يونس الى تسهيل وقد نهو في مثاله سالت ما بهون وسليمان تاه تنسالمن يهوى استملا في هو اسلت ومناي هو اسنمها ليسايل وانتهم يا هولا استنم اتاه وسليمان قلت وليس هذا تكرارا مع السابق الذي نهو سليمان تاه لان التقديم والتاخير يصيرهما شيئين ومنها والوسمى هتانا وليتم سناه اوليتم انسه امسيت وقال اقله نوشيما انلميه سهوا السو لعينها سالتهن يوما سالت يومنها سالت ما يومن يهوي ما سالت يهون ما سالت وقد سبق ما سالت يهون وعدهما شيين من اجل التقديم والتاخير كما مر نظيره الا تنسني يومه اسوماو وليت سلموني انا التنته اليوم سالتم هوينا اوي من تنسال له

وهين ماسالت ومني ماسالت منا لني نواه ومنها منا لنيهاون سهوان بنا لم
ايلتم سهوانا ويلتم ناسه منا لني انونا وبيت نشناه استويله منا سمونن النها
املت سهوان وسالتم هنيا يهون ما نشالا تلومن سهيا المسلم وانني بنا مل سهو
ان بنا مل ناسوء بنا ملن اسوء ايتا مل صنوء بنا لم ناسوء بالهوي انتم وليت
ما في اسن تولبني اشهما اتلواسهمين او ليسا بمتني اسما في تنيل بنا متلته
سوآء اولم ينساه امن وبينا هل اسيت نلهوا تو سيمه لنا نموما تشا لين مهنا
نتوستم ولها نتوستل اننا في سموء سيمينهن ولا اولا بن سميت سلمتني اهوا السليتي
نموا سليم انتهوا اهينها ماسولا نهيت ما وسل نبنيا لونها استولينا هنم او
نستمليتها او نستميلها بتسمهلونا هنات الموسي وانت سايلهم منا لته
نيموا تهنا ليسموا اسا لي مونته ما لني موهنا المتمني هونا استلي لهون التناه
مومني لهواه بتنسم نهوي ما نشا لما وه ليتاس انتمي لهواء تلوي لي نسها
المتلي سهوا ستولينا امن بتمهلوت اسل امهلتني سوآ التناسي وبم اموت
سلمان هوت المانس نهوي موت ام ناسل اوليس نمر هنا استهون
املي استهونا لي استلمن وبيا انلمسونها ايلمنسونها ايتسلمونها الايتسمونه
الي ليتسوهمنا الايتسمو فهذه مائة واربعة وثلاثون تركيبا فيها ما هو
متين وما هو غير متين وقد جمع ابن خروف فيها ٣ تركيبا محكيا وغير محكي
واحسنها بيت ابن عبدون السابق ويليه بيت ابن مالك وقال
الطغنيني جامعا لها اربع مرات

المتني سهوا تلوي ان سها • اوليس تم منا الهوا بتنسم

هذا بخطه يتنسم ولو قال يتنسم لكان انسب وقال ايضا

وانته ما لهني والتمسي منا • ما نشالين هوا التني بتوستم

انتني قلت وقد جمعت في المغرب زيادة وقال ابو محمد عبد الله بن الليث
يستدعي الوزير ابا الحسن اليابري في يوم غيم

رقم الربيع بروضنا ازهاره • فجري علي صفحاته انهاره
فعسي تشرفنا بنهجة سيد • الني علي ليل الخطوب نهاره
تتمتع الاداب في نفحاته • فنشيم منها ورده وبهاره
يا سيدا بهر البرية سوددا • ابدي الينا سره وجهاره
يوم اظل الغيم وجه ضيائه • فعليك يا شمس العلي اظهاره

وقال ابو القاسم بن الابرش •

اذكاس المدام فقد تغني • بفرع الايك طاير الصدوح
وهبت علي الرياض نسيم صبح • يمر كما دنا سار طليح

وما

وما للنهر يبكي من حصاه • جراحات كما ان الجريح

وقال

حلفت وبيهد دمعي بما • اقاسيه من بحرك الزايد
فان كنت تجحد ما ادعي • وحاشاك تعرف بالجاحد
فان النبي عليه السلام • قضي باليمين مع الشاهد

وقال ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة وشهرته تغني
عن ذكره ونظمه دون نثره يخاطب ابا بكر بن عبد العزيز

ابا بكر المجتبي للادب • رفيع العماد قريع الحسب
ايلحن فيك الزمان الخؤن • ويعرب عنك لسان العرب
وان لم تكن افقنا واحدا • فينظمنا شمل هذا الادب

وقد ذكرنا له في غير هذا المحل قوله

الا بادر فلا ثان سوي • ما عهدت الكاس والبدر التمام

الابيات وتاخرت وفاته الي سنة اثنتين واربعين وخمسماية وهو منسوب
الي شنترين من الكور الغربية البحرية من اعمال بطليوس وقال ابو عمر يوسف
ابن كوثر

مررت به يوما تغازل مثله • وهذا علي ذا بالملاحة يمتن
فقلت اجمعا في الوصل رايكما فما • لمثلكما كان التغزل والمجن
عسي الحب يقضي الله بينكما له • بخير فما الا الي شهي الفعل السمن

وقال ابو محمد بن سارة •

اعندك ان البدريات صحيحي • فنفضيت اوطاري بغير شفيع
جعلت ابنة العنقود بيني وبينه • فكانت لنا اما وكان رضيع

وقال

ايا من حارت الاوهام فيه • فلم تعلم لذا الافقا ركنها
بجيد النيل منا عقد انس • اقام بغير واسطة فكنها

وقال ابو الحسن منذر الاشبوني •

فديتك اني عن جنابك راحل • فهل لي يوما من لقائك زاد
وحبك والايام خون عواد • فراقكما شان العدي وبعاد

وقال خلف بن هارون القطيني •

من ابنت الورد في خديك يا قمر • ومن جني قطفه اذ ليس مضطر
الزهر في الروض مقرون بازمنة • وروض خدك موصول به الزهر

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة اولاد من اجل الناس حسنا وعزون

وزحمون فخاطبهم الامام ابو محمد بن السيد النحوي وقال فيهم

اخفيت سقمي حتى كاد يخفيني • وهمت في حب عزون فعزوني
ثم ارحموني برحمون فان ظميت • نفسي الى ريق حسون فحسوني

ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة هكذا رايته بخط بعض المورخين والله اعلم
وقال ابن خفاجة يداعب ابن بتل عنان

ايها التايه مهلا • ساءني ان تهت جهلا
هل ترى فيما ترى • الاشيا يا قد تولى
وغراما قد تسرى • وفوادا قد تسلى
اين دمع فيك يجري • اين جنب يتقلى
اين نفس بك تهذي • وضلوع فيك تصلى
اي باك كان لولا • عارض وافى فولى
وتخلى عنك الا • اسفا لا يتخلى
وانطوى الحسن فهلا • اجمل الحسن وهلا

اما بعد ايها البخيل الضنين. فانه لا يجتمع العذار والتيه. كان ذلك وغصن تلك الشبيبة رطب. ومنهل ذلك المقبل عذب. واما والعذار قد نبت والزمان قد انتقل. والصب قد صحا فعقل. فقد ركدت رياح الاشواق. ورقدت عيون العشاق. فدع عنك من نظرة التجني. ومطية التمني. وغض من عنانك. وخذ في ترضي اخوانك. وهش عند اللقا هشة اريحية. واقنع بالايماء رجع تحية. فكاني بعنانك مهجورا ومزايرك مهجورا والسلام. وقال الرصافي في ما بعث له من يهواه سكينا

تفاءلت بالسكين لما بعثته • لقد صدقت مني العيافة والزجر
فكان من السكين سكناك في الحشا • وكان من القطع القطيعة والهجر

وحضر الفقيه ابو بكر بن جيش ليلة مع بعض الجلة وطفي السراج فقال ارتجالا

اذك السراج من بيننا غرة سفرت • فبانت الشمس تستحيي وتستتر
او خله فكفانا وجه سيدنا • لا يطلب النجم من في بيته القمر

وقصد احد الادبا بمرسية احد السادة من بني عبد المومن فامر له بصلة خرجت على يد ابن له صغير فقال المذكور ارتجالا

تبرك بنجل جا بالسعد واليمن • يبشر بالتاييد طايفة المهد
تكلم روح الله في المهد قبله • وهذا براه بدلا للام في المهد

وخرج الاستاذ ابو الحسن بن جابر الدباج يوما مع طلبته للنزهة بخارج

اشبيلية

اشبيلية واحضرت بجنات ما خبا نارها ولا هدا اوارها فاخام عنها وما كف ولا صرف خرها عن اختصاصها البنان ولا لكت وقال

احلى مواقعها اذا قربتها • وبخارها فوق الموايد سام
ان احرقت لسنا فان اوارها • في داخل الاحشاء برد سلام

وقال ابو بكر احمد بن محمد الابيض الاشبيلي يتهكم برجل زعم انه يتاهل للخلافة

امير المومنين نداء شيخ • افادك من نصايحه اللطيفه
تحفظ ان يكون الجذع يوما • سريرا من اسرتك المنيفه
افكر فيه مصلوبا فابكي • ويضحكني اماتيك السخيفه

وقال صفوان

ونهار انس لو سألنا دهرنا • في ان يعود بمثله لم يقدر
خرق الزمان لنا به عاداته • فلو اقترحنا النجم لم يتعذر
في فتية علمت ذكاء بحسنهم • فتلفعت من غيمها في مئزر
والريح الفنا فقبضت بها • كف النسيم على لواء اخضر
وكان شكل الغيم منخل فضة • يلقي على الافاق رطب الجوهر

واجتاز بعض الغلمان على ابي بكر بن يوسف فسلم عليه باصبعه فقال ابو بكر في ذلك واشار في البيت الثالث الى ان والد الغلام كان خطيب البلد

مر الغزال بنا مروعا نافرا • كشبيهه في النفر دفع بحايله
لثم السلامي في السلام تسترا • ثم انثنى حذرا لرقيب راصد
هلا تكلف وقفة لمحبه • ولو انها تقصر لجالسة والد

وقال ابو الحسن بن الحاج

كفى حزنا ان المشارع جمة • وعندي اليها غلة واوام
ومن نكد الايام ان يعدم الغنى • كريم وان المكثرين لئام

وقال احمد بن امية البلنسي

قال رئيسي حين فاوضته • وما درى ان مقامي عسير
لم تفعلت الحال لا تقتضي • فقال من قلت جناحي كسير

وقال ابو القاسم المنيشوري

واحسرتا لامور ليس يبلغها • مالي ومن عيني نفسي واما لي
اصبحت كالال لا يجدي لدي ظما • الين جدا ولكن جدي لاالي

وقال ابن برطلة

لله ما الغناة من همته • لا ترتضي الا السها منزلا
ومن خمول كلما رمته • اسمو به بين الورى قال لا

وكتب ابن خروف لبعض الرؤسا

يا من حوى كل مجد • بجده وبجدّه
أتاك نجل خروف • فامنن عليه بجدّه

وكتب ايضا لبعضهم يستدعي فروة

بهاء الدين والدنيا • ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانواء • من جدواك جلد ابي
وفضلك عالم اني • خروف بارع الادب
حلبت الدهر اشطره • وفي حلب صفا حلبي

ويغلب ظني لما ذكر من حلب ان يكون لابن خروف المشرقي لا الاندلسي والله اعلم
وركب محبوب ابي بكر بن مالك كاتب ابن سعد بغلة رديف رجل يعرف بالديب

فقال ابو بكر في ذلك

وبغلة ما لها مثال • يركبها الديب والغزال
كان هذا وذا عليها • سحابة خلفها هلال

وخرج محبوب لابي الحسن بن حريق يوما للنزهة وعرض سيل عاقه عن دخول البلد
فبات ليلة عند ابي الحسن فقال في ذلك

يا ليلة جادت الاماني • بها على رغم انف دهري
سيّل فيها على نجمي • يقصر عنها جزيل شكري
اباته في منزلي حبيبي • وقام في اهله بعذري
وبت لا حالة كحالي • ضجيع سكر ضجيع بدري
يا ليلة القدر في الليالي • لانت خير من الف شهر

وقال ابو الحسن بن الزقاق

عذيري من هضيم الكشح احوى • رخيم الدل قد لبس الشبابا
اعد البحر هاجرة لقلبي • وصير وعده فيها سرابا

وقال ابو بكر بن الجزار السرقسطي

لعله يفني

ثنا الفتى يبقى ويفنى ثراؤه • فلا تكتسب الا الثناء وي الذكر
فقد ابلت الايام كعبا وحاتما • وذكرهما غض جديد الى الحشر

وقال الاديب ابي عبد الله الجذامي كان لشخص من اصحابنا قينة فبينما مودات
يوم قدرام تقبيلها على اثر سوال فانبعث بجبينها ادمر فوالدينا دي على
قول يبيعه قال فكلفني ان اقول في ذلك شيا فقلت

ولم انس يوم الانس حين سمحت لي • وانت ليّ من فيك فوق سواك
وقربنا العواذل للعذول لما دحا • وما فضته في المدح فوق سواك

ومن شرب يوما

ومن شرب يوما ابو عبد الله المذكور عند بعض الاجلة ودرعه الفتى فارتجل في العذر

لا تواخذ من اخل بها • فهو في الكاس كالقبس
كيف يحيى في المدام فتى • اخذته اخذ مفترس
دخلت في الحلق مكرهة • ضاق عنها موضع النفس
خرجت من موضع دخلت • انفة من مخرج النجس

وجلس سلمة بن احمد الى جنب وسيم يكتب من محبرة فانصب الحبر منها على ثوب سلمة
فخجل الغلام فقال سلمة •

صب المداد وما تعمد صبه • فتورد الخد المليح الازهر
يا من يؤثر حبره في ثوبنا • تاثير لحظك في فؤادي اكبر

وكان لابي الحسن بن حزمون بمرسية محبوب يدعى ابا عامر وسافر ابو الحسن فبينما هو
بخارج المرية اذ لقي فتى يشبه محبوبه وساله عن اسمه فاخبر بانه يدعى ابا عامر
فقال ابو الحسن في ذلك •

الى كم اقرا امام الهوى • وليس لنا الحب من اجر
وكيف اقرا امام الهوى • وفي كل واد ابو عامر

وحضر ابو بكر بن مالك كاتب ابن سعد مع محبوب له ارتقاب هلال شوال الغائب على
الناس وراه محبوبه فقال ابو بكر في ذلك

توارى هلال الافق عن اعين الورى • ولاح لمن انواه منه محياه
فقلت لهم لم تفهموا كنه سره • ولكن خذوا عني حقيقة معناه
بدا الافق كالمرآة راق صفاؤه • فابعد دونه للناس فيه محياه

وكتب ابو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله •

متى ما ترم شرحا لحالي وتبيينا • فصحف على قلبي علومك تحيينا
ارادا في حبك مولع

وكتب القاضي ابن السليم الى الحكم المستنصر بالله

لو ان اعضاء جسمي السن نطقت • بشكر نعماك عندي قل شكري لك
او كان ملكني الرحمن من اجلي • شيا وصلت به يا سيدي اجلك
ومن يكن في الورى اماله كثرت • فانما املي في ان ترى املك

وقال الوزير ابن ابي الخصال •

وكيف ودي شكر من شكرته • على ترب يوم زادني مثل عندا
فان رمت اقضي اليوم بعض الذي مضى • رايت له فضلا علي مجددا

وقال الرصافي

قلدت جيد الفكر من تلك الحلى • ما شاءه المنثور والمنظوم
واسرت قدامي كاني لاثم • وكان كفي ذلك الملثوم

وقال

وما لك نشر رمتنا مدامها • فاوصل لا اللسان ولا الضمير

عجزنا ان نقوم لها بشكر • على انا الشكور لها كثير

وقال ابن باجة

قوم اذا انتقلبوا ارات اهلة • واذا هم سفروا ارايت بدورا

لا يسألون عن النوال عفاتهم • شكرا ولا يحبون منه نقيرا

لواتهم مسحوا على جدب الربى • باكفهم نبتا لاقاح نضيرا

وقال ابن الابار يمدح ابا زكريا سلطان افريقية

تحلت سلیمان اللیالي العواطل • ودانت لسقياك السحائب الهواطل

وما زينة الايام الا مناقب • يفرعها املاك باس ونائل

اذا الطول والصول استقلا براحة • ترقت لها فوق النجوم انامل

وقال ايضا في سعيد بن حكم رايس منرقة

سيد ايد رايس بسعيس • في اسارير صفحات الصباح

قمري في افق المعالي تجلى • وتحلى بالسودد الوضاح

سلم البحر في السماحة منه • لجواد سموه بحر السماح

وقال ابو العباس احمد الاشبيلي

يا افضل الناس اجماعا ومعرفتي • تغني وما الحسن في ريب ولا ريب

ورثت من سلف ماشيت من شرف • فقد بهرت بموروث ومكتسب

وقال ابن زهر الحفيد

يا من يذكرني بعهد احبتي • طاب الحديث بذكرهم ويطيب

اعد الحديث على من جنباته • ان الحديث عن الحبيب حبيب

ملا الضلوع وفاض من اجابها • قلب اذا ذكر الحبيب يذوب

ما زال يخفق ضاربا بجناحه • يا ليت شعري هل تطير قلوب

وقال في زهر الكتان

اهلا بزهر اللازورد ومرحبا • في روضة الكتان تقطفه الصبا

لو كنت ذا جنل لخلتك لجة • وكشفت عن ساق كما فعلت سبا

ولما قال الموشحة المذكورة التي اولها • صادني ولم يدر ما صادا

قال ابو بكر بن الجد لو سئل عما صادا لقال بنيين ملحنة حمرا ولما قال الموشحة التي اولها

هات ابنة العنب واشرب الى قوله وفد بابي ثم بي سمعها ابو ثعال فقال نفديه بالعجوز

السوا امه واما انا فلا وهنالك ابو بكر بن زهر الاصغر وهو ابن عم هذا الاكبر

ومن نظم الاصغر

والله

والله لا ادري بما التوسل • اذ ليس لي ذات بها التوصل

لكن جعلت مودتي مع خدمتي • لعلاك احظى شافع يتقبل

ان كنت من ذوات زهر عاطلا • فالزهر منهن السماك الاعزل

وهذه الابيات خاطب بها المامون بن المنصور صاحب المغرب وقال الاديب ابو جعفر عمر بن صاحب الصلاة

•

وما زالت الدنيا طريقا لهالك • تباين في احوالها وتخالف

ففي جانب منها تقوم ماتم • وفي جانب منها تقوم معارف

فمن كان فيها قاطنا فهو ظاعن • ومن كان فيها امنا فهو خايف

وقال ابو بكر محمد بن صاحب الصلاة يخاطب خليلا انتقل الى العدوة

لا تنكرن زمانا • رماك منه بسهم

وانت غاية مجد • في كل علم وفهم

هذي دموعي حتى • تراك طرفي تهمي

يا ليت ما كنت اخشى • عليك عدوان بهم

فانما الدهر يبدي • ما لا يجول بوهم

ما زال يرمي بسهم • لكل يقظان شهم

ولما وفد اهل الاندلس على عبد المومن قام خطيبا ناثرا وناظما فاتى بالعجب وباهى به اهل الاندلس في ذلك الوقت ولد في عبد المومن

هم الالى وهبوا الحرب نفسهم • وانهبوا ما حوت ايديهم الصغرا

ما ان يعيبون نحل الشمس من وهج • كانما عيبها تشكو لهم رمدا

وقال ابن السيد البطليوسي في ابي الحكم عمرو بن مذحج بن حزم وقد غلب على لبه واخذ بمجامع قلبه

•

رايت صاحبي عمرا فكلف وصفه • وحملني من ذاك ما كان في الطوق

فقلت له عمرو كعمرو فقال لي • صدقت ولكن ذا اشب عن الطوق

وفيه يقول ابن عبدون

يا عمرو رد على الصدور قلوبها • من غير تقطيع ولا تخريق

وادر علينا من خلالك اكوسا • لم تلد تسكرنا بغير رحيق

وفيه يقول احدهما

قل لعمرو بن مذحج • جاء ما كنت ارتجي

شارب من زبرجد • ولحي من بنفسج

وكتب اليه ابن عبدون

سلام كما هبت من المزن نفحة • تنفس عند الفجر في وجهها الزهر

ومنها

اباحسن ابلغ سلام في يدي • اباحسن وارفق فكلنا مما بجر
ولا تنس يمناك التي يمح الندى • رضيعا لبان لا الجبين ولا الشبر

فاجابه من ابيات

تخير مني في مجاري صفاته • فلم ادر شعرا ما به فهت ام سحر
اري الدهر اعطاك التقدم في العلى • وان كان قدوا في اخرايك الدهر
لين حازت الدنيا لك الفضل اخرا • ففي اخريات الليل يتبلج الفجر

لعله يتبلج

ولعمرو في ابي العلا بن زهر •
قدمت علينا والزمان جديد • وما زلت تبدي في الندى وتعيد
وحق العلي لولام ابتك العلى • لما اخضر في افق المكارم عود
فلوحوا بني زهر فان وجوهكم • نجوم با فلاك العلا سعود

وقوله لابي الوليد بن عمه

لاني لا عجب ان يدنو بنا وطن • ولا ننقضي من العليا لنا وطر
لاغرو ان بعدت دار مصاقبة • بنا وجد بنا المحضرة الشعر
فحجر العين لا يلقاه ناظرها • وقد توسع في الدنيا به النظر

وقال ابن عمه ابو بكر محمد بن مدحج يخاطب ابن عمه ابا الوليد

ولما راي حمص انتخت بنتذب • على انها كانت به ليلة القدر
تحمل عنها والبلاد عريضة • كما سل من غمد الدجا صارم الفجر

وقال ابو الوليد المذكور

اتجزع من دمعي وانت اسلته • ومن نار احشائي وانت لهيبها
وتزعم انا النفس غيرك علقت • وانت ولا من عليك حبيبها
اذا طلعت شمس علي بسلوة • اثار الهوي بين الضلوع غروبها

وله

لما انتما لك معشر لم ارضهم • والقول فيك كما علمت كثير
دارت دونك مهجتي فتماسكت • من بعد ما كادت اليك تطير
فاذهب فغير حوا نجي لك منزك • واشمع فغير وفائك المشكور

وقال

يقول وقد لمته في هوي • فلان وعرضت شيا قليلا
اتحسدني قلت لا والذي • احلك في الحب منزعي وبيلا
وكيف وقد حل ذاك الجناب • وقد سلك الناس ذاك السبيلا

وله مما كتب على فرس

اني اذا

اني اذا رفعت سماء عجاجة • والحرب تقعد بالردي وتقوم
وتمرد الابطال في جنباتها • والموت من فوق النفوس يحوم
مزقت منا الحتوف كانما • نحن الاهلة والسهام نجوم

وقال ابو الحسين بن قندلة في كلب صيد

نجمت بمن لورمت تعبير وصفه • لقل ولو اني غرقت من البحر
بالحظل ونابطموح موديب • يثبوت يصيدا لنسر لو حل في النسر
كلون الشباب الغض في وجه سيخي • كان ظلاما الليل فيه سوي البدر
اذا سار والبازي اقول تعجبا • الا ليت شعري يسبق الطير من يجري

ولا يلتفتن الي قول ابي العباس بن سيد فيه

الموت لا يبقي علي صحبة • لا اسدا يبقي ولا ثنعله
ولا امريا لبني هاشم • ولا وضيعا لبني قندله

وكان ابن سيد مسلطا على هذا البيت قال ابن سعيد وانما ينبح الكلب القمر

قال ابو العباس النبار كان ابو الحسين يلقب بالوزغة فوصلت الي بابه يوما فتحجب عني فكتبت علي الباب

تحجب القندلي عني • فساء من فعله جميل ضميري
ينفر من رؤيتي كاني • مضمخ الجيب بالعبير

قال ومن عادة الوزغة ان تكره رائحة الزعفران وتهرب منه وقال

القاسم بن حسان

الا ليتني ما كنت يوما معظما • ولا عرفوا شخصي ولا علموا قصري
اكلف في حال المشيب بمثل ما • تحملته والغصن في ورق نضر
فما عاش في الايام في حر عيشة • سوي رجل ناء عن الامر والنهي

وقال ابو بكر بن مرتين

صحبت منك العلي والفضل والكرما • وشيمة في الندي لا ترتضي لشاما
مودة في بري الانصاف راسخة • وسمكها فوق اعناق السماء سما

وقال

انصفتني فحفظتك الود الذي • تجزي بصفوته الخليل المنصف
لا تشكرن سوي خلالك انها • جليت اليك من الثنا ما يعرف

وقال

كل اسى انكسه • فهو لفظ دون معنى

وقال القاضي ابو عبد الله محمد بن زرقون

ذكرا لعهد والديار غريب • فجري فيه منه ولج النحيب

ذكرا العهد والنوى من حبيب • حبذا العهد والنوى والحبيب
اذ صفا الوداد غير مشوب • بجفن وودنا مشبوب
واذا الدهر دهرنا وانا الناء • ررقيب واذ يقول الرقيب

ومنها

انا لا اشعفوع فليس سا • ء مقالي لقد نغصا القلوب
قد نبا لا الفتى لصغاير طرفا • لا سواها وللذنوب ذنوب
واخو الشعر لا جناح عليه • وسوا الصدق والكذوب

وقال الخطيب ابو عبد الله محمد بن عمر الاشبيلي

وكل الي طبعه عايد • وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه • يعود سريعا الي برده

وقال

يا معدن الفضل طود الحجى • لا زلت من بحر العلى تغترف
عبدك بالباب فقل مسعفا • يدخل او يصبر او ينصرف

وقال امام اللغة ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي

ما طلبنا العلوم الا لاني • لم ازل من فنونها في رياض
ما سواها له بقلبي حظ • غير ما كان للعيون المراض

وقال

اشعر قلبك يائسا • ليس هذا الناس ناسا
ذهب الابرار منهم • فبقوا بعد نخاسا
سامريين يقولون • جميعا لا مساسا

وكان كتاب العين للخليل مختل القواعد فامتعض له هذا الامام وصقل صداه كما يصقل الحسام وابرزه في اجمل منزع حتى قيل هذا مما ابدع واخترع وله كتاب في النحو سماه الواضح وصنف الحكم المستنصر مودبا لولده هشام المويد وبالجملة فهو بالمغرب بمنزلة ابن دريد في المشرق وقال النحوي ابو بكر محمد بن طلحة الاشبيلي وشعر رقيق خارج عن شعر النحاة

اليا يوم نبعد يترفع الحمر • وللورق تغريد وقد خفق النهر
وقد صقلت كف الغزالة افقها • وفوق متون الارض اردية خضر
وكم قد بكت عين السماء بدمعها • علينا ولولا ذاك ما ابتسم الزهر

وقال

بدا الهلال فلما • بدا انتقصت وتما
كان جسمي نحل • وسحر عينيه لما

معض من الامر كفرح غضب وشق عليه
ناموس
امتعاض خشم كرفتن ترجان صحاح

وكان لا يملك

وكان لا يملك نفسه في النظر الي الصور الحسان واتاه يوما احد اصحابه بولد له فتان الصورة فعندما دخل مجلسه قصر وهو لا يعلم ما يقوله وقد افتضح في طاعة هواه فقال له الرجل يا ابا بكر حقق النظر فيه لعله مملوك ضاع لك وقد جبره الله عليك ولكن علي من ينزكر عندك لعنة الله هنا ما علمت بحضري فالله ان غاب معك عن بصري لحة لتفعلن به ما اشتهر عنك واخذه لك وانصرف به فانقلب المجلس ضحكا وقال ابو جعفر احمد بن الابار الاشبيلي في نحو من رجال النخيرة

زارني خيفة الرقيب مريبا • يتشكي منه التغيب الكثيبا
رشا راش لي سهام المنايا • من جفون يسبي بهن القلوبا
قال لما نري الرقيب مطلا • قلت دعه الي الجناب الرحيبا
عاطه اكوس المدام دراكا • واد زها عليه كوبا فكوبا
فاسقنيها من خمر عينيك صرفا • واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
قال لا بد ان تدب عليه • قلت ابغي رشا فخذ ديبا
قال فابدا بنا وثب عليه • قلت عمري لقد اتيت قريبا
فوثبنا علي الغزال لذكوبا • وسعينا علي الرقيب ديبيا
فلما ابصرتنا وسمعت نحيب • قال محبوبه ونال الرقيبا

وانشد له ابن حزم

اوما رايت الدهر اقيل معتبا • متنصلا بالعذر مما اذنبا
بالامس اذبل في يدي باضك ايكة • واليوم اطلع في سمايك كوكبا

وقيل انه خاطب بهما ابن عباد ملك اشبيلية وقد ماتت له بنت وولدت له ابن وبعضهم ينسبهما له لغيره ودخل الاديب ابو القاسم العطار الاشبيلي حماما باشبيلية فجلس الي جانبه وسيم حمري العينين فافتتن بالنظر اليه والمحادثة الي ان قام وقعد في مكانه اسود فقال

مضت جنة الماوي وجات جهنم • فها انا اشقي بعد ما كنت انعم
وما كان الا الشمس حان غروبها • فاعقبها جنح من الليل مظلم

وقال الاديب المصنف ابو عمرو عثمان بن علي بن عثمان بن الامام الاشبيلي صاحب سمط الجمان •

عذيري من الايام لا در درها • لقد حملتني فوق ما كنت ارهب
وقد كنت جلدا ما ينهنهني النوي • ولا ينثني الحادث المتغلب
فيا سيرف فالدهر يرمي مع الصبا • جزيل حكاك او غد يتي موجب
وكنت اذا ما الخطب مدجاهر • علي تراني تحته انقلب
فقد صرت خفاق الجناح يروعني • غراب اذا ابصرته وهو ينعب

واحسب من التي جبتها مودعا • وان بلادا انت ظبي لمخصب

وقد اتمغص للاداب في صدر دولة بني عبد المومن فجمع شمل الفضلا الذين
اشتملت عليهم المايه السابعة الي مبلغ سنة منها في ذلك الاوان فاستولي
بذلك علي خصل الرهان وانفرد بهذه الفضيلة التي لم ينفرد بها الافلان وفلان
وكان الاديب العالم الصالح ابو الحسن علي بن جابر الدباج الاشبيلي اماما في
فنون العربية ولكن شهر باقرا كتب الاداب كالكامل للمبرد ونوادر القالي
وما اشبه ذلك وكان مع زهده فيه لوذعية ومن ظرفه ان احد تلامذته
قال الغلام جميل الصورة بالله اعطني قبلة تمسك رمقي فشكاه الي الشيخ
وقال له يا سيدي قال لي هذا كذا فقال له الشيخ واعطيته ما طلب فقال
لا فقال وما هذه الثقالة ما كفاك ان حرمته حتي تشتكي به ايضا وحسبك
من جلالة قدره ان اهل اشبيلية رضوا به اماما في جامع العدبس وله

ما تبدت وشمس الافق بادية • ابصرت شمسين من قرب ومن بعد
من عادة الشمس تعشي عين ناظرها • وهذه نورها يشفي من الرمد

وقال مالك بن وهيب

اراميتي بالسحر من لحظاتها • تعيذك كيف الرمي من دون اسهم
الا فاعلمي ان قد اصبت واصلي • سهامك او كفي فلست بمسلم
فانسان عيني الدهر اضحيت فاحذري • مطالبة بالثار للقلب والدم
اما لهوي في غيل عذا غابة القنا • تخفر اساد كل ملثم
ولو ان لي بحرا شديدا بحده • ادرت له من بابس لحظك صارم

وهو اشبيلي كان من اهل الفلسفة كما في المسهب قال وهو فيلسوف المغرب
ظاهر الزهد والورع استدعاه من اشبيلية امير المسلمين علي بن يوسف ابن
تاشفين الي حضرة مراكش وصير جليسه وانيسه وفيه يقول بعض اعدائه

دولة لابن تاشفين علي • طهرت بالكمال من كل عيب
غير ان الشيطان دس اليها • من خبايا مالك بن وهيب

وامر علي بناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي انشا دولة بني عبد المومن
وقال ابو الصلت امية بن عبد العزيز المذكور في غير هذا الموضع من هذا الكتاب
يستدعي بعض اخوانه

بمعالتيك وجدك • خذ بليتاك لعبدك
حضر الكل ولكن • لم يطب شي لفقدك

وقال

وراغب في العلوم مجتهد • لكنه في القبول جلمود

فهو كذي غنة به شبق • ومشتهي الاكل وهو ممعود

وقال

لين عرضت نوي وعدت عواد • اطالت من دنوك بالبعاد
فما بعدت عن اللقيا جسوم • تدانت بالمحبة والوداد
ولكن قرب دارك كان ندي • علي كبدي واخلي في فوادي

وله في مجمرة

ومحرورة الاحشا لم تدر ما الهوي • ولم تدر ما يلقي المحب من الوجد
اذا ما بدا برق المدام رايتها • تثير غماما في الندي من الند
ولم ار نارا كلما شب جمرها • رايت الندامي منه في جنة الخلد

وقوله من قصيدة

فان هم نكصوا يوما فلا عجب • قد يكهم السيف وهو الصارم الذكر
العود احمد والايام ضامنة • عقبي النجاح ووعد الله منتظر

وقال

تقريب ذي الامر لاهل النهي • افضل ما ساس به امره
هذا به اولي وما ضره • تقريب اهل اللهو في الندره
عطارد في جلا وقاته • ادني الي الشمس من الزهره

وقوله

تفكر في نقصان ما للندامي • وتغفل عن نقصان جسمك والعمر
ويثنيك خوف الفقر عن كل بغية • وخوفك حال الفقر من اعظم الفقر

وقال

يا ليلة لم تبن من القصر • كانها قبلة علي حذر
لم تك الا كلا ولا ومضت • تدفع في صدرها يد السحر

وقال فيمن نظر اليه فاعرض عنه

قالوا اتي عنك بعد البشر صفحته • فهل اصاخ الي الواشي فغيره
فقلت لا بل دري وجدي بعارضه • فرد صفحته عمدا لا ابصره

وقال

حكت الزمان تلونا • لمحبها العاني الاسير
فوصالها برد الاصيل • وهجرها حر الهجير

وقال يستدعي

هو يوم كما تراه مطير • جليل القرفيه والزمهرير
وارانا الغمام والبرد ثوبين • علينا كلاهما مجرور
والدنيا شمسان شمس من الرا • ح وشمس تنشي بها وتدور

فمن لنا بان نشبه الكواكب • بالجد لها ونرجي السرور
فاعزك الاعتذار فيه فترك • الشرب في مثل يومنا تغرير

وقال

لموا البحر غض فيه اذا كان ساكنا • على الدر واحذره اذا كان مزبدا

وقال

غبت عنا فغاب كل جمال • ونأى اذ نأيت كل سرور
ثم لما قدمت عاودنا الانس • وقرت قلوبنا في الصدور
فلو انا نجزي البشير بشيء • لوهبنا حياتنا للبشير

وقال

كم ضيعت منك المنى حاصلا • كان من الاحزان يحفظا
فالقطها عنك فرحتها • يجني صواب الراي ان يلتقطا
فان تعلقت باطماعها • فانما تحلم مستيقظا

وقال

يقولون لي صبرا واني لصابر • على نائبات الدهر وهي فوادح
ساصبر حتى يقضي الله ما قضى • وان انا لم اصبر فما انا صانع

وقال

بابي حوذ شموع • اقبلت تحمل شمعه
فالتقى نور اسمها • واختلفنا قدرا ورفعه
ومسير الشمس تشهد • بضوء النجم بدعه

وقال في فرس اشهب

واشهب كالشهاب اضحى • يلوح في مذهب الجلال
قال حسودي وقد رآه • يحبب نحبي الى القتال
من الجم الصبح بالثريا • واسرج البرق بالهلال

وقال

رمتني صروف الدهر بين معاشر • اصحهم ودا عدو مقاتل
وما غربة الانسان في غير داره • ولكنها في قرب من لا يشاكل

وقال

اضحت صبا دنفا مغرما • اشكو جوى الحب وابكي دما
هذا وقد سلم اذ مر بي • فكيف لو مر وما سلما

وقال

وقفنا للنوى فهفت قلوب • اضر بها الجوى ونمت شؤون

بناجي

بناجي بعضنا بالحظ بعضا • فتعرب عن ضمائرنا العيون
فلا والله ما خنت عهودا • كما خنتم ولا فضيت يوما
ولو حكم الهوى يوما بعدل • لاتصف من بني ممن يخون
امن بدركم واعتض طرفي • مخافة ان يظن بي الظنون
ولما راى عبد الرحمن بن سلاق الحضرمي الاشبيلي في النوم انه مر على قبر وقوم
يشربون حوله وسطا انا بهر فاامروني ان ارثي صاحب القبر وهو ابو نواس الحسن
ابن هاني

قال

حياك يا قبر انسكاب الغمام • وعاد بالروح علينا السلام
فيك اضحى الظرف مستودعا • واستترت عنا عيون الظلام
وقال ابو بكر محمد بن نصر الاشبيلي
وكانما تلك الرياض عرائس • ملبوسهن معصفر ومزعفر
اوكالقيان لبسن موشي الحلي • فلهن في وشي اللباس تبختر
وقال احمد بن محمد الاشبيلي •
اما ترى النرجس الغض الذكي بدا • كانه عاشق شابت ذوائبه
او المحب شكى لما اضربه • فرط السقام فعادته حبائبه

وقال

دب نيلوفر غدا يخجل الراي البه نفاسة وغرابه
كمليك للزنج في قبة بيضاء يدنو الدجى فيغلق بابه

وقال ابو الاصبغ بن سعيد

كانما النرجس في منظر الحسن الذي امثاله تبتغي
انامل من فضة فوقه • كاس من التبر به افرغا
وقال ابو اسحاق ابراهيم بن خيرة الصباغ مما انشده لنا ابو عامر بن سلمة
في كتاب حديقة الارتياح •
يوم كان سحابه • لبست عماي المصامت
حجبت به شمس الضحى • بمثل اجنحة الفواخت
فالغيث يبكي فقدها • والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا • والجو كالمحزون ساكت
والروض يستغنيه الحيا • والنور ينظر مثل باهت
فاشرب ولذ نجنة • واطرب فانا لعمر فائت

وله

ذب ليل طال لا صبح له • ذي نجوم اقسمت لا تغور

قد هتكنا حجبه من فايق • من خمور وجوه كالبدور
اذ بدت تشبهها في كاسها • نارا براهيم في برد ونور
صرعتنا اذ علونا ظهرها • في ميادين التصابي والسرور
وكانا حين قمنا معشر • نشروا بعد ممات من قبور

وقال ابو بكر بن حجاج

لما كتمت الحب لا عن قلي • ولم اجد الا البكا والعويل
ناديتها والقلب مغرم • يا حسبي الله ونعم الوكيل

وقال

يقولون ان السحر في ارض بابل • وما السحر الا ما ارتك المحاجر
وما المسك الا ما انثني تحت برده • وما الدعص الا ما طوته المازر
وما الدر الا ثغره وكلامه • وما الليل الا صدغه وغدائره

وهذه الابيات من قصيدة في محمد بن القاسم بن حمود ملك الجزيرة الخضرا
اعادها الله وقال الرصافي ابو عبد الله الشاعر المشهور وهو ابن رومي
الاندلس في حريري •

وبي شغف بمن لا اسميه الا • بعض الملامة وبعض اشاعه
هو والظبي في الجمال سواء • ما استعار الغزال منه استعار
اغيد غنك الحرير بعينيه • مثل ما غنت الغزال العرار

وهو القايل يمدح امير المومنين عبد المومن بن علي

لو جبت نارا لهدي من جانب الطور • قبست ما شيت من علم ومن نور

ولابي جعفر احمد بن الجزار منكر •

وما زلت اجني منك والدهر ممحل • ولا ثمر يجني ولا زرع يحصد
ثمار ايادي دانيات قطوفها • لاورافها ظل علي ممدد
يري جاريا ما آمن المكارم تحتها • واطيار شكري فوقهن تغرد

ولما بتي ابو جعفر بن البني من ميورقة واقلع في البحر ثلاثة اميال ولما
ونشات ريح ردته لم يتجاسر احد من اخوانه علي تنابه فكتب اليهم

لجبنا الاولي عتبوا علينا • واقصونا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لنا جدلا وانسا • فما بالعيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم • اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم • كان قلوبنا فيها شراع

وله

عصبت لمرتيلي البعاد مكانها • واودعت في عيني صادق نوابها

بيانه مكانها

وفي كل حال

وفي كل حال لا تزال نخيلة • فكيف اعارت للشمس حلة ضوها

وله في غلام يزمر في الطنبور

قالوا اتضيب طيور الجو سهمه • اذا رماها فقلنا عندنا الخبر
نعلت قوسها من قوس حاجبه • وابدا السهم من اجفانه الحور
يلوح في بردة كالشمس حالكة • كما اضاء بجنح الليلة القمر
وربما لاح في خضراء مونقة • كما تفتح في اوراقه الزهر

وقال الاديب الكاتب القاضي ابو المطرف بن عميرة المخزومي لما قص شعر ملك
شرق الاندلس زيان بن مردنيش من بني في يوم رفع فيه ابو المطرف شعرا في حب
صلة المزين ولم تخرج صلة ابي المطرف •

اري من جاء بالموسي مواسي • ويأخذ من اراح المدح صفرا
فانجح سعي ذا اذ قص شعرا • واخفق سعي ذا اذ قص شعرا

واسم ابي المطرف احمد وهو من جزيرة شقر من كورة بلنسية وكان الكاتب الحسيب
ابو جعفر احمد بن طلحة يعشق علجا من علوج ابن هود ويماشيه في غزواته

وفيه يقول

ما اخضر للغزو من صلاح • كلا ولا رغبة الجهاد
لكن لكيما يكون داع • لقربنا حيرة الجياد

وقد تقدمت حكاية فلتراجع وكان صنوبري الاندلس ابو اسحاق ابن
خفاجة وهو من رجال الذخيرة والقلايد والمسهب والمطرب والمغرب
وشهرته تغني عن الاطناب فيه معري بوصف الانهار والازهار وما
يتعلق بهما واهل الاندلس يسمونه الجنان ومن اكثر من بني عرفه وتوفي
سنة ثلاث او خمس وثلاثين وخمسماية وولد سنة خمسين واربعماية
ومن نظمه

قوله

ربما استضحك الحباب حبيب • فنفضت لونها عليه المدام
كلما مر قاصرا من خطاه • يتهادي كما يتهادي الغمام
سلم العضو والكثيب علينا • فعلي الغصن والكثيب السلام
وبات مع بعض الروسا فكاد ينطفي السراج ثم تراجع نوره فقال
واغر ضاحك وجهه مصباحه • فانار ذا قمرا وذلك فرقدا
وما ان خبا تلقا نور جبينه • حتي ذكا بذكاية فتوقدا

وله

كنت وقلبي في يديك اسير • بنعيم كما شاء الهوي واسير
وفي كل حين من هواك وادمعي • بكل مكان روضة وغدير

ولــه

كنا بناد لدنيا البدر ندمان • وعندنا الكوش للتاج ستهيات
والعقب مانيسة والطير ساجعة • والارض كاسية والجو عربان

ولما سبل ابو بكر محمد بن احمد الانصاري المعروف بالابيض عن لحنه فعجز عنها بحضر من يجل منه اقسم ان يقيد رجليه بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ الغريب فاتفق ان دخلت عليه امه في تلك الحالة فارتاعت فقال

ريعت عجوزي ان راتني لابسا • حلق الحديد ومثل ذاك يروع
قالت جننت فقلت بل بي همة • هي عنصر العلياء والينبوع
سن الفرزدق سنة فتبعتها • اني لما سن الكرام تبوع

وكان شاعرا وشاحا وطاح دمه على يد الزبير امير قرطبة لما هجاه بمثل قوله

عكف الزبير على الضلالة جاهدا • ووزيره المشهور كلب النار
ما زال ياخذ سجدة في سجدة • بين الكوس ونغمة الاوتار
فاذا اعتراه السهو سبح خلفه • صوت القيان ورنة المزمار

ولما بلغ الزبير عنه ذلك وعين امر باحضاره فقرعه وقال ما دعاك الى هذا فقال اني لم ارا حق بالهجو منك ولو علمت ما انت عليه من المخازي لهجوت نفسك انصافا ولم تكلها الى احد فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته وامر بقتله وانشد له ابن غالب في فرحة الانفس قوله في حلقة حائط

وحلقة كشعاع الشمس صافية • لو انها بدت كوكبا في الجو لالتهبا
تانق القين في احكام صنعتها • حتى افاض على اطرافها الذهبا
كانها بيضة قد قد قونسها • وكل جيب لها بالطعن قد نقبا

وقال فيمن يحدث نفسه بالخلافة مكرر

امير المومنين نداء شيخ • افادك من اماليه اللطيفه
تحفظ ان يكون الجذع يوما • سريرا من اسرتك المنيفة
اذكر منك مصلوبا فابكي • وتضحكني امانيك السخيفه

وهاجى ابن سارة فقال فيه ابن سارة

ومن العجايب ان يكون الابيض • لحمار بين السوابق يركض

وقال امام النحاة بالاندلس ابو علي عمر الشلوبيني فيمن اسمه قاسم

ومما شجا قلبي وفض مدامعي • هوى قد قلبي اذ كلفت بقاسم
وكنت ظننت الميم اصلا فلم تكن • وكانت كميم الكشح الحقت في الزراقم

والزراقم الحيات مشتقة من الزرقة والميم زايدة يريد ان ميم قاسم كميمها فهو قاس ونونه منسوب الى حصن شلوبينية على ساحل غرناطة وله من السهم

والتاليف

والتاليف ما يغني عن الاطناب في وصفه وله التوطية وشرح الجزولية وغيرهما وكان مغفلا ومع ذلك فهو اية الله في العربية وكان في لسانه لكنة ولما اراد المامون بني عبد المومن التوجه الى مرسية وقد ثار بها ابن هود وانشد الشعرا وتكلم في مجلسه الخطبا قام الشلوبيني وقال دعا منه سلمك الله ونترك يرتد سلمك الله ونصرك لانه بلكنته يرد السين والصاد ثاء فكان كما قال عاد المامون وقد ثلم عسكره ونثر ولما مرض الفقيه الزاهد ابو اسحاق ابراهيم الالبيري دخل عليه الوزير ابو خالد هاشم بن رجا فراى ضيق مسكنه فقال لو اتخذت غير هذا المسكن لكان اولى بك فقال وهو اخر شعر قاله

قالوا الا تستجيد بيتا • تعجب من حسنه البيوت
فقلت ما ذا لكم صوابا • فعش كثيرا لمن يموت
لولا شتاء ولفح قيظ • وخوف لص وحفظ قوت
ونسوة يبتغين سترا • بنيت بنيان عنكبوت

وقال ابو بكر بن عبادة القزاز الموشح في ابن بسام صاحب الذخيرة

يا منيفا على السماكين سام • حزت خصل السباق عن بسام
ان تحك مدحة فانت زهير • او تشبب فعروة بن حزام
او تبكي الديار فابن حجر • او تبكي الديار فابن خدام
او تذم الزمان وهو حقيق • فابو الطيب البعيد المرامي

بلغ

ولما انتثر السلطان نظام ملك لمتونة تفرق ملك الاندلس روساء البلاد وكان من جملتهم الامير ابو الحسن بن نزار لما له من الاصالة في وادي اش فحسده اهل بلده وقصدوا تاخيره عن تلك المرتبة فخطبوا في بلدهم لملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش ووجه لهم عامله واوصاهم ان يخرج هذا الاسد من غيله ويفرق بينه وبين تاميله ورفعوا له اشعارا كان يسترع بها على كاسه ويبثها بحضر من يركن اليه من جلاسه ومنها قوله وقد استشعر من نفسه انها اهل للتقديم مستحقة لطلب سلفه القديم •

الا اعرف قدرا للنفع والضرر • وكيف اصدر ما للملك من صدر
وكيف اطلع في افق العلى قمرا • وبينهم بكفي واكفا الدرر
وكيف املأ صدر الدهر من رعب • واستقل بحمل الحادث النكر
واسعد لما تري الخطوب به • واستطيل على الايام بالفكر
لكنني ربما بادرت منتهزا • لفرصة فرقت كاللمح بالبصر
في امر راسي ما يغني الزمان به • شرحا فسل بعدها الايام عن خبري

فعندما وقف ابن مردنيش على هذا القول وجه الى وادي اش من حمله اليه وقيد

وقدم به على مرسية اسيرًا بعدما كان مرتقبًا ان يقدم اميرًا فلما وقعت عين ابن
مردنيش عليه قال له امكن الله منك يا فاجر فقال انتا عزك الله اولى بقول
الخير من قول الشر ومن امكنه الله من القدرة على الفعل فما يليق به ان يستعد
بالقول فاستحيى منه وامر به للسجن فمكث فيه مدة وصدرت عنه اشعار
في تشوقه الى بلاده منها قوله •

لقد بلغ الشوق فوق الذي • حسبت فهل للتلاقي سبيل
فلو انني مت من شوقكم • غرامًا لما كان الا قليل
تعللني بالندا في المنا • وينشد لي الدهر صبر جميل
فقل لبثينة اذ اصبحت • بعيدًا فلم ينل عنها جميل
اغض جفوني عن غيرها • وسمعي عن اللوم فيها يميل

ولم يزل على حاله من السجن الى ان تحيل في جارية محسنة في الغنا حسنة الصوت
وصنع موشحة اتى اولها • فازعلنا البدر المياح • بنت الدنان فلم يدع لك
اقتراح على الزمان • وفيها يقول يا هل اتول للحسود والعيش يحذي • يالاتي
على السراج كانتا مائي احرجها ذا انا السماح الى العيان • وجعل من يلقنها
على الجارية حتى حفظتها واحكمت الغناء بها واهداها الى ابن مردنيش بعدما
اوصاها انها متى استدعاها للغنا وظفرت به في اطرب حالة واسرها غنته
بهذه الموشحة وتلطفت في ان تغنيها في سراح قايلها فلعل الله يجعل في
ذلك سببًا واتفق ان ظفرت بما اوصاها به واحسنت غنا الموشحة فطرب
ابن مردنيش لسماع مدحه واعجبه مقاصد قايلها فسالها لمن هي فقالت
لمولاي عبدك ابن نزار فقال لا عيدي على قوله يا لايمي على السراج فاعادته فداخله
عليه من الرقة والاريحية بما اصابه ان امر في الحين بحل قيده واستدعى به الى موضعه
في ذلك الوقت فلما دخل خلع عليه وادناه وقال له يا ابا الحسن قد امرنا لك
بالسراح على رغم الحسود فارجع الى بلدك مباحًا لك ان نطلب الملك بها وبغيرها
ان قدرت فانت مثل الان تملك جميع الاندلس لا وادي اش فقال له والله يا سيدي
بل التزم طاعتك والاقرار بانك بعثتني من قبر رماني فيه الحساد والوشاة
ثم شرب الى ان تمكنت بينهما المطايبة فقال له يا ابن نزار الا انه ارني الان اسالك عن
شيء قال وما هو يا سيدي قال عافي ام راسك حين قلت في ام راسي ما يعلي الزمان
به شرحًا فهل بعدها الايام عن جزي فقال يا سيدي لا تنسب الى غرور نفس الفتنة
على لسان نشوان لعبت بافكاره الاماني وغطت على عقله الامال والله لقد
بقيت في داري ادوم الاجتماع بجارية مهيبة قدر سنة فما قدرت على ذلك
ومنعتني منها زوجتي فكيف اطلب ما دونه قطع الروس ونهب النفوس

فضحك

فضحك ابن مردنيش وجدد له الاحسان ووجهه الى بلده وامر عماله ان يشاركوه
في التدبير ويستاذنونه في الصغير والكبير فنا ثل به مجده • وعظم سعده ومن شعره

قوله

انظر الى الروض سحيرًا وقد • بث به الطل علينا العيون
ترقب منا يقظة للمنى • فقل لها اهلا بساعي المجون
وخلها تسمنا الى ان ترى • شمس الضحى تطرق تلك الجفون

وقوله

تنبه لعشق وكاس وقينة • وروض ونهر ليس يبرح خفاقا
فقد نبهت مذ الحدايق ورقها • وفتح فيها الصبح بالطل احداقا
ومهما تكن في ضيقة فادرلها • كوس الطلا فالسكر يوسع ما ضاقا

وقوله

عطف القضيب مع النسيم تمايلًا • والنهر موشي الخمايل والحلى
تركته اعطاف الغصون مظللًا • والشاعر النهر العتوبر مصقلا
امسى يغار لنا بمقلة اشهل • والطرف اسحرها تراه اشهلا

وقال بعضهم استدعاني ابو الحسن بن نزار لمجلس انس بوادي اش فلما اختفل مجلسنا
وطابت لذتنا قال والله ما تمام هذه المسرة الا حضور ابي جعفر بن سعيد وتوالى
بوادي اش فوافقناه على ذلك لما نعلم من طيب حالتنا معهما وانهما لا ياتيان الا بما
ياتي به اجتماع النسيم والروض فخلا في موضع وكتب له •

يا جيرة بيدي الكاس دايرة • ووجوه اقمار وروض ناضر
انا حضرنا في الذي عصابة • معشوقة من ناظر وناشر
كل يحلا الذي تختار • في الامن من ناه له او زاجر
ما انهم شغل بغير واحد • بل كل ما يجري بوفق الخاطر
شدو ورقص واقتطاف فكاهة • وتعانق وتغامز بنواظر
وهم كما تدري بافقي انجم • لكن لنا شوق لبدر زاهر

سيدي لا زلت متقدمًا لكل مكرمة هل يحمل التخلف عن ناد قام فيه السرور على ساق
وضحك فيه الانس ملاقيه وانشد ليه ستر الصون وفا عليه ظل النعيم وسفرت فيه
وجوه الطرب • وركضت خيل اللهو دقام النت • وهطلت سحاب ما الورد
وطيبت الكوس كالعرايس • على كراسي العرايس المنقلة بالعاج والابنوس وكان
قطع النهار ممتزجة بقطع الظلام • او بني حام قد خالطت بني سام وعلى روس
الاقداح تيجان نظمها امتزاج الما بالراح • وطورًا يستحسن فيبدو وجلها وطورًا
يخلف فيظهر وجلها والعود ترجمان المسرة قد جعلته امة في حجرها كولد ترضعه

بدرها • وساقي الشرب كالغصن الرطيب ذا قامة رديّة الشرب • دارها ن الكؤوس التي لا تزال تطلع وتغرب • كالشموس ساق يغمّ بالاشارة • حلو الشمائل عذب العيان • ذو طرف سقيم • وخد كأنه من حسن لطيم • ولديها من اصناف الفواكه والازاهر • ما تحار فيه النواظر • وهل تكمل لذة دون احضار خدود الورد وعيون النرجس • واصداغ الآس ونهود السفرجل • وقدود قصب السكر • ومباسم قلوب الجوز • وسرر التفاح • ورضاب بنت العنب • فقد اكمل لهذه الاوصاف المختلسة من اوصاف الحبايب الطرب • نطير بجناح الشوق عند وصولها اليك • ولا نجعل سؤالك بجوابها فلا عين الا وهي ترنو بطرفها اليك • فيسّر في المطال حسابها وقد اصبحت نغلو عليها غشاوة لبعدك فاكشف عن سناها ضبابها • قال ابو جعفر فجعلت وصولي جوابها نظم ونثر • والعيش الخالة يقصر خبرها الخبير فانغمسنا في النعيم • انغماس عرف الزهر في النسيم • ومرّ لنا يوم غفل الدهر عنه جنّة حتى حسبناه عنوانا لما وعد الله به في الجنة • وشرب يوما مع ابي جعفر ابن سعيد والكتندي الشاعر في جنة بزاوية غرناطة وفيها صهريج ماء قد احدق به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الاشجار وعليه انبوب ماء يتحرك به صورة جارية راقصة بسيوف وطيفور رخام يصنع في انبوبه الماء صوتا فقالوا نقتسم هذه الاوصاف الثلاثة فقال ابو جعفر يصف الراقصة

وراقصة ليست تحرك دونها • بحركها سيف من الماء مصلت
بدور بها كرها فتنضي صوارما • عليه فلا تعيي ولا هي تبهت
اذا ما ادارت سرعة خلت انها • الى كل وجه في الرياض تلفت

وقال ابن نزار في حباب الماء •

رايت حباب الماء ترسل ماءها • فنازعها هبّ الرياح رداءها
نطا وغد طورا وتغضبه تارة • كراقصة حلت وضمّت قباءها
وقد قابلت خير الانام فلم تزل • لديه من العلياء تبدي حياءها
اذا ارسلت جودا امام يمينه • ابى العدل الا ان يرد اباءها

وقد قيل ان هذه الابيات صنعها بحضرة الامير ابي عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس وانه لما الجارية الصغرى ان يرتجل في مثل ذلك بيتا وكانت هذه عنده معه فزعم انه ارتجلها قال ابو عمر بن سعيد وهذا هو الصحيح فانه ما كانت عادته ان يخاطب عمي ابا جعفر بخير الانام فان كل واحد منهما كفو الاخر وقال الكتندي

وصهريج تخال به لجينا • يذاب وقد يذهبه الاصيل
كان الروض يعشقه فمنه • على ارجائه ظل ظليل
وتعشقه اكف الشمس عشقا • دنا نيرا فمنه لها قبول

اذا رفع

اذا رفع النسيم المعقب عنها • فجنبيذ يكون لها سبيل
وللنارنج تحت الماء سهمي • تبدّى عكسها جمر بليل
وللّيمون فيه دون سبك • جلاجل زخرف نصبا يجول
فيا دوحا صنعت به جيوبي • وارهف متنه الزهر الكليل
تناثر فيك اسلاك الغوادي • وقبّل صفح جدولك القبول
ولا برحت تجمع فيك شملا • من الاكياس والكاس الشمول
بدور تستدير بها نجوم • مع الاصباح ليس لها افول
يهيم بهم نسيم الروض لما • غدا وجدا له جسم عليل

وروي ان الزبير ابا الاصبغ عبد العزيز بن ارقم وزير المعتصم بن صمادح راى راية حمراء فيها صنيعة بيضاء في يد علج من علوج المعتصم نشرها على رابية فقال

نشرت عليك من النسيم جناحا • حمراء صيرت الصباح وشاحا
تحكي بخفق قلب من عاديته • مهما انصاح في صفحها الارواحا
ضمنت لذا المعتصم بن طاهر • نتر قبا لغال المسير نجاحا

وكان هذا الوزير ابن الله في الوفا وارسله المعتصم الى المعتمد بن عباد فاعجبت المعتمد محاولته ووقع في قلبه فاراد فساده على صاحبه واخذ معه ان يقيم عنده فقال له ما رايت من صاحبي ما اكره فاتر عند غيري ما احب ولو رايت ما اكره لما كان من الوفا تركي له في حين نوض الى امر وولي ي وحملني اعباد دولته فاستحسن ذلك ابن عباد وقال له فاكتم علي فلما عاد الى صاحبه سأله عن جميع ما جرى له فقال له في اثناء ذلك وجرى لي معه ما انا اعلمتك به خفت ان تكتب فيه كالامتنان والاستظهار وتظن ان خاطري قد به وان كتمتك لم اوف النصيحة حقها وخفت ان تطلع عليه من غيري فيحطني ذلك من عينك وتحسب فيه كيدا فحمل عليه في ان يعلمه فاعلمه فعجب ان تلطف هذا التلطف ونحو من رجال الذخيرة والمسهب وابنه الوزير ابو عامر من رجال القلائد ومن نظم ابي عامر •

فتى الخيل بتنا ذهاد بلا • خفافا تباري في العتق الذوابلا الذابلا
ترى كل اجرد سامي التليل • وتحسبه غصنا مائلا

وللوزير الكاتب ابي محمد بن فرسان واسمه عبد البر ومن حسنه وادي آش تخاطب يحيى الموري •

انعم بنتوح علي فعله • سبب الزيارة للحطيم ويثرب
وليت تقول كاشح اذ الهوى • ارست معالمه وانك مذهبي
فالتي ما ان مللت وانما • عمري ابى حمل النجاد بمنكبي
وعجزت عن ان استثير كميتها • واشق بالصمصام صدر الموكب

وهذه الابيات كتبت بها اليه وقد استوعل من الجند معه رغب في سراحها الى الحجاز رحمه

الله وتقبل بنيته بمنه ويمنه وقال في مراح الى الحجار رحمه الله وتقبل بنيته
حاتم بن حاتم بن سعيد العنسي وكان صاحب سيف وقلم • وعلم وعلم

يا ذا اتيا مني وما انا زائر • لا انت معذور ولا انا عاذر
ماذا نضرك اذ طلعت بظلمة • الا يطالع منك بدر زاهر

وتوفي المذكور بغرناطة سنة ٩٩ قال ابن ظافر مرنا في بعض العشايا على البساتين المجاورة للنيل فراينا فيه بيراعلية دولابان متحاذيان قد كادت افلاكهما نجوم التواديس ولعبت بقلوب ناظرهما لعب الاماني بالمفاليس ومما يئنانا انين الاشواق وتفيضان ما اغرق من دموع العشاق • فالروض قد جلا للاعين زبرجده • والاصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره في اجياد الغصون والسواقي قد اذالت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد احضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه في ميادين الزهر راكضه ورضاب الغيث قد استقر من الطين في لمى وحيات المجاري حائرة تخاف من زمرد النبات ان يدركها العمى والبحر قد صقل النسيم درعه ورغفرانا لعشي قد القى في ذيل الجو درعه فاوسعنا ذلك المكان حسنا وقلوبنا استحواذا وملا اسماعنا وابصارنا مسرة والتذاذا • وملنا الى الدولابين شاكين ازمر احين تحت قيانا المطر بالحانها وشدت على عيدانها امرذكرا نغما وطابا • وكانا اغصانا رطابا • فنفيا عنهما لذيذ الهجوع • ورجا النوح وافاضا الدموع طلبا للرجوع • وجلسنا نتذاكر ما في تركيب الدواليب من الاعاجيب ونتناشد ما وصفت به من الاشعار الغالية الاسعار فافضى بنا الحديث الذي يوشجونا الى ذكر قول الاعمى التطيلي في اسد نحاس يقذف الماء اسد ولواني الجاحي • فقال لي القاضي ابو الحسن علي بن المؤيد رحمه الله تعالى يتولد من هذا في الدولاب معنى ياخذ بجامع المسامع • ويطرب الراوي والسامع فتاملت ما قال له بعين بصير في البصيرة • واستمددت مادة غريزتي الغريزة فظهر لي معنى ملا في اطرابا • واوسعني اعجابا • واطرق كل منا ينظم ما جاش به مدحه • وانباه بشيطان فكره • فلم يكن الا كنقرة العصفور • الخائف من الناطور حتى كمل ما اردناه من عشران بيت واحد منا على ما صنعه الاخر فكان الذي قال

حبذا ساعة العشية والدو • لاب يهدي الى النفوس المسرة
ادمع لا يزال تغدو ولكن • ليس يغدو مكانه قد رذته
ذو عيون من القواديس تبدي • كل نجم يبدي لدنيا المجره

وكان الذي قلت

ودولاب يئن انين ثكلى • ولا فقدا شكاه ولا مضره
ترى الازهار في ضحك اماما • يكي بدموع عين منه ثره

حكي فلكا

حكي فلكا تدور به نجوم • تؤثر في سرائرنا المسره
يظل النجم يشرق بعد نجم • ويغرب بعد ما يجري المجره

فعجبنا من اتفاقنا • وقضى العجب منه سائر رفاقنا انتهى رحمه وكان لابي محمد عبد الله بن شعية الوادي اشي ابن شاعر فعرض عليه شعرا نظمه فاعجبه

فقال

شعرك كالبستان في شكله • يجمع بين الاس والورد
فاصنع به ان كنت لي طائعا • ما يصنع الفارس بالبند

والشاعر الاندلسي ابي عبد الله بن الحداد الوادي اشي وهو من رجال الذخيرة

لزمت قناعتي وقعدت عنهم • فلست ارى الوزير ولا الاميرا
وكنت سمير اشعاري سفاها • فعدت بها لفلسفتي سميرا

وله في العروض تاليف مزج فيه بين الانحاء الموسيقية والاراء الخليلية ورد فيه على السرقسطي المنبوز بالحمار وله في المعتصم بن صمادح

لعلك بالوادي المقدس شاطي • فكالعنبر الهندي ما انا واطي
واني في ذوباك واجد نحوهم • نجم الاسى بين الجوانح ناشي
ولي في السري من نارهم ومنارهم • هداة حداة والنجوم طوافي
لذلك ما حنت ركابي وحمحمت • عرابي واوحى سيرها المتباطي
فهل هاجني ما هاجها ولعلها • الى الوجد من نيران قلبي لواحي
رويدا فذا وادي لبيني وانه • لورد لباناتي واني لشاطي
موارد نهيامي ومسرح ناظري • فللشوق غايات بها ومبادي

واعترض عليه بعضهم بان همز في هذه القصيدة ما لا يهمز فقال

عجبت لغامزين علي بجهلهم • واذ قنا في لا تلين على الغمز
تجلت لهم رايات فهمي ومنطقي • مبينة الاعجاز ملتزمة العجز
ولاحت لهم همزية اوحدية • وويل لها ويل لذي الهمز واللمز
رموها بنقص بينت فيه نقصهم • ومن لمس الافعى شكا الم الوكز
فان انكرت افهامهم لعجز همزها • فقد عرفت اكبادهم صحة الهمز

[margin: والعلم طلوبه]

وله وهو مما يتغنى به بالاندلس •

نذر العقيق بجانبا لعقوقه • ودع العذيب عذيب ذات الخال
افق بحلي بالقواضب والقنى • للاغيد المغطار لا المعطال
حجبوك الا من توهم خاطري • وحموك الا من تصور بالي
والقارظان جميل صبري والكرى • فمتى ارجي منك طيف خيال

ومن بدايعه قوله

سامح لخاك اذا اتاك بزلة • فخلوص شيء قلما يتمكن
في كل شيء افة موجودة • ان السراج علي سناه يدخن

وانشد احد الادبا هذين البيتين متمثلا فاعجبا المعتصم وسال عن قايلهما فاخبر فتبسم وقال التعرفي من اشار لهذا المعني قال لا اعرف انه مليح فقال المعتصم كنت في الصبا و نوممني التب بسراج الدولة فقاتله الله ما اشعره ضلوا فلما باحوا في ذلك اقرنحن حدس المعتصم واكتنفته سعايات وكان ممن يغلب لسانه علي عقله ففر من المرية وحبس حكم زمانه اخوه بها فقال

الدهر لا ينفك من حدثانه • والمرء منقاد لحكم زمانه
وعلمت ان السعد ليس بمنجح • ما لا يكون السعد من اعوانه
والجد دون الجد ليس بنافع • والرمح لا يمضي بغير سنانه

وبلغت الابيات المعتصم فقال شعر اعقل منه صدق فانه لا ينتهي اله صلاح عيش الاباخيه و نوممنه بمنزلة السنان من الرمح ثم امر باطلاقه والحاقه به ولما قال في المعتصم

ياطالب المعروف دونك فاتركن • دار المرية وارفض ابن صمادح
رجل اذا اعطاك حبة خردل • القاك في فيد الاسير الطايح
لو قد مضي لك عمر نوح عنده • لا فرق بينك والبعيد النازح

اغتاظ عليه وانبعث ففر عن بلده ومن المنسوب اليه في النشاخ عندها مثل

خز عندها مثل ما خاتك منقفا • واشنج مواها بنسيان وسلوان
فالعيد كالروض في خلق وفي خلق • ان مر جانا الي من بعد حاني

وله

حيثما كنت ظاعنا او مقيما • دم رفيعا وعش منيعا سليما

وقال ابن دحية في المطرب ان من المجيدين في الجد والهزل • ورفيق النظم والجزل صاحبنا الوزير ابو بلال وقال لي انه كان وبرد شبابه قشيب • وغصن اعتداله رطيب • بقميص النسك متقمص • وبعلم الحديث متخصص • فاجتاز يوما وبيده مجلد من صحيح مسلم بقصر بعض الملوك الاكابر • ومن بعض مناظره ناظر ومجلسه بجواهر نديمايه حال • وصوت المثاني والمثالث عال • فقال اطلعوا لنا هذا الفقيه فلعلنا نضحك منه فلما مثل بين يديه وحيا • امر الساقي بمناولته كاس الحميا • فتقبض متانفا • وابدي معرا • وتعشقا والسلطان يستغرب ضحكا بما هجم عليه • وبيد الساقي ممدودة اليه • واتفق ان سقطت من ذاتها الزجاجة فظهر من السلطان التطير من ذلك فانشد الفقيه مرتجلا

ومجلس بالسرور مشتمل • لم يخل فيه الزجاج عن ارب

سري باعطائه نزنخه • فشق اثوابه من الطرب

فسر السلطان وسري عنه واستحسن من الفقيه ما بدا منه وامر له بجايزة سنية وخلعة رايقة وما احسن قول ابن البراق

يا سرحة الحي يا مطول • شرح الذي بيننا يطول
ولي ديون عليك حلت • لو انه ينفع الحلول

وقوله

انظر الي الوادي اذا ما غردت • اطياره شق النسيم ثيابه
انزاه اطربه الهديل وزاده • طربا وحتك ان خلعت جابه

وله في غلام علي فمه اثر المداد •

يا عجبا للمداد اضحي • علي فم ضمن الزلالا
كالقار اضحي علي الحميا • والليل قد لامس الهلالا

وكتب ابو محمد عبد الله في معذرة الي بعض اصحابه من الاسر في طليطلة

لو كنت جيت بجيبني • لاذاب قلبك ما اقول
يكفيك مني انني • لا استقل من الكبول
واذا اردت رسالة • لكم فما الي رسول
هذا وكم بتنا وفي • ايماننا كاس الشمول
والعود يخفق في الدخان • العنبري به تجول
حال الزمان ولم ازل • مذ كنت اعهده يحول

ولابي الحسن علي بن مهلهل الجليانى في ابي بكر بن سعيد صاحب اعمال غرناطة في دولة الملثمين •

لولا الشهود لما غراك تنهد • وعلي الحذود دا القلب منك يجدد
يا نا فذا قلبي بسهم جفونه • مالي علي سهم رميت به يد

وقال ابو زكريا يحيي بن مطروح في غلام كاتب اطل عذاره

يا حسنه كاتبا قد خط عارضه • في خده حاكيا ما خط بالقلم
لام العذول لعلمه حين ابصره • فقلت دعني فزين البرد بالعلم
وانظر الي عجب مما تلوم به • بدرا له هالة قدت من الظلم
قولوا عن البحر ما شيتم ولا عجب • من عنبر السحر او من در مبتسم

وله وقد عزل عن ما لقة والعز مرضيه ونزل المطر علي اثره وكان الناس في جدب

ورب والدنا عزله • فبعضنا هناه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده • والذي في اجفاننا الغمض
لو لم يكن من بخس شخصه • ما طهرت من بعده الارض

وكان الكاتب ابو بكر محمد بن نصر الاوسي مختصا بالوزير عبد المومن ابي جعفر بن عطية

فقال فيه

ابا جعفر نلت الذي نال جعفر • ولازلت بالعليا تسر وتجبر
عليك لنا فضل وبر وانعم • ونحن علينا كل مدح محبر

وحدث من حضر مجلس الوزير بن عطية وقد احس من عبد المومن التغير الذي افضى الى قتله وقد افتتح ابن نصر مطلع هذه القصيدة فتغير وجه ابي جعفر لان جعفر بن يحيى كان اخر امره الصلب فكان هذا عين الدعا والعجب انه قتل مثل جعفر بعد ذلك وهذا الشاعر هو القايل •

وما عن ذاك الهوى منبذك • وذا الغدر بالاخوان غير كريم
بغيرك اجري ذكر فضلك في الندى • كما قد جرى بالروض هب نسيم
وان كان عندي الجديد لذاذة • فلست بناس حرمة لقديم

ولابي عبد الله محمد بن علي اللوشي يخاطب صاحب المسهب

بي اليكم شوق شديد ولكن • ليس ينفي مع الجفاء اشتياق
ان يغيركم الفراق فودي • لو جزيتم يزيد فيه الفراق

وله

لو ان في قلبا كقلبك • كنت اهجر هجركا
يكفيك انك قد نسيت • ولست انسى ذكركا
ومن العجايب انني • افني واكتم سركا
كن كيفما تختارة • فالحب يبسط عذركا

وله

هل عندكم علم بما فعلت بنا • تلك الجفون الفاتكات بضعفها
نصحا لكم ان تامنوها انها • سحر النهى ما تبصرون بطرفها

ولابنه ابي محمد عبد المولى وكان ماجنا لما نعي اليه وهو على الشراب احد اصحابه مرتجلا

انما دنيا لنا كل وشراب وقحاب • ثم من بعد صراخ ووداع وتراب

وله

يا نديمي اشرب على • افق صفيل وحديقه
واسقني ثم اسقني • ثم اسقني خمرا وريقه
من غزال تطلع الشمس • بخديه انيقه
لا تفوت ساعة • من كاس خمر وعشيقه
واجتنب ما سخرت • جهلا به نفس الخليقه
رغبوا في باطل • وزبر هيد في الحقيقه

ليس

ليس الا ما تراه • انا ادرى بالطريقه

قال ابو عمران موسى بن سعيد قلنا له ما هذا الاعتقاد الفاسد الذي لا ينبغي لاحدان يصحبك به فقال هذا قول لا فعل وقد قال الله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ثم قال ابن سعيد ولولا ان حاكي الكفر ليس بكافر ما ذكرتها وهذا منزع من قال من المجوس •

خذ من الدنيا بحظ • قبل ان ترحل عنها
فهي دار لا ترى • من بعدها احسن منها

وهذا كفر صراح وقايله قد تقمص كفرا • اللهم غفرا • وطلب منه احد الارذال ان يكتب له شفاعة عند احد العمال فكتب معه رسالة فيها هذه الابيات

كتبته مولاي في طالع • ما طار فيه طاير اليمن
وفكرة حايلة والحشى • ينهب بالهم وبالحزن
كلفنيه ساقط اخرق • مشتهر بالتحن والعفن
اكذب خلق الله ارذالهم • اخونهم في الخوف والامن
بكفر ما يبدي اليه ولا • يعذر خلقا سيئ الظن
فان صنعنا الخير الفيته • شرا واضحى الجحد ذا عين
وان تقلد الناس عليك الكذ • يشتري له في اي ما فن
فافعل به ما هو اهل له • واسمعه تفسيرا ولا اكني
امنه واصفعه ولا تترك السبواب يكرمه لذي الاذن
واقطع لديه القول فاحرمه من • رد جواب انه يدني
وكلما استنبط رايا فسفهه • ودعه مسخ الجنن
فهو اذا اكرمته فاسد • وصالح بالهون والعفن
شفاعتي في مثله هذه • فلا اشقاه هاطل المزن

ودفع اليه الكتاب مختوما فسر به وحمله الى العامل وسافر اليه اياما فلما دفعه اليه قراه وضحك ودفعه الى من يشاركه في ذلك من اصحابه فوعده بخير واخرجه الى شغل لم يرضه فلما عاد منه قال له اخرجتني لارذل شغل ولحقه فما فايدة الشفاعة اذن فقال له وتريد ان افعل معك ما تقتضيه شفاعة صاحبك قال لا اقل من ذلك فامر من ياتيه بالابيات فقريت عليه فانصرف في اسوء حال فلما دخل غرناطة وكان عبد المولى تزوج فيها امراة اغتبط بها فنزى هذا الرجل بزي البادية وزور كتابا على لسان زوجته لعبد المولى في بلد تامزي وقال في الكتاب وقد بلغني انك تزوجت غيري واردت ان اكتب اليك في ان تطلقني فوصلني كتابك تعرفني فيه ان الزوجة الجديدة لم توافق اختيارك وانك ناظر

في طلاقها فزد في ذلك عما عزمت عليه فانظر في تعجيل ما وعدت به من طلاقها
فانك ان لم تفعل لم ابق معك ابدا فلما مر بدار عبد المولي رای جارية زوجته فقال
فقال لها انا رجل بدوي اتيت من عند فلانة زوجة ابي محمد عبد المولي فعندما
سمعت ذلك اعلمت ستها واخذت الكتاب فوقفت علي ما فيه عبر شاكة في صحته
فلما دخل عبد المولي وجدها علي خلاف ما فارقها عليه فسالها عن حالها فقالت
اريد الطلاق فقال لها ما سبب ذلك وانا ارغب الناس فيك فالقت اليه الكتاب
فلما وقف عليه حلف لها ان هذا ليس بصحيح وان عدوا له اختلقه عليه فلم
يفد ذلك عندها شيا ولم يطب له بعد ذلك معها عيش فطلقها وعلم ان
ذلك معها عيش فطلقها وعلم ان ذلك الرجل هو الذي فعل ذلك فقال
له لا جزاك الله خيرا ولا اصلح لك حالا فقال له وانت كذلك فهذي بتلك
والبادي اظلم فما كان ذنبي عندك حتى كتبت في حقي ما كتبت فقال له تلك
لا يقول ما ذنبي انت كلك ذنوب لست بالامام المتعلي طرا وانعلهم والخسهم
لسانا فهما نبغ برا عنده شخص تزدمنه بما تبغي هوانا فانصرف منه غالي اللسان
بلمنته وكان احد بني عبد المومن قد الزمه ان ينسخ له كتابا بموضع منفرد فخطر له
يوما جلد عيرة واتفق اذ مر السيد بذلك الموضع فنظر اليه في تلك الحالة
فقال له الخادم ما تصنع فقال الدولة جفت ولم اجد ما اسقيها به الا ما طهر
فضحك السيد وامر له بجارية فقال •

قل للمعيرة طلقت • بعد طول زواج
فدماي كان ضياعا • يمر في غير حاج
حتي حباني بحسناء • قابل المنهاج
فكان ناقل خمر • من حنتم لزجاج
كانت تمر ضياعا • فاصبحت كالسراج

حنتم بفتح الحا المهملة
جمع حنتمة وهي جرة
خضرا ترجمان الصحاح

وقال حاتم ابن سعيد

جنبوني عن المدامة الا • عند وقت الصباح او في الاصيل
واسقموها بكل وجه مليح • ودعوني من كل قال وقيل
واذا ما اردتم طيب عيش • فاحجبوني عن وجه كل ثقيل

وقال مالك بن محمد بن سعيد

اتاني زائر فبسطت خدي • له وبقيل بسط الخد عندي
فقلت له ايا مولاي الفا • فقال وانت الفا عبد عبدي
وعانقني وقبلني ونادي • بلطف منك كيف رايت وعدي

وقال في استهداء مقص

الاقل نعم في مطلب قد حكاه لا • ينصل اذ يبغي لوما لمومملا
نشق به صدر النهار وقد بدا • ظلاما باشال النجوم مكللا

وقال

سارت كبدر وليل الحذر يسترها • ولو بدا وجهها جاءتك بالفلق
ودونها من صليل اللامعات حمي • فالبرق والرعد دون الشمس في الافق

واجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافي الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن
الكتندي الشاعر وغيرهما من الفضلاء الروسا فاخذوا يوما في ان يخرجوا
للجد والحوز المومل وهما منتزهان من اشرف واطرف منتزهات غرناطة
ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع في ظاهر البلد وكان الرصافي قد اظهر
الزهد وترك الخلاعة فقالوا اما لنا غني عن ابي جعفر بن سعيد اكتبوا اليه
فصنعوا هذا الشعر وكتبوا اليه وجعلوا اخته اسماهم

بعثنا الي رب السماحة والمجد • ومن ما له في ملة الظرف من ند
ليسعدنا عند الصبيحة في غد • ليسعي الي الحوز المومل والجد
لتسرح منا النفس من شجوها بما • نوت في شجون هن شر من الحقد
ونطفر من بخل الزمان بساعة • الذ من العليا واشهي من الحمد
علي جدول ما بين الناصف دوحة • تهز القضيب فيه الوانا من الرند
ومن كان ذا شرب يخلي بشانه • ومن كان ذا زهد تركناه للزهد
وما ظرف يا بي الحديث علي الطلي • ولا ان يديل الهزل حينا من الجد
تهز معاني الشعر اغصان ظرفه • ويمرح في ثوب الصبابة والوجد
وما نقص العيش المهنا غيران • بما زجه تكليف ما ليس بالود
نظمنا من الخلان عقد فرائد • ولما نجد الا لك واسطة العقد
فماذا تراه لا عدمناك ساعة • فنحن بما تبديه في جنة الخلد
ورشدك مطلوب وامرك نحوه • ارتقاب وكل منك يهدي الي الرشد

فكان جوابه لهم

بيان
في العقد

لقوا القول منظوما او الدر في عقد • هو الزهر نفاح الصبا ام شذي الورد
اتاني وفكري في عقال من الاسي • فحل بنفث السحر ما حل من عقد
ومن قبل علي ابن مبعث وجهه • علمت جنا الورد من نفس الورد
وايقنت ان الدهر ليس براجع • لتقديره عصر اذو قوف علي حد
فكل فتي فيه اغلام فضله • ترادف موج البحر زادا الي زد
فكم طيبها من فاتك متمرد • بهزعا قد ضرت معطفا لعقد
فيا من بهم تزهي المعالي ومن هم • قيادة المعالي ما سوي قصدكم قصدي

فنعمًا وطوعًا للذي قد اشرتم • به لا اري عنه مدي الدهر من بد
فقوموا علي اسم الله نحو حديقة • مغلقة الاجياد موشية البرد
لها قينة تدعي الكمامة فاطلعوا • لها زهرًا اذكي نسيمًا من الند
وعندي ما يختار كل مؤمل • من الراح والمشوق والكند والنرد
فكل الي ما شاءه لست ثانيا • عنانا له ان المساعد ذو الود
ولست خليا من تانس قينة • اذا ما شدت ضل الخلي عن الرشد
لها وللذ من مخبرها لا اشرتيله • اوان غناء ثم ترميه يا لبعد
فيا ليتني قد كنت منها مكانه • تقبلني ما بين خصر الي نهد
ضمنت لمن قد قال اني زاهد • اذا حل عندي ان يحول عن الزهد
فان كان يرجو جنة الخلد اجلا • فعندي له في عاجل جنة الخلد

فركبوا الي جنته فلم يخش يوم علي ما اشتهوا وما زالوا بالرصافة في الحان شرب لما غلبه عليه الطرب فقال الكندي •

غلبنا لك عمار منه يا ابن غالب • براح وريحان وشدو وكاعب

فقال ابو جعفر

بدا زهره مثل الخضاب فلم يزل • به ناصلا حتي بدا وزكا ذب

فلما غربت الشمس قالوا اما ادينا اقصر من هذا اليوم وما ينبغي ان يترك بغير وصف فقال ابو جعفر انا له ثم قال بعد فكرة وهو من عجايبه التي تقدم بها المتقدمين والعجز المتاخرين •

لله يوم مسر • اضوا واقصر من ذباله
لما نصبنا للمني • فيه باوتار حباله
طار النهار به كمر • تاع فاجفلت الغزاله
فكاننا من بعد • بعنا الهداية بالضلاله

والنهار ذكر الحباري واليه اشار بقوله طار النهار والغزالة الشمس ولا لا يخفي حسن التورتين فيسلم له الجميع تسليم السامع المطيع وعلي ذكر الغزالة في هذا الموضع فلابي جعفر فيها وهو من بدايعه قوله

بدا ذنب السرحان ينبي باته • تقدم سبقا والغزالة تخلفه
ولم ترعيني مثله من متابع • لمن لا يزال الدهر يطلب خنقه

وقوله

استقي مثل ما ان العيني • شفق البس الصباح غلالة
وتامل لعسجد سال نهرا • كرعت فيه او تقضي غزالة

ومن نظم ابي جعفر قوله

لولم يكن

١٥٠

لولم يكن شدو الحمايم فاصلا • شدو القيان لما استخف الاغصنا
طرب تثني حتي الجماد تريحا • وافاض من دمع السحايب اعينا

وقوله

في الروض منك مشابه من اجلها • يهفو له طرفي وقلبي المغرم
الغصن قد والازاهر حلية • والورد خد والاقاحي مبسم

وقوله

الا حبذا نهر اذا ما لحظته • ابي ان يرد اللحظ عن حسنه الانس
تري القمرين الدهر قد عينا به • بمفضضه بدر وتذهبه شمس

وقوله وقد مر بنهر من قصور امير المومنين عبد المومن وقد رحل عنه

نهر الخليفة لا اخليت من كرم • وان خلوت من الاعداد والعدد
جزنا عليك فلم تنقص مهابته • والليل يخلو ويبقي هيبة الاسد

وقوله من ابيات

سرح لحاظك حيث شيت فانه • في كل موقع لحظة متامل

وقوله

ولقد قلت للذي قال حلوا • ها هنا بر فانا ما سامنا
لا تعين لنا مكانا ولكن • حيثما لت اللواحظ ملنا

وقال

الا انها ان المسرة قربها • وما الحزن الا في تولي حبابها
مدام يبكي الابريق عند فراقها • فا ضحك ثغر الكاس عند لقايها

وقال

عرج علي الجوز وخيم به • حيث لا ما في صنافيات الجناح
وابق له قبل ارتحال الندي • ولا ترم دون رشاد وراح
وكن مقيما منه حيث الصبا • تمتار مسكا من اريج البطاح
والغصن ما للبعض منها علي • بعض كما ينبي الغدو وارتياح
لم اخض كم عادبتة ثابتا • واستر قصتني الراح عند الرواح

وله

الا حبذا روض بكرنا له ضحي • وفي جنبات الروض للطل ادمع
وقد جليت بين الغصون نسيمة • تمزق ثوب الطل منها وترقع
ونحن اذا ما طلت الغصن ركعا • نظل لها من هزة السكر نركع

وكان ابن الصابوني في مجلس احد الفضلا باشبيلية فقدم فيما قدم خيار فجعل احد الادبا يقشرها بسكين فخطف ابن الصابوني السكين من يده فالح عليه في استرجاعها

فقال له ابن الصابوني كف عني والا جرحتك بها فقال له صاحب المنزل كنت عنده
لئلا يجرحك ويكون جرحك جبارا تعريضا بقول النبي صلى الله عليه وسلم جرح
العجماء جبار فاغتاظ ابن الصابوني وخرج من الاعتدال وخطا بلسانه وما كان الا بعد
الرغبة والتضرع ومن نظم ابن الصابوني

بعثت بمرآة اليك بديعة • فاطلع بها اي افقها قمر السعد
لتنظر فيها حسن وجهك منصفا • وتعذرني فيما اكن من الوجد
فارسل بها للخد لحظك برهة • لتجني منه ما جنيناه من الورد
مثالك فيها منك اقرب ملمسا • واكثر احسانا وابقى على العهد

وقوله في لابس احمر

اقبل في حلة موردة • كالبدر في حلة من الشفق
تحسبه كلما اراق دمي • يمسح في ثوبه ظبي الحدق

ورحل الى القاهرة والاسكندرية فلم يلتفت اليه ولا عول عليه وكان شديد
الانحراف فانقلب على عقبه بعض يديه • على ما جرى عليه • فمات عند ايابه الى
الاسكندرية كمدا ولم يعرف له بالديار المغربية مقدار • وحضر يوما بين يدي
المعتضد الباجي ملك اشبيلية وقد نثرت امامه جملة من دنانير سكية باسمه

فانشد

قد فخر الدينار والدرهم • لما علا من لكم ميسم
كلاهما يفصح عن مجدكم • وكل جزء منه فرد فم

ومر فيها الى ان قال في وصف الدنانير

كانها الانجم والبدر قد • حقق عندي انها الانجم

فاشار السلطان الى وزيره فاعطاه منها جملة وقال له بذلك هذا البيت لئلا
يبقى ذنبا وكان يلقب بالحمار ولذا قال فيه ابن عتبة الطبيب

يا عير حمص عيرتك الحمير • با كلك البر مكان الشعير

ومنهم ابو بكر محمد بن الفقيه ابي العباس احمد بن الصابوني شاعر اشبيلية الشهير
الذكر والذي اظهره مامون بني عبد المومن وله فيه قصايد عدة منها قوله في المطلع

استوليا فاعلى غايا تقا • بحج الامور بين في بدايتها

ولد الموشحات المشهورة رحمه الله تعالى ومن حكايات الصبيان ابن ابي الخصال
وهو من شقورة اجتاز بابه وهو صبي صغير يطلب الادب فاضافه الفقيه القاضي ابن
مالك ثم خرج معه الى حديقة معروشة فقطف لهم منها عنقودا اسود فقال القاضي
انظر اليه في العصي فقال ابن ابي الخصال • كراس زنجي عصي • فعلم انه سيكون له شان
في البيان وحدث ابو عبد الله بن زرقون ان ابا بكر بن المنخل وابا بكر الملاح الشلبيين

كانا متواخيين

كانا متواخيين متصافيين وكان لهما ابنان صغيران قد برعا في الطلب وحازا قصب
السبق في حلبة الادب فتهاجى الابنان باقذع هجاء فركب ابن المنخل في سحر من الاسحار
مع ابنه عبد الله فحمل يعتبه على هجاء بني الملاح ويقول له قد قطعت ما بيني وبين
صديقي وصفيي ابي بكر فيا قذاعك بابنه فقال له ابنه انه بدا في والبادي اظلم
وانما تجبان يلحي بالشر تقدم فعذره ابوه فبينما هما على ذلك اذا اقبلا على واد
تنق فيه ضفادع فقال ابو بكر لابنه اجز تنق ضفادع الوادي فقال الابن بصوت غير
معتاد فقال الشيخ كان نعيق مقولها فقال ابنه بنو الملاح في النادي فلما احست
الضفادع بهما صمتت فقال ابو بكر وتصمت مثل صمتهم فقال الابن اذا اجتمعوا على
زادي فقال الشيخ فلا غوث لملهوف • فقال الشيخ فلا غوث لملهوف فقال الابن
ولا غيث لمرتاد • ولا خفا ان هذه الاجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة
فكيف ممن هو في سن الصبي ومن حكايات النصارى واليهود من اهل الاندلس اعادها
الله تعالى الى الاسلام عن قريب ما حكي ان ابن المرغري النصراني الاشبيلي اهدى كلبة
صيد للمعتمد بن عباد وفيها يقول •

لم ارسلي لذي اقتناص • ويكسبا مقتنع الحريص
كل خطار ذات جيد • اتلع صنعة المقتنص
كالقوس في شكلها ولكن • تنفذ كالسهم للقنيص
اذا تخذت انفها دليلا • دل على الكامن العويص
لو انها تستثير برقا • لم يجد البرق من محيص

ومنها في المدح

يشفع تنويله بود • شفع القياسات بالنصوص

وقال

الله اكبر انت بدر طالع • والنقع دجن والكماة نجوم
والجود افلاك وانت مديرها • وعدوك الغاوي وهن رجوم

وقال

نزلت في آل مكحول وضيفهم • كنازل بين سمع الارض والبصر
لا تستضي بضوء في بيوتهم • ما لم يكن لك تطفيل على القمر

وسببهما انه نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجا • وقال يشيم الاسرائيلي

يا ليتني كنت طيرا • اطير حتى اراكا
بمن تبدلت غيري • ام لم تحل عن هواكا

ومنهم شاعر وشاح من اهل اشبيلية وذكره الحجاري في المسهب وقال ابن ابراهيم
ابن سهل الاسرائيلي في استغراق حالا •

كان محياك لما بهجة • حتى اذا جاك ما جي الجمال
اصبحت كالشمعة للخبا • بينما الضيا اسود فيها الذبال

وهو شاعر اشبيلية ووشاحها • وقرا على ابي علي الشلوبين وابن الدباج وغيرهما
وقال الغرناطي في حقه وكان يتظاهر بالاسلام ما صورته كان يتظاهر بالاسلام ولا
يخلو مع ذلك من قدح واتهام انتهى وسيل بعض المغاربة عن السبب في رقة نظم
ابن سهل فقال لانه اجتمع فيه ذلان ذل العشق وذل اليهودية ولما غرق قال فيه بعض
الاكابر عاد الدر الى وطنه • ومن نظم ابن سهل المذكور قوله

والى تشكي منه جمر مؤجج • تراه على خديه يندي ويبرد
يسايلني عن ديني موادعا • وشمل اعتقادي في هواه مبدد
فؤادي حنيفي ولكن مقلتي • مجوسية من خده النار تعبد

ومنه قوله

هذا ابو بكر يجود بنفسه • حبش العنبر مطرز الرايات
المدى ربيع عذاره لقلوبنا • حر المصيف فتتها النجات
خد جرى ماء النعيم بجمره • فانعود بجري الماء في الجمرات

وذكر الحافظ ابو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري في رحلته الكبيرة المقدار
والجرم المسماة بملا العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين
مكة وطيبة • خلافا في اسلام ابن سهل باطنا • وكتب على هامش هذا الكلام الخطيب
العلامة سيدي ابو عبد الله ابن مرزوق ما نصه صح لنا ممن ادركناه من اشياخنا
انه مات على دين الاسلام انتهى ورايت في بعض كتب الادب بالمغرب انه اجتمع جماعة مع ابن
سهل في مجلس انس فسالوه لما اخذت منه الراح عن اسلامه هل هو في الظاهر والباطن
ام لا فاجابهم بقوله للناس ما ظهر ولله ما استتر انتهى واستدل بعضهم على صحة
اسلامه

بقوله

تسليت عن موسى بحب محمد • هديت ولولا الله ما كنت مهتدي
وما عن قلى قد كان ذاك وانما • شريعة موسى عطلت بمحمد

وله ديوان كبير مشهور بالمغرب حاز به قصب السبق في النظم والتوشيح وما احسن

قوله من قصيدة

تامل لظى شوقي وموسى يشبها • تجد خير نار عندها خير موقد

وانشد بعضهم له من قصيدة

لقد كنت ارجو ان تكون مواصلي • فاسقيتني بالبعد فاتحة الرعد
فبالله برد ما بقلبي من الجوى • بفاتحة الاعراف من ريقك الشهد

وقال الراعي رحمه الله سمعت شيخنا ابا الحسن الاندلسي رحمه الله تعالى

علي بن حم

اول سورة الرعد المر
اول سورة الاعراف المص

يقول

يقول شيان لا تصحان اسلام ابراهيم بن سهل وتوبة الزمخشري من الاعتزال ثم
قال الراعي قلت وهما في مرويا لي اما اسلام ابراهيم بن سهل فيغلب على ظني
صحته لعلي بروايته • واما الثاني وهو توبة الزمخشري فقد ذكر بعضهم انه راى
رسما بالبلاد المشرقية محكوما فيه يتضمن توبة الزمخشري من الاعتزال فتوى جابت
الرواية انتهى باختصار وقال الراعي ايضا ما نصه وقد نكت الاديب البارع ابراهيم
ابن سهل الاسرائيلي الاندلسي على الشيخ ابي القاسم في تغزله حيث قال

اموسى ابا بعضي وكلي حقيقة • وليس مجازا قولي الكل والبعضا
خفضت مكاني اذ جزمت وسائلي • فكيف جمعت الجزم عندي والخفضا

وفي هذا دليل على ان يهود الاندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية فان ابراهيم
قال هذين البيتين قبل اسلامه والله اعلم وقد روينا انه مات مسلما غريقا
في البحر فان كان حقا فالله تعالى رزقه الاسلام في اخر عمره والشهادة انتهى ومن نظم
ابن سهل في التوجيه باصطلاح النحاة قوله

دقتعوا املي واحسب رتبتي • بنيت على خفض فلم تتغيرا

ومنها

تناى وتدنوا والتقاتك واحد • كالفعل يعمل ظاهرا ومقدرا

وقوله

اذا كان نصر الله وقفا عليكم • فانا لعدي التنوين تحذف الو[ف]

وقوله

ليتني نلت منه وصلا • واجلت ذاك الوجد عن هيام المنو[ن]
وقرانا باب المضاف عنا قا • وحذفنا الرقيب كالتنوين

وقوله

بنات بنا الحرف خامر طبعه • فصيرت لنا ثيرا العوامل جارما

وقوله

لئن لم تشا ان تذكر سواك به • يوما فكالرابع المعهود في البد[ل]
يعني الغلط

وقوله

اذا الياس ناجى النفس منك بلن ولا • اجابت ظنوني ربما وعسى لي

وقوله

وقلت عساه ان اتى يرق لي • وقد نسخت لا عندي ما ادعت عسى

وقوله

ينفي لي الخال ولكنه • يدخل لا في كل مستقبل

وقوله

في غلام شاعر

كيف خلاص القلب من شاعر • رقت معانيه عن المنتقد
يصغر نثر الدر عن نثره • ونظمه جل عن العقد
وشعره الطايل في حسنه • طال على النابغة الجعدي

وحدث ابو حيان عن قاضي القضاة ابي بكر محمد بن ابي نصر الفتح بن علي الانصاري الاشبيلي بغرناطة ان ابراهيم بن سهل الشاعر كان يهوديا ثم اسلم ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة طويلة بارعة قال ابو حيان وقفت عليها وهي من ابدع ما نظم في معناها وكان سن ابن سهل حين غرق نحو الاربعين سنة وذلك سنة ٦٤٩ وقيل انه جاوز الاربعين وكان يقرا مع المسلمين ويخالطهم

ومما احسن قوله

مضى الوصل الا منية تبعث الاسى • اداري بها همي اذا الليل عسعسا
اتاني حديث الوصل زورا على النوى • اعد ذلك الزور اللذيذ المونسا
ويا ايها الشوق الذي جاء زايرا • اصبت الاماني خذ قلوبا وانفسا
كساني موسى من سقام جفونه • رداء وسقاني من الحب اكوسا

ومن اشهر موشحاته

قوله

ليل الهوى يقظان • والحب ترب السهر
والصبر لي خوان • والنوم عن عيني بري

وقد عارضه غير واحد فاستفوا له غبارا واما ابراهيم ابن الفخار اليهودي فكان قد تمكن عند الاذفونش ملك طليطلة النصراني وصير سفيرا بينه وبين ملوك العرب وكان عارفا بالمنطق والشعر قال ابن سعيد انشدني لنفسه يخاطب اديبا مسلما كان يعرفه قبل ان تعلو رتبته ويستغني بالملوك ولم يزده على ما كان يعامله به من الادلال فضاق ذرع ابن الفخار وكتب اليه

ايا عاجلا امرين شتين ما له • من العقل احساس به يتفقد
جعلت الغني والفقر والذل والعلى • سوا فما تنفك تشقى وتجهد
وهل يستوي في الارض نجد وتلعة • فتطلب تسهيلا وسيرك مصعد
وما كنت ذا ميز لمن كنت طالبا • بما كنت في حال الفراغ تعود
وقد حال ما بيني وبينك شاغل • فلا تطلبني بالذي كنت تعهد
فان كنت تابى غير اقدام جاهل • فانك لا تنفك تلحى وتطرد
الا فات في ابواب كل مملك • ولا تك محلا حيث ما قت تقعد

قال ابن سعيد وانشدني لنفسه

ولما دجا ليل العذار بخده • تيقنت ان الليل اخفى واستر
واضحى غدا لي يقولون صاحب • فاخلو به جهرا ولا استتر

وقال يمدح

وقال يمدح الاذفونش لعنهما الله •

حضرة الاذفونش لا برحت • غادة ايامها عرس
فاخلع النعلين تكرمة • في ثراها انها قدس

قال وانطلوني الى بستان الخليفة المنتصر فوجدته في غاية الحسن كانه الجنة ورايت على بابه بوابا في غاية القبح فلما سالني الوزير عن حاله فرحتي قلت رايت الجنة ورايت على بابه بوابا في غاية القبح فلما سالني الوزير عن الا اني سمعت ان الجنة يكون على بابها رضوانا وهذا على بابها مالك فضحك واخبر الخليفة بما جرى فقال قل له انا قصدنا ذلك فلو كان رضوان عليها بوابا لخشينا ان يرده عنها ويقول له ليس هنا موضعك ولما كان مالك ادخله فيها وهو لا يدري ما وراه ويخيل انها جهنم قال فلما اعلمني الوزير بذلك قلت له الله اعلم حيث يجعل رسالاته وكان في زماننا الياس بن المدور اليهودي الطبيب الرندي طبيبا اخر كان يجري بينهما من المحاسدة ما يجري بين مشتركين في صنعة فاصلح الناس بينهما مرارا وظهر لالياس من ذلك الرجل الطبيب ما ينفر الناس منه فكتب اليه •

لا تخدعن فما تكون مودة • ما بين مشتركين امرا واحدا
انظر الى القمرين حين تشاركا • بسناهما كانا لتلاق واحدا

يعني انهما معا لما اشتركا في الضيا وجب التحاسد بينهما والتفرقة هذا يطلع ليلا وهذه تطلع نهارا واعتراضهما يوجب الكسوف وكتب ايوب ابن سليمان المرواني الى ابي بسام بن شمعونا اليهودي الوشقي في يوم مطير لما كنت وصل الله اخاك وحفظك مطمح انفسي ومنتزع اختياري من ابناء جنسي على جوانبك امتلوا ارتع في رياض خلقك الجميل هزتني خواطر الطرب والارتياح في هذا اليوم المطير الداعي بكاوه الى ابتسام الاقداح واستنطاق البم والزير • فلم ار معينا على ذلك • ومبلغا الى ما هنالك • الا حسن نظرك وتحسنك من المكارم • ما جرت به عادتك وهذا يوم حرم الطرف فيه الحركة وجعل في تركها الخير والبركة فهل توصل مكرمتك اخاك الى التخلي معك في زاوية متكيا على دن مستندا الى خابية • ونحن خلال ذلك نتجاذب اهداب الحديث الذي لم يبق من اللذات الا هو ونخيل الالحاظ فيما تعودت عندك من المحاسن والاسماع في اصناف الملاهي وانت على ذلك قدير • وكرمك بتكلفه جدير • ولا يعين المرء يوما على نظم احسن الا كريم الطباع • وها انا والتسمع مني الى الباب وذو الشوق حليف الاسماع • فان اني داع بنيل المنى ودع استجابتي ونعم الوداع ومذ المرواني من ذرية عبد العزيز اخي عبد

لعله السماع

الملك بن مروان ونحوه من اهل المائة السادسة وكانت بالاندلس شاعرة من اليهود
يقال لها قسمونة بنت اسماعيل اليهودي وكان ابوها شاعرا واعتني بتاديبها
وربما صنع من الموشحة قسما فاتممتها بقسم اخر قال لها ابوها يوما اجيزي

لي صاحب ذو بهجة قد قابلت • منعا بظلم واستحلت جرمها

فتفكرت غير كثير وقالت •

كالشمس منها البدر يقبس نوره • ابدا ويكسف بعد ذلك جرمها

فقام كالمختبل وضمها اليه وجعل يقبل راسها ويقول انت والعشر كلمات اشعر
مني ونظرت في المرات فرات جمالها وقد بلغت وان التزويج ولم تتزوج فقالت

ارى روضة قد حان منها قطافها • ولست ارى جان يمد لها يدا
فوا اسفي يمضي الشباب مضيعا • ويبقى الذي ما ان اسميه مفردا

فسمعها ابوها فنظر في تزويجها وقالت في ظبية عندها

يا ظبية ترعى بروض دائما • اني حكيتك في التوحش والحور
امسي كلانا مفردا عن صاحب • فلنصطبر ابدا على حكم القدر

وانشدني ابو عبد الله محمد بن رشيق التغلبي لمرا الغرناطي لبعض اصحابه الى امر يقول له

سيدي عندي انشرح • ونارنج وراح
وجني اس وزهر • وحمام لا يباح
ليس للا مضطرب • يبلي الندامى الملاح
ومكان لا اهتنا لك • قد ناى عنه الفلاح
لا يرى يطلع فيه • دون اكواس صباح
فيه فتيان لهم • في لذة العيش جماح
طرحوا الدنيا ياما • فاستراحت واستراحوا
لا لقوم اوجعتهم • لهم فيها نباح

ولـه

قال العذول الى كم • تدعو لمن لا يجيب
فقلت ليس عجيبا • ان لا يجيب حبيب
هون عليك فاني • من حبه لا اتوب

قال ابو عمران بن سعيد دخلت عليه وهو مستحوذ بدار الاشراف باشبيلية
وقد بقي عليه مال السلطان اثني عشر الف دينار قد افسدها في لذات
نفسه فلما لحيني اقبل يضحك ويشتغل بالنادر والحكايات الظريفة فقلت
له قالوا انك افسدت للسلطان اثني عشر الف دينار وما احسبك الا زدت
على هذا العدد لما اراك فيه من المسرة والاستبشار فزاد ضحكا وقال يا ابا

عمران انراني اذا الزمت الهم والفكر يرجع على ذلك العدد الذي افسدت ثم فكر ساعة وانشدني

لئن عندي من الهموم حديث • كلما ساءني الزمان سررت
انراني اكون للدهر عونا • فاذا مسني بضر ضجرت
غمرة ثم تنجلي فكاين • عندا قلاع بهمها ما ضررت

وقال النحوي اللغوي ابو عيسى لب بن عبد الوارث التغلبي

بدا الفنا لتعريف في طرس خده • فيا هل تراه بعد ذاك يبكر
وقد كان كافورا فهل انا تارك • له عند ما حياه مسك وعنبر
وما خير روض لا يرف نباته • وهل فتن الا نوابه الا المشهر

وقال لي ابي

لي ان اقول الشعر الى • احاول ان يفوق السحر شعري
وان يصغي اليه كل سمع • ويعلق ذكره في كل فرع

قال الحجاري اخبرني انه احب احد اولاد الاعيان ممن كان يقرا عليه فلما خلا به شكا
اليه ما يجد فقال له الصبيان يبطنون بنا فاذا اردت ان تقول شيا فاكتبه لي
في ورقة فلما سمعت ذلك تمكن الطمع مني فيه وكتبت له •

يا من به حسن يفوق به الورى • هل هائما قد ضل فيك محيرا
وامنن عليه بقبلة او غيرها • ان كنت تطمع في الهوى ان توجرا

وكتبت بعدها من الكلام ما رايته فلما حصلت الورقة عنده كتب لي في غيرها
انا من بيت عادة اهله ان يكونوا اسم فاعل لا اسم مفعول وانما اردت ان يحصل
عندي خطك شاهدا على ما قابلتني به لئلا اشكوك الى ابي فيقول لي حاش لله
ان يقع الفقيه في هذا وانما انت خبيث رايته يطالبك بالتزام الحفظ فاختلقت
عليه لاخرجك من عنده فابقي معذبا معك ومعه وانا اوقفته على خطك
صدقني واسترحت ولكن لا افعل هذا الا اذا لم تتب على عيني وانا تنبهت فلا اخبر
احدا قال ابن عبد الوارث فلما وقفت على خطه علمت قدر ما وقعت فيه وجعلت
ارغب اليه في ان يرد الرقعة الي فابى وقال هي عندي رهن علي وقايك بان لا تترجم
تتكلم في ذلك الشان قال فكان والله يبطل القراة ولا اجسر اكلمه لاني رايت
صبيا بني وناموسي قد حصل في يده وتبت من ذلك الحين عن هذا وامثاله وقال
جابر بن خلف النخعي وكان في خدمة عبد الملك بن سعيد وقرامع ابي جعفر بن خلف
النخعي وكان في خدمة عبد الملك بن سعيد وقرامع ابي جعفر بن سعيد وهذب
معه يخاطبه حين عاثت الذئاب في غنمه •

ايا قايدا قد سما في العلى • وساد علينا بذات وجد
غدا الذئب في غنمي عايثا • وقد جيت مستعديا بالاسد

واكثر عليه الدين فكتب اليه اخضا •

اني ايا ملك العنبر • اموت كدا من المضر

واحنط في دجي هجي • ووجهك طلعة الفجر

فضحك واذى دينه ولما خلع اهل المرية طاعة عبد المومن وقتلوا نايبه ابن مخلوف قدموا عليهم ابا يحيي بن الرميمي بن كان عليه من المصادرة ما علم ففر الى مدينة فاس وبقي بها خاملا يسكن في غرفة ويعيش من النسخ فقال

امسيت بعد الملك في غرفة • ضيقة الساحة والمدخل

تستوحش الارزاق من وجهها • فما ترال الدهر في معزل

النسخ بالقوت لديها وما • تقرعها كف اخ مفضل

وانشدها لبعض الادبا فبينما هو ليلة ينسخ بضوء السراج واذا بالباب يقرع ففتحه فاذا اشخص متنكر لا يعرفه وقد مد يده اليه بصرة فيها جملة دنانير وقال خذها وحسن بها حالك وقال له بعض هذا سعرك ايام خلعك فهل قلت ايام امرك قال نعم لما قتل اهل المرية ابن مخلوف عامل عبد المومن واكرهوني ان اتولى امرهم

قلت

اري فتنة تكشف عن لظاها • دما دبا النفاق له انصداع

والهبا النظام الى انتشار • وسادها الاسافل والرعاع

ساحمل كلما جشمت منها • ليصدر فيه للهول انتباع

واصل بني الرميمي من بني امية ملوك الاندلس ونسبوا الى رميمة قرية من اعمال قرطبة وقال ابو بحر يوسف بن عبد الصمد

فوصلت اقطارا لغير احبة • ومدحت اقواما بغير صلات

امو الاشعار ابني ثمن فتكاثر • فجعلت مدحي للبخيل زكاتي

وهذا من غريب المعاني وفي بني عبد الصمد يقول بعض اهل عصرهم لما راي من كثرة عددهم والتباسهم بالسلطان

ملات قلبي هموما مثل ما • ملا الدنيا بنو عبد الصمد

كان الشيخ ابوهم ادما • فغدا اكثر نسل وولد

كلهم ذيب اذا امنته • والرعايا بينهم مثل النقد

وكان الوزير الكاتب ابو جعفر احمد بن عباس وزير زهير الصقلبي ملك المرية من ابن الناس في وقته في اربعة اشيا المال والبخل والعجب والكتابة قال ابن حيان وكان قبل محنته صير هجيراه اوقات لعب الشطرنج او ما يسنح له هذا البيت

عيون الحوادث عني نيام • ونمضي على الدهر نهي حرام

وذاع هذا البيت في الناس حتى قلب له مصراعه الاخير بعض الادبا فقال

سيوقطها

سيوقطها قدر لا ينام • وكان حسن الكتابة مليح الخط جميل الخطاب عزيز الادب قوي المعرفة مشاركا في الفقه حاضر الجواب جماعا للدفاتر حتى بلغنا ربما بتراالف مجلد واما الدفاتر المحزومة فلم يوقف على عددها لكثرتها وبلغ ماله خمسمائة الف مثقال جعفرية سوى ذلك وكان مقتله بيد باديس بن حبوس ملك غرناطة وكفى دليلا على اعجابه قوله

لي نفس لا ترتضي الدهر عمرا • وجميع الانام طرا عبيدا

لو ترقت فوق السماك محلا • لم تزل تبتغي هناك صعودا

انا من تعلمون شيدت مجدا • في مكا فيما بين قومي قديما

وكان بينهم بدا ابي جعفر فيما ينتقل حتى كتب بعض الادبا على برج بالمرية

خلوت بالبرج فماذا الذي • تصنع فيه يا سخينا لزمان

فلما نظرا ليه امران يكتب •

اصنع فيه كلما اشتهي • فحاسدي خارجه في هوان

وكان الاعمى التطيلي شاعرا مشهورا وكان الصبيان يقولون له تحتاج كحلا يا استاذ فكان ذلك سببا انتقاله من مرسية وقيل له يا ابا بكر كم تقع في الناس فقال انا اعمى وهم لا يبرحون حفرا فاعذرني في وقوعي فيهم فقال له السائل والله لا كنت قط بحضرة لك وجعل يواليه بر ورفد ومن شعره

وجوه تعز على معشر • ولكن تهون على الشاعر

قرونهم مثل ليل المحب • وليل المحب بلا اخر

وله

رحيكم بالفسوق دار • مدلي من الحرص كالحمار

يخلو بخل الوزير سرا • فيوح لليل في النهار

ومن شعر ابي جعفر احمد بن الخيال الاستجي كاتب ابن الاحمر فيمن استعمه فضل الله

من الناس من يولي بنقد ومنهم • بكي ومنهم من ينال اذا انتشا

ومنهم فتي يولي على كل حالة • وذلك فضل الله يوتيه من يشا

ولعبد الملك بن سعيد الخازن •

ما جد نا لاذ وقفنا ببابك • للذي كان من طويل حجابك

قد ذممنا الزمان فيك فقلنا • ابعد الله كل دهر اتا بك

وقال في المسهب كنت بمجلس القاضي بن حمدين وقد انشد شعر قرطبة وغيرها في الجملة هلال شاعر غرناطة ومحمد بن الاستجي شاعر استجة الملقب برحكون فقام الاستجي وانشد قصيدة منها •

انا العبد لكن بالمودة اشتري • اذا كان غيري يشتري بالدراهم

فشكر ابن حمدين وبنه على مكان الاحسان فحسن هلال البيابي على ذلك فلما فرغ
من القصيدة قال له هلال اعد البيت الذي فيه رقص الحمايم فاعاده فقال لو ازلت
النقطة عن الحا كنت تصدق فقال له في الحين ولو ازلت انت النقطة عن العين
كنت تحس وكانت على عين هلال نقطة فكان ذلك من الاتفاق العجيب والجواب
الغريب وعمل فيه ولما قال المقدم بن معافى في رثا سعيد بن جودي

من ذا الذي يطعم او يكسو • وقد غدا حلفا لندي الرمس
لا احضرت الاثل ولا • اورقا العود ولا اشرقت الشمس
بعد ابن جودي الذي لن نري • اكرم منه الجن والانس

فقيل له اترثيه وقد ضربك فقال والله انه نفعني حتى بذنوبه ولقد نهاني
ذلك الادب عن مضاحجة كنت اقع فيها على راسي فلا ارعي له ذلك والله ما ضربني
الا وانا ظالم له افلا ابكي على ظالمي له بعد موته وقيل له لم لا تهجو من بن سعيد
فقال لا اهجو من لو هجا النجوم ما اهتدي احد بها وقال ابو مروان عبد
الملك بن نظيف

•

ما اشرب الراح الا • مع كل حر تقي كريم
ولست اعشق الا • ساجي الجفون رخيم

ومدح هلال البيابي ابن حمدين بقصيدة اولها

عرج على ذاك الجناب العالي • واحكم على الاموال بالامال
فيد ابن حمدون الذي لنواله • من كل ارض شد كل رحال

فقال له القاضي ما هذا الوثوب على المدح من اول وهلة الا تدري انهم عابوا
ذلك كما عابوا الطول ايضا وان الاولى التوسط فقال يا سيدي اعذرني بما
لك في قلبي من الاجلال والمحبة فاني كلما ابتدات في مدحك لم يتركني غرامي في اسمك
الى ان اذكر غزلا ولا بيت فاستحسن ذلك واحسن اليه ومن هذه القصيدة

قاض نوال يديه ونواله • فله جميع العالمين موال

وكان يهودي وسيما من منتادبي قرطبة فصنع فيه شعرا انشد منه

وكلت عيني برعي النجم في الظلم • وعبرتي قد غدت ممزوجة بدم

فقال له العلامات لا تبرح بكوكب من عينك ليلا ولا نهارا وعاشقا وغير عاشق
فخجل هلال وكان على عينه نقطة **وحكي** ابن حيان ان الامير عبد الرحمن عثرت به
دابته وهو سائر في بعض اشغاله وتطاطات فكاد يكبو لفيه فلحقه جزع
وتمثل انه بقول الشاعر

•

وما لا ترى مما يلاقي الكم اكثر • وطلب صدر البيت فعزب عنه
وامر بالسؤال عنه فلم يوجد من يحفظه الا الكاتب محمد بن سعيد الزجالي وكان

يلتفت

لا احضرت الاولى الاثل ولا اورقت الاخرى الشمس

يلتفت بالاصمعي لذكايه وحفظه فانشد الامير • ترى الشي مما تتقي فتهابه
فاعجب الامير واستحسن شكله فقال له الزم التراد ق واعقب ابنا يسمي
حامدا وحضر مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الاسكندراني في مجلس فيه
روسا فعرض عليهم فرس مطهم فتمثل فيه عبد الواحد بقول امري القيس

يريد السري بالليل من خيل بربرا • ففهم الزجالي انه عرض بانه من البربر
فلم يحتمل ذلك واراد الجواب فقال مدبجا لما اراده ومعرضا الحق عندي
من ليل يسري فيه على مثل هذا يوم على الحال التي قال فيها القايل

ويوم كظل الرمح قصر طوله • دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وانما عرض للاسكندراني بانه كان يشهد مجالس الراحات في اول امره
ومعرفته الغنا فقلق الوزير • وشكاه الى الحاجب عيسي بن شهيد فاجتمع
مع الزجالي واخذ معه في ذلك فحكي له الزجالي ما جرى من الاول الى الاخر

وانشد

وما الحر الا من يدين بمثل ما • يدان وما يخفي القبيح ويصف
هم شرعوا التعريض قدما فعندما • تبعناهم لاموا علينا وعنفوا

ومن نوادر ابنه حامد انه غلط امامه في قوله تعالى الزانية والزاني بانكاك
فانكحوهما فانشد حامد •

ايا ذا القاري منتي • لم يكن في التعليق
امر الناس جميعا • بنكاح الزانيين

وقال لبعض اصحابه حينئذ اما سمعت ما اتى به امامنا من تبديل الحدود
وتضاحكا وكتب الوزير ابو عبد الله بن عبد العزيز الى المنصور صاحب بلنسية
ويعرف بالمنصور الصغير قطعة اولها •

يا احسن الناس ادابا واخلاقا • واكرم الناس اغصانا واوراقا
ويا حيا الارض لم نكبت عن سنني • وسقت تحوي بلاد الله اشراقا
من اي باب سعت غير الزمان الي • رحب صدرك حتى قيل قد ضاقا
قد كنت احسبني في حرز رايك لي • اني اخذت على الايام ميثاقا
فالان لم يبق لي بعد انحرافك ما • اسي عليه وابدي منه اشفاقا

فاجابه بهذه القطعة

مازلت اوليك اخلاصا واشفاقا • وانثني عنك مهما غبت مشتاقا
وكان من املي ان اقتنيك اخا • فاخفق الامل المامول اخفاقا
فقلت غرس من الاخوان اكلاه • حتى اري منه اثمارا وابراقا
فكان لما زكي ازهاره وذكا • اثماره حنظلا مرا لكن ذاقا

فلستا والاخوان سفينتهم • صفوي واغلقتهم بالقلب اغلاقا
فاجزوني باحساني ولا عرفوا • قدري ولا حافظوا عهدا وميثاقا

والوزير المذكور قال في حقه في المطمح انه وزير المنصور بن عبد العزيز ورب السبق في وده والتبريز ومنتقض الامور ومبرمها • ومخمد الفتن ومضرمها اعتمد بالرعي واستقل بالامر والنهي • على انتقاض بين الاكفاء • واعتراض المحو لرسومه والاعفا • فاستمر غير مراقب • وامورها شاعر ممتثل للعواقب يستقضي عزايمه تنتضي • فانا لمت من الايام مظلمة اضاء الى ان اردي • وغار منه الكوكب الاهدي • فانتقل الامر الى ابنه ابي بكر • فناهيك من اي عرف ونكر فدار في على الرهاء • وماضيا الى الطيبة ولا الى المهاه • واستقل بالهول بتحمله • والامر بيديه وبلجه • فاي نداء افاض • واي اجنحة بمدى هاض فانقادت اليه الامال بغير خطام • ووردت من نداه بحر طام • ولم تزل بالدولة قايما وموقظا من نهجها ما كان نايما الى ان صار الامر الى المامون ابن ذي النون • اسد الحروب • ومسد الثغور والدروب • فاعتمد عليه واتكل ووكل الامر اليه عن وكل • فتعدى الوزارة الى الرياسة • ولا تردى بغير التدبير والسياسة • فتركه مستبدا • ولم يجد من ذلك بدا • وكان ابو بكر هذا ذا رفعة غير متضايلة • وداء لم تكن افله • ادرك لها ما احب وقطع غارب كل منافس وجب • الى ان طلحه العمر وانضاه • واغمد الذي انتضاه فخلا الامر الى بنيه فتبلدا في التدبير • ولم يفرقا بين القبيل والدبير فغلب عليهما القادر ابن ذي النون وجليا لما كل جليب ما خلا الموت فاجلوا بعد ما اغتراما عندهم وتخلوا • وكان لابي عبد الله نظم مستبدع • يوضع بين الجوانح ويودع انتهى المقصود من الترجمة وكان للوزير ابي الفرج بن مكبود فداعياه عارج • ونهيا للفساد مزاجر • فدل على جر قدمه فلم يعلم بها الا عند حكم وكان وسيما وللحسن قسيما • فكتب اليه •

ارسل لها مثل ودك • ارق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح • بها جوى ابني وعبدك

وكتب رحمه الله تعالى معتذرا • عما جناه منذرا

ما تغيبت عنك الا لعذر • ودليلي في ذاك حرصي عليكا
مثل ان الفرار من عظم ذنب • اتراه يكون الا اليكا

وقال في المطمح في حق ابي الفرج من ثنية رياسه • وعترة نفاسه • ما منهم الا من حذي بالامان • وتردى بالوزاره • واضاء في افاق الدول • ونهض بين الخيل والخول • ومتواحد امجادهم • متقلد نجادهم • فانهم ادبا ونبلا وبادانهم

كرما

كرما • تحاله ونبلا • الا انه بقي ودنيوا • ولقي من الايام ما رمتهوا • فعانى تنكرها وشرب عكرها • وجال في الافاق • واستدر اخلاف الارزاق • واجال الرجا فداحا متواليات الاخفاق • فاخمل قدره • وتوالى عليه جور الزمان وغدره • فانه فتنا ثان • وعتا خيان • وقد ابثت له بعض ما قاله • وحاله قد ادبرت والحظوظ اليه قد ابترت • اخبرني الوزير الحكيم ابو محمد المصري وهو الذي اواه • وعنده استقرت نواه • وعليه كان قادما • وله كان منادما • انه رغب اليه في احد الايام من جملة ندمائه الا يحجب عنه وتكون منه من اعظم نعمائه فاجابه بالاسعاف • واستساغ منه ما كان يعاف • لعلمه بعلته وافراط خلته فلما كان ذلك اليوم خطب اليه •

انا قد اهبت بكم وكلكم هدى • واحقكم بالشكر مني السابق
فالشمس انت وقد اطل طلوعها • فاطلع وبين يديك فجر صادق

انتهى وقال الوزير ابو عامر بن مسلمة

حج الحجيج منى ففازوا بالمنى • وتفرقت عن خيفه الاشهاد
ولنا بوجهك حجة مبرورة • في كل يوم تنقضي وتعاد

وقال الفتح في حقه ما صورته بيت شرف باذخ • ومفخر عن ذوايب الجوزاء شامخ • وزروا الخلفا • وانتجعتهم الادبا • وانبعتهم العظماء • وانتسبت لهم النعما • وتنفست عن نور بهجتهم الظلماء • وابو عامر هذا هو جوهرهم المتخيل وجوادهم الذي لا يبخل • وزعيمهم المعظم • وسلك مفخرهم المنتظم وكان فتى المدام • ومستقى الندام • واكثر من النعت للراح والوصف واثر الافراح والقصف • وارى قينات السرور مجلوة • وايات الحسن متلوة وله كتاب سماه بحديقة الارتياح • في وصف حقيقة الراح • واختص بالمعتضد اختصاصا جرعه رداه • وصرعه في مداه • فقد كانت في المعتضد من عدم تحفظ للارواح • وتهاون بالعوام في ذلك واللواح • فاطار اليه ابو عامر واغتر • واستمال ما بسم من سوالفته وافتر • حتى امكنته في اغتياله فرصه • لم يعلق فيها حصه • ولم يطلق عليه الا انه زلت به قدمه فسقط في البحيرة والكفا • ولم يعلم به الا بعد انطفا • فاخرج وقد قضى • واندرج منه في الكفن حسام المجد منتضى • فمن محاسنه قوله يصف السوسن • وهو مما ابدع فيه واحسن •

وسوسن راق مراه ومخبره • وجل في اعين النظار منظره
كانه اكؤس البلور قد صنعت • مسدسات تعالى الله مظهره
وبينها ألسن قد طوقت ذهبا • من بينها قائم بالملك يؤثره

الى ان قال واجتمع بجنة بخارج اشبيلية • مع اخوان له عليه • فبينما هم يديرون
الراح • ويشربون من كاسها الافراح والجو صاح اذ بالافق قد غيم • وارسل الديم
بعد ما كسا الجو مطارفا لرذاذ • واستتر المعشوق مرقباد والشمس مستترة
بالسحاب • والرعد يبكيها الانتحاب فقال

يوم كان سحابه • لبست عمامتي لصوامت
حجبت به شمس الضحى • بمثال اجنحة الفواخت
والغيث يبكي فقدها • والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا • والجو كالمحزون ساكت

وخرج الى تلك الخميلة والربيع قد نشر رداه • ونثر على معاطفها الغصون
نداه فاقام بها وقال •

وخميلة رقم الزمان اديمها • بمفضض ومذهب ومشوب
وسقت قبيل الصبح ريق غمامة • رشف المحب مراشف المحبوب
وطردت في اكنافها ملك الصبا • وقعدت واستوزرت كل اديب
وادرت فيها الدمع كاس مدامة • مع كل وضاح الجبين مهذب

وقال الوزير الكاتب ابو حفص احمد بن برد

قلبي وقلبك لا محالة واحد • شهدت بذلك بيننا الالحاظ
فتعال نغلظ الحسود بوصلنا • ان الحسود بمثل ذاك يغاظ

وقال •

يا من حرمت لذاذتي بصدوده • هذي النوى قد صعرت لي خدها
زودني من جمالك نظرة • والله يعلم ان رايتك بعدها

وقال في المطمح في ابن برد المذكور انه غذي بالادب • وعلا الى اسما الرتب
وما من اهل بيته الا شاعر كاتب • ولازم بباب السلطان مراتب • ولم يزل
في الدولة العامرية يسبق بذكر • ويحق لا ينكر • وهو بديع الاحسان • بليغ
القلم واللسان • مليح الكتابة • فصيح الخطابة • وله رسالة السيف والقلم
وهو اول من قال بالفرق بينهما وشعره مشعشع المباني • مرهف كالحسام
اليماني • وقد اثبت منه ما يلهيك سماعا • ويريك الاحسان لماعا • فمن
ذلك قوله يصف البهار •

تامل فقد شق البهار كمائما • وابرز عن نواره الخضل الندي
مداهن تبر في انامل فضة • على اذرع مخروطة من زبرجد

وله يصف معشوقا • اهيف القد ممشوقا • ابدى صفحة ورد • وبدا في ثوب
لازورد • لما بدا في لازوردي الحرير وقد بهر

كبرت

كبرت من فرط الجمال وقلت ما هذا بشر
فاجابني لا تنكرن • ثوب السماء على القمر

وقال الوزير الكاتب ابو جعفر بن اللماي

الما قد نيتكما تسلم • منازل سلمى على ذي سلم
منازل كنت بها نازلا • زمان الصبي بين جيد وفم
اما تجدان الثرى عاطلا • اذا ما الرياح تنفسن بشم

وقال في المطمح فيه امام من ائمة الكتابة • ومعجز بينبوعها • والظاهر على مصنوعها
بمطبوعها اذا كتب نثر الدر في المهارق • ومر فيها انفاسه كالمسك في المفارق
وانطوى ذكره على انتشار احسانه • مع امتداد لسانه • فلم تطل له مدة فروع
ولا اتصل لها في نهر الاحسان كروع • فانه دفنت محاسنه من الاغتماد في قبر
وانكسرت الامال بعدم بدايعه كسرا بغير جبر • وكان كاتب علي بن حمود العلوي
وذكر انه كان يرتجل بين يديه ولا يروي فياتي على البديه • بما يعجز المروي
ويبديه • فمن ذلك ما كتب به معتنيا من بعض رسالة روض العلم في فنائك
مونق وغصن الادب بمائك مورق • وقد قذف بحر الهند درر • ونبت روض نجد
زهر فاهتدى ذلك على يدي فلان الحاجري في جمع • على مباني قصته
وقال الوزير حسان بن مالك بن ابي عبدة في المهرجان •

ارى المهرجان قد استبشرا • غداة بكى المزن واستعبرا
وسربلت الارض امواهها • وجللها السندس الاخضرا
وهز الرياح صنا نيرها • فضوعت المسك والعنبرا
تهادى به الناس الطافه • وسام المقل به المكثرا

وقال في حقه في المطمح من بيت جلالة • ومحرز اصالة • كانوا مع عبد الرحمن الداخل
وتوغلوا معه في متشعبات تلك المداخل وسعوا في الخلافة حتى حضر مبانيها
وكثر مثانيها • وجدوا في الهدنة وانعقادها • واخمدوا نار الفتنة عند اتقادها
فانبرم متعواها • وارتبطت اولاها واخراها • فظهرت البيعة واتضحت واعلنت
الطاعة وافصحت • وصاروا تاج مفرقها • ومنهاج طرقها • ونبه ممن بلغ
الوزارة من بعد ذلك وادركها • وحل مطلعها وفلكها • مع اشتهار في اللغة
والاداب • والانخراط في سلك الشعرا والكتاب • والابداع لما الف • والانتهاض
بما تكلف • ودخل على المنصور وبين يديه كتاب ابن السري وهو به كلف • وعليه
معتكف • فخرج وعمل على مثاله كتابا سماه ربيعة وعقيل • جرده من ذهن
اي سيف صقيل • واتى به مفتتحا مصورا في ذلك اليوم من الجمعة الاخرى
وابرز والحسن يتنسم عنه ويتفرى • فسر به المنصور واعجب • ولم يغب عن بصره

ساعة والاعجب • وكان لم يبعد هذه المدة حتى ادجتها الفتنة لبلدها • وازعجته لها
وخيلها • اغتراب كاغتراب الحارث بن مضاض • واضطراب بين المواني والمواضي
كالحية النضناض • ثم اشتهر بعد وافتر له السعد • وفي تلك المدة يقول يتشوق الى اهله
سقى بلدا اهلي به واقاربي • غواد بانفاس الحيا وروائح
وهبت عليهم بالعشي وبالضحى • نواسم برد والظلال فوائح
تذكرتهم والناي قد حال دونهم • ولم انس لكن اوقد القلب لافح
ومما شجاني انها تسعو فاتكة • ينوح ولم يعلم بما هو نائح
فقلت اتيد يكفيك اني نازح • وان الذي اهواه عني نازح
ولي صبية مثل الفراخ بقفرة • متى خاض تاسها طحتها الطوائح
اذا عصفت ريح اقامت رؤوسها • فلم يلقها الا الطيور البوارح
فمن لصغار بعد فقد ابيهم • سوى سانح في الدهر لو عن سانح
واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام ايام الفتنة فلم يرتض بالحال ولم تمض
في ذلك الانتحال • وتثاقل عن الحضور في كل وقت • وتغافل في ترك المزور
بن تلك المقت • وكان المستظهر يستبد باكثر تلك الامور دونه • ويتفرد مغيبا
عنه شؤونه فكتب اليه •
اذا غبت لم احضر وان جيت لم اسل • فسيان مني مشهد ومغيب
فاصبحت تيميا وما كنت قبلها • لتيم ولكن الشبيه نسيب

ولـه

ذات طالما الشيب بين ذوائبي • فعادت بانهار الدموع السواكب
وقالت ايشيب قلت صبح تجاربي • انار على اعقاب ليل نوائبي
وللماتم رثاه الوزير ابو عامر بن شهيد بقوله
افي كل عام مصرع لعظيم • اصاب المنايا حادثي وقديمي
وكيف اهتدائي في الخطوب اذا دجت • وقد فقدت عيناي ضوء نجوم
مضى السلف الوضاح الا بقية • كغرة مسود القميص بهيم
فان ركبت مني الليالي هضيمة • فقبلي ما كان اهتضام تميم
ايا عبة انا غدرناك عندما • رجعنا وغادرناك غير ذميم
اتخذ من كان نزود بارضه • ونكرع منه في اناء علوم
ويجلو العمى عنا بانوار رايه • اذا اظلمت ظلماء ذات غموم
كانك لم تلقح بروح من الحجى • عقائم افكار بغير عقيم
ولم نغتبط منا لك غدوا ولم تزد • دوائنا لفضل الحكم دار حكيم
انتهى وقال الوزير الفقيه ابو ايوب بن ابي امية •

امنك

امنك دار بن حياك النسيم به • ام عنبر السحر ام مهدي البساتين
بشاطي الروض حيا الروض مؤتلق • والراح تعبق والكاس الرياحين
وحلاه في المطمح بقوله واحد الاندلس الذي يطوقها فخارا • وطبقها بادرا وافتخارا
ناشيت من وقار لا تحيل الحركة سكونه • ومتى اريتني بحزان يكونه • اذ لاح رايت
المجد مجتمعا • وان فاه اضحى كل شيء مستمعا • تكتحل منه مقل المجد • وتنتحل
المعالي فما لانتحال ذي كلف بها ووجد • لو تعرفته في الخلق سجاياه لحرت
الشيم واستنقيت بحياه • لما استمسكت الديم • ودعي للقضا فارضى واعفى
عنه فكان استقصى لدينه • تثبت الحقائق • وتبين العلائق • وبين يديه
يسلك عين الجدد • ويبدع العدد العدد • وله ادب اذا حضر به فلا البحر اذا عصف
ولا ابو عثمان اذا وصف • مع حلاوة فيما اتاه • تستهوي تحسينه وانشاه
وقد اثبت له بدعا يثني اليها الاحسان جيدا واخذ عاتق ذلك قوله في منزل
حله منتزها •
يا منزل الانس اهواه والفه • حقا لقد جمعت في صحنك البدع
سما اصطنعت نعماك عندي في • يوم نعمت به والشمل مجتمع
وحل منية صهره الوزير ابي غزوان بن الذئب بعدوة اشبيلية المطلة على النهر
المشتملة على بدائع الزهر وهو معرس بيته فاقام فيها اياما متانسا
وللحدق السرور مقتبسا • فاولاه من التحف • واهدى اليه من الطرف
ما عمر كنسه وبهر نفاسته واشره فلما ارتحل • وقد اكتحل من حسن ذلك
الموضع بما اكتحل كتب اليه •
قل للوزير وان الشكر من همتي • حات على سنن تترى وتتصل
غشيت مغناك والروض الانيق به • يبدي وصوب الحيا يهمي وينهمل
وجال طرفي في ارجائه مرحا • وقت اختياري يستملي ويستقل
يدعو بلفتته حيث ازمحي بزهر • عليه من منبتي افنانه كلل
محل انس نعمنا فيه اونسه • من الزمان وامانا به الامل
وحل بعد ذلك منتزها بها على عادته فاحتفل في موالاة ذلك لرواعاته
فلما رحل كتب اليه • •
يا دار امنك الزمان • صروفه ونوائبه
ودنت سعودك بالذي • تهوى نزيلك ابيه
فلنعم ماوى الضيفان • اذا الحاموا جانبه
حطرسا وربه الديار • واذعنت لك قاطبه
وصنع ولد ابن عبد الغفور رسالة سماها بالساجعة حذا بها حذو ابي العلا

المترى في الصابل والتاج وبعث بها اليه فعرضها عليه فاقامت عنده ايامًا ثم استدعاها منه فصرفها اليه وكتب معها • بكرة فعتها اعزك الله نحوك • وبموزت بتقدمها اشاك وسروك • فلم اقطعها عن شبع ولا اجللت ارتفاعها عما يجتلى من نوعها ويستمتع ولكن لما انست من اسنك با نبجاحها وحرصك على ارتجاعها • دفعتها في صدر الولوع • ونزكت بينها وبين مجاعتها تلك الرتوع • حيث الادب غض • وما البلاغة مرفض • فاسعد اعزك الله بكرتها • وسلها عن افانين معرتها • بما تقتطفه من ثمارك • وتعرف من يحاوله وترتاح له ولاخواته من نتايج افكارك • وانها لسنسنة اعرفها فيكم من اخزم وموهبة خولتموها • والحزتم السبق فيها منذ كم انتهى وابن عبيد الغفور هو الوزير ابو القاسم الذي قال فيه الفتح فتى زكا فرعًا واصلا • واحكم البلاغة معنى وفصلا • وجرد من ذهنه على الاعراض نصلا • فذهب به وفراها • وقدح زند المعالي حتى اوراها • مع صون برتدبير • ولا يكاد يتبدير • وشيمة الحقته بالكهول • واقفرت منه ربعها المأهول • وسرف ارتداه • وسرفا قتدى ابن الكريم واقتداه • وله شعر بديع السرد مفوف البرد • وقد اثبت له منه ما الفيت • وبالدلالة عليه اكتفيت • فمن ذلك

قوله

تركت التصابي للصواب واهله • وبيض الطلا للبيض والسمر للسمر
مدامي مدادي والكووس محابري • وندماي اقلامي ومنقلتي سفري

وله

لا تنكروا اننا في رحلة ابدًا • نحتل في نقطة او في هدف
فدهرنا سدفة ونحن انجمها • وليس ينكر مجرى النجم في السدف
لو اسعد الدهر لي اقصرت عن سفر • وملت عن كلفي بعبئه الكلف

وله من قصيدة

رويدك يا بدر التمام فانني • اري لعين حسرا والكواكب طلعا
كان اديم الصبح قد قد انجمًا • وعود ردع الليل فيها مرقعا
فاني وان كان الشباب محببا • الي وفي قلبي احل واوقعا
لانفر من حسن بشعري مفتري • وانف من حسن بسعري فتنعا

انتهى وقال الوزير ابو الوليد بن حزم

اليك ابا حفص وما عن ملالة • ثنيت عناني والحبيب حبيب
معًا لا يطير الجر عن حبابه • ومن كثرة قلبت عليك بذوب
مضت لك في امياطي قولة • لها بين احنا الضلوع دبيب

ولكن ابي الا اليك التفاتة • فزاد عليه في هواك رقيب
وكم بيننا لو كنت تحمد ما مضى • اذا العيش غض والزمان رقيب
وتختجاج الغيم لحتى روضة • لها لخفوق العاصفات وجيب
وللزهر في ظل الرياض تبسم • وللطير منها في الغصون نحيب

وقال في الزهد

ثلاث وستون قد جزتها • فماذا تؤمل او تنتظر
وحل عليك نذير المشيب • فما ترعوي او فما تزدجر
عنزليا لنيلك مراحتيث • وانت على ما ارى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي • من العمر لاعنضت خير البشر
فما لك لا تستعد اذن • لدار المقام ودار المقر
اترغب عن فجاة المموت • وتعلم ان ليس منها مفر
فاما الى جنة ازلفت • واما الى سقر تستعر

وقال ابن ابي زمنين •

الموت في كل حين ينشر الكفنا • ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن الى الدنيا وبهجتها • وان توشحت من اثوابها الحسنا
اين الاحبة والجيران ما فعلوا • اين الذين هم كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كاسا غير صافية • فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا
تبكي المنازل منهم كل منسجم • بالمكرمات وترثي البر والمننا
حسب الحمام لو ابقاهم وامهلهم • الا يظن على معلومة حسنا

وقال في المطمح الفقيه ابو عبد الله محمد بن ابي زمنين فقيه متبتل وزاهد لا منحرف الى الدنيا ولا منفتل • سحرها بحر المنحرف • وحل اوطانه فيها محل المعترف • لعلمه بارتحاله عنه • وتقويضه وانبذ الرهنه وتعويضه ينظر بقلبه لا بعينيه • وانتظر يوم فراقه وبينه • ولم يكن له بعد ذلك بها اشتغال • ولا في شعاب تلك المسالك ايغال • وله تواليف في الوعظ والزهد واخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه • والتخليص حبايل الاغترار واشراكه • والتنقل من حال الى حال • والتاهب للارتحال ويستدل به على ذلك الانتحال • فمنها قوله

الموت في كل حين ينشر الكفنا • فذكر الابيات انتهى • وقال خلف ابن هارون يمدح الحافظ ابا محمد بن حزم

يخوض الى المجد والمكرمات • بحار الخطوب واهوالها
وان ذكرت للعلى غاية • ترقى اليها وانوى لها

وقال في المطمح فيه فقيه مستنبط • ونبيه بقياسه مرتبط • ما تكلم تقليدا
ولا عدا اختراعا وتوليدا • ما تمنت بها الاندلس ان تكون كالعراق • ولا حنت
الانفس معه الى تلك الآفاق • اقام بوطنه • وما برح عن عطنه • فلم يشرب
ماء الغربات • ولم ينتجع بنيته الثمرات • ولكنه ارتوى على ظمأ من ذلك غذي • واربى
على من هنالك بنبل وجدي • تفرد بالقياس • واقتبس نار المعارف فاي اقتباس
فناظر بها انبل فاس • وصنف وحبر حتى افنى الانفاس • ونابذ الدنيا وقد
نصدت له بافتن محيا • واهدت اليه اعبق عرف وريا • وخلع الوزارة وقد
كسته ملاءها • والبسته حلاها • وتجرد للعلم وطلبه • وجد في اقتنائه
نخبه • وله تآليف كثيرة • وتصانيف اثيرة • منها الايصال • الى فهم كتاب
الخصال • وكتاب الاحكام • لاصول الاحكام • وكتاب الفصل في الاهواء والملل
والنحل • وكتاب مراتب العلوم وغير ذلك • مما لم يطرمثله من هنالك
مع سرعة الحفظ • وعفاف اللسان واللحظ • وفيه يقول خلف بن هارون
يخوض الى المجد والمكرمات • ولابن حزم في الادب سبق لا ينكر • وبديهة لا
يعلم انه روى فيها ولا فكر • وقد ابيت في شعره ما يعلم انه اوحد • وما مثله
فيه احد • ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها في غير هذا الموضع • وكتب ابو عبد
الله بن مسرة الى ابي بكر اللؤلؤي يستدعيه في يوم طين ومطر لقضاء ارب
من الانس ووطر •

اقبل فانا اليوم يوم دجن • الى مكان كالضمير مكني
لنا بحكم فيه اشهى فن • فانت في ذا اليوم مشتهي مني

وقال في المطمح ان ابن مسرة كان على طريقة من الزهد والعبادة سبق فيها
وانتسق في سلك متقنيها • وكانت له اشارات غامضة • وعبارة
عن منازل الملحدين غير داحضة • ووجدت له مقالات رديه واستنباطات
مرديه • نسبت اليه بها رهق • وظهر له فيها مزحل عن الرشد ومزهق فتتبعت
مصنفاته بالحرق • واتسع في انتساخها الخرق • وغدت مهجورة على التاليف
محجورة • وكان له تعمق في البلاغة • وتدقيق لمعانيها • وتزويق لاغراضها
وتشييد لمبانيها انتهى • وهو من نمط الصوفية الذين تكلم فيهم والتسليم اسلم
والله باسرارهم اعلم **ومن حكايات اهل الاندلس** في الانقباض عن السلطان
والفرار من المناصب مع العذر اللطيف ما حكاه في المطمح في ترجمة الفقيه
ابي عبد الله الحسيني اذ قال • كان فصيح اللسان جزيل البيان • وكان ابو وفا
منقبضا عن السلطان • لم يتشبث بدنيا ولم يتنكب له مبرم عليا • دعاه
الامير محمد الى القضاء فلم يجب • ولم يظهر رجاء المحتجب • وقال ابيت عن امانة

هذه الديانة كما ابت السموات والارض عن حمل الامانة • اباية اشفاق لا اباية عصيان
ونفاق وكان الامير قد امر الوزرا باجبار اوحمل السيف ان تمادى على تابيه واصراره
فلما بلغه قوله هذا اعفاه قال وكان الغالب عليه علم النسب واللغة والادب
ورواية الحديث • وكان مامونا ثقة • وكانت القلوب على حبه متفقة • وله رحلة
دخل فيها العراق • ثم عاد الى هذه الآفاق • وعندما اطمانت داره • وبلغ اقصى
مناه مداه **قال**

كان لم يكن بين ولم تك فرقة • الابيات انتهى • وهذه الابيات قدمناها
في الباب الخامس في ترجمة القاضي ابن ابي عيسى فانت ترى كلام الفتح قد اضطرب
في نسبتها الى هذا ومرة الى ذاك وفي قطعة غيرها ذاك **ومن دعابات اهل
الاندلس وملحهم** ما يحكى عن ابي الحلي • ونحو على ابن ابي حجلي الكتاني • ابو الحسن
قال لسان الدين كان شيخنا مليح الحديث حافظا للمسائل الفقهية قائما على
الدولة مستظلا بظلالها • كثير الحكايات يحكي له سالمة غرائب تملحا فيسمعها
عليه الطلبة ويتعدون بذلك الى الاقتفاء الدائمة حتى جمعوا من ذلك جزا
سموه السالك والمحلي في اخبار ابن ابي حجلا فمن ذلك انه كانت له هرة تدخل
البيت يوما فوجدها قد نتفت احدى يديها وجعلتها في الدقيق حتى علق بها
ونصبتها بازاء كوة فار ورفعت اليه الاخرى لتصيبه فناداها باسمها فردت
راسها وجعلت اصبعها على فمها على هيئة المشير بالصمت واشباه ذلك وتوفي
المذكور سنة ٧٠٦ع قاله في الاحاطة **ومن اجوبة ملوك الاندلس** ان نزارا العبيدي
صاحب مصر كتب الى المرواني صاحب الاندلس كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه
المرواني اما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام فاشتد
ذلك على نزار وافحمه عن الجواب وحكي انه كتب الى العبيدي ملك مصر مفتخرا

السنا بني مروان كيف تبدلت • بنا الحال او دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت • له الارض واهتزت اليه المنابر

ومن غريب ما يحكى من قوة اهل الاندلس وشجاعتهم ان الامير جرير بن عكاشة من ذرية
عكاشة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بساحته اذفونش
ملك ملوك الروم بدا هم بخراب ضياعها وقطع الشجر فكتب اليه جرير ليس من
اخلاق الغدر الفساد والتدبير فان قدرت على البلاد افسدت ملكك ولو كان
الملك في عشرة امثال العدد لم ينزل بساحة ولا تمكن منها براحة • فلما
وصلته الرسالة كف • وامر بالكف • وبعث الملك يرغب في الاجتماع به
فاستزهته في نفسه عدة من ملوك الروم فاجاب الى ما ارتهنوا ولما صادروا بالكدية
البيضاء وهي قلعة رباح غربي طليطلة خرج جرير لابسا لامة حربه يرمق الروم

منه شخصا. او في بسطة من الجسم والبسالة يتعجبون من آلات حربه • ويتحدثون بشجاعة قلبه • ولما وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالترحيب والتسعه ولما اراد النزول عن فرسه ركز رمحه فابصر الملك منه هيأة تشهد له بالشجاعة حدث وهيبة يجزع للقائها الشجاع وتكررت فدعاه الى البراز عظيم ابطالهم فقال له الملك يا حريز اريد ان انظر الى مبارزتك هذا البطل فقال له حريز المبارز لا يبارز الا اكفاه واني بينة على صدق قولي انه ليس فيهم كفو هذا رمحي قد ركزته فمن ركب واقتلعه بادرته كان واحدا او عشرة فركب عظيمهم فلم يهتز الرمح من مكانه حين رامه ثم فعل ذلك مرارا فقال له الملك ارني يا حريز كيف تقتلعه فركب واشار بيده واقتلعه فعجب القوم ووصله الملك واكرم انتهى وكان حريز هذا شاعرا ولما اجتاز به كاتب ابن ذي النون الوزير ابو المطرف ابن المثنى كتب اليه •

يا فريدا دون ثاني • وهلالا في العيان
عدم الراح فصارت • مثل دهن البلسان

فجاوبه حريز وهو يومئذ امير قلعته

يا فريدا لا يجاري • بين ابناء الزمان
جاء من شعرك روض • جاده صوب البيان
فبعثناها سلافا • كسجاياك الحسان

وكان لحريز كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تغفل شديد فامر ان يكتب الى المامون بن ذي النون في شان حصن دخله النصارى ان شا الله تعالى تلك الواقعة التي ذكرها الله تعالى في القران بل هي الحادثة الشاهدة باشراط الزمان • فانا لله على هذه المصيبة التي هدت قواعد المسلمين وانشت في قلوبهم حسرة الى يوم الدين • فلما وصل الكتاب المامون ضحك حتى وقع بالارض وكتب لابن عكاشة جوابه وفيه وقد عهدناك منتقيا لامورك • نقادا لصغيرك وكبيرك فكيف جاز عليك امر هذا الكاتب الابله الجلف واسندت اليه الكتب عنك دون ان تطلع عليه وقد علمت ان عنوان الرجل كتابه ورائد عقله خطابه وما ادري من اي شي يتعجب منه قبل هل من تعليقه ان شا الله بالماضي ام من حسن تفسيره للقران ووضعه مواضعه ام من تورعه عن تاويله الا بتوقف عند سماع من امام ام تهويله لما طرا على من يخاطبه ام من علمه بشان هذا الحصن الذي لو انه القسطنطينية العظمى ما زاد على عظمه وتهويله شيا ولو ان حقيرا يخفى عن علم الله تعالى لخفي عنه هذا الحصن فانه من مخرج حيث لا ماء ولا مرعى منقطع عن بلاد الاسلام خارج عن سلك النظام • لا يقيم الا الفاجر

اوقاطع

اوقاطع طريق عن منتظم • حراسه لا يتجاوزون الخمسين • ولا يرون خبز البر عندهم الا في بعض السنين • باعه احدهم بعشرين دينارا ولعمري انه لم يغبن في بيعه ولا ربح ارباب ابتياعه • واراح من الشين بنسبته والنظر في خداعه • فليت شعري ما الذي عظمه في عين هذا الجاهل حتى خطب في امره بما لم يخطب به في حرب وايل فلما وقف حريز على الكتاب كتب لابن ذي النون جوابا منه وان المذكور ممن له حرمة قديمة تغنيه عن ان يمت بسواها • وخدمه محمود اولاها واخراها • ولسنا ممن اتسعت مملكته وعظمت حضرته • فيحتاج الى انتقاء الكتاب • والتحفظ في الخطاب • وانما نحن احلاس ثغور • وكتاب كتائب لا سطور • وان لم يكن الكاتب المذكور لا يحسن فيما يلقيه على القلم • فانه يحسن كيف يصنع في مواطن الكرم • وله الوفا الذي يتحدث به فلان وفلان • بل سارت بشانه في اقصى البلاد الركبان وليس ذلك يقدح عندنا فيه بل زاده لكونه الاعلى صحة الباطن والسذاجة في الاكرام • والسوية انتهى • ولهذا الكاتب شعر يسقط فيه سقوط الاغبياء • وقد يستنبه فيه الاذكيا • فمنه قوله من قصيدة يمدح حريزا المذكور • مطلعها

يذكرني بهم العبير • وظلم ثناياهم سكر

الى ان قال

ولولا معاليك يا ذا الذي • لما كان في الارض من يشعر
فلا تنكرن زحاما علي • ذراك وفي كفك الكوثر

ومشى في موكبه يوما في سفر وكان فصل المطر والطين • فجعل فرسه في ذنب فرس ابن عكاشة فلما اثارت يدا فرسه طينا جا في عنق الامير • فتفطن لذلك الامير فقال له يا ابا محمد تقدم فقال معاذ الله ان اسي الادب بالتقدم على اميري • فقال له ان كان ذلك فتاخر مع الخيل • فقال مثلي لا يزال عن ركابك في مثل هذه المواضع فقال له فقد والله اهلكتني بما ترمي يدا فرسك علي من الطين فقال اعز الله الامير يعذرني فوالله ما علمت ان يدي فرسي تصل الى عنقك فضحك ابن عكاشة حتى كاد يسقط عن مركوبه • وكان بسرقسطة غلام اسمه يحيى بن يطفت من بني يفرن قد نشا عند ملكها المقتدر بن هود وتخلق بالركوب والادب وكان في غاية الجمال والحلاوة والظرف فعلق بقلب ابن هود • وكتم حبه زمانا • فلم ينكتم فكتب له

يا ظبيي بالله قل لي • متى ترى من حالي
عمر عمري وحالي • في حبك منك حالي

فكتب له الغلام في ظهر الرقعة •

ان كنت ظبيا فانت الـــهزبر تبغي اغتيالي
وليس يخطر يوما • حلول غيل ببالي

ثم كتب بعد هذا ما اقتضاه حكم الجواب في النظم واما بعد فقد حملت رهبي ببعد سيدي نفسي ان تعود الى ما احب لا ما اكره والذي احبه ان يكون بيننا من المحبة ما يقتضي بدوام الاخلاص ونامن فيه معتبة من العار والقصاص · فتذكره مدة ثم كتب له يوما على الصورة التي ذكرها ·

ماذا ترى في يومنا من طرتك · خلل السحاب به البروق المذهبه
وانا وكاسي لاجليس غيرها · ملآن لا يخلو الى ان تشربه
والامر ان يتم ترمتسبب · ومتى تضيعه فيا ما اضيعه

فاجابه

يا مالكا بذ الملوك بعلمه · وجلاله وعلوه في المرتبه
واني ندا لنجرت عند جوابه · اذ ما نغص ريبة مستغربه
انا اذا تحلو بعوسل حاسد · وغدا بهذا الامر يبغض مذهبه
هبني الى يوم تطيش به النهى · والبيض تغضي والقنى متاشبه
وهناك فانظر في بنيه بصنيعة · فالنبل يعرف اصله من جربه

ثم اغلاه الى درجة الوزارة والقيادة الى ان قتل في جيش كان قدمه عليه فقال فيه من قصيدة ·

يا صارما اغمدته · عن ناظري الصوارم
وزهرة غيبتها · من الطيور كمائم
يا كوكبا حرمت · البحي واني راغم
بكت على وشقت · جيوبهن الغمائم
قل للحمائم التي · اضحت احكي الحمائم
واثر الدمع مهجتي · رايت للزهر باسم
تالله لا الذ عيش · لم يزل لك عادم

ولما دخل الوزير عبد البر بن فرسان من وادي آش الى علي الميورقي صاحب قفصة افريقية اقبل عليه ثم ولى اخوه يحيى الامارة بعده فاستدعى جميع من لجا اليه فقال يخاطبه

الجنا وزيحي ناصري وحسامي · وعجزا وعزمي قايدي وامامي
ولي منك بطاش اليدين غضنفر · يحارب من اشباله ويحامي
الا عنيا في بالصهيل فانه · سماعي ورقراق الدما مدامي
وحطا على الرمضا جلي فانها · مهادي وخفاق البنود خيامي

وكان الامير ابو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس من ابطال العصر وكان يتقدم في المواكب ويشقها يمينا ويسارا منشدا

اكر على الكتيبة لا ابالي · احتفي كان فيها ام سواها

حتى انه

حتى انه دفع مرة في موكب من النصارى فصرع منهم وقتل وظهر منه ما اعجبته به نفسه فقال لشخص من خواصه عالم باموز الحرب كيف رايت فقال لو ان السلطان لزاد فيما لك في بيت المال واعلى مرتبتك امن يكون راس جيش يقدم بهذا الاقدام ويتعرض بهلاك نفسه الى الهلاك من معه فقال له دعني فاني لا اموت مرتين واذا امت انا فلا عاش من بعدي ومن حكاياتهم في الظرف ان القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى من بني يحيى ابن يحيى خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بالقرب مقبرة قريش فعزم عليه في الميل اليه فنزل فاحضر له طعاما وغنت جارية ·

طابت بطيب لثاتك الاقداح · وزهت بحمرة وجنتك التفاح
واذا الربيع تنسمت ارواحه · نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحنادس البست ظلماؤها · فضيا وجهك في الدجا مصباح

فكتبها القاضي طربا على ظهر يديه · قال الراوي فلقد رايته يكبر على الجنازة والابيات على ظهر يديه ومن حكاياتهم في البلاغة ما ذكر في المطمح ان الوليد بن غانم لما انصرف من الحج اجتمع مع ابي الطيب في مسجد عمرو بن العاص بمصر فتفاوضا قليلا ثم قال له انشدني لمليح الاندلس يعني ابن عبد ربه فانشد

يا لولؤا يسبي العقول انيقا · ورشا بتعذيب القلوب رفيقا
ما ان رايت ولا سمعت بمثله · درا يعود من الحياء عقيقا
يا من تقطع خصره من رقة · ما بال قلبك لا يكون رقيقا

فلما كمل انشادها استعادها ثم صفق بيديه وقال يا ابن عبد ربه لقد ياتيك العراق حبوا انتهى وقال مؤلف كتاب واجب الادب مما يجب حفظه من مخترعات الاندلسيين قول ابن عبد ربه

يا ذا الذي خط العذار بخده · خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت اقطع ان لحظك صارم · حتى حملت من العذار حمائلا

انتهى وحكي ان الوزير ابا الوليد بن زيدون توفيت ابنته وبعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكر لهم فقيل انه ما اعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لاحد قال الصفدي وهذا من التوسع في العبارة والقدرة على التفنن في اساليب الكلام وهو امر صعب الى الغاية وازيد ان اشق مما يحكى عن واصل بن عطا انه ما سمعت منه كلمة فيها راء لانه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة والسبب في تهوين هذا الامر وعدم تهويله ان واصل بن عطا كان يعدل الى ما يرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء وهذا كثير في كلام العرب فاذا اراد العدول عن لفظ فرس مثلا قال جواد او سابح او صافن والعدول عن رمح قال قناة او صعدة او يزني او غير ذلك او العدول عن لفظ صارم قال حسام او لهذم او غير ذلك الى العدول

واما ابن زيدون فاقول في حقه انه اقل ما كان في تلك الحضارة وهو وزير المعتضد
ليس ممن يتعين عليه ان يتشكر له ويضطر الى ذلك فيحتاج في هذا المقام الى
العبارة مضمونها التشكر وهذا كثير الى الغاية لا سيما من محزون فقد قطعت
من كبده ولكنه صوب المعقول اذا انبرت سحايب منه اعقب بسحايب وقد استعمل
الحريري هذا في مقاماته عندما يذكر طلوع الفجر وتوهم القدرة على الكلام واردى
الخطيب ابن نباتة ممن لا يلحق في هذا الباب فانه املى بجملة معناها من وله الى
اخر يا ايها الناس اتقوا الله واحذروه فانكم اليه راجعون ومن هنا امتاز بارع
ميجز والناس يغفلون عن هذه النكتة فيه انتهى كلام الصفدي ملخصا وقال
في الوافي بعد ذكر جملة من احوال ابن زيدون ما نصه وقال الادبا من لبس البياض
وتختم بالعقيق وقرا لابي عمرو وتفقه للشافعي وروى شعر ابن زيدون فقد استكمل
الظرف وكان يسمى بحتري المغرب لحسن ديباجة نظمه وسهولة معانيه انتهى رجع
الى كلام اهل الاندلس وكان الاديب المحدث ابو الربيع سليمان بن علي السبلي السهير
بكنيته يهوى من يتجنى عليه ويقول انه ابرد من الثلج فخاطبه كثيرا بقوله

يا حبيبا له كلام خلوب • قلبت في لظى هواه القلوب
كيف تعزو الى محبك بردا • ومن الحب في حشاه لهيب
انت شمس وقلبنا في ثلج • فلهذا اذا طلعت اذوب

وقال ابن مهران مما يشتمل على اربعة امثال

المال زين والحياة شهية • والجود يفقر والشجاعة تقتل
والبخل عيب والجبان مذمم • والقصد احكم والتوسط اجمل

وقال ابن السيد البطليوسي متغزلا

نفسي الفداء لجوذر حلو اللمى • متخشن بصدوده اضناني
في فيه سمط جواهر يروي الظما • لو علني ببروده احياني

ويخرج من هذه القطعة عدة قطع قال ابن صارة مضمنا

الى كم يبعد الدينار سعيي • ويطلبك من عنه يحيد
الم انشد في وادي هيامي • بمن لو كان يعطفه النشيد
حبيبي انت تعلم ما اريد • ولكن لا تروق ولا تجود
وقد غنيت حين تنكبتني • مني شيطانها ابدا مريد
يريد المرء ان يؤتى مناه • ويابى الله الا ما يريد

وقال ذو الرياستين ابو مروان عبد الملك بن رزين

بالله ان لم تنزجر • يا مشبه البدر المنير
لاسرحن نواظري • في ذلك الورد النضير

ولا كلفك

ولا كلفتك بالمنى • ولا شريتك بالضمير

وقال ابن عبد ربه

اشرب على المنظر الانيق • وامزج برتق الحبيب ريقي
واحلل وشاح الكعاب رفقا • خوفا على خصرها الرقيق
وقل لمن لام في التصابي • خذ قليلا عن الطريق

وسياتي ان شاء الله تعالى قريبا من بلاغة اهل الاندلس في الجد والهزل ما فيه مقنع
لمن اقتصر عليه ومن حكاياتهم في عدم احتمال الضيم والذل والوصف بالانفة انه
لما نادى ايوب بن مطروح في المائة الخامسة في الفتنة على ملك غرناطة عبد الله بن
بلقين بن حبوس وخاض بحار الفتنة حتى رماه موجها فيمن رمى على الساحل وحصل
فيما بث عليهم يوسف بن تاشفين من الحبائل • وكانت له همة وانفة غطته وخلع على
امارته وحصل في جالبة ادخل راسه فانتظر من حضر معه ان يتكلم ويخرج راسه فلم
يكن الا قليلا حتى وقع ميتا رحمه الله تعالى ولما نادى الميورقي بافريقية على بني عبد
المومن الثورة المشهورة وخدمه جملة من اعيان اهل الاندلس وكان من جملتهم مالك بن محمد
ابن سعيد العنسي كتب عنه من رسالة وبعد فانا لا نحتاج لك الى برهان على امير لسانه
الحسام • ويده التاييد الرباني الذي لا يرام • قد ضرب خيامه بالبراح • ولم يتخذ سورا
غير سمر القنا وبيض الصفاح • له من الحزم ردا ومن الراي كمين اذا صدق الحسام ومنتضيه
فكل قران حصن حصين • ونحن من القوم الذين لا يجورون على جار ولا يرحلون بحربية
ولا يتركون من عادتهم دين التقوى وان كنت من ذلك في شك فاقدم علينا حتى يصح
لك اختبار الذهب بالسبك وانت بالخيار في الظعن والاقامة وان حللت نزلت
خير منزل وان رحلت ودعناك فضل وداع وسرت في كنفنا للسلامة اذ قد شهرنا بالانفة
الا بالاحسان وان ندع لاختبار كل انسان ومن حكايات اهل الاندلس في الجود والفضل
ومكارم الاخلاق ان ابا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد بن عباد فادخلت عليه جملة من
دنانير السكة فامر له بخريطتين منها وبين يديه تماثيل عنبر من جملتها صورة
جمل مرصع بنفيس الدر فقال ابو العرب ما يحمل هذه الدنانير الا جمل فتبسم المعتمد
وامر له به فقال •

اعطيتني جملا جونا شغفت به • حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك في اعطان مكرمة • لا قدت عرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشان فتى في كله عجب • رفهتني فحملت الحمل والجملا

ومن نظم ابي العرب المذكور •

الى م اتباعي للاماني الكواذب • وهذا طريق المجد بادي المذاهب
اهم ولي عزمان عزم مشرق • واخر يثني همتي للمغارب

ولابد لي ان اشاد البين حاجة • تشق على اخفافها والغوارب
اذا كان امثلي من تراب فكلها • بلادي وكل العالمين اقاربي

وذكر الحافظ الحجاري في المسهب انه سال عمه ابا محمد عبد الله بن ابراهيم عن افضل من لقي
من اجواد تلك الحلبة فقال يا ابن اخي لم يقدر يقضي لي الامطار انهم في شباب اسرتهم
وحقنوا رغبتهم في المكارم لكن اجتمعت بهم وامرتهم فذممتهم وساءت بتغير الاحوال
ظنونهم وملوا الشكر وضجروا من المروة وشغلتهم المحن والفتن فلم يبق فيهم فضل للافضال
وكانوا كما قال ابو الطيب •

اتى الزمان بنوه في شبيبته • فسرهم واتيناه على الهرم

وان يكن اتاه على الهرم فانا اتيناه ونحن في سياق الموت ثم قال ومع هذا فان الوزير
ابا بكر بن عبد العزيز رحمه الله كان يحمل نفسه ما لا يحمله الزمان ويتبسم في موضع القطوب
ويظهر الرضى في حال الغضب ويجهد الا ينصرف عنه احد غير راض فان لم يستطع الفعل
عوض عنه القول قلت له فالمعتمد بن عباد كيف رايته فقال قصدته وهو مع امير المسلمين
يوسف بن تاشفين في غزوته للنصارى المشهورة فرفعت له قصيدة منها

لا درّ اسرينا في رحالهم • وان رموني بترويع وابعاد
ولا سقاهم على ما كان من عطش • الا بنغص ندى كف ابن عباد
ذي المكرمات التي ما زلت سنتها • انس المقيم وفي الاسفار كالزاد
يا ليت شعري ماذا ابن نقيته لمن • ناداه يا موئلي في جحفل النادي

فلما انتهيت الى هذا البيت قال اما انا فقد نضيته لك فلست اقدر في هذا الوقت
عليه ولكن خذ ما ارضى لك الزمان وامر خادما له فاعطاني ما اعيش في فائدته
الى الان فاني انصرفت به الى المرية وكان يعجبني سكناها والتجارة بها لكونها
مينا المراكب للتجارة من مسلم وكافر فتجرت فيها فكان ابقاها وجهي على يديه
رحمة الله عليه ثم اخذ البطاقة وجعل يجيل النظر والفكر في القصيدة
وانا مترقب لنقده لكونه في هذا الشان من ائمته وكثيرا ما كان الشعراء يتحامونه
لذلك الا من عرف من نفسه التبريز ووثق بها الى ان انتهى الى قولي ولا سقاهم
على ما كان من عطش • الا بنغص ندى كف ابن عباد • فقال لاي شيء بخلت عليهم
ان يسقوا بكفه فقلت اذا كان يلحقني من المنتقد ما لحق ذا الرمة في قوله
ولا زال منهلا بجرعائك القطر وكان نطوفان نوح امنون عليهم من ذلك فتبسم
غرته وبدت مسرته وقال لا تاسف على انه لم يعنا الزمان على مكافاتك
قال وكنت ممن زاره في سجنه باغمات وحملتني شدة الحمية له والامتعاض
لما حل به ان كتبت على حائط سجنه متمثلا

فان تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه • ولا تسجنوا معروفه في القبائل

ثم تفقدت

ثم تفقدت الكتابة بعد ايام فوجدت تحت البيت لذلك سجناه •

ومن يجعل الضرغام في الصيد بازه • يصيده الضرغام فيما تصيدا

فما ادري من حارب بذلك ثم عدت له ووجدته قد محي واعلمت بذلك ابن عباد
فقال صدق المجاوب وانا الجاني على قدر ما استطاع فارتجلت

اليت لا اقبل احسانكم • والدهر فيما قد عرا كم مسي
فبي الذي اسلفتم غيبة • وان يكن عندكم قد نسي

قال وفيه اقول من قصيدة •

يا طالب الانصاف من دهره • طلبت امرا غير معتاد
فلو يكون العدل في طبعه • لما عدا ملك ابن عباد

وللحجاري المذكور كتاب في البديع سماه الحديقة وانشد لنفسه منه

وشادن ينصف من لفظه • امنني من سطوة الدهر
ينام للشرب على جنبه • ويبعث الذنب الى الخمر

وله في فرس

ومستبق يجار الطرف فيه • ويسلم في الكفاح من الجماح
كان اديمه ليل بهيم • تحجل بالبياض من الصباح
اذا احتدم المسابق صار ريحا • تقلب بين اجنحة الرياح

وكتب ابو العلي ادريس بن اليزيد الى ابن رشيق ملك مرسية وقد طالت اقامته
عند ابن عبد العزيز •

الا ليت شعري هل اعود الى الذي • عهدت من النعمى لديكم بلا جهد
فوالله مذ فارقتكم ما تخلصت • من الدهر عندي ساعة دون ما كد
فنوا بادني كي اطير اليكم • فلا عار في شوقي الى الملك الجعد

ووقف بعض اعدائه على هذه الابيات فوشى بها الى ابن عبد العزيز قاصدا ضرره
وكان ذلك في محفل ليكون ابلغ فقال والله لقد ذكرتني امرا ولقد احسن الدلالة
على حاله فانا لرجل كريم وعلينا موضع اللوم لا عليه والله لا اوسعته مالا ووجلي
بعد وسعي ثم اخذ في الاحسان اليه حتى برميته رحمه الله هكذا تكون المعا
طرق الجد عن طرق المزاح ولنذكر جملة من بني مروان بالاندلس فنقول قال محمد
ابن هشام المرواني صاحب كتاب اخبار الشعراء •

وروضة من رياض الحزن حالفها • طل اطلت به في فيها الحلل
كانما الورد فيما بينها ملك • موف وانوارها من حوله خول

وكان في مدة الناصر واذخل عليه يوما ليذاكره فاستحسنه وامره بالتزام
بنيه ليؤدبهم بحسن ادبه ويتخلقوا بخلقه فاستعفى من ذلك وقال انا للفتيان

لا يتعلمون الا نسخة الضبط والمبتدى الاغلاط وانا اكره ان اعامل بذلك اولاده الخليفة فينكرهو في وقد يحقد لي بعضهم ذلك الى ان يقدر على النفع والضر قالوا وكان يتعشق المستنصر بالله ولي عهد الناصر وكان غلاما ونمو غلام وله فيه

متع بوجهك جفني • يا كوكبا فوق غصن
يا من يحجب حسني • عن كل فكر واذن
وخامر الخوف فيه • فما يحول بذهن
فليس للطرف والقلب • غير دمع وحزن
فانني ذو ذنوب • وانت جنة عدن

وقال اخوه احمد بن هشام

قطعت الليالي بارتجاء وصالكم • وما نلت منكم غير متصل الهجر
وما كنت ادري ما التصبر قبلكم • فعلمتموني كيف اقوى على الصبر
وما كنت ممن يعلق الصبر فكره • ولكن خشيت الصبر يذهب بالعمر

ومن حكاياتهم في علو الهمة انه كان سبب قرابته واجتهاده انه حضر مجلسا فيه القايد احمد بن ابي عبدة ونمو غلام فاستخرج القايد فراه بعيدا من الادب والطرف وراى له ذهنا قابلا للصلاح فقال اي سيف لو كانت عليه حلية فقامت من هذه الكلمة قيامته وثابت له همة ملوكية عطف بها على الادب والتعليم الى ان صار ابن ابي عبدة عنده كما كان هو عند ابن ابي عبدة ولا يحضر عنده ذلك معه رجال الا في مضمار الادب فراى ابن ابي عبدة جوادا لا يشق غباره فقال له ما هذا ابن هذا مما كان فقال ان كلمتك علت في فكري ما اوجب هذا فقال له والله ان هذه حلية تليق بهذا السيف فجزاك الله عن يمنك خيرا ثم قال له سران لي عليك حقا اذ بعثتك على التادب والتمييز فاذ حضرنا في جماعة فلا تتطاول على بتقصيري وحافظ على ان لا اسقط من العيون بازرايك عني على فقال لك ذلك وزيادة وكان المنذر بن الامير عبد الرحمن الاوسط سي الخلق في اوله مع كثير الاصغا الى اقوال الوشاة مفرطا القلق مما ينال في جانبه معاقب على ذلك لمن يقدر على منعه فنبه منكرا التشكي ممن لا يقدر عليه لوالده الامير عبد الرحمن فطال ذلك على الامير فقال لوكيل خاص به عارف بالقيام بما يكلفه به الموضع الفلاني الذي بالجبل الفلاني المنقطع عن العمران تبني فيه الان بنا اسكن فيه ابني المنذر واوصاه بالاجتهاد فيه ففرغ منه ودعا اليه فقال له تعلم المنذر اني امرته بالانفراد فيه ولا تترك احدا من اصحابه ولا اصحاب غيره يزورون لا يتكلم معه البتة فاذا ضجر من ذلك وسالك عنه فقيل له هكذا امر ابوك فتولى الثقة ذلك على ما امر به ولما حصل المنذر في ذلك المكان وبقي وحده وفقد حوله ومن كان يستريح اليه ونظر الى ما سلبه من الملك ضجر فقال للثقة عسى ان يجليني

غلماني واصحابي اتانس بهم فقال له الثقة ان الامير امران لا يصلك احد وان تبقى وحدك لتستريح مما يرفع لك اصحابك من الوشاية فعلم ان الامير قصد محنته بذلك وتاديبه فاستدعى دواة وكتب الى ابيه اني قد توحشت في هذا الموضع توحشا ما عليه من مزيد وندمت فيه من كنت انس اليه واصبحت مسلوبا العز فقيد الامر والنهي فان كان ذلك عقابا لذنب كبير ارتكبته وعلمه مولاي ولم اعلمه فاني صابر على تاديبه ضارع اليه في عفوه وصفحه

فان امير المومنين وفعله • لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

فلما وقف الامير على رقعته وعلم ان الادب بلغ به حقه استدعاه فقال له وصلت رقعتك تشكو ما اصابك من توحش الانفراد في ذلك الموضع وترغب ان تانس بخولك وعبيدك واصحابك ان كان لك ذنب يترتب عليه ان يطول سكناك في ذلك المكان وما فعلت ذلك عقابا لك وانما اردت انك تكثر الضجر والتشكي من القال والقيل فاردنا راحتك بان يحجب عنك سماع كلام من يرفع لك وينم حتى تستريح منهم فقال له سماع ما كنت اضجر منه اخف علي من التوحد والتوحش والتخلي مما انا فيه من الرفاهية والامر والنهي فقال له فاذ قد عرفت وتادبت فانظر الى ما اعتدته وعول على ان تسمع كانك لم تسمع وترى كانك لم تر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم واعلم انك اقرب الناس الي ده واحبهم في وبعد هذا فما يخلو اصدرك في وقت من الاوقات عن انكار علي وسخط لما افعله في جانبك وجانب غيرك مما لو اطلعني الله عليه لساءني لكن له الحمد الذي حفظ ما بين القلوب بستر بعضها عن بعض فيما يجول فيها وانك لذو همة ومطمح ومن يكن هكذا يصبر ويغض ويحمل العقاب بالثواب • ويصير الاعداء من قبيل الاصحاب ويغض ويحمل ويبدل العقاب بالثواب ويصير من الشخص على ما يسوا فقد يرى منه بعد ذلك ما يسر ولقد يخف علي اليوم من قاسيت من فعله وقوله من لو قطعتهم عضوا عضوا لما ارتكبوه مني ما شفيت فيهم غيظي ولكن رايت الاغضا والاحتمال لاسيما عند الاقتدار اولى ونظرت الى جميع من حولي ممن يحبني ويبغضني فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض ونظرت الى المسيء يعود محسنا والمحسن يعود مسيئا وصرت اندم على من سبق له مني عقاب ولا اندم على من سبق له مني ثواب فالزم يا بني معالي الامور وارجاعها الى التغاضي ومن لا يتغاضى لا يسلم له صاحب ولا يقرب منه جانب • ولا ينال ما تترقى اليه همته ولا يظفر باماله • ولا يجد معينا حتى يحتاج اليه فقبل المنذر يده وانصرف • ولم يزل ياخذ نفسه بما اوصاه والده حتى تخلق بالخلق الجميل وبلغ ما اوصى به ابوه ورفع

فدن ومن شعر في ابن عم له •

ومولى لي لا اذاي وانني • لاحلم عنه وهو بالجهل يقصد

تودد ته فازداد بعدا وبغضه • وهل نافع عند الحسود التودد

ولــــه

خالف عدوك فيما • اتاك فيه لينصح

فانما يبتغي ان • تنام عنه فتذبح

ومن كرم نفسه ان احد التجار اهدى له جارية بارعة الحسن واسمها طرب ولها صنعة في الغنا حسنة فعندما وقع بصره على حسنها ثم اذن على غنايها اخذت بمجامع قلبه فقال لاحد خدامه ما ترى ان ندفع لهذا التاجر عوضا عن هذه الجارية التي وقعت منا احسن موقع فقال تقدر ما تساوي من الثمن و يدفع له بقدرها فقومت بخمسماية دينار فقال المنذر للخديم ما عندك فيما ندفع له قال الخمسماية فقال ان هذا اللوم رجل اهدى لنا الجارية فوقعت منا موقع استحسان فقابله بثمنها ولو انه باعها من يهودي لوجد عنده هذا فقال له ان هولاء التجار لوما بخلا واقل القليل يقلعهم فقال وانا كرما سمحا فلا يقنعنا الا ان نجود عليه القليل فادفع له الف دينار واسكن على كونه حضنا بها واعلمه واعلمه بانها وقعت منا موقع رضي وفيها يقول

ليس يهنيء السرور الطرب • ان لم تقابل لواحظي طرب

ابهت في الكاس اشتاق ريقها • والفكر بين الضلوع يلتهب

يعجب مني معاشر جهلوا • ولو راوا حسنها لما عجبوا

وقال له ابوه اذ فيك لتيها مفرطا فقال حق لفرع انت اصله ان يعلو فقال له يا بني ان العيون تمجّ التايه • والقلوب تنحرف عنه فقال يا ابي لي من العز والنسب وعلو المكان والسلطان ما يجل عن ذلك واني لم ار العيون لا مقبلة علي ولا الاسماع الا مصغية الي وان لهذا السلطان دون قابرتبة التبذل وعلوا تخفضه الانبساط ولا يصونه وكثير فلا الا التيه والانقباض وان هولاء الان لهم ميزان يسرون به الرحيل منا فان راو رجاحة عرفوا له قدر رجاحته وان راوه ناقصا عاملوه بنقصه وصبروا تواضعه صغرا وتخضعه خسة فقال له ابوه لله انت فابق وما رايت وكان له اخ اديب انضيا اسمه المطرف ابن عبد الرحمن الاوسط ومن شعره •

افنيت عمري في الشرب والوجوه الملاح

ولم اضيع اصيلا • ولا اطلاع صباح

احبي

احبي الليالي عهدا • في نشوة ومراح

ولسنا نسمع مانا • ينول داعي الفلاح

والعياذ بالله من هذا الكلام وحاكي الكفر ليس بكافر وعتبه احد اخوانه على هذا القول فقال اني قلته وانا لا افعل ولم اعلم انه يحفظ عني وانا استغفر الله منه والذي يغفر الفعل اكرم من ان لا يغفر على القول ومن جيد شعره قوله •

يا احبتي قد قصرت الليالي • بينتنا عن زورة الاحلام

فغدونا نعدا ابيلا فقرب • نتناجي بالسن الاقلام

وقال اخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن في من اسمه ريحان

احبك يا ريحان ما عشت دايما • ولو لامني في حبك الانس والجان

ولولاك لم انوا الظلام وسهده • ولا حببت لي في ذرى الدار غربان

وما اعشق الريحان الا لانه • شريكك في اسم فيه قلبي هيمان

على انه لم يكمل الظرف مجلس • اذا لم يكن فيه مع الراح ريحان

ولـــه فيه

اذا انا ما زحت الحبيب فانما • قصدت شفا الهم في ذلك المزح

فالعيش الا ان اراه مضاحكا • كما ضحك الليل البهيم عن الصبح

وقال اخوهم الرابع يعقوب بن عبد الرحمن

اذا انا لم اجد يوما وقومي • لهم في الجود اثار عظام

فمن يرجي لتشييد المعالي • اذا قعدت عن الخير الكرام

ومدحه بعض الشعرا فامر له بما لجزيل فلما كان مثل ذلك الوقت جاءه يمدح اخر فقال لاحد خدام يعقوب هذا اللئيم له دين عندنا جا يقتضيه فقال الامير يا هذا ان كان الله خلقك مجبولا على كرم رب الصنايع فاجر على ما جبلت عليه في نفسك ولا تكن كالاجرب يعدي غيره وان هذا رجل قصدنا قبل فكان منا له ما انسه وحمله على العودة وقد ظن فينا خيرا فلا نخيب ظنه والحديث ابدا يحفظ القديم وقد جاءنا على جهة التهنية بالعمر ونحن نسال الله ان يطيل عمرنا حتى يكثر تردادة ويديم نعمنا حتى يجد ما ننعم به عليه ويحفظ علينا مروتنا حتى يعيننا على التحمل معه ولا يبلينا بجليس مثلك يقبض ايدينا عن اسدا الايادي وامر للشاعر بما كان امر له به قبل واوصاه بالعود عند حلول ذلك الاوان ما دام العمر وقال اخوهم الخامس الامير محمد بن الامير عبد الرحمن لاخيهم السادس ابان وقد خلا معه على راحة هل لك امل نبلغك اياه فقال لم يبق لي امل الا ان يديم الله عمرك ويخلد ملكك فاعجب ذلك الامير وقال انما مالنا لئيك نفسي من باطله كان كل واحد

منهما يهيم بالآخر وفي ذلك يقول ابان •

يا من يلوم ولا يدري بمن انا مفتون لو ابصرته ما كنت تلحاني

من ما رجت روحه روحي وحي شاطري • يا حسنه حين اهواه ويهواني

وكان للامير محمد بن الامير عبد الرحمن ثلاثة اولاد نجبا القاسم والمطرف ومسلمة ابن
والهم اخ رابع اسمه عثمان فمن نظم القاسم في عثمان اخيه وقد زاره فاستسقاه ماء
فابطا عليه غلامه لعله لم يقبلها قاسم

الماء في دار عثمان له ثمن • والخبز فيها له شان من الشان

فاسلح على كل عثمان مررت به • غير الخليفة عثمان بن عفان

ولـه

شغلت بالكيميا دهري • فلم افد غير كل خسر

اتعاب فكر خداع عقل • فساد مال ضياع عمر

وقال شقيقه المطرف ويعرف بابن غزلان وهي امه وكانت مغنية بديعة
محسنة عوادة اديبة •

هلا تكون مشرفا على نهر • اري بطرفي لينه من قصر

عذابي لو دمته حادثة • اعطيته ما احب من عمري

وقال اخوهما مسلمة •

ان شيبا وصبوة لمحال • ادلم يان ان يكون زوال

فدع النفس عن مزاح ولهو • تلك حال مضت وجاء لك حال

وكان يقول اني لا افارق الا من اختار مفارقتي ومن خادعني انخدعت له واريته
انني غير فطن بخداعه ليعجبه امره وادخل عليه مسرة بنفسه ورايه وقال محمد بن الامير
المنذر بن الامير محمد في جاريته الاراكه •

قل للاراكه قد زاد بالدنو اشتياقي

وهاج ما بي اليها • تمثلي للعناق

وانني وبتلبي • جمر جرى في المآقي

يوميت ما بي ليوم • يكون فيه التلاقي

فان اعد لاجتماع • حرمت يوم افتراق

لا يعرف الشوق الا • من ذاق طعم الفراق

وقال عبد الله بن الناصر وقد اهدى له سعيد بن فرج ياسمينا ابيض واصفر

وكتب معه

مولاي قد ارسلت نحوك تحفة • بمراد ما ابغيه منك تذكر

من ياسمين كالجبين تبرجت • بيضا وصفرا والسماح يعبر

ما نقصه

ما نقصه اناك تنبيري ولما يحل عني على اضغاث احلام •

فاجعله رسما دائما دايرا • منك ومني غرة العام

وبعثا اليه بهذين البيتين مع ملء المطبق دنانير ودراهم فقال ابن فرج

قد سمعنا بجود كعب وحاتم • ما سمعنا جودا مدى الدهر لازم

ندعاي بان تدوم دعاه • لجلال الطول ما عشت دائم

ما سمعنا بمثل هذا اختراعا • هكذا هكذا تكون المكارم

ونشبه هذه الحكاية حكاية اتفقت لبعض ملوك افريقية وذلك ان رجلا
اهدى له في قادوس وردا احمر وابيض فامر ان يملاه دراهم فقالت له جارية
من جواريه ان راى الامير ان يكون ما اعطاه حتى يوافق ما اهداه فاستحسن
ذلك وامر ان يملا دنانير ودراهم وكان المروالي المذكور يتنابز احد الفقها
الظرفا فمر ابن جميل فاتبعه عبد الله بطرفه على وجهه وظهر ذلك لسائر فتبسم
ففهم عبد الله عنه فقال ان هذه الوجوه الحسان خلائق ولكن لا تتغلغل
في نظرها ولا تدعي الفقه عنها بالجملة وفيها اعتبار وتذكار بالحور العين
التي وعد الله فقال له الفقيه احتج لروحك بما شئت فقال او ما هي حجة
تقبل فقال الفقيه يقبلها من رق طبعه • وكاد يضيق عن الصبر وسعه
فقال واراك شريكا لي فقال ولولا ذلك لمنك فاطرق عبد الله ساعة

ثم انشد

امذيا الذي شر لي فقال له • لحظي ولكن ثنيته غضبا

ماذاك الا مخاف منتقد • فالله يعفو ويغفر الذنبا

فقال له الفقيه ان كنت ثنيت لحظك خوفا انتقادي فاني ادعو اليك
حتى تملاه منه ولا تنسب الي ما نسبت فتبسم عبد الله وقال ولا هذا
كله وقال له ان مثلك في الفقها المعدوم فقال له ما كنت الا اديبا ولكني
لما رايت سوق الفقه بقرطبة نافقة اشتغلت به فقال له ومن عقل المرء
ان لا يفني عمره فيما لا ينفقه عصص وكان عبد الله المذكور يسمى الزاهد فبايع
قوما على قتل والده الناصر واخيه الحكم المستنصر ولي العهد فاخذ يوم عيد
الاضحى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة فذبح بين يديه رحمه الله تعالى
وقال اخوه ابو الاصبغ عبد العزيز بن الناصر وقد دخل ابن له الكتاب
فكتب في اللوح فبعثه الي اخيه المستنصر ملك الاندلس ومعه

هاك يا مولاي خطا • خطه في اللوح مطا

ابن سبع في سنيه • لم يطق للوح ضبطا

دمت يا مولاي حتى • يولد ابن ابنك سبطا

ولـــه

زارني من همت فيه سحرا • يتهادى كنسيم السحر
اقبس الصبح صبيا ملحه • فاضا والنجم لم يتحجر
واستعار الروض منه • بينها بين الضيا والزهر
ايها الطالع بدرا نيرا • لا خلت الدنيا لا بصري

وكان معزي مغريا بالخمر والغنا فقطع الخمر فبلغه ان المنتصر لما بلغه ترك الخمر قال الحمد لله الذي اغنانا عن مفاتحته ودله على ما تريه منه ثم قال لو ترك الغنا لكمل خيره. فقال والله لا تركته حتى تترك الطيور نغم تردها ثم قال انا في صحة وجاه وبيني هي تدعوا الهنا الالحان وكنا الطير في الحدائق تشدو للذي سر نفسه بالقيان. وقال اخوه محمد بن الناصر لما قدم اخوهما المنتصر من غزوة •

قدمت بحمد الله اسعد مقدم • وضدك اضحى لليدين وللفم
لقد حزت فيها السبق اذ كنت مثله • كما حاز بنعم الله فضل التقدم

واما اخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر فقال الحجاري فيه انه لم يكن في ولد الناصر ممن لم يل الملك اشعر منه ومن ابن اخيه وكتب الى العزيز صاحب مصر

الشايني مروان كيف تبدلت • بنا الحال او دارت علينا الدواير
اذا ولد المولود منا تهللت • له الارض واهتزت اليه المنابر

وكان جواب العزيز له اما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك السلام

وله في الصنوبر •

ان الصنوبر حصن • لديه حرز وباس
حنت من اجل ارهاب • من عداه تراس
كانما هو ضد • لما حواه الرباس

وبعض بيوت الاندلس محفور صدرا الرياس على صورة قشور الصنوبر الان تلك باقية ومنه محفورة وقال

اتاني وقد خط العذار بخده • كما خط في ظهر الصحيفة عنوان
تراحمت الالحاظ في وجناته • فشققت عليه للشقايق اردان
وزدت غرامًا حين لاح كانما • تفتح بين الورد والاس سوسان

وقال

لين كنت خلاع العذار تباونا • وكاس فاني عن نزرا لمواهب
واني لطعان اذا اشتجر القنا • ومنهم طرفي في صدور الكتايب
واني اذا لم ترض نفسي بمنزل • وجاش بصدري الفكر جم المذاهب

جليد

جليد يود العتيم لو انه حين • كصبري على ما نابني للنوايب
واسري الي ان يحجب الليل انني • لطول سيري فيه تبغض الكواكب

واما ابن اخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر فكان في بني امية شبه عبد الله بن المعتز في بني العباس ملاحة شعر وحسن تشبيه ومن شعره القصيدة المشهورة •

غصن يهتز في غصن نقي • يجتني منه فوادي حرقا
سال لام الصدغ في صفحته • سيلان التبر وافى الورقا
فتناهى الحسن فيه انما • تحسن الغصن اذا ما اورقا

ومنهـــا

اصبحت شمسًا وفوه مغربا • ويد الساقي المحيي مشرقا
فاذا ما غربت في فمه • تركت في الخد منه شفقا

ومنهـــا

وكان الورد يعلوه الندا • وجنة المحبوب تندى عرقا

قالوا وبهذا النمط فضلت به اهل عصره ويظن انه لا يوجد لاحد منهم احلى واكثر اخذًا بمجامع القلوب من قوله

ودعت من اهوى اصيلا ليتني • ذقت الحمام ولا اذوق نواه
فوجدت حتى الشمس تشكو وجده • والورق تندب شجوها بهواه
وعلى الاصايل رقة من بعده • فكانها تلقى الذي القاه
وغدا النسيم مبلغا ما بيننا • فلذاك رق هوى وطاب شذاه
ما الروض قد مزجت به انداوه • سحرًا باطيب من شذا ذكراه
الزهر مبتسم ونكهته الصبا • والورد احضله الندى خداه
فلذلك اولع بالرياض لانها • ابدا تذكرني بمن اهواه

ومن قوله

وعشي كانه صبح عيد • جامع بين بهجة وشحوب
هب فيه النسيم مثل محب • مستعيرًا شمايل المحبوب
ظلت فيه ما بين شمسين هاذي • في طلوع وتلك في غروب
وتدلت شمس الاصيل ولكن • شمسنا لم تزل باعلى الجيوب
رب مقاطعة من بديع • من راى الشمس طلعت في قضيب
اي وقت قد اشغف الدهر فيه • واجابت به المنى من قريب
قد قطعناه نشوة ووصالا • وملاناه من كبار الذنوب
حين وجه السعود بالبشر طلق • ليس فيه امارة للتطوب

ضيع الله من تضييع وقتا • قد خلا من منكد ورقيب

وبات عند احد رؤسا بني مزوان فقدم اليه ذلك الرايس قدحا من فضة فيه راح احمر وقال اشرب وصف فذاك ابن عمك فقام اخجلا لا ادري ما يجاوب به ثم قال الدواة والقرطاس فاحضرا وكتب •

اشرب هنيا لا عداك الطرب • سر كريم في العلى منتخب

واتاك بالراح وقد البست • برد اصيل معلما بالحبب

في قدح لم يك شي سبه • في جابها المفضة ذوب الذهب

فنم على راسك بشرابه • واشرب على ذكراه طول الحقب

ويحكى انه لما قتل اباه وقد وجده مع جارية له كان يهواها سجنه المنصور بن ابي عامر مدة الى ان راى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم يامره باطلاقه فاطلقه فمن اجل ذلك عرف بالطليق وقال احمد بن سليمان بن احمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر في حزم لما عاداه علماء عصره

لما تحلى بخلق • كالمسك او نشر عود

تجلا لكرام ابن حزم • وقام في العلم عودي

فنواه حسد دنيني • جذواه اورق عودي

وله في ابي عامر بن المظفر بن ابي عامر من قصيدة يمدحه بها

بابي عامر وصلت جالى • فزمانى به زمان سعيد

فتى زدت فيه ودا وشكرا • فنداه وقد تناهى يزيد

كيف لي وصفه وفي كل يوم • منه في المكرمات معنى جديد

وقال ابو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثي ابا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبي ابانه • والبسه من حسن منطقه وشيا

وكم مصعب للنحو قد راض صعبه • فعاد ذلولا بعد ما كان قد اعيا

وقال عبيد الله محمد المهدي وهو من جيات بني مروان ويعرف بالاقرع

بيان يحيى

اقول لاما لي ان تبلغ ان حبا • يحيي بن عطاف ونعم المؤمل

فقالت دعا في كل يوم تعلل • فقلت لها ان لاح نعلي التعلل

لئن كان مني كل يوم ترحل • فاني ان اخلو به لست ارحل

فتى يزد الامال في بحر جوده • وليس على بغي سواه المعول

وقال هذه في الوزير بن عطاف فطال عليه حتى يرجع الجواب فكتب اليه بقصيدة منها

ايها الممكن من قدرته • لا اراك الله الا محسنا

انما المرء بما قدمه • فتخير بين ذم وثنا

لا تكن

120

لا تكن بالدهر غرا واذا • كنت فانظر فعله في ملكنا

كلما خولت منه ذاهب • والذي تصحب منه الكفنا

مذ كنا اخو كفطالما • امطرت فيه السحاب الهتنا

او ارحني بجواب موئس • فطالما للبر من بشر العنا

فلم يعطه شيا وكان له كاتب فتحيل في حسن رسما واعطاها له فطاسع الوزير بذلك طرده وقال له من انت حتى تحمل نفسك هذا وتعطيه قال فحوا بهما لبث الا قليلا حتى مات الوزير وتزوج الكاتب بزوجته وسكن في داره وتخول في نعمته فحملني ذلك على ان كتبت بالفحم في حائط داره

فيا دار قولي بن ساكنك الذي • ابى لومه ان يترك الشكر خالدا

تسمى وزيرا والوزارة سبة • لمن قد ابى ان يستفيد المحامدا

دولي ولكن لست تبرح ذمته • فها هو قد ارضى عدوا وناقدا

واضحى وكل كان يانف فعله • نزيلك في الحوض الممنع واردا

جزاء باحسان لنا واساءة • لذاك وساع وارث الحمد قاعدا

والمثل السائر في هذا رب ساع لقاعد وقال سليمان بن المرتضى بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وكان في غاية الجمال ويلقب بالغزال

قدم الربيع عليك بعد مغيب • فتلقه بسلافة وحبيب

فصل جديد فلتجدد حالة • يا في الزمان بها على المرغوب

الجو طلق فالقه بطلاقة • واذا تقطب فالقه بقطوب

لله ايام ظفرت بها ومن • اهواه منقاد بغير رقيب

وله

لي في كفلاك الرماح لواهما • وقضيتها يبلغ الامالا

وكلت دهري في اقتضا ضمانها • طنابه الا يحول فحالا

وكان مولعا بالفكاهة والنادر محبا في الظرفا وكان يلتزم خدمته الضحاك المشهور بالزرافة ويحضر معه ولعبوا في مجلس سليمان لعبة افضوا فيها الى ان تقسموا اثنين اثنين كل شخص ورفيقه فقال سليمان ومن يكون رفيقي فقال له الضحك يا مولاي ومن يكون رفيق الغزال الا الزرافة فضحك منه على عادته ودخل عليه وهو قاعد في رحبة قصره وقد اطل عذاره فقال له ما نطلب الزرافة فقال ترعى الحشيش واشار الى عذاره فقال له اغرب لعنك الله وهم سليمان به يوما وهو سكران وقد ذكره وجعل يقول له ما ذا رايت في القيام في هذا الزمان اما رايت كل ملك قام كيف خلع وقتل والله انك سيء الراي فقال له سليمان ويحم لعنت هذا الشاير • فقال يا مولاي لصفته القايم • فقال وتحتاج الى خاتم

فقال نعم ويكون خاتم سليمان • فقال له اخزاك الله انا الكلام معك لفضيحة
وقال سعيد بن محمد المرواني وقد هجره المنصور بن ابي عامر مدة للكلام بلغه عنه
فدخل والمجلس غاص وانشد •

مولاي مولاي اما آن ان • يرحمني بالله من هجركا
وكيف بالصبر وابي به • ولم ازل اسبح في بحركا

فضحك ابن ابي عامر على ما كان بطلبه من الوقار وقام وعانقه وعفا عنه وخلع
عليه

وله

والبدر في جو السما قد انطوى • طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كانما • غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو ماخوذ من قول ابن المعتز •

وانظر اليه كزورق من فضة • قد اثقلته حمولة من عنبر

وقال قاسم بن محمد المرواني يستعطف المنصور بن ابي عامر وقد سجنه لقول صدر عنه

ناشدتك الله العظيم وحقه • في عبدك المتوسل المتحرم
بوسائل المدح المعاد نشيدها • في كل مجمع موكب او موسم
لا تستبح مني حمى ارعاكه • يا من يرى في الله احمى محرم

وقال الاصم المرواني يمدح امير المومنين عبد المومن بن علي بجبل الفتح معارضا باية
ابي تمام السيف اصدق انباء من الكتب بقصيدة طويلة **منها**

ما للعدى جنة اوقى من الهرب • اين المفر وخيل الله في الطلب
واين يذهب من في راس شاهقة • اذا رمته سما الله بالشهب

ومنها

وطود طارق قد حل الامام به • كالطور كان لموسى اعلى الرتب
لو يعرف الطود ما غشاه من كرم • لم يبسط النور فيه الكف للسحب
ولو تيقن ياساحل ذروته • لصار كالعهن من خوف ومن رهب
هنيئا وهذا الفتح ثانية • اضعاف ما حدثوا في سالف الحقب
ويلبس الدين غضا ثوب عزته • كانما ايام يدرعنه لم تغب

وقال في نارنجة

وبنت ايك دنا من لثمها فرح • فصار منه على وجناتها اثر
يبدو لعينيك منها منظر عجب • زبرجد ونضار صاغه المطر
كان موسى نبي الله اقبسه • نارا وجر عليها كفه الخضر

وقال

ودساذن قلت له صف لنا • بستاننا هذا ونارنجنا

فقال

فقال في بستانكم جنة • ومن جنى النارنج ناراجي

وقال في زلباني

لله سفاج بدا لي سحرا • فافاد علم الكيميا بيمينه
ذهب فضة خز ملواحي • وكذاك تفعل نار بجبينه

وقال وقد نزل في فندق لا يليق بمثله

يا هذه لا تعجبي • انحرت في منزل هجين
فليس قبح المحل مما • يقدح في منصبي وديني
فالشمس علوية ولكن • تغرب في حماة وطين

وقال احمد المرواني

حلفت بمن محياه اصاب قلبي • وقلبه على حجر الصدود
لعداوتي تذكره بجسمي • ولست اسلو ان النفس تود
فقيد وهو موجود بقلبي • فواعجبا بموجود فقيد

وقال الاصبغ القرشي يرثي ابن شهيد وهو من اصحابه

يا من به كان السرور مواصلا • واسلمه قلبي للصبابة والفكر

ومنها

لعمرك ما يجدي النعيم لذاته • وجوههم عني ولا فسحة العمر

وقال سليمان بن عبد الملك الاموي •

وذي جدل طالما العذول منه • بلا معنى قد خفي الصواب
فقلت لحبه فازداد ودا • فقلت له قد ازدحم الجواب
ولم ار غير صمتي من مريح • اذا ما لم يعد فيه خطاب

وقال ابو يزيد بن العاصي

عابه الحاسد الذي لام فيه • ان راى فوق خده جدريا
انما وجهه هلال تمام • جعلوا برقعا عليه الثريا

وله

اذا شئت ان يصفو صديقك فاطرح • نزاع الذي يبديه في الهزل والجد
وان كنت من اخلاقه في جهنم • فانزله من مثواك في جنة الخلد
الى ان يتيح الله من لطف صنعه • فراقا جميلا فاجعل العذر في البعد

وليكن هذا اخر ما نورده من كلام بني مروان رحمه الله فلنرجع الى اهل الاندلس جملة
فنقول امر ابو الحجاج المنصفي ان يكتب على قبره

قالت لي النفس اتاك الردى • وانت في بحر الخطايا مقيم
هلا ادخرت الزاد قلت اقصري • لا يحمل الزاد لدار الكريم

وقد ذكرنا هذين البيتين في غير هذا الموضع وقال ابن مرج الكحل اجتمعنا في حانوت بعض الاطبا باشبيلية فاضجرناه بكثرة جلوسنا عنده وتعذرت المنفعة عليه من اجلنا فانشدنا •

خففوا عنا قليلا • رب ضيق في براح
هل شكوتم من سقام • او جلستم للفصاح

فاصغنا اليهما ثالثا وانشدته اياه على سبيل المداعبة

انا اتيتم فرادى • ذاك حكم المستراح

وذكر ابو محمد غانم بن الوليد مجلسا بادريس بن جوس فوسع له على ضيق كان فيه

فقال

صير فوادك للمحبوب منزلة • سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة • فقلما تسع الدنيا بغيضين

ودخل على ابي جعفر اللمائي بعض اصحابه عايدا في علته التي مات فيها وجعل يروح عليه بمروحة فقال ابو جعفر على البديه روحني عايدي

روحني عايدي فقلت له • لا لا تزد في على الذي اجد
اما ترى النار وهي خامدة • عند هبوب الرياح تتقد

وقال الاعلم ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن المنبطرنه

دعا لك خليلك واليوم طل • وعارض وجه الثرى قد بقل
لقدر من فلحا وشمامة • وابريق راح ونعم المحل
ولو شا زاد ولكنه • يلام الصديق اذا ما احتفل

وقال ابو عامر بن شنق الشاطبي •

ما احسن العيش لو ان الفتى ابدا • كالبدر يرجع تماما بعد نقصان
اذ لا سبيل الى تخليد ما ثرة • اذ لا سبيل الى تخليد جثمان

قال ابو الحسن اللورقي •

عجبا لمن طلب المحامد • ونمو يمنع ما لديه
والباسطا اماله • للخير لم يبسط يديه
لم لا احب الضيف او • ارتاح من طرب اليه
والضيف ياكل رزقه • عندي ويحمدني عليه

وقال ابو عيسى بن لبون ونمو من قواد المامون بن ذي النون

نفضت كفي من الدنيا وقلت لها • اليك عني فما في الحق اغتبن
من كسر بيتي لي روض ومن كتبي • جليس صدق على الاسرار موتمن
ادري به ما جرى في الدهر من خبر • فعنده الحق مسطور ومختزن

وما مصابي

وما مصابي سوى موتي ويدفنني • قوم وما لهم علم بمن دفنوا

وقال ابو عامر بن الحمارة •

ولي صاحب اخو عليه واتقه • ليوحشني حينا فلا اتوجع
انيم مكاني ما جفاني وربما • نبا لمني الرجي فلا امتنع
كاني في كفيه غصن اراكة • يميل على حكم النسيم ويرجع

وقال ابو العباس بن المسعود •

نبا القلب عن الاحباب منصرف • يهوى اجتنه ما خاب لسر الملطر
مثل السجنجل فيه الشخص يبتصر • حتى اذا طاب لم يترك به اثرا

ومرض ابو الحكم بن غلندة فعاده جماعة من اصحابه فيهم فتى صغير السن موفاه من بين ما اوجب تغييرهم فتفطن لذلك وانشدهم ارتجالا

تكثر من الاخوان للدهر عدة • فكثرة در العقد من شرف العقد
وعظم صغير القوم وابدا بحقه • فمن خنصري كفيك تبدا بالعقد

وقال القاضي ابو موسى بن عمران •

ما للتجارب من مدى • والمرء منها في ازدياد
قد كنت احسب ذا العلا • من حاز علما واستفاد
فاذا الفقيه بغير مال • كالخباء بلا عماد
شرف الفتى بنضاره • ان الفقير اخو الجماد
ما الحلم الا جوهر • قد بيع في سوق الكساد

وقال ابو بكر بن الجزار السرقسطي •

اياك من زلل اللسان فانما • عقل الفتى في لفظه المسموع
والمرء يختبر الاناء بنقرة • ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال ابو عامر احمد بن عبد الملك بن شهيد تناول بعض اصحابنا نرجسة فركبها في وردة ثم دفعها الي والي صاعد وقال قولا فابهمت دونها ابواب القول فدخل الرميري وكان امتيا لا يذكر من الكلام الا ما علق بنفسه في المجالس وينفذ مع هذا في مطولات الاشعار فاشرابي وجعل يتولد ونرويه

ما للاديبين قد اعيتهما • مليحة من ملح المحنة
نرجسة في وردة ركبت • كمقلة تطرف في وجنة

وقال ابو محمد بن حزم في طوق الحمامة •

خلوت بها والراح ثالثة لنا • وجنح ظلام الليل قد مد واعتلج
فتاة عدمت العيش لا ابتغيها • فهل في ابتغا العيش ويحك من حرج
كاني وهي والكاس والخمر والدجى • حيا وثرى والدر والتبر والسبج

قال وهذه خمس تشبيهات لا يقدر احد على اكثر منها اذ تفنيق الاعاريض عنه

قال ابو عامر بن مسلمة ولا اذكر مثلها الا قول بعض

فامطرت لؤلؤا من نرجس فسقت • وردا وعضت على العناب بالبرد

الا انه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم بل اكتفى بالعلم في التشبيهات

قال ومن اغرب ما وقع الي من التشبيهات في بيت قول ابن برون الاكشوني الاندلسي

يصف فرسا وردا اغر محجلا •

فكان غرته وتحجيلاته • خمس من السوسان وسط شقايق

قال ومذا على التحقيق ستة على ستة ولم اسمع بمثله لاحد قال ابن الجلاب

وكلام ابي عامر هذا لا يخلو من المنتقد وقال ابن صارة

انظر الى البدر واشراقه • على غدير موجه يزهر

كمسجد من حجر اخضر • خط عليه ذهب احمر

وقال ابو القاسم بن العطار الاشبيلي

ركبنا سما النهر والجو مشرق • وليس لنا الا الحباب نجوم

وقد البسته الايك برد ظلالها • وللشمس في تلك البرود رقوم

وقال ابن صارة

والنهر قد رقت غلالة صبغه • وعليه من ذهب الاصيل طراز

تترقرق الامواج فيه كانها • عكن الخصور تضمها الاعجاز

وقال سهل بن مالك •

ورب يوم وردنا فيه كل مني • وقل في مثل ذاك اليوم ان يردا

في روضتين بشطي سلسل بسم • كما اخليت من المحبوب معتقدا

يبدد القطر في شاتيه حلقا • فتنظم الريح منها فوق زردا

وقال ابن صارة

انظر الى النهر في تصفيقه عروس • صبغته بزعفران العشي

ثم لما هبت النسيم عليه • هز عطفيه في دلاص الكمي

ولبعضهم في شكل يري الماء نحو فاسل الحبا وتمزقه الريح احيانا

ومطنب للماء اما اوتاده • الا انتاج فكر طبت حاذق

لعبت به ايدي الصبا فكانها • ايدي الصبابة بالفواد لعاشق

وقال صفوان بن ادريس يصف تفاحة في ماء

فلم ار فيما تشتهي العين منظرا • كتفاحة في بركة بقرار

يفيض عليها ماؤها فكانها • بقية خد في احضرار عذار

وقال ابو جعفر بن وضاح في دولاب

وباكية

وباكية والروض يضحك كلما • الحت عليه بالدموع السواجم

يروقك منها ان تاملت نحوها • زابر اسود والتفات اراقم

تخلص من ماء الغدير سبايكا • فتنبتها في الروض مثل الدراهم

وقال الوزير ابن عمار

يوم تكاثف غيمه فكانه • دون السما دخان عود اخضر

والطل مثل برادة من فضة • منثورة في تربة من عنبر

والشمس احيانا تلوح كانها • امة تعرض نفسها للمشتري

وقال ابو الحسن بن سعد الخير •

لله دولاب يفيض بسلسل • في روضة قد اينعت افنانا

قد طارحته بها الحمايم شجوها • فيجيبها ويرجع الالحانا

فكانه دنف يدور بمعهد • يبكي ويسال فيه عمن بانا

ضاقت مجاري طرفه عن دمعه • فتفتحت اضلاعه اجفانا

وقال ابن ابي الخصال •

وورد جنيي طالعتنا خدوده • ببشر ونشر يبعثان على السكر

وحف ترنجان به فكانه • خدود العذارى في متانعها الخضر

وقال ابن صارة

يا رب نارنجة يلهو النديم بها • كانها كرة من احمر الذهب

او جذوة حملتها كف قابسها • لكنها جذوة معدومة اللهب

وقال الخفاجي

ومياسة تزهى وقد خلع الحيا • عليها حلى حمرا واردية خضرا

يذوب بها ريق الغمامة فضة • ويجمد في اعطافها ذهبا نضرا

وقال ابن صارة ايضا

ونارنجة لم يبدع حسنها • لعيني في غيرها مذهبا

فطورا اري لهبا مضرما • وطورا اري سفنا مذهبا

وقال ابن وضاح في السرو

ايا سرو لا يعطش نباتك الحيا • ولا ينزع اعطافك الخضل النضر

وقال ابو اسحاق الخولاني •

نيلوفر شكله كشكلي • يعوم في ابحر الدموع

قد البسته عطفه دروعا • جود لريح الصبا شموع

يلوح اذ لونه كلوني • من فوق تخضخاضه يموج

مثل مسامير مذهبات • في محلقات من الدروع

وقال ابن الابار

وسوسنات ارت من خشبها بدعا • ولم يزل عصر مولانا يري بدعه
شبيهة بالثريا في تالقها • وفي تالقها تلتاح ملتمعه
هامت بيمناه تبتغي ان يقبلها • واستشرفت تجتلي مراه مطلعه
ثم انثني بعضها من بعضها علبا • علي البدار فوافت ومني مجتمعه

ورفع هذه الابيات الي الامير ابي زكريا وقال حازم

لانور يعدل نور اللوز في انق • وبهجة عند ذي عدل وانصاف
نظام زهر بطل الدر منتثرا • عليه من كل هامي القطر وكاف
بينا تري ذنبي اصداف الدرحبي • بيض عدت درا في حضر اصداف

وقال ابن سعد الخير في رمانة •

وساكنة في ظلال الغصون • بروض يروقك افنانه
تفتحت لنا ابها فيه اذ • غدا الجو تدمع اجفانه
كما فتح الليث فاه وقد • تضرج بالدم اسنانه

وقال ابن نزار الوادياشي •

وربما تر فرفض عنها ختامها • حبيب اعار البدر بعض صفاته
فكسر منها نهد عذراء كاعب • ونا ولني منها شبيه لثاته

وقال بعضهم في الغرنيا ويقال له بالمغرب حب الملوك

ودوح تهدل اغصانه • دعي الدهر من حسنه ما اشتهي
فما احمر منه فصوص العقيق • وما اسود منه عيون المهي

وقال بعضهم

فابن معاهد الحسن فيها • والاهين التقاء البهجتين
وللاوتار والاطيار فيها • لدي الاسحار اطرب سامعين
فكم بدر يجلي من رباها • ومن بطحايها في مطلعين
واغيد يرتقي من تلقيها • ومن ثمر القلوب بثمرتين
اذا انثوي لسوسنة بيمنا • عجبت من التقاء السوسنتين
وكم يوم ترشح من سناه • ومن زهرانها في حلتين
وراح اصيله ما بين نهر • ودولاب تدور بمسمعين
بنهر كالسماك يجول فيه • سحابيين ظلال الدوحتين
تدرع للنواسم حين هزت • عليه كل غصن كالرديني
ملاعب في غرامي عند ذكري • صباه وغضنه المنلاعبين

وقال الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هاني

بلحرقة

يا حرقة البين كويت الحشا • حتي اذبت القلب في اضلعه
اذكيت فيه النار حتي غدا • ينساب ذاك الذوب من مدمعه
يا سؤل هذا القلب حتي متي • يوسي برشف الريق من منبعه
فان في الشهد شفا الوري • لا سيما ان مص من مكرعه
والله يدني منكم عاجلا • ويبلغ القلب الي مطمعه

ولو لم يكن للاندلسيين عن كتاب شذور الذهب لكفاهم دليلا علي البلاغة ومولفه هو علي بن موسي بن علي بن محمد بن خلف ابو الحسن الانصاري الجياني نزيل فاس وبها [ا]لخطا[بة] ولم ينظم احد في الكيميا مثل نظمه بلاغة معانيه وفصاحة الفاظ وعذوبة تراكيب حتي قيل فيه انه يعلم صنعة الذهب علم الادب وفي عبارة بعضهم ان فاتك ذهبه لم يفتك ادبه وقيل فيه انه شاعر الحكما وحكيم الشعرا وتوفي رحمه الله سنة ثلاث وتسعين وخمسماية ولنذكر هنا نبذة من سرعة بديهة اهل الاندلس وان مرت من ذلك جملة وستاتي ابيضا زيادة علي الجميع فنقول قال في بدايع البدايه ما صورته روي عبد الجبار بن حمديس الصقلي قال صنع عبد الجليل بن وهبون المرسي الشاعر لنا نزهة بوادي اشبيلية فاقمنا فيه يوما فلما دنت الشمس للغروب هبت نسيم ضعيف غضن وجه الما فقلت للجماعة اجيزوا حاكت الريح من الما زرد فاجازه كل منهم بما تيسر له فقال لي ابو تمام غالب ابن رباح الحجاج كيف قلت يا ابا محمد فاعدت القسيم له فقال اي درع لقتال لو جمد انتهي وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يخالف هذا فليراجع في محله ثم قال صاحب البدايع البدايه بعد ما سبق ما صورته وقد نقله ابن حمديس الي غير هذا الوصف فقال •

نثر الجو علي الترب برد • اي در لنحور لو جمد

فتناقص المعني بذكر البرد وقوله لو جمد اذ ليس البرد الا ما جمد السرد اللهم الا ان يريد بقوله لو جمد لو دام جموده فيصح وبعد عن التحقيق ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف نوارة •

ولربما سلت لنا من مائها • سيفا وكان من اللواظ معمدا
طبعته لجيا فرانت صفحة • منه ولو جمدت لكان مهندا

وقد اخذت انا هذا المعني فقلت اصف روضا

ولو كان ذاك النبت كان زبرجدا • ولو جمدت انهارها كن بلورا

وهذا المعني ماخوذ من قول علي التونسي الايادي من قصيدته الطاينه المشهورة

اللولو قطر هذا الجو نقط • ما كان احسنه لو كان يلتقط

والمعني كثير للمتقدمين قال ابن الرومي من قطعة في العنب الرازقي

لو انه يبقى على الدهور • قرطا اذان الحسان الحور

قال على بن ظافر واخبرني من اثق به قال ركب المعتمد على الله ابو القاسم ابن عباد للنزهة بظاهر اشبيلية في جماعة من ندمائه • وخواص شعرائه • فلما ابعد اخذ في المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين البساتين سابقا فراى سجرة تين قد اينعت وزهت وبرزت منها تينة قد بلغت وانتهت فسددليها عصى كانت في يده فاصابها وثبتت على اعلاها فاطربه ما راى من حسنها وثباتها والتفت ليخبر بها من لحقه من اصحابه فراى ابن جامع الصباغ اول من لحق به فقال اجز • كانها فوقا لعصى • فقال • هامة زنجي عصى • فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله وامر له بجائزة سنية • قال ابن ظافر واخبرني ايضا ان سبب اشتهار ابن جامع هذا ان الوزير ابا بكر بن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الاندلس لا يستقر ببلد ولا يستغني عن وطن وطن وكان كثيرا لتطلب لما يصدر عن ارباب المهن من الادب الحسن فبلغه خبر ابن جامع هذا قبل اشتهاره فمر على حانوته وهو اخذ في صناعة صباغه والنيل قد جر على يديه ذيلا • واعاد نهارهما ليلا • فاراد ان يعلم سرعة خاطره فاخرج زنده وبه بقية من عز سود واشار الى يده وقال • كم بين زند وزند • فقال • ما بين وصل وصد • فتعجب من حسن ارتجاله ومبادرته العمل واستنجاله • وجذب بضبعه • وبلغ في الاحسان اليه غاية وسعه • وبلغني ايضا انه دخل سرقسطة • فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطي فمر عليه • واللحم جزور بين يديه • فاشار ابن عمار الى اللحم وقال لحم سباط الخرفان مهزول • فقال • يقول يا مشتري من مهزول لوا انتهى • ولما صنع المتوكل على الله ابن الافطس صاحب بطليوس هذا القسيم الشعر خطه حسن • ارتج عليه فاستدعى ابا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التي اولها • الدهر يفجع بعد العين بالاثر • وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب وهو احد وزراء دولته • وخواص حضرته فاستجازه اياه فقال • لكل طالب عرف • للشيخ عيبة عيب • وللفتى ظرف ظرف • وذكر ابن بسام في الذخيرة ان قايل القسيم الاول الاستاذ ابو الوليد ابن ضابط وان عبد المجيد اجازه ارتجالا وهو ابن ثلاث عشر سنة وقد ذكرنا ما يغرب من ذلك في هذا الكتاب وقال ابن الغليظ المالقي قلت يوما للاديب ابي عبد الله ابن السراج المالقي ونحن على جرية ما اجز • سرنا على ماء كان خرير • فقال • بدمها بكا محب بان عنه حبيب فمن كان مشغوفا كئيبا بالغنى • فاني مشغوف به وكئيب • وذكر ابن بسام

وفي الذخيرة

في الذخيرة انه اجتمع ابن عبادة وابن القابلة السبتي بالمرية فنظرا الى وسيم يسبح في البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عبادة اجز انظر الى البدر الذي لاح لك • فقال ابن القابلة • في وسط اللجة تحت الحلك • قد جعل الماء سماء له • واتخذ الفلك مكان الفلك • وقال ابن عامر بن شهيد لما قدم زهير العتقلي الى حضرة قرطبة من المرية وجه وزيره ابو جعفر بن عباس الى لمة من اصحابنا منهم ابن برد وابو بكر المرواني وابن الحياط والطبني فحضروا اليه فسالهم عني وقال وجهوا اليه فوافاني رسوله مع دابة بسرج حلي ثقيل فسرت اليه ودخلت المجلس وابو جعفر غايب فتحفز المجلس لدخولي وقاموا جميعا الى حين طلع ابو جعفر علينا ساحبا ذيلا ولم ار احدا سحبه قبله وهو يترنم فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال فرد ردا لطيفا فعلمت ان في انفه نعرة لا تخرج الا بسعوط الكلام • ولا تزام الا بمستحصد النظام ورايت اصحابي يصيخون الى ترنمه فقال لي ابن الحياط وكان كثير الاتكا علي حياك في المحافل لما دنوا الى الوزير حضرة قسيم وهو يستدعي لنا اجازته فقلت اني المراد فانشدته فانشد • مرض الجفون ولثغة في المنطق • فقلت لمن حضر لا تجهدوا انفسكم فالمراد غيري • ثم اخذت الدواة فكتب

فاستنشدته

سببان جرا عشق من لم يعشق •

من لي بالثغ لا يزال حديثه • يذكي على الاحشا جمرة محرق

ينبي فينبو في الكلام لسانه • فكانه من خمر عينيه سقي

لا تنعش الالفاظ من عثراتها • لو انها كتبت له في مهرق

ثم قمت عنهم فلم البث ان وردوا علي واخبروا ان ابا جعفر لم يرض بما جئت به من البديهة وسالوني ان احمل مساوي الحجا على حماره فقلت

ابو جعفر كاتب محسن • مليح سي الخط والخطابه

تملا ستيما ولحما ودما • بليق تملاه بالكتابه

له عرق ليس ماء الحياه • ولكنه رشح ماء الجنابه

جرى الماء في سفله جري لين • فاحدث في العلو منه صلابه

وذكر الوزير ابو بكر بن اللبانة الداني في كتابه سقيط الدرر ولقيط الزهر ان المعتمد ابن عباد صنع قسيما في القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهي وهو سعد السعود يتيه فوق الزاهي ثم استجاز الحاضرين فعجزوا فصنع ولده عبد الله الرشيد وكلاهما في حسنه متناهي •

ومن عندي ساكنا لمثل محمد • قد حل في العليا عن الاشباه

لا زال يبلغ فيهما ما شاءه • ردهت عداه من الخطوب دواهي

وخرج القاضي الفقيه ابو الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة احد رؤسا الغرب الاوسط في جماعة من اصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الاشبوني في رجل يسمى بابي موسى خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث بالحاضرين بابيات من الشعر يعقبها فيهم فصنع القاضي ابو الحسن معابثا له

وشاعر اثقل من جسمه • ثم استجاز ابن سوار فقال

تاتي معانيه على حكمه •

يهجو فلا يهجى فمثل عندكم • ظلامة تعدي على ظلمه

لسانه في هجوه حية • منية الحية في سمه

يصيب سر المرء في رميه • كانما العالم في علمه

اما ابو موسى ففي كمه • عصا ابيه والسحر في نظمه

وفي المقتبس في تاريخ الاندلس ان الامير عبد الرحمن خرج في استفتاح ثم طرقه خيال جاريته طروب ام ولده عبد الله وكانت اعظم حظاياه عنده وارفعهن لديه • لايزال كلفا بها • هائما بحبها فانتبه وهو يقول

شاقك من قرطبة الساري • في الليل لم يدر به الداري

ثم ابته عبد الله بن الشمر نديمه واستجازه كمال البيت فقال

زار فحيي في ظلام الدجى • احبب به من زاير ساري

وصنع الامير عبد الرحمن المذكور في بعض غزواته قسيما وهو •

نزي الشي مما نتقي فنهابه • ثم ارتج عليه وكان عبد الله بن الشمر نديمه وشاعره غايبا عن حضرته فانا دمن بحيره فاخبر بعض قواده محمد بن سعيد الزجالي وكان يكتب له فانشده المقسم فقال • وما لانري مما يقي الله اكثر

فاستحسنه واجازه وحمله ذات تحسانه على ان استوزره وذكر ابن بسام ان المعتمد ابن عباد امر بصياغة غزال وهلال من ذهب تصنيعا فجا وزنهما سبعماية مثقال فاهدى الغزال الى السيدة ابنة مجاهد والهلال الى ابنه الرشيد فوقع له الى ان قال

بعثنا بالغزال الى الغزال • وللشمس المنيرة بالهلال

ثم اصبح مصطبحا وجا الرشيد فدخل عليه • وجا الندما والجلسا فيهم ابو القاسم ابن مرزبان فحكى لهم المعتمد البيت وامرهم باجازته فبدر ابن مرزبان فقال

فتا سكني ابوه بها فوادي • وذا يجلي افلاك المعالي

شغلت بذا وذا خلدي وعيني • ولكني بذا الدرجي بالي

دفعت الى يديه زمام ملكي • معلي بالصوارم والعوالي

فقام يقر عيني في مضاه • ويبلك منكي في كل حال

فدمنا للعلا ودام فينا • فانا للسماح وللنزال

ولما انشد ابو القاسم بن العطار في قول عبد الله بن السمط

خاذ طرف تاملك • ملك انت او ملك • قال بديهيا

بل تعاليت رتبة • فلك الارض والفلك

وذكر ابن بسام في الذخيرة انه غني يوما بين يدي العالي بالله الادريسي بمالقة بيت لعبد الله بن المعتز •

على ترك البين يحتال • ان عدت للحي احمال

فامر الفقيه ابا محمد غانم بن الوليد المالقي باجازته فقال بديهيا

انما العالي امام هدي • حليت في عصره الحال

ملك اقبال دولته • لذوي الاجرام اقبال

قل ان كدت مطالبه • واحتاه الجاه والمال

وغني ابو الحسن زرياب يوما بين يدي الامير عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين وهما لابي العتاهية

قالت ظلوم سمية الظلم • ما لي رايتك ناحل الجسم

يا من رمى قلبي فاقصده • انت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن هذان البيتان منقطعان فلو كان بينهما ما يوصل لكان ابدع فصنع عبيد الله بن قرناس بديهيا •

فاجبتها والدمع منحدر • مثل الجمان وهي من النظم

فاستحسنه وامر له بجايزة وذكر ابن بسام ايضا ان المعتمد بن عباد غني بين يديه بقول ابن المعتز •

وخمارة من بنات المجوس • ترى الزق في بيتها شايلا

وزنا لها ذهبا جامدا • فكالت لنا ذهبا سايلا

فقال بديهيا يجيز •

وقلت خذي جوهرا ثابتا • فقالت خذوا عرضا زايلا

لعله فكالت

وركب المعتمد في بعض الايام قاصدا الجامع • والوزير ابو بكر بن عمار يسايره فسمع اذان موذن فقال المعتمد •

هذا الموذن قد بدا باذانه • فقال ابن عمار

يرجو بذاك العفو من رحمانه • فقال المعتمد

طوبى له من شاهد بحقيقة • فقال ابن عمار

ان كان يعقد ضميره كلسانه • وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلي اقمت باشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت الي ولا يعبا بي حتى قنطت لخيبتي مع فرط تعبي • وهممت بالنكوص على عقبي فاني كذلك ليلة من الليا

في منزلي اذا ببلام معه شمعة ومركوب فقال لي اجب السلطان فركبت من فوري
ودخلت عليه فاجلسني على مرتبة فنك وقال لي افتح الطاقا التي تليك
ففتحتها فاذا بكوز زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه ووا قدة تفتحها
تارة وتسدها اخرى ثم ادام سد احديهما وفتح الاخرى فحين تاملتهما قال الحاجز

انظر ثمما في الظلام قد بحما • فقلت
كانا في الدجنة الاسد • فقال
يفتح عينيه ثم يطبقها • فقلت
فعل امرئ في جفونه رمد • فقال
فابتزه الدهر نور واحدة • فقلت
وهل بجار من صرفه احد • فاستحسن ذلك وامر لي بجايزة

سنية والزمني خدمته وقد ذكرنا هذه الحكاية في هذا الكتاب ولكن ما
هنا اتم مساقا فلذلك نبهت عليه وذكر صاحب فرحة الانفس في اخبار اهل
الاندلس ان امير المومنين عبد الرحمن الناصر جلس في جماعة من خواصه ومعهم
ابو القاسم لب وكان يعبث بالمجون والنطايب فقال له ابو عبد الملك بن جهور يعني
احد وزرايه فقال الخافه فقال له عبد الملك فالمجانة فقال الخاف على عرضي منه فقال
المجون انا وانت ثم صنع •

لب ابو القاسم ذو لحية • كبيرة في طولها ميل

فقال عبد الملك

وعرضها ميلان ان كسرت • والعقل ما بونه ومحبول

فقال الناصر للب اهجه فقد هجاك • فقال بديهتا •

قال امير الله في عصرنا • لي لحية اذري بها الطول
وابن جهور قال قولا اتى • ما كله القرمطيل والغول
لولا حيائي من امام الهدى • نحنت بالمنحن شو ۲

ثم سكت فقال له الناصر هات تمام البيت فامتنع فقال له قولوا نغني تمام البيت
كله قال له الناصر منترسلا غير متحفظ من زيادة الواو وابدال الهاء واوا اذ
صوابها قلة على حكم المشي مع الطبع والراحة من التكلف فقال لب يا مولانا
انت بجونه فغطن الناصر والحاضرون وضحكوا وامر له بجايزة سوته ورق
عريض ما كله البقر وقوله سوا اسم الرجل بالرومية وقولوا اسم للالات بها فكانه
قال • لولا حيائي من امام الهدى • نحنت بالمنحن الذي نهوا الذكر اسننه وقال
ابن ظافر اجر في مرائق بر • قال اجتمع الوزير ابو بكر بن القبطرنه والاستاذ ابو العباس
ابن صان في يوم جلا ذهب برقه • واذاب ورق ودقه • والارض قد ضحكت لتعبيس

السما • واهتزت وربت عند نزول الما • فتراهدا في صفتها فقال ابن صان في
يوم جلا ذهب برقه • واذاب ورق ودقه • والارض قد ضحكت لتعبيس السما
واهتزت وربت عند نزول الما • فتراهدا في صفتها فقال ابن صان

هذي البسيطة كاعبا برادها • حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن القبطرنه

وكان هذا الجو فيها عاشق • قد شفه التعذيب والاضرار

فقال ابن صان

فاذا شكا فالبرق قلب خافق • واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنه

فمن اجل عزة ذا وذلة هذه • يبكي الغمام وتضحك الازهار

وقال ابو بكر محمد الزبيدي النحوي صاحب الشرطة يخاطب الوزير ابا الحسن
جعفر بن عثمان المصحفي لما كتب كتابا له فيه فاضت نفسه باصناد مبينا له
الخطا دون تصريح •

قل للوزير السني محتده • قد بهظ الاولين باهظها
لعمري عمرها ومغمزها • فيها ونظامها وجاحظها
قد كان حقا قبول حرمتها • لكن صرف الزمان لافظها
وفي خطوب الزمان لي عظة • لو كان يشفي النفوس واعظها
اذ لم تحافظ عصابة نسبت • اليك قدما فمن يحافظها
لا تدعن حاجتي مطرحة • فان نفسي قد فاظ فايظها

فاجابه المصحفي

خفض فوا قا فانت اوحدها • علما ونقابها وحافظها
كيف تضيع العلوم في بلد • ابناوهم كلهم يحافظها
الفاظهم كلها معطلة • ما لم يقول عليك لافظها
من فيه ابناويك ان نطقته قد • اقر بالعجز عنك جاحظها
علم ثني العالمين عنك كما • ثني عن الشمس من يلاحظها
وقد اتتني عذيت شاغلة • للنفس اذ قلت فاظ فايظها
فاوضحها تعرتبنا درج قد بهظ الاولين باهظها

فاجابه الزبيدي وضمن شعر المشاهد على ذلك

اتاني كتاب من كريم مكرم • فنفس عن نفس تكاد تغيظ
فسر جميع الاولياء وروده • وسيء رجالا اخرون وغيظوا
لقد حفظ العهد الذي قد اضاعه • لدي سواه والكريم حفيظ

وباحث عن غلطات وقبلي قالها • رجال لديهم في العلوم حظوظ
روى ذاك عن كيسان سهل وانشدوا • مقالا بني الغياظ وهو مغيظ
وسميت غياظا ولست بغايظ • عدوا ولكن للصديق تغيظ
ولا رحم الرحمن روحك حية • ولا هي في الارواح حين تغيظ

قلت وفي خطاب الوزير بهذا البيت وان حكي عن قايله ما لا يخفى ان اجتنابه المطلوب على انه قد يتاول فاضت نفسه بالضاد كما ذكره ابن السكيت في خلل الالفاظ له والله اعلم وكتب الزبيدي المذكور الى ابي مسلم بن فهد

ابا مسلم ان الفتى بجنانه • ومقوله لا بالمراكب واللبس
وليس ثياب المرء تغني قلامة • اذا كان مقصورا على قصر النفس
وليس يفيد العلم والحلم والحجى • ابا مسلم طول القعاد على الكرسي

وقال وقد استاذن الحكم المستنصر في الرجوع الى اهله باشبيلية ولم ياذن له فكتب الى جاريته سلمى •

ويحك يا سلمى لا تراعي • ولا يذر للبين من زماع
لا تحسبيني صبرت الا • كصبر ميت على النزاع
ما خلق الله من عذاب • اشد من وقفة الوداع
ما بينها والحمام فرق • لولا المناحات والنواعي
ان يفترق شملنا وشيكا • من بعد ما كان ذا اجتماع
فكل شمل الى افتراق • وكل شعب الى انصداع
وكل قرب الى بعاد • وكل وصل الى انقطاع

واجتمع جماعة من الادبا فيهم ابو الحسن سهل بن مالك والمهر بن الفرس وغيرهما بمدينة سبتة سنة ٥٨١ فتذاكروا محبوبا لهم يسكن الجزيرة الخضرا امامهم فقالوا ليقل كل واحد منكم شيا فيه فقال سهل بن مالك •

لما حططت بسبتة قتب النوى • والقلب يرجو ان يحول حاله
والجو مصقول الاديم كانما • يبدي الخفي من الامور صقاله
عاينت من بلد الجزيرة مكنسا • والبحر يمنع ان يصاد غزاله
كالشكل في المرآة تبصره وقد • قربت مسافته وعز مناله

فقال الجماعة والله لا يقول احد منا بعد هذا شيا ولما قرا ابو محمد عبد الله بن مطروح البلنسي صداق املاك عن فتية حال القراة لفظة عن برفع ما كان منصوبا او بالعكس انشد بديهة بعد الفراغ معتذرا عن لحنه

عثرت عثرا فصرت غيرا • وهكذا من يجد سيرا

فاجابه الحافظ ابو الربيع بن سالم الكلاعي وكان الى جانبه بديهة

ما انت

ما انتم من نطق منه • بنا النجم فظن خيرا

ووقف ابو امية بن حمدون بباب الاستاذ الشلوبين فكتب في ورقة ابو امية بالباب ودفع الورقة لخادم الاستاذ فلما نظر اليها الاستاذ نون تا امية ولم يزد على ذلك وامر الخادم بدفع الورقة اليه فنظر فيها ابو امية فانصرف علما منه ان الاستاذ صرفه فانظر الى فطنة الشيخ والتلميذ مع ان الشيخ منسوب الى التغفل في غير العلم ومن حكايات اهل الاندلس في العنوان ان المعتصم ابن صمادح كان قد احسن للنحلي البطليوسي ثم ان النحلي سار الى اشبيلية فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه •

ابادا ابن عباد البرابرا • وافني ابن معن دجاج القرى

وسمى ما قال حتى حل بالمرية فاحضر ابن صمادح لمنادمته واحضر للعشا موايد ليس فيها غير دجاج فقال النحلي يا مولاي ما عندكم في المرية لحم غير الدجاج فقال انما اردنا ان نكذبك في قولك وافني ابن معن دجاج القرى فطار سكر النحلي وجعل يعتذر فقال له خفض عليك انما ينفق مثلك بمثل هذا وانما العتب على من سمعه فاحتمله منك في حق من هو في نصابه ثم احسن اليه وخاف النحلي ففر من المرية ثم ندم فكتب الى المعتصم

رضي ابن صمادح فارقته • فلم يرضني بعده العالم
وكانت مرتبته جنة • فحيث عصا جاءه آدم
فانا الذي تتقنعه بالاحسان على بعد دياره • وخروج عن الخيار انتهى

وقال في بلنسية ابو عبد الله الرصافي وقد خرج منها صغيرا

بلادي التي ريشت قويدمتي بها • فريخا وآوتني قرارتها وكرا
مبادي لين العيش في ريق الصبي • ابى الله ان انسى اغتداري بها عمرا

وقال ابو بكر محمد بن يحيى السلطيشي

وفاة المرء سر لم يكاشف • ولم تثبت حقيقته درايه
سيفني كل ذي شبح ونفس • وتلتحق النهاية بالبدايه
وينصدع الجميع الى صدوع • تعود بها البرية كالبدايه
كان مصايب الدنيا سهام • لها الايام اغراض الرمايه
فقل ما شيت ان الفقر حد • وعش ما شيت ان الموت غايه

وقال ابو بكر محمد بن العطار الياسبي وهو من رجال الذخيرة

امطيت عزمك منه متن سابحة • خلت الحباب على لباتها لببا
تبدو على الموج احيانا وتضمرها • كالايم ينتسف الامصار والكثبا

وقال محمد بن الحسن الجبلي المذوي •

وما الانس بالناس الذين عهدتهم • بانس ولكن فقد رؤيتهم انس
اذا سلمت نفسي ودِيني منهم • فحسبي انا لعرض مني لهم ترس

وقال محمد بن حرب

طوبي لروضة جنة • لك قد لويت ورودها
نظمت علي لباتها • ايدي الغمام عقودها
وسقتها ماء الورد والمسك الفتيت صعيدها
والطير تشدو في الغصون • المايدات صعيدها
دفعير سمع المستعير • تطيمها وكنيدها

وكان في دار محمد بن اليسع شاعر الدولة العامرية وردة وكان يهدي كل
عام وردها الي عارض الجيش احمد بن سعيد فغاب العارض سنة فقال

قال لي الورد وقد • لاحظته في روضته
وهو قد اينع طيبا • جمع الحسن لديه
اين مولاي الذي • قد كنت تهديني إليه
قلت غاب العام فالـ • ـيأس ان تري بين يديه
فبدا يذبل حتي • ظهر الحسن عليه

وقال احمد بن افلح

ما اشترح الي حال الخمرها • بالبين قلبي وقبل البين قد ذهبا
ان كان لي ادب في العيش بعدكم • فلا قضيت اذا من حبكم اربا

وقال احمد بن قليد الكاتب •

لم ارض بالذل وان قل • والحر لا يحتمل الذلا
يا رب خل كان لي خاملا • صار الي العز ما خلا
حرمت الماء علي بابه • ووصل لم ارده حلا
نابي علي النفس من ازاري • يوما علي مستعمل كلا

وقال اسحاق بن المنادم فدا توي له من يهواه تفاحة

محاك العين في ورد الخدود • يذكر طيب جنات الخلود
وارجه من التفاح ترمي • بطيب النشر والحسن العزيد
اقول لها نفحت المسك طيبا • فقالت لي بطيب ابي الوليد

وقال غالب بن عبد الله المغربي

يا راحلا عن سواد المقلتين لقد • سواد قلبي عن الاضلاع قد رحلا
غدا الجسم وانت الروح فيه فما • ينفعك مرتحلا ما دام مرتحلا
بي الفراق جوي لو مر ابرده • من بعد فرقتكم بالما لا اشتعلا

وقال

وقال الوزير ابو الحسن بن الامام الغرناطي يهجو مراكش المحروسة

يا حضرة الملك ما اشهاك لي وطنا • لولا ضروب بلا فيك مصبوب
ما ذعاق وحق كله كدر • واكله من بذنجان ابن معيوب

وابن معيوب هذا كان من خدام ابي العلا بن زهر بن عم الناس ترسم ابن باجة
لعداوته لابن زهر في باذنجان ولما بني الفقيه ابو العباس بن القاسم قصره بسلا
وشيد فوصفته الشعرا وهنته به ودعت له وكان بالحضرة حينئذ الوزير ابو
عامر بن الحمارة ولم يكن اعد شيا فافكر قليلا ثم قال

يا واحد الناس قد شيدت واحدة • فحل فيها محل الشمس في الحمل
فما كدارك في الدنيا الذي امل • ولا كدارك في الاخري لذي عمل

وفيهم يقول ابن بقي في موشحته الشهيرة التي اخرها

انجيت ارض سلا • تلقاك بالمكارم فيدان
هم سطور العلا • ويوسف بن القاسم عنوان

وكان محمد بن عبادة بالمرية ومعه ابن القابلة السبتي فنظر الي غلام وسيم
وقد تعلق بمركب فقال ابن عبادة • انظر الي البدر الذي لاح لك

فقال ابن القابلة • في وسط اللجة يحكي الحلك
قد حل الماء مكان السما • واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابن خروف وبزوي لغنين •

ايتها النفس اليه اذهبي • فحبه المشهور من مذهبي
مفضض الثغر له شامة • مسكية في خده المذهب
ايا سني التوبة من حبه • طلوعه شمسا من المغرب

واجتمع في بستان ثلاثة من شعراء الاندلس وهم ابن خفاجة وابن عايشة
وابن الزقاق فقال ابن خفاجة يصف الحال هنالك

لله نورية المحيا • محل نارية الحميا
درنا بها حيث ظل دوح • قد راق مرأى وطاب ريا
تجسم النور فيه نورا • فكل غصن به ثريا

وقال ابن عايشة

ودوحة قد علت سماء • تطلع ازهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها • فخلتها ارسلت رجوما
كانما الافق غار لما • بدت فاغري بها النسيما

وقال ابن الزقاق

ورياض من الشقايق اضحت • يتهادي بها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلد منها • زهرات تزنك لونا الرياح
قلت ماذنبها فقال عجيبا • سرقت حمرة الخدود الملاح
وقال الاديب ابو الحسن بن زنون وقع بيدي وانا اسير بتيجاطة اعادها
الله دار اسلام كتاب ترجمته كتاب التحف والطرف لابن عفيون فوجدت فيه
قال الحسين بن الضحاك
•
ماكان احوجني يوما الى رجل • في وسطه الف دينار على فرس
في كفه حربة يفري الدروع بها • وصارم مرهف الحدين كالقبس
فلو رحيت ولم اظفر بحاجته • وقد حضنت ذبابا الصارم الشكس
فلا اغتبطت بعيش وابتليت بما • يحول بيني وبين الشادن الانس
ووقف على هذه القطعة ابن يونس فقال
ماكان احوجني يوما الى حنث • حلو الشمايل في باق من الغلس
في كفه قوت ليبي المتوس بها • يحكم الطرف للالباب مختلس
فلو رحيت ولم اظفر بنكته • وقد رويت من الصهبا كالقبس
فلا هنيت بعيش وابتليت بما • يكون منه صدود الشادن الانس
هذا الذ واشهى من منى رجل • في وسطه الف دينار على فرس
ووقف على ذلك الوزير ابو عامر بن شنق فقال
ماكان احوجني يوما الى رجل • يردد الذكر في باق من الغلس
في خلعة غنة يتلى المتوس بها • وفي الجنان زفير مشبوب القبس
فلو رحيت ولم اوتر تلاوته • على سماع غنا الشادن الانس
فلا جرت اذا نفسي ولا اعتمدت • بي النجايب قصدا لبيت في القدس
ولا اسلت بغير المصطفى مقلا • تبكي عليه بهامي الدمع منبجس
فوقف على ذلك ابو الوليد ابن زنون فقلت وكل ينفق مما عنده ومن عجايب صنع الله
انه عند فراغي من كتب هذه القطعة وصل الفكاك وحل قيودي واخرجني
الى بلاد المسلمين وهي
•
ماكان احوجني يوما الى رجل • ياتي فينهضني في ظلمة الغلس
يفك قيدي وغلى عن من تعب • ولا ايالي من الحجاب والحرس
ويقول لي تانيسا وتسلية • هذا سلاحي فالبسه وذا فرسي
فلو خبيت ولم اقبل مقالته • وامتطي الطرف ويا فعل مفترس
اذا خلعت لباس الحيد من عنقي • وصار حظي منه حظ مختلس
واخلفتني اماني التي طمحت • نفسي اليها واقصاني لكل مسي
وقال ابو بكر بن جيش وقد زار بعضا وتابه في يوم عيد فطر

اكلة الاجمال في الجمال • الله استحفظ ذاك الجمال
يا مالكي بالبر رقي اما • يكفيك ان تملكني بالوصال
سرت اليه بعي ذورا كما • سري الى المهجور طيف الخيال
العيد لي وحدي بذا الورى • حالا الى قدر ايت الهلال
صوني مقبول وبرهانه • اني ادخلت جنان الوصال
وقال ابو بكر بن يوسف المهجي وقد عاده في شكاية فتى وسيم من الاعيان
كان والده خطيب البلد
•
يا عائدي ومتواصل بابي • اوذنيك من ممرض طبيب
اصميت لما رميت قلبي • بسهم الحاظك المصيب
وجيتني منكرا لسقمي • وتلك من عادة الحبيب
يا ساعة قد عفرت فيها • ماكان للدهر من ذنوبي
ماكان في فضلها مقال • لو لم تكن جلسة الخطيب
وخاطب ابو زيد بن ابي العافية ابا عبد الله بن العطار القرطبي بقصيدة
منها هذا البيت
•
وكيف يفيق ذو صبر قصير • حليف وساوس حول طوال
يعرض له بطوله وحوله ولصاحبه ابي محمد بن بلال بقصر فراجعه ابو عبد الله
المذكور بهذه الابيات يعرض له فيها بجربه وكان ابو زيد مصابه جرب كبير
اجل يا نافث السحر الحلال • اتاني منك نظم كاللالي
يروقك او لا لفظا ومعنى • ويلذع اخرا لذع الصلال
تعرض فيه انك ذو مطال • حليف وساوس حول طوال
كانك لم تجرب قط خلقا • ولم تعرف بتجربة الليالي
انسيت التجارب اذ تجاري • بمن الجربيا مع الشمال
فلا تغفل عن التجريب يوما • ولو اعطيت فيه جراب مال
وجرب جاريتك واخبر • وجرب خله ان كان قالي
وجاريتك لا تستحي منه • ومن جاريابك لا تبالي
واجربيا بك الحرباء تبصر • نجوم الافق تجري بانتقال
وجرب المجربة تلقى يوما • ابو لبس الجوارب والنعال
تجارا باعة تجرا بزيت • لتسموا بالتجار بغير مال
اذا اسموا بتمر في جريب • جروا بيطا التمر البوال
اذا جربت هذا الخلق ابدى • لك التجريب اجربة خوالي
جربي بالبيخ دمرحر بونسا • عليك وجاربا لنوب السمال

وخرج ثلاثة ادبا للنزهة خارج مرسية وصلوا خلف امام مسجد قرية فاخطا في قراته وسها في صلاته فلما خرج احدهم كتب على حائط المسجد

يا مخجلي لصلاة • صليتها خلف خلف

فلما قراها الثاني كتب تحته •

اعض عنها حياً • من المهيمن طرفي

وكتب الثالث

فليس تقبل منا • لوانها الف الف

وقال ابو اسحاق بن خفيف في احدب اخذ مع صبي في خلوة فقربا وطيف بهما والاحدب على عنق الصبي •

رايت اليوم محمولا • واعجب منه من حمله

حمى الناس تحملهم • وهذا حامل حمله

وقال ابو الصلت الاندلسي •

وقايلة ما بال مثلك خاملا • اانت ضعيف الراي ام انت عاجز

فقلت لها ذنبي الى القوم انني • لما لم يحوزه من المجد حائز

وكتب بعض المغاربة لابي العباس بن مضا يذكره بخاله

ياغارسا لي بمار محبد • سقيتها العذب من زلالك

لخاف من زهرها سقوطا • ان لم تكن سقيها ببالك

وكتب الكاتب ابو عبد الله القرطبي مستنجزا وعدا

اباعيدا لا الدر وعدت وعدًا • فانجز منح الشكر الجميلا

ولا تمطل فان المطل يمحو • من الاحسان رونقه الصقيلا

اذا كان الجميل بحي طبعا • فاني اكره الصبر الجميلا

وكتب ابن هذيل الفزاري للغني بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب

ليس يا مولاي لي من جابر • اذ غدا قلبي من البلوى جذاذا

عن صلات حمز تكتب لي • فيه بمياك اعنتا صح هذا

وقال ابو الحسن بن الزقاق في غلام يهودي كان يجلس معه وينادمه يوم سبت

وحبب يوم السبت عندانني • ينادمني فيه الذي انا احببت

ومن اعجب الاشيا اني مسلم • حنيف ولكن خير ايامي السبت

وقال ابو حيان

ويعجبني رشف تلك الشفاه • وعض الخدود وهصر القوام

محاسن فاتت نصيب الادراك • ووزد الرياض وكاس المدام

وكتب احد الادبا بمرسية الى فتى وسيم من اعيانها كان يلازم حانوت

بعض القضاة

بعض القضاة بها للتفقه عليه بابيات في عرض فراجعه عنه ابو العباس بن سعد بقوله

ما للمحب لدى عز صبابة • تقضي عليه ولوعة وغرام

فدع الطماعة واسترح باليأس • وضل عليك الى الممات حرام

وقال ابن السمير

قرابة السوء شر داء • فاحمل اذا لم تعش حميدا

ومن تكن قرحة بعينه • يصبر على مصه العقد نيدا

وقال ابن خفاجه

ان للجنة بالاندلس • مجتلى حسن وريا نفس

فسنا صبحتها من شنب • ودجا ليلتها من لعس

فاذا ما هبت الريح صبا • صحت واشوقي الى اندلس

وقال بعض الاندلسيين ممن لم يحضرني اسمه الان •

اذا صار ذو ود بود صديقه • فيا ايها الخل المصاحب صاحبي

فاني مثل المال لنا لصاحبي • وناهيك للاعدا من رجل صلب

وقال ابو يحيى بن هشام القرطبي •

وخايط رايع جمالا • وصاله غاية اقتراح

تنعم منه الخيوط قبلا • بين اقاح وبين راح

تراه في السلم ذا طعان • بنا فنات بلا جراح

حلقته اشبهت فوادي • لكثرة الوخز في السواج

تنطى الموبر احشاه • كصنع الحائط الملاح

فقبله ما رايت بعدا • ممزقا بردة الصباح

وقال ابو جعفر احمد بن عبد الولي البلنسي •

عضبنا الثريا في البعاد مكانها • واودعت في عيني صادق نوبها

وفي كل حال لم تزل لي بخيلة • فكيف اعرت الشمس حلة صونها

قال ابن الابار انشد مولف قلايد العقيان هذين البيتين لابي جعفر البني اليعمري واحدهما غالط من قبل اشتباه نسبهما والتفرقة بينهما مستوفاة في تاليفي المسمى بهداية المعتسف في المؤتلف والمختلف انتهى وابو جعفر بن عبد الله الولي المذكور احرقه القنبيطور لعنه الله حين تغلبه بالروم على بلنسية قال ابن الابار وذلك في سنة ثمان وثمانين واربعماية وقيل ان احراقه كان سنة تسعين واربعماية انتهى وقال ابو العباس التيجاني فيما انشده لابن الطبلسان

لبس الجمود بعار • على امرء ذي جلال

فليلة القدر تخفى • وتلك خير الليالي

وقال ابو محمد بن حجاف المعافري البلنسي •

اقول وقد خوفوني الفراق • وما هو من شان كاين

ذنوبي اخاف فاما الفراق • فاني من شانه امن

والبو احمد هو المحرف ببلنسية كما ذكرناه في غير هذا الموضع وقال ابو العباس المالقي

وبين ضلوعي للصبابة لوعة • بحكم الهوى تقضي علي ولا اقضي

جنى ناظري منها على القلب ما جنى • فيا من راى بعضا يعين على بعض

ودخل ابو القاسم بن عبد المنعم وكان ازرق وسيما ومعه ابو عبد الله الشاطبي

وابو عثمان سعيد بن فوسترة على صاحب كتاب مشاحذ الافكار في ماخذ النظار

قال ابن فوسترة

عايوه بالزرق الذي بجفونه • والماء ازرق والسنان كذلك

فقال الشاطبي

فالماء يهدي للنفوس حياتها • والرمح يشرع للمون مسالكا

فقال ابو بكر بن طاهر صاحب كتاب المشاحذ

وكذاك في اجفانه سبب الردى • لكني ارى طيب الحياة هنالكا

وهذا من بارع الاجازة • وكم لاهل الاندلس من مثل هذا الديباج الخسرواني

رحمهم الله وسامحهم • وكتب الشيخ الامام العالم العلامة ابو عبد الله محمد ابن

الصايغ الاندلسي النحوي عند قول بيتي الحريري امنا ان يعززا بثالث ما نصه

فذجي لهما بثالث ورابع في قافيتهما وهو قول بعض الفضلا

ما الامة اللكعا بين الورى • كمسلم حر ابي ملامه

فهذا استجديت عن قول لا • فالحر لا يملا منها فمه

ثم قال وخامس وسادس •

انقد هوى ارن فانثني • منه يا عذولي في الذي انقدمه

مندمة فل المعنى فلا • ترسل بها اللحظ تامن دمه

انتهى قلت ورايت في المغرب من هذا المعنى ما ينيف على سبعين بيتا كلها

مساجلة لبيتي الحريري رحمه الله وقال ابو بكر عبادة الشاعر في ابي بكر

والد الوزير ابي الوليد بن زيدون •

اي ركن من الرياسة هيضا • وجموم من المكارم غيضا

حملوه من بلدة نحو اخرى • كي يوافوا به ثراه الاريضا

مثل حمل السحاب ماء طيبا • لتداوي به مكانا مريضا

وكان المذكور توفي في ضيعة له ونقل تابوته الى قرطبة فدفن في الربض سنة

٤٠٥ وولد سنة ٣٥٤ وقال ابو بكر بن قزمان صاحب الموشحات

جموم انه جاء كمارت السيار وفي الصحاح من الخيل الذي كلما ذهب جرى جاءه جري اخر من ترجمان الصحاح

وعهدي بالشباب وحسن قدي • حكى الف ابن مقلة في الكتاب

فصرت اليوم منحنيا كاني • افتش في التراب على شباب

وقال

يا رب يوم زارني فيه من • اطلع من غرته كوكبا

ذو شفة لمياء معسولة • ينشع من خديه ماء الصبا

قلت له هب لي بها قبلة • فقال لي مبتسما مرحبا

فذقت شيا لم اذق مثله • لله ما احلى وما اعذبا

اسعدني الله باسعاده • يا شقوتي يا شقوتي لو ابى

قال لسان الدين كان ابن قزمان نسيج وحده ادبا وظرفا ولوذعية وشهرة وقال

ابن عبد الملك كان اديبا بارعا حلو الكلام مليح التنوير مبرزا في نظم الزجل قال

لسان الدين وهذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكم فيها ألقاب البديع وتفسح

لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر وبلغ فيها ابو بكر رحمه الله مبلغا حجره الله

عمن سواه فهو ايتها المعجزة وحجتها البالغة • وفارسها المعلم والمبتدي فيها

والمتمم وقال الفتح في حقه مبرز في البيان • ومحرز للسبق عند تسابق

الاعيان • اشتمل عليه المتوكل على الله فرقاه الى مجالس • وكساه ملابس فامتطى

اسمى الرتب وتبواها • ونال اسنى الخطط وما تلاها • وقد اثبت له ما تعلم به

رفيع قدره • وتعرف كيف اساءله الزمان بغدره كقوله

ركبوا السيول من الخيول وركبوا • فوق العوالي السمر زرق نطاف

وتجللوا الغدران من ماذيهم • مرتجة الاعلى على الاكتاف

والماذي العسل والنطاف جمع النطفة وهي الماء القليل او الكثير وقال

الفقيه ابو بكر بن القوطية صاحب الافعال في اللغة والغريب في زمن الربيع

ضحك الثرى وبدا لك استبشاره • فاخضر شاربه وطر عذاره

ورنت حدايقه وازر نبته • وتعطرت انواره وثماره

واهتز ذابل كل ماء فارع • لما اتى متطلعا اذاره

وتعممت صلع الربى بنباته • وترنمت من عجمه اطياره

وقال في المطمح في حق ابن القوطية المذكور انه ممن له سلف ونبيته كلها شرف

وهو احد المجتهدين في الطلب • والمشتهرين بالعلم والادب • والمنتدبين للعلم

والتصنيف • والمرتبين له بحسن الترتيب والتاليف وكان له شعر نبيه واكثره

اوصاف وتشبيه انتهى • وقال القاضي الاجل يونس بن عبد الله بن مغيث

انوا حسية اذ قيل جد نحوله • فلم يبق من لحم عليه ولا عظم

فعادوا قميصا في فراش فلم يجد • ولا لمسوا شيا يدل على جسم

طواه الهوى في ثوب سقم من الضنا • فليس بمحسوس بعين ولا وهم

وقال في المطمح فيه انه قاضي الجماعة بقرطبة فاضل ورع مبرز في النساك والزهاد دائم الارق في التخشع والسهاد • مع التحقق بالعلم والتمييز بحمله • والتخير الى فئة الورع واهله • وله تاليف في الزهد والتصوف • منها كتاب المنقطعين الى الله وكتاب المجتهدين • واشعاره في هذا المعنى منها قوله •

فررت اليك من ظلمي لنفسي • واوحشني العباد وانت انسي
قصدت اليك منقطعا غريبا • لتونس وحدتي في قعر رمسي
وللعظمى من الحاجات عندي • قصدت وانت تعلم سر نفسي

ولما اراد المستنصر بالله غزو الروم تقدم الى ابي محمد والد بالكون في صحبته ومسايرته في غزوته فاعتذر بعذر نجد والم لا يجنح فقال له الحكم ان ضمن لي ان يولف في اشعار خلفائنا بالمشرق والاندلس مثل كتاب الصولي في اشعار خلفاء بني العباس اعفيته من الغزاة وجازيته افضل المجازاة فاجابه الى ما اراد فلما بلغ الموضع الذي اراد ان يكون فيه بالغنصر فزعم انه رجل من ولد ذلك الموضع ممتنع على من يسلم به ويزور فالف بدار الملك المطلة على النهر واكمله فيما دون شهر وتوفي المستنصر اذ ذاك انتهى وقال ابن سيدة صاحب المحكم يخاطب اقبال الدولة

الاهل الى تقبيل راحتك اليمنى • سبيل فان الامن في ذاك واليمنا

قال في المطمح الفقيه ابو الحسن علي بن احمد المعروف بابن سيدة امام في اللغة والعربية • وامام في الغية الادبية • وله في ذلك اوضاع للافهام اخلاقها استدرار واسترضاع • حررها تحريرا • واعاد طرف الذكا بها قريرا • وكان منقطعا الى الموفق صاحب دانيه • وبها ادرك اماني • ووجد عرده للعلم وقواعده • وتفرد بتلك الاراغه • ولاسيما كتابه المسمى بالمحكم • فانه ابدع كتاب واحكم • ولما مات الموفق دانين جاهه • ومبتغون واوضاحه • خاف من ابنه اقبال الدولة واطلعه به مكروها نعض من كان حوله • اذا امل الطلب لحنات مساوي • ففر الى بعض الاعمال المجاورة وكتب اليه منها مستعطفا

الاهل الى تقبيل راحتك اليمنى • سبيل فان الامن في ذاك واليمنا
فتنضي هموما طلحته خطوبها • ولا غاربا يبقين منه ولا متنا
غريب نائي الملوع عنه وشفه • هواهم فامسى لا يقر ولا يهنا
فيا ملك الاملاك اني محلأ • عن الورد لا عنه اذاد ولا ادنى
تحققت مكروها فاقبلت شاكيا • لعمري اماذون لعبدك ان يعنا
وان تتاكد في دمي لك نية • فاني سيف لا احب له جفنا
اذا ما غدا من حر سيفك باردا • فقدما غدا من برد نعماكم سخنا

وهل هي

وهل هي الا ساعة ثم تنقضي • ستقرع ما عمرت من ندم سنا
وما لي من دهري حياة الذها • فنجعلها نعمى علي ونمتنا
اذا ميتة ارضتك منا فهاتها • حبيب الينا ما رضيت به عنا

وقال الفقيه ابو محمد غانم بن الوليد المخزومي المالقي

صير فوادك للمحبوب منزلة • سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة • فقلما تسع الدنيا بغيضين

وله

العقل اولى بوقار الفتى • من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة • كان على ايامه بالخيار

وقال في المطمح فيه انه عالم متقن • وفقيه مدرس • واستاذ مجود • وامام لاهل الاندلس مجود • واما الادب فكان اجل شرعته • ونور اشرف نفسه • مع فضل وحسن طريقة • وجد في جميع اموره وحقيقته • انتهى وقال الحافظ المحدث ابو عمر بن عبد البر يوصي ابنه محفوظا •

تجاف عن الدنيا وهون لقدرها • ووف سبيل الدين بالعروة الوثقى
وسارع بتقوى الله سرا وجهرة • فلا ذمة اقوى هديت من التقوى
ولا تنس شكر الله في كل نعمة • يمن بها فالشكر مستجلب للنعمى
فدع عنك ما لا حظ فيه لعاقل • فان طريق الحق ابلج لا يخفى
وشح بايام بقين قلائل • وعمر قصير لا يدوم ولا يبقى
الم تر ان العمر يمضي موليا • فجدته تبلى ومدته تفنى
نخوض ونلهو غفلة وجهالة • وننشر اعمالا وتعمالنا تطوى
تواصلنا فيه الحوادث بالردى • وتنتابنا فيه النوايب بالبلوى
عجبت لنفس تبصر الحق بينا • لديها وتابى ان تفارق ما تهوى
وتسعى لما فيها عليه مضرة • وقد علمت ان سوف تجزى بما تسعى
ذنوبي اخشاها ولست بآيس • وربي اهل ان يخاف وان يرجى
فان كان ربي غافرا ذنب من نشا • فاني لا ادري اكرما ام احزى

وقال في المطمح الفقيه الامام العالم الحافظ ابو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر امام الاندلس وعالمها • الذي التاحت به معالمها • صحح المتن والسند وميز المرسل من المسند • وفرق بين الموصول والقاطع • وكسا الملة منه نور ساطع • حصر الرواة • واحصى الضعفاء منهم والثقاة • وجد في تصحيح السقيم وجدد منه ما كان كالكهف والرقيم • مع معاناة العلل • وارهاف ذلك العلل والتنبيه والتوقيف • والاتقان والتثقيف • وشرح المقفل • واستدراك

المنفل • والدنون هي للبشرية وتاج • وفي مفرق الملة تاج • اشتهرت الحديث
طلبا • وذرعت لمعرفته رتبا • وهبت لتفهم شمالا وصبا • وشفت منه وصبا • وكان
ثقة • ولا نفس على تفضيله متفقه • واما ادبه فانقر لجيته • ولا تدحض حجته
والشعر لم يجد منه الا ما نفث به انفه • واوصى فيه عن معرفه • ثم خلك قوله وقد
دخل اشبيلية فلم تلق فيها مبيتا • ولم ير من اهلها منزلا انسا • فاقام بها حتى
اخلقه مقامه • واطبقه اغتمامه • فارتجل وقال •

تنكر من كنا نسر بقربه • وصار زعاقا بعد ما كان سلسلا
وحق لجار لم يوافقه جاره • ولا لا يمته الدار ان يتحولا
بليت بحمص والمقام ببلدة • طويلا لعمري مخلق يورث البلا
اذا هان حر عند قوم اتاهم • ولم ينأ عنهم كان اعمى واجهلا
ولم تضرب الامثال الا العالم • وما عوتب الانسان الا ليعقلا

انتهى وقال الفقيه ابو بكر بن ابي الدودس •

اليك ابا يحيى مددت يد المنى • وقد ما غدت عن جود غيرك تقبض
وكانت كنور العين تلمع بالدجى • فلما دعاه الصبح لباه ينهض

وفي المطمح انه من ابدع الناس خطا • واصحهم نقلا وضبطا • اشتهر بالاقرا
واقتصر بذلك على الامرا • ولم يحط لسواهم • ومطل الناس بذلك ولواهم
وكان كثير التجول • لا يستقر في بلد • ولا يستظهر على حرمانه بجلد • فقذفته
النوى • وطردته عن كل ثوى • ثم استقر اخر عمره باغمات وهامات • وكان له
شعر بديع يصونه ابدا • وكان يمد به يدا • اخبرني من دخل عليه بالمرية فراه
في غاية الاملاق • ونبي في ثياب اخلاق • وقد توارى في منزله توارى المذ
وقعد عن الناس قعود مجتنب • فلما علم ما هو فيه • وترفعه عمن يجتديه
عاتبه في ذلك الاعتزال • واخذ حتى استنزله بنيف الاستنزال وقال
الفقيه له هلا كتبت الى المعتصم • فما في ذلك ما يصم فكتب اليه

اليك ابا يحيى مددت يد المنى • البيتين انتهى وقال الفقيه
القاضي ابو الفضل بن الاعلم حين اقلع واناب • وودع ذلك الجناب • وتزهد
وتنسك • وتمسك من طاعة الله بما تمسك • وتذكر يوما يتجرد من امله
وينفرد فيه بعمله •

الموت يشغل ذكره • عن كل معلوم سواه
فاعمل لربع ادكارك • بالعشية والغداه
واكحل بطرف اعتبارك • طول ايام الحياه
قبل ارتكاض النفس ما • بين الترايب واللهاه

فينال

فيناله هذا جعفر • رهن بما كسبت يداه
عصفت به ريح المنون • فصيرته كما تراه
فضعوه في اكفانه • ودعوه يجني ما جناه
وتمتعوا بمتاعه المحزون واحووا ما حواه
يا منظرا استبشعا • بلغ الكتاب به مداه
لفيتني خيره بشارة • تشفي فؤادي من جواه
ولعلني بعدك خير من • تباه ربي واجتباه
في دار خفض ما اشتهت • نفس المقيم بها اتاه

وقال في المطمح انه كمل الطريقه • وفتى الحقيقه • تدرع الصيانه • وبرع في
الورع والديانه • وتماسك عن الدنيا عفافا • وما تماسك النماسا باهلها
ولا التفافا • فاعتقل النهى • وتنقل في مراتبها • حتى استقر فيها في التناهي
وعطل ايام الشباب • ومطل فيها سعاد وزينب والرباب • الا ساعات وقفها
على المدام • وعطفها الى الندام • حتى تخلى عن ذلك واترك • واادرك من المعلومات
ما ادرك • وتعرى من الشبهات • وسرى الى الرشد مستيقظا من تلك السنات
وله تصرف في شتى الفنون • وتقدم في معرفة المفروض والمسنون • واما الادب
فلم يجار في ميدانه احد • ولا يستولي على احسانه فيه حصر ولا حد • وجده ابو
الحجاج الاعلم • هو خلد منه ما خلد • ومنه تقلد ما تقلد • وقد اثبت لابي
الفضل هذا ما يسقيك من الاحسان زلالا • ويريك سحر البيان حلالا • فمن ذلك
ما كتب به الي وقد مررت على شنترية بعد ما رحل عنا وانتقل • واعتقل من نوا
وبيننا ما اعتقل • وشنترية هذه داره • وبها كمل هلاله وابداره • وفيها
استقضى • وشيم مضاؤه وانتضى • فالتقينا بها على ظمى • وتعاطينا ذكر
ذلك الدهر • فجددت من شوقه • ما قد كان شب عن طوقه • فرامني على الاقامه
وسامني على ذلك بكل كرامه • فابيت الا النوى • وانثنيت عن النوى فودعني
ودفع الي تلك القطعة حين شيعني •

بشراي اطلعتنا لتسعود علي • افاق امسي بدرها كملا
وكسي اديم الارض منه سنى • فكست بسايطها به حللا
ايه ابا نصر وكم زمن • قصر ادكارك عندي الاملا
هل تذكرون العهد تحملني • هل تذكرنا ايامنا الاولا
ايام نغرس في اعتنتنا • ونجر من اذيالنا خيلا
ونحل روض الانس مونتنقا • ونحل سمس مرادنا الحملا
وتريك ليا لينا مساعفة • تدعو الينا رفيقنا الجذلا

ومن نقول على تذكر ● مات حتى قيل قد رحلا
عجت لزورتكم وما عرفت ● الا لتمحق كل ما فعلا

ووافيته عشية من العشايا ايام ايتلافنا ● وعودنا الى مجلس الطلب واختلافنا
وعودنا الى مجلس فريته مستنشرا فامتطلما يرتاد موضعا ● يقيم به لمغفور
الانس مرتبعا ولعدبه مرتفعا ● تحين مقلتي ● تقلدني اليه واغتقلني
وملنا الى روضة قد سندس الربيع في بساطها ● ودبج الزمرد انا اوساطها
فاستعرت النفوس فيها بسرورها وانبساطها ● فاقمنا بها نتعاطى كوس اخبار
ونتهادى لحاديث جمابذة واحبار ● الى ان نثر زعفران العشي ● وادنت الانس
خوف الظلام الوحشي ● فقمت وقام ● وعوج الرغب من السنتنا ما كان استقام

وقال

وعشية كالسيف الا حده ● بسط الربيع بها لنعلي خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا ● ما ضر ان كان جمعا وحده

وتنزه يوما بحديقة من حدايق الحضرة قد اطرد نهرها ● وتوقد زهرها ● والريح
يسقطه فينظم بلبه الما ● ويبتسم به فتخاله كصفحة خضرة السما فقال

انظر الى الازهار كيف تطلعت ● بسماوة الروض المجود نجوما
وكتساقطت فكان مسترقا دنا ● للسمع فانقضت عليه رجوما
ترمي الرياح لها نثيرا زهرة ● فتمد في شاطيه رقيما

وله يصف قلم يراعه وبرع في صنعته اعظم براعه ●

ومهفهف لو صليت المكسر ● سيب لنيل المطلب المتعذر
متالق تبتيك صفرة لونه ● بقديم صحبته لال الاصفر (لعله الاصفر)
ما ضر ان كان كعب يراعة ● ذ حكمه اطردت كعوبا السمهر (لعله كعوب)
وله عندما شارفا الكهولة ● واستانف قطع ضرة كانت موصولة
اما انا فقد ارعويت عن الصبي ● وعضضت من ندم عليه بناني
واطعت نصاحي ورب نصيحة ● جاوا بها فلججت في العصيان
ايام اسحب من ذيول شبيبتي ● مرحا واعثر في فضول عناني
واحل كاسي اذ ترى موضوعة ● فعلى يدي او في يدي ندماني
ايام احيي بالغواني والغنا ● واموت بين الراح والريحان
في فتية فرضوا اتصال هواهم ● فهم دون من الادنان
هزت غلايلهم اريحيات الصبا ● فهي النسيم وهم غصون البان
من كل مخلوع الاعنة لم يبد ● في غنية عصارفا الازمان

الى ان قال ومن نثره يصف فرسا انظر اليه سليم الاديم كريم

القديم

بالنجوم

القديم ● كانما نشا بين الغبرا والنجوم ● نجم اذا بدا ● ووهم اذا عدا يستقبل بغزال
ويستدبر برال ● ويتحلى بشيات تقسيمات الجمال ● وله يصف سرجا بنت جياد
ومركب اجواد ● جميل الظاهر ● رحيب ما بين القادمة والاخر ● كانما قد من
الحذو دوا ديمه ● واختص باتقان الحبك تقويمه ● وله في وصف لجام متناسب
الاسلاك صحيح الانتما ● الى تريا السما ● فكله نكال ● وسائره جمال ● وله في وصف
رمح مطرد الكعوب ● صحيح انتصال الغالب والمغلوب ● اخ يتوب كلما استتيب
ويصيب ● وله في وصف قميص كانوري الاديم ● بالبلى الرسوم ● تنباس همنه
الجسوم ما بيا من الروض من النسيم ● وله في وصف بغل ● مترف النسب ● متخير
الشرف من الكسب ● ان ركب امتنع اعتماله ● او وكب استقل به اخواله ● وله في وصف
حمار ● وثيق المفاصل ● عتيق النهضة ● اذا ونت الرواحل ● انتهى ببعض اختصار
وقال الاديب الشاعر ابو عمر يوسف بن هارون الكندي المعروف بالرمادي

اوما لتقبيل البساط خضوعا ● فوضعت خدي في التراب خضوعا
ما كان مذهبه الخضوع لغيبه ● الا زيادة قلبه تقطيعا
قولوا لمن اخذ الفواد مسلما ● بيمين على برده مصدوعا
العبد قد يعصي واحلفا انني ● ما كنت الا سامعا ومطيعا
مولاي يحيي في حياة كاسمه ● وانا اموت صبابة وولوعا
لا تنكروا غيث الدموع فكلما ● يبخل من جسمي يكون دموعا

وقال الرمادي المذكور وعرف به غير واحد منهم الحافظ ابو عبد الله الحميدي
في كتابه جذوة المقتبس وقال اظن ان اصلا ابيه كان من اهل رماده وهي موضع
بالمغرب وهو قرطبي كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك
لسلوكه في فنون من المنظوم والمنثور مسالك ● حتى كان كثير من شيوخ الادب
في وقته يقولون فتح الشعر بكندة ● وختم بكندة ويعنون امرا القيس والمتنبي
ويوسف بن هارون على ان في كون المتنبي من كندة القبيلة كلاما مشهورا واخذ
ابو عمر بن عبد البر عن الرمادي هذا قطعة من شعره ● وضمنها بعض تاليفه
قال ابن حيان توفي الرمادي سنة ٤٠٣ وذكر ابن سعيد في المغرب ان الرمادي
اكتسب صناعة الادب من شيخه ابي بكر يحيى بن هذيل الكفيف عالم ادبا الاندلس
وهو القايل رحمه الله تعالى ●

لا تلمني على الوقوف بدار ● اهلها صيروا السقام ضجيعي
جعلوا الي هواهم سبيلا ● ثم سدوا علي باب الرجوع

وروى الرمادي عن ابي علي كتاب النوادر ومدح ابا علي بقصيدة كما اشرنا
اليه في غير هذا الموضع وقال في المطمح انه شاعر مغلق ● انفرج له من الصناعة

المغلق • ووصف له برقها المو تلق • وسال لها طبعه كالما المندفق • فاجمع على تفضيله المختلف والمتفق • فنارة يحزن • واخرى يسهل • وفي كلتا هما بالبديع يعل وينهل • فاشتهرت عند الخاصة والعامة بانطباعه • في الغريتين وابتداعه • في الطريقين • وكان هو وابو الطيب متعاصرين وعلى الصناعة متغايرين • وكلاهما من كندة ومامنهما الاسى قتدح في الاحسان زنده وكاد بالجمرة طلوع العمر حتى افرده صاحبه ونديمه • وبهريق شبابه واستشن اديمه ففارق تلك الايام وبهجتها • واذركنا لفتنة تخاض لجتها • واقام فاقته نكبته فرقا من هيجانها شرقا باسجانها • ولحقته فيها فاقه • نكبته وبعدت عنه الافاقه • حتى اهلكته وقد اثبت من محاسنه ما يعجبك سرده • ولا تكتك نفت نحو ذلك قوله •

شطت نواهم بسيمين في هوادجهم • لولا تلالؤها في ليلهن عشوا
شكت محاسنها وقد عزرت • لانها بضمير القلب تنخمش
شعر وجه تباري في اختلافهما • بجنس هذا وذا الروم والحبش
شككت في سمى منها اني فرشي • منها تنكشا الا الطيف الفرش

الي انفاك وكان كلفا بفتى نصراني استنهل لباس زنار • والخلود معه في نار وخلع برده لمسوحه • وتشرع من صبحه • وراح في بيعته • وغدا من شيعته ولم يترب نصيبه • حتى حط عليه صليبه **فقال**

اذ هاشل رتيك من صليب • كما ذنهم على هجي وكاسي
فيقضي ما امرت بر اجلالا • لمسروري وزاد خضوع راسي

وله في مثله

ورايت فوق النحر درعا فاقعا من زعفران

فزجرته لونا سقامي • بالنوى والزجر شاني
يا من ناي عني كما • تنأ العيون الفرقدان
فاري بعيني الفرقدين • ولا اراه ولا يراني
لاقدرت لك اوبة • حتى يؤب القارظان
هل ثم الا الموت فردا • لا تكون منيتان

وله ايضا

اشرب الكاس يا نصير وهات • ان هذا النهار من حسناتي
باني غرة ترى الشخص فيها • في صفا اصفى من المرآت
تنزح الناس نحوها بازدحام • كازدحام الحجيج في عرفات
هاتها يا نصير انا اجتمعنا • لقلوب في الدين مختلفات

انما نحن

انما نحن في مجالس لهو • نشربنا الراح ثم انت مواتي
فاذا ما انقضت دما نترذا اللهو اعهدنا مواضع الصلوات
لومضى الدهر دون راح وقصف • لعددنا مدا من السيئات

وشاعت عنه اشعار في دولة الخلافة واهلها • سددا ليهم صائبات نبلها وسقاهم كوس نهلها • اوغرت عليه الصدور • ونفرت عليه المنايا • ولكن لم تساعدها المقدور • فسجنه الخليفة دهرا • واسكنه من النكبة وعرا فاستعطفه اثناء ذلك واستلطفه اثناء ذلك واستلطفه • والجاه كل زهر من الاحسان واقطفه • فما اصغى اليه • ولا انثنى موجدته عليه • وله في السجن اشعار صرح فيها ببثه • وافصح فيها عن جل الخطب لفقد صبره ونكثه • فمن ذلك قوله • لك الامن شجوي يزيد تشوقي **ومنها**

فوا فوا بنا الزهرا في خالع الايمة لاستيفائهم في التوثق
وحولي من اهل التادب ما تم • ولا جوذر الا يثوب مشفق
فلو انني في عشي الحمام كروضها • وان كان في الواهن غير مشفق
وناي حماي مهجتي لتعلقت • فهلا احايت ومو عندي لمحنق
اعيني ان كانت لدمعي فضلة • تثبت صبري ساعة فقدفني
فلو ساعدت فالت امن عدم الاسي • تنفقت دموعي ام من البحر تستقي

ومنها

تقالت تظن الدهر يجمع بيننا • فقلت لها من لي بظن محقق
ولكنني فيما زجرت بمقلتي • زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق
فقد كانت الاشعار في مثل بعدنا • فلما التقت بالطيف قالت سلتقي
اباكية يوما ولم يأت وقته • سيفقد قبل اليوم دمعك فارفق

الي ان قال • وله ايضا •

على كبري تهمي السحاب وتذرف • ومن جزعي تبكي الحمام وتهتف
كان السحاب الواكفات هواطلي • وتلك على فقدي نوايح هتف
الا طعنت ليلي وبان قطينها • ولكنني باق فلوموا وعنفوا
وانست في جنح الظلام لبينها • نحولا كان الصبح مثلي مدنف
واقرب عهد رشقه بلد الحيا • فعاد نشاء باردا ونوصيف
وكانت على حوف فولت كانها • من الرد فيب في قيد الخلاخل يرسف

وله

قبلته قدام قسيسه • شربت كاسات بتقديسه
يقرع قلبي عند ذكري له • من فرط شوقي قرع ناقوسه

وسجن معه غلام من اولاد العبيد فيه بجالد وفي نفس متاملة الوعته او بجال فكتب
بخاطبا الوكل بالسجن بقطعة منها •

جليتك بمن اتلف الحب قلبه • ويلذع قلبي حرقة دونها الجمر
هلال وفي غير السما طلوعه • وريم ولكن ليس مسكنه القفر
تاملت عينيه فخامرني السكر • ولا شك في ان العيون هي الخمر
اناطقه كيما يقول وانما • اناطقه عمدا لينتثر الدر
انا عبده وهو المليك كاسمه • فلي منه شطر كامل وله الشطر

انتهي باختصار وقال محمد بن هاني •

قد مررنا علي معانيك تلك • فراينا بها مشابه منك
عارضتها المها الجواد لسربا • عند اجراعها فلم تنسل عنك
لا يروع المهي بذكرك سربح • اشبهتك في الوصف اذ لم تحكك
كن عذيري فقد رايت معاني • يوم تبكي بالجزع وهنا وابكي
بحنين مرجع وتشك • وانين موجع كتشكي

وقال صاحب المطمح في حق الاديب ابو القاسم محمد بن هاني ذو خطير
وروض ادب مطير • غاص في طلبا الغريب • حتي اخرج دره المكنون •
وبهرج بافتنانه كل الفنون • وله نظم تتمني الثريا ان تتوج به وتتقلد
وبود البدر ان يكتب فيه ما اخترع وولد • زهت به الاندلس وتاهت
وحاست بدايعه الاشمس وباهت • فحسد المغرب فيه المشرق
وغص به من بالعراق وشرق • غير انه نبت فيه اكنافها • وشمخت
عليه انافها • وبرت منه وزويت الخيرات فيها عنه • لانه سلك مسلك المعري
وتجرد من التدين وعري • وابدي الغلو • وتعدي الحو المجلو فحته الانفس
وازعجته الاندلس • فخرج علي غير اختيار • وما عرج علي هذه الديار • الي
ان وصل الزاب • واتصل بجعفر بن الاندلسية ماوي تلك الجنسية
فناهيك من سعد ورد عليه فكرع • ومن باب ولج فيه وما قرع • فاسترج
عنده شبابه • وانتجع وبله وربابه • وتلقاه بتاميل ورجب • وسناه
صوب ذلك السحب • فافرط في مدحه في الغلو وزاد • وفرغ عنده تلك المزاد
ولم يتورع • ولا ثناه ذو ورع وله بدايع يتحير فيها ويحار • ويخال لرقتها
انها اسحار • فانه اعتمد التهذيب والتحرير • واتبع في اغراضه الفرزدق
مع جرير • واما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد • وما شاء منها اقتاد
وقد ابتت منها ما تحن له الاسماع • ولا تتمكن منه الاطماع • فمن ذلك قوله
اليلتنا اذ ارسلت واردا وحفا • وبتنا نري الجوزا في اذنها شنفا •

وبات

وبات لنا ساق يقوم علي الدجي • بشمعة صبح لا تقط ولا تطفا
اغن غضيض خفف اللين قده • وثقلت الصهبا اجفانه الوطفا
ولم يبق ارعاش المدام له يدا • ولم يبق اعنات التثني له عطفا
نزيف نضاه السكر الا ارتجاجه • اذا كل عنها الخصر حملها الردفا
يقولون حقف فوقه خيزرانة • اما يعرفون الخيزرانة والحقفا
جعلنا حشايانا ثياب مدامنا • وقدت لنا الازهار من جلدها لحفا
فمن كبد توحي الي كبد هوي • ومن شفة توحي الي شفة رشفا

ومنها

كان السماكين اللذين تراهما • علي لبديه ضامنان له حتفا
فذا رامح يهوي اليه سنانه • وذا اعزل قد عض انمله لهفا
كان سهيلا في مطالع افقه • مفارق الف لم يجد بعده الفا
كان بني نعش ونعشا مطافل • بوجرة قد اضللن في مهمه خشفا
كان سهاها عاشق بين عود • فاونة يبدو واونة يخفي
كان قدامي النسر والنسر واقع • قصصن فلم تسم الخوافي له ضعفا
كان اخاه حين حوم طايرا • اتي دون نصف البدر فاختطف النصفا
كان ظلام الليل اذ مال ميله • صريع مدام بات يشربها صرفا
كان عمود الصبح خاقان معشر • من الترك نادي بالنجاشي فاستخفا
كان لواء الشمس غرة جعفر • راي القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وله ايضا

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر • وامدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقايع يانعا • بالنصر من ورق الحديد الاحمر
ابني العوالي السمهرية والسيو • ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع فانه • تحت السوابغ تبع في حمير
جيش تعقد الليوث وفوقها • كالغيل من قصب الوشيج الاخضر
وكانما سلب القشاعم ربها • مما يشق من العجاج الاكدر
لحق القبول مع الدبور وسار في • جمع الهرقل وعزمة الاسكندر
في فتية صدا الحديد لباسهم • في عبقري البيض جنة عبقري
وكفاه من حب السماحة انه • منها بموضع مقلة من محجر

ومنها

بغمام من رحمة ولباسه • من جنة وعطاؤه من كوثر

وله ايضا من قصيدة في جعفر بن علي •

الا ايها الوادي المقدس بالندي • واهل الندي قلبي اليك مشوق
ويا ايها القصر المنيف قبابه • علي الزاب لا يسدد اليك طريق
ويا مالك الزاب الرفيع عماده • بنيت لجمع المجد وهو فريق
فلم انس الا انس الامير اذا غدا • بروع يحوي ملكه ويروق
ولا الجود يجري من صحيفة وجهه • اذا كان من ذاك الجبين شروق
وبرته للمجد حتي كانما • جرت في سجاياه العذاب رحيق
اما وابي تلك الشمايل انها • دليل علي ان النجار عتيق
فكيف يصبر النفس عنه ودونه • من الارض مغبر الفجاج عميق
فكن كيف شا الناس او شيت دايما • فليس لهذا الملك غير ذ فوق
ولا تشكر الدنيا علي نيل رتبة • فانك منها الاوانت خليق

ولـه من اخري

خليلي اين الزاب مني وجعفر • وجنات عدن بنت عنها وكوثر
فقبلي ناي عن جنة الخلد آدم • فما راقه من جانب الارض منظر
لقد سرني اني امرو بباله • فيخبرني عنه بذلك مخبر
وقد ساني اني اتاه ببلدة • لها منسك منه عظيم ومشعر
وقد كان لي منه شفيع مشفع • به يمحص الله الذنوب ويغفر
الي الناس فوا جا اليك كانما • من الزاب بيت ومن الزاب محشر
فانت لمن قد مزق الله شمله • ومعشر والاهل اهل ومعشر

ولـه ايضا

الا طرقتنا والنجوم ركود • وفي الحي ايقاظ ونحن هجود
وقد اعجل الفجر الملمع خطوها • وفي اخريات الليل منه عمود
سرت عاطلا غضبي علي الدر وحده • ولم يدر نحرما دهاه وجيد
فما برحت الا ومن سلك ادمعي • قلائد في لباتها وعقود
ويا حسنها في يوم نضت سوالفا • تريع الي اترابها وتحيد
الم يانها انا كبرنا عن الصبي • وانا بلينا والزمان جديد
ولا كالليالي ما لهن مواثق • ولا كالغواني ما لهن عهود
ولا كالمعز ابن النبي خليفة • له الله بالفخر المبين شهود

وله من قصيدة يمدح بها يحيي بن علي بن زمان

فقا فلا مر ما سرينا ولا سري • والا فمني العطي الوارد الكدر
فقا نتبين اين ذا البرق منهم • ومن حيث تاتي الريح طيبة النشر
لعل بزيا الوادي الذي كنت مرة • ازورهم فيه تضوع للسفر

والا

والا فاد يسيل بعنبر • والا فما تدري الركاب ولا تدري
اكل كثيب بالصريم تخطه • كامثال الظبا الدعج والشدن العفر
وهل عجبوا اني اسايل عنهم • وهم بين احنا الجوانح والصدر
وهل علموا اني ايمم ارضهم • وما لي بها غير التعسف من خبر
ولي سكن تاتي الحوادث دونه • فيبعد عن عيني ويقرب من فكري
اذا ذكرته النفس جاشت بذكره • كما عثر الساقي بجام من الخمر
فلا تسالا بي عن زماني الذي خلا • فوا العصر اني بعد يحيي لفي خسر
والية لا اعطي الزمان مقادتي • الي مثل يحيي ثم اغضي علي الوتر
ختمت اليه ظاعنا ومخيما • وليس حنين الطير الا الي الوكر

ولـه من قصيدة

فتكات طرفك ام سيوف ابيك • وكوس خمرك ام مراشف فيك
اجلاد مرهفة وفتك محاجر • لا انت راحمة ولا اهلوك
يا بنت ذي السيف الطويل نجاده • اكذا يجوز الحكم في ناديك
عيناك ام مغناك موعدنا علي • وادي الكري القاك ام واديك

ولـه ايضا

احبب بهاتيك القباب قبابا • لا بالحداة ولا الركاب ركابا
فيها قلوب العاشقين تخالها • عنما بايدي البيض ام عنابا
والله لولا ان يعنفني الهوي • ويقول بعض العاذلين تصابا
لكسرت دملجها بضيق عناقها • ورشفت من فيها البرود رضابا
بنتم فلولا انا غير لشيتي • ومحوت محو النفس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم • لو انني اجد البياض خضابا
واذا اردت علي المشيب وفادة • فاحث مطيك دونه الاحقابا
فلتاخذن من الزمان حمامة • ولتبعثن الي الزمان غرابا

ومنهـا

قد طيب الافق طا رطيب ثنايه • من اجل ذا تجد الثغور عذابا
لم تدنني ارض اليك وانما • جبت السما فتفتحت ابوابا
ورايت حولي وفد كل قبيلة • حتي توهمت العراق الزابا
ارض وطيتا الدر من رضراضها • والمسك تربا والرياض جنابا
ورايت اجبل ارضها منقادة • فحسبتها مدت اليك رقابا
سد الامام بها الثغور وقبلها • هزم النبي بقومك الاحزابا
انتهي وقال ابن هاني يصف الاسطول •

معطفة الاعناق نحو متونها • كما نبهت ايدي الحواة الافاعيا
اذا ما وردن الماء شوقا لبرده • صدرن ولم يشربن غرقا صواديا
اذا اعملوا فيها الجواد تخالها • ترى عقربا منها على الماء ماشيا

وقال

للروض حسن فقف عليه • واصرف عنان الهوى اليه
اما ترى نرجسا نضيرا • يرنو اليه بمقلتيه
نسرجيني على رباه • وصفرة فوق وجنتيه

وقال

مهلكة يستهلك الجهد عفوها • ويترك شمل العزم وهو مبدد
ترى عاصف الارواح فيها كانها • من الاين تمشي ظالع او مقيد

وقال فيه في المطمح نحو الحصل • مبرز في كل معنى وفضل • متميز بالاحسان • منتم الى فئة البيان • ذكي الخلد مع قوة العارضه • والمنة الناهضه • حضر مجلس بعض القضاه وكان مشهورا بالضبط • مشهورا بانبسط فيه بعض البسط • حتى ان اهله لا يتكلمون فيه الا رمزا • ولا يتخاطبون الا ايما فلا تسمع لهم ركزا فكلم فيه خصما له كلاما استطال به عليه لفضل بيانه • وطلاقة لسانه • فخالف عادة المجلس في رفض الانفه • وخفض الحجة المؤتنفه • وهز عطفه وحسر عن ساعده واشار بيده • ما ذا بها لوجه خصمه • خارجا عن حد المجلس ورسمه • فهم الاعوان بتقديمه وتثقيفه ووزعهم رهبة منه وخشية حتى تناوله القاضي بنفسه وقال له مهلا عافاك الله اخفض صوتك واقبض يدك ولا تفارق مركزك ولا تعد حدك واقصر عن ادلالك فقال له مهلا يا قاضي ابن المخدرات انا فاخفض صوتي واسترد يدي واعطي معاصمي لديك امرا من الانبيا انت فلا اجهر بالقول عندك وذلك لم يجعله الله الا لرسوله عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى لا تشعرون ولست بذي الكرامة وقد ذكر الله ان النفوس تجادل في القيامة في توقفنا لقولنا الذي لا يبدله مقام ولا يشبه انتقامه انتقام فقال تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها الى وهم لا يظلمون لقد تعديت طورك وعلوت في منزلتك وانما البيان بعبارة اللسان وبالنطق يستبين الحق من الباطل ولا بد في الخصام من افصاح الكلام وقام وانصرف فبهت القاضي ولم يحر جوابا وكان في الدولة صدرا في اعيانها • ونا سق درر تبيانها فنفق في سوقها وصنف وقرظ محاسنها وشنف وله الكتاب الرايق • المسمى بالحدايق • واذ ذكر في الدولة سعي • وفضله فيها الدعي واعتقله الخليفة واوثقه في مكان احبه • فلم يوصل له

عفو

عفو ولم يثب كدر حاله صفو • حتى قضى معتقلا • وثنى للنايبات نفيا مثكلا وله في السجن اشعار كثيرة • واقوال مبتدعات منيرة • فمن ذلك ما انشده ابن حزم يصف خيالا طرقه بعد ما اسهره الوجد وارقه •

بابهما انا في الشكر بادي • لبشكر الطيف مسكر الرقاد
سرى وازداد في املي ولكن • عففت فلم اجد منه مرادي
وما في النوم من حرج ولكن • جريت من العفاف على اعتيادي

انتهى وقال الشاعر المشهور ابو عبد الله محمد بن الحداد

يا غايبا خطرات القلب تحضره • الصبر بعدك شي لست اقدره
تركت قلبي واشواقي تفطره • ودمع عيني واحزاني تحدره
لو كنت تبصر في تدمير حالتنا • اذا لاشفقت مما كنت تبصره
فالعين دونك لا تحلو بلذتها • والدهر بعدك لا يصفو تكدره
اخفي اشتياقي وما اطويه من اسف • على البرية والانفاس تظهره

قال في المطمح هو شاعر مادح • وعلى ابيك الذي صادح • لم ينطق الا معز او صمادح فلم يرو منتوانهما • ولم ينتجع سوانهما • واقتصر على البرية • واختصر قطع المهامه وخوض البرية • فعكف فيها ينثر درره في ذلك المنتدى • ويرتشف ابدا ثغور ذلك الندى • مع تميزه بالعلم • وتحيزه الى فئة الوقار والحلم • وانتمايه الى اية سلف • ومذاهبه مذاهب اهل الشرف • وكان له لسن ورواء يشهدان له بالنباهه • ويقلدان كاهله ما شاء من الوجاهه • وقد اثبت له بعض ما قذفه من درره • وفاه به من محاسن غرره • فمن ذلك قوله

الى الموت رجعي بعد حين فان امت • فقد خلدت خلد الزمان مناقبي
وذكرى في الافاق طيبا كانها • بكل لسان طيب عذراء كاعب
ففي اي علم لم تبرز سوابقي • وفي اي فن لم تبرز كتايبي

وحضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبانة فانشد فيه قصيدا ابرز بها من عري الاحسان ما لم ينفصم واستمر فيها يستكمل بدايعها وقوافيها واذا هو قد اغار على قصيد ابن الحداد الذي اوله •

عج بالحمى حيث الظبا العين • فقال ابن الحداد مرتجلا
حاشا لعدلك يا ابن معن ان يرى • في سلك غيري دري المكنون
واليكها تشكو استلاب مطيها • عج بالحمى حيث الظبا العين
فاحكم لها واقطع لسانا لايدا • فلسان من سرق القريض يمين

وله

انا المدامع والزفير • قد اعلنا ما في الضمير
•

فعلام اخفي ظاهرا • ستمي علي به ظهير
هب لي الرضا من سلط • قلبي بساحته الاسير

ولـه

ايها الواصل هجري • انا في هجران صبري
ليت شعري اي نفع • لك في ادمان ضري

ولـه

يا مشبهي الملك الجعدي شيمة • ويخجل القمر البدري انوارا

ولـه

نطالبني نفسي بما فيه صونها • فاعصي ونسطو شوقها فاطيعها
ووالله ما يخفي علي ضلالها • ولكنها تهوي فلا استطيعها

ولـه

مخافة الرطبين قلبك خافق • وعن خرس القلبين دمعك ناطق
وفي مشرق الصدغين للصد مغرب • وللفكر حالات وللعين شارق
وبين حصى الياقوت ما وشامة • مخلاة عنها الظباء السوابق
وحشو قباء الرقم احوي مترطق • كاس روض عطفه والقراطق

انتهي باختصار وقال الاسعد بن بليطة

برامة ريم زارني بعدما شطا • تقنصته بالحلم في الشط فاشتطا
رعى من افانين الهوى بثر الحشي • جنيا ولم يرع العهود ولا الشرطا
خيال المرقوم عن بربرامة • تاوبني بالرقمتين لذي الارطا
فاكسبني من خدها روضة الجنى • والدغني من صدغها حية رقطا
وبانت ذراعاها نجادا لعاتقي • اذا ما التقاها الحي عني لها العطا
وسل اهتصاري غصنها من محضر • طواه الضني طي الطوامير فامتطا
وقد غاب كحل الليل في دمع فجره • الى ان تبدى الصبح في الليلة الشمطا

ومنها في وصف الديك

وقام لها ينعي الدجا ذو شقيقة • يدير لنا من عين اجفانه سقطا
اذا صاح اضحي سمعه لاذانه • وبادر ضربا من قوادمه الابطا
كانا نوشروان اعتامه تاجه • وناطت عليه كف مارية القرطا
سبي حلة الطاووس حسن لباسها • ولم يكفه حتي سبي المشية البطا

ومن غزلها

غلابية جاءت وقد جعل الدجا • لخاتم فيها فص غالية خطا
فقلت لحاجيها بما في جفونها • وما في الشفاه اللعس من حسنها المعطى
محيرة العينين من غير سكرة • متي برئت الحاظ عينيك اسفطا

اري

اري نكهة المسواك في خمرة اللمي • وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى فرح قبلته فاخاله • على الشفة اللمياء قد جاء مخنطا

وقال في المطمح في حلية الاسعد انه سرد البدايع احسن السرد • وافترس المعاني كالاسد الورد • وابرزدرر المحاسن من صدفها • وحاز من بحر الاجادة شرفها ومدح ملوكا طوقهم من مدايحه قلايد • وزف اليهم منها خرايد • وحلاها عليهم كواعب • بالالباب لواعب • فاسالت لهم العوارف • وما تقلص له من الحظوة ظل وارف • وقد اثبت له ما يعترف بحقه • ويعرف به مقدار سبقه • فمن ذلك قوله

لو كنت شاهدنا عشية استا • فالمزن يبكينا بعيني مذنب
والشمس قد مدت اديم شعاعها • في الارض تجنح غيرانها لم تغرب

ولـه

وتلذ تعذيبي كانك خلتني • عودا فليس يطيب ما لم يحرق

وهو ماخوذ من قول ابن زيدون •

تظنونني كالعود حقا وانما • تطيب لكم انفاسه حين يحرق

انتهي ببعض اختصار وقال الاديب ابو بكر عبادة ابن ماء السما وهو كما في المطمح من فحول الشعرا • واييمتهم الكبرا • وكان منتجعا بشعره متجرا من صرف دهره وكانت له همة اطالت همه • واكثرت كمده وغمه

يورقني الليل الذي انا نايمه • فتجهل ما التي وطرفك عالمه
وفي الهودج المرقوم وجه طوى الشنا • عن الحسن فيه الحسن قد حار راقمه
اذا اسا وقفا ارسل الحسن فرعه • يضلهم عن منهج القصد فاحمه
اظلما اذا اتقلينك الدرام زدوا • بتلك اللالي انهن تمايمه

وقال الاديب ابو عبد الله بن عايشة في فتي طرزت غلالة خده • وركب من عارضه سنان على صعدة قده •

اذا كنت تهوى خده وهو روضة • بها الورد غض والاقاح منلج
فزد كلفا فيه وفرط صبابة • فقد زيد فيه من عذاره بنفسج

وحلاه في المطمح بان قال اشتهر صونا وعفافا • ولم يعقيله حصوة زفافا • فاشتد انقباضا وسكونا • واعتمدا ليها زكونا • الى ان نهضه امير المسلمين الى بساطه فنبعث من رقده خموله • وسبب لبلوغ ما موله • فبدا منه في الحال انزوا • في تسنم تلك الرسوم والتوا • وقعود عن مراتب الاعلام • وجمود لا يحمد فيه والايلام • الا ان امير المسلمين التي عليه منه محبته • جليت اليه مشتريا الظهور وهيبته • وكان له ادب واسع المدى • يانع كالزهر بلله الندى • ونظم مشرق الصفحه • عبق النفحه الا انه قليل ما كان يجل ربعه • ويذيل لطبعه • وقد اثبت له منه ما يدع الالباب

حاين والقلوب اليه طاين • ومن ذلك قوله في ليلة سمحت له بمنية كان يهواه ونفحت له هبة وصل ابذلت جواه •

لله ليل بات عندي به • طوع يدي من مهجتي في يديه
وبت اسقيه كؤوس الطلا • ولم ازل اشرب شوقا اليه
عاطيته حمراء من وجنه • كانها تعصر من وجنتيه

وخرج من بلنسية يوما الى منية الوزير الاجل ابي بكر بن عبد العزيز وهي من ابدع منازل الدنيا • وقد مدت عليها ادواحها الافيا • وابدت اليها ازهارها العرف والريا • والنهر قد غص بمائه • والروض قد خص بمثل انجم سمائه • وكان لبني عبد العزيز فيها اطراب نهيا لهم فيها من الايام اراب • فلبسوا فيها الانس حتى ابلوه • ونشروا فيها الانس وطووه • ايام كانوا بدور ذلك الافق طلوعا • لم تضم عليهم النوب ضلوعا • فقعد ابو عبد الله مع لمة من الادبا تحت دوحة من ادواحها • فهبت ريح انس من ارواحها • سقطت باعصارها • واستطت لؤلؤها على باسم ازهارها فقال •

ودوحة قد علت سماء • تطلع ازهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها • فارسلت فوقنا رجوما
كانما الجو غار لما • بدت فاغرى بها النسيما بيان كانما الجو

وكان في زمان عطلته • ووقت اصفراره وعلته • ومقاساته من العيش انكده ومن التخوف اجهده • كثيرا ما ينشرح بجزيرة شقر ويستريح • ويستطيب تلك الريح ويجول في ارجاع واديها وينتقل من نواديها الى بواديها • فانها صحيحة الهوا قليلة الادوا • احدقت الشعب والازاهر • قد احاط بها نهرها كما تحيط بالمعاصم الاساور • والايك قد نشرت ذوايبها على صفحته • والروض قد عطر جوانبها بريحه • وابو اسحاق بن خفاجة كان هو منتزع نفسه • ومصرع انسه بها نفح له بالمنى عبق وشذي • ومسح عن عيون مسراته القذي • وغدا على ما كان وراح وجرى متهافتا في ميدان ذلك المراح • قريب عهد بالفطام ودهن بنتاذ في حطام • فلما اشتعل راسه شيبا • وزرت عليه الكهولة جيبا • اقصر عن تلك الهنات • واستيقظ من تلك السنات وشب عن ذلك الطوق • واقتصر على القول والشوق • وقد فتح بادي نخينه عن ذلك الطوق وما يستشعر بوصف تلك المعاهد منادحية فقال • •

الا خليا بي والاسى والقوافيا • اردّدها شجوا واجهش باكيا
اؤبن شخصا للمسرة باديا • واندب رسما للشبيبة باليا
تولى الصبا الا توالى فكرة • قدحت بها زندا وما زلت واريا

وقد بان

وقد بان حلو العيش الا تعلة • تحدثني عنها الاماني خاليا
ويا برد هذا الماء هل منك قطرة • فها انا استسقي غمامك صاديا
وهيهات حالت دون حزوى وعهدها • ليال وايام تخال لياليا
فقل في كبير عاده صايد الظبي • الى ان تناجا وقد كان ساليا
فيا راكبا يستعمل الخطو قاصدا • الا عج بشقر رايحا او مغاديا
وقف حيث سال النهر ينساب ارقا • وهب نسيم الايك ينفث راقيا
وقل لاثيلات هناك واجرع • سقيت اثيلات وحييت واديا

انتهى ببعض اختصار وابن عايشة اشهر من ان يطال في امره وليس الخبر كالعيان
وقال ابن عمرو يزيد بن عبد الله بن ابي خالد اللخمي الاشبيلي الكاتب في فتح المهدية سنة ٦٠٣ •

كم غادر الشعراء من متردم • ذخرت عجائبه لخير معظم
تبعا المذخور الفتوح فانها • جاءت له بخوارق لم تعلم
من كل سامية المنازل اذا انتمت • رفعت الى اليرموك صوت المنتمي
وتوسطت في النهروان بنسبة • كرمت فغارت بالمحل الاكرم

قال ابن الابار في تحفة القادم هو صدر في بنايها وادبايها يعني اشبيلية وممن له قدر في منجبيها ونجبايها • والى سعده ينتسب العقل المعروف بجرابي خالد وتوفي بها سنة ٦١٢ واورد له قوله

ويا للجواري المنشات وحسنها • طوائر بين الماء والجو عوما
اذا نشرت في الجو اجنحة لها • رايت به روضا ونورا مكمما
وان لم تهجه الريح جاء مصافحا • فمد له كفا خضيبا ومعصما
مجاذف كالحيات مدت رؤوسها • على وجل في الماء كي تروي الظما
كما اسرعت عدا انامل حاسب • بقبض وبسط يسبق العين والفما
هي الهدب في اجفان كحل اوطفت • فهل صنعت من عندم او بكت دما

قال ابن الابار اجاد ما اراد في هذا الوصف وان نظر الى قول ابن عبد الله ابن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صمادح

هام صرفا لردى بهام الاعادي • ان سمت نحوهم لها اجياد
وترات بشرعها كعيون • دابها مثل خايفيها سهاد
ذات هدب من المجاذيف حاك • هدب باك لدمعه اسعاد
حمم فوقها من البيض نار • كل من ارسلت عليه رماد
ومن الخط في يدي كل درع • الف خطها على البحر صاد

قال ومالحسن قول شيخنا ابي الحسن بن حريق في هذا المعنى من قصيدة انشدنيه

وكانما سكن الاراقم جوفها • من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا راى الما يطفح نضنضت • من كل خرق حية بلسان
قال ولم يسبقهم الى الاحسان • وان سبقهم بالزمان • علي بن محمد الايادي
التونسي في قوله •
سرعوا جوانبها جناد فانبعت • شادا الرياح لها ولمّا تتعب
تنصاع من كثب كما نفر القطى • طورا وتجتمع اجتماع الربرب
والبحر يجمع بينها فكانه • ليل يقرب عقربا من عقرب
وعلى جوانبها اسود خلافة • تختال في عدد السلاح المذهب
وكانما البحر استعار بزيهم • بوبا الجمال من الربيع المعجب
ومن هذه القصيدة العزيزة في ذكر الشراع
ولها جناح مستعار مطيرها • طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو لها حدبا العباب مطانه • في كل لج زاخر معلولب
يسمو باخذ في الهواء منصب • عريان منسرح الذوابة شودب
يتنزل الملاح منه ذوابة • لو رام يركبها القطى لم تركب
وكانما رام استراقة مقعد • للسمع الا انه لم يشهب
وكانما جن ابن داود هم • ركبوا جوانبها باعنف مركب
سجروا جواهم فتقاذفوا • منها بالسن مارج متلهب
من كل مسجون الحريق اذا انبرى • من سجنه انصلتت انصلات الكوكب
عريان يقدمه الدخان كانه • صبح يكر على ظلام غيهب
ومن اولها
اعجب باسطول الامام محمد • وبحسنه وزمانه المستغرب
لبست به الامواج احسن منظر • يبدو لعين الناظر المتعجب
من كل مشرفة على ما قابلت • اشراف صدر الاجدل المتنصب
ومنها
جوفا تحمل موكبا في جوفها • يوم الرهان وتستقل بموكب
وهي طويلة من غرر القصايد وقد سرد جملة منها صاحب المناهج وغيره وقال
ابو عمر القسطلي •
وحال الموج بين بني سبيل • يطير بهم الى الغول ابن ماء
اغر له جناح من صباح • يرفرف فوق جنح من سماء
واخذ ابو اسحاق بن خفاجة فقال •
وجارية ركبت بها ظلاما • يطير من الصباح بها جناح
اذا الما
اذا الما اطمان ورق خضرا • علا من موجه ردف رداح
وقد فغر الحمام هناك فاه • وانلع جيد الاجل المتاح
ولا يخفى ان حسن هذه العبارة لقصيلة المرات فالله يرحم قايلها وقال ابن الابار
وقد قلت انا في ذلك •
يا حبذا من بنات الما سابحة • تطفو لما شب اهل النار تطفيه
تطيرها الريح غربانا باجنحة • الحمايم البيض للاشراك تزجيه
من كل ادهم لا يلفى به جرب • فالراكبه بالقار تهنيه
يبدي عرابا وللعقبان خافية • وتنوا بن مكة وللشاهين جوجوه
واجتمع ابن ابي خالد وابو الحسن بن الفضل الاديب عند ابي الحجاج بن مرطير الطبيب
بحضرة مراكش وجرى ذكر قاضيها حينئذ ابي عمران موسى بن عمران وما كان عليه
من القصور والبعد عما اسهم له وترتبه فقال ابو الحجاج
ليس فيه من ابي موسى شبه • فقال ابو الحسن
فابو فضة وموسى به • افقال ابو عمرو
كم دعاه ابوه عيرة • وابا اذ دعاه يا ابه
انتهى **وقال ابو العباس الاعمى** •
نهيمة لو مر في الخيل اكبرها • لغابت الريح في الاجبال والغرد
تجري فلما سا قاعايم درب • وللرياح جناحا طاير حذر
قد قسمتها يد التقدير بينهما • على التساوي فلم تسبح ولم تطر
وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاسطول •
يا حسنها يوما شهدت زفافها • بنت الفضا الى الخليج الازرق
ورقا كانت ايكة فتصورت • لك كيف شيت من الحمام الاورق
حيث الغراب يجر شملة عجبه • وكانه من عزة لم ينعق
من كل لابسة الشباب ملاءة • حسب اقتدار الصانع المتانق
شهدت لها الاعيان ان شوانيا • اسماؤها فتصحفت في المنطق
من كل ناشرة قوادم سخ • وعلى معاطفها وهادة سودق
زارت زئير الاسد وهي صوامت • وزحفن زحف مواكب في يانق
ومجادف تحكي اراقم نبوه • نزلت لتكرع في غدير مناق
وقال ابن خفاجة منكرتة
سفينا لها من بطاح خز • ودوح نهر لها سطل
فما ترى غير وجه شمس • اطل فيه عذار ظل
وهو من بديع الشعر وكم لابن خفاجة من مثله وقال ابو عبيد الله بن جعفر الاشبيلي وقد

زار صاحبا له مرات ولم يزره مرة فكتب على بابه •

يا من يزار على بعد المحل ولا • يزورنا مرة من بين مرات

زر من يزورك واحذر قول عاذلتي • نقول عنك فتى يوتى ولا ياتي

ومن مجونياته

واغيد ليس تعدوه الاماني • ولو حكمت عليه باشتطاط

سقيته الراح حتى قال سكرا • ونام على النمارق والبساط

واسلم لي على طول التجني • وامكنني على فرط التعاطي

فاولجت المقادر جيد بكر • ولا كفران في سم الخياط

وغناني بسوط من حشاه • فاطربني وبالغ في نشاطي

فما نقر المثالث والمثاني • باطرب من تلاحين الضراط

ولولا الريق لم اظفر بشيء • على عدم انبعالي وانبساطي

فلا تسخر بريق بعد هذا • فان الريق مفتاح اللواط

وقال ابو الحسن علي بن محمد الرحاله

كيف اصبحت ايها ذا الحبيب • نحن مرضى الهوى وانت الطبيب

كل قلب عليك يهفو غراما • وتجافى على منك القلوب

ان تلح حومت عليك هياما • او يعب حبها عليك الوجيب

عزاني من بينهم مستريب • حتى تبدو ولعيش لي ما يريب

كلما قرالتاه منك ومني • دون هذا له تشق الجيوب

وقال احمد المعروف بالكساد في موسى الذي كان يتغزل فيه شعرا اشبيلية

ما لموسى قد حرمته لمى • فاض نورا اعشاه ضوء سناه

وانا قد صعقت من نور موسى • لا اطيق الوقوف حين اراه

ولله دره في رثا موسى المذكور اذ قال •

فر الى الجنة حورها • وارتفع الحسن من الارض

واصبح العشاق في ماتم • بعضهم يبكي الى بعض

وقوله فيه

هتف الناعي بشجو الابد • اذ نعى موسى بن عبد الصمد

ما علمتم وبحكم لو فقدتم • في فوادي قطعة من كبدي

ولقب بالكساد لقوله • وبيع الشعر في سوق الكساد • وقال ابو القاسم بن ابي طالب الحضرمي المنيشي •

صاغت يمين الرياح محكمة • في نهر واضح الاسارير

فكلما ضاعفت به حلقا • قام لها القطر بالمسامير

وقال

وقال ابو زيد عبد الرحمن العثماني وهو من بيت امارة •

لا تسلني عن حالتي بعد هذي • مثل حالي لا كنت يا من يراني

سلبني الاهل والاخلاء لما • ان جفاني بعد الوصال زماني

فاعتبر بي ولا يغرنك دهر • ليس منه ذو غبطة في امان

وقال ابو زكريا يحيى بن محمد الاوشكي •

لا حبذا المال والافضال يتلفه • والبخل يحميه والاقدار تعطيه

وقال •

لا تبكين لاخوان تفارقهم • فانني قبلك استخبرت اخواني

فاحمدتهم في حال قربهم • فكيف في حال ابعاد وهجران

وقال ابو عمران موسى الطرياني لما دخل يوم نيروز الى بعض الاكابر وعادتهم ان يصنعوا في مثل هذا اليوم مداين من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى مدينة فاعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها

مدينة مسورة • تحار فيها السحره

لم تبنها الايد • عذراء او مخدره

بدت عروسا تجتلي • من زد رمك مزعفره

وما لها مفاتح • الا البنان العشره

وقال ابو عمرو بن حكم

حاشا لمن املكم ان يخيب • وينثني نحو العدى مستريب

هذا وكم اقرأني بشكركم • نصر من الله وفتح قريب

وقال ابو الحسن علي بن الجعدي القرموني

اياك من زلل اللسان فانه • قدر الفتى في لفظه المسموع

فالمرء يختبر الاناء بنقرة • ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال الفقيه ابو الحسن علي بن وليا في مجمرة عناب محلاة بفضة

مشعلة بالدلال مبهجة • بالنشر مجد وله من الشفق

كانما جمرها تميح في • فرضتها سايلا من الغسق

فانت مهما تريد تشبهها • في كل حال لها تنظر الى الافق

وقوله في مجمرة ابنوس

وخديمة للعلم في احشائها • كلف بجمع حرامه وحلاله

لبست رداء الليل ثم توشحت • بنجومه وتتوجت بهلاله

وقال ابو جعفر احمد الشريشي

على خشن نورا لبا فلا ادري نما • على الحسك امسى خمرة وحفون

يذكرني بلق الحمام ونارنة • يوكد للاشجان سيل عيون

وقال ابو العباس احمد بن شكيل الشريشي

تناخرت بها لبلتي • ابثها سري والشكوي

اضمها معتنقا لاثما • اذا ذكرت سن من اهوي

وقال

تفاحة حامضة عضها • في مثل من قطيا لوجها

ولم اخل من قبلها محنا • تجزي عليه العض والبها

وقال ابو عمرو بن غياث

وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم • ابنكر عنج قد تحلل غيهبا

وليس مشيبا ما ترون وانما • كميت الصبا لما جرى عاد اشهبا

وقال الوزير ابو بكر محمد بن ذي الوزارتين ابي مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن
مخاطبا ابن عبدون

في ذمة الفضل والعليا مرتحل • فارقت صبري اذا فارقت موضعه

ضاقت به برهة ارجا قرطبة • ثم استقل فسد البين مطلعه

عذرا الي المجد عني حين فارقني • ذاك الجلال فما غني ان اشيعه

قد كنت اصحبته قلبي فاقعدني • ما كان اودعني عن ان اودعه

وفيهم يقول ابن عبدون •

بحور بلاغة ونجوم عز • واطواد رواسي من جلال

وقال الوزير الكاتب ابو القاسم بن ابي بكر بن عبد العزيز

نديمي لاعدمتك من نديمي • ادرها في دجي الليل البهيم

فخير الانس انس تحت ستر • يصان عن السفيه او الحليم

وقال الثاير ابو عبد الله الجزيري

في امر راسي سر • يبدو لكم بعد حين

لا بلغن مرادي • ان كان سعدي معيني

او لا فاكتب مني • سعي لاظهار ديني

وسبب قوله هذا ان بني عبد المومن لما غيروا رسم مهديهم وصيروا الخلافة ملكا
وتوسعوا في الرفاهية • واهملوا اخذ الرعية جعل ينتشر وقال هذه الابيات وشاع
سره في مدة ناصر بني عبد المومن فطلبه ففر ولم يزل ينتقل مستخفيا مع اصحابه
الي ان حصل في حصن توليته من عمل مدينة بسطة فبينما هو ذات يوم في جامعها
مع اصحابه وهم يأكلون بطيخا ويرمون قشره في صحن الجامع اذ انكر ذلك رجل من
العامة وقال لهم ما تتقون الله تتهاونون ببيت من بيوته فضحكوا منه واستهزوا
به واهل تلك الجهة لا تحتمل شيا من هذا فصاح بفتية من العامة فاجتمع جمع وحملوا
الي الوالي فكان عند الوالي من عرفه فقتلوا جميعا وامر الناصر ان يرفع عن جميع ارض
توليته جميع تكاليف السلطان وقال علي لسان نهار العامرية وهو النرجس

حدق الحسان تقر لي وتغار • وتضل في وصفي لها وتحار

طلعت علي قضبي عيون تمايمي • مثل العيون تحفها الاشفار

واخص شي بي اذا شبهته • در تمنطق سلكه دينار

انا نرجس حتا بهرت عقولهم • ببديع تركيبي فقيل بهار

وقال في بنفسجها

شهدت لنوار البنفسج السن • من لونه الاحوي ومن اتباعه

بمشابه الشعر الاحم اعار من • السقم المنير الطلق نور شعاعه

ولربما جمد النجيع من الطلي • في صارم المنصور يوم قراعه

فحكاه غير مخالف في لونه • لا في روايحه وطيب طباعه

وقال في القمر حين جعل يختفي بالسحاب ويبدو امام المنصور •

اري بدر السما يلوح حينا • فيبطهر ثم يلتحف السحابا

وذلك انه لما تبدا • وابصر وجهك استحيي وغابا

وقال الحجاري في المسهب سالت ابا الحسن علي بن حفص الجزيري ان ينشدني شيا من
شعره فقال يا ابا محمد انا لم ينظم الانسان مثل قول شرف

لم يبق للجور في ايامكم اثر • الا الذي في عيون الغيد من حور

فالاولي له ان يترك نظم الشعر الي ان خرجت معه يوما الي سيف الجزيرة الخضرا
فلقي غلاما قد كدر رونق حسنه السفر • واثر في وجهه كاثار الكلف في القمر
فصافحه ثم قال •

بابي الذي صافحته فوردت • وجناته واناه يحوي قدة

فريدي كلفا السري في خده • لما توالي في الرحيل جهده

لكن معالم حسنه بينت لنا • قد تم عن صدا الحسام فرنده

فحفظتها من سمعه وقلت له قد اخذت عنك من نظمك بغير شكرك فضحك وقال
فاحفظ هذا وانشد •

لا يقولن فلان • صاحب قبل اختبار

وانتظر وتحمل نقد الليل فيه والنهار

انا قد جربت لم الـ • ـف صديقا باختبار

وانشد

كم قد بكرت الي الرياض وقضبها • قد ذكرتني موقف العشاق

يا حسنها والريح يلحف بعضها • بعضاً كاعناق الى اعناق
والورد خد والاقاحي مبتسم • وعذار النهار ينوب عن احداق
لم انفصل عنها بكاس مدامة • حتى حملت بكاسي الاخلاق

ولما كتب ابو الحسن بن سعيد الى الاديب الشاعر ابي العباس احمد بن بلال يستدعيه ليوم انس

بقوله

ابا العباس لو ابصرت حولي • ندامى بادروا العيش الهنيا
يبيحون المدام ولا انتقاد • وقارهم ويزدادون غيا
وتم مع ما يدالك من عفاف • يحبون الصبية والصبيا
ويهوون المثالث والمثاني • وشرب الراح صبحاً او عشيا
على الروض الذي يهدي لطرف • وانف منظراً بهجاً ورياً
فلا تلم السرى على ارتياح • حكى طرباً بجانبه سريا
وبادر نحو نادمنا خلاص • نداك فقد عهدتك لوذعيا

فاجابه بقوله

ابيت سوى المعالي يا عليا • فاتتك دهرك الزكي حييا
تميل اذا النسيم سرى كغصن • وتسري للمكارم مشرفيا
وترتاح ارتياحا بالمثاني • وتقتنص الصبية والصبيا
وتهوى الروض قد لدنه نداه • والبس مع الحلل الحليا
وان غنى الحمام فلا اصطبار • وان خفق الخليج فبنت حيا
تذكرني الشباب فلست ادري • اصبحا حين تذكر ام عشيا
فلو ادركتني والغصن غض • لادركنا الذي تهوى لديا
ولم اترك وحقك قدر لحظ • وقدنا دينتي ذاك الندبا

وقال بعض اهل الاندلس •

وفرع كان يوعدني باسر • وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لا خوف فاسكن • كلام الليل يمحوه النهار

ولست على يقين ان قائلها اندلسي غير اني رايت في كلام بعض الافاضل نسبتها الاهل الاندلس فالله اعلم وقال ابو الوليد القسطلي

وفوق الدوحة الغنا غدير • تلالا صفحة وصفا قرارا
اذا ما الصيل رق مستقيما • تدور في البحيرة فاستدارا
تجرده من الانبوب صلتا • حساما ثم يقلته سوارا

ولابي بكر الطرطوشي يمدح الناصر بن المنصور

فتوح لنا يهتز شرق ومغرب • كما اطردت في السمهرية اكعب

تجلت

تجلت على الدنيا شموس منيرة • فلم يبق في ليل الكوافر غيهب
اقام بها الاسلام شتى ومفرد • وظلت بارض الشرك بالخطب تخطب
فلا سمع الا وهو قد مال نحوها • ولا قلب الا في مناها يقلب

وقال ابو عامر بن الجد

لله ليلة مشتاق ظفرت بها • قطعتها بوصال اللثم والقبل
نعمت فيها باوتار تعللني • اخلى من الامن او امنية الغزل
احبب الى بها اذ كلها سحر • اراحنا الصبح من عذر ومن عذل

وقال الكاتب ابو عبد الله محمد الشبلي كاتب ملك افريقية عبد الواحد بن ابي حفص

مدامي الكاس من لحظه • لا يحوج الشرب الى كاس
تمت حياتي باس فلم اياس • ولكن كان لي اسي
وقال لولا الناس قبلته • ما اشام الناس على الناس

وقال ابو بكر محمد بن الملح وهو من رجال الذخيرة على لسان حال سوار مذهب

انا من الفضة البيضا خالصة • لكن هذبني خطوب غيرت جسدي
علقت غصن على احوى فاحسدني • جرى الوشاح فهذي صفرة الحسد

وما احسن قوله من قصيدة في المعتضد والد المعتمد •

عز ترا الشمس والحيا يدم • بينهما للنجيع قوس قزح

واما ابنه ابو القاسم فهو من رجال المسهب وكان اشتغل وقال من بالزهد وكتب التصوف فقال له ابوه يا بني هذا الامر ينبغي ان تكون اخر العمر اما الان فينبغي ان تعاشر الادبا والظرفا وتاخذ نفسك بقول الشعر ومطالعة كتب الادب فيما عاشر ثم زينوا له الراح فتهتك في الخلاعة وفر الى اشبيلية وتزوج بامراة لا يليق حالها وصار يضرب معها بالدف فكتب اليه ابوه •

يا سخنة العين يا بني • ليتك ما كنت لي بنيا
ابكيت عيني اطلت حزني • امت ذكري وكان حيا
حططت قدري وكان اعلى • من كل حال من الثريا
اما كفاك الزنا ارتكابا • وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا • وقلت للشرب غن ليا
فاليوم ابكيك ملء عيني • اذ كان يغني البكا شيا

فاجاب اباه بقوله

يا لائم الصب في التصابي • ما عنك يغني البكا شيا
اذ جفت خيل العتاب نحوي • وقيل ونبهتها اليا
وقلت هذا قصير عمر • فازح من الدهر ما تهيا

فذكنت ارجو المتاب مما • فتنت جهلاً به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء • انت وابليس والحميا
وقال ابو بكر محمد بن عبد القادر الشلبي يستدعي
فدونك باكر صحو فيه روضة • تبيح لها الانواء والطير ينتف
وقد طلعت شمس الدنان باقها • ولكن لديها لانتظارك وقفت
فلا تتخلف ساعة عن محلة • صدورك عمن حل فيها تخلف
وقال اخو امام نحاة الاندلس ابي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي وهو ابو الحسن
علي ابن السيد
يا رب ليل قد هتكت حجابه • بزجاجة وقادة كالكوكب
يسعى بها ساق اغر كانها • من خده ورضابه فيه الاشنب
بدر اذ بدر قد امنت غروبه • يسعى ببدر جانح للمغرب
فاذا نعمت بوشك بدر طالع • فانعم ببدر اخر لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كانها • حول المجرة ربرب في مشرب
والليل منحفز يطير غرابه • والصبح يطرده ببياز اشهب
ولما مدح ابو بكر محمد بن الروح الشلبي الامير ابراهيم الذي خطب به الفتح في القلايد
وهو ابن امير المسلمين يوسف بن تاشفين وكان يدل عليه ويباد منه بقصيدته التي اولها
انا شاعر الدنيا وانت اميرها • فما لي لا يسري الي سرورها
اختار الامير الي مضحك كان حاضرا ان يحقق له لقوله انا شاعر الدنيا فقال له
ابن الروح علي من جنيت يعني انه يحتمل ان يكون ذلك الفعل لقوله انا شاعر
الدنيا او لقوله وانت اميرها ففطن الامير لما قصده وضحك وتغافل وقال
ابو بكر بن المنخل الشلبي للامير ابراهيم الذي خطب به الفتح في القلايد وهو ابن امير
المسلمين يوسف بن تاشفين وكان يدل عليه ويباده بقصيدته التي اولها
انا شاعر الدنيا وانت اميرها • فما لي لا يسري الي سرورها
اختار الامير الي مضحك كان حاضرا ان يحقق له لقوله انا شاعر الدنيا فقال له ابن الروح
علي من جنيت انه يحتمل ان يكون ذلك الفعل لقوله انا شاعر الدنيا او لقوله وانت اميرها
ففطن الامير لما قصده وضحك وقال ابو بكر بن المنخل الشلبي
كم ليلة دارت علي كواكب • للخمر تطلع ثم تغرب في فمي
قبلتها في كف من يسعى بها • وخلطت قبلتها بقبلة معصم
وكان نحن بها نديم كاسه • غيم يشير لنا ببعض الانجم
وقال ذو الوزارتين ابو بكر بن عمار •
قرات كتابك مستشفعا • بوجه ابي الحسن من رده
ومن قبل

ومن قبل فض ختام الكتاب • قرات الشفاعة في خده
وقال
غزا القلوب غزال • سجدت اليه العيون
تخط في الخد نونا • واخر الحسن نون
قال الحجاري واكثار ابن عمار في المعذرين واحسانه فيهم يدل على انه كما قيل عنه
عنه كان مشغوفا بالكاس • والاستسقا من غير نعاس وكان ابو الفضل بن الاعلم
اجمل الناس واذكاهم في علم الادب والنحو واقرا علم النحو قبل اذ يلتحي فقال ابن صارة فيه
اكرم بجعفر اللبيب فانه • ما زال يوضح مشكل الايضاح
ما للجمال بخده مترقرق • فالعين منه تجول في ضحضاح
ما خده جرحته عيني انما • صبغت فلالته دماء جراح
لله زايد نرجسي فسجد • في جوهر في كوثر في راح
ذي طرة سبجية ذي غرة • عاجية كالليل والاصباح
رشا له خد البري ولحظه • ابدا شريك الموت في الارواح
وقال الرعادي
نور وغيث مسبل • وقهوة تسلسل
تدور بين فتية • بخلقهم تمثل
والافق من سحابه • طل ضعيف ينزل
كانه من فضة • برادة تغربل
وقال
بدر بدا يحمل شمسا بدت • وحدها في الحسن من حده
تغرب في فيه ولكنها • من بعد ذا تطلع في خده
ومن نظم ابي الفضل بن الاعلم السابق الذكر
وعشية كالسيف الا حده • بسط الربيع لها لمغلي خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا • ما ضر ان كان جمعنا وحده
وهو جعفر بن لوزير ابي بكر محمد بن الاستاذ الاعلم من رجال القلايد والمسهب وسمط
الجمان وكان قاضي شنتمرية والاستاذ الاعلم هو امام نحاة زمانه ابو الحجاج يوسف
ابن عيسى من رجال الصلة والمسهب والسمط وهو شارح الاشعار الست ومن نظمه
تخاطبا المعتمد بن عباد •
يا من تملكني بالقول والعمل • ومبلغي في الذي املته املي
كيما لثنا وقد اعجزتني نعما • ما لي بشكري عليها الدهر من قبل
رفعت للجود اعلاما مشهرة • فبابك الدهر منها عامر السبل

وقال ابو علي ادريس بن اليمان العبدري •

فيلة كانت علي دمش • اذ هبت ما بي من العطش
ولها في القلب منزلة • لو عدتها النفس لم تعش
طرقتني والدجا لبست • خلعا من جلدة الحبش
وكان النجم حين بدا • درهم في كف مرتعش

وساله المعتضد ان يمدحه بقصيدة ليعارض بها قصيدته السينية التي مدح بها ابن محمود فقال له اشعاري مشهورة وبنات صدري كريمة فلا اراد ان ينكح بكرها • فقد عرف مهرها • وكانت جايزته ماية دينار ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق **قوله**

ثقلت زجاجات اتتنا فرغا • حتي اذا مليت بصرف الراح
خفت فكادت تستطير بما حوت • ان الجسوم تخف بالارواح

وكانت بين الاديب الحسيب ابي عمرو بن طبعون والحافظ الهيثم مهاجاة فقال فيه الحافظ • لابن طبعون قريض • فيه شوك وغموض
عدمت فيه القوافي • والمعاني والعروض

وقال فيه ابن طبعون

انما الهيثم سفر • من كلام الناس ضخم
لا تطالبه بفهم • ليس للديوان فهم

وقال ابو عمران بن سعيد اخبرني والدي انه زار ابن احمد بن قرطبة في مدة يحيي ابن غانية فوجدته في هالة من العلما والادبا فقام وتلقاني ثم قال يا ابا عبد الله ما هذا الجفا فاعتذرت بان احشي التثقيل واعلم ان سيدي مشغول بما هو منكب عليه فاطرق قليلا ثم قال

لو كنت تهوا ناطلبت لقاءنا • ليس المحب عن الحبيب بصابر
فدع المعاذر انما هي جنة • للمخادع فيها ولست بغادر

فقلت بقصد بي سيدي عندي احب الي وان ترتبت علي فيها الملامة من منازعته منتصر الحجي فاستحسن جوابي وقال لي كرته فانه والله ما ج لكلاذب ثم سالته كتب البيتين عنه فقال لي وما تكتب فيهما فقلت ليس في الانعام ذلك لا اجد ما اخبر به والدي معظما اذا ابتاليته فاملاهما علي فقلت من قايلهما قال قايلهما فعلمت انهما له وقنعت بذلك وقال الحجاري صاحب المسهب في اخبار المغرب •

كم بت من اسر السهاد بليلة • ناديت فيها مل الجفون لاخر
اوقام هذا الصبح يظهر ملة • حكمت بان ذبحا لظلام الكافر

وعلي ذكر

مطلب الفرق بين المسهَب والمسهِب

وعلي ذكر المسهب فقد كنت كثيرا ما استشكل هذه التسمية لما قال غير واحد ان المسهبا انما هو بفتح الهاء كقولهم سيل مفعم بفتح العين والعقرة الثانية ومن في المغرب تقتضي ان يكون بكسر الها ولم يزل ذلك يتردد في خاطري الي ان وقفت علي سوال في ذلك رفعه المعتمد بن عباد سلطان الاندلس الي الفقيه الاستاذ ابي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسي النحوي الشنتمري المشهور بالاعلم ونص السوال السالك ابقاك الله الوزير الكاتب ابو عمرو بن غطش سلمه الله عن المسهب وزعم انك تقول بالفتح والكسر والذي ذكر ابن قتيبة في ادب الكاتب والزبيدي في مختصر العين اسهب الرجل فهو مسهب اذا اكثر الكلام بالفتح خاصة فبين لي ابقاك الله ما تعتقد فيه والي اي كتاب تستند القولين لاقف علي صحة من ذلك فاجابه وصل الي ادام الله توفيقك هذا السوال العزيز ووقفت علي ما تضمنه والذي ذكرته من قول ابن قتيبة والزبيدي في الكتابين موضوع كما ذكرته والذي احفظه واعتقده ان المسهب بالفتح المكثر في غير صواب وان المسهب بالكسر البليغ المكثر من الصواب الا اني لا اسند ذلك الي كتاب بعينه ولكني اذكر عن ابي علي البغدادي من كتاب البارع او غيره معلقا في عدة نسخ من كتاب البيان والبيتين علي بيت في صدر لمكي بن سواده وهو

حصر مسهب جري جبان • خير عيا لرجال عي السكوت

والعلقة بقول العرب اسهب الرجل فهو مسهب واحصن فهو محصن والفج فهو ملفج اذا افتقر قال الخليل يقال رجل مسهب ومسهب قال ابو علي اسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا اكثر واصاب قال ابو عبيدة اسهب الرجل فهو مسهب اذا اكثر من خرف وتلف ذهنه قال ابو عبيد عن الاصمعي اسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا خرف فان اكثر من الخطا قيل افند فهو مفند انتهت المعلقة فراي مملوكك ايدك الله واعتقاده ان المسهب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب الا تري قول الشاعر حصر مسهب انه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين وجعل المسهب احق بالعي من الساكت والحصر فقال خير عيا لرجال عي السكوت والدليل علي ان المسهب بالكسر يقال للبليغ المكثر من الصواب انهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة لانها بمعني الاجادة والاحسان وليس قول ابن قتيبة والزبيدي في المسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب ان المكثر هو البليغ المصيب لان الاكثار في الكلام داخل في معني الذم لانه من الثرثرة والهذر الا تراهم قالوا رجل مكثار كما قالوا ثرثار ومهذار

وقال الشاعر

فلا تمادون انما روابا كثار • فهذا ما عندي والله الموفق للصواب

قال الاعلم ثم نظمت لسؤال الوزير والجواب المذكور فقلت

سلام الاله وريحانه • على الملك المجتبى المنتخل
سلام امرئ ظل من سيبه • خصيب الجنان رحيب المحل
اتاني سؤالك اعزز به • سؤال مبر على من سال
تسايل عن حالتي مسهب • ومسهبا المبتلى بالعلل
لم اختلفا في بناء بيهما • وحكمهما واحد في فعل
اتى ذا على مفعل لم يبل • وذاك على مفعل فاعل
فقلت مقالا على صدقه • شهيد من العقل لا يستزل
بنا البليغ التي سالما • سلامته في فضول الخطل
واسهب ذاك فما فازل • زليلا نبى متنه فانخزل
ولحن ذا الجرى ومتنه • على سنن الحسن المستقل
فهذا مقالى مستبصرا • ولست كما قال حسا فضل
تقلدت في رايه مذهبا • يجيك بين الظبى والاسل
سموت في الروع مستشرفا • الى مهجة المستميت البطل
كانك فيها هلال السما • يضي الظلام اذا ما اطل

انتهى قلت رايت في بعض الحواشي الاندلسية ان ابن السكيت ذكر في بعض كتبه في بعض ما جعله بعض العرب فاعلا وبعضهم مفعولا رجل مسهب ومسهب للكثير الكلام وهذا يدل على انهما بمعنى واحد انتهى وسال بعض الادبا الاستاذ الاعلم المذكور عن المسالة الزنبورية المقترنة بالشهادة الزورية الجارية بين سيبويه والكسائي او الفرا والقضا بينهم فيها وهي ظننت ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي او اياها وعن نسب سيبويه هل هو صريح او مولى وعن سبب لزومه الخليل بعد ان كان يطلب الحديث والتفسير وعن علة تعرضه لمناظرة الكسائي والفرا وعن كتابه الجاري بين الناس هل هو الكتاب انشاه بعد كتاب اول ضاع كما زعم بعض الناس فاجاب اما المسالة المالوفة بين سيبويه والكسائي او بينه وبين الفرا على حسب الاختلاف في ذلك بحضرة الرشيد وبحضرة يحيى بن خالد البرمكي فيما يروى فقد اختلفت الرواة فيها فمنهم من زعم ان الكسائي والفرا قال لسيبويه كيف تقول ظننت ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو اياها فاجاب سيبويه بعد ان اطرق مليا فاذا هو اياها في بعض الاقاويل وزعم اخرون انه قال فاذا هو هي فقيه من الاختلاف عنهم ما ترى فان كان اجاب باذا هو هي فقد اصاب لفظا ومعنى ولم تدخل عليه في جوابه شبهة ولا علقة لمعترض لان اذا في المسالة من حروف

مطلب بيان المسئلة الزنبورية

بوجه

الابتدا

الابتدا المضمومة للتعليق بالخبر فانا اعتبرنا المضمرين بعدها بالاسمين المظهرين لما كان تقول فاذا الزنبور العقرب او الشدة اللسعة اي مثلها سواء فلو قلت فاذا هو اياها بنصب الضمير الاخر لما كان تقول فاذا الزنبور العقرب بالنصب وهذا لا وجه له فاذا لم يجز الخبر المظهر فكيف يجوز نصب الخبر المضمر الواقع موقعه ويروى في المسالة ان الكسائي والفرا قال لسيبويه بعد ان اجاب برفع الضميرين على ما يوجبه القياس كيف تقول يا بصري خرجت فاذا زيد قائم او قائما فقال سيبويه اقول قائم ولا يجوز النصب فقال الكسائي اقول قائم وقائما والقائم بالرفع والنصب في الخبر مع النكرة والمعرفة فتاول الكسائي والفرا في اختيارهما فاذا هو اياها حمل الخبر المضمر في النصب على الخبر المظهر المعرفة مع الاعراب بوجها النصب فكانه قال فاذا الزنبور العقرب كما تقول فاذا زيد القائم فيجري المعرفة في النصب مجرى النكرة وقولهما في هذا خطا من جهتين احداهما ان نصب الخبر بعد اذا لا يكون الا بعد تمام الكلام الاول في الاسم مع حرف المفاجاة ومع كون الخبر نكرة كقولك خرجت فاذا زيد قائما لانك لو قلت خرجت فاذا زيد لتم الكلام لتعلق المفاجاة بزيد على معنى حضوره ثم تبين حاله في المفاجاة المتعلقة به فتقول قائما اي خرجت ففاجاني زيد في هذه الحال وقوله في المسالة اياها لا يتم الكلام في الاسم الاول دونها الا ترى انك لو قلت ظننت ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو وسكت لم يتم الكلام اولا لا افادت بذكر المفاجاة وتعليقها بالزنبور فاذا بينت وانما المفاجاة وتعليقها بالزنبور للضمير الاخر فلا بد من ذكره والاعتماد عليه وهذا يوجب الرفع في الخبر لان الظرف له لا للمخبر عنه فهذا بين واضح والجهة الاخرى في غلطهما ان اياها معرفة والحال لا تكون الا نكرة فقد اجتمع في قولهما ان اياها لم يتم الكلام دونها معرفة والحال لا تكون الا بعد تمام الكلام ومع التنكير فقد تبين خطاوهما واصابة سيبويه في لزومه الرفع في الخبر فقط واما من زعم عن سيبويه انه قال خرجت فاذا زيد قائم بالرفع لا غير فباطل وكيف ينسب اليه وهو علمنا ان الظرف اذا كان مستقرا للاسم المخبر عنه نصب الخبر واذا كان مستقرا للخبر رفع الخبر ونحن نقول خرجت فاذا زيد فيتم الكلام ونظرت فاذا الهلال طالع فيتبعه الخبر رفعا كما تقول في الدار زيد قائم وقائما واليوم سيرك سريع وسريعا ولكن الخبر اذا كان الظرف له ولم يتعلق الا به لم يكن الا رفعا كقولك اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج لان الظرف لا يكون مستقرا للاسم المخبر عنه اذا كان زمانا والمخبر عنه جثة وكذلك المفاجاة اذا كانت للخبر لم يكن الامر فوعا معرفة كان او نكرة فان كانت

نصبه

المخبر عنه والخبر نكرة انتصب الحال فجرى قولك ظننت ان العقرب اشد لسعة
من الزنبور فاذا هو هي وظننت زيدا عالما فاذا هو جاهل في لزوم الرفع في الخبر
مجرى اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج كما جرى خرجت فاذا زيد جالس وجالسا
فتامل الفرق بينهما وحصله فان النحويين المتقدمين والمتاخرين قد غفلوا
الفرق بين المفاجاتين وانما نصب الخبر المعرفة بعد اذا اذا تم الكلام ولم يتم
فباطل لا تقوله العرب ولا تجيزه الا الكوفيون وان كان سيبويه رحمه الله تعالى
اجاب بقوله فاذا هو اياها كما روى بعضهم فظاهر جوابه مدخل لما قدمته
والخطا فيه بين من جهة القياس لما ذكرنا فان كان قاله والتزمه دون الرفع
فهذا خطا لا مخرج له منه وان كان قد قاله وهو يرى ان الرفع اولى واحق
الا انه اثر النصب للاعراب حملا على المعنى الخفي دون ما يوجبه القياس
واللفظ الجلي فلجوابه عندي وجهان حسنان احدهما ان يكون الضمير
المنصوب وهو اياها كناية عن اللسعة لا عن العقرب والضمير المرفوع
كناية عن الزنبور لسعة العقرب فكانه قال ظننت ان العقرب اشد لسعة
من الزنبور فاذا الزنبور لسعة العقرب اي فاذا الزنبور يلسع لسعة
العقرب فاختزل الفعل لما تقدم من الدليل عليه بعد ان اضمر اللسعة
متصلة بالفعل فكانه قال فاذا الزنبور يلسعها فانفصل الضمير بالفعل
ونظير هذا من كلام العرب قولهم انما انت شرب الابل اي انما انت تشرب
الابل فاختزل الفعل وبقي عمله في المصدر ولم يرفع لانه غير الاسم الاول فلو
اضمرت شرب الابل بعد ما جرى ذكره فقلت ما يشرب زيد شرب الابل انما انت
تشربه لاتصل الضمير بالفعل فلو حذفته لانفصل الضمير فقلت انما انت اياه
فتدبره تجده منقادا صحيحا والوجه الاخر ان يكون قوله فاذا هو اياها
محمولا على المعنى الذي اشتمل عليه اصل الكلام من ذكر الظن اولا واخرا لان
الاصل في تاليف المسالة ظننت ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فلما
لسعني الزنبور ظننته هو اياها فاختصر الكلام لعلم المخاطب وحذف الظن
اخرا لما جرى من ذكره اولا ولان اذا لما فيها من المفاجاة على الفعل الواقع
بعدها الدالة على وقوع الشيء لوقوع غيره فاذا جاز حذف الكلام ايثارا
للاختصار مع وجود الدليل على المحذوف كان قولنا فاذا هو اياها بمنزلة
قولنا فلما لسعني الزنبور ظننته هو اياها فحذف الظن مع مفعوله الاول
وبقي الضمير الذي هو العماد والفصل موكدا للضمير المحذوف مع الفعل دالا
على ما ياتي بعده من الخبر المحتاج فيكون في حذف المخبر عنه لما تقدم من
الدليل عليه مع الاتيان بالعماد والفصل الموكد له المثبت لما بعده من الخبر

المحتاج

المحتاج فيكون في حذف المخبر عنه لما تقدم من الدليل عليه مع الاتيان بالعماد
والفصل الموكد له المثبت لما بعده من الخبر المحتاج اليه مثل قوله ولا يحسبن الذين
يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم فحذف البخل الذي هو المفعول الاول
لقوله يحسبن وبقي الضمير موكدا له مثبتا لما بعده من الخبر وجاز حذفه لدلالة
يبخلون عليه والمعنى لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيرا لهم فهو في المسالة
عماد موكد لضمير الزنبور المحمول على الظن المضمر ومثبت لما يجي بعده من الخبر
الذي هو اياها فتفهمه فانه متمكن من جهة المعنى وجار من الاختصار لعلم
المخاطب على قياس واصل وشاهده القران في الحذف واستعمال العرب النظاير
ومنه اكثر من ان نحصي فمنها قولهم ما اغفله عنك شيا اي تثبت شيا ودع الشك
وقولهم لمن انكر عليه ذكر انسان ذكره من انت زيدا اي من انت تذكر زيدا وربما
قالوا من انت زيد بالرفع على تقدير من انت ذكرك زيد فحذفوا الفعل مرة
وابقوا عمله وحذفوا المبتدا اخرى وابقوا خبره وكل ذلك اختصار لعلم المخاطب
بالمعنى وكذلك قولهم هذا ولا زعماتك اي هذا القول والزعم الحق ولا اتوهم
زعماتك فحذف هذا لعلم السامع من تحصيل المعنى وقيامه عند المخاطب والحمل
في كلامهم على المعنى اكثر من ان نحصي فان كان الضمير الاول في المسالة للزنبور
المبتدا والا الضمير الاخر للعقرب لم يجز البتة الا رفع الضميرين بالابتدا والخبر
على حد قولك ظننت زيدا عاقلا فاذا هو احمق وحسبت عبد الله قاعدا فاذا
هو قايم ولو تقدم ذكر الخبر والمخبر عنه لقلت فاذا هو هو ولم يجز فاذا هو
اياه البتة ويجوز في المسالة اذا قلت فاذا هو هي ان يكون الضمير للزنبور
والعقرب على حد قولك فاذا الزنبور العقرب اي مثلها ويجوز فاذا هو على
التقديم والتاخير على حد قولك فاذا العقرب الزنبور سوا في شدة اللسعة
كما تقول خرجت فاذا قايم زيد على تقدير فاذا زيد قايم ويجوز ان يكون هو كناية
عن اللسع بدلالة اللسعة عليه وتكون هي كناية عن اللسعة على تقدير فاذا لسع
الزنبور لسعة العقرب ويجوز فاذا هو هي على اضمار اللسعة واللسع والتقدير
فاذا اللسعة الزنبور لسع العقرب وهذا كله لا يجوز فيه الا الرفع عند البصريين
لان الاخر هو الاول والخبر معرفة متعلق بالمفاجاة فلا يجوز فيه الحال
والكوفيون يجيزون النصب كما تقدم وهو غلط بين وخطا فاحش لا تقوله
العرب ولا تعلق له بقياس فاعلمه ويجوز في المسالة فاذا هو هو على تقدير
فاذا اللسع اللسع ويجوز فاذا هي هي على معنى فاذا اللسعة اللسعة وهذا في
كفاية ان شا الله واما نسب سيبويه ففارسي مولى لبني الحارث بن كعب بن علة
ابن خلدة بن مالك وهو مذحج واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر وكنيته ابو البشر

ولقبه الذي شهر به سيبويه ومعناه بالفارسية رايحة التفاح وكان من اطيب
الناس رايحة واجملهم وجها وقيل معنى سي ثلاثون ومعنى بويه من سيبويه رايحة
فكان معناه الذي ضوعف رايحة ثلاثين مرة واما سبب تعويله على الخليل
في طلب النحو مع ما كان عليه من الميل الى التفسير والحديث فانه سال يوما حماد بن سلمة
فقال له احدثك هشام بن عروة عن ابيه في رجل رعف في الصلاة بضم العين فقال
له حماد اخطات انما هو رعف بفتح العين فانصرف الى الخليل فشكا اليه ما لقيه من
حماد فقال له الخليل صدق حماد ومثل حماد يقول هذا ورعف بضم العين لغة
ضعيفة وقيل انه قدم البصرة من البيضا من قرى شيراز من عمل فارس وكان مولده
ومنشاه بها ليكتب الحديث وبرويه فلزم حلقة حماد بن سلمة فبينما هو يستملي
على حماد قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من اصحابي الا من لو شيت لاخذت عليه
ليس ابا الدردا فقال سيبويه ليس ابو الدردا بالرفع وضمنه اسم ليس فقال
حماد لحنت يا سيبويه ليس هذا حيث ذهبت انما ليس ها هنا استثنا فقال
سيبويه سا طلب علما لا تلحنني فيه فلزم الخليل وبرع في العلم واما سبب وفوده
على الرشيد ببغداد وتعرضه لمناظرة الكسائي والفرا فلما كانا عليه من تمكن
الحال والقرب من السلطان وعلو همته وطلبه للظهور مع ثقته بعلمه
لانه كان اعلم اهل زمانه وكان بينه وبين البرامكة اقوى سبب فوفد على يحيى
ابن خالد بن برمك وابنيه جعفر والفضل فعرض عليهم ما ذهب اليه من
مناظرة الكسائي واصحابه فسعوا له في ذلك واوصلوه الى الرشيد فجرى بينه
وبين الكسائي والفرا ما ذكر واشتهر وكان اخر امرهم ان الكسائي واصحابه لما
ظهروا عليه بشهادة الاعراب على حسب ما لقنوا ان قال يحيى بن خالد او الكسائي
للرشيد يا امير المومنين انه ان راى الا يرجع خايبا فعلت فامر له بعشرة الاف
درهم وانصرف الى الاهواز ولم يعرج على البصرة واقام هنالك مدينة
الى ان مات كمدا ويروى انه ذرب معدته فمات فيروز انه مات غما ويروى ان
الكسائي لما بلغه موته قال للرشيد يا امير المومنين فاني اخاف ان اكون
شاركت في دمه ولما احتضر وضع راسه في حجر اخيه فقطرت دمعة من دموعه
على خده فرفع عينيه وقال •
احيين كنا فرقدين بيننا • الى الامد الاقصى ومن يامن الدهرا
ومات على السنة والجماعة رحمه الله تعالى واما كتابه الجاري بين الناس
يحتاج انشاه بعد كتاب اخر قبله على ان ذلك قد ذكر فهذا ما حضر فيما سالت عنه
فمن قراه واشرف فيه على تقصير فليبسط العذر فانه لساعتين من نهار املا يوم
الثلاثا عشى النهار لثمان خلون لصفر سنة ٦ ٤٥ انتهى وقال الالبيري رحمه الله

لاشي

لاشي اخسر صفقة من عالم • لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه ايدي سبا • ويذيله حرصا بجمع المال
لا خير في كسب الحرام وقلما • يرجى الخلاص لكاسب لحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة • فالفضل تسال عنه اي سوال
وكان ابو الفضل بن الاعلم من احسن الناس وجها واذكرهم في علم النحو والادب وقرا
النحو في صباه وفيه يقول ابن صاره الاندلسي رحمه الله
اكرم بجعفر الحبيب فانه • ما زال يوضح مشكل الايضاح
ما الجمال بخده متر قرق • فالعين منه بجول في ضحضاح
ما خده جرحته عيني انما • صبغت غلالته دما جراح
لله زاير زبرجد في عسجد • في جوهر في كوثر في راح
ذي طرة سبجية ذي غرة • عاجية كالليل في الاصباح
رشا له خد البري ولحظه • ابدا يريك الموت في الارواح
وقال محمد بن هاني الاندلسي من قصيدة
النافرات كانهن كواكب • والناعمات كانهن غصون
ماذا على حلل الشقيق لوانها • عن لابسيها في الخدود دنين
لا عطشن الروض بعدهم ولا • يرويه لي دمع عليه هتون
لا عين لحظ العين بعد منظر • واحوانهم اني اذا لخوت
لا الجو جو مشرق وان اكتسى • زهرا ولا الما المعين معين
لا يبعدن اذا العبير له ثرى • والبان دوح والشموس قطين
الظل لا متنقل والحوض لا • متكدر والامن لا ممنون
وقال القسطلي في اسطول انشاه المنصور بن ابي عامر من قصيدة
تحمل منه البحر بحرا من القنى • يروع بها امواجه ويهول
بكل معالات الشراع كانها • وقد حملت اسد الحقايق غيل
اذا سابقت شاو الرياح تخيلت • خيولا مدى فرسانهن خيول
سحايب تزجيها الرياح فان وفت • اناقت باجياد النعام فيول
ظبا سمام ما لهن مفاحص • وزرق حمام ما لهن هديل
سواكن في اوطانهن كانما • بها الموج حيث الراسيات تزول
كما دفع الال الهوادج بالضحى • غداة استقلت بالخليط حمول
اراقم تقري ناقع السم ما لها • بما حملت دون العداة مقيل
وقد اطنب الناس في وصف السفن واطابوا • وفرطسوا القريض واصابوا
وقد ذكرنا نبذة من ذلك في هذا الكتاب • وقال ابو بحر صفوان بن ادريس

النجيبي حدثني بعض الطلبة بمراكش ان ابا العباس الجراوي كان في حانوت
وراق بتونس وهناك فتى يميل اليه فتناول لمنتى سوسنة صفرا واوما
بها الى خده مشيرا وقال ابن الشعرا اجز بكا الجراوي فقال مرتجلا

وعلوي الجمال اذ ابتدي • اراك جبينه بدرا انارا
اشار بسوسن يحكيه غرقا • ويحكي لون عاشقه اصفرارا

قال ابو بحر ثم سالني ان اقول في هذا المعنى فقلت بديهيا

اوما الي خده بسوسنة • صفرا صيغت من وجنتي عبده
لم ترغبني من قبله غصنا • سوسنة باينا ازا ورده
اعملت زجري فقلت رتبيا • قرب خد المشوق من خده

فحدثني المذكور انه اجتمع فيه بي بعينه فحدثته بالحكاية كما حدثني فساله
ان يقول في تلك الحال فقال بديهيا •

بجه شاوشنانهما انثني • حار قضيب البان في قده
مندولي الحسن وسلطانه • صارت قلوب الناس من جنده
اودع في وجنته زهرة • كانها تجزع من صده
وقد تناءكت على فعله • اني اري خدي على خده

فتعجب من نوادر خاطر بيا على معنى هذا البيت الاخير قال ابو بحر ثم قلت

في تلك الحال

ابرز من وجنته وردة • اودعها سوسنة صفرا
وانما صورته اية • ضمنها من سوسن عشرا

وقال بعضهم في الباذنجان

ومشتحن عند الطعام مدخرج • غداه يميز الما في كل بستان
تطلع في اقماعه فكانه • قلوب نعاج في مخاليب عقبان

وقال ابن خروف ويقال انها في وصف دمشق

اذا رحلت عروبتها عن حماها • تناوه كلا اواه حليم
الى سبت حكي فرعون موسي • يجمع كل سحار عليم
فتبصر كل املود قويم • يميس بكل ثعبان عظيم
اذا انسابت اراقمها عليها • تذكرنا بها لسيل التسليم
وشاهدنا بها في كل حين • خيالا الغيث نحو الكليم

وقال ابو القاسم بن هشام ارتجالا في وسيم عض وردة ثم رمي بها وسيل ذلك منه امتحانا

ومعجز الاوصاف والوصاف في • بردي جمال الطرز بالتنبيه
سوسان انملة تناول وردة • فغدا يمزقها اقاحي فيه

فكانني

فكانني شبهت وجنته بها • فرمي بها غضبا على التشبيه

وقال ايضا فيمن عض وجنته كلب • •

[margin: لعلها عضا]

واغيد وضاح المحاسن باسم • اذا قامره الابصار ناظره قمر

[margin: لعلها رابه]

تعمد كلب عض وجنته التي • بها لون ذا ابنا عا وابقي بها اثر
فقلت لسهيل الافق كيف عماكم • وقد اثر العوا في صفحة القمر

وقال اخر يصف شجة في خد وسيم • •

عذيري من ذي صفحة يوسفية • بها شجة جلت عن اللثم واللمس
يقولون من عجب لحسن وصفها • فقلت هلال لاح في شفق الشمس

وقال القاضي ابو الوليد الوقشي فيمن طر شاربه

قد بينت فيه الطبيعة انها • لبديع افعال المهندس ماهره
عنيت بمبسمه فخطت فوقه • بالمسك خطا من محيط الدائره

وقال ابو الحسن بن عيسى • •

عابوه اسمر ناحلا ذا زرقة • رمدا وظنوا ان ذاك يشينه
جهلوا بان السمهري شبيهه • وخضابه بدم القلوب يزينه

وقال الاستاذ ابو ذر الخشني • •

انكر صحبي اذ راوا طرفه • ذا حمرة يشقى بها المغرم

[margin: يناسبه
والدم في النصل شاهد عجب]

لا تنكروا ما احمر من طرفه • فالسيف لا ينكر فيه الدم

وقال ابو عبد الله محمد بن ابي خالص الرندي

يا شادنا ابرز العذار بخده • فلذاك حسنا ليته لم يبرز
الان اعلم حين جد بي الهوي • كم بين مختصر وبين مطرز

وقال ابو الحسين عبد الملك بن مغوز المعافري

ومعذر من خده ورقيبه • سهلان حلا عقد كل عزيمه
خد وخب عيل صبري منهما • هذا بنمنمه وذا بنميمه

وقال ابو الوليد بن زيدون فيمن اصابه جدري

قالوا اعمل من بوت حسود • قلت انت العليل ويحك لا هو
ما الذي انكرته من بثرات • ضاعفت حسنه وزانت حلاه
جسمه في الصفا والرقة الما • فلا عزوا ان حباب علاه

وقال ابو النسيم

قالوا به جرب فقلت لهم فقوا • تلك الندوب مواقع الابصار
غصن ورضة والقد غصن ناعم • ارايتم غصنا بلا نوار

وقال ابو بكر محمد بن عياض القرطبي في مخضوبة الانامل

وعلقتها فتانة اعطافها • تزري ببعض البانة المياد
من للغزالة فالغزال يحبها • في الحسن وفي العين او في الهاد
خضبت انا ملها السواد وقلما • ابصرت اقلاما بغير مداد
وقال ابو الحسين المعري •
بدا يوسف وشد امعيدا • فللعين ما تشتهي الاذن
كان باعلاه قمرية • تغرد من قد في اذن عصن

وقال ابن صارة

متنام حتر بارض هون • عجز لعمري من المقيم
سافر فان لم تجد كريما • فمن لئيم الي لئيم
وقال المعتمد بن عباد رحمه الله
مولاي اشكو اليك داء • اصبح قلبي به قريحا
سخطك قد زادني سقاما • فابعث الي الرضي مسيحا (لعله مسيحي)
وقال بعضهم وقوله مسيحا من القوافي التي يتحدي بها وكتب الي ابيه
جوابا عن تحفة •
يا مالكا قد اصبحت كفه • تساخر بالعارض الهاطل
قد اتحفتني منة مثلها • يضيق القول علي القائل
وان اكن قصرت في وصفها • فحسنها عن وصفها شاغلي
وكتب الي وزيره ابن عمار •
لما نات ناي الكري عن ناظري • ودددته لما انصرفت عليه
طلب البشير بشارة يجزي بها • فوهبت قلبي واعتذرنا اليه
وقال في جارية له كان يحبها وبينما هي تسقيه اذ لمع البرق فارتاعت
يروعها البرق وفي كفها • برق من القهوة لماع
يا ليت شعري وهي شمس الضحي • كيف من الانوار ترتاع
ومن توارد الخواطر ان ابن عباد انشد عبد الجليل بن وهبون البيت
الاول وامره ان يذيله فقال •
ولن تري اعجب من انس من • مثل ما تمسك يرتاع
وقال المعتمد رحمه الله •
داوي ثلاثته بلطف ثلاثة • فثنين بذا الكرم قبيه لم يشعر
اسراره بتستر وواده • بتصبر وخياله بتوفر
وكانت له جارية اسمها جوهرة وكان يحبها فجري بينهما عتاب وراي
ان يكتب اليها يسترضيها فاجابته برقعة لم تعنونها باسمها فقال

لم تضف

لم تضف لي بعد الاقلم • لم ادري في عنوانها جوهره
درت بأني عاشق لاسمها • فلم ترد للغيظ ان تذكره
قالت اذا ابصره ثابتا • قبله والله لا ابصره

وقال في هذه الجارية

سرورنا بعدكم ناقص • والعيش لا صاف ولا خالص
والسعد ان طالعنا نجمه • وغبت فهو الافل الناكص
سموك بالجوهر مظلومة • مثلك لا يدركه غائص

وقال فيها ايضا

جوهر عذبني • منك تمادي الغضب
فزورني في صعد • وعبري في صبب
يا كوكب الحسن الذي • تزري بزهر الشهب
مسكنك القلب فلا • ترضي له بالوصب

وقال في جارية اسمها وداد

اشرب الكاس في وداد ودادك • وتانس بذكرها في انفرادك
قمر غاب عن جفونك مراه • وسكناه في سواد فؤادك

وقال

لك الله كم اودعت قلبي من اسي • وكم لك ما بين الجوانح من كلم
لحاظك طول الدهر حرب لمجتني • الا رحمة تثنيك يوما الي السلم

وقال (لعله ابن اللبانة)

قلت متي ترحمني • قال ولا طول الابد
قلت فقد ايستني • من الحياة قال قد
واهدي ابو الوليد بن زيدون باكورة تفاح الي المعتضد والد المعتمد وكتب معها
يا من تزينت الرياسة • حين البس ثوبها
جاءتك جامدة المدام • فخذ عليها ذوبها
وقال المعتمد وقد امره ابو المعتضد ان يصف مجنا فيه كواكب فضة
مجن حكا صانعوه السما • لتقصر عنه طوال الرماح
وقد صوروا فيه شبه الثريا • كواكب تقضي له بالنجاح
وقال ابن اللبانة كنت بين يدي الرشيد بن المعتمد في مجلس انسه فورد الخبر
باخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ٤٨٣ فتبجح وتلهف واسترجع وتاسف
وذكر قصر غرناطة فدعونا للقصر بالدوام وللملكه بتراخي الايام وامر
عند ذلك ابا بكر الاشبيلي بالغنا فغني

يا دار مية بالعليا فالسند • اقوت وطال عليها سالف الابد
فاستحالت مسرته • وتجهمت اسرته • وامر بالغنا من بشارته فغني
ان شيئا لا ترى صبر المضطر • فانظر الى اي حال اصبح الطلل
فتاكد تطيره • واستدار بداد وجهه وتغير وامر مغنية اخري بالغنا فغنت
يا لهف نفسي علي مال افرقه • علي المقلين من اهل المروات
ان اعتذاري الي من جاء يسالني • ما ليس املك من احدى المصيبات
قال فتلافيت الحال بان قلت •
محل مكرمة لا هد مبناه • وشمل مأثرة لا شتت الله
البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا • ان الرشيد مع المعتمد ركناه
ثاو على انجم الجوزا مقعده • وراحل في سبيل السعد مسراه
حتم على الملك ان يقوي وقد وصلت • بالشرق والغرب يمناه ويسراه
بأس توقد فاحمرت لواحظه • ونائل شب فاخضرت عذاراه
فلعمري لقد بسطت من نفسه • واعادت عليه بعض انسه • على اني وقعت
فيما وقع فيه الكل لقولي البيت كالبيت وامر اثر ذلك ابا بكر بالغني فغني
ولما قضينا من منى كل حاجة • ولم يبق الا ان تزم الركايب
فايقنا ان هذا التطير يعقبه التغير • وقد كان المعتضد عباد حين تصرمت
ايامه • وتداني حمامه • استحضر مغنيا يغنيه ليجعل ما يبتدا به فالا فكان
المغني السوسي فاول شعر قاله •
نطوي المنازل علما ان ستطوينا • فتشعشعها بما المزن واسقينا
فمات بعد خمسة ايام وكان مراد الغنا من هذا الشعر في خمسة ابيات
وقال المعتمد بعد ما خلع وسجن •
قبح الدهر فماذا صنعا • كلما اعطي نفيسا منعا
قد هوى ظلما بمن عاداته • ان ينادي كل من يهوى لعا
من اذا قيل الخنا صم واذ • نطق العافون همسا سمعا
قل لمن يطمع في نايله • قد ازال الياس ذاك الطمعا
راح لا يملك الا دعوة • جبر الله العفاة الضيعا
وقال ابن اللبانة كنت مع المعتمد باغمات فلما قاربت الصدر وازمعت
السفر • صرف حيله • واستنفد ما قبله • وبعثا الي مع شرفا الدولة ولده
وهذا من بنيه احسن الناس سمتا • واكثرهم صمتا • تخجله اللفظة • وتجرحه
اللحظة • حريص على طلب الادب • مسارع في اقتنا الكتب • مثابر على نسخ
الدواوين • مفتح من خطه فيها زهر الرياحين • بعشرين مثقالا مرابطية •

وثوبين

وثوبين غير مخيطين وكتب معها ابياتا منها •
اليك النزر من كف الاسير • وان تقنع فكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياء • وان عذرته حالات الفقير
فامتنعت من ذلك عليه واجبته بابيات منها
تركت هواك وهو شقيق ديني • لئن شقت برودي عن غدير
ولا كنت الطليق من الرزايا • اذا اصبحت اجحف بالاسير
جذيمة انت والزباء خانت • وما انا من يقصر عن قصير
تصرف في الندا حيل المعالي • فتسمح من قليل بالكثير
واعجب منك انك في ظلام • وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف يوسعني سرورا • اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلني رتب المعالي • غداة تحل في تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء • بها وازيد ثم على جرير
تاهب ان تعود الى طلوع • فليس الخسف ملتزم البدور
واتبعتها ابياتا منها •
حاش لله ان اجيح كريما • يتشكي فقرا وقد سد فقرا
وكفاني كلامك الرطب نيلا • كيف القى درا واطلب تبرا
لم تمت انما المكارم ماتت • لا سقى الله بعدك الارض قطرا
وراى ابن اللبانة احد ابناء المعتمد وهو غلام وسيم قد اتخذ الصياغة صناعة
وكان يلقب ايام سلطانهم من الالقاب السلطانية بفخر الدولة فنظر اليه
وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ وقد جلس في السوق يتعلم الصياغة فقال
شكاتنا فيك يا فخر العلا عظمت • والرزء يعظم ممن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة • ومعضلة ضاقت عليك وكم طوقتنا نعما
وعاد طوقك في دكان قارعة • من بعد ما كنت في قصر حكى ارما
صرفت في آلة الصياغ انملة • لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها • فتستقل الثريا ان تكون فما
يا صايغا كانت العليا تصاغ له • حليا وكان عليه الحلي منتظما
للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى • هول رايتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عيني اليك به • لو ان عيني تشكو قبل ذاك عمى
ما حطك الدهر لما حط عن شرف • ولا تحيف من اخلاقك الكرما
لح في العلى كوكبا ان لم تلح قمرا • وقم بها ربوة ان لم تقم علما
واصبر فربتما احمدت عاقبة • من يلزم الصبر يحمد غبه لزما

اصلها زايد معضله

والله لو انصفتك الشهب لانكسفت • ولو وفي لك دمع الغيث لانسجما

ابكي حديثك حتى الدر حين غدا • يحكيك رهطا والفاظا ومبتسما

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله وقفت على قبر المعتمد بن عباد بمدينة اغمات في حركة راحة اعملتها الى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الاثار سنة ٧٦١ وهو بمقبرة اغمات في نشز من الارض وقد حفت به سدرة والى جنبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما هيئة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما فانشدت في الحال

قد زرت قبرك عن طوع باغمات • رايت ذلك من اولى المهمات

لم لا ازورك يا اندى الملوك يدا • ويا سراج الليالي المدلهمات

وانت من لو تخطى الدهر مصرعه • الى حياتي لجادت فيه ابياتي

اناف قبرك في هضب يميزه • فتنتحيه حفيات التحيات

كرمت حيا وميتا واشتهرت علي • فانت سلطانا احيا واموات

ما ريء مثلك في ماض ومعتقد • الا يرى الدهر في حال ولا اتي

انتهى وقد زرت انا قبر المعتمد باغمات سنة ١٠١٠ ورايت فيه مثل ما ذكره لسان الدين رحمه الله فسبحان من لا يبيد ملكه لا اله الا هو واخبار المعتمد كثيرة وقال وزير ابو الوليد بن زيدون

متى اخفي الغرام بصبغة جسمي • بالسنة الضنى الخرس الفصاح

فلو ان الثياب نزعن عني • خفيت خفا خصرك في الوشاح

وقال يخاطب المعتمد

وطاعة امرك فرض • اراه من كل مفترض اوكدا

هي الشرع اصبح دين الضمير • فلو قد عصاك لقد الحدا

وقال فيه

يا ندي يمني ابي القاسم • عم يا سني بشر المحيي اشمس

وارتشف معسول نضر اشنب • لحبيب من مجاج العس

وقال

مهما امتدحت سواك قبل فانما • مدحي اليه مدحي لك استطراد

تغشى الميادين الفوارس حقبة • كيما يعلمها النزال الطراد

وقال

يجنبني من كان التجني • ويصحبني معتقة السماح

فهانا قد نهلت من الايادي • اذا انصل اغتباقي باصطباحي

وكتب الى ابي عامر يستدعيه

ابا المعالي نحن في روضة • فانقل الينا القدم العاليه

انت الذي لو تشتري ساعة • منه بدهر لم تكن غاليه

وتذكرت منها بعض المشارقة فيما اظن

لله ايام مضت لنا سة • ما كان احسنها وانضرها معا

لو ساعة منها تباع شريتها • ولو انها بيعت بعمري اجمعا

ذيح وقال ابو القاسم اسعد من قصيدة في المعتصم بن صمادح

وقد ذاب كحل الليل في دمع فجره • الى ان تبدي الليل كاللمة الشمطا

كان الدجى جيش من الزنج نافذ • وقد ارسل الاصباح في اثره القبطا

ومنها

اذا سار سار الجود تحت لوائه • فليس يحط المجد الا اذا حطا

وقال ابن خلصة المكفوف النحوي من قصيدة

ملك تملك حر الحمد لا بيد • نالت بظلم ولا ما لنا الى البخل

مهذب الجد ماضي الحد مضطلع • لما تحمله العلياء من ثقل

اعز لا وعد يخشى له ابدا • خلف ولا راية يؤتى من الزلل

فذحا وزن نطق الجوزا مثبته • به وما زحلت عن مرتقى زحل

يابى له ان يحل الذم ساحته • ما صد من جلل او سد من خلل

ومنها

ان لم تكن بكم حالي مبدلة • فما انتفاعي بعلم الحال والبدل

وقال ابن الحداد يمدح المعتصم بن صمادح •

عج بالحمى حيث الغياض العين • فعسى تعن لنا مهاة العين

واستقبلن ارج النسيم فدارهم • ندية الارجاء لا دارين

افق اذا ما رمت لحظ شموسه • صدتك للنقع المثار دجون

اني اراع لهم وبيني جوانحي • شوق يهون خطبهم فيهون

اني بصاب ضرابهم وطعانهم • صب بالحاظ العيون طعين

فكانما بيض الصفاح جداول • وكانما سمر الرماح غصون

ذري اسد بين الاسنة والظبا • فالقلب في تلك القباب رهين

يا ربة القرط المنير خفوقه • قلبي لما تحت اكه لسكين

نوزند خدك للصبابة مورد • وفتور طرفك للنفوس فتون

فاذا رمقت فوحي حبك منزل • واذا نطقت فانه تلقين

ومنها في وصف قصر •

دار بظهر الحوز الا انه • سام فقبته بحيث اللون

لو جنة الدنيا بنوا منزلها • ملك تملكها المتقي والدين
فكانما الرحمن عجلها له • ليري عما قد كان ما سيكون
وكانما بنيه غاوفيه فما • يعدوه تحسين ولا تحصين
وجزاؤه فيه نقيض جزائه • شتان ما التحسين والاحيا

ومنها في المدح

لا تلحج الاحكام حيفا عنده • فكانها الافعال والتنوين

ومنها

وبدا الهلال الافق اخي ناسخا • عهد الصيام كانه العرجون
فكان بين الصوم مخطط نحو • خطا خفيا بان منه النون

وقال عبد الجليل بن وهبون •

زعموا الغزال حكاه قلت لهم نعم • في صد عن عاشقيه ونجره
وكذا يقولون المدام كريقه • يارب ما علموا مذاقة ثغره

وقال ابو الحسن علي بن احمد بن ابي وميلة الاندلسي

قالوا تداينت مذ وداعهم • ولم نرا لصبر عنك مغلوبا
فقلت للعلم انني بغد • اسمع لفظ الوداع مقلوبا

وهكذا قول بعض شعرا اليتيمة •

اذا دهاك الوداع فاصبر • ولا يروعنك البعاد
وانتظر العود عن قريب • فان قلب الوداع عادوا

وقال ابن اللبانه

ان تكن تبتغي القتال فدعني • عنك في حومة القتال الحامي
خذ جناني عن جنة ولساني • عن سنان وخاطري عن حسام

وقال الغزاز يمدح ابن صمادح وخلط النسيب بالمدح

نفي الحب عن مقلتي الكرى • كما قد نفي عن يديك العدم
فقد قرحتك في خاطري • كما قرحت راحتيك الكرم
وفرسلوك عن ذكرتي • كما فرعن عرضه كل ذم
فحبي ومفخره باقيان • لا يذهبان بطول القدم
فابقي لي الحب خال وجد • وابقي له الفخر خال وعم

وقال ابو الحسن بن الحاج

اذ دب اشتيا قا يوم تحجب شخصه • واني على ريب الزمان لقاسي
واذعر منه هيبة ومنو المني • كما يذعر المخمور اول كاسي

وقال

من لي بطرف كانني ابدا • منه بغير المدام مخمور
ما اصدق القايلين حين بدا • عاشق هذا الجمال معذور

• **وقال** •

اباجعفر مات فيك الجمال • فاظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت فيه الربيع • فقد صار ينبت شوك القتاد
فهل كنت من عبد شمس فاخشي • عليك ظهور شعار السواد

• **وقال وما الحكمه** •

ما عجبي من بايع دينه • بلذة يبلغ فيها هواه
وانما العجب من خاسر • يبيع اخراه بدنيا سواه

وقال من مخمسة يرثي فيها ابن صمادح ويندب الاندلس زمن الفتنة

من لي بمجبول على ظلم البشر • صحف في احكامه حا الحور
مر بنا يسحب اذيال الخفر • ما اخجل الظبي له اذا نفر
• واشبه الغصن به اذا خطر •
كافورة قد طرزت بمسك • جوهرة لم تمتهن بسلك
نبذت فيها ورعي ونسكي • يعذلني اللاحي في التي وحكي
• فاليوم قد صح رجوعي واشتهر •
نهيت قدما ناظري عن نظر • علما بما يجني ركوب الغرر
وقلت عرج عن سبيل الخطر • فاليوم قد عاين صدق الخبر
• اذ بات وقفا بين دمع وسهر •
سقى الحيا عهدا لنا بالطاق • معترك الالباب والاحداق
وملتقى الانس والاشواق • ايأس فيما الدهر عن تلاق
• وربما ساءك دهر ثم سر •
احسن به مطلعا ما اغربا • قابل من دجلة مراي معجبا
ان طلعت شمس وقد هبت صبا • حسبته ينشر بردا مذهبا
• بمنظر فيه جلاء للبصر •
يا رب ارض قد خلت قصورها • واصبحت اهلة قبورها
يشغل عن زايرها مزورها • لا يامل العودة من يزورها
هيهات ذاك الورد ممنوع الصدر
تنجبا الدنيا علي ابن معن • كانها تكلي اصيبت بابن
اكرم مامول ولا استثني • اني بنعماه ولا اثني
• والروض لا ينكر معروف المطر •

عنهدي به والملك في ذماره • والنصر فيما شاء من انصاره
يطلع بدر التم من ازراره • وتكمن العفة في ازراره
ويحضر السودد ايان حضر

قل للنوى جد بنا انطلاق • ما بعدت مصر ولا العراق
اذا احدا نحوهما اشتياق • ومن وراء الملل الفراق
ومن نأى عن وطن نال وطر

سار بذي برد من الاصباح • راكب نشوي ذات قفند صاح
مسودة مبيضة الجناح • تسبح بين الماء والرياح
يزورها عن طافح الموج ذور

يقتحم الهول بها اغترارا • في فتية تحسبها سكارى
قد افترش المسند المغارا • حتى اذا شارفت المنارا
هبت كما بل العليل المحتضر

يوم عدل الملك المرتضى • الهاشمي الطاهر النبي
والمجتبى من صنيئ النبي • من ولد السفاح والمهدي
فخر معد ونزار ومضر

حيث ترى العباس يستسقى به • والشرف الاعظم في نصابه
والامر موقوفا على اربابه • والدين لا يختلط الدنيا به
وسيرة الصديق تمضي وعمر

وقال ابن خفاجة في صفة قوس •
عوجا تخطف ثم ترسل تارة • فكانما هي حية تنساب
واذا انتحت والسهم منها خارج • فهي الهلال انقض منه شهاب

وقال

وعسى الليالي ان تمن بنظمنا • عقدا كما كنا عليه وكملا
فلربما نثر الجمان تعمدا • ليعاد احسن في النظام واجملا

ونحو من قول مهيار
عسى الله ان يجعلها فرقة • تعود باكرم مستجمع

وقول المتنبي
سالت الله يجعله رحيلا • يعين على الاقامة في ذراكا

وقال
افض على خلك او ساعد • عشت بجد في العلى صاعد
فقد بكى جفني دما سائلا • حتى لقد ساعدني ساعدي

وقال

وقال
واسود يسبح في بركة • لا تكتم الحصبا غدرانها
كانها في صفوها مقلة • زرقا والاسود انسانها

وقال
حيى بها ونسيمها كنسيمه • فشربته من كفه في ورده
منساغة فكانها من ريقه • لجمرة فكانها من خده — محمرة صح

وقال
لعمري لو اوضعت في منهج التقى • لكان لنا في كل صالحة نهج
فلا يستقيم الامر والملك جاير • وهل يستقيم الظل والعود معوج

وقال ابن بقي في صديقنا من ابيات •
تيقن ان الله اكرم جيرتي • فازمع عن دار الحياة رحيلا
فانا فقدت منه العيون فانه • نعوض منها بالقلوب بديلا
ولم ار انسانا قبله عاد وحشة • وبردا على الاكباد عاد غليلا
ومن تلك ايام السرور قضيتي • به كان ليل الحزن فيه طويلا

وقال
تفاوت نجلا ابي جعفر • فمن متعال ومن مستفل
فهذا يمين بها اكله • وهذا شمال بها يغتسل

وقال ابن المرقا
ولما راينا الغرب قد غص بالدجا • وفي الشرق من ضوء الصباح دلايل
توهمت ان الغرب بحر اخوضه • وان الذي يبدو من الشرق ساحل

وقال ابو محمد بن عنبا البر الكاتب •
لا تكثرن تاملا • وامسك عليك عنان طرفك
فلربما ارسلته • فرماك في ميدان حتفك

وقال ابو القاسم السميسر •
يا اكلا كلما اشتهاه • وشاتم الطب والطبيب
ثمار ما قد غرست تجني • فانتظر السقم عن قريب
تجتمع الداء كل يوم • اغذية السوء كالذنوب

وكان كثير الهجاء وله كتاب سماه بشفاء الامراض في اخذ الاعراض والعياذ بالله تعالى ومن قوله •
خنتم فهنتم وكم اهنتم • زمان كنتم فلا عيون
فانتم تحت كل تحت • وانتم دون كل دون

سكنتم يا رياح عاد • وكل ريح الي سكون

وقال

يا مستفهما من خمول قوم • ليس لهم عندنا خلاق
ذلوا ويا طالما اذلوا • دعهم يذوقوا الذي اذاقوا

وقال

وليتم فما احسنتم مذ وليتم • ولا صنتم عن بعض نكم عرضنا
وكنتم سماء لا ينال منالها • فصرتم لدي مرا يبا يلكم ارضا
ستنترج الايام ما اقرضتكم • الا انها تسترجع الدين والقرضا

وقال ابن شاطرا السرقسطي •

قد كنت لا ادري لاية علة • صار البياض لباس كل مصاب
حتي كسيني الدهر سحق ملاءة • بيضا من شيبي لفقد شبابي
فلذا تبين لي اصابة من راي • لبس البياض علي نوي الاحباب

وهذه عادة اهل الاندلس ولهذا قال الحصري

اذا كان البياض لباس حزن • باندلس فذاك من الصواب
الم ترني لبست بياض شيبي • لاني قد حزنت علي الشباب

وما احسن قوله •

لو كنت ذا بري لراعك منظر • ورايت لي ما يصنع التفريق
وحال من دمعي وحر تنفسي • بيني وبينك لجة وحريق

وقال ابن عبد الصمد يصف فرسا •

علي ساح قد يفوت بار بح • له ازبعا منها الصبا والشمايل
من الفتح خوانا لعنان كانه • مع البرق سارا ومع السيل سايل

وقال ابن عبد الحميد البرجي •

ارح متن المهند والجواد • فقد نفيا بجدك في الجهاد
قضيت بعزمة حق العوالي • فقض براحة حق الهوادي

وقال عبادة

انما الفتح هلال طالع • لاح من ازراره في فلك
خده شمس وليل شعره • من راي الشمس بدت في حلك

وقال ابن المطرف المنجم •

يري العواقب في اثنا فكرته • كان افكاره بالغيب كهان
لا طرفة منه الا تحتها عمل • كالدهر لا دورة الا لها شان

وقال ابو الحسن بن البيع • •

عادة اهل الاندلس لبس البياض للحزن ح

لامواملامي وكانا غرا • وذم حبي وكان اظرآه
لو علم العاذلون ما بي • لانقلبت فيه لا مهم ذآه

وقال

لما قدمت وعندي • شطر من الشوق وافي
قدمت قلبي قبلي • فضنه حتي اوافي

ولما خاطب المنتصر ملك افريقية ابن سيد الناس بقوله

ما حال عينيك يا عين الزمان فقد • اورثتني حزنا من اجل عينيكا

وليس لي حيلة سوي الدعا فيا • رب براوي الصحيحين حنانيكا

اجابه الحافظ ابو المطرف بن عميرة المخزومي خدمة عن الحافظ ابي بكر ابن سيد الناس

مولاي حالهما الله صالحة • لما سالت فاعلي الله حاليكا
ما كان من سفر او كان من حضر • حتي تكون الثريا دون نعليكا

وقال الاديب ابو العباس الرصافي وهو من اصحاب ابي حيان

هذا هلال الحسن اطلع بيننا • وجميعنا بجلي محاسنه شغف
لما اي صل العذار بخده • ما النعيم ابي اليه لم نشف
فكانه ذاك الحذا انكرامه • فاحمر من حنق عليه وقال قف

وقال

وعشية نعمت بها ارواحنا • والخمر قد اخذت هناك بحظها
وكانما ابريقنا لما جثا • النبي حديثا للكووس وقهقها

وقال الامام الحافظ ابو الربيع بن سالم

كانما ابريقنا عاشق • كل عن الخطو فما امهله
غازل من كاسي حبيبا له • فكلما قبله اخجله

وقال ابو القاسم بن الابرش •

رايت ثلاثة تحكي ثلاثا • اذا ما كنت في التشبيه تنصف
فتنجو النمل منفعة وحسنا • وشنتر بن مضروانت يوسف

وقال في غريق وقيل انه مما تمثل به •

الحمد لله علي كل حال • قد اطفا الماسراج الجمال
اطفاه ما كان يحيي له • قد يطفي الزيت ضيا الذبال

ومن اقوال القايل

لو لم يكن لي ابا ا اسود بهم • ولم يونس رجال العرب لي شرفا
ولم انل عند ملك العصر منزلة • لكان في سيبويه النحو لي وكفي
فكيف علم ومجد قد جمعتهما • وكل مختلق في مثل ذا وقفا

وقال ابو الحسن بن حريق •

اصبحت تدمير مصرا كاسمها • وابو يوسف فيها يوسفا

وقال ابو القاسم بن العطار الاشبيلي في بعض الهوزنيين وقد غرق في نهر طلبيرة عند فتحها •

ولما راوا ان لا معتز يبتغيه • سوى هامهم لاذوا باجرامهم

فكان من النهر المعين معينهم • ومن قلم السد الحسام المثلم

فيا عجبا للبحر غالته لطفة • وللاسد الضرغام اردا ارقم

وقال ابو العباس اللص •

وقائلة والصنا شاملي • علام سهرت ولم ترقد

وقد ذاب جسمك فوق الفراش • حتى خفيت على العود

فقلت وكيف اري نايما • وراي المنية بالمرصد

ولما قرئ عليه ديوان ابي تمام ومر فيه وصف سيف قال انا اشعر منه حيث اقول

تراه في غداة الغيم شمسا • وفي الظلماء نجما او ذبالا

يروعهم معاينة ووهما • ولو ناموا لروعهم خيالا

وقال ابو اسحاق الالبيري •

تمزلنا في واحدا بعد واحد • واعلم اني بعدهم غير خالد

واحمل موتاهم واشهد دفنهم • كاني بعيد عنهم غير شاهد

فها انا في علمي بهم وجهالتي • كمستيقظ يرنو بمقلة راقد

قيل ولو قال في البيت الثاني كاني عنهم غايب غير شاهد لكان احسن وابدع وابرع في الصناعة الشعرية قال ابن الابار رحمه الله تعالى وقال الوزير ابن الوليد ابن مسلمة رحمه الله تعالى •

اذا خانك الرزق في بلدة • ووافاك من همها ما كثر

فمفتاح رزقك في بلدة • سواها فرذها تنل ما تريد

كذا المبهمات بوسط الكتاب • مفتاحها ابدا في السطرر

وقال ابو الطاهر اسماعيل الحسني الجياني المعروف بابن ابي ركب وقيل ان الاستاذ ابو بكر هو المعروف بذلك •

يقول الناس في مثل • تذكر غايبا تره

فما لي لا اري سكني • ولا انسي تذكره

وانشد ابو المعالي الاشبيلي لواعظ مسجد رحبة القاضي من بلنسية ابياتا منها

انا في الغربة ابكي • ما بكت عين غريب

لم اكن يوم خروجي • من بلادي بمصيب

عجبا لي

عجبا لي ولتركي • وطنا فيه حبيبي

وقال ابو القاسم بن الانقرا السرقسطي •

احفظ لسانك والجوارح كلها • فلكل جارحة عليك لسان

واخزن لسانك ما استطعت فانه • ليث مصور والكلام سنان

وقال ابو القاسم خلف بن يحيي بن خطاب الزاهد مما نسبه لابي ومتيا الزاهد

قد تخيرت ان اكون مخفا • ليس لي من مطيهم غير رجلي

فاذا كنت بين ركب فقالوا • قدموا للرحيل قدمت نعلي

حيثما كنت لا اخلف رحلا • من راني فقد راني ورحلي

وقال ابو عبد الفتاح الله بن محمد بن فتح الانصاري الثغري

كم من قوي قوي في تقلبه • مهذب الراي عنه الرزق ينحرف

ومن ضعيف ضعيف الراي مختبل • كانه من خليج البحر يغترف

وقال ابو القاسم محمد بن نصير الكاتب •

مضت اعمارنا ومضت سنونا • فلم تظفر بذي ثقة يدان

وجربنا الزمان فلم يفدنا • سوى التخويف من اهل الزمان

وحكي عن الفقيه الاديب النحوي ابو عبد الله محمد بن ميمون الحسيني قال كانت لي في صبوتي جارية وكنت مغري بها وكان ابي رحمه الله يعذلني فيها ويعرض لي ببيعها لانها كانت تشغلني عن الطلب والبحث عليه فكان عذله يزيدني اغرابها فرايت ليلة في المنام كان رجلا يا بتني في زي اهل المشرق كل ثيابه ابيض وكان يلقي في نفسي انه الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وكان ينشدني

تصبو الي مي ومي لا تني • ترمي ببلواك التي لا تنقضي

وتخارك القوم الاولي ما منهم • الا امام او وصي او نبي

فاثن عنانك للهدي عن ذي الهوي • وخف الاله عليك ويحك وارعوي

قال فانتبهت فزعا مفكرا فيما رايته فسالت الجارية هل كان لها اسم قبل ان تسمي بالاسم الذي اعرفه فقالت لا فراودتها حتي ذكرت انها كانت تسمي مية فبعتها حينيذ وعلمت انه وعظ وعظني الله عز وجل به وبشري وقال ابن الحداد اول قصيدته حذيفة الحقيقة

ذممت الناس فانفرادي انيسي • وكتابي محدثي وجليسي

صاحب قد امنت منه ملالا • واختلالا وكل خلق بيس

ليس في نوعه بحي ولكن • يلتقي الحي منه بالمرموس

وقال بعض اهل الجزيرة الخضرا •

الحاظنا تجرحهم في الحشا • ولحظنا يجرحكم في الخدود

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا • فما الذي اوجب جرح الصدود

وقال ابو القاسم ابن الابن شرف وقد ذكرنا منها مع جوابها في غير هذا الموضع وقال

المعتمد بن عباد

اقنع بحظك في دنياك ما كانا • ودع نفسك ان فارقت اوطانا

في الله من كل مفقود مضي عوض • فاشعر القلب سلوانا وايمانا

اكلما سنحت ذكرى طربت لها • مجت دموعك في خديك طوفانا

اما سمعت بسلطان شبيهك قد • بزته سود خطوب الدهر سلطانا

وطن على الكره وارقب اثره فرجا • واستغفر الله تغنم منه غفرانا

وقال ابو عامر البريانى في الصنم الذي بشاطبة

بقية من بقايا الروم معجبة • ابدى لنا بناة بها من علمهم حكما

لو ادرما اضمروا فيه سوى امم • تتابعت بعد سموه لنا صنما

كالمبرد الفرد ما لخطا مشبهه • حقا لقد برد الايام والامما

كانه واعظ طال الوقوف به • مما تحدث عن عاد وعن ارما

فانظر الي حجر صلد يكلمنا • اسمع واوعظ من قس لمن فهما

قيل لو قال مكان حكما علما الاحسن وقال السميسر

اذا ابيت ابناء اخوالكا • فلا تجر جاها على بالكا

وكن كالطريق لمجتازها • يمر وانت على حالكا

وقال

هن اذا ما نلت حظا • فاخو العقل يهون

فبحظك دهر • فكما كنت تكون

وقال ابو الربيع بن سالم الكلاعي انشدني ابو محمد الشلبي انشدني ابو بكر ابن منخل لنفسه •

مضت لي ست بعد سبعين حجة • ولي حركات بعدها وسكون

وقال ابو محمد عبد الحق الاشبيلي •

لا يخدعنك عن دين الهدى نفر • لم يرزقوا في التماس الحق تاييدا

عمي القلوب عروا عن كل فائدة • لانهم كفروا بالله تقليدا

وقال تقدم ابو محمد بن صارة ••

بنو الدنيا بجهل عظموها • فعزت عنهم وهي الحقيرة

يهارش بعضهم بعضا عليها • مهارشة الكلاب على العقيرة

وقال

استعد بالله في الحياة ولا تكن • تبقى عليه حذار فقر حادث

فالبخل

فالبخل بين الحادثين وانما • مال البخيل لحادثات ووارث

ودخل ابو محمد الطائي القرطبي على القاضي ابي الوليد بن رشد فانشد ارتجالا

قام لي السيد الهمام • قاضي قضاة الورى الامام

فقلت قم بي ولا تقم لي • فقلما يوكل الطعام

وقال الحافظ ابو محمد بن حزم •

لا تشمتن لان سبقت لحظ • فانا ذا راكه ذي الالباب

ليسبق الكلب وثبة الليث في العدو • ويعلو النخال فوق اللباب

وقال ابو عبد الله الجبلي الطبيب القرطبي

اشدد يديك على كلب ظفرت به • ولا تدعه فان الناس قد ماتوا

قلت تذكرت بهذا قول الاخر •

اشدد يديك بكلب ان ظفرت به • فاكثر الناس قد صاروا خنازيرا

وقال محمد بن عبد الله الحضرمي مولى بني امية

عاشر الناس بالجميل • وسدد وقارب

واحترس من اذى الكرا • م وجد بالمواهب

لا يسود الجميع من • لم يقم بالنوائب

ويحوط الاذى ويز • عى ذمام الاقارب

لا تواصل الا الشر • يف الكريم المناصب

من له غير شاهد • وله خير غائب

واجتنب وصل كل ذ • ي غدر او كاذب

وقال الكاتب الحافظ ابو عبد الله بن الابار

لله نهر كالحباب • ترقيشه سامي الحباب

يصف السماء صفاؤه • فحصاه ليس بذي احتجاب

وكانما هو رقة • من خالص الذهب المذاب

غادرت على شطيه ابكار المنى عصر الشباب

والطل يبدو فوقه • كالخال في خد الكعاب

لا يلا دار عليه خوف • الشمس منه كالنقاب

مثل المجرة حرفيها • ذيله جون السحاب

وقال

شتى محاسنه فمن زهر على • نهر تسلسل كالحباب تسلسلا

غربت به شمس الظهيرة لا تني • احراق صفحته لهيبا مشعلا

حتى كساه الدوح من افنانه • بردا تغرب في الاصائل سلسلا

وكانما الظلال عنه • قطع الدماء جمدن حين تخللا

وقال يمدح المنتصر صاحب افريقية

اذا البشاير كلها جمعت • للدين والدنيا وللامم

في نعمتين حيمتين بنا • برء الامام وبيعة الحرم

قال ابن الابار واخبرني بعض اصحابنا يعني ابا عمرو بن عيد البني انه انشدها الخليفة فسبقه الى عجز البيت الثاني فقلت له على البديهة •

فخر لشعري على الاشعار يحفظه • خليفة الله كان الله حافظه

واشار بقوله وبيعة الحرم الى ما ذكره ابن خلدون وغير واحد من المورخين ان اهل مكة خطبوا للمنتصر صاحب تونس بعرفة وكتبوا له ببيعة من انشاء ابن سبعين المتصوف وقد ذكر ابن خلدون نص البيعة في ترجمة المنتصر فليراجعها من اراد

وقال ابن الابار

الا اسمع في الامر منا الصدق • وخذ عن امرء خدم الاميرا

متى نكبت نرد وشلا اجاجا • وان نركب نرد عذبا نميرا

وقال مجيبا للتجاني •

ايها الصاحب الصفي مباح • لك عني فيما نصصت الروايه

ان عناني اسعاف قصدك فيها • فلعين لم تزل بها ذا عنايه

ولها شرطها فحافظ عليه • ثم كافي وصيتي بالكفايه

وتحام الاخلال جهدك لاقيت • من الله عصمة وحمايه

ونص استدعاء التجاني •

ان رأي سيدي الذي حاز في الحلم والعلم والعلى كل غايه

وحوى المجد عن جدود كرام • كلهم في السماح والفضل آيه

ان اروي عنه بالاجازة ادوي • كل ما فيه لي تصح الروايه

من حديث ومن نظام ونثر • وفنون له بهن درايه

فله في ذاك الثواب من الله • ومنا الثناء دون نهايه

دام في عزة وعز وسعد • وامان ومكنة وحمايه

ما تولى جيش الظلام منهزما • وعلت في الصباح في الافق رايه — في رفعة[2]

ولابن الابار ترجمة واسعة ذكرتها في ازهار الرياض في اخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فلتراجع فيه واما التجاني ابو عبد الله هذا المذكور فقد وصفه قريبه ابو الفضل محمد حفيد عمه في كتابه الحلي التجانية قال ابن رشيد وجمعه باسمنا حفظه الله وشكره وقال في موضع آخر ان اسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم رحمهما الله تعالى انتهى وقال ابن مكنون ابو الحسين

اذا اعترتك

اذا اعترتك عيلة • يعجز عنها ما تجد

فلتقتصد فانه • ما عال قط مقتصد

وقال

لا حاز دنياه كلها • بحر زاكي البر المتين

من حوى قوت يومه • آمنا سالم البدن

وقال

اعز اخاك في الذي • يامله ويرتجيه

فانه في عون العبد • ما كان في عون اخيه

وقال

انس ما اودعته • قلبك ذكري موقظ

وخير ما انلفته • ما لا فاد موعظه

وقد راى اقترانا لثمار وغايلها من نجلا

حارت عقول الناس في ابداعها • اشكرها ام شكرها تتأود

فيقول ارباب البطالة تنتهي • ويقول ارباب الحقيقة تسجد

قال الشيخ ابو البركات العمبيجي قلت لابن مكنون ما الذي يدلك على انها في وصف الثمار فقال لي وظي انت لها فقلت •

يا من اني متنزها في روضة • ازهارها من حسنها تتوقد

انظر الى الاشجار في دوحاتها • والريح تعسف والطيور تغرد

فترى الغصون غايلت اطرافها • وترى الطيور على الغصون تغرد

وقال ابن رشيد غلط المذكور في نسبة البيتين لابن مكنون وانما هما لابي زيد الفازازي من قصيدة اولها •

نعم الاله بشكره تتقيد • فالله يشكر في النوال ويحمد

مدت اليه اكفنا محتاجة • فاناله من جوده ما نعهد

والبيتان في اثنايها غيران ولفظهما في ديوانه هكذا تاهت عقول الناس في حركاتها[تها]

انتهى ورايت في روضة التعريف للسان الدين بعد ما بينا بالبيتا ونو

واذا اردت الجمع بينهما فقل • في شكرها الفها تقوم وتقعد

انتهى وحكي ان حافظ الاندلس امام الادباء ابي الوليد حسنة الزمان نادرة الاحسان ابو محمد عبد الله بن ابراهيم الصنهاجي الحجاري صاحب كتاب المسهب كان سبب اتصاله بعبد الملك بن سعيد جد علي بن موسى صاحب المغرب انه وفد عليه في قلعته فلما وقف على بابه وهو بزي بداوة ازدراه البوابون فقال لهم استاذنوا لي على القايد فضحكوا به وقالوا له ما كان وجد القايد

من يدخل عليه في هذه الساعة الا انت فقد بدع اليه دواة في حزامه وسحاة وكتب بها ابيات
التاييد الاعلا لا زال املا باهل الفضيلة رجل وفد عليه من شلب بقصيدة مطلعها
عليك احالني الذكر الجميل فانه راي سيدي ان يجب من بلده شلب ومن قصيدة هذا
ونوا علم بما ياتي ويذر ولا عتب على القدر ورغب الى احد غلمانه فاوصل الورقة
فلما وقف عليها التاييد قال من شلب ومن استطاع قصيدة تم ما لهذا الانسان ولعل
الوزير بن عمار قد نشرا الى الدنيا عجلوا بالاذن له فاذن له ودخل وبتي ولاتقا لنم
بيلم ولا كلم احدا فاستثقله الحاضرون واستبردوا منطقه ونسبوه للجهل
وسوء الادب فقال له احدهم ما لك لا تسلم على التاييد وتدخل مداخل الادبا
والشعرا فقال حتى اخجل جميعكم قد رما اخجلتموني على الباب مع اقوام انزال
واعلم ايضا من هو الكثير الفضول من اصحاب التاييد اعزه الله فاكون انقيه
ان قدر لي خدمته فقال له عبد الملك اتاخذنا بافعال السفها منا فقال لا
والله بل اغفر لك ذنوب الدهر اجمع وانما هي اسباب نعضدها للتجاور وبها اسلك
اعزك الله وبمكن التانيس ويحل عقد الهيبة ثم انشد من رايسه ولا ورقة
في يده • عليك احالني الذكر الجميل • فصحح العزم واقتضى الرحيل
وودعت الحبيب بغير صبر • ولم اسمع لما قال العذول
واسبلت الظلام على سترا • ونجم الافق ناظره كليل
ولم اشك البحر ولو دعاني • الى ارجايك الظل الظليل وقد
وهي طويلة فاكرمه وقربه رحم الله الجميع واهديت للمعتمد بن عباد شمعة
فقال في وصفها ابو القاسم بن مرزقان الاشبيلي وهو ممن قتل في فتنة
المعتمد مدينة في شمعة صورت • قامت حماة فوق اسوادها
وما رايناه قبلها روضة • تتقد النار بنوارها
نصير الليل نهارا اذا • ما اقبلت ترفل في نارها
كانها تعرض لايادي التي • تحت الدجا تزري بانوارها
من ملك معتمد ماجد • بلاده اوطان زوارها
وقال ابو الاصبغ بن رشيد الاشبيلي لما هطلت باشبيلية سحابة بقطر احمر يوم
السبت الثالث عشر من صفر عام اربعة وستين وخمسماية •
لقد آن للناس ان يقلعوا • ويمشوا على السنن الاقوم
متى عهدا الغيث يا غافلا • كلون العقيق او العندم
اظن الغمايم في جوها • بكت رحمة للورى بالدم
وفيها ايضا
لا تكن دايم الكآبة مما • قد غدا في الورى منيرا نجيعا
لظم البرق

لظم البرق صفحة المزن حتى • سال منه على الرياض نجيعا
وله في دولاب
ومسجون اذا دارت سمعت لها • صوتا الجش وطل الماء ينهمل
كان فدا اسهاركب اذا سمعوا • منها حدا بكرا للبين فارتحلوا
وله فيمن اسمه مالك
غزالي الجفون شقيق بدر • تبسم عن عقيق فوق در
له نفحات مسك اي مسك • له نفثات سحر اي سحر
شكوت له الهوى والهجر منه • فقال عليك باسمي سوف تدري
تعلمت الشقاوة من سمي • واحرقت القلوب بنار هجر
وقال ابو بكر بن حجاج الغافقي في موسى وسيم اشبيلية الذي كان شعراوها يتغزلون فيه
من مبلغ موسى المليح رسالة • بعثت له من كافري عشاقه
ما كان خلق راغبا عن دينه • لو لم تكن نورا ته من ساقه
وقال
انا الزويلي فتى شاعر • قد اعجب العالم من نظمه
وانت يا موسى قد اخترته • واختار موسى قبل من قومه
وقال
على معاذ فرون لو تعاينها • فرعون ما قال اوقد لي على الطين
قالت له عرسه اذ جا ينكحها • ماذا دهيت به من كل عنين
هل استعنت بميمون فقال لها • اني استعنت على نفسي بميمون
قال ابو وهب بن عبد الروف النحوي وكان له حظ في قرض الشعر وكان سفاطا
لبيس لمن ليست له لحية • باس اذا احصلته ليسا
وصاحب اللحية مستقبح • ليشبه في طلعته التيسا
ان هبت الريح تلاهت به • وماست الريح به ميسا
وقال ابو عبد الله محمد بن يحيى الغلفاط •
يا عز الاعز لي • فابتز قلبي ثم ولي
انت مني بفوادي • يا مني نفسي اولي
وقال احمد بن المبارك الجبيني في الناصر قبل ان يلي محمد بن
يا عابد الرحمن فقت الورى • بهذه العليا وهذا الكرم
ما جعل الله الذي في امري • الا وقد جنبه كل ذم
واستدعى الوزير عبيد الله بن ادريس ابا بكر احمد بن عثمان المرواني ونادمه ليلة
فلما قرب الصباح قال له اين ما يحدث عنك من حسن الشعر فهذا موضعه فقال

الدواة والقرطاس فامر له باحضارهما فجعل يفكر ويكتب الى ان انشد هذه الابيات

بتنا نداعي صفاء يستحث لنا • في جامد الفضة التبر الذي سبكا
كل مصيخ الى ما قال صاحبه • ولا يبالي اصدقا قال ام افكا
موفرون خفاف عند شربهم • ولا يخافون فيما احدثوا دركا
لا تعدمن اذا ابصرتهم فرحا • اما ترى الصبح من بشر بهم ضحكا

وقال ابو محمد عبد الله المرواني في الخيري

عجبت من الخيري يكتم عرفه • نهارا ويسري بالظلام فيعرب
فيجني عروس الطيب منه يد الدجى • ويبدو له وجه الصباح فيحجب

وقال ابراهيم بن ادريس العلوي •

للبين في تعذيب نفسي مذهب • ولنائبات الدهر عندي مطلب
اما ديون الحادثات فانها • تاتي لوقت صادق لا يكذب

وخرج الاديب النحوي هذيل الاشبيلي يوما من مجلسه فنظر الى سائل عاري الجسم وهو يرعد ويصيح الجوع والبرد فاخذ بيده ونقله الى موضع بلغته الشمس وقال صح الجوع فقد كفاك الله مونة البرد ومر المعتمد بن عباد ليلة مع وزيره ابن عمار بباب شيخ كثير التدبير والتهكم يمزج ذلك بانخراف يضحك الثكلى فقال لابن عمار تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط بابه حتى نضحك معه فضربا عليه الباب فقال من هذا فقال ابن عباد انسان يرغب ان تقد له هذه الفتيلة فقال والله لو ضرب ابن عباد بابي في هذا الوقت ما فتحته له فقال فاني ابن عباد قال المصفوع المصفعة فضحك ابن عباد حتى سقط الى الارض وقال لوزيره امض بنا قبل ان يتعدى الصفع من القول الى الفعل فهذا شيخ ركيك ولما كان من غد تلك الليلة وجه له الف درهم وقال للموصل بها قل له هذا حق الالف صفعة التي كانت البارحة وكان في زمان المعتمد السارق المشهور بالبازي الاشهب وكان له في السرقة كل غريبة وكان مسلطا على اهل البادية وبلغ من سرقته انه سرق وهو مصلوب لان ابن عباد امر بصلبه على ممر اهل البادية لينظروا اليه فبينما هو على خشبته على تلك الحال اذ جاءت اليه زوجته وبناته وجعلن يبكين حوله ويقلن لمن تتركنا نضيع بعدك وانا ببدوي على بغل وتحته حمل ثياب واسباب فصاح عليه يا سيدي انظر في اي حالة انا ولي عندك حاجة فيها فايدة لي ولك قال وما هي قال انظر الى تلك البير لما ادركني الشرط رميت فيها مائة دينار فعسى تحتال في اخراجها وهذه زوجتي وبناتي يمسكن بغلك خلال ما تخرجها فعمد البدوي الى حبله ودلى نفسه في البير بعد ما اتفق معه ان ياخذ النصف منها فلما حصل اسفل البير قطعت زوجة السارق الحبل وبقي حايرا يصيح واخذت ما كان على البغل مع بناتها وفرت به وكان ذلك في شدة حر وما سبيل الله منها

يعيشه

بعيشه الا وقد غاب عن العين وخلص فتحيل ذلك الشخص مع غيره على اخراجه وسالوه عن حاله فقال هذا الفاعل الصانع اخنا لعلي حتى مضت زوجته وبناته بثيابي واسبابي ورفعت هذه القصة الى ابن عباد فتعجب منها وامر باحضار البازي الاشهب وقال له كيف فعلت هذا مع انك في قبضة الهلكة فقال يا سيدي لو علمت قدر لذتي في السرقة خليت ملكك واشتغلت بها فلعنه وضحك منه ثم قال له ان سرحتك واحسنت اليك واجريت عليك رزقا يقيك اتتوب من هذه الصنعة الذميمة فقال يا مولاي كيف لا اقبل التوبة وهي تخلصني من القتل فعاهده وقدمه على رجال النجاد وصار من جملة حراس احواز المدينة ويحكى ان منصور بني عبد المومن لما اراد بناء صومعة اشبيلية العظيمة القدر احضر لها العرفاء والصناع من مظانهم يعرف بشيخ مغفل صحيح المذهب عارف بالبناء الذي يجهله كثير من الصناع فاحضر فقال له المنصور كم تقدر ان ينفق على هذه الصومعة فضحك وقال يا سيدي البنيان انما هو مثل ذكر ليس يقدر حتى يقوم فكاد المنصور يفتضح من الضحك وصرف وجهه عنه وبقيت حكايته يضحك عليها زمانا وكان احمد المغربي المعروف بالكساد شاعرا وشاحا زجالا اشبيليا وقال في موسى الذي تغزل فيه ابن سهل

ما لموسى قد خرّ لله لما • فاض نورا غشاه ضوء سناه
وانا قد صعقت من نور موسى • لا اطيق الوقوف حين اراه

وقال في رثائه

فر الى الجنة حورها • وارتفع الحسن من الارض
واصبح العشاق في ماتم • بعضهم يبكي على بعض

وقال فيه

هتف الناعي بسنحو الابد • اذ نعى موسى ابن عبد الصمد
ما عليهم وخدهم لو دفنوا • في فوادي قطعة من كبدي

ولابن سهل الاسرائيلي في موسى هذا ما هو مثبت في ديوانه وكان محمد بن احمد بن ابي بكر الرقوطي المرسي من اعرف اهل الاندلس بالعلوم القديمة المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب فيلسوفا طبيبا ماهرا اية الله في المعرفة بالاندلس يقرئ الامم بالسنتهم فنونهم التي يرغبون فيها وفي تعلمها ولما تغلب طاغية الروم على مرسيه عرف له حقه فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين واليهود والنصارى وقال له يوما وقد ادنى منزلته لو تنصرت وحصلت الكمال لكان لك عندي كذا وكنت كذا فاجابه بما اقنعه ولما خرج من عنده قال لاصحابه انا عمري كله اعبد الها واحدا وقد عجزت عما يجب له فكيف حالي لو كنت اعبد ثلاثة كما طلب الملك مني انتهى وقال ابو عبد الله محمد بن سالم العتيبي الغرناطي يخاطب السلطان على السنة اصحابه

الاطبا الذين بيابه موريا باشمايهم •

قد جمعنا ببابكم سطر علم • لبلوغ المني ونيل الارادة

ومن اسمايا لكم حسن فال • سالم ثم غالب وسعادة

وقال ابو عبد الله بن عمر الاشبيلي الخطيب

وكل الي طبعه عايد • وان صدّه المنع عن قصده

كذا الما من بعد اسخانه • يعود سريعا الي برده

وقال الكاتب ابو زيد عبد الرحمن العثماني لما تغيرت حاله باشبيلية

لا تسلني عن حالتي فهي هذي • مثل حالي الا كنت بامن يراني

ملني الاهل والاخلا لما • ان نضا بي نعيم الوصال زماني

فاعتبر بي لا يغرك دهر • ليس منه ذو غبطة في امان

ودخل الاديب النحوي ابو عمران موسي الطرايا لي بعض الاكابر ابو مرنير وزوعادتهم ان يصنعوا في مثل هذا اليوم مداين من العجين لها صور مستحسنة فنظر الي مدينة اعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها **فقال**

مدينة مسورة • تحار فيها السحرة

لم تبنها الايدي • عذرا او مخدرة

بدت عروسا تجتلي • من زمك مزعفرة

وما لها مفاتح • الا البنان العشرة

ورفع الي القايد ابي السرور صاحب ديوان سبتة قصيدة يعرض له فيها بزاد وقد عزم علي سفر فانعم عليه بذلك ثم انبعه بتحف مما يكون في الديوان مما تجلبه الافرنج الي سبتة ولم يكن التمس منه ذلك ولا خطر بخاطره **فكتب اليه**

ايا ساعيا بالذي لم تجد • بفكري ولم يبد لي في خطاب

ويا غايصا في بحار الندي • ويا فاتحا للعلي كل باب

كذا فلتكن نعم الاكرمين • تفاجي بنيل المني والطلاب

ولم ار اعظم من نعمة • اتتني ولم تك لي في حساب

ساشكرها شكر عهد الكرا • واذكرها ذكر غض الشباب

وكتب مجاهد صاحب دانية الي المنصور بن ابي عامر الاصغر ملك بلنسية رقعة لم يضمنها غير بيت الحطيئة •

دع المكارم لا ترحل لبغيتها • واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

فاخرجت المنصور واقامته واقعدته فاحضر وزير ابا عامر بن الناكر فكتب عنه

شتمت موا ليها عبيد نزار • شيم العبيد شتيمة الاحرار

فسلا المنصور عما كان فيه ومن شعر المذكور في المنصور

انهض الي اسمك انه منصور • وارم العدو فانه مقهور

ولو اغتنيت عن النهوض كفيتهم • فبذكر باسمك كلهم مذعور

ولتبلغن مدي مرادك فيهم • ويكون يوما في العدي مشهور

وقال له المنصور يوما والله لقد سيمت من هولاء الجنة ووددت الراحة منهم فقال له بصير مولاي فلا بد من السامة فهي علي حالتين اما من يكون امرك اليه او يكون امره اليك والحمد لله الذي رفعه عن الحالة الاولي وقال بعض المجان في رند

فبحا الرندة مثل ما • قبحت مطالعة الذنوب

بلد عليه وحشة • ما ان يبارقه القطوب

ما حلها احد فينوي • بعد بينها ويوءب

لم اتها عند الضحي • الا وخيل لي غروب

افق اغم وساحة • تملا القلوب مع الكروب

وقال خلاص الشاعر الرندي •

لا تفرحن بولاية سوغتها • فالثور يعلف اشهرا كي يذبحا

وله في بعض روسا الملثمين من قصيدة •

ولو لم تكن كالبدر نورا ورفعة • لما كنت غرابا السحاب ملثما

وما ذاك الا اللثام علامة • كذا القطر منهي لثم الافق ابهما

فاهتز الملثم واعجبه وامر له بكسوة وذهب ولما ذكر ابو بكر بن عمر الرندي في مجلس بعض الروسا بحضرة ابي الحسن علي بن سعيد واطنب في الثنا عليه وعمر المجلس بشكره واجزل بذلك الطرق ساعة ثم قال •

لا تذمن ما غاب عني من ثنا • اطنبت فيه فليس ذلك بجهل

لي حضرت بمجلس وجريه • جزي فان الذكر فيه بجمل

ولما نفي بنو ذي النون ارقم من بنيهم لانه كان ابن امة مهنة واقعها ابو الظافر في حال سكر ولم يكن فيهم من ينظم ويتولع بالادب غيره وولي ابنه يحيي وكان احسد من طلعت عليه الشمس فالعلي ارقم بالاذاية ففر عن مملكته وقال متنصلا

لين طبتم نفسا بتركي دياركم • فنفسي عنكم بالتفرق اطيب

اذا لم يكن لي جانب في دياركم • فما العذر لي الا يكون التجنب

زعمتم باني لست فرعا لاصلكم • فهلا علمتم انني عنه ارغب

وحسبي اذا ما البيض لم ترع نسبة • باني الي سيفي ورمحي انسب

وان مدت الايام عمري للعلي • ليشرق ذكري في الوري ويغرب

وكتب الوزير الكاتب ابو محمد بن سفيان الي ابي امية بن عصام قاضي وطنه ابيها واعتقدها وعددها وانتقدها فقال

لا تلزمني ما جنته يراعة • طمست بريقتها عيون ثناء
حذفت على لزامها فتحولت • افعى تمج سمامها بسماء
عذرا لمرمانة واهله عرفي ولم • اسمع بعذر يراعة واباء

وشرب المامون بن ذي النون مع ابي بكر محمد بن ارفع راسه الطليطلي وحضر من ندمائه كابن لبون وابن سفيان وابن المرج وابن متني فجرت مذاكرة في ملوك الطوائف في ذلك العصر فقال كل واحد ما عنده بحسب غرضه فقال ابن ارفع راسه ارتجالا

دعوا الملوك وابنا الملوك فمن • اضحى على البحر لم يشق الى نهر
ما في البسيطة كالمامون ذو كرم • فانظر لتصديق ما اسمعت من خبر
يا واردا ما على علياه مختلفا • من جاد كفك لم تحتج الى المطر
وقد طلعت لنا شمسا فانظرت • عين الى كوكب يهدي ولا قمر
وقد بدوت لنا دون الملوك لهم • فلم نعرج على شذر ولا ذرر

فداخل ابن ذي النون من الارتياح ما ليس عليه من مزيد وامر له باحسان جزيل عتيد
وقال ابو احمد عبد المومن الطليطلي •

رايت حياي قادحا في معيشتي • ويضعف تركي الحياء ويقبح
وقد فسد الناس الذين عهدتهم • وقد طال اني لمن ليس يصلح

ولـــه

ولما غدوا بالعيد فوق جيادهم • طفقنا ما ذي لا اطيق بهم مشا
عسى عيس من يهوى يجود بوقفة • ولو كوقوف العين لاحظت الشما

وقال الزاهد ابو محمد عبد الله بن العسال

اعندكم علم باني متيم • والاقبال الدامع تسجم
وما بال عيني لا تغمض ساعة • كاني في رعي المداري منجم

كان الوزير ابو جعفر الوقشي تياها معجبا بنفسه ومن شعره في عرضه الناس

اذا لم اعظم قدر نفسي وانني • عليم بما حازته من عظم القدر
فغيري معذور اذا لم يبرني • ولا يكبر الانسان شي سوى الكبر

ولـــه

يرومون بي غير المكان الذي له • خلقت وبعضي منكر ذاك من بعض
فقولوا البدر الافق يترك سماه • ويحتل من اجل التواضع في الارض

ولـــه

تكبر وان كنت الصغير تطاهرا • وباعد اخا صدق متى ما اشتهي قربا
وكن تابعا للدهر في حفظ امره • الست تراه عندما يبصر الكلبا

وقال له يوما بعض ندماء ملكهم صاحب جيان بن هشك يا ابا جعفر انت جملة محاسن

وفيك

وفيك الادوات العلية التي هي اهل لكل فضيلة غير انك قد قدحت في ذلك كله بكثرة عجبك واذا مشيت على الارض تستميز منها فقال له كيف لا استميز من شي اشترك معك في الوطي عليه فضحك جميع من حضر من جوابه وله جوابا لمن اعتذر عن غيبته عنه

لك الفضل في ان لا تلوح لناظري • وتبعد عني ما بقيت مدى الدهر
فوجهك في لحظي كاصور الردي • ولفظك في سمعي حديث عن الفقر
ومن خاز ما قد حزته من ركاكة • وغاب فلا يحتاج الى كلفة العذر

ولـــه

لك يوما ان لم تلح لعياني • ولك الفضل في زيادة شهر
ولك الفضل في زيادة عام • ولك الفضل في زيادة دهر
ولك الفضل ان تغيبت عني • ذلك الوجه ما نطاول عمري

وله وقد شرب على صهريج فاختنق الاسد الذي يرمي بالما فتنفخ فيه رجل الى نحو فجري

ليث بديع الشكل لا مثل له • صيغ من الماء له سلسله
يقذف بالماء على حينه • كانما عاف الذي قبله

وقال ابو الوليد هشام الوقشي

برح بي ان علوم الورى • اثنان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها • وباطل تحصيله لا يفيد

ولـــه

وقاة يركبه فاز • مر بنا في يد صعده
سنانها مشتمل الحظة • وقدها منخزل قده
يرحف للنساك في جحفل • من حسنه ويو يرى وحده
قلت لنفسي حين مدت لنا • الامال والامال ممتده
لا تطمعي فيه كما الشمس لا • يطمع في تدنيه حده

ولـــه

عجبا للمدام ماذا استعارت • من سجايا معذبي وصفاته
طيب انفاسه وطعم ثناياه • وسكر العقول من لحظاته
وسنا وجهه وتوريد خديه • ولطف الدبياج من بشراته
والتداوي منها بها كالتداوي • برضي من هويت من سطواته
وبي من تعدى علي حرام • مثل تحريمه جنى رشفاته

ومن نوادره نكتة الكامل للمبرد وقد مر ذكر هذا الرجل الغريب قبل هذا وحضر يوما مجلس ابن ذي النون فتقدم نوع من الحلوا يعرف باذان القاضي فتهافت جماعة من خواصه عليها يقصدون التندير فيه وجعلوا يكثرون من اكلها وكان فيما

قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمي عيون البقر فقال المامون يا قاضي اري هولاء
يا كلون اذنيك فقال وانا ايضا اكل عيونهم وكشف عن الطبق وجعل يا كل منه
وكان هذا من الاتفاق الغريب وكان الفاضل ابو الحسين بن الوزير ابي جعفر الوقشي
ابن ابنه في الظرف وكيف لا ووالده الوزير ابو جعفر وصهره ابو الحسين بن جبير
وشيخه في علم الموسيقي والتهذيب والظرف والتدريب ابو الحسن بن الحسين الى
الحاسب شيخ هذه الطريقة وقد رزق ابو الحسين المذكور فيها ذوقا مع صوت بديع
اشهي من الكاس للخليع قال ابو عمران بن سعيد ما سمعته الا تذكرت قول الرصافي

ومطارح مما تخص بنانه • لحنا افاض عليه ماء وقاره
يثني الحمام فلا يروح لوكره • طربا ويرزق بنيه في منقاره

وكنت ارتاح الي لقايه ارتياح العليل الي شفايه • ولم ازل اقرع بابا
فبابا والخرق للاتصال حجابا فحجابا • حتي هجمت مع شفيع لا يرد عليه وجلست
بين يديه فحييته حرضه حسبه علي الاكرام • وتلقني بما اوسع من البشر والسلام
وقال ليعلم سيدي اني كنت اود الناس في لقايه • واحبهم في اخايه
والحمد لله الذي جعلني انشد •

وليس الذي يتبع الوبل رايدا • كمن جاءه في داره رايد الوبل

ثم قام الي الخزانة فاخرج منها عودا غنا يطرب دون ان يجس اوتاره وتلحن اسعاره
واندفع يغني دون ان اسال له ذلك ولا اتجشم تكليفه الدخول في تلك المسالك

وما زلت ارجو في الزمان لقاءكم • فقد يسر الرحمن ما كنت ارتجي
فذكركم ما زلت اتلوه دايما • اذا ذكروا ما بين سلمي ومنعج

فلما فرغ من استهلاله وعمله قبلت راسه وقلت له لا ادري علي م اشكرك
قبل هل علي تعجيلك بما لم تدعني اسالك في شانه • ام علي ما تفردت باحسانه
فاهذا الصوت قال هذا نشيد حضر وان من تلحيني قال وانشدني لنفسه

حننت الي صوت النواعير سحرة • واضحي فوادي لا يقر ولا يهدي
وفاضت دموعي مثل فيض دموعها • اطارحها تلك الصبابة والوجدا
وزاد غرامي حين اكثر عاذلي • فقلت له اقصر ولا تقدح الزندا
اهيم بهم في كل وادي صبابة • وازداد مع طول البعاد لهم ودا

وانشدني لنفسه

ولقد مررت علي المنازل بعدهم • ابكي واسال عنهم وانوح
واقول انسا لو اجابني الي النوي • ما حال جسم فارقته الروح

قال وكتب الي

يا حسرة ما قضيت من لذة وطرا • اين الزمان الذي يرجي به الخلف

ابجيك

ابجيك ملا جفوني لم يرجعني • الي التصبر الي سوف انصرف

قال ابو عمران وكنت في ايام الفتنة اذا اركنتني الي الامال هولت علي نفسي ما القي من
اهوالها بقولي مع خاطري قوله اين الزمان الذي يرجي به الخلف انتهي وكان ابو علي الحسين
الحسين علي بن الحمارة ممن برع في الالحان وعلمها وهو من اهل غرناطة واشتهر عنه انه
كان يعمد الي الشعري فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عودا للغني وينظم الشعر
ويلحنه ويغني به فيطرب سامعيه ومن شعره قوله

اذا ظن وكرا مقلتي طاير الكري • راي هدبها فارتاع خوف الحبايل

وقال بعض العلما في حتة ان اخر فلاسفة الاندلس قال واعجب ما وقع له في الشعر
انه دخل سلا وقد فرغ ابن عشرة من بنا قصره والشعرا تنشده في ذلك فارتجل
ابن الحمارة هذين البيتين وانشدهما بعدهم •

يا واحد الناس قد شيدت واحدة • فحل فيها محل الشمس في الحمل
فما كدارك في الدنيا لذي امل • ولا كدارك في الاخري لذي عمل

وسياتي ذكر هذين البيتين وكان اهل الاندلس في غاية الاستحضار للمسايل
العلمية علي البديهة قال ابن مسدي املي علينا ابن الناصف النحوي بمالقة علي
قول سيبويه هذا باب ما الكلم من العربية عشرين كراسا بسط القول فيها علي مائة
وثلاثين وجها انتهي وهذا واشباهه يكفيك في تبحر اهل الاندلس في العلم وربما
سيل العالم منهم عن المسالة التي يحتاج في جوابها الي مطالعة ونظر فلم يحتج
الي ذلك ويذكر من فكره ما لا يحتاج معه الي زيادة ومن الحكايات في مثل ذلك ان
الاديب البليغ الحافظ ابا بكر بن حبيش لما قال في تخميسه المشهور عاذا علي كل
من الحق وجبت اعترض عليه ابو زكريا اليفرني بما نصه استعمل المخمس ماذا في البيت
نكيرا وخبرا والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهاما فجاوبه بقوله اما استعمالها
استفهاما كما قال فكثير لا يحتاج الي شاهد واما استعمالها في الشعر فصحا العرب
للكثرة فكثير لا يحتاج الي شاهد لو وصل بحث واستعمل مكث فلم يعترض علي ولي
ولا تشكك في جلي وليس يصح في الافهام شي اذا احتاج النهار الي دليل قال
الله تعالي في سورة يونس قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات
والنذر عن قوم لا يومنون ووقع في صحيح البخاري في رثا المقتولين من المشركين
يوم بدر وماذا بالقليب قليب بدر • من القينات والشرب الكرام

وماذا بالقليب قليب بدر • من الشيزي تكلل بالسنام

وقال في السيرة في رثا المذكورين ايضا

ماذا ببدر فالعقنقل • من مرازبة جحاجح

وهذا الشعر لامية بن ابي الصلت الثقفي ووقع في الاغاني للوليد بن يزيد

يرثي بنتًا له يعرف بابن الطويل •

ماذا نطق اذ نوي • فينا من الراي الاصيل

والخبر طويل واجلي من هذا واغلي واحق بكل تقدير واولي ولكن لو اولا تقييد رتبة ولا تتضمن نسبة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا انزل الليلة من الفتن ومنو في الصحاح ووقع في الحماسة وقد اجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها

ماذا الخالد ثبيرة ابن سماك • من دمع باكية عليه وباك

وفي الحماسة ايضا واظنها لابي دهبل •

ماذا رزينا غداة الخل من دمع • عند التفرق من جيم ومن كرم

ووقع في نوادر القالي لكعب بن سعد الغنوي يرثي اخاه ابا المغوار

هوت امه ما يبعث الصبح غاديا • وماذا يرد الليل حين يؤوب

ووقع في شعر الخنساء ترثي اخاها صخرا •

الا ثكلت ام الذين غدوا به • الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وماذا يواري القبر تحت ترابه • من الجود من بوسي الحوادث والدهر

ولجرير ونمو في الحماسة •

ان الذين غدوا بلبك غادروا • وشلا بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي • ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وفي الحماسة ايضا •

ماذا من البعد بين البخل والجود • ووقع في الحماسة ايضا وهو لامراة

هوت امهم ماذا بهم يوم صرعوا • بجيشان من اسباب مجد تصرما

ارادت ماذا انصرم لهم من اسباب مجد يوم صرعوا بجيشان من اسباب مجد تصرما

ومما يستظهر به قول ابي الطيب المتنبي

ماذا لقيت من الدنيا واعجبها • اني بما انا باك منه محسود

وقوله ايضا

وماذا بمصر من المضحكات • ولكنه ضحك كالبكا

ومن ملح المناظرين كان بمرسية ابو جعفر المذكور في المطمح وكان يلقب بالبقيرة فقال فيه بعض اهل عصره

قالوا البقيرة يهجونا فقلت لهم • ماذا دهيت به حتى من البقر

هذا وليس بثور بل هو ابنته • واين منزلة الانثى من الذكر

وانشد صاحب الزهر ولا اذكر قائله •

ماذا لقيت من المستعربين ومن • قياس قولهم هذا الذي ابتدعوا

ان قلت قافية بكرا يكون لها • معنى يخالف ما قالوا وما وضعوا

قالوا الحث وهذا الحرف منتصب • وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

وضربوا بين عبد الله واجتهدوا • وبين زيد فطال الضرب والوجع

وقال صاحب الزهر انشد ابو حاتم ولم يسم قائله

الا في سبيل الله ماذا تضمنت • بطون الثرى واستودع البلد القفر

هذا ما حضر بفضل الله من الاستشهاد على ان ماذا تستعمل بمعنى الخبر والتكثير والله الذي لا اله غيره ما طالعت عليه كتابا • ولا فتحت فيه بابا • وانما هو ثمالة من حوض التذكار • وصبابة مما علق به من ترك الافكار • واثر مما سدك به السمع • ايام خلو الذرع • وعقدت عليه الحبى • في عصر الصبى • ورحم الله من نصح • وتسامح فتسمح • وصحح ما وقع اليه من الاغتلال • واصلح ما وضع لديه من اختلال • فخير الناس • من اخذ بالبر والايناس • فبصر من جهله • وادكر عن وهله • وانما المومنون اخوة • وتحابهم في الله رفعة وحظوة • ولهم في السلف الكريم ومحافظتهم على الود القديم اسوة • كريمة وقدوة انتهى قال ابن الطرماح انظر تخجيل هذا الامام الرئيس والاسمى النفيس • واستخفاره كلام الادبا • وسيرا لنقاد البلغا • ومساجلته مع فرسان المعاني • ووصفه تلك المغاني • وقد كان حامل لواء الادب وفائق ابناء جنسه من مرتقى الطلب وهذه الكلمة اعني ماذا جرت بسببها مناظرة بين الاستاذ ابي الحسين بن ابي الربيع النحوي المشهور وبين مالك بن المرحل بسبتة حتى الف مالك كتاب الرمي بالحصا والضرب بالعصي وفيه هناة لا ينبغي لها قبل ان تذكر ولا للذي طوي في البيان ان ينشرها • وفي ذلك قال الاستاذ ابو الحسين رحمه الله

كانما ذا لينها عدم • جنبوها قربها ندم

ليتني يا مال لم ارها • انها كالنار تضطرم

انتهى وقوله يا مال ترخيم مالك وحكى الاستاذ ابن غازي انهم اختلفوا هل يقال كانما ذا ام لا وقال ان الاستاذ ابن ابي الربيع تطفل على مالك بن المرحل في الشعر كما ان ابن المرحل تطفل عليه في النحو قال ومن نظم مالك بن المرحل في هذه القضية عاب قوم كانما ذا • ليت شعري كانما ذا

ان يكن ذلك جهلا • منهم فكانما ذا

انتهى ومن نظم ابن جبيش المذكور قوله •

اذا ما شئت ان تحيي هنيئا • رفيع القدر ذا نفس كريمه

فلا تشفع الى رجل كبير • ولا تشهد ولا تخصم لئيمه

ولهُ ايضا

لا اعملن الى العليا كم قدمي • ولو تخمست بين الطين والما

لان ابيت بيتًا في العيش اهون في • من ان تحرق نار السوق احشائي

وابو زكريا المعترض على ابن خبيش هو الفقيه النحوي الاديب ابو زكريا يحيى بن علي ابن سلطان اليفرني ولد سنة ١٤٦ وبرع في العربية يحيى بن علي بن سلطان اليفرني وكان يلقب بالمشرق جبل النحو وكان عند نفسه مجتهدا وكان لا يجيز نكاح الكتابيات خلافا للامام مالك وهو مذهب الامام احمد بن حنبل ويتمسك بقوله تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة وكان يرى ان الطلاق لا يكون الا مرتين مرة للاستبراء ومرة للانفصال ولا يقول بالثلاث وهو خلاف الاجماع وكان يقول في نهيه عليه الصلاة والسلام عن اكل ذي ناب من السباع اي ماكول كل ذي ناب ويبقى هو على الاباحة ويدل عليه قوله تعالى وما اكل السبع وكان يقول في قوله تعالى ان هذان لساحران الهاء اسم ان وذان لساحران جملة خبر لان في قوله تعالى انه هذان لسا ولا تحتاج لرابط لانها تفسيرية والمعنى عنده واسروا النجوى قالوا انها اي نجوانا هذان لساحران اي قولنا هذان لساحران تثبيطا للناس عن اتباعهما وخط المصحف يرده لكن في المصحف اشيا كتبت على غير المصطلح مثل ما الهذا ولاوضعوا ولاذبحنه ابن الطراح ورايت هذا المعنى لغيره واظنه ابن النحاس وتوفي اليفرني المذكور سنة .. لا ومن شعره •

ماذا على الغصن المياس لو عطفا • على صبا بته صب حالف الدنفا
يا رحمة لفوادي من معذبه • كم ذا يحمله ان يحمل الكلفا
ويا رعى الله دهرا ظل يجمعنا • في ظل عيش صفا من طيبه وصفا
مودة بيننا في الحب كاملة • ونحن لا نعرف الاعراض والصلفا

رجع الى كلام الاندلسيين قال الصالح بن شريف الرندي رحمه الله في سكين الكتابة

انا صمصامة الكتابة مالي • من شبيه في المرهفات الرقاق
فكاني في الحسن يوم وصال • وكاني في القطع يوم فراق

وقال في المقص

ومصطحبين ما انفكا بعشق • وان وصفا بضم واعتناق
لعمر ابيك ما اجتمعا لشيء • سوى معنى القطيعة والفراق

ولبعض الاندلسيين

هلا اقتديت وخلة بنعالنا • فيكون واصل خلة كوصالنا
مهما يجي احد ليقطع بيننا • نقطعه ثم نعد لاحسن حالنا

وجرح بعض الكتاب يده بالمقص فانشد احد جلسايه وغالب ظني انه اندلسي

عداوة لا لكفك من قديم • فلا تعجب لمقراض لئيم
لئن اد ماك فهو لا شبيه • وقد يعدو اللئيم على الكريم

ولما الف ابن عصفور كتابه المقرب في النحو انتدب جماعة من اهل قطرى الاندلسيين

وغيرهم منهم ابن الضايع وابن هشام والجزيري وله عليه المنهج المعرب في الرد على المقرب وفيه تخليط كثير وتعسف •

وفي نفيس من يجد الشمس نورها • ويامل ان ياتي لها بضريب

ومنهم ابن الحاج وابو الحسن حازم القرطاجني الخزرجي وسماه شد الزيار على جحفلة الحمار وابن مومن القابسي وبها الدين ابن النحاس ومن شعر حازم الاندلسي المذكور قوله

لم تدر اذ سالتك ما اسلاكما • ابكتا شيئ ام قطعت اسلاكما

وعارضه النجاتي بقوله •

يا ساحر الالحاظ يا فتاكما • فتني جوار الصد من افتاكما

فاجابه ابنه بقوله •

يا لايم الصب في التصابي • ما عنك يغني البكا شيا
ادخت خيل العتاب نحوي • وقيل زينتها السيا
وقلت عمر الهنا قصير • فازح من العيش ما تهيا
فقد كنت ارجو المتاب مما • فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء • انت وابليس والحميا

انتهى وقال ابو جعفر بن صفوان المالقي رحمه الله

سالته الاتيان نحوي مقبلا • فقال سل نحوي كي تحصلا
قرات باب الجمع من شوقي له • وهو بالاشتغال عني قد سلا
للاستغاثة انتدبت تاليا • وهو لافعال التعدي قد تلا
وكلما طلبت منه في الهوى • عطفا غدا يطلب مني بدلا
وانا ارم محض اضافة له • اعمل في قطعي عنه الحيلا
في الفا لوصل طللت باخبا • وهو بباب الفصل قد تكلفا
فلست موصولا وليس عايدا • وليس حالي عن اسي منتقلا
فيا منى نفسي ومن لعهده • دانت فهوم الاذكيا النبلا
وجدي موقوف عليك لا ارى • عنك مدى الدهر له تنقلا
فالذي يمنع من تسكينه • والوقف بالتسكين حكم اعملا
والحب مرفوع اليك مفرد • فلم ترى بضمتي مستثقلا
فالضم للرفع غدا علامة • في مفرد مثلي فاوضح مشكلا
لا زلت للهيام عني دافعا • للوصل ناصبا لقولي مهملا
للشوق مشكنا للهجر صارفا • بالقرب من حال البعاد مبدلا
نجزم امرا في الاماني ماضيا • ونبتدي بما تشا مستقبلا

وقال محمد بن ادريس القضاعي الاصطبوني

علاه رياض او رفت بمحامد • تنور بالجدوي وتثمر بالامل
تنح عليها من نداه غمامة • تروي ثري المعروف بالعل والنهل
ويمل هولا الشمس نشا وفرقة • فيقرب بالجدوي ويبعد بالاكل
ثم ايادية البرقية كلها • فذان وقاصر جود كفيه قد شمل

وقال محمد النصلي الهذلي من اعيان غرناطة

جادت على لواحظ الارام • لما رمت اجفانها بسهام
حكمت على بحكمها فتبسمت • الصني منها الذي الاحكام
يا قاتلي عمدا بسيف لحاظه • اعند طيباه قبل وقع حمام
كم رمت وصلك والصدود يصدني • ونيل عزي امره ومرامي
اني عدمت النفس يوم فراقكم • والبين اسلمها الي الاعدام
كيف المقام واصل جسمي ناحل • انا لنفوس مقيمة الاجسام
صعب العلاج فليس يمكن برءها • حتي يعود الشهر مثل العام
قد كنت افرح بالسلو فها انا • قد زم قلبي في الهوي بزمام
مالت بريخو الغصون بدائع • من شادن يحكيه بدر تمام
نفوام نفسا بلذة وصله • وجميع اعيننا عليه سوام
فدا برزت خداه روض محاسن • عظمت على الافكار والاوهام
نندي بما شبيبة وتنعم • فيروق منها الزهر في الاكام
فكانما وجناتها في لونها • ورد الرياض با بصوب غمام
وكانما درع الدجي من شعره • قد حاكه منها يد الاظلام
وكانما ريق حواه ثغره • مسك اذيف بعنبر ومدام
وكانما سيف لحظها الحاظه • سيف الامير ممهد الاسلام
ذاك الامير محمد بن محمد • ناهيك من ملك اعز همام
ملك علا فوق السماك علاؤه • وسما فادرك غاية الاعظام
لو كان يعتقل السهي لاناه في • شكل القناة ملثما بلثام
او كان يرضي بالمجرة اجردا • لجرت الي الاسراج والالجام
فالسعد يفعل للاماني قولها • والنصر يخدمه مع الايام
واليوم يعشقه ويحمد ليله • فيه كمشتق سيوفه للهام
نامت عيون الترك خوف سنانه • لولاه ما اكتحلت بطيف منام
بهر الانام ببيفه وبياسه • فسبي وانعم ايما انعام
فالمعتفي يجني جزيل هباته • والمعتدي يصلي الردي بحسام
مهما استغنت به فضيم معرك • واذا استجرت به فطود شمام

اجري

اجري مياه العدل بعد جفوفها • وازال نار الظلم بعد ضرام
كم من كتيبة جحفل فتهدها • في معرك بمهند صمصام
المقتني الجود المذاكي عدة • للكر في الاعداء والاقدام
من كل منتين كان اديمه • لون الصباح اتي عقيب ظلام

ومنها

يا خير من ركب الجياد وقادها • تحت اللوا وعمدة الاقوام
لا زلتم والسعد يخدم امركم • في غبطة موصولة بدوام
حتي يصير الامر في ارجائنا • عيدا يقوم لنا على الاقدام
والله ينصركم ويعلي مجدكم • ما سح اثر الصحو ماء غمام

وكان يحيي السرقسطي اديبا فرجع الي الجزارين فامر الحاجب بن هود ابا الفضل ابن حسداي ان يوبخه علي ذلك فكتب اليه •

تركت الشعر من عدم الاصابه • وملت الي التجارة والقصابه

فاجابه يحيي

تعيب علي ما لوف القصابه • ومن لم يدر قدر الشي عابه
ولو احكمت منها بعض شي • لما استبدلت منها بالحجابه
ولو تدري بها كلفي ووجدي • علمت علي بحتمل الصبابه
وانك لو طلعت علي يوما • وحولي من بني كلب عصابه
لهالك ما رايت وقلت هذا • هزبر صير الاوغنام غابه
وكم شهدت لنا كلب وهر • بان المجد قد حزنا لبابه
فتكنا في بني العتري فتكا • اقر الذعر فيهم والمهابه
ولم نقلع عن الثوري حتي • مزجنا بالدم القاني لعابه
ومن يعتر منهم بامتناع • فان الي صوارمنا ايابه
ويبرز واحد منا لالف • فيغلبهم وذاك من الغرابه

ومنها

ابا الفضل الوزير اجب ندائي • وفضلك ضامن عنك الاجابه
وامتعاء الي شكوي شكور • اطلت على صناعته عتابه
وحقك ما تركت الشعر حتي • رايت البخل قد اوصي بجانه
وحتي زرت مشتاقا خليلي • فابدي لي التجيل والكابه
وظن زيارتي لطلاب شي • فنافرني وغلظ لي حجابه

وقال الاديب ابو الحسن بن الحداد •

قالت وابدت صفحة • كالشمس من تحت القناع

بعنا الدفاتر وهي اخر ما يباع من المتاع •
فاجبتها ويدي على كبدي وهمت بانصداع
لا تعجبي مما رايت • فنحن في زمن الضياع

وقال الاديب ابو زكريا بن مطروح من اهل مدينة باغه وقد عزل وال
فنزل المطر على اثره وهو من احسن شعر قاله وكان الوالي غير مرضي

ورب وال سرنا عزله • فبعضنا هناه البعض
قد واصلنا السحب من بعده • ولذ في اجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه • ما طهرت من بعده الارض

وقال القاضي ابو البركات بن الحاج البلفيقي رحمه الله تعالى

وعشية حكمت على من تاب من • اهل الخلاعة ان يعود لما مضى
جمعت لنا شمل السرور بفتية • جمعوا من اللذات شملا من نضي
ما غاقني عن ان اسير بسيرهم • الا الرتبا مع الخطابة والقضا

وقال ابو الحجاج يوسف المهري من اهل دانية

ابا الله الا ان افارق منزلا • يطالعني وجه المنى فيه سافرا
كان على الايام الا احله • يمينا فما اغشاه الا مسافرا

وقال بعضهم في الرثا •

عبرات تفيض حزنا وثكلا • وشجون تعم بعضا وكلا
ليس الاصابة اضرمتها • حسرة تبعث الاسى ليس الا

ولابي جعفر البنيل احد شعرا المرية وكتابها

عزا على هذا المصاب الذي بدا • وشتت شمل الانس من بعدها انتهي
بفرع علا من منابت سودد • تناهى رقيا في المعالي الى السها
اصيب به من بعد ما تم مجده • وقد شمخت منه السماريخ وازدهى
فاية شمس فيه للمجد كورت • واي بناء للمكارم قد وهى
فصبرا عليه لا رزيت بمثله • فمثلك من يعزى الى الحلم والنهى

وقال الكاتب الماهر ابو جعفر احمد بن ايوب اللماي المالقي

طلعت طلايع للربيع فاطلعت • في الروض وردا قبل حين اوانه
حيا امير المومنين مبشرا • ومومّلا للنيل من احسانه
جنت سحايبه عليه بمابه • فاتاه يشقيه ماء بنانه
دامت لنا ايامه موصولة • بالعز والتمكين في سلطانه

وقال ابو جعفر احمد بن طلحة من جزيرة شقر

يا هل ترى اظرف من يومنا • قلد جيد الافق طوق العقيق

والنطق

والنطق الورق بعيدانها • مطربة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى • في الروض الا بكوس الشقيق

وقال ابو جعفر الغسانى من اهل وادي اش واستوطن غرناطة ثم مات بالمرية
فيكتب على حمالة قراب لموطا الامام مالك بعدها استجد قراح ادبا عصره
واستصرخ اختراعاتهم لنفسه فكلهم قصر عن غرضه واذا مقترضه فقال هو

يا طالبا لكمال • حفظي اتم كمالك
فما تقلدت مثلي • اذ لم تقلد كمالك

وقال ابو بكر يحيى بن بقي •

خذها على وجه الربيع المخصب • لم ينقض حق الروض من لم يشرب
ميمي بسما على وميمي سارد • فارحمه من تلك الكووس بكوكب

وهو رحمه الله صاحب الابيات المشهورة

زحزحته عن اضلع تشتاقه • كي لا ينام على وساد خافق

وانتقد عليه بعض اللطفا فقال انه كان نجا في الطبع حيث قال زحزحته
ولو قال باعدت عنه اضلعا تشتاقه لكان احسن وقال السلطان المتوكل
ابن الافطس صاحب بطليوس يستدعي

انهض ابا طالب الينا • واسقط سقوط الندا علينا
فنحن عقد بغير وسطى • ما لم تكن حاضرا لدينا

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما اظن

نحن في مجلس انس • ما به غير محبك
فتصدق بحضور • واجمع الوقت بقربك
وخفا لا ان عتابي • مثل جوفي عند عتبك

رجع وقال ابو عبد الله بن خلصة الضرير

ولو جاد بالدنيا وثنى بمثلها • لظن من استصغارها انه ضنا
ولا عيب في نعامه غير انه • اذا من لم يتبع مواهبه منا

ولد ايضا

يا ما لكا حسدت عليه زمانه • امم خلت من قبله وقرون
ما لي ارى الامال بيضا وضحا • ووجوه امالي حوالك جون
انا امن فرق وراج ايس • در وصد ومسرح مسجون
لا تعدلي انواسيلك لا عدا لك النصر والتاييد والتمكين

وقال ابن اللبانه

كرمت فلا بحر حكاك ولا حيا • وفت فلا عجم شانك ولا عرب

فاولينني منك الجميل فؤاله • عسي السنح من نعماك يتبعه السكب

وقال ابو علي اليمامي •

ابناتا الهديل اسعدن او • عدن فليل العزا بالاسعاد

بيدا اني لا ارتضي ما • فعلتن فاطوا فكن في الاجياد

وقال ابو جعفر احمد بن الدود من كلمة

فعدت غوادي الحي عنك عجايبا • واسلن الحاظ الرباب ربابا

وقال ابن ابي الخصال في مليحة لها اربع جوار قبيحات

وليلة طولها علي سنه • بات بها الجفن نادما وسنه

باربع بينهن واحدة • كسيات وبينها حسنه

وقال غالب بن تمام الملقب بالحجام

صغار الناس اكثرهم قبيحا • وليس لهم بصالحة نهوض

الم في سباع الطير نسرا • نسالمنا ويوذينا البعوض

وقال ابن غايته •

وروضة قد علت سماء • تطلع ازهارها نجوما

هفا نسيم الصبا عليها • فخلتها ارسلت رجوما

كانما الجو غار لما • بدت فاغري بها النسيما

وله يصف فرسا وهو من بدايعه •

فصرت له نسع وطالت اربع • وزكت ثلاث منه للمتامل

وكانما سال الظلام بمتنه • وبدا الصباح بوجهه المتهلل

وكان راكبه علي ظهر الصبي • من سرعة او فوق ظهر الشمال

وقال

تربة مسك وجو عنبرة • وغيم ند وطش ماورد

كانما جايل الحباب به • يلعب في جانبيه بالنرد

وتروي هذه الابيات لغيره وقال

هم سلبوني حسن صبري اذ بانوا • باقمار اطواق مطالعها بان

لين غادروني بالهوان محكتي • مسايرة اظعانهم حيث ما كانوا

وقال ابو محمد بن سفيان وهو من ابدع التخلص

نقلت وجفني قد نداعت شونه • وحر ضلوعي مقعد ومقيم

لين دمت دمتم الخطوب والمنه • فانا باعيشي اعز كريم

وقال ابن الزقاق

بابي وغيرا بي اغن مهفهفا • مهضوم ما تحت الوشاح خميص

لبس الفواد

170

لبس الفواد ومزقته جفونه • فاتي كيوسف جين قد قميصه

وقال •

سلام علي ايامكم ما بكي الحيا • وسقيا لذاك العهد ما ابتسم الزهر

كان لم بنت في ظل امن تضمنا • من الليلة الظلما اردية حضر

ولم نغتبق تلك الاحاديث قهوة • وكم مجلس طيب الحديث به خمر

الا في ضمان الله من كل ساعة • تجدد لي فيها بشوقي لذ ذكر

يذكرنيه البرق حيد لان باسما • ويذكرني استفار غرته البحر

وما ادقد هذا الروض الا تمثلت • لناظر عيني منه ادبه الزهر

وقال يحيي السرقسطي •

هاتها عسجدية كوثرية • بنت كرم رخيصة عطرية

كلما شمها البخول تفوت • فاعجبوا من ضعيفة وقوية

رب خمارة سريت اليها • والدجي في ثيابه الزنجية

ومنها

كم عقار بدلته بعقار • وثياب صبغتها خمرية

ان خير البيوع ما كان نقدا • ليس ما كان اجلا نسيه

وله

نسبتم الظلم لعمالكم • ونمتم عن قبح اعمالكم

والله لو حكمتم ساعة • ما خطر العدل علي بالكم

وقال الرصافي في الدولاب •

وذي حنين يكاد شجوا • يختلس الانفس اختلاسا

اذا غدا للرياض جارا • قال لها المحل لا مساسا

تبتسم الروض حين يبكي • بادمع ما راين باسا

في كل جن يسل سيفا • صار له عقده رياسا

وخرج ابو بكر الصابوني لنزهة بوادي اشبيلية وكان بهودي فتي اسمه علي فقال

ابا حسن يا حسن • بعادك قد نفي وسني

وما انسي نذكره • فهل انسي فيذكرني

ويشبه هذا قول الطاهر بن ابي ركب

يقول الناس في مثل • تذكر غايبا تره

فما لي لا اري سكني • ولا انسي نذكره

وكتب بعض الادبا الي ابن حزم الاندلسي بقوله

سالت الوزير الفقيه الاجل • سوال مدل علي من سال

فقلت ايا خير مسترشد • ويا خير من عنا ما مرتتل
ايحرم ان نا لني قبلة • غزال ترشف فيه الغزل
وعانيني والدجي خاضب • فبتنا ضجيعين حتي نصل
وجيتك اسال مسترشدا • فبين هديت بمن قد سال

فاجاب ابن حزم بقوله

اذا كان ما قلته صادقا • وكنت تحريت جهد المقل
وكان ضجيعك طاوي الحشا • اعار المهاة احورار المقل
قريب المها اوله عنقة • تمنا لهتوم وتحيي الجذل
ففي اخذنا سبب عن مالك • عن ابن شهاب عن الغير قل
بترك الخلاف علي جمعهم • علي ان ذلك حل وبل

ونظر الرصافي يوما الي صبي يبكي ويا خذ من ديقه ويبل عينيه كي يخفي اثر البكا
فارتجل الرصافي •

عذيري من جذلان يبدي كاية • واضلعه مما يحاوله صفر
اميلد مياس اذا قاده الصبا • الي ملح الادلال ايده السحر
يبل ما في زهرتيه بريقه • ليحكي البكا عمدا كما ابتسم الزهر
ايوهم ان الدمع بل جفونه • وهل عصرت يوما من الرجس الخمر

وكان المذكور اعني الرصافي يميل في شبيبته لبعض فتيان الطلبة واجتمع
الطلبة علي ان يصنعوا نزهة بالوادي الكبير بمالقة فركبوا زورقا للمسير الي
الوادي فوافق ان اجتمع في الزورق سميل الرصافي بمحبوبه ثم ان الريح الغربية
عصفت وهاج البحر ونزل المطر فنزل الواء من الزورق وافترق شمل الرصافي
من محبوبه فارتجل في ذلك ويقال انها من اول شعره

غازني الغرب اذ راني • مجتمع الشمل بالحبيب
فارسل الما عن فراق • وارسل الريح عن رقيب

فلما سمع ذلك استاذه استنبله وقال له انك ستكون شاعر زمانك **وحكي**
ان ابا بكر بن مجبر قال في ابن لابي الحسن بن القطان بحضرة الله

جاء وفي يسار • قوس ويمناه قدح
كانه شمس بدت • وحولها قوس قزح
يا لايمي في حبه • ما كل من لام نصح

فقال ابن عياش الكاتب هذه ابيات لاندلسي استوطن المشرق في تركيب فاقسم ابو بكر
انه لم يسمع شيا من ذلك وانما ارتجلها وقيل انها لابي الفتح محمد بن عبد الله من اهل
بغداد واولها • جد بقلبي فمزح • فالله اعلم بحقيقة الامر • وخرج ابو بكر

ابن طاهر

ابن طاهر وابو الحسين والقاضي ابو حفص بن عمر ونحو ذلك وسيم فاثرت الشمس
في وجهه فقال ابو ذر •

وشمتك الشمس يا عمر • سمة في القلب تنتثر

فقال الاخر

علمت قدر الذي صنعت • فاتت صفراء تعتذر

وقال ابو الحسن البلنسي الصوفي كان لي صديق امي لا يقرا ولا يكتب فعلق فتي
وكان خرج لنزهة فاثرت الشمس في وجهه فاعجبه ذلك **وانشد**

رايت احمد لما جاء من سفر • والشمس قد اثرت في وجهه اثرا
فانظر لما اثرته الشمس في قمر • والشمس لا ينبغي ان تدرك القمرا

واجتمع ابو الوليد الوقشي وابو مروان عبد الملك بن سراج القرطبي وكانا من تعري
عضهما حفظا وتقدما فتعارفا وتساءلا ثم بادر ابو الوليد بالسوال وقال
كيف يكون قول القائل •

ولو ان ما بي بالحصي فلق الحصي • وبالريح لم يسمع لهن هبوب

لا ينبغي ان يكون مكان فلق الحصي ليكون مطابقا لقوله لم يسمع لهن هبوب يريد
انما به يحرك ما شانه السكون ويسكن ما شانه الحركة فقال ابو مروان انما يريد
الشاعر بقوله •

وراكعة في ظل غصن منوطة • بلولوة نيطت بمنقار طاير

وكان اجتماعهما في مسجد فاقيمت الصلاة اثر فراغ ابن سراج من انشاد البيت فلما
انقضت الصلاة قال له الوقشي لغز الشاعر باسم احمد فالراكعة الحا والغصن
كناية عن الالف واللولوة الميم ومنقار الطاير الدال فقال له ابن سراج ينبغي
ان تعيد الصلاة لشغل خاطرك بهذا اللغز فقال له الوقشي بين الاقامة وتكبيرة
الاحرام فككته والبيت لعبد الله بن الدمينة وبعده

ولو انني استغفر الله كلما • ذكرتك لم تكتب علي ذنوب

وقال الوزير ابو الحسن بن اضحي •

ومستشفع عندي بخير الوري عندي • واولاهم بالشكر مني وبالحمد
وصلت فلما لم اقم بجزائه • لعفت له ناهي حياء من المجد

وكان سبب قوله هذين البيتين انه كتب اليه بعض الوزرا شافعا لاحد الاعيان
فلما وصل البر بر وانزله واعطاه عطاء استقطه واستجزله • وخلع عليه
خلعا • واطلعه من الاجلال بدرا لم يكن مطلعا • ثم اعتقد انه قد جا مقصرا
فكتب اليه معتذرا بالبيتين هكذا حكاه الفتح وقال بعد ذلك ما صورته
ومن باهر جلاله • وظاهر خلاله انه اعف الناس بواطن • واشرفهم في التقي مواطن

ما علمت له صنوى • ولا حلت لذا لي مستنكر حبوى • مع عدل لا شيء يعدله • وعجب عما يتقي مما يرسل عليه تجائبه ويبذله • وكان لصاحب البلد الذي كان يتولى القضاء ابن من احسن الناس صورة • وكانت محاسن الاقوال والافعال عليه مقصورة • مع ما شئت من لسن • وصوت حسن • وعفاف قد اختلط بلينهما والتفاف • قال الفتح وحللنا لاحدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفة نهر احسن من شادمهر • تشقها جداول كالصلال • ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من اعيانها فاحضرنا من انواع الطعام • وارانا من فرط الاكرام والانعام • ما لا يطاق ولا يحد • ويقصر عن بعضه العد • وفي اثناء مقامنا بدا لي من ذلك الفتى المذكور ما انكرته • فقابلته بكلام اعتقده • وملام احقده • فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم ار منه ما عهدته من الانابة فكتبت اليه مداعبا له فراجعني بهذه القطعة

اتتني ابا نصر نتيجة خاطر • سريع كرجع الطرف في الخطرات
فاعربت عن وجد كمين طويته • باهيف طاو فاتر اللحظات
غزال احم المقلتين عرفته • بخيف منى للحسن او عرفات
رماك فاصمى والقلوب رمية • لكل كحيل الطرف ذي فتكات
وظن بان القلب منك محصب • فلباك من عينيه بالجمرات
تقرب بالنساك في كل منسك • وضحى غداة النحر بالمهجات
وكانت له جيان مثوى فاصبحت • ضلوعك مثواه بكل فلات
يعز علينا ان نهيم فتنطوي • كئيبا على الاشجان والزفرات
فلو قبلت للناس في الحب فدية • فديناك بالاموال والبشرات

ومن ابيات ديانته • وعلامة حفظه للشرع وصيانته • وقصده مقصد المتورعين وجريه جري المتشرعين • ان احد اعيان بلده كان متصلا به اتصال الناظر بسواده مختصا في عينه وفؤاده • لا يسلمه الى مكروه • ولا يفرده لحادث يعروه وكان من الادب في منزلة تقتضي اسعافه • ولا توردة من تشفيعه في مورد قد عافه • فكتب اليه ضارعا في رجل من خواصه اختلط بمراة طلقها ثم تعلقها وخاطبه في ذلك بشعر فلم يشفعه وكتب اليه مراجعا

ابا ايها السيد المجتبى • ويا ايها الالمعي العلم
اتتني ابياتك المحكمات • بما قد حوت من بديع الحكم
ولم ار من قبلها مثلها • وقد نفثت سحرها في الكلم
ولكنه الدين لا يشترى • بنثر ولا بنظام نظم
وكيف ابيح حمى مانعا • وكيف احلل ما قد حرم

الت

التلطف عتاب لاله • ونار موججة تضطرم
الم فها ظالما ابتته • على انوك قد طغى واجترم
ولو ان ذاك الغبي اهتدى • تثبت في امره ما ندم
ولكنه طاش مستعجلا • فكان احق الورى بالندم

انتهى كلام الفتح الذي اردت تجليته هنا ولا خفا ان هذه القضية مما يدخل في حكايات عدل قضاة الاندلس ومن نظم ابن اضحى المذكور ما كتب به الى بعض من يعز عليه •

يا ساكن القلب رفقا كم تقطعه • الله في منزل قد ظل مثواكا
يشيد الناس للتحصين منزلهم • وانت تهدمه بالعنف عيناكا
والله والله ما حبي لفاحشة • اعاذني الله من هذا وعافاكا

وله في مثل ذلك

روحي اليك فرديه الى جسدي • من لي على فقدها بالصبر والجلد
بالله زوري كئيبا لا عزاء له • وشرفيه ومثواه غداة غد
لو تعلمين بما القاه يا املي • ما يغنيني الود تصفيه يدا بيد
عليك مني سلام الله ما بقيت • آثار عينيك في قلبي وفي كبدي

واذ وصلت الى هذا الموضع من كلام اهل الاندلس فقد رايت ان اذكر جملة من نساء اهل الاندلس اللاتي لهن اليد الطولى في البلاغة كي يعلم ان البراعة في اهل الاندلس كالغريزة لهم حتى في نسائهم وصبيانهم فمن النساء المشهورات بالاندلس ام السعد بنت عصام الحميري من اهل قرطبة وتعرف بسعدونة ولها رواية عن ابيها وجدها وغيرهما كما حكاه ابن الابار في ترجمتها من التكملة وانشدت لنفسها في تمثال النعل النبوي صلى الله عليه وسلم تكملة لقول غيرها

سالثم التمثال اذ لم اجد • للثم نعل المصطفى من سبيل

ما صورته

لعلني احظى بتقبيله • في جنة الفردوس اسنى مقيل
في ظل طوبى ساكنا امنا • اسقى باكواس من السلسبيل
وامسح القلب به علة • يسكن ما جاش به من غليل
فطالما استشفى باطلاله • يهواه اهل الحب في كل جيل

وانشد ابن جابر الوادياشي عن شيخه المحدث ابي محمد بن هارون القرطبي لجدته سعدونة واظنها هذه •

اخ الرجال من الاباعد • والاقارب لا تقارب
ان الاقارب كالعقارب • او اشد من العقارب

هكذا نقله الخطيب بن مرزوق ورايت نسبة البيتين لابن العميد والله اعلم ومنهن حسانة التميمية بنت ابي الحسين الشاعر تادبت وتعلمت الشعر فلما مات ابوها كتبت الى الحكم وهي اذ ذاك لم تتزوج •

اني اليك ابا العاصي موجعة • ابا الحسين سقته الواكف الديم
وقد كنت ارتع في نعماه عاكفة • فاليوم اوي الى نعماك يا حكم
انت الامام الذي انقاد الانام له • وملكته مقاليدها النهى الامم
لا شي اخشى اذا ما كنت لي كنفا • اوي اليه ولا يعرو بي العدم
لا زلت بالعزة القعسا مرتديا • حتى تذل اليك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه وامر لها باجرا مرتب وكتب الى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن ويحكى انها وفدت على ابنه عبد الرحمن شاكية من عامله جابر بن لبيد والي البيرة وكان الحكم قد وقع لها بخط يده بتحرير املاكها وحملها في ذلك على البر والاكرام فتوسلت الى جابر بخط الحكم فلم يفدها فدخلت الى الامام عبد الرحمن فاقامت بفنا قصره وتلطفت مع بعض نسائه حتى اوصلتها اليه وهو في حال طرب وسرور فانتسبت له فعرفها وعرف اباها ثم انشدته •

الى ذي الندى والمجد سارت ركائبي • على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعي انه خير جابر • ويمنعني من ذي الظلامة جابر
فاني وايتامي بقبضة كفه • كذي ريش اضحى في مخالب كاسر
جدير لمثلي ان يقال مروعة • لموت ابي العاصي الذي كان ناصري
سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى • على زمان باطش بطش قادر
ايمحو الذي خطته يمناه جابر • لقد سام بالاملاك احدى الكبائر

ولما فرغت دفعت اليه خط والده وحكت جميع امرها فرق لها واخذ خط ابيه فقبله ووضعه على عينيه وقال تعدى ابن لبيد طوره حين رام نقض راي الحكم وحسبنا ان نسلك سبيله بعده ونحفظ بعد موته عهده انصرفي يا حسانة فقد عزلته لك ووقع لها بمثل توقيع ابيه الحكم فقبلت يده وامر لها بجائزة وانصرفت وبعثت اليه بقصيدة منها •

ابن الهشامين خير الناس ماثرة • وخير منتجع يوما لرواد
ان هز يوم الوغى اثنا صعدته • روى انابيبها من صرف فرصاد
قل للامام ابا خير الورى نسبا • مقابلا بين اباء واجداد
جودت طبعي ولم ترض الظلامة لي • فهاك فضل ثناء رائح غادي
فان اقمت ففي نعماك عاطفة • وان رحلت فقد زودتني زادي

ومنهن ام العلا بنت يوسف الحجارية ذكرها صاحب المغرب وقال انها من اهل المائة الخامسة ومن شعرها •

كل ما يصدر منكم حسن • وبعلياكم تحلى الزمن
تعطف العين على منظركم • وبذكراكم تلذ الاذن
من يعش دونكم في عمره • فهو في نيل الاماني يغبن

وعشقها رجل اشيب فكتبت اليه

الشيب لا يخدع فيه الصبى • بحيلة فاسمع الى نصحي
فلا تكن اجهل من في الورى • يبيت في الجهل كما يضحي

ولها ايضا

افهم مطارح احوالي وما حكمت • به الشواهد واعذرني ولا تلم
ولا تكلني الى عذر ابينه • شر المعاذير ما يحتاج للكلم
وكلما جئته من زلة فبما • اصبحت في ثقة من ذلك الكرم

والحجارية بالراء المهملة نسبة الى وادي الحجارة ومنهن امة العزيز قال الحافظ ابو الخطاب بن دحية في كتاب المطرب من اشعار المغرب انشدتني اخت جدي الشريفة الفاضلة امة العزيز الشريفة الحسينية لنفسها

لحاظكم تجرحنا في الحشى • ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا • فما الذي اوجب جرح الصدود

انتهى قلت هذا السوال يحتاج الى جواب وقد رايت لبلديتنا القاضي الامام ابي الفضل قاسم العقباني التلمساني رحمه الله جوابه والغالب انه من نظمه

وهو قوله

اوجبه مني يا سيدي • جرح تخدليس فيه الجحود
وانت فيما قلته مدع • فاين ما قلت واين الشهود

انتهى ومنهن ام الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية قال ابن سعيد في المغرب كانت تنظم الشعر وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار وعملت فيه الموشحات ومن شعرها فيه

يا معشر الناس الا فاعجبوا • مما جنته لوعة الحب
لولاه لم ينزل ببدر الدجى • من افقه العلوي للترب
حسبي بمن اهواه لو انه • فارقني تابعه قلبي

ومنهن الشاعرة الغسانية البجانية بالنون نسبة الى بجانة وهي كورة عظيمة وتشتهر باقليم المرية وهي من اهل المائة الرابعة فمن نظمها من ابيات

عهدتهم والعيش في ظل وصلهم • انيق وروض الوصل اخضر فينان

لبا بي سعد لا يخاف على الهوى • عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

ومنهن العروضية مولاة ابي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب سكنت بلنسية وكانت قد اخذت عن مولاها النحو واللغة لكنها فاقته في ذلك وبرعت في العروض وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالي وتشرحهما قال ابو داود سليمان بن نجاح قرات عليها الكتابين واخذت عنها العروض توفيت بدانية بعد سيدها في حدود الخمسين والاربعماية رحمة الله تعالى

ومنهن حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الادبية المشهورة بالجمال والحسب والمال ذكرها الملاحي في تاريخه وانشد لها مما قالته في امير المومنين عبد المومن بن علي ارتجالا بين يديه •

يا سيد الناس يا من • يومل الناس رفده
امنن علي بطرس • يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه • الحمد لله وحده

واشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت ان تكتب السلطان بيده بخط غليظ في راس المنشور الحمد لله وحده وتذكرت بذلك والشي بالشي يذكر انه لما قفل السلطان الناصر امير المومنين ابن امير المومنين يعقوب المنصور بن امير المومنين بن امير المومنين يوسف ابن عبد المومن بن علي سلطان المغرب والاندلس من افريقية سنة ثلاث وستماية بعد فتح المهدية هنا الشعرا بذلك ثم اجتمع ابو عبد الله بن مرج الكحل في الوقت لنفسه •

ولما توالى الفتح من كل وجهة • ولم تبلغ الاوهام في الوصف حده
تركنا امير المومنين لشكره • بما اودع السر الالاهي عنده
فلا نعمة الا تودي حقوقها • علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب له ذلك ووقع احسن موقع وحكى صاحب كتاب روح الشعر وروح السحر وهو الكاتب ابو عبد الله محمد بن الجلاب الفهري بان امير المومنين يعقوب المنصور لما قفل من غزوة الاراكة المشهورة وكانت يوم الاربعا تاسع شعبان احد وتسعين وخمسماية ورد عليه الشعرا من كل قطر يهنيونه فلم يمكن لكثرتهم ان ينشد كل انسان قصيدته بل كان يختص منها بالانشاد البيتين والثلاثة المختارة فدخل احد الشعرا فانشده

ما انت في امرا الناس كلهم • الا كصاحب هذا الدين في الرسل
احييت بالسيف دين الهاشمي كما • احياه جدك عبد المومن بن علي

فامر له بالف دينار ولم يصل احدا غيره لكثرة الشعرا واخذا بالمثل سمع

الجميع ارضي الجميع قال وانتهت رقاع القصايد وغيرها الى ان حالت بينه وبين من كان امامه لكثرتها انتهى رجع الى اخبار حفصة وانشد لها ابو الخطاب في المطرب قولها •

ثنائي على تلك الثنايا لانني • اقول على علم وانطق عن خبر
وانصفها لا اكذب الله انني • رشفت بها ريقا ارق من الخمر

وتولع بها السيد ابو سعيد بن عبد المومن ملك غرناطة وتغير بسببها على ابي حفص بن سعيد حتى اوى تعين عليه ان قتله وطلب ابو جعفر منها الاجتماع فمطلته قدر شهرين فكتب لها •

يا من اجانب ذكر اسمه • وحسبي علامه
ما ان ارى الوعد يقضي • والعمر اخشى انصرامه
اليوم ارجوك لا ان • تكون لي في القيامه
لو قد بصرت بحالي • والليل ارخى ظلامه
انوح وجدا وشوقا • اذ تستريح الحمامه
صب اطال هواه • على الحبيب غرامه
لمن يتيه عليه • ولا يرد سلامه
ان لم تنيلي ارتجي • فاليأس يثني زمامه

فاجابته •

يا مدعي في الهوى الحسن • والغرام الامامه
اتى قريضك لكن • لم ارض منه نظامه
امدعي الحب يثني • ياس الحبيب زمامه
ضللت كل ضلال • ولم تفدك الزعامه
ما زلت تصحب مذ كنت في السباق السلامه
حتى عثرت واخجلت • بافتضاح السامه
بالله في كل وقت • يبدي السحاب انسجامه
والزهر في كل حين • يشق عنه كمامه
لو كنت تعلم عذري • كففت غرب الملامه

ووجهت هذه الابيات مع موصل ابياته بعد ما لعنته وسبته وقالت له قبح الله المرسل والمرسل فما في جميعكما خير ولا الى برويتكما حاجه وانصرف بغاية من الخزي ولما اطلع على ابي جعفر وهو في قلق لانتظاره قال له ما وراك يا عصام قال ما يكون ورا من وجه خلف الى فاعلة تاركنا اقرا الابيات تعلم فلما قرا الابيات قال للرسول ما اسخف عقلك واجهلك انها وعدتني للعشية

التي في جنتي المعروفة بالكمامة سرينا فبادروا للكمامة فما كان الا قليلا واذا بها قد وصلت واراد عتبها فانشدت

دعي عد الذنوب اذا التقينا • تعالى لا نعد ولا نعدي

وجلسا على احسن حالة واذا برقعة الكندي الشاعر لابي جعفر وفيها

ابا جعفر يا ابن الكرام الاماجد • خلوت بمن تهواه رغما لحاسد
فمالك في خل فنوع مهذب • كتوم عليم باختفاء المراصد
يبيتنا اذا يخلو المحب بحبه • ممتنع لذات بجنس ولابد

فقراها على حفصة فقالت لعنه الله قد سمعنا بالوارش على الطعام والوا على الشراب ولم نسمع اسما لمن يقيم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما فقال لها بالله سميه لنكتب له بذلك فقالت اسميه الحائل لانه يحول بيني وبينك ان وقعت عيني عليه فكتبت له ظهر رقعته

يا من اذا ما اتاني • حملته نصب عيني
تراك ترضى جلوسا • بين الحبيب وبيني
ان كان ذاك فاذا • تبغي سوى قرب حيني
والان قد حصلت لي • بعد المطال بديني
فانا تبيت فدفعا • منها بكلتا اليدين
او ليس تبغي وحاشا • ان ترى طير بيني
وفي مبيتك بالحبس • كل قبح وشين
فليس حظك الا • الخلو بالقمرين

وكتب له تحت ذلك ما كان منهما من الكلام وذيل ذلك بقوله

سمال من لهوا مطايل • اذ كنت بعد العتب واصل
مع ان لونك مزعج • لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع اليه الرسول وجده قد وقع بمطمورة نجاسة وصار هتكة فلما قرا الابيات قال للرسول اعلمهما بحالي فرجع الرسول واخبرهما بذلك فكاد ان يغشى عليهما من الضحك وكتب اليه ارتجالا كل واحد بيتا فابتدا ابو جعفر

فقال

قل للذي خلصنا • منه الوقوع في الخرا
ارجع كما شاء الخرا • يا ابن الخوالي ورا
وان تعد يوما الى • وصالنا سوف ترى
يا اسقط الناس ربا • انذلهم بلا امرا
هذا مدى الدهر تلا • في لوانيت في الكرى

يالحية تسفف في الخرء وتنشا العنبرا
لا قرب الله اجتماعا • بك حتى تقبرا

ومن شعرها

سلام يفتح في زهره الكمام • وينطق ورق الغصون
على نازح قد ثوى في الحشا • وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا البعد ينسيكم • فذلك والله ما لا يكون

وقولها من ابيات

ولو لم يكن نجما لما كان ناظري • وقد غبت عنه مظلما بعد نوره
سلام على تلك المحاسن من شج • تناءت بنعماه وطيب سروره

وقولها

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن • اظل باحبابي يذكرني وهنا
لعمري لقد اهدى لقلبي خفقة • وامطرني منهل عارضه الجفنا

ونسب بعض اليها البيتين المشهورين •

اغار عليك من عيني رقيبي • ومنك ومن زمانك والزمان
ولو اني خباتك في عيوني • الى يوم القيامة ما كفاني

والله اعلم وكتبت الى ابي جعفر •

رأست فما زال العداة بظلمهم • وعلمهم النامي يقولون لم راس
وهل منكر ان ساد اهل زمانه • جموح الى العليا حرون عن الدنس

وقال ابن دحية حفصة من اشراف غرناطة رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر انتهى ومن قولها في السيد ابي سعيد ملك غرناطة تهنيه بيوم عيد وكتبت بذلك اليه •

يا ذا العلى وابن الخليفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى • فيه بما تهوى القضا
واتاك من تهواه في • قيد الانابة والرضا
ليعيد من لذاته • ما قد تصرم وانقضى

وذكر الملاحي في تاريخه انه سالتها امراة من اعيان اهل غرناطة ان تكتب لها شيا بخطها فكتبت اليها •

يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم • غضي جفونك عما خطه قلمي
تصفحيه بلحظ الود منعمة • لا تحفلي برديء الخط والكلم

واتفق ان بات ابو جعفر بن سعيد معها في بستان بحوز مومل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال ابو جعفر

وكان يهواها كما سبق •

دعي ٭ رعى الله ليلا لم يرح بمذمم • عشية وارانا بجوز مؤتل

وقد خفقت من نحو نجد اريجة • اذا نفحت هبت بريا القرنفل

وغرد قمري على الدوح وانثنى • قضيب من الريحان من فوق جدول

يرى الروض مسرورا بما قد بدا له • عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتبت هي اليها بعد الافتراق لتجيبه على عادتها في مثل ذلك فكتبت اليه بقولها

رحمها الله

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا • ولكنه ابدى لنا الغل والحسد

ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا • ولا صدح القمري الا لما وجد

فلا تحسن الظن الذي انت اهله • فما هو في كل المواطن بالرشد

فما خلت هذا الافق ابدى نجومه • لامر سوى كيما تكون لنا رصد

وقال ابن سعيد في الطالع السعيد كتبت حفصة الركونية الى بعض اصحابها

ازورك ام تزور فان قلبي • الى ما تشتهي ابدا يميل

فثغري مورد عذب زلال • وفرع ذوابتي ظل ظليل

وقد املت ان تظما وتضحى • اذا وافى اليك بي المقيل

فعجل بالجواب فما جميل • اباؤك عن بثينة يا جميل

قال التجاني تشبه ابيات حفصة هذه ابياتا انشدها ابن ابي الحصين في تاريخه لسلمى بنت القراطيسي من اهل بغداد وكانت مشهورة بالجمال وهي

عيون مها الصريم فداء عيني • واجياد الظباء فدا جيدي

ازين بالعقود وان نحري • لازين للعقود من العقودي

ولا اشكو من الاوصاب ثقلا • وتشكو قامتي ثقل النهود

وبلغت هذه الابيات المقتفي امير المومنين فقال اسئلوا هل تصدق صفتها قولها فقالوا ما يكون اجمل منها فقال اسئلوا عن عفافها فقالوا لا هي اعف الناس فارسل اليها مالا جزيلا وقال تستعين به على صيانة جمالها ورونق بهجتها انتهى رجع

الى حفصة وقال ابو جعفر بن سعيد اتم ما رايت ولا سمعت بمثل حفصة ومن بعض ما احفظه دليلا على تصديق عزمي وبر قسمي اني كنت يوما في منزلي مع من يجب ان يخلى معه من الاجواد الكرام على راحة سمحت بها غفلات الايام فلم نشعر الا بالباب يضرب فخرجت جارية تنظر من الضارب فوجدت امراة فقالت لها ما تريدين فقالت ادفعي لسيدك هذه الرقعة فجات برقعة فيها •

زائر قد اتى بجيد الغزال • مطلع تحت جنحه للهلال

بلحاظ من سحر بابل صيغت • ورضاب يفوق بنت الدوالي

يفضح

يفضح الورد ما حوى منه خد • وكذا الثغر فاضح للالي

ما ترى في دخوله بعد اذن • او تراه لعارض في انفصال

قال فعلمت انها حفصة وقمت مبادرا للباب وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وادابه والغرام به وتفضله بالزيارة دون طلب في وقت الرغبة في الانس به انتهى قلت واذ قد جرى ذكر ابي جعفر بن سعيد سابق الحلبة فلنلم ببعض احواله فنقول هو ابو جعفر احمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي قال قريبه ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد في المغرب سمعت ابي يقول لا اعلم في بني سعيد اشعر منه بل لا اعلم في بلده وعشق حفصة شاعرة الاندلس وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام ولما استبد والده بامر القلعة حين ثار اهل الاندلس بسبب صولة بني عبد المومن على الملثمين اتخذه وزيرا واستنابه في اموره فلم يصبر على ذلك واستعفى فلم يعفه وقال اني في مثل هذا الوقت الشديد تركن الى الراحة فكتب اليه

مولاي في اي وقت • انال في العيش راحه

ان لم انلها وعمري • ما ان انار صباحه

وللملاح عيون • تميل نحو الملاحه

وكاس راحي ما ان • تمل مني راحه

والخطب عني اعمى • لم يقترب لي ساحه

وانت دوني سور • من العلي والرجاحه

فاعفني واقلني • مما رايت صلاحه

ما في الوزارة حظ • لمن يريد ارتياحه

كل وقال وقيل • ممن يطيل نباحه

انسي الي مستغيثا • فاترك فديت سراحه

فلما قرا الابيات قال لا ينفع الله بما لا يكون مركبا في الطبع مايلة له النفس ثم وقع على ظهر رقعته قد تركنا سراح انسك • والحقنا يومك بامسك • ولما رجع ثوار الاندلس الى المومن وبايعه عبد الملك بن سعيد نغمره احسانا وبرا وولى السيد ابو سعيد بن عبد المومن غرناطة طلب كاتبا من اهلها فوصف له فضل ابي جعفر وحسبه وادبه فاستكتبه فطلب ان يعفيه فابى الى ان شرب ابو جعفر يوما مع خواصه وخرج ثاني يوم الى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد ولما اشتد البرد مالوا الى خيمة ناطور وجعلوا يصطلون ويشربون على ما اصطادوا فحمل ابا جعفر بقية السكر على ان قال يصف يومه ويستطرد بما في نفسه

عبدم

ويوم تجلى الافق فيه بعنبر • من الغيم لذنا فيه باللهو والقنص

وقد بقيت فينا من الامس فضلة • من السكر نغريها بمنتهب الفرص

ركبنا له صبحا وليلا وبعضنا • اصيلا وكل ان شذا جلجل رقص
وسهب بزاة قد رحمنا بشهبها • طيورا ابياغ اللهوان شكنا القفص
وعن شفق نعزي الصياح او الدجى • اذا اوثقت ما قد تحرك او قنص
وملنا وقد نلنا من الصيد سولنا • على قنص اللذات والبرد قد قرص
بخيمة ناطور توسط عذبها • جحيم به من كان عذب قد خلص
ادرنا عليه مثله ذهبية • دعته الى الكبرى فلم يجبل الرخص
فقل لحريص ان يراني مقيدا • بخدمته لا يجعل البازي في القفص
وما كنت لا طوع نفسي فهل اري • مطيعا لمن عز شا وتخزي فقد نقص
فكان في اصحابه من حفظ هذين البيتين ووشي بهما للسيد فغفر له اسوا عزل ثم
بلغه بعد ذلك انه قال لحفصة الشاعرة ما تحبين في ذلك الاسود انا اقدر
انا اشتري لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه وكان لونه مائلا للسواد فما رها
في نفسه الى ان فر عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد الى ملك شرق الاندلس محمد
بن مردنيش فوجد له بذلك سببا فقتله صبرا بمالقة وكان عبد الملك ابن
سعيد يذكر ابنه ابا جعفر لعبد المومن ويتشد من شعره رغبة في تشريفه
بالحضور بين يديه وانشاده في مجلسه فامره بحضوره فعند ما دخل عليه
قبل يديه وانشد قصيدة منها قوله •
عليك احالني داعي النجاح • وبحوك حثني هادي الفلاح
وكنت كساهر ليلا طويلا • ترنح حين بشر بالصباح
وذي جهل تغلغل في قفار • شكا ظما فدل على القراح
دعانا نحو وجهك طيب ذكر • ويدعو للرياض شذى الرياح
وله في غلام اسود سا في ارتجالا •
ادار علينا الكاس ظبي مهفهف • غدا نشره واللون للعنبر الشجري
وزاد لنا حسنا بزهر كووسه • وحسن ظلام الليل بالانجم الزهر
وقوله فيه وقد لبس ابيض •
وغصن من الابنوس ارتدي • بعاج كليل علاه فلق
يحاكي لنا الكاس في كفه • صباحا بجنح علاه شفق
وقوله مما كتب به الى اخيه محمد وقد ورد منه كتاب بانعام
واني كتابك يبنبني • عن سابغ الانعام
فقلت در ودر • من زاجر وغمام
وله يذم حماما
يا رب حمام لعنا بهما • ابدي الينا كل حمام

افوله قطر جحيم كما • اصمت سهام من يدي رام
تحرق سحبا للدخان لدى • لاح لغيم العارض الهامي
وقيم تجذبني جذبة • ونارة بكسر ابهامي
ويجمع الاوساخ من كوة • في عضدي فخذا الاعلامي
وازدحم الانذال فيه وقد • ضجوا ضجيجا دون افهام
وجملة الامر دخلنا سا • سام وعدنا كبني حام
وله في ضد ذلك وانصف الاخر لابن بقي
لا انس ما عشت حماما ظفرت به • وكان عندي اخلى من جنى الظفر
نعمت جسمي في ضدية مغتنما • تنعم الغصن بين الشمس والمطر
وقال له السيد ابو سعيد بن عبد المومن صاحب غرناطة ما انت الاحزل الفكر
وافر العقل فقال •
نسبتم لمن هذي بنموه فراسة • وعقلا ولولاكم للازمة الجهل
وما نوامل للثناء وانما • علاكم لتقليد الايادي له اصل
وقال
ولما رايت السعد في صبح وجهه • منيرا دعاني ما رايت الى الشكر
واقبل يبدي لي غرايب نطقه • وما كنت ادري قبله منزع السحر
فاضحيت اصغا الحديث الى الحيا • وكان ثنائي كالرياض على القطر
وله
لا تكثر نعتابي • اذ طال عنك فراقي
فانقض بعاد • يطول والود باقي
وله
ما خذ منا كم لان تشفعوا • فينا بدار الجزا يوم الحساب
ذاك يوم انا وانت سوا • فيه كل يخاف سوء العقاب
انما الشان لذنب في هذه الدنيا بسلطانكم عن الاصحاب
واذا ما خذ لتموه تبكوي • وتخلتم عنهم بسرد الجواب
فاعذروهم اذ يطلبوا سواكم • بضرة وارفعوا مجال العتاب
واذا ارض مجدبت لعطشه • فله العذر في اتباع السحاب
وله وقد تقدم امامه في ليلة مظلمة احد اصحابه فطفي السراج في بيده
فقال لوقته
لي من جبينك هادي • في الليل نحو مرادي
فان يدي سراجا • يدلني لرشاد

اني وكفك سحبٌ • يبدو بهاذا اتقاد

وله في قوادة

قوادة تنخر بالعار • اقود من ليل على سار
ولاجة في كل دار وما • يدري بها من حذقها داري
ظريفة مقبولة الملتقى • خفيفة الوطي على الجار
لحافها لا ينطوي دائمًا • اقلق من راية بيكار
قد ربيت مذ عرفت نفعها • ما بين قتال وشطار
جاهلة حيث ترى سجد • عارفة خابية خمار
بسامة مكشر ترها • ذات فكاهات واخبار
علم الرياضات حوته • وساسا تقويم واسحار
مناعة للسفل من كيسها • موسر في حال اعسار
تكاد من لطف احاديثها • تجمع بين الماء والنار

وما سمعنا في هذا الباب احسن من هذا البيت السائر

تقود من السياسة الف بغل • اذا حرنت بخيط العنكبوت

وشرب ليلة مع اصحاب له وفيهم وسيم فاعرض بجانبه وقطب فتكدر المجلس

فقال ابو جعفر

يا من نأى عنا الى جانب • صد كميل الشمس عند الغروب
لا تزوعنا وجهك المجتلي • فالشمس لا يعهد منها قطوب
ان دام هذا الحال ما بيننا • فاننا عما قريب نتوب
ما نشتكي الدهر ولا خطبه • لولاك ما دارت علينا خطوب

وله

ابا لابي في حمل صحبة جاهل • قطوبا لمحيا سيئ اللحظ والسمع
لمنفعة ترجى لديه خفية • وان كان ذا طبع تجافى الغد طبعي
كما احتمل الانسان شرب مرارة الدواء لما يرجى لديه من النفع

وله وقد احسن ما شا •

تركتكم لا كارها في جنابكم • ولكن ابا ردى لي ببابكم دهري
وطلحت بي الاطماع في كل وجهة • تنقلني من كل سهل الى وعر
وما باختيار فارق الخلد آدم • وما عن مراد لاذ ايوب بالصبر
ولكنها الايام ليست مقيمة • على ما اشتهاه منته امد العمر
وانك ان فكرت فيما ابثه • تيقنت ان الترك لم يك عن غدر
ولكن لحاج في النفوس اذا انقضى • رجعت كما قد عاد طير الى وكر

واني لمشتوق اليكم وان نات • بي الدار عنكم والغد يرا الى المنظر
واني لمثن بالذي نلت منكم • مقيم على ما تعلمون من البر
وان خنتكم يومًا فخانني المنى • وسا لديكم بعد احماده ذكري
على انني اقررت اني مذنبٌ • وذو المجد من يثني المقر عن العذر

وله يصف نارًا

نظرت الى نار تصول على الدجا • اذا ما حسبناها تدانت تبعد
ترفعها ايدي الرياح وتارة • تخفضها مثل المكبر يسجد
والا فلا يملك الصغير قلبه • يقوم به غيظ هناك ويقعد
لها السن تشكو بها ما اصابها • وقد جعلت من شدة القر ترعد

وله على لسان انسان اخلقت بردته •

مولاي هذي بردتي اخلقت • وليس شي دونها املك
وصرت من يأسه من فاقة • ابكي اذا ابصرتها تضحك

وله يستدعي احد ابناء الرؤسا الى يوم اجتماع

تداركنا فانا في سرور • وما لسواك يكمل السرور
اهلة انسابك في تمام • الست تتم بالشمس البدور

وله وقد خطر على منزله من اليه له ميل وقال لولا اخاف التثقيل لدخلت
وانصرف فلما علم ابو جعفر كتب اليه •

مولاي لم تقصد تعذيب من • يهوى وما قصدك مجهول
طلبت تخفيفا ببعدك وفي • تخفيف من تهواه تثقيل
غيرك ان زار جنى ضجرة • وحل منه القال والقيل
وانت ان زرت حياة وما • العيش اذا ما طال مملول

وله وقد جلس الى جانبه رجل تكلم فانبا عن علو قدر فسأله عن بلده فقال
اشبيلية ففكر ثم قال •

يا سيدًا لم اكن من قبل اعرفه • حتى تكلم مثل الروض بالعبق
وزاد في ان غدا في حمص منشاه • لقد تشاكل بين البدر والافق

وله وقد حضر مجلسا مع اخوان له في انبساط ومزاح فدخل عليهم طرفا الغربا
بوجه طلق وبشاشة فاهتز لما سمع بينهم وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم
الى صلة باحسن منزع وابل مقصد فانشد ابو جعفر ارتجالا

يا سيدا قد ضمه مجلس • حل به للمزح اخوان
لم يأت من جانبه خجلة • ولا اتانا عنه كتمان
كانه من جمعنا واحد • لم يبن منا عنه انسان

ولم تكن بذريه لكن بما • في وجهه للظرف عنوان

وقد لقي احد اخوانه وكان قد طالت الغيبة عنه فدار بينهما ما اوجب ان قال

انك لم تلح سواك الاعين • او غبت لم تذكر سواك الالسن

انت الذي ما ان يمل حضوره • ومغيبه السلوان عنه يومن

وله ومن ابياته •

اني لاحمد طيفها والومها • والفرق بينهما لدي كبير

مذ ان بدت لي شيبة في جفوة • والطيف في حين المشيب يزور

واذا نوالي صدها وبينها • واني على ان المزار عسير

وله وقد سافر بعض الاراذل بماله فنكب في سفره وعاد فقيرا باسوا احواله

اعدو لا يغن عنك القيل والقال • فالجود مبتسم والفضل يختال

قالوا فلان رماه الله في سفر • رآه رايا بما حالت به الحال

فاب منه سليبا مثل مولده • عليه ذل وتحجيج واقلال

فقلت لاحفظ الرحمن عنه فلم • يكن لديه على القصاد اقبال

فقل له دام في ذل ومسغبة • ولا اعيدت له في المال امال

قد كان جمعك حسن المال يسترة • فاليوم اصبحت لا عقل ولا مال

وله وقد سافر احد الروسا من اصحابه

ايا غايبا لم يغب ذكره • ولا حال عن وده حايل

لين مال دهري بي عنكم • فقلبي نحوكم مايل

فاني شاهدت منكم على • من البخر قتر بها باقل

لين طال بي البعد عن لحظكم • فاني حيا بي اذا طايل

وله وهو من حسناته •

تشتق جيوبا فرحا عندما • ابتدي في البعد تسق الجيوب القلوب

فقلت هذا موقف ما يشق • الجيب فيه صب طروب

فابتسمت زهرا وقالت كذا • الافق لعود الشمس شق الجيوب

وله وقد اجمع رايه على ان يفد على امير المومنين عبد المومن فاخذ في ذلك مع اصحابه له فجعلوا يثنونه عن ذلك وظهر عليهم الحسد له فقال

مرحوما تختار لا تسمعن • ما قاله زيد ولا عمرو

كلهم يحمد ما دمته • مهما تساعد رايك الدهر

عجبت ممن رام صد العلى • يروم ان يصغو له دهره

فقالوا له انهمتنا في الود فقال لو لم اتهمكم كنت انهم عقلي والعياذ بالله تعالى من ذلك وكيف لا اتهمكم وقد غدوتم تثنوني عن زيارة خليفة لو الذي عنده

مكان

مكان • وله علينا احسان • ولي شافع عنده ومقرب لمجلسه عقلي ولساني ولكنني انا الخطي الذي عدلت عن العمل بقول القايل

ولو لم يبتسر في امره غير نفسه • ولم يرض الا قايم النفس صاحبا

وله في شعاع القمر والشمس على النهر •

الا حبذا نهر اذا ما لحظته • ابى ان يرد اللحظ عن حسنه الانس

ترى القمرين الدهر قد عيناً به • بصفحته بدر وتذهبه شمس

وله في والده وقد البس عليه درعا •

ايا قايد الابطال في كل وجهة • نطير قلوب الاسد فيها من الذعر

لقد قلت لما ان رايتك دارعا • ايا حسن ما لاح الحباب على البحر

وانشدت والابطال حولك هالة • ايا حسن ما دار النجوم على البدر

وقوله وقد بلغه ان حاسدا شكره •

متى سمعت ثناء • عمن غدا لك حاسد

فكان منك انخداع • بر فرايك فاسد

بصدره منك نار • لهيبها غير خامد

وغله لك ما زدت • في السعادة زايد

وانما ذلك منه • كالحب في فخ صايد

ولـــه

ابغض من يلوم فيه • فقال ذا في الجمال فايق

اما ترى ما دميت منه • كانه عذول فصار عاشق

وله في ابنه وقد سجنه عبد المومن

مولاي ان يحبسك خير خليفة • فبذاك فخرك واعتلا الشان

فالجفن يحبس نوره من غبطة • والمرهفات تصان في الاجفان

فابشر فنزع الدر من اصدافه • يعليه للاسلاك والتيجان

ولين غدا من ظل دونك مطلقا • انا لقد املتي عن الاجفان

والعين تحبس دايما اجفانها • ومداية الانسان بالانسان

والطرس يختم ما حواه نفاسة • فيهان ما يبدو من العنوان

فاهنا به لكن مليا مكثه • سجنا لغير مذلة وهوان

فلتعلون رغم الاعادي بعده • بذري الخليفة في ذري كيوان

مولاي عيرك يعزي عالم يزل تجري على الكرام • ويذكرنا نيسا له في الوحشة بما يطرا من الكسوف والخسوف على الشمس المنيرة والبدر التمام وانت تعلم الناس التعزي • وخوض الموت في الحرب السجال • وقد كان مولاي انشد في

لعلي بن الجهم قايلا انا حقا لم ييل نفسه عما نا له من السجن مثله

قالوا سجنت فقلت ليس بضايري • سجني واي مهند لا يغمد

الابيات ماذا تفيدك من العلم وصدرك ينبوعه • وخاطرك لا يزال غروبه وطلوعه • وانما هي عادة تبعناها ادبا • وقضينا بها ما في النفس من الاعلام بالتوجع والتفجع اربا • ولعل الله يتبع هذه المنقبة بتهنيه ويعقب بالنعمة هذه المرزية • قال فامر الملك بتسريحه اثر ذلك فلما اجتمع وجهه بوجهه جعل يحمد الله جهرا ويغرد بهذه الابيات وكان شاعرا بكره

طلعت علينا كالغزالة بالضحي • وعزك طاح ووجهك مشرق

فعفر الدنيا لدهر اجمع اننه • الي اليوم من جاه ما منه اليق

فلح في سما العز بالسعد طالعا • وقدرك سام افقه ليس يلحق

فقد سرحت لما عدوت مسرحا • قلوب وافكار وسمع ومنطق

فامتز ابوه من شدة الطرب وقال له والله انك لتملا الدلو الي عقد الكرب ولم يعتذر وقد دعي الي مجلس ابن سيدي ما عدك سولك لما وصل الي احيك المعتد بك رسولك • قابله بما يجب من القبول • وابدي له من التنصل ما منع من الوصول

ومن ذا الذي يدعي لعذر فلا يري • علي الراس اجلالا اليها يبادر

ولكن الاضطرار • لا يكون معه اختيار • واني لاشوق الناس الي مشاهدة الي تلك المكارم • واحبهم في محاضرة تلك الاداب المترادفة ترادف الغمايم ولكن شغلني عارض قاطع • وترعمي اني لدعوتك عاص وله طايع • واني بعد ذلك لحامل علي تلك السجية الكريمة في الغفران • مستجير بالخلاص الذي اعهده من خرق فلان ومكر فلان • فاني متي غبت لا اعدم مترصدا فرحته يقع علما ذبابه • ومستجمعا اذا ابصر فرصته سل عليها ذبابه

ولكنني ادري باني نازح • وذان سوا عنده من يحفظ العهد ا

واني لا اقول وقد غبت عن تلك الحضرة العلية وجانبت ذلك الجناب الشامي والمثابة السنية •

لين غبت عن نوره لو زنا ظري • فحسبي لديه انا غيب عتابا

وسوف اوافيه معترا بزلتي • وفي حلمه ان لا يطيل حسابا

وله في قصر النهار ولو لم يكن له غيره لكفاه •

لله يوم مسرة اضوا واقصر من ذباله

لما نصبنا للمني فيه باوتار حباله

طار النهار به كرنا ع واحفلتنا الغزاله

ومن ذا

ومن ذا المعني لم يشق البنه ولم يقدر احد ان ينزعه من يديه ولما وصل صحبته والده الي اشبيلية افتتن بواديها واعتكف مع علي الخلاعة فيها مصعدا ومنحدرا بين تيار نيله ومنازهه فرلتلة بطريا نه فمال نحو من فيه طرب سمعه فاستو هنالك ونحو في الزورق متكي واصحابه واصحاب ابيه مظهرون التحفظ منه في المرتبة فاخرج راسه احد الانذال المعتادين بالنادر من شرجب والشر الدرابزين من خشب فيه طاقات وطريانه مقابلة اشبيلية وبها المنازه والابنية الحسنة فضرط لهم ذلك النذل بغاية ما قدر فرفع راسه وقد اخذ منه السكر ولم يتعد مثل ذلك في بلده وقال باسفلة اتتقدم علي هذا قبل معرفتي فثني عليه واحدة اخري ثم رفع ثوبه عن ذكره وهو منعظ وقال يا وزير احمل هذا عندك وديعة حتي اعرف من تكون ثم رفع ما علي استه من ثيابه وقال واعمل من هذا غلافا لحيتك فاذا عرفناك ذهبناه لك فغلبته الضحك علي الحرج وجعل اصحابه يقولون له ما سمعنا ان من دخل هذا الوادي يقول علي هذا واشباله فقال عن ذلك المتنزه قليلا واطرق ساعة وقال •

نهر حمص لا عدمناك فما مثلك نهر •

فيك يلتذ ارتياح ابدا الدهر وسكر •

كل عمر قد خلا منك فما ذلك عمر •

حفك الله بمغني فيه للالباب سر •

يأمن الانسان فيه وهو يصغي ويسر •

ثم سال بعد ذلك عن رب المتنزه فسمي له واعلم ان سيد الشاعر المشهور باللص كان حاضرا وانه اسلي علي السفلة ما قال وصنع فكتب له ابو جعفر

يا سمي وانا را ذا اشتراك • عز ما بين نضيه فضل ود

اكذا يزدري الخليل بافق • انت فيه ولم يكن منك رد

لا ادري من سلطت وغدا ولكن • ليس يخفي عليك من هو وغد

فلما وقف علي هذه الابيات كتب له مولاي وسيدي واجل ذخري للزمان وعضدي الذي افخر بمشاركة اسمه وتتيه هذه الصناعة بذكره ووسمه

وخير الشعر اشرفه رجالا • وشر الشعر ما قال العبيد

سلام كتسنيم علي ذلك المقام الكريم ورحمة الله وبركاته وان كان مولاي لم تحيني بالسلام • ولا راني اهلا للمقاومة الكرام • لكني حظ قدري عنده ما نسب لي من الذنب المختلق ولا والله ما نطقت بلسان • ولا كنت ممن رمق • بل الذي دفر لسيدي في هذه الوشاية كان المعين عليها • والملم اليها • فبادر اليكم قبل ان ابتدأ فانتم باسقط خطيتي المذالة الاولي والوشاية الاخري • ولولا ان المجالس بالامانات

وان الخلاعة بساط يطوي علي ما كان فيه لكنت اشوق منه لكني ياتي ذلك خلقي وما تادبت به • ومع ذلك فاني اقول

فان كنت ذا ذنب فقد جيت تايبا • ومثلك غفار ومثلك قابل

ولولا ما اخشي من التثقيل وما اتوقع من الخجل اذا التقي الوجهان لاتيت حتي ابلغت في الاعتذار بالمشافهة ما لا يبلغ القرطاس لكنني متكل علي حلم سيدي واغضايه متوسل اليه في الغفران بعلايه • وكتبت تحت ذلك شعرا طويلا منه

ولا عذر ان تعفو وانتا بن من • تعوّد كم عفو عن كبار الجرايم
لكم العاريوث رفيعة • تشيد من كسب الثنا بدعايم
اذا نحن اذنبنا رجونا ثوابكم • ولم نقتنع بالعفو دون المكارم
وانك فرع من اصول كريمة • ولا تلد الا زاهرا غير الكمايم
واني مظلوم بزور سمعته • وقد جيتنا رجوا العفو في زي ظالم

فاجابه ابو جعفر بما نصه سيدي الذي اكبر قدره • واجمل ذكره • واجزل شكره وصل جوابك الذي لو كان لك من الذنب ما تحمله ابن ملجم لاضربت لك عنه صفحا ونسيت بما تاخر ما تقدم • ومعاذ الله ان انسب لفضلك عيبا • فادم لك حضورا او غيبا وانما قصدت بالمعاتبة ما تحتها من المطارحة والمداعبة • علي ان سيدي لو تيقنت انه ظالم لانشدت • •

منذ غدا طرفك لي ظالما • اليت لا ادعو علي ظالم

لكنني اتيقن خلاف ذلك • واعلم حتي كاني حاضر ما كان هنالك • وقد اطلت عليك وبعد هذا فلنتمم علي ان تقبل لي واصل اليك فهذا يوم كما قال البستي

يوم له فضل علي الايام • مزج السحاب ضياه بظلام
فالبرق يخفق مثل قلب هايم • والغيم يبكي مثل جفن هام
فاختر لنفسك ارتباهن المني • وبهن تقنعو لذة الايام
وجه الحبيب ومنظرا متشرفا • ومغنيا غردا وكاس مدام

وقد حضرت عند مجلسك الثلاثة فكن رابعها • ونادت بك همم الاماني فكن بفضلك سامعها ومركز افلاك هذه المسرة حين كتبت هذه الرقعة الي مجلسك مستطل علي جزيرة شنتبوس لا ازال اترنم فيه بقول ابن وكيع •

قم فاسقني والخليج مضطرب • والريح تثني ذوايب القضب
كانها والرياح تعطفها • صفوف في سندسية العذب
والجو في حلة ممسكة • قد طرزتها البروق بالذهب

فان كان سيدي في مثل هذا المكان جرينا اليه جري الحلبة لخصل الرهان وان كان في كسر بيته فليبادر الي محل تقصر عنه همة قيصر وكسري واذا ابطا فانا الرقاع

بالاستدعا

بالاستدعا لا ترال عليه تترى وان كان لا يجدي هذا الكلام • فانتقم من العقوبة المولمة الا بالملام وعلي المودة المرعية الداعية اكلها يكون من السلام • فعندما قرا الرقعة ركبنا اليه زورقا وصنع هذه الابيات في طريقه فعند وصولنا انشدنا اياها

ركبنا اليك النهر يا بحر فاتنا • بما يتلقي جوده كل قادم
بعيض ولكن من مدام ومزة • ولكن الي بيتك الندي والمكارم
وكنا نسمي قبل كونك حاتما • ومذ لحت فينا لم نعد ذكر حاتم
بال سعيد نحن السعد والعلي • فايديهم تلغي ايادي الغمايم

فامتلا ابو جعفر سرورا وخلع عليه ما كان عنده هنالك • ووعد بعد ذلك الوقت عن الارتياح • وحث الكوس الراح • فاقبلوا علي شانهم وكان ابن سعيد في ذلك الحين مستتر بشرب الراح وكان عند ابي جعفر خديم كثير النادر والالتفات نحا فاهل للتستر من مثله فقال ابن سعيد هات دواة وقرطاسا فاعطني ذلك فكتب

يا سيدي قد علمت اني • بهذه الحال لا اظاهر
اخشي اناسا لهم عيون • نواظر مني المعاير
احذرهم طاقتي واني • ونعت بالله منه غافر
ولا تعش حالتي بحال • منك اعتذار فالفرق ظاهر
فانت ان كنت ذا جهار • غير مبال والجاه ساتر
لا تخش من قول ذي اعتراض • ولا حسود عليك قادر
واني قد رايت ممن • يكثر القول وهو ساخر
ما قد راي العفيف منه • ضحك وظن به يجاهر
اخشي اذا قيل كيف كنتم • قال بحال تسر ناظر
والدهر ما بيننا صريعا • بكل كاس عليه داير
مطرحا للصلاة يضحي • لصوته الدف والمزامر
فاعتدي سيدي مشارا • الي مهما مررت خاطر
وان اتينا الملوك ابغي • نوالهم قيل اي شاعر
يذكر في شعره غلاقا • ومنهم نور الحال ذاكر
بالامس قد كان ذا انتهاك • فما له بعد ذاك عاذر
ان كان هذا فان حظي • والي الربح فات خاسر

فقال له ابو جعفر يا ابا العباس اشرب هنيا غير معتذر مما قدرت فلو كان هذا المضحك علي الجبهة التي ذكرت كان الذنب منسوبا الي في كوني احضر مجلسي من ينتك ستر المستورين ومهما تم هنا بهذه الخفة والطيش والتسرع للكلام فانه اذا فارق انفل من جبل واصمت من سمكة متزي بزي خطيب في نهاية من السكون والوقار وتحت

الثياب الغار لو كان بادياً فكن في امن ما شربت معي فاني والله لا اسمع احداً من اصحابنا
تكلم في شانك باسرالاعاقبته اشد العقاب والذنب في ذلك ناجم الي جنسك ابن
سيد وحصل بحيث الاقداح • ويمرح اشد المراح • علي ما كان يظهره من الانقباض تقية
لما يخشاه من الاعتراض • الي ان قاربت الشمس الغروب • ومد لها في النهر معصم مخضوب
فقال ابو جعفر

انظر الي الشمس قد القت علي الارض

فقال ابن سيد

من المراة ولكن من بعدها الافق يصدا

فقال ابو جعفر

مد تسطرا علي النهر عندما لاح برد

فقال ابن سيد

اهدت الي الطرف منه ما للاكارم بهنا

فقال ابو جعفر

درع اللجين عليه • سيف من التبر مدا

فقال ابن سيد

فاشرب عليه هنيئاً • وزد سروراً وسعدا

ثم لما اظلم الليل نظروا الي منارات سنتبوس قد عكست مصابيحها في النهر
والي النجوم قد طلعت فيه فقال ابن سيد

اخلع علي النهر ثوبي لكري فذلك واجب

فقال ابو جعفر

وانظر الي السرج فيه كالزهر ذات الذوايب

وحين صفق للافق نقطته الكواكب

فقبل ابن سيد راسه وقال ما بعد مقامنا الا لقائل من رجعوا ايش يرون

فقال ابو جعفر

سقتني والافق برد بنجوم الليل معلم

فقال ابن سيد

وبساط النهر منها • وتوفيني مدرتم

فقال ابو جعفر

ورواق الليل مرخي • والندي بالروض فدم

فقال ابن سيد

والندي في الزهر منثور علي عقد منتظم

فقال

فقال ابو جعفر •

والصبا جرت علي هيئات الطلي كما ابن مريم

فقال ابن سيد

كان مبهوتا فلما نفخت فيه تكلم

فقال ابو جعفر

وكان الكاس فالقهوة دينار ودرهم

فقال ابن سيد

وبدا الدف يناجي العود والمزمار هيم

فقال ابو جعفر

واذاع الاسر منا كل ما قد كان مكتم

فقال ابن سيد

اي عيش يهتك المستور لو كان ابن ادهم

فقال ابو جعفر

هكذا العيش ودعني من زمان قد تقدم

فقال ابن سيد

حين لا خمر سوي ما بكوس البيض من دم

فقال ابو جعفر والله ما تعديت ما جال الساعة في خاطري فاني ذكرت ايام
الفتنة وما كابدنا فيها من المحن وانا لم نزل في مصادمة ومقارعة لمرارات ما نحن
الآن فيه بهذه الدولة السعيدة التي امنت وسكنت فشكرت الله ودعوت بدوامها
لما طلع الفجر • فقال ابو جعفر •

نشر الطل عقوده • ونضي الليل بروده

فقال ابن سيد •

وبدا الصبح بوجه • مطلع فينا سعوده

فقال ابو جعفر •

وغدا ينشر لما • فتر الليل بنوده

فقال ابن سيد •

فلم اشرب وقيل • من غدا ينطق عوده

فقال ابو جعفر •

ثم صافحه علي رغم النوي وافرك نهوده

فقال ابن سيد

واجعل الفكر علي ما نلته منه جحوده

فقال ابو جعفر يا ابا العباس انك اغرت على التهامي في هذا البيت في قوله
وشكرا ايادي الغانيات بجحودها فقال فلم لقيت باللص لولا هذا وامثاله ما كان
ذلك وا اللص المذكور اسمه احمد بن سيد يكنى ابا العباس وهو من مشهوري شعرا
الاندلس ولما انشد امير المومنين عبد المومن بن علي بجبل الفتح قوله

غض عن الشمس واستقصر مدى زحل • وانظر الى الجبل الراسي على جبل

قال له انت شاعر هذه الجزيرة لولا انك بغلتنا بغض زحل والجبل ومن بديع نظم
اللص قوله سلبت قلبي بلحظ • ابا الحسين خلوب
فلم اسمى بلص • وانت لص القلوب

ولما اجتمع ابو جعفر بن سعيد المترجم به باللص ابي العباس المذكور في جبل الفتح
عندما وفد فضلاء الاندلس على عبد المومن واستنشده فجعل ينشد ثم استجفاه
لخروجه عن حلاوة منزع ابي جعفر الى ان انشده • قوله

وما افنى السوال لكم نوالا • ولكن جودكم افنى السوالا

فقال له ابو جعفر لا جلك انه في حل من نهبك يكون في شعرك مثل هذا وتنشد في
ما كان يحليني على انا سات معك الادب داهه لو لم يكن هذا البيت لكنت به اشعر
اهل الاندلس وكتب الى ابي جعفر ابو الحكم بن هرورس في يوم بارد بغرناطة

يا سميي في علم مجدك ما يحتاج فيه هذا النهار المطير
ندفا لثلج فيه قطنا علينا • فغزونا بعدكم مستجير
والذي يبتغيه في الحظ منه • ورضابك الذي هو نظير
يوم قرنود من حل فيه • لو يبدى لقلتيه سعير

فوجه بما طلب وجاوبه بما كتب

ايها السيد الاجل الوزير • الذي قدره معلى خطير
قد بعثنا بما اشرت اليه • دمت للانس والسرور تشير
كان لغزا فككته دون فكر • ان فهمي بما تريد خبير

ومن نظم ابي الحكم

اذا ضاقت عليك فول عنها • وسر في الارض واختبر العبادا
ولا تمسك بحالك في بلاد • غدوت باهلها خبرا معادا

ولما مدح ابو القاسم احيل بن ادريس الرندي عبد المومن في جبل الفتح بقصيدة

اولها •

ما للعدا الا الحر عبد المومن • اثني عليه كل عبد مومن

قال ابو جعفر بن سعيد دعاه التجنيس الى ضعفه والخروج عن المقصود
والاولى ان لو قال شاد الخلافة وهو اول مثنى • وهذه القصيدة

للتغزم

ومن ح

اما ابن سعد

اما ابن سعد فهو اول مارق • يا ليته بابنه سعد يكتفي
ما قدر مرسية وحكمك نافذ • ان شئته من عدن لارض المعدن

فلما اكملها قال له عبد المومن اجزت فقال ارتجالا

من لي امير المومنين بمسو فيي • هذا وقولك لي اجزت لم تي
فلقد مدحك خايفا الا ابتغي • لشي بما يعني جميع الالسن

ولابن ادريس المذكور

ايها البدر هل علمت باني • لم ابت راعيا محياك ودا
انا لو بات ما حكيت بجنبي • لم يكن عنه ناظري يتعدا

وله

شتان ما بيني وبينك في الهوى • انا ابتغيك وانت عني تصدف
واذا عتبتك وارعوت يبين لي • في الحين منك بان ذاك تكلف
يا ليت شعري كيف يقضي وصلنا • والعمر يفنى والمواعد تخلف

وقيل له لما نجح عبد المومن اكتب له واعتذر وبرهن عن نفسك فقال لما يكون امير
المومنين يجري الا وقد صح عنده ولا انسبه في امري لقلة التثبت والجور وانما ارغب
في عفوه ورحمته فكان هذا الكلام الاذ عليه قلب عبد المومن لما بلغه وكان قد نقل
عنه حساده انه قال كيف يصح له الخلافة وليس بقرشي ولا باس ان نزيد من
اخبار اللص الذي جرى ذكرنا له مع ابي جعفر بن سعيد فنقول هو النحوي المبرز في
الشعر ابو العباس احمد بن سيد الاشبيلي ذكر ابن دحية في المطرب والاجزانه شيخه
وختم كتاب سيبويه مرتين على النحوي ابي القاسم بن الرماك واجتمع به ابو جعفر
ابن سعيد بجبل الفتح كما سبق ولقب اللص لاغارته على اشعار الناس وله

شاموا الردى فاستموا التراب لهم • ولم يبالوا بما فيها من السمم

ثم جعل يقول قطع الله لسانا فان كان اليوم على وجه الارض من يعرف يسمعه فضلا
عن ان يقوله وله القصيدة الشهيرة •

نداك الغيث ان يحل توالى • وانت الليث ان شاؤوا القتالا
سلبت الليث شدة ساعديه • نعم وسلبت عينيه الغزالا
وما افنى السوال لكم نوالا • ولكن جودكم افنى السوالا

وقد تقدم هذا البيت في حكايته مع ابن سعيد وقال في حلقة خياط وهو من محاسنه

كانها بيضة وخزر الرماح بها • باد وقوسها بالسيف قد قطعا

وقال

فالليل ان واصلت كالليل ان هجرت • اشكو من الطول ما اشكو من القصر

رجع الى اخبار ابي جعفر بن سعيد قال في الازهار المنثورة في الاخبار الماثورة

ما نصه لما قبض على الوزير ابي جعفر بن عبد الملك بن سعيد العنسي ونكب بمالقة دخل
اليه ابن عمه ووصل الى الاجتماع به ريثما اسوذن السيد ابو سعيد بن الخليفة عبد
المومن في امره قال فدمعت عيناي حين رايته مكبولا فقال لي اعلي تبكي بعد ما
بلغت من الدنيا اطايب لذاتها فاكلت صدور الدجاج وشربت في الزجاج ولبست
الديباج وتمتعت بالسراري والازواج ۝ واستعملت من الشمع السراج الوهاج
وركبت كل هملاج ۝ وها انا في يد الحجاج ۝ منتظر محنة الحلاج ۝ قادم على غافر لا يحتاج
الى اعتذار ولا احتجاج ۝ قال فقلت افلا يوسف على من ينطق بمثل هذا الكلام ثم يفقد
وتمتعت فكان اخر العهد به انتهى رجع الى اخبار النسا ومن اشهرهن ملا الاندلس
ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الملك الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله
وكانت واحدة زمانها ۝ المشار اليها في اوانها ۝ حسنة المحاضرة ۝ مشكورة المذاكرة
كتبت بالذهب على طرازها الايمن ۝

انا والله اصلح للمعالي ۝ وامشي مشيتي واتيه تيها

وكتبت على الطراز الايسر ۝

وامكن عاشقي من صحن خدي ۝ واعطي قبلتي من يشتهيها

عاشقي ح

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف وفيها خلع ابن زيدون عذاره وقال
فيها القصايد الطنانة والمقطعات وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى فظهر
لولاده ان ابن زيدون مال اليها فكتبت اليه

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا ۝ لم تهو جاريتي ولم تتخير

وتركت غصنا مثمرا بجماله ۝ وجنحت للغصن الذي لم يثمر

ولقد علمت بانني بدر السما ۝ لكن ولعت لشقوتي بالمشتري

ولقبت ابن زيدون بالمسدس وفيه تقول

ولقبت المسدس وهو نعت ۝ تفارقك الحياة ولا يفارق

فلوطي ومابون وزان ۝ وديوث وقرنان وسارق

وقالت فيه

ان ابن زيدون على فضله ۝ يغتابني ظلما ولا ذنب لي

يلحظني شزرا اذا جيته ۝ كانني جيت لاخصي علي

وقالت فيه ايضا

ان ابن زيدون على فضله ۝ يعشق قضبان السراويل

لو ابصر الاير على نخلة ۝ صار من الطير الابابيل

وقالت ولادة تهجو الاصبحي ۝

يا اصبحي اهنا فكم نعمة ۝ جاتك من ذي العرش رب المنن

قد نلت

قد نلت باست ابنك ما لم ينل ۝ بفرج بوران ابو ها الحسن

وكتب اليه لما اولع بها بعد طول تمنع ۝

ترقب اذا جن الظلام زيارتي ۝ فاني رايت الليل اكتم للسر

وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح ۝ وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ووفيت بما وعدت ولما ارادت الانصراف ودعته بهذه الابيات

ودع الصبر محب ودعك ۝ ذايع من سره ما استودعك

يقرع السن على ان لم يكن ۝ زاد في تلك الخطى اذ شيعك

يا اخا البدر سناء وسنا ۝ حفظ الله زمانا اطلعك

ان يطل بعدك ليلي فلكم ۝ بت اشكو قصر الليل معك

وكتب اليه

الا هل لنا من بعد هذا التفرق ۝ سبيل فيشكو كل صب بما لقي

وقد كنت اوقات التزاور في الشتا ۝ ابيت على جمر الشوق محرق

فكيف وقد امسيت في حال قطعة ۝ لقد عجل المقدور ما كنت اتقي

تمر الليالي لا ارى البين ينقضي ۝ ولا الصبر من رق التشوق معتقي

سقى الله ارضا قد غدت لك منزلا ۝ بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

فاجابها بقوله ۝

لحا الله يوما لست فيه بملتق ۝ محياك من اجل النوى والتفرق

وكيف يطيب العيش دون مسرة ۝ واي سرور للكئيب المورق

وكتب في اثنا كلام بعد الشعر وكنت ربما حسنتني على ان انبهك على ما لا اجز فيه
عليك نقدا واني انتقدت عليك قولك سقى الله ارضا قد غدت لك منزلا
فان ذا الرمة قد انتقد عليه قوله مع تقديم الدعا بالسلامة

الا يا اسلمي يا دار مي على البلا ۝ ولا زال منهلا بجرعايك القطر

اذ هذا اشبه بالدعا على المحبوب من الدعا له واما المستحسن فقول الاخر

فسقى ديارك غير مفسدها ۝ صوب الربيع وديمة تهمي

انتهى وبسببها خاطبها ابن عبدوس بالرسالة المشهورة التي شرحها غير واحد
من ادبا المشارقة كالجمال ابن نباتة والصفدي وغيرهما وفيها من التلميحات
والتندرات ما لا مزيد عليه وقد ذكر ابن بشكوال في الصلة فقال كانت اديبة
شاعرة جزلة القول حسنة الشعر وكانت تناضل الشعرا ۝ وتساجل الادبا ۝ وتفوق
البرعا وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج قط ماتت لليلتين خلتا من صفر سنة
ثمانين وقيل اربع وثمانين واربعماية رحمها الله وكان ابوها المستكفي بايعه
اهل قرطبة لما خلعوا المستظهر كما المعنا به في غير هذا الموضع وكان جاهلا ساقطا وخرج

هي نهاية في الأدب والظرف حضور شاهد • وحرارة أوابد • وحسن منظر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر وفناؤها ملعبًا لجياد النظم والنثر يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها • ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها • وكثرة منتابها • تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب وطهارة أثواب • على أنها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها • ولما مرت • بالوزير أبي عامر بن عبدوس • وأمام داره بركة تتولد عن كثرة الأمطار • وربما استمدت بشيء مما هنالك من الأقذار • وقد نشر أبو عامر كميه • ونظر في عطفيه • وحشر أعوانه إليه فقالت له

أنت الخصيب وهذه • مصر فتدفقا فكلاكما بحر

فتركته لا يحير حرفًا • ولا يرد طرفًا • وقال في المغرب بعد ذكره أنها بالمغرب كعلية بالمشرق إلا أن هذه تزيد بمزية الحسن الفائق • وأما الأدب والشعر والنادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها وكان لها صنعة في الغنا وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النوادر وإنشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك وفيها يقول ابن زيدون •

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا • شوقًا إليكم ولا جفت مآقينا

وقال أيضًا يخاطب ابن عبدوس لاشتراكه معه في هواها

أثرت هزبر الشرى إذ ربض • ونبهته إذ هدا فاغتمض
وما زلت تبسط مسترسلًا • إليه يد البغي لما انقبض
حذار حذار فإن الكريم • إذا سيم خسفًا أبى فامتعض
وإن سكون الشجاع النهوس • ليس بمانعه أن يعض
عمرت بشعري ولم تتئد • تعارض جوهره بالعرض
أضاقت أساليب هذا القريض • أم قد عفا رسمه فانقرض
لعمري لقد فوقت سهم النضال • وأرسلته لو أصبت الغرض

ومنها

وغرك من عهد ولادة • سراب تراءى وبرق ومض
هي الماء يعز على قابض • ويمنع زبدته من مخض

ومن أخبار ولادة مع ابن زيدون ما قاله الفتح في القلائد أيضًا ابن زيدون كما كان يكلف بولادة ويهيم ويستضيء بنور محياها في الليل البهيم • وكانت من الأدب والظرف • وتتميم السمع والطرف • بحيث تختلس القلوب والألباب وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب • فلما حل بذلك الغرب • وانحل عقد صبره بيد الكرب • فر إلى الزهراء ليتوارى في نواحيها • ونشر سوسنه ووردة وأترع

جداولها • وأنطق بلابلها • فارتاح ارتياح جميل بوادي القرى • وراح بين روض يانع وريح طيبة المسرى • فتشوق إلى لقاء ولادة وحن • وخاف تلك النوائب والمحن • فكتب إليها يصف فرط قلقه • وضيق أمده إليها وطلقه • ويعلمها أنه ما سلا عنها بخمر • ولا خبا ما في ضلوعه من ملتهب جمر • ويعاتبها على إغفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده •

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا • والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله • كأنما رق لي فاعتل إشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم • كما حللت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت • بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر • جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأن أعينه إذ عاينت أرقي • بكت لما بي فجال الدمع رقراقا
ورد تألق في ضاحي منابته • فازداد منه الضحى في العين إشراقا
سرى ينافحه نيلوفر عبق • وسنان نبه منه الصبح أحداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا • إليك لم يعد عنها الصدر إن ضاقا
لو كان وفى المنى في جمعنا بكم • لكان من أكرم الأيام أخلاقا
لا سكن الله قلبًا عن ذكركم • فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملني نسيم الريح حين سرى • وافاكم بفتى أضناه ما لاقى
يا علقي الأخطر الأسنى الحبيب إلى • نفسي إذا ما اقتنى الأحباب أعلاقا
كان التجازي بمحض الود مذ زمن • ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم • سلوتم وبقينا نحن عشاقا

انتهى وقال أيضًا إن ابن زيدون لم يزل يروم دنو ولادة فيتعذر ويباح دمه دونها ويهدر • لسوء أثره في ملك قرطبة وواليها • وقبائح كان ينسبها إليه ويواليها • اختدت بني جهور عليه • وسددت أسهمهم إليه • فلما يئس من لقياها • وحجب عنه محياها • كتب إليها يستديم عهدها • ويؤكد ودها • ويعتذر من فراقها بالخطب الذي غشيه • والامتحان الذي خشيه • ويعلمها أنه ما سلا عنها بخمر • ولا خبا ما في ضلوعه من ملتهب جمر • وهي قصيدة ضرب في الإبداع بسهم • وطلعت في كل خاطر ووهم • ونزعت منزعًا قصر عنه حبيب وابن الجهم • وأولها •

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا • شوقًا إليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا • يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

وأخبار ولادة كثيرة وفيما ذكرنا كفاية • ومن المشهورات بالأندلس اعتماد

جارية المعتمد بن عباد وام اولاده وتشتهر بالرميكية وفي المسهب والمغرب انه ركب المعتمد
في النهر ومعه ابن عمار وزيره وقد زردت الريح النهر • فقال ابن عباد لابن عمار
اجز • صنع الريح من الماء زرد • فاطال ابن عمار الفكرة • فقالت امراة من الغسالات
اي درع لقتال لو جمد • فتعجب ابن عباد من حسن ما اتت به مع عجز ابن عمار ونظر اليها
فاذا هي صورة حسنة فاعجبته فقال لها اذات زوج انت فقالت لا فتزوجها وولدت
له اولاده الملوك النجبا رحمهم الله وحكى لبعض منهم صاحب الهداية بسنده
الى السلفي بسنده الى بعض ادبا الاندلس وسماه ولم يحضرني الان انه هو الذي
قال للمعتمد اي درع لقتال لو جمد • قال فاستحسنه المعتمد وكتب ثانيا في الاثنا
تجعلني ثانيا فاجازني بجائزة سنية قال ابن ظافر وقد اخذت هذا المعنى فقلت

اصف روضا

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا • ولو جمدت انهاره كان بلورا

ولما قال ابن ظافر

قد اذكت الشمس على الماء لهبا • قال القاضي الاعز
فسبكت الفضة منه ذهبا • رجع ولما خلع المعتمد وسجن باغمات
قالت له يا سيدي لقد هنا هنا فقال •
قالت لقد هنا هنا • مولاي اين جاهنا
قلت لنا الى هنا • صيرنا الى هنا
وحكي انها قالت له وقد مرض يا سيدي ما لنا قدرة على مرضاتك في مرضاتك
ولما قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة في المعتمد والرميكية اغرت
المعتمد به حتى قتله وضربه بالطبرزين فلق راسه وترك الطبرزين في راسه
فقالت الرميكية قد نعى ابن عمار هذه هذا القصيدة واولها
الا حي بالغرب حيا حلالا • اناخوا جمالا وحازوا جمالا
وعرج بيومين ام القرى • وتم فعسى ان تراها خيالا
ويومين قرية باشبيلية كانت منها اولية بني عباد وفي هذه القصيدة يقول
معرضا بالرميكية
•
تخيرتها من بنات الهجان • رميكية ما تساوي عقالا
فجاءت بكل قصير العذار • لئيم النجارين عما وخالا
قصار القدود ولكنهم • اقاموا عليها قرونا طوالا
اتذكر ايامنا بالصبا • وانت اذا لحت كنت الهلالا
اعانق منك القضيب الرطيب • وارشف من فيك ماء زلالا
واقنع منك بدون الحرام • فتقسم جهدك ان لا حلالا

ساهتك

ساهتك عرضك شيا فشيا • واهتك سترك حالا فحالا

ومنها

فيا عامر الخيل يا زيدها • منعت القرى وابحت العيالا
وسبب قول ابن عمار هذه القصيدة ان المعتمد ندد به وذيل على قصيدته الرائية
المذكورة في القلائد بعد قوله •
كيف التفلت بالخديعة من يدي • رجل الحقيقة من بني عمار
وسجنه في ابيات مشهورة قال الفتح في حق المعتمد بعد كلام وما زالت عقارب
تلك الداخلة تدب وريحها العاصفة تهب • ونارها تتقد • وصلوعها تخبو
وتخمد • ونظهر العذر وتعتقد • حتى دخل البلد من واديه • وبدق من المكروه
بواديه • وكر عليه الدهر بعواديه وعواديه • وهو مستمسك بعرى لذاته
منغمس فيها بذاته • ملقى بين جواريه • مغتر بوداعة ملكه وعواريه • التي
استرجعت منه في يومه وبعضه قواتها من يومه • ولما انتشر الداخلون في
البلد • واوهنوا القوى والجلد • خرج والموت يتسعر في الحاظه • ويتصور
من الفاظه وحسامه يعد بمضايه • ويتوقد عند انتضايه • فلقيهم رحبة القصر
وقد ضاق بهم فضاوها • وتضعضعت من رجتهم اعضاوها • فحمل فيهم حملة
صيرتهم فرقا • وملاتهم فرقا • وما زالوا يولون عليهم الكر المعاد • حتى اوردهم
النهر وما بهم جواد • واودعهم حشاه كانهم له فواد • ثم انصرف وقد ايقن بانتهاء
حاله وذهاب ملكه وارتحاله • وعاد الى قصره واستمسك فيه يومه وليلته
مانعا حوزته دافعا للذل عن عزته • وقد عزم على قطع امره • وقال بيدي لا بيد
عمرو • ثم صرفته عما كان نواه • فنزل من القصر بالقسر • الى قبضة الاسر
فقيد للحين • وحان له يوم شر ما ظن انه يحين • ولما قيدت قدماه • وذهبت
عنه رقة الكبل ورحماه قال يخاطبه •
اليك فلو كانت قيودك اسورا • تضرم منها كل كف ومعصم
مخافة من كان الرجال بسيبه • ومن سيفه في جنة او جهنم
ولما المه عضه • ولازمه كسره ورضه • واوهاه ثقله • واعياه نقله

قال

تبدلت من ظل عز البنود • بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدي سنانا ذليقا • وعضبا رقيقا صقيل الحديد
فقد صار ذاك وذا ادهما • يعض بساقي عض الحديد
فقد صار ذاك وذا ادهما • يعض بساقي عض الاسود
ثم جمع هو واهله وحملتهم الجواري المنشات • وضمتهم جوانحها كانهم اموات

بعدما ضاق عنهم القصر • وراق منهم العصر • والناس قد حشروا بضفتي الوادي
ويبكوا بدموع كالغوادي • فساروا والنوح يحدوهم • والبحر بالولوعة لا يعدوهم
وفي ذلك يقول ابن اللبانة •

تبكي السماء بمزن رائح غاد • على البهاليل من ابناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها • وكانت الارض منهم ذات اوتاد
عريسة دخلتها النائبات على • اساود لهم فيها واساد
وكعبة كانت الامال تخدمها • فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
يا ضيف اقفر بيت المكرمات فخذ • في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه • خف القطين وجف الزرع بالوادي
وانت يا فارس الخيل التي جلت • تختال في عدد منهم واعداد
الق السلاح وخل المشرفي فقد • اصبحت في لهوات الضيغم العادي
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة • وكل شي لميقات وميعاد
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا • وقد خلت قبل حمص ارض بغداد
حموا حريمهم حتى اذا غلبوا • سيقوا على نسق في حبل مقتاد
وانزلوا عن متون الشهب واحتملوا • فويق دهم لتلك الخيل انداد
وعيث في كل طوق من دروعهم • فصيغ منهن اغلال لاجياد
نسيت الا غداة النهر كونهم • في المنشآت كاموات بالحاد
والناس قد ملأوا العبرين واعتبروا • من لؤلؤ طافيات فوق ازباد
حط القناع فلم تستر مخدرة • ومزقت اوجه تمزيق ابراد
حان الوداع فضجت كل صارخة • وصارخ من مفداة ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها • كانها ابل يحدو بها الحادي
كم سال في الماء من دمع وكم حملت • تلك القطائع من قطعات اكباد

انتهى ما قصدت جلبه من كلام الفتح رحمه الله وسامحه وقال ابن اللبانة في كتاب
نظم السلوك في مواعظ الملوك في اخبار الدولة العبادية ان طائفة من اصحاب
المعتمد تآمرت عليه فاعلم باعتقادها • وكشف له عن مرادها • وحض على هتك
حرمها • واغري بسفك دمها • فابى ذلك بمجده الاثيل • ومذهبه الجميل • وما
خصه الله به من حسن اليقين • وصحة الدين الى ان امكنتهم الغرة فانتصروا
ببغاث مستنسر • وقاموا بجمع غير مستبصر • فبرز من قصره • متلافيا الامر
عليه غلالة ترف على جسده • وسيفه يتلظى في يده • وذلك السيف ذاق وراع
حتى كان عليه شيمة منتضية كان الموت اودع فيه سرا الى يوم كريهة
فلقي على باب من ابواب المدينة فارسا مشهورا بنجدة فرماه الفارس برمح النوى

في غلالته

في غلالته • وعصمه الله منه وصب هو سيفه على عاتق الفارس فشقه الى اضلاعه
فخر صريعا فرآيت الشامتين عندما تسنموا الاسوار تساقطوا منها وبعد
ما امسكوا الابواب تخلوا عنها واخذوا على غير طريق • وتموت بهم ريح الهيبة
في مكان سحيق • فطنا ان البلد من اقرانه قد صفا • وثوب العصمة علينا قد ضفا
الى ان كان يوم الاحد الحادي والعشرون من رجب • فعظم الخطب في الامر الواقع واتسع
الخرق على الراقع • ودخل البلد من جهة واديه • واصيب حاضره ببادية بواديه • بعد
ان ظهر من دفاع المعتمد وباسه • وترامية على الموت بنفسه • ما لا مزيد عليه • ولا
انتهى خلق اليه • فشنت الغارة في البلد • ولم يبق فيه على سبد ولا احد ولا لبد
وخرج الناس عن منازلهم • يسترون عوراتهم باناملهم • وكشف وجوه المخدرات
العذاري • ورايت الناس سكاري وما هم بسكاري • ورحل بالمعتمد واله • بعد
استيصال جميع حاله • لم يصحب منه بلغة زاد • ولا بغية مراد • فامضيت عزيمتي
في اتباعه فوصلت اليه • باغمات عقب تنافا فاستنقذ الله منه فذكرت به شعرا
كان لي في صديق تنقل له مثل ذلك في الشهر بعينه من العام الماضي وهو الامير
ابو عبد الله بن الصفار وهو •

لم تنل في النفاق كان نفاقا • كنت قلبا به وكان شغافا
يمكن الرمي في الكلام ولكن • بعد مكن الكلام يذبو فطافا
واذا ما الهلال غاب بغيم • لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما انت درة للمعالي • ركب الدهر فوقها اصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما • مثل ما يحجب الدنان السلافا
انت للفضل كعبة ولو اني • كنت استطيع لاستطعت الطوافا

قال ابو بكر وجرت بيني وبينه مخاطبات اذن غفلات الرقيب • واشهى
من رشفات الحبيب • وادل على السماح • من فجر على صباح • انتهى ثم قال ولما
خلع المعتمد وذهب الى اغمات طلب من جوا بنت تاشفين خباء عارية فاعتذرت
بانه ليس عندها خبا فقال •

ثم اوقدوا بين جنبيك نارا • اطالوا بها في حشاك استعارا
اما يخجل المجد ان يرحلوك • ولم يصحبوك خباء معارا
فقد فقدوا المجد ان كان ذاك • وحاشاهم منك خزيا وعارا
تبيل لعينيك ان يخجلوا • سوادا العيون عليكم شعارا

ثم انه بقي مسجونا باغمات الى سنة ٤٨٦ فاخذ على الغفلة رجل كبير يعرف بابن خلف
فنجح مع اصحاب له فتغلبوا السجن وذهبوا الى حصن منت ميور ليلا فاخرجوا
قائدها ولم يضروه وبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رجل فسالوه فاذا هو حبيب

الجبار بن المعتمد فولوه على انفسهم وظن الناس ان الراضي في الحصن ثم ان قبل مركب
من الغرب يعرف بمركب ابن الرزقا فانكسر بمرسي السجرة قريبا من الحصن فاخذ وبنوده
وطبوله وما فيه من طعام وعدة فانتعشت بذلك حالهم ثم وصلت ام عبد الجبار
اليه ثم خاطبه اهل الجزيرة وامثل اركش فدخلها سنة ٤٨٨ ولما بلغ خبر عبد الجبار
الي ابن تاشفين امر بثقاف المعتمد في الحديد وفي ذلك يقول

قيدي اما تعلمني مسلما • ابيت ان تشفق او ترحما
يبصر فيك ابو هاشم • فينثني القلب وقد هشما

وبقي الي ان توفي رحمه الله سنة ٤٨٨ وقد ساق الفتح قضية ثورة عبد الجبار ابن
المعتمد بعبارته البارعة فقال وقام بالعدوة برهة لا يروع لذي سرب وان لم يكن امنا
ولا يثور لذي كرب وان كان في ضلوعه كامنا • الي ان ثار احد بنيه باركش معقل كان مجاورا
لاشبيلية مجاورة الانامل للراح • طائرا على بسائط وبطاح • لا يمكن منه عيش
ولا يتمكن من منازلته جيش • فغدا على اهلها بالمكاره وراح • وضيق عليهم المتسع
من جهاتها والبراح • فسار نحو الامير • سير بن ابي بكر رحمة الله عليه قبل ان يرتد
طرف استقامته اليه فوجد وسد قد تسمر • وضنو قد تنمر • وحمى مستقر
وامن متوعر • فنزل عدوته • وحل الحزم حبوته • وتدارك داه قبل اعضاله لكم
ونازله وما اعتلات نضاله • واحتشدت اليه الجيوش من كل قطر • وافرغ من سنا
كل قطر • فبقي محصورا لا يبذل اليه الا سهم • ولا ينفذ عنه الا نسر او وهم وامسك
سهورا حتي عرضه احد الرماة بسهم فرماه فاصماه • فهوي في مطلعه • وخر قتيلا
في موضعه • فدفن الي جانب سرير • وامن عاقبة تغرير • وبقي اهله متمنعين
مع طائفة من وزرائه • حتي اشتد عليهم الحصر • وارتدعنهم النصر • وعمهم الجوع
واغتالهم الهجوع • فنزلت منهم طائفة متهافتة • وولت بانفاس خافتة
فتبعهم من بقي • ورغب عنهم في التنعم من شقي • فوصلوا الي قبضة الملمات
وحصلوا في غصة الممات • فوسمهم الحيف • وتقسمهم السيف • ولما ازال النبل
حنت سورة الاسد • ولم يرج صلاحا للكل والبعض فقد فسد • فاعتقل المعتمد
خلال تلك الحال واثناها • والحل بساحة الخطوب وفناها • وحيل ركبوا وسادا
واذر نوم خرنابات له معاودا قال

غنتك اغماتية الالحان • ثقلت على الارواح والابدان
قد كان كالثعبان رمحك في الوغي • فغدا عليك القيد كالثعبان
متمددا بحذاك كل تمدد • متعطفا لا رحمة للعاني
قلبي الي الرحمن يشكو بثه • ما خاب من يشكو الي الرحمن
يا سائلا عن شانه ومكانه • ما كان اغني شانه عن شان

هيك

هاتيك فتنته وذلك فضله • من بعد اي مناصر وقيان
ولما فقد من يجالسه • وبعد عنه من كان يوانسه • وتمادي كربه • ولم تسالمه
حربه قال •

تؤمل للنفس الشجية فرجة • وتابي الخطوب السود الا تماديا
لياليك في زاهيك اصفي صحبتها • كذا صحبت قبلي الملوك اللياليا
نعيم وبؤس ذا لذلك ناسخ • وبعدهما نسخ المنايا الامانيا

ولما امتدت مدته • واشتدت عليه قسوة الكبل وشدته • واقلقته همومه
واطبقته غمومه • ونزلت عليه الشجون • وطالت لياليه الجون قال

ابي الدهر ان يقنيك الا مشفقا • بل قد عمم جهات الارض اقلاقا
سرت من الغرب لا تطوي لها قدم • حتي اتت شرقها تنعاك اشراقا
فاحرق الفجع اكبادا وافيدة • واغرق الدمع اماقا واحداقا
قد ضاق صدر المعالي اذ نعيت لها • وقيل ان عليك القيد قد ضاقا
اني غلبت وكنت الدهر ذا غلب • للغالبين وللسباق سباقا
قلت الخطوب اذ لتنثني طوارقها • وكان عزمي الي الاعداء طراقا
متي رايت صروف الدهر تاركة • اذا انبرت لذوي الاخطار ارماقا

وقال في من اثنته لما ثار ابنه حيث ثار • واثار من حفيظة امير المسلمين عليه ما اثار
جزع جزعا مفرطا • وعلم انه قد صار في انشوطة الشر متورطا • وجعل
يشتكي من فعله ويتظلم ويتوجع منه ويتالم ويتول عرض بي للمحن • ورضي لي ان
امتحن • ووالله ما ابكي الا انكسافا من الخلعة بعدي • وتحيفه بعدي ثم
اطرق ورفع راسه • وقد تهللت اسرته وظللته مسرته • ورايته قد استجمع
وتشوق الي الشما وتطلع • فعلمت انه قد رجا عودة الي سلطانه • واوبته الي
اوطانه • فما كان الا بمقدار ما تنداح ذآبن • او تلتقت مقلة حائن حتي قال

كذا يهلك السيف في جفنه • الي هز كفي طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم اعتقله • ولم تروه من نجيع يميني
كذا يمنع الطرف علك الشكيم • مرتقبا غرة في كمين
كان الفوارس فيه الليوث • تراعي فرايسها في عرين
الا شرف يرحم المشرفي • مما به من شمات الوتين
الا كرم ينعش السمهري • ويشفيه من كل داء دفين
الا حنة لابن محنية • شديد الحنين ضعيف الانين
يؤمل من صدرها ضمة • تبوئه صدر كبر معين

وكانت طائفة من اهل فارس قد عاثوا فيها وفسقوا • وانتظموا في سلك الطغيان

وانتغوا • ومنعوا حصونا اهلها الثبات • واخذوا البنين من حجور ابائهم والبنات
وتلعبوا بالامارة • وارتكبوا السوء لنفوسهم الامارة • حتى كادت تتعثر
على ايديهم • وتدثر رسومها بافراط تعديهم • الى ان تدارك امير المسلمين رحمه
الله امرهم • واطفا جمرهم • واوجعهم ضربا • واقطعهم ما شاء حزنا وكربا
وسجنهم باغمات • وضمنهم جوارح الملمات • والمعتمد اذ ذاك معتقل هناك
وكانت فيهم طائفة شعرتهم مدنية او برية • فرغبوا الى سجانهم ان يشتركوا
مع المعتمد من اشجانهم • فخلى ما بينهم وبينه • وغمض لهم في ذلك عينه • فكان
المعتمد رحمه الله يتسلى بمجالستهم • ويجد انس مؤانستهم • ويستريح اليهم
بجواه • ويبوح اليهم ببثه ونجواه • الى ان شفع فيهم • وانطلقوا من وثاقهم
وانفرج لهم منهم اغلاقهم • وبقي المعتمد يشتكي من ضيق الكبل • ويبكي بمدمع
كالوبل • فدخلوا عليه مودعين • ومن بينه متوجعين فقال

اما لانسكاب الدمع في الخد راحة • لقد آن ان يفنى ويفنى به الخد
هبوا دعوة يا آل فارس لمشتكي • بما منه فقد عافاكم الصمد الفرد
تخلصتم من سجن اغمات والتوت • علي قيود لم يحن فكها بعد
من الدهم اما خلتها فاساود • تلوى واما الايد والبطش فالاسد
فهنيتم النعمى ودامت لكم • سعادتكم ان كان قد خانني سعد
خرجتم جماعات وخلفت واحدا • ولله في امري وامركم الحمد

ومرت عليه جماعة في موضع اعتقاله سرب قطا لم يعلق لها جناح • ولا تعلق بها
من الايام جناح • ولا عاقها عن افراخها الاشراك • ولا اعوزها البشام ولا الاراك
وهي تمرح في الجو • وتسرح في مواقع النو • فتنكد مما هو فيه من الوثاق • وما دون
احبته من الرقباء والاغلاق • وما يقاسيه من كبله • ويعانيه من وجده وخبله
وفكر في بناته وافتقارهن الى نعيم عهدنه • وخبو زهر حضرته • وتسهدتم فقال

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بي • سوارح لا سجن يعوق ولا كبل
ولم تك والله المعيد حسادة • ولكن حنينا ان شكلي لها شكل
فاسرح لا شملي صديع ولا الحشا • وجيع ولا عيناي يبكيهما ثكل
هنيئا لها ان لم يفرق جميعها • ولا ذاق منها البعد عن اهلها اهل
وان لم تبت مثلي تطير قلوبها • اذا اهتز باب السجن او صلصل القفل
وما ذاك مما يعتريه وانما • وصفت الذي في جبلة الخلق من قبل
لنفسي الى لقيا الحمام تشوف • سواي يحب العيش في ساقه كبل
الا عصم الله القطا في فراخها • فان فراخي خانها الماء والظل

وفي هذه الحالة زاره الاديب ابو بكر بن اللبانة وهو احد شعراء دولته

المرتضين

المرتضين دررها • المنتجعين دررها • وكان المعتمد رحمه الله يمنحه بالشفوف
والاحسان • ويحوزه في فرسان هذا الشان • فلما رآه وحلقات الكبل قد عضت
بساقيه عض الاسود • والتوت عليه التواء الاساود السود • وهو لا يطيق اعمال
قدم • ولا يريق دمعا الا ممزوجا بدم • بعد ما عهده فوق منبر وسرير • وبكف
الامطار من راحته • وتشرف الاقدار بحلول ساحته • ويرتاع الدهر من اوامره
ونواهيه • ويقصر النسران عن تساميه او يضاهيه • ندبه بكل مقال يلهب الاكباد
ويثير فيها لوعة الحارث بن عباد • ابدع من اناشيد معبد • واصدع للكبد
من مراثي اربد • او بكاء ذي الرمة بالمربد • سلك فيها للاحتفاء طريقا لاحبا
وغدا فيها الذيول على الوفاء ساحبا • فمن ذلك قوله

انفض يديك من الدنيا وساكنها • فالارض قد اقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها السفلي قد كتمت • سريرة العالم العلوي اغمات
طوت مظلتها لا بل مذلتها • من لم تزل فوقها للعز رايات
من كان بين الندى والباس انصله • هندية وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تستره سابغة • دهر مصيباته نبل مصيبات
انكرت الا التواءات القيود به • وكيف تنكر في الروضات حيات
غلطت بين همايين عقدن له • وبينها فاذا الانواع اشتات
وقلت هن ذوابات فلم عكست • من راسه نحو رجليه الذوابات
حسبتها من قناه او اعنته • اذ انها لانتقاء المجد آلات
دروه ليثا فخافوا منه عادية • عذرتهم فلعدو الليث عادات
لو كان يفرج عنه بعض آونة • قامت بدعوته حتى الجمادات
بحر محيط عهدناه تجيء له • كنقطة الدارة الستة المحيطات
يبقى على آل عباد فانهم • اهلة ما لها في الافق هالات
راح الحيا وغدا منهم بمنزلة • كانت لها في قبيل الراح سورات
وربما كنت استسقي الخليج به • وفي الخليج لاهل الراح راحات
وبالعروسات لا جفت منابتها • من النعيم عروسات جنيات
ولم تزل كبده تتوقد بالزفرات • وخلده يتردد بين النكبات والعثرات
ونفسه تتقسم بين الاشجان والحسرات • الى ان شفعته منيته • وجاءته
بها امنيته • فدفن باغمات واريح من تلك الازمات • وعطلت المآثر
من حلاها • وافردت المفاخر من علاها • ورفضت مكارم الاخلاق • وكسدت
نفائس الاعلاق • وصار آنس عبرة في عصره • وصار بذي عبرة في مصره
وبعدها يا مروا في ابو بكر بن عبد الصمد شاعره المتصل به • المتوصل الى المنى بسببه

فلما كان يوم العيد وانتشر الناس ضحى • وظهر كل مستوار وضحى • قام على قبر عنده انفصالهم من مصلاهم واختيالهم بزينتهم وحلاهم وقال بعد ان طاف بقبره والتزمه وخر على تربه ولثمه •

ملك الملوك اسامع فانادي • ام قد عدتك عن السماع عوادي
لما خلت منك القصور فلم تكن • فيها كما قد كنت في الاعياد
فبلت في هذا الثري لك خاضعا • وتخذت قبرك موضع الانشاد

ومن قصيدة اطال انشادها • وبني بها اللواعج وشادها • فانحشر الناس اليه وانحفلوا • وبكوا ببكايه واعولوا • واقاموا اكثر نهارهم مطيفين به كطواف الحجيج • مديمين للبكا والعجيج • ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم • واقرحوا ماقيهم بفيض شونهم • وهذه نهاية كل عيش • وغاية كل ملك وجيش • والايام لا تدع حيا • ولا تالوا اكل نشر طيا • تطرق رزاياها كل سمع • وتفرق مناياها كل جمع • وتضي كل ذي امر ونهي • وتري كل مشيد بوهي • ومن قبله ماطوت النعمان بن الشقيقة • ولوت مجاده في تلك الحقيقة • انتهي ما قصدنا جلبه من كلام الفتح • مما يدخل في اخبار المعتمد بن عباد المناسبة لما مر وكلام الفتح كله الغاية وليس الخبر كالعيان ولذا قال بعض من عرفه انه لولا ان يفضح الشعرا الذين ذكرهم في كتبه بنثره سامحه الله واخبار المعتمد رحمه الله تحتمل مجلدات • واثاره الي الان بالمغرب مخلدات • وكان من النادر الغريب قولهم في الدعا للصلاة على جنازته الصلاة على الغريب • بعد اتساع ملكه • وانتظام سلكه • وحكمه على اشبيلية واعمالها • وقرطبة وزهرايها • وما ذا شان الدنيا في تدريسها • بخوندتها واغرايها • وقد توجه لسان الدين الوزير ابن الخطيب الي اغمات لزيارة قبر المعتمد رحمه الله وراي ذلك من المهمات • وانشد على قبره ابياته السينية التي ذكرناها في جملة نظمه الذي يهوا رق من النسيم • وابهج من المحيا الوسيم • قلت وقد زرت انا قبر المعتمد والرميكية ام اولاده رحمهما الله حين كنت بمراكش المحروسة باذن الله عام عشرة والف وعمي علي امر القبر المذكور • وسالت عنه من تظن معرفته له حتي هداني اليه شيخ طعن في السن وقال لي هذا قبر ملك من ملوك الاندلس وقبر حظيته التي كان قلبه يحبها حبا عظيما قرانته في ربوة حسنما وصفه ابن الخطيب رحمه الله الابيات وحصلت لي في ذلك المحل خشية وادكار وذهبت بي الافكار في ضروب الايات فسبحان من يؤتي ملكه من يشا لا اله غيره وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين • وما احسن قول الوزير ابن عبدون في مطلع رايية السهيرة • الدهر يفجع بعد العين بالاثر

فالبكا

فالبكا على الاشباح والصور ومنها القايل

يا نايم الليل في فكرا لشاب فتق • فصبح شيبك في افق النهي بادي
عضت عنانك ايدي الدهر ناخذه • علما بجهل واصلاحا بافساد
واسلمت للمنايا المسلمة • وعبدت للرزايا آل عباد
لقد هوت منك خانتها قوادمها • بكوكب في سماء المجد وقاد

ومنها

وما لك كان يحيي شول قرطبة • استغفر الله لا بل شول بغداد
شول العلوم نطاقا والعلي زمرا • فبين ما بين رواد وورّاد

واين هذه القصيدة في مدحهم من قصيدة العض منهم ومنه قول ابي الحسن جعفر ابن ابراهيم بن الحاج اللورقي •

نترعن الدنيا ومعروفنا مثلها • اذا عدم المعروف في العباد
حللت بهم ضيفا ثلاثة اشهر • بغير قري ثم ارتحلت بلا زاد

وهذا يدلك على ان الشعرا لم يسلم من لسانهم من احسن فضلا عن اسا من العظما والروسا وما امدح قول ابي محمد بن غانم فيهم

ومن الغريب غروب شمس في الثري • وضياوها باق على الافاق

وقال في المطمح في حق بني عباد واوليتهم ما صورته الوزير ابو القاسم محمد بن عباد هذه بقية منتماها في لخم • ومنتماها الي منتجز ضخم • وجدهم المنذر بن ما السما • ومطلعهم من جو تلك السما • وبنو عباد ملوك اناس بهم الدهر • وتنفس منهم اعبق الزهر • وعمروا ربع الملك • وامروا بالحياة والهلك • ومعتضدهم احد من اقام واقعد • وبنوا كاهل الارهاب واقتعد • وافترش من عرايسته • وافترس من مكايد فريسته • وزاحم بعود • وهد كل طود • واخمد كل ذي زي وشان • وختل بوحي واشارة ومعتمدهم كان اجود الاملاك • واحد نيرات تلك الافلاك • ومنه القايل وقد شغل عن منادمته خواص دولته • بمنادمة العقايل

لقد حنت الي ما اعتدت من كرم • حنين ارض الي مستاخر المطر
فهات ما خلتها ارضي لسماح بها • محفوفة في اكف الشرب بالبدر

ومنه القايل وقد حن في طريقه الي قريته

اذا ما النوي كم طال عنك تلذذي • وكم عقتني عن دار اهيف اغيد
حلفت به لو قد تعرض دونه • كماة الاعادي في النسيج المسرد
لجردت للضرب المهند فانقضي • مرادي وعرضا مثل حد المهند

والقاضي ابو القاسم هذا جدهم وبه سفر مجدهم • ومنه الذي اقتصر لهم

الملك الناضر • واختصهم منه بالحظ الوافر • فانه اخذ الرياسة من ايدي جبابر • واضحي من ظلالها الحيا اكابر عندما اناخت بها اطماعهم • واصاخت اليها اسماعهم • وامتدت اليها من مستحقيها اليد • واتلعوا اجيادا اليها الجيد • وفغر عليها فاه حتي نجا بيتا لعبيدي • وتصدي اليها من تحضر وتبدي فافتعد سنامها وغاربها • وانبعد عنها عجمها واعاربها • وفاز من الملك باوفر حصته • وغدت سمتنه به صنعة مخنصته • فلم يمح رسم القضا • ولم ينتهم نسمة الملك مع ذلك النفوذ والمضا • وما زال يحمي حوزته • ويجلو عزته حتي حوته الرجام • وخلت منه تلك الاوجام • وانتقل الملك الي ابنه المعتضد • وحل منه في روض نسق له ونضد • ولم يعم فيه ولم يدم ولاه • لولا بطش في اقتضا النفوس كدر ذلك المنهل • ونصور انشاد ذلك له لعل والنهل وما زال للارواح قابضا • وللوثوب عليها رابضا • يخطف اعداه اختطاف الطاير من الوكر • وينتصف منهم بالدها والمكر • الي ان افضي الملك الي ابنه المعتمد • فاكتحل منه طرفه الرمد • واحمد مخبره وتقلده منه اي باس ونجد • وندي به لحق مناه وجرسنه • واقام في الملك ثلاثة وعشرين سنة لم تعدم منه فيها حسنه • ولاسيرة مستحسنه • الي ان غلب علي سلطانه وذهب به من اوطانه • فنقل الي حيث اعتقل • فاقام كذلك الي ان مات ووارته بزينا اغمات • وكان للقاضي حبه ادب غض • ومذهب مبيض ونظم بتحلة كل حين • ويبغته اعطر من الرياحين • فمن ذلك قوله يصف البيلوفر • يا ناظرين لذا البيلوفر البهج • وطيب مخبره في الفوح والارج

كانه جام در في تالقه • قد احكموا وسطه فصا من السبج

انتهي المقصود منه • ومن اغاني الفتح • ليشيد قصور الشرف اذا مدح • ويهدم معاقلها اذا الحجا وقدح • ومن اغراضه قوله في المطمح في حق الاديب ابي جعفر ابن البني • رافع ابنه القريض • وصاحب آية التفريح والتعريض • اقام من آيته • واظهر بها آيته • اذا نظم ازري بالعقود • واتي باحسن من رقم البرود • وكان الحيف غلمان • وحليف كفر لا ايمان • ما نطق متشرعا ولا رمق متورعا • ولا اعتقد حشرا • ولا صدق بعثا ولا نشرا • ربما تنسك مجونا وفتكا • وتمسك باسم التقي وقد هتكه هتكا • لايبالي كيف ذهب ولا بما تمذهب • وكانت له اهاجي جرع بها صابا • ودرع منها اوصابا وقد ابتت له ما بين تسف ريقا • وثبيرت تحقيقا • فمن ذلك قوله يتغزل

من لي بغرة فاتن يختال في • حلل الجمال اذا بدا وحليه

لو شمت في وضح النهار شعاعها • ما عاد جنح الليل بعد منضيه

لعله الجد

لعله راية

شرفت

شرفت لالي الحسن حتي خلصت • ذهبية في الخد من فضية

في صفحيته من الجمال ازاهر • غذيت بوسمي الحيا ووليه

سلت محاسنه لقتل محبه • من سحر عينيه حسام سميه

ولله فيه

كيف لا يزداد قلبي • من جوي الشوق خبالا

واذا قلت علي • بهر الناس جمالا

هو كالغصن وكالبدر • قواما واعتدالا

اشرق البدر كمالا • وانثني الغصن اختيالا

اذ من رام سلوي • عنه قد رام محالا

لست اسلو عن هواه • كان رشدا او ضلالا

قل لمن قصر فيه • عذل نفسي او اطالا

دون ان تدرك مما • تسلب الافق الهلالا

وكنت بميورقة وقد حلها متسما بالعبادة • ومتواشري الي البحور من خيال ابي عبادة • وقد لبس اسمالا • ولبس منه اقوالا واعمالا • سجوده بجوده • واقراره بالله جحوده • وكانت له رابطة لم تكن للوازمها مرتبطا • ولا بنسكها مغتبطا • سماها بالعقيق • وسمي فتي كان يتعشقه بالحي • وكان لايتصرف الا في صبابته • ولا يتقي الا لرقابته • ولا يؤرق الا جواه • ولا يشوقه الا هواه • فاذا باحد دعاة جبينه • وروات تشبيبه قال له كنت البارحة نجاه • وذكر له خبرا • وروي به عني وعماه

تنفس بالحي متطلو لارض • فاودع نشره نشرا اسمالا

فصحت العيون الي كشلي • تجرد فيه ازد اناخصالا

اقول وقد شممت الترب مسكا • بنفحتها يمينا او شمالا

نسيم جا يبعث منك طيبا • ويشكو من محبتك اعتلالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من امره ما تقرر • وتردد علي سمعه انتهاكه وتكرر اخرجه من بلده ونفاه • وطمس رسم فسقه وعفاه • فاقلع الي المشرق وتوجه فلما صار من ميورقة علي ثلاثة مجار • فشات له ريح صرفته عن وجهته الي فقد مهجته • فلما لحق بميورقة اراد ناصر الدولة اماحته • واخذ ثار الدين منه واراحته • ثم اثر صفحه • واخذ ذلك الجرو لحه • واقام اياما ينتظر ريحا علها تزجيه • ويستهديها فتخلصه وتنجيه • وفي اثنا بلوته لم يتجاسر احد علي اتيانه من اخوته فقال يخاطبهم

احبتنا الا الي عتبوا علينا • فاقصرنا وقد ازف الوداع

لعله الاولي

لقد كنتم لنا جزلا وانسا • فهل في العيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم • اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم • كان قلوبنا فيها شراع

وله يتغزل

بني العرب الصميم الاعبتم • ما ثركم بالشادن السماح
دفعتم نار كم فصنا اليها • بومن فارس الحي الوقاح
فهل في العتب فضل تنفضوه • به من محض الباننا اللقاح
لعل الركب شايبة الثنا • يبشهد من ندي نور الاقاح

وله ايضا

وكانما الحمام ابدا • لك في مصلفة الحديد المعلم
عضبا لنعام قسيه فاراكما • من حسن معطفه تقويم الاسهم

وله

نظرتا ليه فانتاني بمقلته • تزد الي بحري صدود ومراح
حميت الجفون النوم يا رشا الحي • واظلمت ايامي وانت صباح

وله

قالوا الحبيب طيور الجا سنهم • اذا رماها فقلنا عندنا الخبر
تعلمت قوسه من قوس حاجبه • وايد السهم من الحاظه الحور
يروح بي برده كالنقش حالكة • كيما اصابجنح الليل القمر
وربما راق في خضراء مورقة • كما تفتح في اوراقه الزهر

انتهى وقال في ترجمة ابن لبانا ابي الحسن شاعر سمح • متقلد بالاحسان • متسح ام الملوك والرؤسا • وتمم نلك لعنة القضا • فانتجع مواقع جزهم واقتطع ما شا من ميرهم • وتمادت ايامه الي هذا الاوان • فجال به في ميدان الهوان فكسد نفاقه • وازتدت افاقه • وتوالي عليه حرمانه واخفاقه وادركته وقد جنته سنونه • وانتظرته منونه • ومحاسنه كمهدها في الانتقاد • وبعدها من الانتقاد • وقد ابنت منها ما يعذب جني وقطافا • ويستعذب استنزالا واستلطافا • فمن ذلك قوله يستنجد الامير الاجل ابا اسحاق بن امير المؤمنين

قل للامير ابن الامير بل الذي • ابنا به في المكرمات وفي الندى
والمجتني بالرزق وبني بنفسه • ورد الجراح مضعفا ومفندا
جانك امال العفاة طواميا • فاجعل لها من ماء جودك موردا
وانثر علي المداح سيبك انهم • نثروا المدايح لولوا وزبرجدا
فالناس ان ظموا فانت بنو الحيا • والناس ان ضلوا فانت بنو الهدي

امير المسلمين

اخبرني

اخبرني وزير السلطان ان هذه القطعة لما ارتفعت اعتنت بجملة الشعراء وشفعت فانجز لهم الوفود • واورق لهم ذلك العود • وكثر اللغط في تنظيمها • واستجادة تنظيمها • وحصل لابن ابدكات بها ذكر • وانصقل له بسببها فكر • وله من قطعة يصف سيفا

كل نهر تو قدت شفرتاه • كاتقاد الشهاب في الظلما
فهو ما قد ركبت فوق نار • اوكنار قد ركبت فوق ما

وكتب الي مغربا عن والدي

علي مثله من مصاب وجب • علي من اصيب به المنتحب
وقلب فروق ولبخنوق • ونفس تشب وهم نصب
فقد خشعت للتي هضبته • ذوائبها في صميم العرب
من الجاعلات محاربها • مواجهها ابدا والقتب
من القائمات بطل الدجي • ولامن تشامر الا الشهب
فكم ركعتا برها في الدجي • تناجي بها ربها من كثب
وكم سكبت في اوان السجود • مدامع كالغيث لما انسكب
وقد خلفت ولدا باسلا • فصيحا اذا ما قرا او خطب
يفل السيوف باقلامه • ويكسر حتم الفتي بالغضب

وكان الفائد ابو عمرو عثمان بن يحيي بن ابراهيم اجل من حال في خلد واستطال علي جلد • رشا يحيي باحشامه • ويسترد البدر باشامه • ويزري بالغصن تثنيه • ويثمر الحسن لو دنت قطوفه لمجتنيه • مع لوذعة تجالها جريالا وسجية يختال فيها الفضل اختيالا • وكان قد بعد عن انسنا بحمص وانتقص من تلك العمص • وكان بثغر الاشبونة فسد • ولم يتفرج لنا من الانس بعد ما بيد مسد • الي ان صدر • فاسرع الينا وابتدر • فالتقيتنا وبتنا ليلة نام عنها الدهر وغفل • وقام لنا بما شينا فيها • وتكفل فبينا نحن نفض ختامها • وننفض عنا غبارا لوحشة وقتامها • اذا انا بابن لبان هذا وقد دخل ادخل علينا فامرناه بالنزول والتقيناه بترحيب وانزلناه بمكان من المسرة رحيب • وسقيناه صغارا وكبارا • وارينا اعطيناه اعطاما واكبارا • فلما شرب طرب • وكلما كرعها النحف السلوة وتدرعها • وما زال يشرب اقداحا • وينشد فينا امداحا ويفدي بغنيه • ويستهدي الاستزادة من انسه • فمتعنا الظلام بما امتداه من البديع • واجتلينا محاسنه كالصديع • وانفصلت ليلته عن انعم مسترع • واعم مبترع • وارتحل عثمان اعزه الله الي نعن • واقام به

لعله لوذعية

برهة من دهر • فسيت بها اليه مجددا عهدا • ومتضلعا من لؤا انسته سهدا • فكتب ابن لبان هذه القطعة من القصيدة يذهب الي شكر ويجتهد في تجديد ذكر • •

ماشام انسان انسان كتمان • ولا كبغيته من حسن احسان
بدر السيادة يبدو في مطالعه • من المحاسن محفوفا بشهبان
له التمام وما بالافق من قمر • متمم دون ان يرمي بنقصان
بر السبيبة ترمي من نضادتها • كانما قط دل فوق بنان
متعصفر الحسن للابصار ناصعه • كانه فضة سيبت بعقيان
نبيت عنه بانباء اذا نفحت • تعطلت نفحات المسك والبان
قامت عليه براهين تصدقها • كالشكل قام عليه كل برهان
فلنزادها ابن عبد الله من وضح • ما زادت الشمس نورا للبحر للدران
بالله بلغه تسليمي اذا بلغت • تلك الركاب ومحل غير لبان
وليت اني لو شاهدت انسكما • علي كووس وطاسات وكيزان
فالتقطا الكلم المنثور بينكما • كانما هو من در ومرجان
لله درك ياذا الخطتين لقد • حططت بالمدح فيه كل ديوان
كلاكما البحر في جود وفي كرم • او الغمامة تسقي كل ظمآن
ان كان فارس هيجا ومعترك • فانت فارس افصاح وتبيان
فاذكرا ابا نصر المعمور منزله • بالرفد ما شيت من مثني ووحدان
قصايد الانجد وان نزحت • بك الركاب الي اقصي خراسان

انتهي وقال في ترجمة الاديب ابي بكر عبد المعطي بيت شعر ونباهه وابو بكر ممن تنبه خاطره للبدايع اي انتباهه • وله ادب باهر • ونظم كما سفرت ازاهر • وقد اثبت له تحالا • يبلغ امالا • فمن ذلك قوله وقد اجتمعنا في ليلة لم يضرب لنا رعد • ولم يغرب عنها سعد • وهو فيها قد شب عن طوق الانس في الندي • وما قال خلاعه ولا عدي • والكهولة قد قبضته وا قعدته عن ذلك وما انهضته • •

امام النثر والمنظوم فتح • جميع الناس ليل وهو صبح
له قلم جليل لا يجاري • يقر بفضله سيف ورمح
يباري المزن ما سحت سماحا • وان تبحث فليس لديه شح

وكان مرتسما في عسكر قرطبة وكان ابن سراج يقوم له بكل ما ينبغي ويطلبه خيفة من لسانه • ومحافظة علي احسانه • فلما خرج الي اقليش خرج معه وجعل يسايره من يشيعه • فلما حصلوا ببعض سرادق • وهو موضع توديع المفا

للمفارق

للمفارق

قرب منه ابو الحسن بن سراج لوداعه • وانشد في تفرق الجمع الشمل وانصداعه

ثم رحلوا عنا لامر لهم عنا • فما احد منهم علي احد حسنا
وما رحلوا حتي استفادوا نفوسنا • كانهم كانوا احق بها منا
فيا سا كني نجد لبتعد داركم • ظننا بكم ظنا فاخلفتم الظنا
غدرتم ولم اغدر وخنتم ولم اخن • وقلتم ولم اعتب وجرم وما جرنا
واقسمتم ان لا تخونون في الهوي • فقد دوم الحب خنتم وما خنا
نري تجمع الايام بيني وبينكم • وتجمعنا دهرا نعود كما كنا

فلما استتم انشاده لحق بالسلطان واعتذر اليه بمرض خلفه وهو يخاف تلفه فاذن له بالانصراف وكتب الي ابي الحسن بن سراج

اما والهدايا ما رحلنا ولا حلنا • وان غر من دونا لنرحل ما غنا
تركنا ثواب الفضل والعز للعزي • علي مضض منا وعدنا كما كنا
وليس لنا منكم علي البين سلوة • وان كان انتم عندكم سلو عنا

وجمعتنا عشية بربض الرحال بقرطبة ومعنا لمة من الاخوان وهو في جملتهم معنا من اعيانهم وجلتهم بفضل ادبهم وكثرة سحبه • فجعل يرتجل ويروي • ويبين محاسن الاداب ويطوي • ويمتعنا بتلك الاخبار • ويبتطعنا منها جانب اعتبار ويطلعنا علي اقبال الايام وعلي الادبار ثم قال

ايا ابن عبد الله يا ابن الاكارم • لقد بخلت يمناك صوب الغمايم
لك القلم الاعلي الذي عطل القنا • وفل ظباة المرهفات الصوارم
واخلاقك الزهر الازاهر بالربا • ترف بشوبوب الغيوث السواجم
بنيت لتشييد المكارم والعلي • تظاهرها بالشا لغا المتقادم

واجتمع عند ابنيه لمة من اهل الادب • وذوي المنازل والرتب • في عشية غيم اعقب مطرا • وخط فيها البرق اسطرا • والبرد يتساقط كدر من نظام • ويترك كنانا غادة ذات ابتسام • وهو غلام ما نضي برد شبابه • ولا انتضي من هفت ادابه • فقال معرضا بهم • ومتعرضا لتحقق ادبهم

كان الهوا غدير جمد • بحيث البرود تريب البرد
خيوط وقد عقدت في الهوا • وراحة ريح تحل العقد

وشرب في دار ابن الاعلم في يوم لم يزل الدهر فيه اساه • وليل نسخ نوره انسه مساه ومعهم جملة من الشعرا • وجماعة من الوزرا • منهم ابناء العنبطرنه فوقع بينهم عتاب وتعذال • وانتهيا في ميدان المشاجرة والابتذال • الي ان الي تجريد السيف • وتكدير ما صفا بذلك الحيف • فسكنوا بالاستنزال • وتنوعوا عن ذلك النزال • وقال في المطرح في حق ابي بكر يحيي بن بقي القرطبي صاحب الموشحات

البديعة كان نبيل السيرة والنظام • اخرز خصالا • وطرز محاسنه بكرا واصالا
وجري في ميدان الاحسان الي بعد امده وبني من المعارف ما ثبت عمد • الا ان الايام حبل
حرمته • وقطعت حبل غايته وصرمته • فلم تتم له وطرا ولم تسجم عليه الحظوة
مطرا • ولو سوغت من الحرمة نصيبا • ولا انزلته مرعي خصيبا • فصار راكب
صهوات • وقاطع فلوات • لا يستقر يوما • ولا يستحسن نوما • مع نوهتم
لا يطمره بامان • وتقلب ذهن كالزمان • الا ان يحيي بن علي بن القاسم نزعه
من ذلك الطيش • واقطعه جانبا من العيش • وارقاه الي سمايه • وسقاه
صيب نعمايه • وفياه ظلاله • وبواه اثر النعمة تجوس خلاله • فصرف بها قوا
وشرف بعواقبه فعاله • وافرده منها بانفس در • وقصده منها بقصايد
غر • انتهي المقصود جلبه من ترجمته في المطمح وقال في حقه في القلايد رافع
راية القريض • وصاحب آية التصريح فيه والتعريض • اقام شرايعه واظهر
روايعه • وصار عصيه طايعه • اذا نظم ازري بنظم العقود • واتي
باحسن من رقم البرود • وطني عليه حرمانه • وما صفا له زمانه • انتهي
وابن بقي المذكور هو القايل •

يا لي غزال لنه بمقلتي • بين العذيب وبين شطي بارق
الابيات المشهورة ومن موشحاته قوله

عبث الشوق بقلبي فاشتكي • الم الوجد فليت ادمعي
ايها الناس فوادي شغف • وهو من بغي الهوي لا ينصف • كم اداريه ودمعي يكف
ايها الشادن من علمكا • بسهام اللحظ قتل السبع
بدر تم تحت ليل اغطش • طالع في غصن بان منتشي • اهيف القد بخد ارقش
ساحر الطرف وكم ذا فتكا • بقلوب الاسد بين الاضلع
اي ريم رمته فاجتنبا • وانثني يهتز من سكر الصبا • كقضيب هزه ريح الصبا
قلت هب لي يا حبيبي وصلكا • واطرح اسباب هجري ودع
قال جدي رهن مذ فوقا جرد تعيناي شيئا مرهفا • حذرا منه بان لا يقطفا
ان من رام جناه هلكا • فازل عنك علالا لا تطمع
ذاب قلبي في هوي ظبي غدير • وجهه في الدجي صبح مستنير • وفوادي بين كفيه اسير
لم اجد للصبر عنه مسلكا • فانتصاري بانسكاب الادمع

• وقال رحمه الله •

خذ حديث الشوق عن نفسي • وعن الدمع الذي همعا
ما تري شوقي قد وقدا • وهمي دمعي واطردا
واغتدي قلبي عليك سدي

آه من ماء

آه من ماء ومن قبس • بين طرفي والحشا جمعا
بابي ريم اذا سفرا • اطلع الشمس زر ان قمرا • فاحذروه كلما نظرا
فبالحاظ الجفون قسي • انا منها بعض من صرعا
ارتضيه جارا وعدلا • قد خلعت العذر والعذلا • اغا سوقي لليه حلا
كم وكم اشكوا الي اللعس • ظماي لو انه نفعا
صار عبد الله بالحور • وبطرف فاتر النظر • حكمه في انفس البشر
مثل حكم الصبح في الغلس • انجلي نوره صدعا
شبهته بالرشا الامم • فلعمري انهم ظلموا • فتغني من به السقم
ابن ظبي العفر والكنس • من غزالي الحشا رتعا
انتهي وله ايضا ما ردي لابس • نويا لفنا الدارس • الاقمر
في غصن مايس • شعاعه عاكس • ضوء البصر
اسير كالنبل لينه لاباع الاوداد • والطيف في جل هن اسراع مع الرقاد
يا كوكب الليل ان كنت ترتاع فلم فواد • كالاسد الباس • لكنه خانس
من الحور
ومن نظمه قصيدة مدح يحيي بن علي بن القاسم المذكور منها في المدح قوله
لو ان لسيا يحيا نعن الوري • كرم الطباع ولا جمال المستطر
وكلاهما جمعا ليحيي فليدع • كتمان نور علا بيرا المشتهر
في كل افق من جمال ثنا آيه • عرف يزيد علي دخان المجمر
ردني شمايله ورد في جوده • بين الحديقة والغمام الممطر
بدر عليه من الوقار سكينة • فيها السيطة كل ليث مخدر
مثل الحسام اذا انطوي في غمده • القي المهابة في نفوس الحضر
اربي علي المزن الملث لانه • اعطي كما اعطي ولم يستعبر

ومنها

اقبلت مرتادا الجود كانه • صوب الغمامة بل زلال الكوثر
ورايت وجه النجح عندك باديا • فركبت نحوك كل لج اخضر
وهي طويلة وقوله اربي علي المزن الملث البيت ومنه معني تلاعب الشعرا
بكرته • واوردوه كل منهم علي حسب مقدرته • فقال بعض
من قاس جدواك بالغمام فما • انصف في الحكم بين شيئين
انت اذا جدت ضاحك ابدا • وهو اذا جاد دامع العين

وقال اخر

ما نوال الغمام يوم ربيع • كنوال الامير يوم سخاء

فنوال الامير بدرة عين • ونوال الغمام قطرة ماء

ونحوها من شواهد البديع وقال ابو عبد الله الحوضي التلمساني في قصيدة مدح بها سلطان تلمسان ابا عبد الله الزياني •

اصبح المزن من عطايك يحكي • يوم الاثنين للانام عطا
كيف يدعي لذا الغمام شبيها • ولقد فقته سنا وسنا
انت تعطي اذا تقصر مالا • وهو يعطي اذا تطول ما

رجع وذكر العماد في الخريدة ابن بني المذكور واورد له جملة من المقطعات ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى وبني علي وزن علي رجع الى بني عباد رحمهم الله وقال ابن اللبانة في بني عباد ما نصه بما ذا اصفهم واحليهم • واي منقبة من الجلالة اوليهم • فهم القوم الذين تجل مناقبهم عن العدد والاحصا • ولا يتعرض لها بالاستيفا والاستقصا • ملوك زينت بهم الدنيا وتحلت • وترقت حيث شاءت وحلت • ان ذكرت الحروب فعليهم يوقف منها الخبر اليقين • او عدت المآثر فهم في ذلك في درجة السابقين • اصبح الملك بهم مشرق الغمام • والايام ذات بهجة وابتسام • حتى اناخ بهم الحمام • وعطل من محاسنهم الورا والامام فنقل الى العدم وجودهم • ولم يرع باسهم وجودهم • وكل ملك نادي فمفقود وما يوخر الا لاجل معدود • فاول ناشية ملكهم • ومحصل الامر تحت ملكهم عظيمهم الاكبر • وسابقة من فهم الاجل الاكبر • وزينهم الذي يعد في الفضايل بالوسطى والخنصر • محمد بن عباد • ويكنى ابا القاسم واسم والده اسماعيل ومن سنعش قوله • •

يا حبذا الياسمين اذ يزهر • فوق غصون رطيبة نضر
قد امتطى للجمال ذروتها • فوق بساط من سندس اخضر
كانه والعيون تر مقه • زمرد في خلاله جوهر

انتهى ولنذكر كلام ابن اللبانة وغيره في حقهم فنقول وصفا المعتضد رحمه الله تعالى في اقدام ايمن تقييد قدم • ولا عطل سيفه من قبض روح وسفك دم • حتى لقد كانت بباب داره حديقة لا تثمر الا روسا • ولا تنبت الا رئيسا ومروسا • فكان نظره اليها اشهى مقترحاته • وفي التلفت اليها استعمل جل بكره وروحاته • فبكى واراق وشتت وفرق ولقد حكي عنه من اوصافه التجبر ما ينبغي ان تصان عنه الاسماع ولا يتعرض له بتصريح ولا الماع • ومن نظمه عفي الله عنه

اتتك ام الحسن • تشدو بصوت حسن
تمد في الحانها • من الغناء المدني
تقود مني سلكها • كانني في رسن

اوزانها اشتارها • اذا شدت في فنن

وقوله رحمه الله

سرينا وجنح الليل يثقل كحله • بما اصباح والنسيم رقيق
معتنقة كالتبر اما نجارها • فضخم واما جسمها فرقيق

وقوله سامحه الله

قد وجدنا الحبيب يصفي وداده • وحمدنا ضميره واعتقاده
قرب الحب من فواد محب • لا يرى بحبه ولا ابعاده

وقال عند حصول رندة في ملكه •

لقد حصلت يا رنده • فصرت لملكنا عقده
افادتناك ارماح • واسياف لها حده

وقال رحمه الله

اشرب على وجه الصباح • وانظر الى نور الاقاح
واعلم بانك جاهل • ما لم تقل بالاصطباح
فالدهر شيء بارد • ما لم تسخنه براح

انتهى ومن حكايات المعتضد عباد ما ذكره غير واحد ان ابن جاخ الشاعر ورد على حضرته فدخل الدار المخصوصة بالشعرا فسالوه فقال اني شاعر فقالوا انشدنا من شعرك فقال •

اني قصدتك يا • عباد قصدا للغليق • بالجري للوادي

فضحكوا منه وازدروه فقال بعض عقلائهم دعوه فان هذا شاعر وما يبعد ان يدخل مع الشعرا ويندرج في سلكهم • فلم يبالوا بكلام الرجل وتنادروا على المذكور فبقي معهم وكان لهم في تلك الدولة يوم مخصوص لا يدخل فيه على الملك غيرهم وربما كان يوم الاثنين وقال بعض لبعض هذه شنعة بنا ان يكون مثل هذا البادي يتقدم علينا ويجتري على الدخول معنا فاتفقوا على ان يكون هو اول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان وقدروا ان يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ويكون ذلك حسما لعلة اقدام مثله عليهم فلما كان اليوم المذكور وقعد السلطان في مجلسه ونصب الكرسي لهم رغبوا منه ان يكون هذا القادم اول متكلم في ذلك اليوم فامر بذلك فصعد الكرسي وانتظروا ان ينشد مثل الشعر المضحك المتقدم فقال • •

قطعت يا يوم النوى اكبادي • وحرمت عيني لذيذ رقادي
وتركتني ارعى النجوم مسهدا • والنار تضرم في صميم فوادي
فكانما الالظلام السيئة • لا ينجلي الا الى ميعاد

لي بيتي بيتنا بين تنتقاد النوى • ابلى الذين تحملوا ابتعاد
ولرب خرق قد قطعت نياطه • والليل يرفل في ثياب حداد
بيتملة حرف كان ذ ميلها • سرح الرياح وكل برق قاد
والنجم يحدوها وقد ناديتها • يا ناقتي عوجي على عباد
ملك اذا ما اضرمت نار الوغى • وتلاقت الاجناد بالاجناد
فترى الجسوم بلا رؤس تنثني • وترى الرؤس لقى بلا اجساد
يا ايها الملك المؤمل والذي • قدما سما شرفا على الانداد
انا لقريض كاسد في ارضنا • وله هنا سوق بغير كساد
فجلبت من شعري اليك قوافيا • يفنى الزمان وذكرها متماد
من شاعر لم يطلع ادبا ولا • حطت يداه صحيفة بمداد

فقال له الملك انت ابن حاخ فقال الاطبش نعم فقال فقد وليتك رياسة الشعراء واحسن اليه ولم ياذن في الكلام في ذلك اليوم لاحد بعدك انتهى رجع الى اخبار بقية بني عباد المعتمد على الله عز وجل ابو القاسم محمد بن المعتضد ابي عمرو عباد رحمة الله تعالى عليه ملك مجيد • واديب على الحقيقة مجيد • وهمام يحلي بر الملك لبة وللنظم جيد • افنى الطغاة بسيفه واباد • وانسى بسيبه ذكر الحارث بن عباد • فاطلع ايامه في الزمان حجولا وغررا • ونظم معاليه في اجيادها جواهرا ودررا • وشيد في كل معلوة فناءه • وعمر بكل نادرة مشعرة وبادرة مستطرقة • اوقاته واناءه • فنفقت به للمحامد سوق • وبسقت ثمرة احسانه بسوق • منع وقرا • وراش وبرا • ووصل وقرا • وكان له من ابنائه عدة اقمار نظمهم نظم السلك • وزين بهم سما ذلك الملك • وكانوا معا قل بلاده • وحماة طارفه وتلاده • الى ان استعاد الزمان هباته • واخذ البؤس في قنابه • وامتز الخلاف وظهر • وسل الشنان سيفه وشهر • والمعتمد رحمه الله تعالى يطلب نفسه اثنا ذلك بالثبات • بين تلك النبات • والمقام في ذلك المقام • الى ان يذل العطب بالواقع • واتسع الخرق على الراقع فاستعضد بابن تاشفين فعوذ عليه خطابه يتيمن بالوفا • فما بالله فكرخاطره وفا وبث خلال تلك المدة للنزال • ودعا من رام حربه نزال • الى ان اصبح والحروب قد نهبته • والايام تسترجع منه ما وهبته • فثل في ذلك العرش • واعتدت الليالي حين امتنمن الارش • فنقل من صهوات الخيول الى بطون الاجفان • وهذه الدنيا جميع ما لديها زايل وكل من عليها فان • فما اغنت تلك المملكة ولا دفعت وليتها ما ضرت اذا لم تكن نفعت • وكل يلقى معجله ومؤجله • ويبلغ الكتاب اجله • قال الفقيه القاضي ابو بكر بن خميس رحمه الله تعالى حين ذكر

تاريخ بني عباد قد ذكر الناس للمعتمد من اوصافه ما لا يبلغ مع كثرته الى انصافه وانا الان اذكر نبذا من اخباره واردفها بما وقفت عليه من منظومات اشعاره فانه رحمه الله تعالى جم الادب رايقه • عالي النظم فايقه • كان يسمى محمد ويكنى بابي القاسم على كنية جده القاضي استبد بالامر عند موت ابيه المعتضد وفي ذلك يقول الحصري رحمه الله •

مات عباد ولكن • بقي الفرع الكريم
فكان الميت حي • غير ان الضاد ميم

قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ولم يزل المعتمد بخير الى ان كانت سنة ٤٧٥ ووصل اليهودي ابن شاليب لقبض الجزية المعلومة مع قوم من رؤسا النصارى وحلوا بباب من ابواب اشبيلية فوجه لهم المعتمد المال مع جماعة من وجوه دولته فقال اليهودي والله لا اخذت هذا العيار ولا اخذه منه الا مسعرا وبعد هذا العام لا اخذ الا اجفان البلاد ردوه اليه فرد المال الى المعتمد واعلم بالقصة فدعا بالجند وقال ايتوني باليهودي واصحابه واقطعوا احبال الخبا ففعلوا وجاؤا بهم فقال اسجنوا النصارى واصلبوا اليهودي الملعون فقال اليهودي لا تفعل وانا افتدي منك بزنتي مالا فقال والله لو اعطيتني العدوة والاندلس ما قبلتهما منك فصلب فبلغ الخبر النصراني فكتب فيهم فوجه اليه بهم فاقسم النصراني ان ياتي من الجنود بعدد شعر راسه حتى يصل الى بحر الزقاق وامير المسلمين يوسف ابن تاشفين اذ ذاك محاصر سبتة فجاز المعتمد اليه ووعده بنصرته ثم رجع وحث ملوك الاندلس على الجهاد ثم وصل ابن تاشفين فكانت غزوة الزلاقة المشهورة ورجع ابن تاشفين الى المغرب ثم جاز بعد ذلك الى الاندلس وتوهم ابن عباد انه اذا اخذ البلاد ياخذ اموالها ويترك الاجفان فعزم ابن تاشفين على ان يخلع ملوك الاندلس ودارت اذ ذاك مكايد جمة ثم وجه ابن تاشفين من سبتة الى المعتمد يطلب منه الجزيرة الخضرا وفيها ابنه يزيد فكتب اليه معتذرا عنها فلم يكن الا كلمح البصر واذا براية شراع قد اطلت على الجزيرة فطير ابنه الحمام اليه فامر باخلايها فظهر عند ذلك ابن تاشفين وقيل انه لم يجز المرة الاولى حتى طلب من المعتمد الجزيرة لتكون عدة له وكان ذلك بدسيسة بعض اهل الاندلس نصحا لابن تاشفين ثم شرع ابن تاشفين في خلع ملوك الاندلس وقتالهم وارسل الى كل مملكة جماعة من اهل دولته واجناده يحاصرونها وارسل الى حضرة المعتمد اشبيلية وشرع في قتالها والناس قد ملوا الدولة العبادية وسيموها على ما جرت به العادة من حب الجديد لا سيما وقد ظهر من ابن عباد من التهتك في الشرب والملاهي ما لا

يخفي امره فتمنى اكثر الناس الراحة من دولتهم ولما اشتد تخنق المعتمد وجه
عن النصارى فاعدلهم ابن تاشفين من لقيتهم في الطريق فهزمهم وجهز ابن تاشفين
القطايع لاشبيلية وجد في حصارها والمعتمد مع ذلك منغمس في لذاته وقد
القى الامور بيد ابنه الرشيد فلم يشعر ابن عباد الا والعسكر في البلد فافاق
من نومه وصحا من سكره وركب فرسه وحسامه في يده وليس عليه الا ثوب
واحد فوافق العسكر قد دخل من باب الفرج وهو في هذا الخطب الافضربه
بسيفه ضربة قسمه بها نصفين ففر الناس امامه ونزلوا من السور ووقف
حتى بنى الباب وفي ذلك يقول الابيات المذكورة فيما ياتي ان شاء الله وعاد القوم
العدى الى آخر فلما وصل الى الصباغين وجد ابنه مالكا مقتولا فاسترجع
له ودخل المنصر وزاد الامر بعد ذلك ودخل البلد من كل جهاته فطلب
الامان له ولمن معه فامن وجميع من له واعدت له مراكب واجتاز الى طنجة
فلقيه الحصري الشاعر وكان قد الف له كتاب المستحسن من الاشعار فلم
يقض بوصوله اليه الا وهو على تلك الحالة فلما اخذ المعتمد الكتاب قال للحصري
ارفع ذلك البساط فخذ ما تحته فوالله ما املك غيره فوجد تحته جملة ما فاخذه
ثم انتقل حتى وصل اغمات ولم يزل بها الى ان مات رحمه الله تعالى وقال الفتح
في ترجمته ما نصه ملك قمع العدى • وجمع الباس والندى وطلع على الدنيا
بدر هدى • لم يتعطل يوما كفه ولا بنانه • اوتن براعة واونة سنانه وكانت
ايامه مواسم • وثغوره بواسم • ولياليه كلها دررا • وللزمان حجولا وغررا
لم يغفلها من سمات عوارف • ولم يضحها من ظل ايناس وارف • ولا عطلها
من مائرة بقي اثرها باديا • ولقي معتفيه منها الى الفضل هاديا • وكانت حضرته
مطمحا للهمم • ومسرحا لامال الامم • ومقذفا لكل كمي • وموقفا لكل ذي انف
حمي • لم تخل من وفد • ولم يصح جوها من انسجام رفد • فاجتمع تحت لوائه من جماهير
الكماة • ومشاهير الحماة • اعداد يغص بهم الفضا • وانجاد يزهى بهم النفوذ والمضا
وطلع في سمائه كل نجم منتقد • وكل ذي فهم منتقد • فاصبحت حضرته ميدانا لرهان
الاذهان • ومضمارا لاحراز خصل في كل معنى وفضل • فلم يلتحق في زمامه الا
لبطل نجد • ولم ينتق في نظامه الا ذكا ومجد • فاصبح عصره احمل عصر • وغدا مصره
اجمل مصر • تسفح فيه ديم الكرم • ويفصح فيه لسان السيف والقلم • ويفضح الرضى
في وصفه ايام ذي سلم • وكان قومه وبنوه لتلك الحلبة زينا • ولتلك الجملة
عينا • ان ركبوا خلت الارض فلكا يحمل نجوما • وان وهبوا رايت الغمايم سجوما
واذا اقدموا احجم عنترة العبسي • وان فخروا افحم عرابة الاوسي • ثم انحرفت
الايام فالوت باشراقه • واذنت بانعدام اشراقه • فلم يدفع الرمح ولا الحسام

ولم تنفع

ولم تنفع تلك المنن الجسام • فتملك بعدما ملك • وحط من فلكه الى الفلك
فاصبح خافضا تحدوه الرياح • وناهضا يزجيه البكا والصياح • قد ضحت
عليه اباديه • وارتجت جواب ناديه • واضحت منازله قد بان عنها
الانس والحبور • والوت بهجتها الصبا والدبور • فبكت المزون عليه
دما • وعاد موجود الحياة عدما • وصار احرار الدهر فيه خدما • فسحقا
لدنيا ما رعت خفوقه • ولا اقتضت حقوقه • فكم اخنا بنيها • واتبرها
ذائقة لمجتنيها • وبني الايام لا تنفى من تجنيها • ولا تبقي على موالينها ومدانيها
اوترتنا نار حلق • واخرت نار المحلق • وذللت عزة ابن شداد • وهدمت
القصر ذا الشرفات من سنداد • ونعمت ببوس النعمان اليه الا وهو على تلك
الحالة فلما اخذ المعتمد الكتاب قال للحصري ارفع ذلك البساط فخذ ما تحته
فوالله ما املك غيره فوجد تحته جملة ما فاخذه ثم انتقل حتى وصل اغمات
ولم يزل بها الى ان مات رحمه الله وقال الفتح في ترجمته ما نصه • ملك
قمع العدى • وجمع الباس والندى • وطلع على الدنيا بدر هدى لم يتعطل
يوما كفه ولا بنانه • اونة براعه واونة سنانه • وكانت ايامه مواسم وثغوره
بواسم • ولياليه كلها دررا • وللزمان حجولا وغررا • لم يغفلها من سمات
عوارف • ولم يضحها في ظل ايناس وارف • ولا عطلها من مائرة بقي اثرها
باديا • ولقي معتفيه منها الى الفضل هاديا • وكانت حضرته مطمحا للهمم
ومسرحا لامال الامم • ومقذفا لكل كمي • وموقفا لكل ذي انف حمي • لم تخل من وفد
ولم يصح جوها من انسجام رفد • فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماة • ومشاهير
الحماة اعداد يغص بهم الفضا • وانجاد يزهى بهم النفوذ والمضا • وطلع
في سمائه • واكمنت غدرها له في طلب الامان انتهى ثم ذكر الفتح من اخبار
واشعاره ومجالس انسه وغير ذلك من امره نبذا ذكرنا بعضها في هذا الكتاب
وقال في ترجمة ابنه الراضي بالله ابي خالد يزيد بن المعتمد ما نصه • ملك تفرع
من دوحة سنا • اصلها ثابت وفرعها في السما • وتحدر من سلالة اكابر
ورقاة اسرة ومنابر • وتصرف اثناء شبيبته بين دراسة معارف • وافاضة
عوارف • وكلف بالعلم حتى صار مليح لسانه • ودوحة احسانه • لا يستريح منه
الى متن سابح العتق • ميمون الاسن • يسابق به الرياح • ويجاري به متن البدر الكياح
عربي في النسا • عتيق الاقنا سريع الوخد والارقال • من ال عوج او ولد العقال
الى ان ولاه ابوه الجزيرة الخضرا • وضم اليها رندة الغرا • فانتقل من متن
الجواد • الى ذروة الاعواد • واقلع عن الدراسة • الى تدبير الرياسة • وما
زال يدبرها بجوده ونهاه • ويورد الامل فيها مناه • حتى غدت عراقا وامتلات

استرقاقا • الى ان اتفق في امر الجزيرة ما اتفق • وخاب فيها الرجا واخفق
فاستحالت بهجتها • واحالت عليها من المحال لجتها • فانتقل الى رندة
معقل اشب • ومنزل للسماك منتسب • واقام فيها رهين حصار • ومهيض
جناح وانصار • ولقيت ريحه كل اعصار • حتى رمته سهام الخطوب عن قسيها
وامكنت منه يدي عصيتها • فحواه رمسه • وطواه عن غده امسه • حسبما بسطنا
القول فيه • فيما مر من اخبار ابيه • انتهى • والذي اشار اليه هنا واحال
عليه فيما تقدم له من اخبار المعتمد • ونحو قوله بعد حكايته قتل المامون
ابن المعتمد بقرطبة • وسياق اخبار ذلك مما نصه ثم انتقلوا الى رندة احدى
معاقل الاندلس الممتنعة • وقواعدها الشامخة المرتفعة • تطرد منها على بعد
مرتقاها • ودنو النجوم من ذراها • عيون لانصبابها دوي كالرعد الناصف والرياح
العواصف • ثم تتكون واديا يلتوي بجوانبها التواء الشجاع • ويزيدها في
التوعر والامتناع • وقد تجوفت بواطنها واقطارها • وتكونت فيها لبانانها
واوطارها • لا يتعذر لها مطلب • ولا يتصور فيها عدو ولا اعلقه ناب ومخلب
فلما اناخوا بها على بعد • واقاموا من الرجا فيها على غير وعد • وفيها ابنه الراضي
لم يحفل باذايتهم • ولا عدها من ازرايتهم • لامتناعه من منازلتهم • وارتفاعه
عن متطاولتهم • الى ان انقضى في امر اشبيلية ما انقضى • وافضى امر ابيه
الى ما افضى • فحمل على مخاطبته لينزل عن صياصيه • ويمكنهم من نواصيه
فنزل برابيه • وابقاء على ارماق ذويه • بعد ان عاقدهم مستوثقا • واخذ
عليهم عهدا من الله وموثقا • فلما وصل اليهم • وحصل في يديهم • مالوا به
عن الحسنى وجرعوه الردى • واقطعوه الثرى حين اودى • وفي ذلك يقول
المعتمد يرثيهما وقد راى قمرية باكية • تسجعها ناحية بفنيها • على سكنها • وامامها
وكر فيه طايران يرددان نغما • ويغردان ترجعا وترنما

بكت ان رات الفين ضمهما وكر • مساء وقد اخنى على الفها الدهر
وناحت فباحت واستراحت بسرها • وما نطقت حرفا يبوح به سر
فمالي لا ابكي ام القلب صخرة • وكم صخرة في الارض يجري بها نهر
بكت واحدا لم يشجها غير فقده • وابكي لالاف عديدهم كثر
بني صغير او خليل موافق • يمزق ذا قفر ويغرق ذا بحر
ونجمان زين للزمان احتواهما • بقرطبة النكدا او رندة القبر
غدرت اذا ان ضن جفني بقطرة • وان لومت نفسي فصاحبها الصبر
فقل للنجوم الزهر يبكينهما معي • لمثلهما فلتحزن الانجم الزهر

انتهى وقال في ترجمة الراضي ما صورته وكان المعتمد رحمه الله تعالى كثيرا ما يرميه

بلاده

بلاده • ويعميه بسهامه • فربما استلطفه بمقال افصح من دمع المحزون
واملح من روض الحزون • فانه كان ينتظم من بدائع القول لآلي وعقودا • تسل
من النفوس سخايم وحقودا • وقد اثبت من كلامه في بث الامه • واستجارة عذله
وملامه • ما يستبدعه ويخلده الحسن ويودعه • فمن ذلك ما قاله وقد انهض جماعة
من اخوته واقعده • واذناهم وابعده

اعيذك ان يكون بنا خمول • ويطلع غيرنا ولنا افول
حنانك ان يكن جرمي قبيحا • فان الصفح عن جرمي جميل
الست بفرعك الزاكي وماذا • يرجى الفرع خانته الاصول

ثم قال الفتح بعد كلام ومرت عليه يعني الراضي هوادج وقباب • فيها احباب
كن له واحباب • المعتز ايام خلا بهن من دولته • وجال معهن في ميدان المنى اعظم
جولة • ثم انتزعوا منه بعد • واودعوا الهوادج من بعد • ووجهوا هدايا
الى العدو • والموا الهلا المام قريش بدار الندوة فقال

مروا بنا اصلا من غير ميعاد • فاوقدوا نار شوقي اي ايقاد
واذكروني اياما لهوت بهم • فيها ففازوا بايثاري وانجادي
لا غرو ان زاد في وجدي مرورهم • فرؤية الما تذكي غلة الصادي

ولما وصل العدو لورقة اعلمنا ان العدو قد جيش اليها واحتشد • ونهد نحوها
وقصد • ليتركها خاوية على عروشها • طاوية الجوانح على وحوشها • فتعرض له
العدو دون بغيته • وطلع له من ثنيته • وامر الراضي بالخروج اليه في عسكر
جرده لمحاربته • واعده لمصادمته ومضاربته • فاظهر التمارض والتشكي
واظهر التقاعس والتلكي • فرارا من المصادمة • واحجاما عن المساورة
وجزعا عن منازلة الاقران • ومقابلة ذوابل المران • ومعاناة الطعان
وملاقاة ابطال الفرسان • وراى ان المطالعة • اربح من المقارعة • ومعاناة
العلوم • اربح من مداواة الكلوم • فقد كان عاكفا على تلاوة ديوان عارفا
باجادة صدر وعنوان • فعلم المعتمد ما نواه • وتحقق ما لواه • فاعرض
عنه • ونفض يده منه • ووجه المعتمد مع ذلك الجيش الذي لم تنتثر بنوده
ولا انفرت جنوده • فعندما لاقوا العدو لاذوا بالفرار • وعادوا باعطا
الغرة بدلا من الفرار • وتفرقوا في تلك الافاريت • وفرقوا من تخطف
اولئك العفاريت • فتحيف العدو من بقي مع المعتمد واهتضمه • وخضم
ما في العسكر وقضمه • وغدت مضاربه مجر عواليه • ومجرى مذاكيه • واب
اخسر من بايع السعادة • ومضيع الامانة • فانطبقت سما المعتمد على ارضه
وشغلته عن اقامة نوافله وفرضه • فكتب اليه الراضي

لا يكرثنك خطب الحادث الجاري • فما عليك بذاك الخطب من عار
ماذا علي وإن ضيم امضى عزيمته • ان خان حد انياب واظفار
ليزأرونك فمن حين ومن خور • قد ينهض العير نحو الضيغم الضاري
عليك للناس أن تبغي لنصرتهم • وما عليك لهم اسعاد اقدار
لو يعلم الناس فيما أن تدوم لهم • بكوا لانك من ثوبيه الصبي عار
ولو اطاقوا انتقاصًا من حياتهم • لم يتحفوك بشيء غير اعمار

فحجب عنه وجه رضاه • ولم يستنزله بذلك ولا استرضاه • وتمادى على اعراضه وقعد عن اظهاره وانهاضه • حتى بسطته سوانح التسلي • وعطفته عليه جوانح الحنو • فكتب اليه بهزل • غلب فيه كل منزع جزل ومنو •

الملك في طي الدفاتر • فتخل عن قود العساكر
طف بالسرير مسلمًا • وارجع لتوديع المنابر
وارضَ الجيش المعارف • تقهر الجيش المغامر
واطعن باطراف اليراع • نصرت في ثغر المحابر
واضرب بسكين الدواة • مكان ماضي الحد باتر
اوليس رسطاليس اذ • ذكرا الفلاسفة الاكابر
وابو حنيفة ساقط • في الراي حين تكون حاضر
وكذاك ان ذكر الخليل • فانت نحوي وشاعر
من هرمس من سيبويه • من ابن فورك اذ تناظر
هذي المكارم قد حويت • فكن لمن حاباك شاكر
واقعد فانك طاعم • كاس وقل هل من مفاخر
لججت وجه رضاي عنك • وكنت قد تلقاه سافر
اولست تذكر وقت لو رقة • وقلبك ثم طائر
لا يستقر مكانه • وابوك كالضرغام خادر
هلا اقتديت بفعله • واطعته اذ ذاك آمر
قد كان يجري بالعواقب • والموارد والمصادر

فكتب اليه الراضي مراجعًا بقطعة منها

مولاي قد اصبحت كافر • بجميع ما تحوي الدفاتر
وفللت سكين الدواة • وظلت للاقلام كاسر
وعلمت ان الملك ما • بين الاسنة والبواتر
والمجد والعلياء في • ضرب العساكر بالعساكر
لا ضرب قوال بافتوا • ل صنيعات مناكر
قد كنت احسب من سفاه • انها اصل المفاخر
فاذا انتهيا فرع لها • والجهل للانسان عاذر
لا يذرك الشرف الفتى • الا بعامل وباتر
ونحوت من سميتهم • ووجدت انهم اكابر
لو كنت تهوى ميتتي • لوجدتني للعيش هاجر
ضحك الموالي بالعبيد • اذا تومل غير ضائر
اذ كان لي فضل فمنك • وهل لذاك النور ساتر
او كان لي نقص فمني • غيرانا الفضل غامر
ذكرت عندك ساعة • يبقى لها ما عاش ذاكر
يا ليته قد غيبته • عندها احدى المقابر
اتريد مني ان اكون • لمن غدا في الدهر قادر
هيهات ذلك مطمع • يعيي الاوائل والاواخر
لا تنس يا مولاي قولة • ضارع لا قول فاخر
ضبط الجزيرة عندما • نزلت بعقوتها العساكر
ايام طلت بها فريدًا • ليس غير الله ناصر
اذ كان يغشى ناظري • لمع الاسنة والبواتر
ويصم اسماعي بها • قرع الحجارة بالحوافر
ونبي الحضيض سهولة • لكن نبت بها مخاطر
هبني اسأت كما اسأت • اما لهذا العتب آخر
هب زلتي لبنوتي • واغفر فان الله غافر

فقربه وادناه • وصفح عما كان جناه • ولم تزل الحال الاخذة في البوار والانحلال مقبلة اقبال حب الفرزدق للنوار • حتى مضوا لغير طيته • وقضوا بين الصوارم والرماح الخطية • حسبما سردناه • وعلى ما اوردناه • واذا اراد الله امرًا فلا مرد له • ولا معقب لحكمه • لا اله الا هو رب العالمين انتهى كلام الفتح وعلى الجملة فكانت دولة بني عباد • بالاندلس من ابهج الدول في الكرم • والفضل والادب • حتى قال ابن اللبانة رحمه الله ان الدولة العبادية بالاندلس اشبه شيء بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم وجمع فضائل • ولذلك الف فيها كتابًا مستقلًا سماه الاعتماد في اخبار بني عباد ولا يلتفت لكلب عقور نبح بقوله •

مما يزهدني في ارض اندلس • اسماء معتضد فيها ومعتمد
القاب مملكة في غير موضعها • كالهر يحكي انتفاخًا صورة الاسد

لان هذه مقالة متعسف كافر للنعم • ومثل ذلك في حقهم لا يقدح وما زالت الاشراف تهجى وتمدح والمعتمد اولاد ملوك منهم المامون والرشيد والراضي والمعتمد وغيرهم وقد سرد تاخر بعضهم وكان الداني المذكور مائلا الى بني عباد بطبعه • وله فيهم المدائح الانيقة • التي اذكى من زهر الحديقة • فمن ذلك قوله من قصيدة يمدحه بها ويذكر اولاده الاربعة • الذين عمروا من المجد اربعة وهم الرشيد عبيد الله والراضي يزيد والمامون والموتمن • وكانوا نجوم ذلك الافق وغيوث ذلك الزمن • ولقد اجاد في ذلك كل الاجادة • واطال المجد هم نجاده

بعيشك في محل يمينك في ردي • يروعك في درع يروقك في برد

جمال وجمال وسبق وصولة • كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد

بمهجته شاد العلى ثم زادها • بنا بانيا حجاجه لد •

بادنية مثل الطباع تركبوا • لتعديل ذكر المجد والشرف العد

والمامون بن المعتمد قتل لمتونة بقرطبة والراضي يزيد قتلوه برندة كما ستنا خبره انشا وفي حالتهم هذه يقول الشاعر المشهور عبد الجبار بن حمديس الصقلي

كما ستنا خبره انشا وفي حالتهم هذه يقول الشاعر المشهور عبد الجبار الصقلي

ولما رحلتم بالندى في اكفكم • وقلقل رضوى منكم وثبير

رفعت لساني بالقيامة قد دنت • فهذي الجبال الراسيات تسير

وفي قضية المعتمد يقول الداني المذكور

لكل شي من الاشياء ميقات • وللمنى في مناياهن غايات

والدهر في صفة الحربا منغمس • لوان حالاته فيها استحالات

ونحن من لعب الشطرنج في يده • وطالما قرت بالبيذق الشاة

انفض يديك من الدنيا وزينتها • فالارض قد اقفرت والناس قد ماتوا

وقل لعالمها الارضي قد كتمت • سريرة العالم العلوي اغمات

وهي طويلة ذكرها الفتح وغيره وللداني ايضا قصيدة عملها في المعتمد ونوبا بغمات سنة ٤٨٦ •

تنشق ريحانا السلام فانما • افض به مسكا عليك مختما

وقل لي مجازا ان عدمت حقيقة • لعلك في نعمى فقد كنت منعما

افكر في عصر مضى بك مشرقا • فيرجع ضوء الصبح عندي مظلما

واعجب من افق المجرة اذ راى • كسوفك شمسا كيف اطلع انجما

لئن عظمت فيك الرزاية اننا • وجدناك منها في الرزية اعظما

قناة سعت للطعن حتى تقصمت • وسيفا اطال الضرب حتى تثلما

ومنها

بكي

200

• بكى آل محمود ولا كمحمد • واولاده صوب الغمامة اذ هما

حبيبا الى قلبي حبيب وقومه • عسى طلل يدنو بهم ولعلما

صباحهم كنا به نحمد السرى • فلما عدمناهم سرينا على عما

وكنا رعينا العز حول حماهم • فقد اجدب المرعى وقد اقفر الحما

وقد البست ايدي الليالي محلهم • سابيج سدى الغيث فيها والحما

قصور خلت من ساكنيها فما بها • سوى الادم تمشي حول واقفة الدما

يجيب بها الهام الصدى ولطالما • اجاب القيان الطائر المترنما

كان لم يكن فيها انيس ولا التقا • بها الوفد جمعا والخميس عرمرما

ومنها

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا • ومن ولهي احكي عليك متمما

مصاب هوى بالنيرات من العلى • ولم يبق في ارض المكارم معلما

تضيق على الارض حتى كانما • خلقت واياها سوارا ومعصما

ندبتك حتى لم يخل لي الاسى • دموعا بها ابكي عليك ولا دما

واني على رسمي مقيم وان امت • ساجعل للباكين رسمي موسما

بكاك الحيا والريح شقت جيوبها • عليك وناح الرعد باسمك معلما

ومزق ثوب البرق واكتست الضحى • حدادا وقامت انجم الجو ماتما

وحار ابنك الاصباح وجدا فما اهتدى • وغار ابوك البحر غيضا فما طما

وما حل بدر التم بعدك دارة • ولا اظهرت شمس الظهيرة مبسما

قضى الله ان حطوك عن ظهر اشقر • بشم وان امطوك اشام ادهما

وكان قد انفكت عنه القيود فاشار الى ذلك بقوله فيها •

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت • قيودك منهم بالمكارم ارحما

عجبت لان لان الحديد وان قسوا • لقد كان منهم بالسريرة اعلما

سينجيك من نجى من السجن يوسفا • ويؤويك من اوى المسيح ابن مريما

ولابي بكر الداني المذكور في البكا على ايامهم • وانتثار نظامهم • عدة مقطوعات وقصايد هي قرة عين الطالب • وبغية الراغب • وقد اشتمل عليها جزء لطيف • صدر عنه في هيئة تصنيف • سماه السلوك • في وعظ الملوك • ووفد على المعتمد ونوبا بغمات عدة وفادات لم يخل في جميعها من افادات وقال في احدها هذه وفادة وفا لا وفادة اجتدا • قال غيره واحد من النادر الغريب ان نودي في جنازته الصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه • وسعة اوطانه وكثرة صقالبته وحبشانه • وعظم امره وشانه • فتبارك من له العزة والبقا والدوام • واجتمع عند قبره جماعة من الاقوام • الذين لهم في الادب حصة

حلة م

ولفضيلة المعتمد في صدورهم غصة • ومنهم البالغ في البلاغة الامد • شاعر ابو بحر عبد الصمد • وكان به حضيضا • وكم الميسة من بيت قيصا • فقال من قصيدة طويلة اجاد فيها ما شا • وجلب بها الى نفس الحاضرين بعد الانس ايحاشا مطلعها •

ملك الملوك اسامع فانادي • ام قد عدتك عن السماع عوادي

ومنها

لما خلت منك القصور ولم تكن • فيها كما قد كنت في الاعياد
قبلت في هذا الثرى لك خاضعا • وجعلت قبرك موضع الانشاد

فلما بلغ من انشاده • الى مراده • قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده • فبكى كل من حضر • وحدقه ذلك عن سرور العيد وصده • اذ كانت هذه القصة يوم عيد • فسبحان المبدي المعيد ويحكى ان رجلا راى في منامه اثر الكاينة على المعتمد بن عباد • كان رجلا صعد منبر جامع قرطبة فاستقبل الناس وانشد هذه الابيات متمثلا •

رب ركب قد اناخوا عيسهم • في ذرى مجدهم حين بسق
سكت الدهر زمانا عنهم • ثم ابكاهم دما حين نطق

وعاش ابو بكر بن اللبانة المعروف بالداني المذكور انفا بعد المعتمد وقدم ميرقة اخر شعبان سنة ٤٨٩ ومدح ملكها مبشر بن سليمان بقصيدة

مطلعها •

ملك يروعك في حلى ريعانه • راقت برونقه صفات زمانه

وانه هذا من امداحه في المعتمد وتذكرت مما من احوال الداني انه دخل على ابن عمار في مجلس فاراد ان يندر به وقال له اجلس يا داني بغير الف فقال له نعم يا ابن عمار بغير ميم ومن هذا نمو الغاية في سرعة الجواب والاخذ بالثار في المزاح ونظيره وان كان من باب اخر ان المعتمد مع وزيره ابن عمار ببعض ارجا اشبيلية فلقيتهما امراة ذات حسن مفرط فكشفت وجهها وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحيا وكان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون به الجبس والجيارين الصانعين للجير باشبيلية فالتفت المعتمد الى موضع الجيارين ففهم مراده وقال في الحال يا مولاي والجباسين فلم تفهم الحاضرون المراد وتحيروا فسالوا ابن عمار فقال لهم المعتمد لا ابتغها منهم الاغالية وتفسيرها ان ابن عباد صحف الجيارين بقوله الحيا رين اشارة الى ان تلك المراة لو كان لها حيا لازدانت فقال له والجباسين وتصحيفه والخناسين اي هي وان كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخنا شانها وهذا شاو لا يلحق ومن اخبار المعتمد انه جلس يوما والبزاة تعرض عليه فاستحسا الشعرا في وصفها فصنع ابن وهبون بديها

للعقيد

للصيد قبلك سنة ماثورة • لكنها بك ابدع الاشياء
تمضي البزاة وكلما امضيتها • عاطيتها بخواطر الشعراء

فاستحسنها واسنى جايزته • وذكر ابن بسام ان ابا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد يوما وقد حمل اليه حمول وافرة من قراريط الفضة فامر له بكيسين منها وكان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها جمل مرصع بالذهب واللالي فقال له ابو العرب معرضا ما يحمل هذين الكيسين الا جمل فتبسم المعتمد وامر له به فقال ابو العرب بديهتها

اندبتني حملا جودا فاشفعت به • حملا من الفضة البيضا لو حملا
نتاج جودك في اعطان مكرمة • لا قد تصرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشاني فشاني كله عجب • رفهتني فحملت الحمل والجملا

وذكر الحجاري هذه القصة فقال قعد المعتمد في مجلس احتفل في تنضيده واحضار الطرايف الملوكية وكان في الجملة تمثال جمل من بلور وله عينان من ياقوتتين • وقد حلي بنفايس الدر فانشده ابو العرب قصيدة فامر له بذهب كثير مما كان بين يديه من السكة الجديدة فقال معرضا بذلك الجمل ما يحمل هذه الصلة فقال خذ هذا الجمل فانه حمال فانتقل فارتجل شعرا منه رفهتني فحملت الحمل والجملا وذكر ان ذلك الجمل بيع بخمسماية مثقال فسارت بهذا الخبر الركايب وتهادته المشارق والمغارب • وتباحث المعتمد مرة مع الجلسا في بيت المتنبي الذي زعم انه ابرع شعره

ازورهم وسواد الليل يشفع لي • وانثني وبياض الصبح يغري بي

فقال ما قصر في مقابلة كل لفظة بضدها الا ان فيه نقدا خفيا فتفكروا فيه فلما ذكروا قالوا له ما وقفنا على شي فقال الليل لا يطابق الا بالنهار لان الليل كلي والصبح جزي فتعجب الحاضرون واثنوا على تدقيق انتقاده قال الصفدي قلت ليس هذا بنقد صحيح والصواب مع ابي الطيب لانه قال ازورهم وسواد الليل يشفع لي • فهذا محب يزور احبابه في سواد الليل خوفا ممن ينمي بهم فاذا لاح الصبح اغرى به الوشاة ودل عليه امثال النميمة والصبح اول ما يبدو من قبل النهار وعادة الزاير المريب ان يزور ليلا وينصرف عند انبجار الصبح خوفا من الرقبا ولم تجر العادة ان الخايف ينلبث الى ان يتضح النهار ويملى الافق نورا فذكر الصبح هنا اولى من ذكر النهار والله اعلم انتهى قلت كان يختلج في صدري ضعف ما قال الصفدي حتى وقفت على ما كتبه البدر البشتكي من خطه نقلت ما صورته هو ما انتقد عليه المعنى انما انتقد مطابقة الليل بالصبح فان ذلك فاسد انتهى فحمدت الله على الموافقة انتهى وقال في بدايع البداية جلس المعتمد للشرب وذلك في وقت مطر اجرى كل وهدة نهرا • وحلى جيد كل غصن من الزهر جوهرا • وبين يديه جارية تسقيه

١٤١١

ونحن تقابل وجهها بنجم الكاس في راحة كالثريا • تخجل الزهر بطيبها العرف والريا • فاتفق ان لعب البرق بحسامه • واجال سوط المذهب ببوقه كلمه وكامه • فارتاعت لخطفته • وذعرت من خيفته • فقال المعتمد بديهها

روّعها البرق وفي كفها • برق من القهوة لماع

عجبت منها وهي شمس الضحى • كيف من الانوار ترتاع

فاستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسي وانشده الاول مستجيزا فقال عبد الجليل

ولن ترى اعجب من آنس • من مثل ما يمسك يرتاع

فاستحسنه وامر له بجائزة قال ابن ظافر وبيته عندي احسن من بيت المعتمد انتهى وقال ابن بسام كان في قصر المعتمد فيل من فضة على شاطي بركة يقذف الما وهو الذي يقول فيه عبد الجليل بن وهبون من بعض قصيدة

ويفرع فيه مثل النصل بدع • من الافيال لا يشكو ملالا

رعي رطب اللجين فجاء صلدا • تراه قلما يخشي هزالا

فجلس المعتمد يوما على تلك البركة والما يجري من ذلك الفيل وقد اوقدت شمعتان من جانبيه والوزير ابو بكر بن الملح عنده فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بدايع

منها

ومشتعلين من الاضواء قد قرنا • بالما والماء من الدولاب منزوف

لاحا لعيني كالنجمين بينهما • خط المجرة ممدود ومعطوف

وقال ايضا

كانما النار فوق الشمعتين سنى • والماء من نفذ الانبوب منسكب

غمامتان تحت جنح الليل هامعة • في جانبيها خفاف البرق يضطرب

وقال

وانبوب ما بين نارين ضمنا • هوى لكئوس الراح تحت الغياهب

كان اندفاع الما بالماء حية • يحركها في الماء لمع الحباحب

وقال ايضا

كان سراجي شمعهم في التظايها • وانبوب ما الفيل في سيلانه

كريم تولى كبتي من كلاهما • ليمانه في انفاقه بعد لانه

ولما مات والد المعتمد واستقل بالملك قال ذو الوزارتين ابن زيدون يرثي المعتضد بقصيدة طويلة اولها •

هو الدهر فاصبر للذي احدث الدهر • فمن شيم الاحرار في مثلها الصبر

ستصبر صبر الياس او صبر حسبة • فلا تؤثر الوجه الذي معه الوزر

حذار من ان يعقب الرزء فتنة • يضيق لها عن مثل ايمانك العذر

اذا اسف

اذا اسف الثكل اللبيب فشفه • رأى ان فرط الثكل ان يذهب الاجر

مصاب الذي يأسي بموت ثوابه • هو البرح لا الميت الذي احرز القبر

حياة الورى نهج الى الموت مهيع • لهم فيه ايضاع كما يوضع السفر

ومنها

اذا الموت اضحى قصد كل معمر • فان سواء طال او قصر العمر

الم تر ان الدين ضيم ذمامه • فلم يغن انصار عديد ولا دثر

بحيث استقل الملك ثاني عطفه • وجرد من اذياله العسكر المجر

هو الضيم لو غير القضا يرومه • ثناه المرام الصعب والمسلك الوعر

اذا عزت جرد المناجيب في القنا • باثيل مجاج ليس يقيد عنه فخر

ومنها

اعباديا اوفى الملوك لقد غدا • عليك زمان من سجيته الغدر

الى ان قال بعد ابيات كثيرة •

الا ايها المولى الوصول عبيده • لقد رابنا ان يتلو الصلة الهجر

يناديك داعينا السلام كعهده • فما يسمع الداعي ولا يرفع الستر

اعتب علينا ذا دعن ذلك الرضى • فنستعتب ام بالمسامع المعتلي وقر

ومنها

وكيف بنسيان وقد ملئت يدي • جساما ايادٍ منك اشيرها الوفر

وان كنت لم اشكر لك المنن التي • تمليتها تترى فلا ينفع الشكر

فهل علم الشلو المقدس انني • مسوّغ حال الحال في كنهها الوفر

وان منافي لم بضيعه محمد • خليفتك العدل الرضي وابنك البر

هو الظافر الاعلى المؤيد بالذي • له في الذي وفاه من صنعه ستر

له في اختصاصي ما رايت وزادني • مزية زلفى من نتايجها الفخر

وارغم في بري انوف عصابة • لقاؤهم جهم ولحظهم شزر

اذا ما استوى في الدست عاقد حبوة • وقام سماطا حفله فلي الصدر

وفي نشيه العلياء لي متبوأ • يناجيني فيه السما كان والنسر

ومنها

لك الخير ان الرزء كان غيابة • طلعت لنا فيها كما طلع البدر

فقرت عيون كان اسخنها البكا • وقرت قلوب كان زلزلها الذعر

ومنها

ولما قدمت الجيش بالامس اشرقت • اليك من الامال آفاقها الغبر

تقضيت من فرض الصلاة لبانة • فشيعها نسك وقارنها طهر

ومن قبل ما قدمت مثني نوافل • يلاقي بها من صام من غير فطر
ورحت الي المقر الذي عض طرفه • بعيد التنا يحات غدا غير المقصر
واجمل عن التناوي العزاء فانني • فانك لا الوافي ولا الفزع البحر
وما اعطت السبعون قبل اولي الحجا • من الاب ما اعطاك عزوك والنمر
الست الذي ان ضاق ذرع بحادث • تبلج منه الوجه واتسع الصدر
فلا نهض الدنيا جاحك بعده • فنك لمن هاصت نوايبها جبر
ولازلت موفورا العديد بيتره • لعبيبك مسند وذا بهم ذلك الازر
فانك شمس في سماء رياسة • تطلع منهم حولنا انجم زهر
شككنا فلم نثبت لايام دهرنا • بها وسن ام هز اعطافها سكر
وما ان تعشتها مغازلة الكري • وما ان تمشت في معاطفها الخمر
سوي نشوات من سجايا مملك • تصدق في علياتها الخبر الخبر
اري الدهر ان يبطش فانت يمينه • وان تضحك الدنيا فانت لها الثغر
وكم سايل بالغيب عنك اجبته • هناك الايادي الشفع والسودد الوتر
هناك التقي والعلم والحلم والنهي • وبذل اللهي والباس والنظم والنثر
همام اذا لاقي المناجز رده • واقبال خطر واد باره حضر
محاسن ما للروض سامه الندي • رواها اذا نصت حلاها ولا نشر
متي تستنفقت لم تزد دارين مسكها • حياء ولم تفخر بعنبرها الشحر
عطا ولا من وحكم ولا هوي • وحلم ولا عجز وعز ولا كبر
قد استوفت النعما فيك تمامها • علينا فمنا الحمد لله والشكر

وكتب ابن زيدون المذكور الي المعتمد رحمهما الله يشرفه الي تعاطي الحميا في قضون البديعة التي بينهما المبارك والثريا •

فزنا النجاح واحرز الاما لا • وخذ المني وتنجز الاما لا
وليهنك النايبدو الظفر الذي • صدقاك في السمة العلية فالا
يا ايها الملك الذي لولاه لم • نجد العقول الناشدات كمالا
اما الثريا فالثريا نسبة • وافادة واضافة وجمالا
قد شاقها الاغباب حتي انها • لو تستطيع سرت اليك خيالا
دفرودوكها التنعم راحة • واطل مزاركها لتنعم بالا
وتامل القصر المبارك وجنة • قد وسطت فيها الثريا خالا
وادر هناك من المدام كووسها • واتمها واسقها جريالا
فضريترا المثني منه مستمتع • يهج الجوابنلو مشي لاختا الا
لا زلت تفترش السرور وتحتذي • فيه وتلتحف النعيم ظلالا

واهدي

واهدي اليه تفاحا واعتقد ان يكتب معه قطعة فبدا بها ثم عرض له غيرها فتركها ثم ابتدا •

دونك الراح جامدة • وفدت حيز واقدة
وجدت سوق ذوبها • عندك اليوم كاسده
فاستحالت الي الجمود • وجاءت مكايده

وكتب الي المعتمد

ايها الظافر نلت المني • ولا اتانا فيك محذور
ان الحلا الازهر قد ضمها • ثوب عليك الدهر مزرور
لا زال للمجد الذي شدته • ربع بتعميرك معمور
وافاك نظم لي في طيه • معنني معني اللفظ مستور
مرامه يصعب ما لم يبح • بالسر قمري وشحرور
وذكر ابيا تا فيها اسماطيور وعمي بها عن بيت طير فيها والبيت المطير فيه
انت ان تغز ظافر • فليطع من ينافر

فنكه المعتمد وجاوبه

يا حيز من يلحظه ناظري • شهادة ما شانها زور
ومن اذا اخطب دجا ليله • لاح به من رايه نور
جاءتني الطير التي سرها • نظم به قلبي مسرور
سحرهو السحر فلا تنكروا • اني به ما عشت مسحور
اللفظ والقرطاس ان شبها • قيل هما مسك وكافور
مني لحسن الطير من فكرتي • صفر قولي وهو مغفور
ولاح لي بيت فوادي له • دايا علي ودك مقصور
حظك من شكري يا سيدي • حظ لنا لي منك موفور
قصرت في نظمي فاعذر فمن • ضاهاك في التقصير معذور
فانت ان تنظم وتنثر فقد • اعوز منظوم ومنثور
لا يعدكم روض من الحظ بينه • الاكرام والترفيع ممطور

فكتب اليه ابن زيدون

حظي من نعماك موفور • وذنب دهري بك مغفور
وجا بني ان رامه ازمة • حجر لدي ظلك محجور
يا ابن الذي سرب الهدي امن • مذ انبري يحميه مخفور
وامر الدهر الذي لم يزل • يضيء لي لينه منه مامور
البيتك الدهر اسني الحلي • نظام منحاه مستصور

قام وفي المانور يا من له • يجمع الايام ما نور
عبدك انا كثر من شكره • وهو مما توليه ما مشكور
ان نقعن تقصيّن منهما • فالبشر ان يقبل معذور
انخلا لا لستر ان صنعته • في صحف الانس مسطور
نظم زها في منه اذ جاءني • علق عظيم القدر مذخور
لا عزو انا فتر اذ لاحظت • فكري منه اعين حور
تنم عن معناه الفاظه • كا وشي بالراح بلور
جملت اذ عارضته غيرات • لا بد ان ينفث مصدور
يا آل عباد سوا لانكم • ذاك من الاعمال مبرور
انا الذي يرجو انوارا تكم • من المنا ومن لعثرور
مكانه منكم كا الخفض عن • منزلة المرفوع مجرور
لا زلتم في غبطة ما انجلي • عن فلق الاصباح ديجور
ولا يزل يجري بما شئتم • اعمار كم انه مقدور

وكتب المعتمد الي ابن زيدون بغداد فك منعي كتب اليه ابن زيدون ما صورته

العيش بعدك تقذي • بكل شيء فتراه
فليخل شخصك عنها • ما بالمعيب جناه

وقد قدمنا من كلام ابن الوليد بن زيدون رحمه الله تعالى ما فيه كفاية.

رجع الي بني عباد وقال ابن حمديس لما قدمت وافدا علي المعتمد بن عباد استدعا
وقال افتح الطاق فاذا بكير زجاج والنار تلوح من بابيه وواقدة يفتحهما
تارة ويسدهما اخرى ثم ادام سد احدهما وفتح الآخر فحين تاملتهما قال لي اجز

انظر اليهما في الظلام قد نجما • فقلت
كما رنا في الدجنة الاسد • فقال
يفتح عينيه ثم يطبقها • فقلت
فعل امرئ في جفونه رمد • فقال
فابتزه الدهر نور واحدة • فقلت
وهل نجا من صروفه احد • فاستحسن ذلك واطربه وامر لي بجائزة

والزمني الخدمة وعلي ذكر ابن حمديس فما احسن قوله

اذا ذكرت في الامواج بحرا • عظيما ليس يؤمن من خطوبه
تسير فلكه شرقا وغربا • وتدفع من صباه الي جنوبه
واصعب من ركوبي البحر عندي • امور الجاتك الي ركوبه

ولغيره

انا بن ادم

انا بن ادم طين • والبحر ماء يذيبه
لولا الذي فيه تيلي • ما جاز عندي ركوبه

وقال ابن حمديس في هذا المعني •

لا اركب البحر اخشي • علي منه المعاطب
طين انا وهو ماء • والطين في الماء ذائب

رجع الي بني عباد رحمهم الله قال ابن بسام اخبرني الحكيم النديم المطرب ابو بكر
ابن الاشبيلي قال حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير ابو بكر ابن
عمار • فلما دارت الكاس • وتمكن الانس • وغنيت اصواتا ذهبنا للطرب بابن عمار
كل مذهب • فارتجل يخاطب الرشيد •

ما ضر ان قيل اسحاق وموصله • ها انت انت وذي حمص واسحاق
انت الرشيد فدع من قد سمعت به • وان تشابه اخلاق واعراق
لله درك داركها مشعشعة • واحضر بساقيك ما قامت بنا ساق

وكان الرشيد هذا احد اولاد المعتمد النجبا وله اخبار في الكرم تقضي للناظر فيها
من امرها عجبا ثم وكذلك اخوته وقد المعنا في هذا الكتاب بجملة من محاسنهم واهم
اعتماد الملقبة بالرميكية بني التي ترجمنا ها في هذا الموضع واقتضت المناسبة
بعض ما ذكرناه من امر بني عباد فلنعد الي ما كنا بصدده من اخبارها رحمها الله
فنقول قال ابن سعيد في بعض مصنفاته • كان المعتمد كثيرا ما يانس بها ويستطرف
نوادرها ولم تكن لها معرفة بالغنا وانما كانت مليحة الوجه • حسنة الحديث
حلوة النادر • كثيرة الفكاهة لها في كل ذلك نوادر محكية • وكانت في عصرها
ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن وهي ابدع منها ملحا • واحسن افتنانا • واجل منصبا
وكان ابوها امير قرطبة ويلقب بالمستكفي بالله واخبار ابي الوليد بن زيدون
معها واشعاره فيها مشهورة انتهى ملخصا ومن اخبار الرميكية القصة المشهورة
في قولها ولا يوم الطين وذلك انها رات الناس يمشون في الطين فاشتهت
المشي في الطين فامر المعتمد فسحقت اشيا من الطيب وذرت في ساحة القصر حتي
عمته ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء الورد علي اخلاط الطيب وعجنت بالايدي
حتي عادت كالطين وخاضتها مع جواريها وغاضبها في بعض الايام فاقسمت انها
لم تر منه خيرا قط فقال ولا يوم الطين فاستحيت واعتذرت وهذا مصداق قول
نبينا صلي الله عليه وسلم في حق النسا لو احسنت الي احداهن الدهر كله ثم رات منك
شيا قالت ما رايت منك خيرا قط قلت ولعل المعتمد اشار في ابياته الرائية الي
هذه القضية حيث قال في بناته

يطان في الطين والاقدام حافية • كانها لم تطا مسكا وكافورا

ويحتمل ان يكون اشار بذلك الى ما جرت به عادة الملوك من ذر الطيب في قصورهم حتى يطا باقدامهم زيادة في التنعم وسبب قول المعتمد ذلك ما حكاه الفتح فقال واول عيد اخذ نفي المعتمد باغمات وهو سارح • وما غير السجون له مسارح ولا زي الا حالة الخمول • فدخل عليه من بنيه من يسلم عليه وفيهم بناته وعليهن اطمار كانها كسوف وهن اقمار يبكين عند التسايل • ويبدين الخشوع بعد التخايل والضياع قد غير صورهن • وحير نظرهن • واقدامهن حافية • وآثار نعيمهن عافية فقال

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا • فساءك العيد في اغمات ماسورا
ترى بناتك في الاطمار جائعة • يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة • ابصارهن حسيرات مكاسيرا
يطان في الطين والاقدام حافية • كانها لم تطا مسكا وكافورا
لا خد الا تشكى الجدب ظاهره • وليس الا مع الانفاس ممطورا
افطرت في العيد لا عادت مساءته • فكان فطرك للاكباد تفطيرا
قد كان دهرك ان تامره ممتثلا • فردك الدهر منهيا ومامورا
من بات بعدك في ملك يسر به • فانما بات بالاحلام مغرورا

انتهى وقال الفتح ايضا ولما نقل المعتمد من بلاده • واعرى من طارفه وتلاده وحمل في السفين • واحل في العدوة محل الدفين • تندبه منابره واعواده ولا يدنو منه زواره ولا عواده • بقي اسفا تتصعد زفراته • وتطرد اطراد المذانب عبراته • ولا يخلو بمؤانس • ولا يرى الا عرينا بدلا من تلك المكانس ولما لم يجد سلوا • ولم يؤمل دنوا • ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته • وتخيل استيحاشها لوحشته واجهاشها قصوره الى قطانه واظلام جوها من اقماره • وخلوها من حراسه وسماره فقال

بكى المبارك في اثر ابن عباد • بكى على اثر غزلان واساد
بكت ثرياه لا غمت كواكبها • بمثل نوء الثريا الرائح الغادي
بكى الوحيد بكى الزاهي وقبته • والنهر والتاج كل ذله بادي
ماء السماء على ابنائه درر • يا لجة البحر دومي ذات ازباد

وفي ذلك يقول ابن اللبانة •

استودع الله ارضا عندما وضحت • بشائر الصبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستانا بساحتها • يجني النعيم وفي عليائها فلكا
في امن الملوك الدهر معتبر • فليس يغتر ذو ملك بما ملكا

تبكيه

تبكيه من جبل خرت قواعده • فكل من كان في بطحائه هلكا

وكان القصر الزاهي من اجمل المواضع لديه • وابهاها • واحبها اليه • واشهاها لاطلاله على النهر • واشرافه على القصر • وجماله في العيون • واشتماله بالزهر والزيتون • وكان له به من الطرب • والعيش المزري بحلاوة الضرب • ما لم يكن بحلب لبني حمدان • ولا لسيف بن ذي يزن في راس غمدان • وكان كثيرا ما يدير به راحه • ويجعل فيه انشراحه • فلما امتدت الزمان اليه بعدوانه • وسدت عليه ابواب سلوانه • لم يحن الا اليه • ولم يتمن غير الحلول لديه فقال

غريب بارض المغربين اسير • سيبكي عليه منبر وسرير
وتندبه البيض الصوارم والقنا • وينهل دمع بينهن غزير
مضى زمن والملك مستانس به • واصبح منه اليوم وهو نفور
براي من الدهر المضلل فاسد • متى صلحت للصالحين دهور
اذل بني ماء السماء زمانهم • وذل بني ماء السماء كبير
فيا ليت شعري هل ابيتن ليلة • امامي وخلفي روضة وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلى • تغني حمام او ترن طيور
بزاهرها السامي الذرى جاده الحيا • تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهي وسعد سعوده • غيورين والصب المحب غيور
تراه عسيرا لا يسيرا مناله • الا كل ما شاء الاله يسير

انتهى وقال الحجاري في المسهب ان امير المسلمين يوسف بن تاشفين اهدى الى المعتمد جارية مغنية قد نشات بالعدوة واهل العدوة بالطبع يكرهون اهل الاندلس وجاء بها الى اشبيلية وقد كثر الارجاف بان سلطان الملثمين ينتزع بلاد ملوك الطوائف منهم واشتغل خاطر ابن عباد بالفكر في ذلك فخرج بها الى قصر الزاهر على نهر اشبيلية وقعد على الراح فخطر بفكرها ان غنت عندما انتشى هذه الابيات

حملوا قلوب الاسد بين ضلوعهم • ولووا عمائمهم على الاقمار
وتقلدوا يوم الوغى هندية • امضى اذا انتضيت من الاقدار
ان خوفوك لقيت كل كريهة • او امنوك حللت دار قرار

فوقع في قلبه انها عرضت ببلادها فلم يملك غضبه ورمى بها في النهر فهلكت انتهى فقدر الله ان كان تمزيق ملكه على ايديهم تصديقا للجارية في قولها ان خوفوك لقيت كل كريهة وحصر جيوش لمتونة الملثمين حتى اخذوه قهرا وسيق الى امير المسلمين والقضية مشهورة وقال الفتح في شان حصار المعتمد ما صورته ولما تم في الملك امده واراد الله ان تخر عمده • وتنقرض ايامه • وتتقوض عن عراص الملك خيامه • نازلته جيوش امير المسلمين ومحلاته • فساطيطه ومظلاته • بعدما نثرت حصونه

وقلاعه • وسعرت بالنكاية جوانحه واضلاعه • واخذت عليه الفروج والمضايق
وثنت اليه الموانع والعوايق • وطوقته طوارقها بالاضرار • وامطرته من النكاية
كل ديمة مدرار • ونوسناه بروض ونسيم • لاه براح ومحيي وسيم • زاه بفتاة نثاه
ناه عن هدم انس هو هادمه • لا يصيخ الى بناة سمعه • ولا يبنيخ الاعلى لهو يفرق
جموعه جمعه • وقد ولى المدامة ملامه • وثنى الى ذكرها طوافه واستلامه
وتلك الجيوش تجوس خلاله • وتقلص ظلاله • وحين اشتد حصاره • وعجز
عن المدافعة انصاره • ودلس عليه ولاته • وكثرت اذواوه وعلاته • فتح
بابا للفرج • وقد لفح شواظ الهرج • فدخلت عليه ولاية من المرابطين زمرة واشتملت
من التغلب جمر • تاجج اضطرامها • وسهل بها انقياد الفتنة واضرامها • وعندما
سقط الخبر عليه خرج حاسرا من مفاضته • جامحا كالمهر قبل رياضته • فلحقوا اليهم
عند الباب المذكور • وقد انتشروا في جنباته • وظهروا على البلد من اكثر جهاته
وسيفه في يده يتلمظ للطلى والهام • ويعد بانفراج ذلك الاستبهام • فرماه
احد الداخلين برمح تخطاه • وجاوز مطاه • فجاوزه بضربة اذهبت نفسه
واغربت شمسه • ولقي ثانيا فضربه وقسمه • وخاض حتى ذلك الدا فجسمه
فاجلوا عنه • وولوا فرارا منه • فامر بالباب فسد • وبني منه ما هد • ثم
انصرف وقد اراح نفسه وشفاها • وابعد الله عنه الملامة ونفاها • وفي ذلك
يقول عند ما خلع • واودع من المكروه ما اودع •

ان يسلبا لقوم العدى • ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه • لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم • الا تحصنني الدروع
وبرزت ليس سوى القميص • على الحشى شيء دفوع
اجلي تاخر لم يكن • بهواي ذلي والخضوع
ما سرت قط الى القتال • وكان من املي الرجوع
شيم الاولى انا منهم • والاصل تتبعه الفروع

وما زالت عقارب تلك الداخلة تدب ثم ذكر الفتح تمام هذا الكلام فراجعه
فيما مر بنحو ثلاث ورقات **ومن حكايات مجالس انسه** ايام ملكه • قبل ان
ينظمه صرف الدهر في سلكه • ما حكاه الفتح عن ذخر الدولة انه دخل عليه
في دار الزبيبة والزهر يحسد اشراق مجلسه • والدر يحكي اتساق تانسه
وقد رددت الطير شدوها • وجودت طربها ولهوها • وجددت كلفها وشجوها
والغصون قد التحفت بسندسها • والازهار تحيي بطيب تنفسها • والنسيم
يلم بها فتفتعه بين اجفانها • وتودعه احاديث ازارها ونيسانها • وبين

يديه فتى من فتيانه يتثنى تثني الغصن الرطيب • ويحمل الكاس في راحته ابهى من
الكف الخضيب • وقد توشح وكان الثريا وشاحه • وانار فكان الصبح من
محياه كان انتضاحه • فكلما ناوله الكاس خامرته سوره • وتخيل ان الشمس
تهديه نوره • فقال المعتمد •

لله ساق مهفهف غنج • قد قام يسقي فجاء بالعجب
اهدى لنا من لطيف حكمته • في جامد الماء ذائب الذهب •

ولما وصل لوزقة استدعي ذا الوزارتين القائد ابا الحسن بن اليسع ليلته تلك
في وقت لم يخف فيه زائر من مراقب • ولم يبد فيه غير نجم ثاقب فوصل وما للامن
الى فؤاده وصول • ومن يتخيل ان الجو صارم ونصول • يعذان وحتى عما خلف
وودع من تخلف • فلما مثل بين يديه انسه • وازال توحشه • وقال له دخرجت
من اشبيلية وفي النفس غرام طويته بين ضلوعي • وكنفت فيه غرب دموعي
بفتاة هي الشمس او كالشمس اختالها • ولا يجود قلبها ولا اخالها • وقد
قلت في يوم وداعها عند تفطر كبدي وانصداعها

ولما التقينا للوداع غدية • وقد حققت في ساحة القصر رايات
بكينا دما حتى كان عيوننا • لجري الدموع الحمر فيها جراحات
وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي • وابرأتني من توجعي • ومكنتني من رضابها
وفتنتني بدلالها وخضابها فقلت

اباح لطيفي طيفها الخد والنهدا • فعض بها تفاحة واجتنى وردا
ولو قدرت زارت على حال يقظة • ولكن حجاب البين ما بيننا امتدا
اما وجدت عنا الشجون معرجا • ولا وجدت منا خطوب النوى بدا
سقى الله صوب القطر ام عبيدة • كما قد سقت قلبي على حره بردا
هي الظبي جيدا والغزالة مقلة • وروض الربا عرفا وغصن النقا قدا

فكرر استجادته • واكثر استعادته • فامر له بخمسماية دينار • وولاه لورقة
من حينه • قال الفتح واخبرني ابن اللبانة انه استدعاه ليلة الى مجلس قد
كساه الروض وشيه • وامتثل الدهر امره فيه ونهيه • فسقاه الساقي
وحياه • وسفر له الانس عن مونق محياه • فقام للمعتمد مادحا • وعلى دوحة
تلك النعماء صادحا • فاستجاد قوله • وافاض عليه طوله • فخدر وقد
امتلات يداه • وغمره جوده ونداه • فلما حل بمنزله • وافاه رسوله بقطيع
وكاس من بلار • قد انزعا بصرف العقار • ومعهما

جاءتك ليلا في ثياب نهار • من نورها وغلالة البلار
كالمشتري قد لف من مريخه • اذ لفه في الماء جذوة نار

لطفا الجود لذا وذا فنا الفنا • لم يلق ضد ضده بنفاد
بيحيرا الزاوني في نغيتهما • افنعاما ام صنا دزاري

وقال الفتح ايضا واخبرني ذخر الدولة انه استدعاه في ليلة قد البسها البدر رداءه • واوقد فيها اضواءه • وهو على البحيرة الكبرى • والنجوم قد انعكست فيها تخال لها زهرا • وقابلتها المجرة فسالت فيها نهرا • وقد ارجت نوافح الند • وماست معاطف الرند • وحسد النسيم الروض فوشى باسرار وافشى حديث اسه وعرار • ومشى مختالا بين لبات النور وازرار • وهو وجم • ودمعه منسجم • وزفراته تترجم • عن غرام • وتجمجم عن متعذر مرام فلما نظر اليه استدناه وقربه • وشكى اليه من الحزن ما استغربه وانشد

ايا نفس لا تجزعي واصبري • والا فان الهوى متلف
حبيب جناك وقلب عصاك • ولاح لحاك ولا منصف
شجون منعن الجفون الكرى • وعوضنها ادمعا تنزف

فانصرف ولم يعلمه بقصته • ولا كشف عن غصته • انتهى • وقال الفتح ايضا اخبرني ذخر الدولة ابن المعتضد انه دخل عليه في ليلة قد مشى السرور في مناحيها واستمطى الحبور غاربها وسنامها • وراع الانس فوادها • وستر بياض الاماني سوادها • وغازل نسيم الروض زوارها وعوادها • ونور السرج قد قلص اذيالها • ومحا من لجين الارض نيالها • والمجلس مكتس بالمعالي • وصوت المثاني والمثالث عالي • والبدر قد كمل • والنخب بضوئه المقصر واشتمل • ونشر تبين سناه • وتحل فقال المعتمد •

ولقد شربت الراح يسطع نورها • والليل قد مد الظلام رداء
حتى تبدا البدر في جوزائه • ملكا تناهى بهجة وبهاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه • لالاؤها فاستكمل اللالاء
لما اراد تنزها في غربه • جعل المظلة فوقه الجوزاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله • رفعت ثرياه عليه لواء
وحكيته في الارض بين كواكب • وكواعب جمعت سنا وسناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا • ملات لنا هذي الكوس ضياء
واذا تغنت هذه في مزهر • لم تال تلك على التريك غناء

واخبر في ابن اقبال الدولة انه كان عنده في يوم قد نشر من غيمه رداء ند واشكب من قطره ماء ورد • وابدى من برقه لسان نار • واظهر من قوس قزحه حنايا آس • حفت بنرجس وجلنار • والروض قد بعث رياه • وبث الشكر لسقياه • فكتب الى الطبيب الاديب ابي محمد المصري

ايها الصاحب

ايها الصاحب الذي فارقت • عيني ونفسي منه السنا والسناء
نحن في المجلس الذي يهب الرا • حة والمسمع الغنا والغناء
نتعاطى التي تنسي من الرقة • واللذة الهوى والهواء
فاته تلقه راحة ومحيا • قد اعدا لك الحيا والحباء

فوافاه والى مجلسه • وقد اتلعت اباريقه اجيادها • واقامت فيه خيل السرور طرادها • واعطته الاماني انطباعها وانقيادها • وامدته الدنيا ليومه مواسمها واعيادها • وخلعت عليه الشمس شعاعها • ونشرت فيه الحدائق ايناعها فادير الراح • وتعوطيت الاقداح • وخامر النفوس الابتهاج والارتياح • واظهر المعتمد من ارتياحه • ما استرق به نفوس جلاسه • ثم دعا بكبير • فشربه كالشمس في شبير وعندما تناوله قام المصري ينشد ابياتا تمثلها

اشرب هنيا عليك التاج مرتفقا • بشاذمهر ودع غمدان لليمن
فانت اولى بتاج الملك تلبسه • من هوذة بن علي وابن ذي يزن

فطرب حتى زحف عن مجلسه • واسرف في تانسه • وامر فخلعت عليه خلع لا تصلح الا للخلفا • وادناه حتى اجلسه مجلس الاكفا • وامر له بدنانير عددا • وملا له بالمواهب يدا • ولدى في غلام راه يوم العروبة من ثنيات الوغى طالعا • ولطلى الابطال قارعا • وفي الدما والغا • ولسبل شع كوس المنايا ساينا • وهو طفل قد فارق كناسه • وعاد اسدا صارت القنا اخياسه • ومن كانت الحجاج قد سرقته اسراقه • وقلوب الدارعين قد شكتها احداقه فقال •

ابصرت طرفك فوق مسبحر الفتى • فيدا لطرفي انه فلك
اوليس وجهك فوقه قمرا • يجلي بنيرة نون الحلك

وله فيه

ولما اقتحمت الوغى دارعا • وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى • عليها سحاب من العنبر

وقد جمح بنا القلم في ترجمة المعتمد بن عباد بعض جموح • وما ذلك الا لما علمنا ان نفوس الادبا الى اخباره رحمه الله شديدة الطموح • وقد جعل الله له كما قال ابن الابار في الحلة السيراء رقة في القلوب وخصوصا بالمغرب فان اخباره واخبار الرميكية الى الان متداولة بينهم وان فيهما الاعظم عبرة رحم الله الجميع

رجع الى اخبار النسا ومنهن العبادية جارية المعتضد عباد والد المعتمد اهداها اليه مجاهد العامري من دانية وكانت اديبة ظريفة كاتبة شاعرة ذاكرة لكثير من اللغة قال ابن علم في شرحه لادب الكتاب لابن قتيبة وذكر الموسعة وهي خشبة بين حاملين يجعل كل واحد منهما طرفها على عنقه ما صورته ويذكر الموسعة اعزيت

جارية لمجاهد اهداها الي عباد كانت شاعرة على علما اشبيلية وبالفرمة التي تستظهر
في اذقان بعض الاحداث وتعتري بعضهم في الحذين عند الضحك فاما التي في الذقن
فهي للونة ومنه قول عثمان رضي الله عنه وسموا فونته لتدفع العين واما التي في
الحدين عند الضحك فهي النحصنة فما كان في ذلك الوقت في اشبيلية من عرفهما
واحدة وسهر عباد ليلة لامر حزبه وهي نايمة فقال

تنام ومدنفها يسهر • وتصبر عنه ولا تصبر

فاجابته بديهة بقولها •

لين دام هذا وهذا له • سيهلك وجدا ولا يشعر

ويكفيك هذا شاهد على فضلها رحمها الله تعالى وسامحها ومنهن بثينة بنت
المعتمد بن عباد وامها الرميكية السابقة الذكر وكانت بثينة هذه نحو امها
في الجمال والنادرة ونظم الشعر ولما احيط بابيها ووقع النهب في قصره كانت من جملة
من سبي ولم يزل المعتمد والرميكية عليها في وله دايم لا يعلمان ما الت اليه امرها
الي ان كتبت اليهما بالشعر المشهور المثنا ولست الي الناس بالمغرب وكان احد تجار
اشبيلية اشتراها على انها سرية ووهبها لابنه فنظر من شانها وتبينت له فلما
اراد الدخول عليها امتنعت واظهرت نسبها وقالت لا احل لك الا بعقد النكاح ان
رضي ابي بذلك واشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لابيها وانتظار جوابه
فكان الذي كتبته بخطها من نظمها ما صورته

اسمع كلامي واستمع لمقالتي • فهي السلوك بدت من الاجياد
لا تنكروا اني سبيت واننى • بنت لملك من بني عباد
ملك عظيم قد تولي عصره • وكذا الزمان يوول للافساد
لما اراد الله فرقة شملنا • واذاقنا طعم الاسي عن زاد
قام النفاق على ابي في ملكه • فدنا الفراق ولم تكن بمراد
فخرجت هاربة فحازني امرؤ • لم يات في اعجاله بسداد
اذ باعني بيع العبيد فضمني • من صانني الا من الانكاد
واراد بي نكاح نجل طاهر • حسن الخلايق من بني الانجاد
ومضى اليك يسوم رايك في • ولانت تنظر في طريق رشادي الرضي
فعساك يا ابتي تعرفني به • ان كان ممن يرتجي لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها • تدعو لنا باليمن والاسعاد

فلما وصل شعرها لابيها وهو باغمات • واقع في شرك الكروب والازمات
سرهو وامها بحياتها • وراياان ذلك للنفس من احسن امنياتها اذ علما ما لها
وجبر كسرها • اذ ذلك اخف الضررين • وان كان الكرب قد ستر القلب منه حجاب رين

واشهد

واشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبي المذكور • وكتب اليهما اثناكتابه مما يدل على صبره
المشكور بنيتي كوني به برة فقد قضي الوقت باسعافه ولخبار المعتمد بن عباد تذيب الاكباد
فلنرجع الي ذكر نساء الاندلس فنقول ومنهن حفصة بنت حمدون من وادي الحجارة ذكرها
في المغرب وقال انها من اهل المائة الرابعة ومن شعرها

راي ابن جميل ان يري الدهر مجملا • فكل الوري قد عمهم سيب نعمته
له خلق كالخمر بعدا متزاجها • وحسن فما احلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره • عيونا ويعشيها بافراط هيبته

ولها

لي حبيب لا ينثني لعتاب • واذا ما تركته زاد تيها
قال لي هل رايت لي من شبيه • قلت ايضا وهل تري لي شبيها

ولها تذم عبيدها •

يا رب اني من عبيدي على • جمر الغضى ما فيهم من نجيب
اما جهول ابله متعب • او فطن من كيده لا يجيب

وقال ابن الابار انها كانت اديبة عالمة شاعرة وذكرها ابن فرج صاحب الحدائق
وانشد لها شعرا منها قولها •

يا وحشتي لاحبتي • يا وحشة متماديه
يا ليلة ودعتهم • يا ليلة هي ما هيه

ومنهن زينب المرية كانت اديبة شاعرة وهي القايلة

يا ايها الراكب الغادي لطيته • عرج انبيك عن بعض الذي اجد
ما عالج الناس من وجد تضمنهم • الا ووجدي بهم فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه واني في مسرته • ووده اخر الايام اجتهد

ومنهن غاية المني وهي جارية اندلسية متادبة قدمت الي المعتصم بن صمادح فاراد
اختبارها فقال لها ما اسمك فقالت غاية المني فقال لها اجيزي

اسالوا غاية المني • فقالت
من كسي جسمي الضنا •
واراني مولها • سيقول الهوي انا

هكذا اورد الشالي هذه الحكاية في تاريخه قال ابن الابار وقرات بخط الثقة حاكيا
عن القاضي ابي القاسم بن حبيش قال سيقت لابن صمادح جارية نبيلة تقول الشعر وتحسن
المحاضرة فقال تحمل الي الاستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها وكان كفيفا فلما وصلته قال
ما اسمك فقالت غاية المني فقال •

سل هوي غاية المني • من كسا جسمي الضنا

فقالت مجيبة

وانا في منتهيا • سيقول الهوى انا

فيحكى ذلك لابن صمادح فاشتراها انتهى ومنهن حمدة ويقال حمدونة بنت زياد المؤدب من وادي آش وهي خنساء المغرب شاعرة الاندلس ذكرها الملاحي وغيره وممن روى عنها ابو القاسم بن البراق ومن عجيب شعرها قولها

ولما ابى الواشون الا فراقنا • وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة • وقل حماتي عند ذاك وانصاري
غزوتهم من مقلتيك وادمعي • ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وبعض يزعم ان هذه الابيات لمهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية وكونها لحمدة اشهر والله اعلم وخرجت حمدة مرة للوادي مع صبية فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت

اباح الدمع اسراري بوادي • له للحسن آثار بوادي
فمن نهر يطوف بكل روض • ومن روض يرف بكل وادي
ومن بين الظباء مهاة انس • لها لبي وقد سلبت فؤادي
لها لحظ ترقده لامر • وذاك الامر يمنعني رقادي
اذا سدلت ذوائبها عليها • رايت البدر في افق السواد
كان الصبح مات له شقيق • فمن حزن تسربل بالحداد

وقال ابن البراق في سوق هذه الحكاية انشدتنا حمدة العوفية لنفسها وقد خرجت متنزهة بالرملة من نواحي وادي آش فرات ذات وجه وسيم اعجبها فقالت وبين الروايتين خلاف اباح الدمع الى آخره ونسب بعضهم الى حمدة هذه الابيات المشهورة بهذه البلاد المشرقية وهي •

وقانا لفحة الرمضاء واد • سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا • حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمإ زلالا • الذ من المدامة للنديم
يصد الشمس انى واجهتنا • فيحجبها وياذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى • فتلمس جانب العقد النظيم

وممن جزم به الرعيني وقال ان مؤرخي بلادنا نسبوها لحمدة من قبل ان يوجد المنازي الذي ينسبها له اهل المشرق وقد رايت ان اذكر كلامه برمته ونصه كانت من ذوي الالباب وفحول اهل الاداب • حتى ان بعض المنتحلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين يعني ولما ابى الواشون الى آخر لما فيهما من المعاني والالفاظ العذاب • وما غره في ذلك الا بعد دارها وخلو هذه البلاد المشرقية من اخبارها • وقد تلبس بعضهم ايضا بشعارها وادعى غير هذا من اشعارها • وهو قولها • وقانا لفحة الرمضا واد الى آخره وان هذه

الابيات

الابيات نسبها اهل البلاد للمنازي من شعرائهم • وركبوا التعصب في جادة ادعائهم وهي ابيات لم يخلعها غير لسانها • ولا رقم بردتها غير احسانها • ولقد رايت لمؤرخي من اهل بلادنا وهي الاندلس اثبتوها لها قبل ان يخرج المنازي من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود • انتهى ونقله ابو جعفر الاندلسي الغرناطي نزيل حلب وحكى ابن العديم في تاريخ حلب ما نصه وبلغني ان المنازي عمل هذه الابيات ليعرضها على ابي العلاء المعري فلما وصل اليه انشده الابيات فجعل المنازي كلما انشد المصراع الاول من كل بيت سبقه ابو العلاء الى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه ولما انشد قوله • نزلنا دوحة تحنو علينا • قال ابو العلاء حنو الوالدات على الفطيم • فقال المنازي انما قلت على اليتيم • فقال ابو العلاء اليتيم احسن انتهى وهذا يدل على ان الرواية عنده حنو الوالدات وقد تقدم المرضعات والله اعلم وقال ابن سعيد يقال لشاعرة غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة الغربيات لمحافظتهن على المعاني العربية ومن اشهرهن زينب بنت زياد الوادي آشي واختها حمدة وحمدة هذه هي القائلة وقد خرجت الى نهر منغمس الحبا ولدى الرياض مع نسائها فسبحن في الماء وتلاعبن اباح الدمع اسراري بوادي الابيات انتهى ومنهن عائشة بنت احمد القرطبية قال ابن حيان في المقتبس لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علما وفهما وادبا وشعرا وفصاحة تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تنكح سنة اربعمائة وقال في المغرب انها من عجائب زمانها وغرائب اوانها • وابو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها اشعر منه لجاز ودخلت على المظفر بن المنصور بن ابي عامر وبين يديه ولد

فارتجلت له

اراك الله فيه ما تريد • ولا برحت معاليه تزيد
فقد دلت مخايله على ما • تؤمله وطالعه السعيد
تشوقت الجياد له وهز • الحسام هوى واشرقت البنود
فسوف تراه بدرا في سماء • من العليا كواكبه الجنود
وكيف يخيب شبل قد نمته • الى العليا ضراغمة اسود
فانتم آل عامر خير آل • زكا الابناء منكم والجدود
وليدكم لدى راي كشيخ • وشيخكم لدى حرب وليد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه نفسي فكتبت اليه

انا لبوة لكنني لا ارتضي • نفسي مناخا طول دهري من احد
ولو انني اختار ذلك لم اجب • كلبا وكم غلقت سمعي عن اسد

فقالت مجيزة

واذا اني منتبها • سيقول الهوى انا

فحكى ذلك لابن صمادح فاشتراها انتهى ومنهن حمدة ويقال حمدونة بنت زياد المؤدب من وادي آش وهي خنساء المغرب شاعرة الاندلس ذكرها الملاحي وغيره وممن روى عنها ابو القاسم بن البراق ومن عجيب شعرها قولها

ولما ابى الواشون الا فراقنا • وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة • وقل حماتي عند ذاك وانصاري
غزوتهم من مقلتيك وادمعي • ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وبعض يزعم ان هذه الابيات لمهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية وكونها لحمدة اشهر والله اعلم وخرجت حمدة مرة للوادي مع صبية فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت

اباح الدمع اسراري بوادي • له للحسن آثار بوادي
فمن نهر يطوف بكل روض • ومن روض يرف بكل وادي
ومن بين الظباء مهاة انس • لها لبي وقد سلبت فؤادي
لها لحظ ترقده لامر • وذاك الامر يمنعني رقادي
اذا سدلت ذوائبها عليها • رايت البدر في افق السواد
كان الصبح مات له شقيق • فمن حزن تسربل بالحداد

وقال ابن البراق في سوق هذه الحكاية انشدتنا حمدة العوفية لنفسها وقد خرجت متنزهة بالرملة من نواحي وادي آش فرايت ذات وجه وسيم اعجبها فقالت وبين الروايتين خلاف اباح الدمع الى آخره ونسب بعضهم الى حمدة هذه الابيات الشهيرة بهذه البلاد المشرقية وهي •

وقانا لفحة الرمضاء وادي • سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا • حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظما زلالا • الذ من المدامة للنديم
يصد الشمس انى واجهتنا • فيحجبها وياذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى • فتلمس جانب العقد النظيم

وممن جزم بن الرعيني وقال ان مؤرخي بلادنا ينسبونها لحمدة من قبل ان يوجد المنازي الذي ينسبها له اهل المشرق وقد رايت ان اذكر كلامه برمته ونصه كانت من ذوي الالباب وفحول اهل الآداب • حتى ان بعض المنتحلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين يعني ولما ابى الواشون الى آخرهما لما فيهما من المعاني والالفاظ العذاب • وما غره في ذلك الا بعد دارها وخلو هذه البلاد المشرقية من اخبارها • وقد تلبس بعضهم ايضا باشعارها وادعى غير هذا من اشعارها • وهو قولها • وقانا لفحة الرمضاء وادي الى آخره وهذه

الابيات

215

الابيات ينسبها اهل البلاد للمنازي من شعرائهم • وركبوا التعصب في جادة ادعائهم وهي ابيات لم يخلبها غير لسانها • ولا رقم برديها غير احسانها • ولقد رايت المؤرخين من اهل بلادنا وهي الاندلس ابيتوها لها قبل ان يخرج المنازي من العدم الى الوجود وينتصف بالنطق الموجود • انتهى ونقلها ابو جعفر الاندلسي الغرناطي نزيل حلب وحكى ابن العديم في تاريخ حلب ما نصه وبلغني ان المنازي عمل هذه الابيات ليعرضها على ابي العلا المعري فلما وصل اليه انشده الابيات فجعل المنازي كلما انشد المصراع الاول من كل بيت يسبقه اليه ابو العلي الى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه ولما انشد قوله • نزلنا دوحه فحنا علينا • قال ابو العلي حنو الوالدات على الفطيم • فقال المنازي انما قلت على اليتيم • فقال ابو العلي الفطيم احسن انتهى وهذا يدل على ان الرواية عنده حنو الوالدات وقد تقدم المرضعات والله اعلم وقال ابن سعيد يقال للشاعرة الغرناطية المشهورات بالحسب والجلالة الغرنيات لمحافظتهن على المعاني الغريبة ومن اشهرهن زينب بنت زياد الوادي آشي واختها حمدة وحمدة هذه هي القائلة وقد خرجت الى نهر منغمس الحبا ولبين الرياض مع نسائها فسبحن في الماء وتلاعبن اباح الدمع اسراري بوادي الابيات انتهى ومنهن عائشة بنت احمد القرطبية قال ابن حيان في المقتبس لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علما وفهما وادبا وشعرا وفصاحة تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تنكح سنة اربعمائة وقال في المغرب انها من عجائب زمانها وغرائب اوانها • وابو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها اشعر منه لجاز ودخلت على المظفر بن المنصور بن ابي عامر وبين يديه ولد

فارتجلت له

اراك الله فيه ما تريد • ولا برحت معاليه تزيد
فقد دلت مخايله على ما • تؤمله وطالعه السعيد
تشوفت الجياد له وهز • الحسام هوى واشرقت البنود
فسوف تراه بدرا في سماء • من العليا كواكبه الجنود
وكيف يخيب شبل قد نمته • الى العليا ضراغمة اسود
فانتم آل عامر خير آل • زكا الابناء منكم والجدود
وليدكم لدى راي كشيخ • وشيخكم لدى حرب وليد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت اليه

انا لبوة لكنني لا ارتضي • نفسي مناخا طول دهري من احد
ولو انني اختار ذلك لم اجب • كلبا وكم غلقت سمعي عن اسد

شيئا النفه

ومنهن مريم بنت ابي يعقوب الانصاري سكنت اشبيلية واصلها والله اعلم من شلب وذكرها ابن دحية في المطرب وقال انها اديبة شاعرة مشهورة وكانت تعلم النسا الادب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا سكنت اشبيلية واشتهرت بها بعد الاربعمائة وذكرها الحميدي وانشد لها جوابها لما بعث المهنّد اليها بدنانير وكتب اليها •

ما لي بشكر الذي اوليت من قبل • لو انني حزت نطق اللسن في الحلل
يا فذ الظرف في هذا الزمان ويا • وحيد العصر في الاخلاص والعمل
اشبهت مرعا العذرا اذ ... في ورع • وفقت خنسا في الاشعار والمثل

ونص الجواب منها

من ذا يجاريك في قول وفي عمل • وقد بدرت الي فضل ولم تسل
ما لي بشكر الذي نظمت في عنقي • من اللالي وما اوليت من قبل
حليتني بحلي اصبحت زاهية • بها على كل انثى من حلي عطل
لله اخلاقك الغر التي سقيت • ما الفرات فرقت رقة الغزل
اشبهت مروان من غارت بدايعه • وانجدت وغدت من احسن المثل
من كان والده العضب المهند لم • يلد من النسل غير البيض والاسل

ومن شعرها وقد كبرت •

وما يرتجى من بنت سبعين حجة • وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى الى العصى • وتمشي بها مشي الاسير المكبل

ومنهن اسما العامرية من اهل اشبيلية كتبت الى عبد المومن بن علي رسالة تمت فيها اليه بنسبها العامري وتسال له رفع الانزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفي اخرها قصيدة اولها •

عرفنا النصر والفتح المبينا • لسيدنا امير المومنينا
اذا كان الحديث عن المعالي • رايت حديثكم فيه شجونا

ومنها

رويتم علمه فعلمتموه • وصنتم عهده فغدا مصونا

ومنهن اسما العامرية من اهل اشبيلية كتبت الى عبد المومن بن علي رسالة تمت فيها بنسبها العامري وتسال له رفع الانزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفي اخرها قصيدة اولها • ام الهنا بنت القاضي ابي محمد عبد الحق بن عطية سمعت اباها وكانت حاضرة النادرة سريعة التمثل من اهل العلم والفهم والعقل ولها تاليف في القبور ولما ولي ابوها قضا المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجدا لمفارقة وطنه فانشدته متمثلة

يا عين صار الدمع عندك عادة • تبكين في فرح وفي احزان

وهذا البيت

وهذا البيت من جملة ابيات هي •

جا الكتاب من الحبيب بانه • سيزورني فاستعبرت اجفاني
غلب السرور علي حتى انه • من فرط عظم مسرتي ابكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة •
فاستبشري بالبشر يوم لقاه • ودعي الدموع لليلة الهجران

ومنهن مهجة القرطبية صاحبة ولادة رحمهما الله تعالى وكانت من اجمل نسا زمانها وعلقت بها ولادة ولازمت تاديبها وكانت من اخف الناس روحا ووقع بينها وبين ولادة ما اقتضى ان قالت في ولادة

ولدت ولادة من غير • بعل فضح الكاتم

قال بعض الاكابر لو سمع ابن الرومي هذا لاقر لها بالتقدم ومن شعرها

لين قد حمي عن ثغرها كل حاكم • فما زال يحمي عن مطالبه الثغر
فذلك تحميه القواضب واللقنا • وهذا حماه من لواحظها السحر

واهدى لها من كان يهيم بها خوخا فكتبت اليه

يا متحفا بالخوخ احبابه • واهلا به من مشبه للصدور
حكى ثديا للعبيد تفليكه • لكنه اخزى رؤوس الايور

لعل الواو زائدة اهلا به

ومنهن هند جارية ابي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي وكانت اديبة شاعرة كتب اليها ابو عامر بن ينق يدعوها للحضور عنده بعودها

يا هند هل لك في زيارة فتية • نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا • نغمات عودك في الثقيل الاول

حسبي من الاسراع نحوك انني • كنت الجواب مع الرسول المقبل

ومنهن الشلبية قال الاتي لا يباريو ولم اقف على اسمها وكتبت الى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجه

قد ان تبكي العيون الابية • ولقد ارى ان الحجارة باكيه
يا قاصد المصر الذي يرجى به • ان قدر الرحمن رفع كراهيه
ناد الامير اذا وقفت ببابه • يا راعيا ان الرعية فانيه
ارسلتها هملا ولا مرعى لها • وتركتها نهب السباع العاديه
شلب كلا شلب وكانت جنة • فاعادها الطاغون نارا حاميه
حافوا وما خافوا عقوبة ربهم • والله لا يخفى عليه خافيه

فيقال انها القيت يوم جمعة على مصلى المنصور فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القضية فوقف على حقيقتها وامر للمراة بصلة وحكى ان بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلما في معرفة الاحكام والنوازل وكان قبل ان يتزوجها ذكر له وصفها فتزوجها وكان قبل ان يتزوجها في مجلس قضايه تنزل به النوازل

فيقوم اليها فتشير عليه بما يحكم به فكتب اليه بعض اصحابه مداعبا بقوله

ملوشة قاض له زوجة • واحكامها في الورى ماضيه
فياليته لم يكن قاضيا • ويا ليتها كانت القاضيه

فاطلع زوجته عليه حين قراه فقالت ناولني القلم فناولها فكتبت بديهة

هو شيخ سوء من ذري • له شيوب عاصيه
كلا لين لم ينته • لنسفعا بالناصيه

وسمعت بعض اشياخنا يحكي القضية على لسان الدين بن الخطيب وانه هو الذي كتب يداعب زوج المراة فكتبت اليه

ان الامام ابن الخطيب • له شيوب عاصيه

الى اخره والله اعلم ومنهن نزهون الغرناطية قال في المغرب من اهل المائة الخامسة ذكرها الحجاري في المسهب ووصفها بخفة الروح والانطباع الزايد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الامثال مع جمال فايق • وحسن رايق • وكان الوزير ابو بكر بن سعيد اولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها فكتب لها مرة

يا من له الف خل • من عاشق وصديق
اراك خليت للناس • منزلا في الطريق

فاجابته

حللت ابا بكر محلا منعته • سواك وهل غير الحبيب له صدري
وان كان لي كم من حبيب فانما • يقدم اهل الحق حب ابي بكر

قيل لو قالت وان كان لي خلا كثيرا فانما الى اخره لكان اجود ولما قال فيها المخزومي

على وجه نزهون من الحسن مسحة • وتحت الثياب العار لو كان باديا
قواصد نزهون لغيرها • ومن قصد البحر استقل السواقيا

قالت

ان كان ما قلت حقا • من بعض عهد كريم
فصار ذكري ذميما • يعزى الى كل لوم
وصرت اقبح شي • في صورة المخزوم

وقد تقدمت حكايتها ايضا في الباب الاول من هذا فلتراجع وقال لها بعض الثقلا يا على من اكل معك خمسمائة سوط فقالت

وذي شقوة لما راني راله • تمنيه ان يصلى معي جاحم الضرب
فقلت له كيما هنيا وانما • خلقت الى لبس المطارف والشرب

وقال ابن سعيد في طالعه لما وصف وصول ابن قزمان الى غرناطة واجتماعه بجنته بقرية الزاوية من خارجها بنزهون القلاعية الادبية وما جرى بينهما وانها قالت له بعقب ارتجال بديع وكان يلبس غفارة صفرا على زي الفقها حسنت احسنت يا بقرة بني اسرايل

الا انك لا تسر الناظرين فقال لها ان لم اسر الناظرين فانا اسر السامعين وانما يطلب سرور الناظرين منك يا فاعلة يا صانعة وتمكن السكر من ابن قزمان وآل الامر الى ان تدافعوا معه حتى رموه في البركة فما خرج الا وهو قد شرب كثيرا من الما وثيابه تهطل فقال اسمع يا وزير ثم انشد •

ايه ابا بكر ولا حول لي • بدفع اعيان وانذال
وذات فرج واسع دافق • بالما يحكي حالة الذيالي
غرقتني في الما يا سيدي • كمزه بالتغريق في الما

فامر بتجريد ثيابه • وخلع عليه ما يليق به • ومر لهم يوم بعد عهدهم بمثله ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة الا من بعد ما اجزل له الاحسان ومدحه بما هو ثابت في ديوان ازجاله وحكي عنه فيما اظن اعني ابن قزمان ويحتمل انه غيره انه تبع احدى الماجنات وكان احول فاطمعته في نفسها واشارت اليه ان يتبعها فاتبعها حتى انت به سوق الصاغة باشبيلية فوقفت على صانع من صناعها وقالت له يا معلم مثل هذا يكون فص الخاتم الذي قلت لك عنه تشير لعينه ذلك الاحول الذي تبعها وكانت قد كلفت ذلك الصانع ان يعمل خاتما لها يكون فصه عين ابليس فقال لها الصانع جيئيني بالمثال فاني لم اره ولا سمعته قط فجاته به عن مثال وحكاها بعضهم على وجه اخر وانها ذهبت الى الصايغ وقالت له صور لي صورة الشيطان فقال لها ايتيني بمثال فلما تبعها ابن قزمان جاته به وقالت له مثل هذا فلما سال ابن قزمان الصايغ اعلمه فخجل ولعنها وكتب ابو بكر بن قزمان الصايغ اعلمه فخجل الصايغ على باب جنة • •

وقايل بل حسنها جنة • لا يدخل الحزن على بابها
فقلت والحق له صولة • احسن منها خدا زيابها

وقوله •

كبير الما تمثله فيغني • وقد يبقى مع الجود القليل
ومن غرست يداه ثمار جود • ففي ظل الثناء له مقيل

رجع الى اخبار نزهون بنت القليعي حكي انها كانت تقرا على ابي بكر المخزومي الاعمى فدخل عليهما ابو بكر الكتندي فقال يخاطب المخزومي

لو كنت تبصر من تجالسه • فانحم واطال الفكر فما وجد شيا فقالت نزهون
لغدوت اخرس من خلاخله •
البدر يطلع من ازرته • والغصن يمرح في غلايله

وكانت ماجنة ومن شعرها قولها •

لله در ليال ما احيسنها • وما احيسن منها ليلة الاحد

لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت • عين الرقيب فلم ننظر الى احد
ابصرت شمس الضحى في ساعدي قمر • بل ريم خازمة في ساعدي اسد

وهذا المعنى متفق مع قول ابن الزقاق •

ومرتجة الاطراف اما قوامها • فلدن واما ردفها فرداح
فبت وقد زارت بانعم ليلة • تعانقني حتى الصباح صباح
على عاتقي من ساعديها حمائل • وفي خصرها من ساعدي وشاح

وابن الزقاق هذا له في النظم والغوص على المعاني البدائع المديدة ومن نظمه قوله

رئيس الشرق محمود السجايا • يقصر عن مدائحه البليغ
تسميه يحيى وهو ميت • كما السليم سموا اللديغ
يخاف الورد ان طيبت حشاه • وفي دمع اليتيم له ولوغ

وقوله

كتبت ولو انني استطيع • لاجلال قدرك دون البشر
قددت اليراعة من انملي • وكان المداد سواد البصر

وقوله

عزيز بياري الصبح اشراق خده • وفي مفرق الظلماء منه نصيب
ترف بفيه ضاحكا اقحوانة • ويهتز في برديه منه قضيب

وقوله

ومهفهف نبت الشقيق بخده • واهتز املود النقى في برده
ما الشيبة والغرام ارق من • صقل الحسام المنتقى وفرنده
يحيى الورى بتحية من وصله • من بعدما وردوا الحمام بصده
ان كنت امذيت الفواد لطرفه • اي الجوى بجوانح لم يهده

وقوله

ازف نسيم الصبا عرفه • وراق قضيبا النقا عطفه
ومر بنا يتهادى وقد • نضى سيف اجفانه طرفه
ومد لتسليمه راحة • تخلت الاقاح دنى قطفه
اشار بتقبيلها للسلام • فقاد في ليتني كفه

وقوله

بابي من لم يدع لي لحظه • في الهوى مذ رمق حين رمق
جمعت نكهته في ثغره • عبقا في نسق نسبي الحدق
وبدت خجلته في خده • شفقا في فلق تحت غسق

وقال

وعشية لبست ملاءة شقيق • ترمي بلون للجذو دانيق
ابقت بها الشمس المنيرة مثل ما • ابقى الحيا بوجنتي معشوق
لو استطيع شربتها كلفا بها • وعدلت فيها عن كؤوس رحيق

وقال في مسامرة كتاب زعما •

لله ليلتنا التي استخذي بها • فلق الصباح لسدفة الاظلام
طرنا على متن النجوم باجنح • من فتية بيض الوجوه كرام
ان حاربوا فزعوا الى بيض الظبى • او خوطبوا فزعوا الى الاقلام
فترى البلاغة ان نظرت اليهم • والناس بين براعة وحسام

وقال

ومجدين في السرى قد تعاطوا • غفوات الهوى بغير كؤوس
جنحوا واكنحوا على الميس حتى • خلتهم يعتبون ايدي العيس
نبذوا الغمض ثم حلوا الى ان • وجدوه سلافة في الرؤوس

وقال

وحبب يوم السبت عندي انني • ينادمني فيه الذي انا احببت
ومن عجب الاشياء اني مسلم • حنيف ولكن خير ايامي السبت

ولنقتصر من نثر الاندلس على هذا المقدار ونعد الى ما كنا فيه من جلب كلام البلغا بلغا الاندلس ذوي الاقدار فنقول قال الخفاجي رحمه الله

وها تغنت في البان تملي غرامها • علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة • وقد جاوبت من كل ناحية الفا
وتبكي قلوب العاشقين اينها • وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى • لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

وقال الاستاذ ابو محمد بن صارة •

متى تلتقي عيناي بدر مكارم • لو ان الثريا انها من مواطيه
وما اهل المدلجون بذكره • وفاح تراب البيد مسكا لواطيه
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه • كما عرف الوادي بخضرة شاطيه

وقال يتغزل

يا من تعرض دونه شحط النوى • فاستشرفت لحديثه اسماعي
اني لمن يحظى بزيك حاسد • ونواظري يحسدن فيك رقاعي
لم تطو الايام عندي انما • نقلتك من عيني الى اضلاعي

قال الاديب ابو القاسم بن العطار •

عبرنا سما الجو والنهر مشرق • وليس لنا الا الحباب نجوم

وقد البستها الايك برد ظلالها • وللشمس في تلك البرود رقوم

وله ايضا

لله بهجة منزه ضربت به • فوق الغدير رواقها الانشام
فمع الاصيل النهر درع سابغ • ومع الضحى يلتاح فيه حسام

وله ايضا

هبت الريح بالعشي فحاكت • زردا للغدير ناهيك جنته
وانجلى البدر بعد هذا فحاكت • كف للقتال منه اسنته

وله ايضا

لله خس حديقة بسطت لنا • منها النفوس سوالف ومعا طف
تختال في حلل الربيع وحليه • ومن الربيع قلائد ومطارف

وقال

وسنان ما ان يزال عارضه • يعطف قلبي بعطفة اللام
اسلمني للهوى فواحزنا • ان سرني عفتي واسلامي
لحاظه اسهم وحاجبه • قوس وانسان عينه رامي

وارتجل ابو جعفر بن خاتمة رحمه الله لما بات في قرية بيش

لله منزلنا بقرية بيش • كاد الهوى فيها ادكار الى شي
رحنا اليها والبطاح كانها • صحف مذهبة بابريز العشي

فاجاز الوزير بن جزي بقوله •

في فتية مزت حميا الانس من • اعطافهم فالكل فيها منتشي
تأتي علاهم بالصحيح ولفظهم • بالمنتقى وجمالهم بالمدهش

وقال السلطان ابو الحجاج الناصر النصري مرتجلا ايام مقامه بظاهر جبل الفتح سنة ٨١٥ •

ولم يتركوا اوطانهم بمرادهم • ولكن لاحوال اشابت مفارقي
اقام لها ليل التهابي تقلبا • وقد سكنت جهلا نفوس الخلايق
فعوضتها ليل الصبا ترب السرى • والنسل التلاقي بالجياد السوابق
ولم يثنني طرف من النور ناعس • ولا منعطف للبان وسط الحدائق
ولا منهض لانس الفي عند عرسهم • ولا ملعب للعزلان فوق النمارق
وغاطيتها صبح الدنا جح مدامة • تمثل لها الركبان فوق الايانق
اذا ما قطعنا بالمطي تنوفة • دلجنا الاخرى بالجياد السوابق
بحيث التقى موسى مع الخضر آية • عسى ترجع العقبى كموسى وطارق

وله

من عاذري

من عاذري من غزال زانه حور • قد هام لما بدا في حسنه البشر
الحاظه كسيوف الهند ماضية • لها بقلبي وان سالمتها اثر

وقال القاضي ابو القاسم بن حاتم •

شكوت بما دهاك وكان سترا • لمن ليست مودته صحيحه
فتلك مصيبة عادت ثلاثا • لصحبتها الشماتة والفضيحه

وقال الفقيه محمد بن سعيد الاندلسي مخاطبا للفقيه النجار

خفف علينا قليلا ايها العلم • فربما كان فينا من به السام
لا يستطيع نهوضا من تاملة • وان تمادى قليلا خانت القدم
كفى وصية مولانا وسيدنا • محمد فاسمعوا ما قاله والتزموا

وقال ابن الجبير اليحصبي فيمن اهدى اليه تفاحا

خليلي لم يزل قلبي قديما • يميل بفرط صاغية اليه
اتاني مقبلا والبشر يبدي • وسائل بر كرمت لديه
وجاء بعرف تفاح ذكي • فقلت اتى الخليل بسيبويه
فاهدى من جناه بكل شكل • يلوح جمال مهديها عليه

وقال قاضي مالقة سيدي ابراهيم البدوي

قطعت ياسي فضنت نفسي • عن الوقوف لذي وجاهه
فقدت ربي فكان حسبي • البسني فضله وجاهه
فلا يرى ينثني عناني • مدى حياتي الاتجاهه

وقال ابن خليل السكوني في فهرسته شاهدت بجامع العديس باشبيلية ربعة مصحف في اسفار يشبه خطه خطوط الكوفة الا انه احسن خط وابينه وابرعه واتقنه فقال لي الشيخ الاستاذ ابو الحسين بن الطفيل بن عظيمة هذا خط ابن مقلة

وانشد

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته • ودت جوارحه لو انها مقل

ثم فشاهرته بالضابط فوجدنا الواقها تتماثل في القدر والوضع فالالفات على قدر واحد واللامات كذلك والكافات والواوات وغيرها بهذه النسبة انتهى قلت رايت بالمدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام مصحفا بخط ياقوت المستعصمي بهذه المثابة وموقوفا لرشتمية ورايت بالحجرة الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام مصحفا مكتوبا في اخره ما صورته كتبته بقلم واحد فقط ما قط قط الا مرة فقط انتهى رجع وقال ابن عبدون رحمه الله تعالى •

اذهبن من فرق الفراق نفوسا • ونثرن من درر الدموع نفيسا

فتبعتها نظر الشجي فحدقت • رقبا وقد حوت عيونا شوسا
وطلعن عند القيراذ ودعتني • فخللن افلاك الحدود شموسا
حلته اذ حلته حتى خلته • عرشا لها وحسبتها بلقيسا
فازور جانبها وكان جوابها • لو كنت تهوانا صحبت العيسا

وهي طويلة قلت ما اظن لسان الدين نسج قصيدته من هذا البحر والروي الا على منوال هذه وان كان الحافظ المتنبي قبل ان نسجها على قصيدة ابي تمام حسبما ذكرنا ذلك في محله فليراجع وقال عبد الله بن المناصف قاضي بلنسية ومرسية رحمه الله
•
الزمت نفسي خمولا • عن رتبة الاعلام
لا تحسن البدر الا • ظهوره في تمام

وتذكرت به قول غيره
•
ليس الخمول بعار • على امرء ذي جلال
فليلة القدر تخفى • وتلك خير الليالي

وقال الوزير ابن عمار وقد كتب له ابو المطرف بن الدباغ شافعا لغلام طرز له عذار
اتاني كتابك مستشفعا • بوجه ابي الحسن من رده
ومن قبل فضي ختم الكتاب • قرات الشفاعة في خده

وقال الفقيه القاضي الاديب الفيلسوف الاديب ابو الوليد الوقشي قاضي طليطلة
برح يحان علوم الورى • قسمان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحقيقها • وباطل تحصيله لا يفيد تحصيلها

وقال ابو عبد الله بن الصفار وهو من بيت القضاء والعلم بقرطبة
لا تحسب الناس سواسية • ما استبهوا فالناس اطوار
وانظر الى الاحجار في بعضها • ماء وبعض ضمنه نار

وهذا مثل قول غيره
•
الناس كالارض ومنها هم • من خشن الطبع ومن لين
مرو تشكى الرجل منه الوجى • واثمد يجعل في الاعين

ومن نظم ابن الصفار المذكور
•
اذا نويت انقطاعا • فاعمل حساب الرجوع

وقال ابو مروان الجزيري
•
ومن العجايب والعجايب جمة • ان يلهج الاعمى بعيب الاعور

وقال حسان بن المصيصي كاتب الظافر بن عباد ملك قرطبة
لا تامنن من العدو لبعده • انا امرؤ للغير اشكي الطماحا

وقال

وقال الشيخ الاكبر سيدي محيي الدين بن عربي في كتابه الاشعار عن نتايج الاسفار انشدني الكاتب الاديب ابو عمرو بن مهيب باشبيلية ابياتا عملها في حمو بن ابراهيم بن ابي بكر الهرغي وكان اجمل اهل زمانه راه عندنا زايرا وقد خط عذاره فقلت يا ابا عمرو وما تنظر الى حسن هذا الوجه فعمل الابيات في ذلك

وهي

وقالوا العذار جناح الهوى • اذا ما استوى طار عن وكره
وليس كذاك فخبرهم • فيا ما بعذري او عذره
اذا كمل الحسن في وجهه • فخاتمه ذلك من شعره

انتهى قال بعضهم رايت اخر الكتاب المذكور بعد فراغه شعرا نسبه اليه وهو
يا حاضرا بجماله في خاطري • ومحجبا بجلاله عن ناظري
اذ غبت عن عيني فانك نورها • وضمير سرك سايرا في سايري
ومن العجايب انني ابدا الى • ذو مالك ذو شوق مديد وافر
مع انني ما كنت قط بمجلس • الا وكنت منادمي ومسامري

انتهى وانشد في الاحاطة لعبد الله الجذامي
ايا سيدي اشكو لمجدك انني • صددت مرارا عن مثولي بساحتك
شكاة اشتياق ان تخاطبيها • وما راحتي الا بتقبيل راحتك

قال وهو عبد الله بن عبد الله بن احمد بن محمد الجذامي فاضل ملازم للقراءة عاكف على الخير مشارك في العربية خاطب للرياسة الادبية اختص بالامير ابي علي منصور بن السلطان ايام مقامه بالاندلس ومما خاطبه به معتذرا يا سيدي البيتين انتهى وقال في ترجمة عبد الله بن احمد المالقي قاضي غرناطة وكان فقيها بارع الادب انه كتب الى ابي نصر صاحب القلايد والمطمح انشادا له بقوله
نفحت الكتابة عن نسيم • نسيم المسك في خلق الكريم
ابا نصر رسمت لها رسوما • تخال رسومها وضح النجوم
وقد كانت عفت فانرت منها • سراجا لاح في الليل البهيم
فتحت من الصناعة كل باب • فصارت في طريق مستقيم
فكاتب الزمان ولست منهم • اذا راموا مرامك في هموم
فما قس بابدع منك لفظا • ولا سحبان مثلك في العلوم

انتهى وقال الذهبي وقد جرى ذكر محمد بن الحسن المذحجي الاندلسي ابن الكتاني انه اديب شاعر متفنن في تصانيف حمل عنه ابن حزم ومن شعره
الا قد هجرنا الهجر واتصل الوصل • وبانت ليالي البين واجتمع الشمل
فسعدي نديمي والمدام ريقها • ووجنتها روضي وتقبيلها النقل

وقال العلامة محمد بن عبد الرحمن الغرناطي

الشعب ثم قبيلة وعمارة • بطن وفخذ والفصيلة تابعة
فالشعب يجمع القبيلة كلها • ثم القبيلة للعمارة جامعة
والبطن تجمعه العماير فاعلمن • والفخذ تجمعه البطون الواسعة
والفخذ يجمع للفصايل هاكها • جاءت على نسق لها متتابعة
فخزيمة شعب وان كنانة • لقبيلة منها الفصايل شايعة
وقريشها تسمى العمارة يا فتى • وقصي بطن للاعادي قامعة
ذا هاشم فخذ وذا عباسها • اثر الفصيلة لا تناط بسابعة

وكتبت هذه الابيات وان لم تشتمل على بلاغة لما فيها من الفايدة ولان بعض الناس ربما يبغي فيها لغرابتها والاعمال بالنيات ولما دخل ابو محمد الكلاعي الجياني على القاضي ابن رشد قام له فانشده ابو محمد بديهة

قال لي السيد الهمام • قاضي قضاة الورى الامام
فقلت قم بي ولا تقم لي • فقلما يوكل القيام

وقال ابو عبد الرحمن بن حجاف البلنسي

لين كان الزمان اراد حطي • وحاربني بانياب وظفر
كفاني ان تصافيني المعالي • وان عاديتني يا ام دفر
فما اعتز اللييم وان تسامي • ولا هان الكريم بغير وفر

وقال ابو محمد بن طلحة •

الا انما سيف الفتى صنو نفسه • فنافس بها في ذمة واخاء
يزينك مراى ويعينك حاجة • فيحسن حالي شدة ورخاء

وله ايضا

انني صبرا لا يروعك حادث • بازناجه واستشعري عاجل الفتح
فرب اشتداد في الخطوب لفرجة • كما انشق ليل طال عن فلق الصبح

وقال

متى يدنو لوعدكم انتجاز • ويبعد من حقيقته المجاز
اجمل ان يومكم رجاءي • فيوقف لا ايردو لا يجاز
وجدكم كفيل بالاماني • ومطلوبي قريب مستنجاز
اذا ما امكنت فرص المساعي • فعجز ان يطاولها انتهاز
وها انا قد هززتكم حساما • ويحسن للمهند اهتزاز
فالانصاف ان عنى كهام • ويودع غمده العضب الجراز
كانعم العراق بعذب بحر • ويشقى بالظما البرح الحجاز

فاعني

فاعني الناس في المقدار حكم • تجاذبه خمول واهتزاز

وانشد الشيخ ابو بكر بن حبيش لابن وضاح البيت المشهور وهو

اسرى واسير في الافاق من قمر • ومن نسيم ومن طيف ومن مثل

وابن حبيش المذكور هو ابو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش بفتح الحا وقد عرف به تلميذه ابن رشيد الفهري في رحلته فقال بعد كلام اما النظم فبيد عنانه واما النثر فان ماله اليه تركنا ابنانه • مع تواضع زايد • على صلة بحزم عايد لقيته بمنزله ليوم او يومين من مقدمي على تونس فتلقى بكل فن يونس • وصادفته بحالة مرض من وثا في رجله عرض • وعنده جملة من العواد • من الصدور الامجاد فادني وقرب • وسهل ورحب • وتفاوض اوليك الصدور في فنون الادب كانها الشذور • الى ان خاضوا في الاحاجي • واستضاوا بانوار افكارهم في تلك الدياجي • فخضت معهم في الحديث وانشدتهم بيتين كنت صنعتهما وانا حديث لقصة بلغتني عن ابي الحسن سهل بن مالك وهي انه كان يسايل اصحابه وهو في المكتب ويقول لهم احزروا اسمي فكل ينطق على تقدير فيقول لهم انكم لم تصيبوه مع انه سهل فنظمت هذا المعنى فقلت •

وما اسم فكه سهل يسير • يكون مصغرا اجم يسير
مصحفه له في العين حسن • وقلبي عند صاحبه اسير

وكان الشيخ ابو بكر على فراشه فزحف مع ما به من الم الى محبرة وطرس وقلم وكتب البيتين بخطه وقال للحاضرين اذكروا هذين البيتين عن قايلهما ومن شيوخ ابي حبيش ابو عبد الله بن عسكر المالقي كتب له ولاخيه ابي الحسين بخطه اجازة جميع ما يجوز له وعنه وضمن اخرها هذه الابيات •

اجبتكما لكن مقرا بانني • اقصر فيما رمتما عن مداكما
فانكما بدران في العلم ابرقا • فسلم اذعانا وقرا عداكما
فسيروا على حكم الوداد فانني • اجود بنفسي ان تكون فداكما

قال ابن رشيد وقد جمع صاحبنا ابو العباس الاشعري لابن حبيش فهرسته جامعة ولما وقف عليها ابن حبيش كتب في اولها ما نصه

الحمد لله حق حمده احسن هذا الفاضل فيما صنع احسن الله اليه • وبالغ فيما جمع بلغ الله به اشرف المراتب لديه • غير اني اقول واحق ما سربرتي لها بجاحد واصرح بمقال لا يسعني كتمه بجاحد • والله ما انا للاجازة باهل ولا مرامها لدي بسهل • اذ من شرط المجيز ان يعد فيمن كمل • ويعد العلم والعمل • اللهم غفرا كيف ينيل من عدم وفرا • او يجيز من اصبح صدره من المعارف قفرا • وصحيفته من الصالحات صفرا • وكيف يرتسم في ديوان الجلة من يتسم بالاقعاب

من ج

المحلة • ومني يقترنا الشبه بالابريز • او يوصف السكيت بالمبرز • ومن صنعف البني • محاسن الاقارب السهي • ومن اعظم التوبيخ تشييخ من لا يصلح للتشييخ وان هذا المجموع ليروق ويعجب • ولكنه جمع لمن لا يستوجب • وان القراة قد تحصلت • ولكن القواعد ما تاصلت • وانا القاري علم ولكن المقرو عليه عدم • ولقد شكرت لهذا السري ما جلب • وكنت مسعفا له بما طلب • وقرنت الي درة هذا الخشلب • قلت وحلي عطل • ونطقي عطل مكون احاك لا بطل • والله تعالي ينفع بما اخلص له عند الاعتقاد • ويسح للبهرج عند الانتقاد • وكتب العبد المذنب محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللخمي حامدا الله تعالي ومصليا علي نبيه الكريم المصطفي وعلي اله اعلام الطهارة والهدي ومسلما تسليما • وكتب ايضا رحمه الله تعالي في جواب استجازة المسئول متيذول ان شا الله علي التجيز ولكن شروط الاجازة موجودة في المجاز معدومة في المجيز والله سبحانه يصفح بكرمه ومنه • ويشكر كل فاضل عن تحصيل ظنه • ونحو المسئول سبحانه • ان يحفظ بعنايته مهجاتهم • ويرفع بالعلم والعمل درجاتهم • ويمتعهم بالكمال الرايق المعجب • ويقربا للتحبيب عن المعجب • وكتب ابن حبيش انتهي • وقال الوزير الكاتب ابو بكر بن القبطرنة يستجدي بازيا من المنصور بن الافطس صاحب بطليوس

الهيا الملك الذي اباوه • سم الانوف من الطراز الاول
حليت بالنعم الجسام جبيمة • عنقي فحل يدي كذاك باجدل
وامتن به صافي الجناح كانما • حذيت قوايمه بريح شمال
متلفتا والطل ينثر برده • منه علي مثل اليماني المحمل
اغدو به عجبا اصرف في يدي • ريحا واخذ مطلقا بمكبل

واد خلت علي المعتمد يوما باكورة نرجس فكتب الي ابن عمار يستدعيه

فد زارنا النرجس الزكي • وانمن يومنا العشي
وعندنا مجلس انيق • وقد ظمينا وفيه ري
ولي خليل غدا اسمي • يا ليته ساعد السمي

فاجابه ابن عمار

لبيك لبيك من مناد • له الندا الرحب والندي
ها انا بالباب عند قوم • قبلته وجهك السني
شرفاه والداه باسم • شرفته انت والسني

لعله شرفه

واصطحب المعتمد يوم غيم مع ام الربيع واحتجب عن الندما فكتب اليه ابن عمار
بحمم وجه الافق واعتل النفس • لا ادام تلح للعين انت والاشمس

فان كان

فان كان هذا منكما عن توافق • وضمكما انس فهنيكما الانس

فاجابه المعتمد بقوله •

خليلي قولا لي علي ملامة • اذا لم اغب الا لتحضر في الشمس
واهدي باكواس المدام كواكبا • اذا ابصرتها العين هبت لها الشمس
سلام سلام انتما الانس كله • وان غبتما ام الربيع هي الانس

واستدعي جماعة من اخوان ابن عمار منه شرابا في موضع لم يوفيه مفقود فبعث لهم به وبرمانتين وتفاحتين وكتب لهم مع ذلك

خذا ها مثل ما استدعيتما ها • عروسا لا تزف الي اللام
وذونكم بها ثدي فتاة • اضفتا ليهما خدي غلام

وشرب ذو الوزارتين القايد ابو عيسي بن لبون مع الوزرا والكتاب ببطحاء لرقة عند اخيه وابن اليسع غايب فكتب اليه

لو كنت تشهد يا مذا عشيتنا • والمزن يسكن احيانا ويخدر
والارض مصفرة بالمزن كاسية • ابصرت درا عليه التبر ينتثر

وقال الحجاري من القصيدة المشهورة • عليك احالني الذكر الجميل في وصف زيرا البدوي المستقل وما في طيه •

ومثلني بدن فيه حمر • يخف به ومنظره ثقيل

ولما انصرف عن ابن سعيد الي ابن هود عزله ابن سعيد عن تحوله عنه فقال

النفس تواقة • ومالي بغير التقرب طاقة

ثم قال

يقولون لي ماذا الملال تقيم في • محل فعند الانس تذهب راحلا
فقلت لهم مثل الحمام اذا شدا • علي غصن امسي باخر نازلا

وقد رايت ان اكفر ما تقدم ذكره من الهزل الذي اتينا به علي سبيل الاحماض بما لابد منه من الحكم والمواعظ وما يناسبها فنقول • قال ابو العباس بن خليل

فهموا اشارات الحبيب فهاموا • واقام امرهم الرشاد فقاموا
وتوسموا ابدامع منهلة • تحت الدجا يجود الانام نيام
وتلوا من الذكر الحكيم جوامعا • جمعت لها الالباب والافهام
يا صاح لو ابصرت ليلهم وقد • صفت القلوب وصفت الاقدام
لرايت نور هداية قد حفهم • فسري السرور واشرق الاظلام
فهم العبيد الخادمون مليكهم • نعم العبيد وافلح الخدام
سلموا من الافات لما استسلموا • فعليهم حتي الممات سلام

وقال العالم الكبير الشهير صاحب التاليف ابو محمد عبد الحق الاشبيلي رحمه الله

قالوا اصف الموت يا مذا وشدته • فقلت وامتد مني عندها الصوت

يكفيهم منه انا الناس ان وصفوا • امرا ابروعهم فالو انهوا الموت

وقال الخطيب الاستاذ ابو عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي نزيل بجاية

جعلت كتاب ربي لي بضاعه • فكيف اخاف فقرا او اضاعه

واعددت القناعة راس مالي • وهل شيء اعز من القناعه

وقال القاضي الكبير • الاستاذ الشهير • ابو العباس احمد بن الغماز البلنسي نزيل افريقية •

هو الموت فاحذر ان يجيئك بغتة • وانت على سوء من الفعل عاكف

واياك ان تمضي من الدهر ساعة • ولا لحظة الا وقلبك واجف

وبادر بأعمال يسرك ان ترى • اذا نشرت يوم الحساب الصحائف

ولا تيأسن من رحمة الله انه • لرب العباد بالعباد لطائف

وقال رحمه الله •

اما آن للنفس ان تخشعا • اما آن للقلب ان يقلعا

الشيب الثمانون قد اقبلت • فلم تبق في لذة مطمعا

تقضي الزمان ولا مطمع • لما قد مضى منه ان يرجعا

تقضي الزمان فوا حسرتي • لما فات منه وما ضيعا

ويا ويلتاه لذي شيبة • يطيع هوى النفس فيما دعا

ويبعدا وسحقا له اذ غدا • يسمع وعظا ولن يسمعا

وقال الاستاذ الزاهد ابو اسحاق الالبيري الغرناطي رحمه الله تعالى

كل امرئ فيما يدين يدان • سبحان من لم يخل منه مكان

يا عامر الدنيا ليسكنها وما • هي بالتي يبقى بها سكان

تفنى وتبقى الارض بعدك مثلما • يبقى المناخ ويرحل الركبان

اأسر في الدنيا بكل زيادة • وزيادتي فيها هي النقصان

وقال ايضا

ودع عني ادمنته بمنته • ان الغني عنه غير منفصل

تجر اذيال عجبه بطرا • واختار للكبريا في الحلل

يزنها ايدي الخطوب بزته • فاغتاض بعد الجديد في الحلل بالسمل

فلا تثق بالغنى فافتقر العقر • وصرف الزمان ذو دول

كفي بنيل الكفاف عنه غنى • فكن فيه غير مشتغل

وقال لسان الدين رحمه الله

لاشيء اخسر صفقة من عالم • لعبت به الدنيا مع الجهال

فغدا يفرق دينه ايدي سبا • ويذيله حرصا بجمع المال

لاخير

لاخير في كسب الحلال وقلما • يرجى الخلاص لكاسب الحلال

فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة • فالفضل تسال عنه اي سوال

وقال رحمه الله •

الشيب نبه ذا النهى فتنبها • ونهى الجهول فما استفاق ولا انتهى

فالى متى اللهو واخدع بالمنى • والشيخ اقبح ما يكون اذا لها

ما حسنه الا التقى لا ان يرى • صبا بالحاظ الجآذر والمها

انى يقاتل وهو مغلول النهى • كالجواد اذا استقل نادها

محق الزمان هلاله فكانما • ابقى له منه على قدر السهى

فغدا حسيرا يشتهي ان يشتهي • ولكم جرى طلق الجموح كما اشتهى

انا ان اواه واجهش بالبكا • لذنوبه ضحك الجهول وقهقها

ليست تنبهه العظاة وظله • في سنه قد آن ان يتنبها

فقد اللذات وزاد غيا بعدهم • هلا تيقظ بعدهم وتنبها

يا ويحه ما باله لا ينتهي • عن غيه والعمر منه قد انتهى

وقال الاستاذ ولي الله سيدي ابو العباس بن العريف

من لم يشافه عالما باصوله • فيقينه في المشكلات ظنون

من اخذ الاشياء دون تيقن • وتثبت فعاند مفتون

الكتب تذكرة لمن هو عالم • وصوابها بمحالها معجون

والفكر غواص عليها مخرج • والحق فيها لؤلؤ مكنون

وقال ابو القاسم بن الابرش •

اياسوني لما تعاظم ذنبي • ان ربي هو الغفور الرحيم

فذروني وما تعاظم منه • انما يغفر العظيم العظيم

وقال ابو العباس بن صقر الغرناطي او المري واصله من سرقسطة

ارض العدو بظاهر متصنع • ان كنت مضطرا الى استرضائه

كم من فتى القى بوجه باسم • وجوانحي تنقد من بغضائه

وقال الكاتب الشهير الشهيد ابو عبد الله محمد بن الابار القضاعي البلنسي رحمه الله تعالى من ابيات •

يا شقيق النفس او صنوك وان • شق في الاخلاص ما تنتجه

لا تبت في كمد من كبد • رب ضيق عاد رحبا مخرجه

وبلطف الله اضحى واثقا • كل كرب فعليه فرجه

ولابن الابار المذكور ترجمة طويلة استوفيت منها ما امكنني في ازهار الرياض في اخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض

قال الغبريني في عنوان الدراية لو لم يكن له من الشعر الا قصيدته الشبنية التي رفعها للامير ابي زكريا رحمه الله يستنجده ويستصرخه لنصرة الاندلس لكان فيها كفاية وان كان قد نقدها ناقد وطعن عليه فيها طاعن ولكن كما قال ابو العلاء المعري لما نقدها •

تكلم بالقول المضلل حاسد • وكل كلام الحاسدين هواء

ولو لم يكن له من القول فيه الا كتابه المسمى معادن اللجين في مراثي الحسين لكفاه في ارتفاع درجته • وعلو منصبه وسمو رتبته ثم قال توفي بتونس ضحوة يوم الثلاثاء المتوفي عشرين لمحرم سنة ٦٥٨ ومولده آخر شهر ربيع سنة ٥٩٥ ببلنسية رحمه الله وسامحه انتهى وقال ابن علوان انه يتصل سنده به من طرق منها من طريق الرواية ابي عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي آشي عن الشيخ المقرئ المحدث المتبحر ابي عبد الله محمد بن حيان الاوسي الاندلسي نزيل تونس عنه ومن طريق والدي صاحب عنوان الدراية عن الخطيب ابي عبد الله ابن صالح عنه انتهى قلت وسندي اليه عن العم عن التنسي عن ابيه عن ابن مرزوق عن جده الخطيب عن ابن جابر الوادي آشي به كما مر وقال ابن عبد ربه

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا • والموت ويحك لم يمدد اليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه • لا بد لله من انجاز ما وعدا

رجع وقال الصدر ابو العلي بن قاسم القيسي

يا واقفا بالباب في رزق يؤمله • لا تقنطن فان الله فاتحه
ان قدر الله رزقا انت طالبه • لا تيأسن فان الله مانحه

وقال الاعمى التطيلي •

تنافس الدنيا وقد علموا ان سوف تقتلهم لذاتها بددا
قل للمحدث عن لقمان او لبد • لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
وللذي همه البنيان يرفعه • ان الردى لم يغادر في الثرى احدا
ما لابن آدم لا تفنى مطالبه • يرجو غدا وعسى لا يعيش غدا

وقال ابو العباس التطيلي •

والناس كالناس الا ان تجربهم • وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالايك مشتبهات في منابتها • وانما يقع التفضيل في الثمر

وقال القاضي ابو العباس بن الغماز البلنسي

من كان يعلم لا محالة انه • لا بد ان يودي وان طال المدى
هلا استعد لمشهد يجري به • من قد اعد من اهتدى ومن اعتدى

وقال مكرر

من الموت

من الموت فاحذر ان يجيئك بغتة • وانت على سوء من الفعل عاكف
واياك ان تمضي من الدهر ساعة • ولا لحظة الا وقلبك واجف
فبادر باعمال يسرك ان ترى • اذا طويت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه • لرب العباد بالعباد لطائف

ولما استوزر باديس صاحب غرناطة اليهودي الشهير بابن نغرالة واعتضل داؤه المسلمين قال زاهد البيرة وغرناطة ابو اسحاق الالبيري قصيدته النونية المشهورة التي منها في اغراء صنهاجة باليهودي

الا قل لصنهاجة اجمعين • بدور الزمان واسد العرين
مقالة ذي مقة مشفق • صحيح النصيحة دنيا ودين
لقد زل سيدكم زلة • اقر بها اعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا • ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتخوا • وسادوا وتاهوا على المسلمين

وهي قصيدة طويلة فثارت اذ ذاك صنهاجة على اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفيهم الوزير المذكور وعادة اهل الاندلس ان الوزير هو الكاتب فاراح الله البلاد والعباد ببركة هذا الشيخ الذي نور الحق على كلامه باد وقال مكرر ابو الطاهر الجياني المشهور بابن ابي ركب بفتح الراء وسكون الكاف يقول

يقول الناس في مثل • تذكر غائبا تره
فما لي لا ارى وطني • ولا انسى تذكره

وكان ابو الطاهر هذا في جملة من الطلبة فمر بهم رجل معه محبرة آبنوس تأنق في حليتها • واحتفل في عملها فاراهم اياها • وقال اريد ان اقصد بها بعض الاكابر واريد ان تمتحنوا لي بان تصنعوا لي بينكم ابيات شعر اقدمها معها فاطرق الجماعة وقال ابو الطاهر

وافتك من عدد العلى زنجية • في حلة من حليها تتبختر
صفراء سوداء الحلى كانها • ليل تطرزه نجوم تزهر

فلم يقبل الرجل عنهم الا يسيرا واذا به قد عاد اليهم وفي يده قلم نحاس مذهب فقال لهم وهذا مما اعددته للدفع مع هذه المحبرة فتفضلوا باكمال الصنيعة عندي بذكره فبدر ابو الطاهر وقال

حملت باصفر من نجار حليها • تخفيه احيانا وحينا تظهر
خرسان الا حين يرضع ثديها • فتراه ينطق من بنيا ويذكر

وقال ابن الابار في تحفة القادم وحضر يوما في جماعة من اصحابه وفيهم ابو عبد الله بن زرقون في شعبان في مكان فلما فرغوا من الطعام قال ابو الطاهر

لابن زرقون اخبرنا ابا عبد الله **وانشد**

حرمت شعبان المبارك شعبة • تستهل عندي الجوع في رمضان
كاحمد الصبيا المقيم زورة • تحل فيها الحر طول زمان

فقال

دعوها بشعبانية ولو انهم • دعوها بشعبانية لكنا في

انتني وقال ابو عبد الله بن خميس الجزيري

تحفظ من لسانك ليس شي • احق بطول سجن من لسان
وكن للصمت ملتزما اذا ما • اردت سلامة في ذا الزمان

وقال

كن حلس بيتك مهمي فتنة ظهرت • تخلص بدينك وافعل دائما حسنا
وان ظلمت فلا تحقد على احد • انا الضغاين فاعلم تنشي الفتنا

وقال

بدا لي ان خير الناس عيشا • من امنه الاله من الانام
فليس لخايف عيش لذيذ • ولو ملك العراق مع الشام

وله

سالم جميع الناس تسلم منهم • ان السلامة في مجانبة الورى
واذا رايت من امرء يوما اذى • لا تجن ابدا بما منه ترى

وله

من ادب ابنا له صغيرا • قرت به عينه كبيرا
وارغم الانف من عدو • يجيد نعماءه كثيرا

وقال محمد بن هارون القرطبي •

بيد الاله مفاتح الرزق الذي • ابوابه مفتوحة لم تغلق
عجبا لذي فقر يكلف مثله • في الوقت شيا عنده لم يخلق

وقال ايضا

لعمرك ما الانسان يرزق نفسه • ولكنما الرب الكريم يجيزه
وما بيد المخلوق في الرزق حيلة • تقدمه عن وقته او تاخره

وقال الاديب الاستاذ ابو محمد بن صارن رحمه الله تعالى

يا من يصيخ الى داعي السفاه وقد • نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى • في راسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل • لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك • الاعلى ولا النيران الشمس والقمر

ليرحلن عن الدنيا وان كرها • فراقها الثاويان البدو والحضر

وقال رحمه الله في ابنة ماتت له

الا يا موت كنت بنا رؤفا • فجددت الحياة لنا بزوره
حماد لفعلك المشكور لما • كفيت مونة وسترت عوره
فانكحنا الضريح بلا صداق • وجهزنا الفتاة بغير شوره

وانشد ابو عبد الله بن الحاج الكري الغرناطي في بعض مجالسه قوله

يا غاديا في غفلة ورايحا • الى متى تستحسن القبايحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا • يستنطق الله به الجوارحا
يا عجبا منك وكنت مبصرا • كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرا في غد • صحيفة قد مليت فضايحا
لا كيف ترضى ان تكون خاسرا • يوم يفوز من يكون رابحا

وممن روى عنه هذه الابيات الكاتب الرئيس ابو الحسن بن الجياب وتوفي ابن الحاج المذكور سنة ٧١٥ رحمه الله وقال حافظ الاندلس ومحدثها ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي رحمه الله

الى م تقضت للعمر ستون حجة • وللحركات بعدها وسكون
فيا ليت شعري اين او كيف او متى • يكون الذي لا بد ان سيكون

والصواب انهما لغيره كما ذكرته في غير هذا الموضع وبالجملة فهما من كلام الاندلسيين وان لم يحقق ناظمهما بالتعيين وقال ابو بكر يحيى التطيلي رحمه الله تعالى

اليك بسطت الكف في لجة الدجى • نداء غريق في الذنوب غريق
رجاك ضميري كي تخلص جملتي • فكم من فريق شافع لفريق

وحكى ان بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل بن العادل بن ايوب رقعة في ورقة بيضا ان قريت في ضوء السراج كانت فضية وان قريت في الشمس كانت ذهبية وان قريت في الظل كانت حبرا اسود وفيها هذه الابيات

لين صدني البحر عن موطني • وعيني باشواقها زاهره
فقد زخرف الله لي مكة • بانوار كعبتها الزاهره
وزخرف لي بالنبي يثربا • وبالملك الكامل القاهره

فقال الملك الكامل قل •

وطيب لي بالنبي طيبة • وبالملك الكامل القاهره

واظن ان المغربي اندلسي لقوله لين صدني البحر عن موطني فلذلك ادخلته في اخبار الاندلسيين ولست على تحقيق في ذلك والله اعلم

وانشد ابن الوليد المعروف بابن الخليع قال انشدنا ابو عمر بن عبد البر

النمري الحافظ •

تذكرت من يبكي علي مداوما • فلم الف الا العلم بالدين والخبر
علوم كتاب الله والسنن التي • اتت عن رسول الله مع صحة الخبر الاثر
وعلم الالي من ناقديه وفهم ما • له اختلفوا في العلم بالراي والنظر

وانشد له ايضا

مقالة ذي نصح وذات فوائد • اذا من ذوي الالباب كان استماعها
عليكم بآثار النبي فانه • من افضل اعمال الرشاد اتباعها

وقال ابو الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب الازدي اليابري وسكن ابوه قرطبة

عصيت هوى نفسي صغيرا وبعدما • رمتني الليالي بالمشيب وبالكبر
اطعت الهوى عكس القضية ليتني • خلقت كبيرا وانتقلت الي الصغر

وقيل ان ابنه ابا الحسن علي بن عبد الملك قال بيتا مفردا في معني ذلك وهو

هنيئا له ان لم يكن كابنه الذي • اطاع الهوي في حالتيه وما اعتدي

وقيل ان هذا البيت رابع اربعة ابيات وقال ابو اسحاق ابن خفاجة لما اجتمع به ابوا العرب وساله عن حاله وقد بلغ في عمره احدي وثمانين سنة فانشد له

ايعيش او غدا او سنه • لابن احدي وثمانين سنه
قلص الشيب بها ظل امرء • طالما جر صباه رسنه
تارة تسطو به سيئة • تسخن العين واخري حسنه

وقال ابو محمد عبد الوهاب بن محمد العبسي المالقي

الموت حصاد بلا منجل • يسطو علي القاطن والمنجلي
لا يقبل العذر علي حالة • ما كان من مشكل او منجلي

وقال الشيخ عبد الحق الاشبيلي الازدي صاحب كتاب العاقبة والاحكام وغيرهما

ان في الموت والمعاد لشغلا • وادكارا لذي النهي وبلاغا
فاغتنم خطتين قبل المنايا • صحة الجسم يا اخي والفراغا

وقال ابو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني من اهل جليانة عمل وادي اش •

الا انما الدنيا بحار تلاطمت • فما اكثر الغرقا علي الجنبات
واكثر من صاحبت يغرق الفه • وقل فتي ينجي من الغمرات

وكان المذكور من اهل العلم والادب السائحين في الارض وله تآليف منها جامع انماط الوسائل في القريض والخطب والرسائل واكثر نظمه ونثره رحمه الله وقال عبد العليم بن عبد الملك بن حبيب القضاعي الطرطوشي

وما الناس الا كالصحائف غيرت • والسنهم الا كمثل التراجم

اذا اشتجر الخصمان في فطنة الفتي • فمعقوله في ذاك اعدل حاكم

وقال ابو الحكم عبد الرحمن البلنسي •

من كان للدهر خدنا في تصرفه • ابدت له صفحة الدهر الاعاجيبا
من كان خلوا من الاداب سربله • من الليالي علي الايام تاديبا

وقال ابو حاتم عمر بن محمد بن فرج من اهل ميرتلة مدينة بغرب الاندلس يمدح شهاب القضاعي •

شهاب لسما ضياؤها مستور • عنا اذا افلت تواري النور
فانزع هديت الي شهاب نوره • متالق ما له تقصير
تشفي جوامع القلوب من العمي • ولطالما انشرحت بهن صدور
فاذا اتي فيه حديث محمد • خذ في الصلاة عليه يا مغرور
وترحم علي القضاعي الذي • وضع الشهاب فسعيه مشكور

وقال الاستاذ ابو محمد غانم بن وليد المخزومي المالقي

ثلاثة يجهل مقدارها • الامن والصحة والقوت
فلا تثق بالمال من غيرها • لو انه در وياقوت

وتذكرت بهذا قول الاخر •

اذا القوت تاتي لك • والصحة والامن
واصبحت اخا حزن • فلا فارقك الحزن

وكل ذلك اصله الحديث النبوي من اصبح آمنا في سربه • معافي في بدنه عنده قوت يومه فكانما سيقت له الدنيا بحذافيرها • واخبرنا شيخنا القصار ابو عبد الله محمد بن قاسم القيسي مفتي مدينة فاس وخطيبها سنة عشرة والف قال حدثنا شيخنا ابو عبد الله محمد بن ابي الفضل التونسي نزيل فاس الشهير بخروف حدثنا الامام سيدي فرج الشريف الطحطحاي قال سمعت النبي صلي الله عليه وسلم في النوم يقول من اصبح امنا في سربه الحديث رجع وقال الاستاذ العارف بالله سيدي ابو العباس احمد بن العريف الاندلسي دفين مراكش وقد زرت قبره بها سنة ١٠١٠

اذا نزلت بساحتك الرزايا • فلا تجزع بها جزع الصبي
فان لكل نازلة عزاء • بما قد كان من فقد النبي

وقال رحمه الله

شدوا الرحال وقد نالوا المني بمني • وكلهم بأليم الشوق قد باحا
راحت ركائبهم تندي روائحها • طيبا بما طاب ذاك الوفد اشباحا
نسيم قبر النبي المصطفي لهم • راح اذا سكروا من اجله فاحا

يا راحلين الى المختار من مضر • زرتم جسوما وزرنا نحن ارواحا
انا اقمنا على شوق وعن قدر • ومن اقام على عذر كمن راحا

وقال ابو محمد المحاربي •

ذا الزمان واهله • داء تعزله العلاج
اطلعت في ظلمائه • راياً كما سطع السراج
لمعاشر اعيا ثقا • من قناتهم اعوجاج
كالدر ما لم تختبر • فاذا اختبرت فهم زجاج

وقال ابو عبد الله غريب الثقفي القرطبي

يندد في مخلوق ضعيف • يهاب من المنية ما اهاب
له اجل وفي اجل وكل • سيبلغ حيث يبلغه الكتاب
وما يدري لعل الموت منه • قريب انما هو المصاب

وله

ايها الامل من ليس له • طالما غر جهولاً امله
رب ما بات يمني نفسه • حاله دون مناه اجله
وفتى بكر في حاجاته • عاجلاً اعقب ريثاً عجله
قل لمن مثل في اشعاره • يذهب المرء ويبقى مثله
نافس المحسن في احسانه • فسيكفيك مسيئاً عمله

قال ابن الابار وهذا البيت الاخير في برنامج الطبني وقال ابو الحسين
سليمان بن الطراوة النحوي المالقي

وقايلة انصبوا للغواني • وقد اضحى بمفرقك النهار
فقلت لها حثثت على التصابي • احق الخيل بالركض المعار

وقال الحافظ ابو الربيع بن سالم

اذا برمت نفسي بحال احلها • على امل ناء فترت به النفس
وان نزل ارجا الرجا ركايبي • اذا رام المام بساحتي اليأس
وانا وحسبي من اماني نبوة • فلي في الرضا بالله والقدر الانس

وقال ابو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الاشبيلي مما انشده لنفسه
في كتابه الذي سماه بالذخاير والاعلاق • في ادب النفوس ومكارم الاخلاق

اذا تم عقل المرء تمت فضايله • وقامت على الاحسان منه دلايله
فلا تنكر الابصار ما هو فاعله • ولا تنكر الاسماع ما هو قايله

وكان ابو المذكور من وزرا المعتمد بن عباد رحمه الله الجميع وقال ابو بكر الزبيدي اللغوي

اترك لهم اذا ما طرقك • وكل الامر الى من خلقك

واذا امل

واذا امل قوم احمدا • فالى ربك فامدد عنقك

وقال القاضي ابو الوليد هشام بن محمد التميمي الشلبي المعروف بابن الطلا
فاوصنا القاضي ابو الوليد هشام بن محمد التميمي الشلبي لنا ابا عبد الله بن سرين
يوما ما نحذر من فتنة النظر الى الوجوه الحسان فقلت

لا تنظرن الى ذي رونق ابداً • واحذر عقوبة ما ياتي به النظر
فكم صريع رايناه صريع هوى • من نظرة قادها يوماً له القدر

فاجابني في المعنى الذي انتحيته

اذا نظرت فلا تولع بتقليب • فربما نظر عادت بتعذيب

ورب هنا للتكثير وقال الاستاذ بن حوط الله

اتدري انك الخطا حقا • وانك بالذي تاتي رهين
وتغتاب الالى فعلوا وقالوا • وذاك الظن والافك المبين

قال في الاحاطة ابو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله الانصاري
الحارثي ابو محمد كان فقيها جليلاً اصولياً كاتباً اديباً شاعراً متفننا
في العلوم ورعاً دينا حافظا ثبتا فاضلا درس كتاب سيبويه ومستصفى
ابي حامد الغزالي وكان رحمه الله مشهوراً بالعقل والفضل معظماً عند
الملوك معلوم القدر لديهم يخطب في مجالس الامرا والمحافل الجمهورية
متقدما في ذلك بلاغة وفصاحة الى بعد محمار وولي قضا اشبيلية
وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة فتنطامر بالعدل وعرف بما
انطوى من الدين والفضل وكان من العلما العاملين مجانبا لاهل البدع
والاهوا بارع الخط حسن التقييد وسمع الحديث فحصل له سماع لم يشاركه
فيه احد من اهل المغرب وسمع على الجهابذة كابن بشكوال وغيره واقرا اكثر
من ستين تاليفا بين كبار وصغار وكمل له على ابي محمد بن عبد الله بن فرتا
وسماع نحو من ستة وثلاثين تاليفا منها الصحيحان واكرعا بن حبيش
والسهيلي وابن الفخار وغيرهم ومولده في محرم سنة ٥٤٩ ومات بغرناطة
سحر يوم الخميس ثاني ربيع الاول سنة ٦١٢ ونقل منها في تابوته الذي
الحد فيه يوم السبت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة الى مالقة
فدفن بها رحمه الله انتهى وبعضه بالمعنى مختصرا وللمذكور ترجمة واسعة
جداً والمقصود ما ذكر على وجه التبرك بذكره رحمه الله ورضي عنه وقال
ابو المتوكل الهيثم بن احمد السكوني الاشبيلي •

تجنى الغني ويغنى الناس قاطبة • بباب الغني كذا حكم المقادير
وانما الناس امثال الفراش فهم • يرون حيث مصابيح الدنانير

قال تلميذ ابن الابار انشد في بعض اصحابنا عنه هذين البيتين ولم اسمعهما منه انتهى قلت وبهذا تعرف وهم من نسب البيتين الى عبد المهيمن الحضرمي فان هذا كان قبل ان يخلق والد عبد المهيمن الحضرمي وقد انشدهما ابن الجلاب الفهري في روح الشعر وروح السحر وقال ابو محمد القاسم بن الفتح الحجاري المعروف بابن الفريوله •

ركابي بارجاء الرجاء مناخة • وزادي ها علمي بانك لي رب
وانك علام بما انا قايل • كما انت علام بما اضمر القلب
ليزداد هاذنب توالت بعاده • لقد قرعت بابا به يغفر الذنب

وقال ايضا

وعجبا لحبر قد تنفر ذاته • سيري اقتراف يديه في ميزانه
ثم استطى ظهر المعاصي جهده • لم يثنه التانيب عن عصيانه
اني عصيت ولكل جزء نعمة • من نفسه وزمانه ومكانه

وقال الشاعر الكبير الشهير ابو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهري

ان الشدايد قد تغشى الكريم لان • تبين فضل سجاياه وتوضحه
كمبرد القين اذ يعلو الحديد به • وليس ياكله الا ليصلحه

وقال

لا تغبط المجدب في علمه • وان رايت الخصب في حاله
ان الذي ضيع من نفسه • فوق الذي ثمر من ماله

وقال ابو الحجاج يوسف بن احمد الانصاري المنصفي البلنسي

قالت لي النفس اتاك الردى • وانت في بحر الخطايا مقيم
هلا اتخذت الزاد قلت اقصري • هل يحمل الزاد لدار الكريم

وكان المنصفي المذكور صالحا وله رحلة حج فيها ومال الى علم التصوف رحمه الله وله فيه اشعار حملت عنه وقال ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الصايغ القرشي الاموي الاندلسي مخمسا ابيات عز الدين بن جماعة قاضي القضاة رحمهما الله •

هم الابي على مقدار منصبه • ونشط راحته في طي منصبه
ما انت والدهر تشكو من تقلبه • يا مبتلى بقضا قد بليت به
عليك بالصبر واحذر يا اخي جزعك
صبرا فللصبر في حرب العدى عدد • ذل العدو وبمينه الغيظ والحسد
ولا يكن لك الا الله معتمد • واعلم بان جميع الخلق لو قصدوا
اذاك لم يقدروا والله قد رفعك

اعلاك

اعلاك في رتب عز معظمة • بالعرف معروفة بالعلم معلمة
ومن يناديك في دهما مظلمة • فاعرف مولاك وجانب كل مظلمة
واصحب فديتك من بالنصح قد نفعك
فقد اخذت من الايام تبصرة • وقد كفاك الهدى والذكر تذكرة
فاشكر وقدم مع الاخلاص مغفرة • واسال الهك في الاسحار مغفرة
منه وكن معه حتى يكون معك

وتوفي المذكور بالقاهرة في الطاعون العام سنة ٧٤٩ وقال ابو عبد الله الحميدي

الناس نبت وارباب القلوب لهم • روض واهل الحديث الما والزهر
من كان قول رسول الله حاكمه • فلا شهود له الا الذي ذكروا

وقال

من لم يكن للعلم عند فنائه • ارج فان بقاءه كفنائه
بالعلم يحيى المرء طول حياته • فاذا انقضى احياه حسن ثنائه

وقال

دين الفقيه حديث يستضي به • عند الحجاج والا كان في الظلم
ان تاه ذو مذهب في قفر مشكلة • لاح الحديث له في الوقت كالعلم

ولما تعرض بعض من لا يبالي بما ارتكب الى اصحاب الحديث بقوله

ارى الخير في الدنيا يقل كثيره • وينقص نقصا والحديث يزيد
فلو كان خيرا كان كالخير كله • ولكن شيطان الحديث مريد
ولابن معين في الرجال مقالة • سيسال عنها والمليك شهيد
فان يك حقا قوله فهي غيبة • وان يك زورا فالقصاص شديد

اجابه الامام ابو عبد الله الحميدي بقصيدة طويلة منها

والى الى ابطال قولك قاصد • ولي من شهادات النصوص جنود
اذا لم يكن خيرا كلام نبينا • لديك فان الخير منك بعيد
واقبح شي ان جعلت لما اتى • عن الله شيطانا وذاك شديد
وما زلت في ذكر الزيادة مبهجا • بها يبتدي للتلبيس ثم يعيد
كلام رسول الله وحي ومن يرم • زيادة شي فهو فيه عنيد

ومنها في ابن معين •

وما هو الا واحد من جماعة • وكلهم فيما حكوه شهود
فان صد عن حكم الشهادة جاهل • فان كتاب الله فيه عتيد
ولولا رواة الدين ضاع واصبحت • معالمه في الاخرين تبيد

بهم حفظوا الآثار من كل شبهة • وغيرهم عما اقتنوه رقود
وهم هاجروا في جمعها وتبادروا • الى كل افق والمرام كؤود
وكادوا بتعديل الرواة وجرحهم • فدام صحيح النقل وهو جديد
بتبليغهم صحت شرايع ديننا • حدود تحروا حفظها وعهود
وصح لاهل النقل منها احتجاجهم • فلم يبق الا عاند وحسود
وحسبهم ان الصحابة بلغوا • وعنهم رووا لا يستطاع جحود
فمن حاد عن هذا اليقين فمارق • مريد لاظهار الشكوك مريد
ولكن اذا جاء الهدى ودليله • فليس لموجود الضلال وجود
وان رام اعداء الديانة كيدها • فكيدهم بالمخزيات مكيد

وقال ابو بكر محمد بن محمد الزهري البلبيسي والتزم الراء في كل كلمة

اشكر لربك وانتظر • في اثر عسر الامر يسرا
واصبر لكربك وادخر • في ستر ضر الفقر اجرا
فالدهر يغير بالورى • والصبر بالاحرار احرى
والوفر اظهر معشرا • والفقر بالاخيار يزري

وقال

اقنع بما اوتيته تنل الغنى • واذا دهتك ملمة فتصبر
واعلم بان الرزق مقسوم فلو • رمنا زيادة ذرة لم نقدر
والله ارحم بالعباد فلا تسل • بشرا تعش عيش الكرام وتوجر
واذا سخطت لضر حالك مرة • ورايت نفسك قد قعدت فاستبصر
وانظر الى من كان دونك تذكر • لعظيم نعمته عليك فتشكر

وقال الحافظ ابو محمد بن حزم انشدني والدي احمد بن سعيد بن حزم

اذا شيت ان تحيى غنيا فلا تكن • على حالة الا رضيت بدونها

وقال القاضي ابو العباس احمد بن الغماز البلبيسي نزيل تونس

وقالوا تخشى ذنوبا اتيتها • ولم تك ذا جهل فتعذر بالجهل
فقلت لهم هبني كما قد ذكرتم • تجاوزت في قول واسرفت في فعل
اناني رضي مولى الموالي وصحبه • رجا ومسلاة لمقترف مثلي

وانشد رحمه الله لنفسه في اليوم الذي مات فيه وهو آخر ما سمع منه ليلة عاشورا سنة ٦٩٣ • ما انشده في اليوم الذي مات

ادعوك يا رب مضطرا على ثقة • بما وعدت كما المضطر يدعوكا
دارك بعفوك عبدا لم يزل ابدا • في كل حال من الاحوال يرجوكا
طال انتحابي ولما اتخذ عملا • الا محبة اقوام احبوكا

وقال

وقال ابن الزقاق ونقلتها من خط... مكتوبة على قبره •

اخواننا والموت قد حال دوننا • وللموت حكم نافذ في الخلائق
سبقتكم للموت والعمر طية • واعلم ان الكل لا بد لاحقي
بعيشكم او باضطجاعي في الثرى • الم نك في صفو من العيش رائق
فمن مر بي فليمض بي مترحما • ولا يك منسيا وفا الاصادق

وقال الخطيب ابو عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي ومولده سنة ٦١٤

اري العمر يفنى والرجاء طويل • وليس الى قرب الحبيب سبيل
حباه اله الخلق احسن سيرة • فما الصبر عن ذاك الجمال جميل
متى يشتفي قلبي بلثم ترابه • ويسمح دهر بالمزار بخيل
دللت عليه في اوايل اسطري • فذاك نبي مصطفى ورسول

وقال ايمن بن محمد الغرناطي نزيل طيبة على ساكنها الصلاة والسلام

ارى حجرات قد احاطت عراصها • بحبر محيط حصنه غير ممكن
بحار المعاني والمعالي وان طمت • لدى لجة تغني وعن هول تغني
محمد المحمود في كل موطن • ابو القاسم المختار من خير معدن
نبي اذا ابصرت عزة وجهه • تيقنت انا لعز عز المهيمن
لك الله من بدر اذا الشمس قابلت • محياه قالت ان ذا طالع سني

وله

كل القلوب مطيعة لك في الهوى • جاب فدتيك من تشا او والي
الحسن والى القلوب رعية • وعلى الرعية ان تطيع الوالي

وقال

الا ايها الباكي على ما يفوته • من الحظ في الدنيا جهلت وما تدري
على فوت حظ من جوار محمد • حقيق بان يبكي الى آخر العمر
ستدري اذا فنا وقد رفع الكرى • واحمدها دينا الى موقف الحشر
من الفايز المغبوط في يوم عرضه • اجار النبي المصطفى ام اخو الوفر

وله

فررت من الدنيا الى ساكن الحمى • فرار محب لاذ بحبيب
لجات الى هذا الجناب وانما • لجات الى سامي العماد رحيب
وناديت مولاي الذي عنده الغنى • نداء عليل في الزمان غريب
امولاي اني قد اتيتك لاتيا • وانت طبيبي يا اجل طبيب
فقال لك البشرى ظفرت من الرضى • باوفر حظ مجزل ونصيب
تناومت في اطلال ليل شبيبتي • فاذكرني بالفجر صبح مشيبي

وقال ابو بكر الزبيدي اللغوي •

لو لم تكن نار ولا جنة • للمرء الا انه يقبر
لكان فيه واعظ زاجر • لمن تبع او يبصر

ولقد صدق رحمه الله ورضي عنه وليعض فيها طلبي

نأيك الانقباض اجل شيء • وادعى في الامور الى السلامه
فهذا الخلق سالمهم ودعهم • فرؤيتهم تؤول الى الندامه
ولا تعنى بشيء غير شيء • يقود الى خلاصك في القيامه

وامر الكاتب ابو بكر معاور يكتب هذه الابيات على قبره وهي له

ايها الواقف اعتبارا بقبري • استمع فيه قول عظمي الرميم
اودعوني بطن الضريح وخافوا • من ذنوب كلومها باديمي
قلت لا تجزعوا علي فاني • حسن الظن بالرؤوف الرحيم
ودعوني بما اكتسبت رهينا • غلق الرهن عند مولى كريم

وقال الخطيب بن صفوان

نأيتك يدنيني اليك تباعدي • فابعدت نفسي لابتغائي في القرب
مررت لمني لينه فلم تكن • بي البعد في قربي فصح به قربي
فيارب هل نعمي على العبد بالرضى • ينال بها فوز امن القرب بالقرب

وقال الوادي آشي وهذا النظم معناه جليل وتكرار القرب وان قبح عند العروضي فهو عند المحب جميل وثم القوم يسلم لهم في الافعال والاقوال وترتجى بركتهم في كل الاحوال انتهى وقال بعض قدما الاندلس

سئمت الحياة على حبها • وخولني السقم ان نسأما
فلا عيش الا لذي صحة • تكون له المنى سلما

وذيله اخر منهم فقال •

ولا داء الا لمن لم يزل • تيارب في دينه مائما
فلست تعالج جرح الهوى • هديت بمثل التقي مرهما

وقال ابو جعفر احمد السيابي المتنبي المرتلي

اذا ما جنى يوما عليك جناية • ظلوم تدق الشمس باسا وينصف
فلا تنتقم يوما عليه بما جنى • وكل امره للدهر فالدهر منصف

ولـه

ليس حلم الضعيف حلما ولكن • حلم من لو يشاء اصابا قتلانا
من تغاضى عن السفيه بحلم • اصبح الناس دونه اخصانا
من يروح كريمة الهمة العليا • علوا فقد اجاد الحسانا

ستزيه

ستزيه عند الولاد بيها • العلم والحلم والاناة كجارا

وقال الخطيب الصالح ابو محمد اسحاق بن ابي العاصي

اعمل بعلمك توت علما انما • جدوى علوم المرء نهج الاقوم
واذا الفتى قد نال علما ثم لم • يعمل به فكانه لم يعلم

وقال موطيا على البيت الاخير •

امولاي انت العفو الكريم • لبذل النوال وللمعتذر
علي ذنوب ونصحيفها • ومن عندك الجود والمغفر

وقال الخطيب المتصوف الشهير ابو جعفر احمد بن الزيات من بلش مالقة

تبا الخصال لاهل العلم الف • ومن جمع الخصال الالف سادا
ويجمعها الصلاح فمن تعدى • مذاهبه فقد جمع الفسادا

وقال

ان شئت فوزا بمطلوب الكرام غدا • فاسلك من العمل المرضي منهاجا
واغلب هوى النفس لا يغررك خادعه • فكل شيء يحط القدر منهاجا

وقال الاديب الكبير الشهير ابو محمد عبد الحق الله بن محمد بن هارون البكري الشنتريني رحمه الله تعالى •

بنو الدنيا بجهل عظموها • فعزت عندهم وهي الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها • مهارشة الكلاب على العقيره

وقال ايضا

اي عذر يكون لا اي عذر • لابن سبعين مولع بالصبابه
وهو مما لم تبق منه الليالي • في اناة الحياة الا صبابه

وقال ايضا

ولقد طلبت رضى البرية جاهدا • فاذا رضاهم غاية لا تدرك
واري القناعة للفتى كنزا له • والبر افضل ما به يتمسك

وقال ابو محمد بن صاحب الصلاة الداني ويعرف بعبدون

وعجل شيبي ان ذا الفضل مبتلي • بدهر غدا ذو النقص فيه مؤملا
ومن نكد الدنيا على المرء ان يرى • بها الحر يشقى واللئيم مموّلا
متى ينعم الحر عينا اذا اغتنى • جوادا مقلا او غنيا مبخلا

وقال ابو الحكم عبيد الله الاموي مولاهم الاندلسي

اذا كان اصلاحي لجسمي واجبا • فاصلاح نفسي لا محالة اوجب
وان كان ما يفنى الى النفس معجبا • فان الذي يبقى الى العقل اعجب

وقال الفقيه الزاهد ابو اسحاق ابراهيم بن مسعود الالبيري رحمه الله

لله اكياس جنوا اوطانهم • فالارض اجمعها لهم اوطان
جالت عقولهم بجال تفكر • وجلالة فيدا لها الكتمان
ركبت بحارا لعزم في فلك النهي • وجري بها الاخلاص والايمان
فرست بهم لما انتهوا بجفونهم • مرسي لهم فيه غني وامان

وقال ابو جعفر بن خاتمة

يا من يغيث الوري من بعد ما قنطوا • ارحم عبادا اكف الفقر قد بسطوا
عودتهم بسط ارزاق بلا سبب • سوي جميل رجا نحوه انبسطوا
وعدت بالفضل في ورد وفي صدر • بالجود ان قنطوا والحلم ان سخطوا
عوارف ارتبطت شم الانوف لها • وكل صعب لقيد الجود يرتبط
يا من تعرف بالمعروف فاعترفت • بجم انعامه الاطراف والوسط
وعالما بخفيات الامور فلا • وهم يجوز عليه لا ولا غلط
عبد فقير بباب الجود منكسر • من شانه ان يوافي حين ينضغط
مهما اتي ليمد الكف اخجله • قبايح وخطايا امرها فرط
يا واسعا ضاق خطو الخلق عن نعم • منه اذا خطبوا في شكرها خبطوا
وناشرا بيد الاجمال رحمته • فليس يلحق منه مسرفا قنط
ارحم عبادا بضنك العيش قد قنعوا • فاينما سقطوا بين الوري لقطوا
اذا تورعت الدنيا فما لهم • غير التجنب لحف والثري بسط
لكنهم من ذري علياك في نمط • سام رفيع الذري ما فوقه نمط
ومن تكن بالذي تهواه تجمعنا • فاينما قام الحيام سحطوا
تخلي لعبيد وانت الملك ليس سوي • وكل شي يرجي بعد ذا شطط

وقال رحمه الله •

ملاك الامر تقوي الله فاجعل • تقاه عدة لصلاح امرك
وبادر نحو طاعته بعزم • فما تدري متي يمضي بعمرك

وقال

اذا كنت تعلم ان الامور • بحكم الاله كما قد قضي
ففيم التفكر والحكم ماض • ولا رد للحكم مهما مضي
فخل الوجود كما شاءه • مدبره وابغ منه الرضا

وقال

اذا ما الدهر نابك منه خطب • وشد عليك من ضيق عقاله
فكل لله امرك لا تفكر • فنكرك فيه خبط في حباله

وقال

عدوك داره ما اسطعت حتي • يعود لديك كالخل الشفيق
فما في الارض اذي من عدو • وما في الارض اجدي من صديق

وقال

انا عرضت دنياك عنك بوجهها • وغدت ومنها في رضاك نزاع
فاحذر بنيها واحتفظ من شرهم • انا البنين لامهم اتباع

وقال

يا مجيب المضطر عند الدعا • منك داي وفي يديك دواي
جذبتني الدنيا اليها بضبعي • ودعتني لمحنتي وشقاي
يا الهي وانت تعلم حالي • لا تذرني شماتة الاعداي

وقال الحافظ الكبير الشهير ابو عبد الله الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين

كتاب الله عز وجل قولي • وما صحت به الاثار ديني
وما اتفق الجميع عليه بدا • وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذي وخذها • تكن منها علي عين اليقين

وقال رحمه الله

طريق الزهد افضل من طريق • وتقوي الله بادية الحقوق
فثق بالله يكفك واستعنه • يعنك وذر بنيات الطريق

وقال ابو بكر مالك بن جبير رحمه الله

رحلت وانني من غير زاد • وما قدمت شيا للمعاد
ولكني وثقت بجود ربي • وهل يشقي المقل مع الجواد

وتوفي المذكور بارِيولة اعادها الله سنة ١٠٦ وقال ابن الجبير اليحصبي ونموا الكاتب ابو عبد الله محمد

كلما رمت ان اقدم خيرا • لمعادي ورمت اني انوب
صرفتني بواعث النفس قسرا • فتقاعست والذنوب ذنوب
رب قلب قلبي لعزمة خير • لتاب ففي يديك القلوب

ولنعلم ان كلام الاندلس بحر لا ساحل له ويرحم الله لسان الدين حيث قال في صدد الاحاطة وهذا الغرض الذي وضعنا له هذا التاليف طلبنا فيه ما قصدنا به من المباهات والافتخار بالاكثار واستيعاب النظام والنثار وتحملنا خوف السامة علي الاختصار والاقتصار • وكفي لهذا اجلا في الاعذار والله مقيل العثار • وساتر العيب المثار بفضله انتهي • ولنختم هذا الباب بقول ابي زكريا يحيي بن سعد بن مسعود القلبي

عفوك اللهم عنا • خير شي نتمني

ربانا قد جهلنا • في الذي قد كان منا
وخطينا وخطلنا • ولهونا ومجنّا
ان تكن ربي اسانا • ما اسانا بك ظنّا
وذيلته بقولي
•
فانلنا الختم بالحسنى وانعاما ومنّا
آمين آمين امين

الباب الثامن

في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة بعد صرفه وجوه الكيد اليها وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها بمكره • واستعماله في امرها جيل فكره • حتى استولى دمّره الله عليها ومحا منها التوحيد واسمه • وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث • والراي الخبيث لديها • واستغاثت ثملها استغاثة اهليها • بالنظم والنثر • اهل ذلك العصر • من سائر الاقطار • حتى تعذرت بحصارها • مع قلة حماتها وانصارها • والمآرب والاوطار • وجاءها الاعدا من خلفها ومن بين يديها • اعاد الله اليها كلمة الاسلام • واقام فيها شريعة سيد الانام • عليه افضل الصلاة والسلام • واقام فيها شريعة سيد الانام ورفع بها الكفر عنها وعمّا حولها امين

قال غير واحد من المؤرخين اول من جمع فل النصارى بالاندلس بعد غلبة العرب لها علج يقال له بلاي من اهل اشتوريش من جليقية كان رهينة عن طاعة اهل بلده فهرب من قرطبة ايام الحر بن عبد الرحمن الثقفي الثاني من امراء العرب بالاندلس وذلك في السنة السادسة من افتتاحها وهي سنة ثمان وتسعين من الهجرة وثار النصارى معه على نايب الحر بن عبد الرحمن فطردوه وملكوا البلاد • وبقي الملك فيهم الى الان • وكانت عدة من ملك منهم الى اخر ايام الناصر لدين الله اثنين وعشرين ملكا انتهى • وقال عيسى بن احمد الرازي في ايام عنبسة ابن سحيم الكلبي • قام بارض جليقية علج خبيث يقال له بلاي من وقعة اخذ النصارى بالاندلس وجد العرب في مدافعة المسلمين عما بقي بايديهم وقد كانوا لا يطمعون في ذلك • ولقد استولى المسلمون بالاندلس على النصرانية واجلوهم وافتتحوا بلادهم حتى بلغوا اربونة من ارض الافرنجة وافتتحوا بنبلونة من جليقية ولم يبق الا الصخرة فانه لاذ بها ملك يقال له بلاي فدخلها في ثلاثمائة رجل ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات اصحابه جوعا وبقي في ثلاثين رجلا وعشر نسوة ولا طعام لهم الا العسل يشتارونه من خروق بالصخرة فيتقوتون به حتى اعيى المسلمين امرهم واحتقروا بهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى ان يجي منهم فبلغ امرهم بعد ذلك من القوة

والكثرة

والكثرة ما لا خفا به • وفي سنة ١٣٣ هلك بلاي المذكور وملك ابنه فافلة بعده وكان ملك بلاي تسع عشرة سنة وابنه سنتين فملك بعدهما اذفونش بن بيطر جد بني اذفونش هؤلاء الذين اتصل ملكهم الى اليوم فاخذوا ما كان المسلمون اخذوه من بلادهم انتهى باختصار • وقال المسعودي بعد ذكر غزوة سمورة ايام الناصر ما صورته واخذ ما كان بايدي المسلمين من ثغور الاندلس مما يلي الافرنجة ومدينة اربونة خرجت عن ايدي المسلمين سنة ٣٣٠ مع غيرها مما كان بايديهم من المدن والحصون وبقي ثغر المسلمين في هذا الوقت وهو سنة ٣٣٦ من شرق الاندلس طرطوشة وعلى ساحل بحر الروم مما يلي طرطوشة اخذا في الشمال افراغة على نهر عظيم ثم لاردة انتهى بمعناه • ولما استرد الافرنج من مدن الاندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذي النون سنة ٤٧٨ وفي ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال

يا اهل اندلس حثوا مطيكم • فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وارى • ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا • كيف الحياة مع الحيات في سفط
ويروى صدر البيت الثالث هكذا
•
من جاور الشر لا يامن بوائقه • كيف الحياة مع الحياة في سفط
وتروى الابيات هكذا
•
حثوا رواحلكم يا اهل اندلس • فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من اطرافه وارى • سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يامن عواقبه • كيف الحياة مع الحيات في سفط

وقال اخر

يا اهل اندلس ردوا المعار فما • في العرف عارية الا مردات
الم تروا بيذق الكفار فرزنة • وشاتنا اخر الابيات شهمات

وقال بعض المؤرخين اخذ الاذفونش طليطلة من صاحبها القادر بالله ابن المامون يحيى بن ذي النون بعد ان حاصرها سبع سنين وكان اخذه لها في منتصف محرم سنة ٤٧٨ انتهى • وفيه بعض مخالفة لما قبله في وقت اخذها • وسيأتي قريبا بعض ما يوافقه قال وهي مدينة حصينة قديمة ازلية من بناء العمالقة في ضفة النهر الكبير ولها قصبة حصينة في غاية المنعة ولها قنطرة واحدة عجيبة البنيان على قوس واحد والماء يدخل تحته بعنف وشدة جري ومع اخر النهر ناعورة ارتفاعها في الجو تسعون

ذراعا ومنه يصعد الما الى اعلى المنطق وتجري الما على ظهرها فيدخل
المدينة وطليطلة هذه دار مملكة الروم وفيها كان البيت المغلق الذى
كانوا يتحامون فتحه حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب انتهى
وقد تقدم شيء من هذا فيما مر من هذا الكتاب وقد حكى ابن بدرون
في شرح العبدونية ان المامون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة
بنى بها قصرا تانق في بنائه وانفق فيه مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة
وبنى في وسطها قبة وسيق الما الى راس القبة على تدبير احكمه المهندسون
وكان الما ينزل من اعلى القبة حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض
فكانت القبة في غلالة من ما سكب لا يفتر والمامون بن ذي النون قاعد
فيها لا يمسه من الما شي ولو شا ان يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو فيها
اذ سمع منشدا ينشد •

اتبني بنا الخالدين وانما • بقاوك فيها لو علمت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية • لمن كان يوم يعتريه رحيل

فلم يلبث بعدها الا يسيرا حتى قضى نحبه انتهى وقال ابن خلكان
ان طليطلة اخذت يوم الثلاثا مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد حصار
شديد انتهى وقال ابن علقمة ان طليطلة اخذت يوم الاربعا
لعشر خلون من المحرم سنة ثمان وسبعين واربعماية وكانت وقعة
الزلاقة في السنة بعدها انتهى ورايت ان اذكر هنا وقعة الزلاقة
التي نشات عن اخذ طليطلة وما يتبع ذلك من كلام صاحب الروض
المعطار وغيره فنقول انه لما ملك يوسف بن تاشفين اللمتوني
المغرب وبنى مدينتي مراكش وتلمسان الجديدة واطاعته البربر
مع شكيمتها الشديدة وتمهدت له الاقطار الطويلة المديدة
تاقت نفسه الى العبور لجزيرة الاندلس وهم بذلك واخذ في انشا
المراكب والسفن ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس كرهوا المامه
بجزيرتهم واعدوا له العدة والعدد وصعبت عليهم مدافعته وكرهوا
ان يكونوا بين عدوين الفرنج من شمالهم والمسلمين من جنوبهم وكانت
الفرنج تشتد وطاتها عليهم وتغير وتنهب وربما يقع بينهم صلح على
شي معلوم كل سنة ياخذونه من المسلمين والفرنج ترهب ملك المغرب
يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لنفاذ امره وسرعة
تملكه بلاد المغرب وانتقال الامر اليه في اسرع وقت مع ما ظهر لابطال
الملثمين ومشايخ صنهاجة في المعارك من ضربات السيوف التي تقد الفارس

والطعنات

والطعنات التي تنتظم الكلى فكان له بسبب ذلك ناموس ورعب في قلوب
المنتدبين لقتاله وكان ملوك الاندلس يفيئون الى ظله ويحذرونه
خوفا على ملكهم مهما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما راوا ما دلهم على عبوره
اليهم وعلموا ذلك راسل بعضهم بعضا يستنجدون اراءهم في امره
وكان مفزعهم في ذلك الى المعتمد بن عباد لانه اشجع القوم واكبرهم
مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته لما تحققوا انه يقصدهم يسالونه
الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من اهل الاندلس
كتابا واما بعد فانك ان اعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز بموج
وان اجبنا داعيك نسبنا الى عقل ولم ننسب الى وهن وقد اخترنا لانفسنا
اجمل نسبتينا فاختر لنفسك اكرم نسبتيك فانك بالمحل الذي لا يجب
ان تسبق فينا الى مكرمة وان في استبقايك ذوي البيوت ما شئت
من دوام لامرك وثبوت والسلام فلما وصله الكتاب مع تحف وهدايا
وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف باللسان العربي لكنه ذكي الطبع يجيد
فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية
فقال له ايها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك
فيه ويعرفونك انهم اهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون
منك ان لا تجعلهم في منزلة الاعادي فانهم مسلمون وذوو بيوتات
فلا تغير بهم وكفى بهم من وراهم من الاعدا الكفار وبلدهم
ضيق لا يحتمل العساكر فاعرض عنهم اعراضك عن طاعتك من اهل الغرب
فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى انت فقال ايها الملك
اعلم ان تاج الملك وبهجته شاهده الذي يرد فانه خليق بما حصل
في يده من الملك والمال ان يعفو اذا استعفى وان يهب اذا استوهب
وكلما وهب جليلا جزيلا كان لقدره اعظم فاذا عظم قدره تاصل
ملكه واذا تاصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته
شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير
اهلاك لاخرته واعلم ان بعض الملوك الحكما الاكابر البصرا بطريق
تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد
فلما القى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف بلغته فهمه وعلم
صحته فقال للكاتب اجب القوم واكتب بما يجب في ذلك واقرا علي
كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية من سالمكم وسلم عليكم وانكم

مما في ايديكم من الملك في اوسع اباحة • مخصوصين منا باكرم ايثار وسماحة
فاستدعوا وفانا بوفايكم • واستصلحوا اخانا باصلاح اخايكم • والله
ولي التوفيق لنا ولكم والسلام • فلما فرغ من كتابه قراه علي يوسف ابن
تاشفين بلسانه • فاستحسنه وقرن به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللمط
التي لا توجد الا ببلاده • وانفذ ذلك اليهم • فلما وصلهم ذلك وقروا
كتابه فرحوا به وعظموه وسروا بولايته وتقوت نفوسهم علي دفع الفرنج
عنهم وازمعوا ان راوا من الفرنج ما يريبهم انهم يرسلون الي يوسف
ابن تاشفين ليعبر اليهم او يمدهم باعانته منه وكان ذلك الا فرنج الاذفونش
لما وقعت الفتنة بالاندلس وثار الخلاف وكان كل من حاز بلدا وتقوي
فيه ملكه وادعي الملك وصار مثل ملوك الطوائف فطمع فيهم الاذفونش
بسبب ذلك واخذ واحد كثيرا من ثغورهم فقوي شانه وعظم سلطانه
وكثرت عساكره واخذ طليطلة من صاحبها القادر بالله ابن المامون
يحيي بن ذي النون بعد ان حاصرها سبع سنين وكان اخذه لها في منتصف
محرم سنة ثمان وسبعين واربعماية فزاد لعنه الله بملكه طليطلة
قوة الي قوته واخذ يجوس خلال الديار ويستفتح المعاقل والحصون
قال ابن الاثير في الكامل وكان المعتمد بن عباد اعظم ملوك الاندلس
ومتملك اكثر بلادها مثل قرطبة واشبيلية وكان مع ذلك يودي
الضريبة الي الاذفونش كل سنة فلما تملك الاذفونش طليطلة ارسل
اليه المعتمد الضريبة المعتادة فلم يقبلها منه وارسل اليه يتهدده
ويتوعده بالمسير الي قرطبة ليفتحها الا ان يسلم اليه جميع الحصون المنيعة
ويبقي السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير نحو خمسماية فارس فانزله
المعتمد وفرق اصحابه علي قواد عسكره ثم امر قواده ان يقتل كل منهم
من عنده من الكفرة واحضر الرسول وصفعه حتي خرجت عيناه وسلم من
الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الي الاذفونش واخبروه الخبر وكان متوجها
الي قرطبة ليحاصرها فرجع الي طليطلة ليجمع الات الحصار ويكثر العدد
والعدة انتهي وقال الفقيه ابو عبد الله بن عبد الله بن عبد المنعم
الحميري في كتابه الروض المعطار في ذكر المدن والاقطار ما ملخصه انه لما
استغل المعتمد بغزو ابن صمادح صاحب المرية حتي تاخر الوقت الذي كان
يدفع فيه الضريبة للاذفونش وارسلها اليه بعد ذلك استشاط
الطاغية غضبا وتشطط وطلب بعض الحصون زيادة علي الضريبة
وامعن في التجني وسال في دخول امراته القمجيطة الي جامع قرطبة

لتلدفيه

لتلد فيه اذ كانت حاملا لما اشار عليه بذلك القسيسون والاساقفة
لكان كنيسة كانت في الجانب الغربي منه معظمة عندهم عمل عليها المسلمون
الجامع الاعظم وسال ان تنزل امراته المذكورة بالمدينة الزهرا غربي
مدينة قرطبة وهي التي انشا بناها الناصر لدين الله وامعن في بنايها
واغرب في حسنها وجلب اليها الرخام الملون والمرمر الصافي والحوض
المشهور من البلاد والاقطار وكان يثيب علي السارية بكذا وكذا غير
الثمن واجرة الحمل وانفق فيها الاموال العظيمة واشتغل بها وكان
يباشر الصناع بنفسه حتي تخلف عن حضور الجمعة ثلاث مرات متواليات
وحضر في الرابعة وكان الخطيب يوميذ الفقيه الزاهد منذر بن سعيد
البلوطي فعرض به في الخطبة ووبخه علي رؤوس الملا وقضيته في ذلك
مشهورة وبنا الزهرا ايضا من اغرب ما بني في الاسلام فمن اراد الوقوف
علي ذلك فعليه بتاريخ ابن حيان ولنرجع الي الاذفونش فانه الاطبا والقسوس
لما اشاروا ان تكون المراة المذكورة ساكنة بالزهرا وتتردد الي الجامع
المذكور حتي تكون ولادتها بين طيب نسيم الزهرا وفضيلة موضع
الكنيسة من الجامع المذكور وكان السفير في ذلك يهوديا كان وزير
الاذفونش فامتنع ابن عباد من ذلك فراجعه فاباه وايايسه من ذلك
فراجعه اليهودي في ذلك فاغلظ له في القول وواجهه بما لم يحتمله
ابن عباد فاخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها راس اليهودي
فانزل دماغه في حلقه وامر به فصلب منكوسا بقرطبة واستفتي
لما سكن غضبه الفقها عن حكم ما فعله باليهودي فبادر الفقيه
محمد بن الطلاع بالرخصة في ذلك لتعدي الرسول حدود الرسالة
الي ما استوجب به القتل اذ ليس له ذلك وقال للفقها انما بادرت
بالفتوي خوفا ان يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو وعسي
الله ان يجعل في عزيمته للمسلمين فرجا وبلغ الاذفونش ما صنعه ابن
عباد فاقسم بالهته ليغزون باشبيلية ويحاصره في قصره فجرد جيشين
جعل علي احدهما كلبا من مساعير كلابه وامره ان يسير علي كورة باجة
من غرب الاندلس ويغير علي تلك الثغور والجهات ثم يمر علي لبلة
الي اشبيلية وجعل موعده اياه طريانة للاجتماع معه ثم زحف الاذفونش
بنفسه في جيش اخر عرمرم فسلك طريقا غير الطريق التي سلكها الاخر
وكلاهما عاث في البلاد وخرب ودمر حتي اجتمعا لموعدهما بضفة النهر
الاعظم قبالة قصر ابن عباد وفي ايامه مقامه هنالك كتب الي ابن عباد

ذاريا عليه كن بطول مقامي في مجلسي الذبان واشتد على الحر فاتحفني
من قصرك بمروحة اروح بها على نفسي واطرد بها الذباب عن وجهي فوقع
له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة قرات كتابك وفهمت خيلاءك واعجابك
وسانظر لك في مراوح من الجلود اللمطية تروح منك لا تروح عليك ه
ان شاء الله تعالى • فلما وصلت الاذفونش رسالة ابن عباد وقريت عليه
وعلم مقتضاها اطرق اطراق من لم يخطر له ذلك ببال وفشا في الاندلس
توقيع ابن عباد وما اظهر من العزيمة على جواز يوسف بن تاشفين والاستظهار
به على العدو فاستبشر الناس وفرحوا بذلك وفتحت لهم ابواب الامال
واما ملوك طوايف الاندلس فلما تحققوا عزم ابن عباد وانفراده برايه
في ذلك اهتموا منه ومنهم من كاتبه ومنهم من كلمه مواجهة وحذروه عاقبة
ذلك وقالوا له الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد
فاجابهم ابن عباد بكلمته السايرة مثلا رعي الجمال خير من رعي الخنازير
ومعناه ان كونه ماكولا ليوسف بن تاشفين اسيرا يرعى جماله في الصحرا
خير من كونه ممزقا للاذفونش اسيرا له يرعى خنازيره في قشتالة وقال
لعذاله ولوامه يا قوم اني من امري على حالتين حالة يقين وحالة شك
ولا بد لي من احداهما اما حالة الشك فاني ان استندت الى ابن تاشفين
او الى الاذفونش ففي الممكن ان يفي لي ويبقي على وفاءه ويمكن ان لا يفعل
فهذه حالة شك واما حالة اليقين فاني ان استندت الى ابن تاشفين
فانا ارضي الله وان استندت الى الاذفونش اسخطت الله فاذا كانت حالة الي م
الشك فيها عارضة فلاي شي ادع ما يرضي الله واتي ما يسخطه ه
فحينيذ قصر اصحابه عن لومه ولما عزم امر صاحب بطليوس المتوكل عمر
ابن محمد وعبد الله بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة ان يبعثا اليه كل
منهما قاضي حضرته ففعلا واستحضر قاضي الجماعة بقرطبة ابا بكر عبد
الله بن ادهم وكان اعقل اهل زمانه فلما اجتمع عنده القضاة باشبيلية
اضاف اليهم وزيره ابا بكر بن زيدون وعرفهم انه بعثهم رسله الى
يوسف بن تاشفين واسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف بن
تاشفين وترغيبه في الجهاد واسند الى وزيره ما لا بد منه في تلك
السفارة من ابرام العقود السلطانية وكان يوسف بن تاشفين لا تزال
تفد عليه وفود ثغور الاندلس مستعطفين مجهشين بالبكا ناشدين الله
والاسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع اليهم ويصغي
لقولهم وترق نفسه لهم فما عبرت رسل ابن عباد البحر الا ورسل يوسف بالمرصا

ولما انتهت

230

ولما انتهت الرسل الى ابن تاشفين اقبل عليهم واكرم مثواهم واتصل ذلك بابن عباد
توجه من اشبيلية اسطولا نحو صاحب سبتة فانتظمت في سلك يوسف ثم جرت بينه
وبين الرسل مراوضات ثم انصرفت اليه رسله ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا حتى
اتى الجزيرة الخضرا ففتحوا له وخرج اليه بما عندهم من الاقوات والضيافات واقاموا
له سوقا جلبوا اليه ما عندهم من ساير المرافق واذنوا للغزاة في دخول البلد
والتصرف فيها فامتلات المساجد والرحبات بالمطوعين وتواصوا بهم خيرا هذا
سياق صاحب الروض المعطار واما ابن الاثير فانه لما ذكر وقعة الزلاقة ذكر
ما تقدم من قتل المعتمد بالارسال وقتلهم وتخوف اكابر الاندلس من الاذفونش
وانه اجتمع منهم روسا وساروا الى القاضي عبد الله بن محمد وقالوا له الا تنظر
الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطايهم الجزية بعد ان كانوا ياخذونها
وقالوا قد غلب على البلاد الفرنج ولم يبق الا القليل وان طال هذا الامر
عادت نصرانية كما كانت اولا وقد راينا رايا نعرضه عليك قال وما هو
قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا شطر اموالنا ونخرج
معهم مجاهدين في سبيل الله فقال لهم انا نخشى اذ وصلوا الينا ان يخربوا
بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركوا الافرنج ويبدوا بنا والمرابطون اصلح منهم
واقرب الينا فقالوا له فكاتب امير المسلمين واساله العبور الينا واعانتنا
بما تيسر من الجند فبينما هم في ذلك يتراوضون اذ قدم عليهم المعتمد بن عباد
قرطبة فعرض عليه القاضي ابن ادهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد انت رسولي
اليه في ذلك فامتنع وانما اراد ان يبري نفسه من ذلك فالح عليه المعتمد
فسار الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فوجده بسبتة وابلغه الرسالة
واعلمه بما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش ففي الحال امر بعبور العساكر
الى الاندلس وارسل الى مراكش في طلب من بقي من العساكر فاقبلت اليه تتلو
بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر واجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية
وكان المعتمد قد جمع عساكره ايضا وخرج من اهل قرطبة عسكر كبير وقصده
المطوعة من ساير بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع عساكره
وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب الى امير المسلمين يوسف كتابا كتبه له
بعض غواة ادبا المسلمين يغلظ له في القول ويصف ما معه من القوة والعدد
والعدد ويبالغ في ذلك فلما وصل وقراه يوسف امر كاتبه ابا بكر القصيرة
ان يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب واجاد فلما قراه على امير المسلمين قال
هذا كتاب طويل واحضر كتاب الاذفونش ارتاع له وعلم انه بلي برجل لا طاقة له
به وذكر ابن خلكان ان يوسف بن تاشفين امر بعبور الجمال فعبر منها ما اغص

الجزيرة وارتفع دعاؤها الى عنان السما ولم يكن اهل الجزيرة راوا جملا قط ولا
خيلهم فصارت الخيل تجمح من روية الجمال ومن رغايها وكان ليوسف في عبور الجمال
راي مصيب فكان يحدق بها عسكره ويحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج
تجمح منها وقدم يوسف بين يديه كتابا للاذفونش يعرض عليه فيه الدخول في
الاسلام او الجزية او الحرب كما هي السنة ومن جملة ما في الكتاب بلغنا يا اذفونش
انك دعوت الى الاجتماع بنا وتمنيت ان تكون لك سفن تعبر فيها البحر الينا فقد
عبرنا اليك وقد جمع الله في هذه الساحة بيننا وبينك وسترى عاقبة
دعايك وما دعاء الكافرين الا في ضلال انتهى بمعناه واكثره بلفظه ولنرجع
الى كلام صاحب الروض المعطار فانه افيد بتاريخ الاندلس اذ هو منهم وصاحب
البيت وقال رحمه الله فلما عبر يوسف وجميع جيوشه الى الجزيرة الخضرا
انزعج الى اشبيلية على احسن الهيات جيشا بعد جيش واميرا بعد امير وقبيلا
بعد قبيل وبعث المعتمد ابنه الى لقاء يوسف وامر عمال البلاد بجلب الاقوات
والضيافات وراى يوسف من ذلك ما سره ونشطه وتواردت الجيوش مع امرايها
على اشبيلية وخرج المعتمد الى لقاء يوسف من اشبيلية في ماية فارس ووجوه
اصحابه فلما اتى محلة يوسف ركض نحو القوم وركضوا نحوه فبرز اليه يوسف
وحده والتقيا منفردين وتصافحا وتعانقا واظهر كل منهما لصاحبه المودة
والخلوص وشكرا نعم الله وتواصيا بالصبر والرحمة وبشرا انفسهما بما
استقبلاه من غزو اهل الكفر وتضرعا الى الله تعالى في ان يجعل ذلك خالصا
لوجهه مقربا اليه وافترقا فعاد يوسف لمحلته وابن عباد الى جهته والحق
ابن عباد ما كان اعده من هدايا وتحف وضيافات واوسع بها على محلة يوسف
ابن تاشفين وباتوا تلك الليلة فلما اصبحوا وصلوا الصبح ركب الجميع واشار
ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو اشبيلية ففعل وراى الناس من عزة سلطانه
ما سرهم ولم يبق من ملوك الطوايف بالاندلس الا من بادر واعان وخرج
او اخرج وكذلك فعل الصحراويون مع يوسف كل صقع من اصقاعهم رابطوا
وكابروا وكان الاذفونش لما تحقق الحركة والحرب استنفر جميع اهل بلاده وما
يليها وما وراها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا
اناجيلهم فاجتمع له من الجلالقة والافرنجة ما لا يحصى عدده وجواسيس كل فريق
تتردد بين الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد ان صاحبكم يوسف قد تعنى من
بلاده وخاض البحور وانا اكفيه العنا فيما بقي ولا اكلفكم تعبا امضي اليكم
والقاكم في بلادكم رفقا بكم وتوفيرا عليكم وقال لخاصته واهل مشورته
اني رايت انني ان مكنتهم من الدخول الى بلادي فناجزوني فيها وبين جدرها وربما

كانت

كانت الدايرة علي يستحكمون البلاد ويحصدون من فيها غداة واحدة ولكني
اجعل يومهم معي في حوز بلادهم فان كانت علي اكتفوا بما نالوه ولم يجعلوا
الدروب وراءهم الا بعد اهبة اخرى فيكون في ذلك صون لبلادي وجبرا
لكاسري وان كانت الدايرة عليهم كان ما ارغب فيهم وفي بلادهم ما خفت ان يكون
في وفي بلادي اذا ناجزوني في وسطها ثم برز بالمختار من جنوده وانجاد جموعه
على باب دربه وترك بقية جموعه خلفه وقال حين نظر الى ما اختاره منهم بهولا
اقاتل الجن والانس وملايكة السما فالمقلل يقول المختارون اربعون الف
دارع ولكل واحد اتباع واما النصارى فيعجبون ممن يزعم ذلك ويرون
انهم اكثر من ذلك كله واتفق الكل ان عدد المسلمين اقل من الكفرة وراى
الاذفونش في نومه كانه راكب فيلا يضرب نقيرة طبل فهالته الرويا وسال عنها
القسوس والرهبان فلم يجبه احد فدس يهوديا عن يعلم تاويلها من المسلمين فدل
على معبر فقصها عليه ونسبها لنفسه فقال له المعبر كذبت ما هذه الرويا لك
ولا اعبرها لك الا ان تصدقني بصاحب الرويا فقال له اكتم على الرويا للاذفونش
فقال المعبر صدقت ولا يراها غيره والرويا تدل على بلاء عظيم ومصيبة
فادحة فيه وفي عسكره وتفسيرها قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب
الفيل وما ضربه النقيرة فتاويلها فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم
عسير الاية فانصرف اليهودي وذكر للاذفونش ما وافق خاطره ثم خرج
الاذفونش واقفا على الدروب ومال بجيوشه الى الجهة الغربية من بلاد
الاندلس وتقدم السلطان يوسف فقصد وتاخر ابن عباد لبعض مهماته ثم
انزعج يقفو اثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤسا الاندلس وجعل ابنه عبد الله
على مقدمته وسار وهو ينشد لنفسه متفولا ومكملا البيت المشهور

لا بد من فرج قريب • يأتيك بالعجب العجيب
غزو عليك مبارك • سيعود بالفتح القريب
لله سعدك انه • نكس على دين الصليب
لا بد من يوم يكون • له اخا يوم القليب

ووافت الجيوش كلها بطليوس فاناخوا بظاهرها وخرج اليهم صاحبها المتوكل
عمر بن محمد بن الافطس فلقيهم بما يجب من الضيافات والاقوات وبذل المجهود وجاءهم
الخبر بشخوص الاذفونش ولما ازدلف بعضهم الى بعض اذكى المعتمد عيونه في محلات
الصحراويين خوفا عليهم من مكايد الاذفونش اذ هم غربا لا علم لهم بالبلاد وجعل
يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من الصحراويين لا يخرج على طرف المحلة
لقضاء امر او حاجة الا ويجد ابن عباد بنفسه مطيفا بالمحلة بعد ترتيب الرجال

والخيل على ابواب المحلات وقد تقدم كتاب السلطان يوسف الى الادفونش يدعوه
الى احدى الثلاث المامور بها شرعا فامتلا الكافر غيظا وعتا وطغا وراجعه بما يدل
على شقائه وقامت الاساقفة والرهبان ورفعوا صلبانهم ونشروا اناجيلهم
وتبايعوا على الموت ووعظ يوسف وابن عباد اصحابهما وقام الفقهاء والصالحون
مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار
وجاءت الطلايع تخبر ان العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم وهو يوم الاربعا فاصبح
المسلمون وقد اخذوا مصافهم فكع الادفونش ورجع الى اعمال المكر والخديعة فعاد
الناس الى محلاتهم وباتوا ليلتهم ثم اصبح يوم الخميس فبعث الادفونش الى ابن عباد
يقول غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والاحد عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو
يوم السبت فعرف المعتمد بذلك السلطان يوسف واعلمه انها حيلة منه
وخديعة وانما قصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له
يوم الجمعة كل النهار وبات الناس ليلتهم على اهبة واحتراس وبعد مضي
جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك ابو العباس احمد بن رميلة القرطبي
وكان في محلة ابن عباد فرحا مسرورا يقول انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
تلك الليلة في النوم فتاهب ودعا وتضرع ودهن راسه وتطيب وانتهى
ذلك الى ابن عباد فبعثه الى يوسف يخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر الكافر
بالله ثم جاء بالليل فارسان من طلايع المعتمد يخبران انهما اشرفا على محلة الادفونش
وسمعا ضوضاء الجيوش واضطراب الاسلحة ثم تلاحق بقية الطلايع متحققين
بتحرك الادفونش ثم جاءت الجواسيس من داخل محلتهم تقول استرقنا السمع فسمعنا
الادفونش يقول لاصحابه ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويون
وان كانوا اهل حفاظ وذوي بصاير في الحروب فهم غير عارفين هذه البلاد وانما
قادهم ابن عباد فاقصدوه واهجموا عليه واصبروا فان انكشف لكم هان عليكم
الصحراويون بعده ولا ارى ابن عباد يصبر لكم ان صدقتموه الحملة فعند ذلك
بعث ابن عباد الكاتب ابا بكر بن القصيرة الى السلطان يوسف يعرفه باقبال
الادفونش ويستحث نصرته فمضى ابن القصيرة يطوي المحلات حتى جاء يوسف
ابن تاشفين فعرفه بجلية الامر فقال له قل له اني ساقرب منه ان شاء الله
تعالى وامر يوسف بعض قواده ان يمضي بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة
النصارى فيضرمها نارا ما دام الادفونش مشتغلا مع ابن عباد وانصرف ابن
القصيرة الى المعتمد فلم يصله الا وقد غشيته جنود الطاغية فصدم ابن عباد
صدمة قطعت امالهم ومال الادفونش عليه بجموعه واحاطوا به من كل جهة
فهاجت الحرب وحمي الوطيس واستحر القتل في اصحاب ابن عباد وصبر ابن عباد

صبرا لم يعهد مثله لاحد واستبطا السلطان يوسف وهو يلاحظ طريقه وعضته
الحرب واشتد عليه وعلى من معه البلاء وابطا عليه الصحراويون وساءت الظنون
وانكشف بعض اصحاب ابن عباد وفيهم ابنه عبيد الله واثخن ابن عباد جراحات وضرب
على راسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن في
احد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحد قدم له اخر وهو يقاسي حياض
الموت ويضرب يمينا وشمالا وتذكر في تلك الحالة ابنا له صغيرا كان مغرما به
تركه في اشبيلية عليلا وكنيته ابا هاشم فقال •

ابا هاشم هشمتني الشفار • فلله صبري لذاك الاوار
ذكرت شخيصك تحت العجاج • فلم يثنني ذكره للفرار

ثم كان اول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عايشة وكان بطلا شجاعا
شهما فنفس بمجيئه عن ابن عباد ثم اقبل يوسف بعد ذلك وطبوله تصدع اصواتها
الجو فلما ابصره الادفونش وجه حملته اليه وقصده بمعظم جنوده فبادر
اليهم السلطان يوسف وصدمهم بجمعه فردهم الى مركزهم وانتظم به شمل
ابن عباد واستنشق ريح الظفر وتباشر بالنصر ثم صدقوا جميعا الحملة فتزلزلت
الارض بحوافر خيولهم واظلم النهار بالعجاج والغبار وخاضت الخيل في الدما
وصبر الفريقان صبرا عظيما ثم تراجع ابن عباد الى يوسف وحمل معه حملة جامعا
النصر وتراجع المنهزمون من اصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفيتين فصدقوا
الحملة فانكشف الطاغية ومر هاربا منهزما وقد طعن في احدى ركبتيه
طعنة بقي يخمع بها بقية عمره وعلى سياق ابن خلكان ان ابن تاشفين نزل على اقل
من فرسخ من عسكر العدو في يوم الاربعا وكان الموعد في المناجزة في يوم السبت
فغدر الادفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب اقبلت طلايع
ابن عباد والروم في اثرها والناس على طمانينة فبادر ابن عباد للركوب وبث
الخبر في العساكر فماجت باهلها ووقع البهت ورجفت الارض وصار الناس فوضى
على فوضى على غير تعبية ولا اهبة ودهمتهم خيل العدو فاحاطت بابن عباد
وحطمت ما تعرض لها وتركت الارض حصيدا خلفها وجرح ابن عباد جرحا
اشواه وفر روسا الاندلس وتركوا محلاتهم • واسلموها وظنوا انه وهي
لا يرقع • ونازلة لا تدفع • وظن الادفونش ان السلطان يوسف في المنهزمين
ولم يعلم ان العاقبة للمتقين • فركب امير المسلمين واحدق به جياد خيله ورجله
من صنهاجة ورؤسا القبايل وقصدوا محلة الادفونش فاقتحموها ودخلوها
وفتكوا فيها وقتلوا وضربت الطبول وزعقت البوقات • فاهتزت الارض
وتجاوبت الجبال والافاق وتراجع الروم الى محلاتهم بعد ان علموا ان

امير المسلمين فيها فصدموا امير المسلمين فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى ان امر امير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء اربعة الاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها واحجمت عن اقرانها وتلاحق الاذفونش اسود نفذت مزاريقه فاهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على عنانه وانتضى خنجرا كان متمنطقا به واثبته في فخذه فهتك حلق درعه ونفذ فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال وهبت ريح النصر وانزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الاذفونش واصحابه فاخرجوهم من محلتهم فولوا ظهورهم واعطوا اعناقهم والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم الى ان لحقوا بربوة لجؤوا اليها واعتصموا بها واحدقت بهم الخيل فلما اظلم الليل انساب الاذفونش واصحابه من الربوة وافلتوا بعدما تشبثت بهم اظفار المنية واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الالات والسلاح والمضارب والاواني وغير ذلك وامر ابن عباد بضم رؤوس قتلى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم انتهى وبعضه بالمعنى رجع الى كلام صاحب الروض المعطار قال ولجا الاذفونش الى تل كان يلي محلته في نحو خمسمائة فارس كل واحد منهم مكلوم وابادا القتل والاسر من عداهم من اصحابهم وعمل المسلمون من رؤوسهم مآذن يؤذنون عليها والمخذول ينظر الى موضع الوقيعة ومكان الهزيمة فلا يرى الا ذكارا محيطا به وباصحابه واقبل ابن عباد على السلطان يوسف وصافحه وهناه وشكره واثنى عليه وشكر يوسف صبر ابن عباد ومقامه وحسن بلائه وجميل صبره وساله عن حاله عندما اسلمته رجاله بانهزامهم عنه فقال له هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك وكتب ابن عباد الى ابنه باشبيلية كتابا مضمونه كتابي هذا من المحلة المنصورة يوم الجمعة الموفي عشرين من رجب وقد اعز الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة والمشركين واذاقهم العذاب الاليم • والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسناه من هذه المسرة العظيمة • والنعمة الجسيمة في تشتيت شمل الاذفونش والاحتواء على جميع عساكره اصلاه الله نكال الجحيم • ولا اعدمه الوبال العظيم المليم • بعدما اعلم اتينا على النهب على محلاته • واستيصال القتل في جميع ابطاله وحماته • حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها • فلله الحمد على جميل صنعه ولم يصبني والحمد لله الا جراحات يسيرة المت لكنها فرجت بعد ذلك فلله الحمد والسلام واستشهد في ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء

واعيان

واعيان الناس مثل ابن رميلة صاحب الرؤيا المذكورة وقاضي مراكش ابي مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما رحمهما الله تعالى وحكي ان موضع المعترك كان على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على ميت او دم واقامت العساكر بالموضع اربعة ايام حتى جمعت الغنائم واستؤذن في ذلك السلطان يوسف فعف عنها وآثر بها ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصده الجهاد والاجر العظيم وما عند الله في ذلك من الثواب المقيم فلما رات ملوك الاندلس ايثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه واحبوه وشكروا له ذلك ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسال عن ابطاله وشجعانه واصحابه ففقدهم ولم يسمع الا نواح الثكلى عليهم اهتم ولم ياكل ولم يشرب حتى هلك غما وهما وراح الى امه الهاوية ولم يخلف الا بنتا واحدة جعل الامر اليها فتحصنت بطليطلة ورحل المعتمد الى اشبيلية ومعه السلطان يوسف بن تاشفين فاقام السلطان يوسف ابن تاشفين بظاهر اشبيلية ثلاثة ايام ووردت عليه من المغرب اخبار تقتضي العزم فسافر وذهب معه ابن عباد يوما وليلة فحلف له ابن تاشفين وعزم عليه في الرجوع وكانت جراحاته تورمت عليه فسير معه ولده عبد الله الى ان وصل البحر وعبر الى المغرب ولما رجع ابن عباد الى اشبيلية جلس للناس وهني بالفتح وقرات القراء وقام على راسه الشعراء فانشدوه قال عبد الجليل بن وهبون حضرت ذلك اليوم واعددت قصيدة انشدها بين يديه فقرا القارئ الا تنصروه فقد نصره الله فقلت بعدا لي ولشعري والله ما ابقت لي هذه الاية معنى احضره واقوم به ولما عبر السلطان يوسف ابن تاشفين الى بلاده ترك الامير سير بن ابي بكر احد قواده المشاهير وترك معه جيشا برسم غزو الفرنج فاستراح الامير المذكور اياما قلائل ودخل بلاد الاذفونش واطلق الغارة ونهب وسبى وفتح الحصون المنيعة والمعاقل الصعبة العويصة وتوغل في البلاد وحصل اموالا وذخائر عظيمة ورتب رجالا وفرسانا في جميع ما اخذه وارسل للسلطان يوسف جميع ما حصله وكتب له يعرفه ان الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال في اضيق العيش وانكده وملوك الاندلس في بلادهم واهليهم في ارغد العيش واطيبه وساله مرسومه فكتب اليه ان يامرهم بالنقلة والرحيل الى ارض العدو فان فعلوا فذاك وان ابى فحاصره وقاتله ولا تنفس عليه ولتبدا بمن والى الثغور ولا تتعرض للمعتمد بن عباد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد اخذته فول فيه اميرا من عساكرك فاول من ابتدا به من ملوك الاندلس بنو هود وكانوا بروطه

بضم الراء المهملة وبعدها واو ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وبعدها هاء
ساكنة وهي قلعة منيعة من عاصمات الذرى وماؤها ينبع من أعلاها
وفيها من الأقوات والذخاير المختلفات ما لا تفنيه الأزمان فحاصرها فلم
يقدر عليها ورحل عنها وجند أجنادًا على هيئة الفرنج وزيهم وأمرهم
أن يقصدوها ويغيروا عليها ويكمن هو وأصحابه بقرب منها فلما رآهم
أهل القلعة استضعفوهم فنزلوا إليهم ومعهم صاحب القلعة فخرج
عليه سير المذكور وقبضه باليد وتسلم الحصن ثم نازل بني طاهر بشرق
الأندلس فأسلموا له البلاد ولحقوا ببر العدوة ثم نازل بني صمادح بالمرية
ولها قلعة حصينة فحاصرهم وضيق بهم ولما علم ابن صمادح الغلب أسف
ومات غبنًا فأخذ القلعة واستولى على المرية وجميع أعمالها ثم قصد
بطليوس وكان بها المتوكل عمر بن محمد بن الأفطس المتقدم ذكره فحاصره وأخذه
واستولى على جميع أعماله وماله ولم يبق له إلا المعتمد بن عباد فكتب للسلطان
يوسف يعرفه بما فعل ويسأله مرسومه في ابن عباد فكتب إليه يأمره أنه
يعرض عليه النقلة لبر العدوة بجميع الأهل والعشير فإن رضي وإلا فحاصره
وخذه وأرسل بر كساير أصحابه فواجهه وعرفه بما رسم به السلطان يوسف
وسأله الجواب فلم يجب بنفي ولا إثبات ثم إنه نازل إشبيلية وحاصره بها
وألح عليه فأقام الحصار شهرًا ودخل البلد قهرًا واستخرجه من قصره
فحمل وجميع أهله وولده إلى العدوة فأنزل بأغمات وأقام بها إلى أن مات
رحمه الله وعفى عنه وأما ابن الأثير ففي كلامه تقديم وتأخير وبعض
خلاف لما مر وأخبار المعتمد بن عباد وما ناله من الملك والعز على كل حاضر
بالأندلس وباد وما قاساه في الأسر من الضيق والعسر وسوء العيش
أمر عجيب • يتعظ به العاقل الأريب • وأما ما مدحته به الشعراء
وأجوبته لهم في حالتي يسره وعسره • ومكدره وأشره • وطيه ونشره
وتجهمه وبشره • فهو كثير • وفي كتب التواريخ منه نظيم ونثير • وقد
قدمنا منه في هذا الكتاب • ما يبعث الاعتبار ويثير • وخصوصًا في
الباب السابع من هذا التأليف • الذي هو عند المنصف أثير وفي المعتمد
وأبيه المعتضد يقول بعض الشعراء •

من بني المنذر وذال انتساب • زاد في فخرهم بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالي • والمعالي قليلة الأولاد

وقال ابن القطاع في كتاب لمح الملح في حق المعتمد إنه أندى ملوك الأندلس
راحة • وأرحبهم ساحة • وأعظمهم عمادًا • وأرفعهم عمادًا • ولذلك كانت

حضرته

حضرته ملقى الرحال • وموسم الشعراء وقبلة الآمال • وما ألف الفضلاء حتى إنه
لم يجتمع بباب أحد من الملوك من أعيان الشعراء • وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه
ويشتمل عليه حاشيته وجنابه • وقال ابن بسام في الذخيرة للمعتمد شعر
كما انشق الكمام عن الزهر • وصار مثله ممن جعل الشعر صناعة • واتخذه بضاعة
لكان رائقًا معجبًا • ونادرًا مستغربًا •

أكثرت هجرك غير أنك ربما • عطفتك أحيانًا علي أمور
فكأنما زمن التهاجر بيننا • ليل وساعات الوصال بدور

قال وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم من أبيات

أسفر ضوء الصبح عن وجهه • فقام ذاك الخال فيه بلال
كأنما الخال على خده • ساعات هجر في زمان الوصال

وعزم على إرسال حظاياه من قرطبة إلى إشبيلية فخرج معهن يشيعهن فساير من
أول الليل إلى الصبح ورجع وأنشد أبياتًا تمامها

سايرتهم والليل عقد ثوبه • حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعًا وتسلمت • مني يد الإصباح تلك الأنجما

وهذا المعنى في نهاية الحسن ثم ذكر من كلامه جملة عود وانعطاف ولما جاء
أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى ناحية غرناطة بعد ما حاصر بعض حصون
الفرنج فلم يقدر عليه خرج إلى لقائه صاحب غرناطة عبد الله بن بلكين فسلم
عليه ثم عاد إلى بلده ليخرج له التقادم فغدر به ودخل البلد وأخرج عبد
الله ودخل قصره فوجد فيه من الذخاير والأموال ما لا يحد ولا يحصى ثم رجع
إلى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الأندلس وبهجتها وما بها من المباني والبساتين
والمطاعم وساير الأصناف التي لا توجد في بلاد العدوة إذ هي بلاد بربر
وأجلاف عرب فجعل خواص يوسف يعظمون عنده بلاد الأندلس ويحسنون
له أخذها ويوغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير على المعتمد
وقصد مشارفة الأندلس وحكى ابن خلدون أن علماء الأندلس أفتوا ابن تاشفين
بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف وتبينا لهم أنا امتنعوا فجهز يوسف
العساكر إلى الأندلس وحاصر سير بن أبي بكر أحد عظماء دولة يوسف إشبيلية
وبها المعتمد وكان من دفاعه وشدة ثباته ما هو معلوم ثم أخذ أسيرًا وصار
طرف الملك بعده حسيرًا وفي وصف ذلك يقول صاحب القلائد بعد كلام ثم
جمع هو وأهله وحملتهم الجواري المنشآت • وضمتهم كأنهم أموات بعد
ما ضاق عنهم القصر • وراق منهم المصر • والناس قد حشروا بضفتي الوادي
يبكون بدموع كالغوادي • فساروا والنوح يحدوهم • والبوح بالوعة

مطلب الإفتا بجواز خلع المعتمد

لا يعدونهم انتهى • ولما فرغ امير المسلمين يوسف بن تاشفين من امر غزوة
الزلاقة المتقدم ذكرها وخرج تكرم له ابن عباد وسأله ان يترك عنده فرج
الى بلاده اذ اجابه الى ما طلب فلما انتهى ابن تاشفين الى اشبيلية مدينة
المعتمد وهي من احسن المدن واجلها منظرا وامعن يوسف النظر فيها وفي
محلها وهي على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بر
المغرب وحاملة اليه وفي غربيها رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل
على الاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا هو المسمى بشرف اشبيلية
وتمتار بلاد المغرب كلها بهذه الاصناف منه وفي جانب المدينة قصور المعتمد
وابيه المعتضد في غاية الحسن والبهاء وفيها انواع ما يحتاج اليه من المطعوم
والمشروب والمفروش وغير ذلك فانزل المعتمد يوسف بن تاشفين في احدها
وتولى من اكرامه وخدمته ما اوجب شكر ابن تاشفين له وكان مع ابن تاشفين
له وكان مع ابن تاشفين اصحاب له ينبهونه على حسن تلك الحال وتاملها
وما هي عليه من النعمة والاتراف ويغرونه باتخاذ مثلها ويقولون له ان فائدة
الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد واصحابه وكان ابن
تاشفين داهية عاقلا مقتصدا في اموره غير متطاول ولا مبذر غير سالك
نهج الترف والتانق في اللذة والنعيم اذ ذهب صدر عمره في بلاده بالقحط
في شظف العيش فانكر على من اغرى بذلك الاسراف وقال له الذي يلوح لي
من امر هذا الرجل يعني المعتمد انه مضيع لما في يده من الملك لان هذه
الاموال الكثيرة التي تصرف في هذه الاحوال لا بد ان يكون لها ارباب
لا يمكن اخذ هذا القدر منهم على وجه العدل ابدا فاخذه بالظلم واخراجه
في هذه النزهات من افحش استهتار ومن كانت همته في هذا الحد من
التصرف فيما لا يعدو الاجوفين متى يستجد همة في ضبط بلاده وحفظها
وصون رعيته والتوفير لمصالحها ولعمري لقد صدق في كل ذلك
ثم ان يوسف بن تاشفين سال عن احوال المعتمد في لذاته هل تختلف
فتنقص عما عليه في بعض الاوقات فقيل له بل كل زمانه على هذا فقال
افكل اصحابه وانصاره على عدوه ومنجديه على الملك ينال حظا من ذلك
قالوا لا قال فكيف ترون رضاهم عنه فقالوا لا رضى لهم عنه فاطرق وسكت
واقام عند المعتمد على تلك الحال اياما وفي اثنائها استاذن رجل على المعتمد
فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان من اهل البصائر فلما مثل بين يديه قال
اصلحك الله ايها السلطان وان من اوجب الواجبات شكر النعمة وان من
شكر النعمة اهداء النصائح واني رجل من رعيتك حالي في دولتك الى

الاختلال

الاختلال اقرب منها الى الاعتدال ولكني مع ذلك مستوجب لك من النصيحة لما
للملك على رعيته من ذلك خبر وقع في اذني من بعض اصحاب ضيفك هذا يوسف
ابن تاشفين يدل على انهم يرون انفسهم وملكهم احق بهذه النعمة منك وقد
رايت رايا فان اثرت الاصغاء اليه قلته فقال له المعتمد قله فقال اني ارى
ان هذا الرجل الذي اطلعته على ملكك مستاسد على الملوك قد حطم على زناتة
ببر العدوة واخذ الملك من ايديهم ولم يبق على واحد منهم ولا يؤمن ان يطمح الى
الطمع في ملكك بل في ملك جزيرة الاندلس كلها لما قد عاينه من هذه
عيشك واني لمتخيل في مثل ذلك لسائر ملوك الاندلس فان له من الولد
والاقارب وغيرهم من يود لهم الحلول بما انت فيه من خصب الجناب وقد
اردى الادفونش وجيشه واستاصل شافتهم واعدمك منه اقوى ناصر عليه
لو احتجت اليه فقد كان لك منه اقوى عضد واوقى مجن وبعد فانه ان فات
الامر في الادفونش فلا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم فقال له المعتمد وما هو
الحزم اليوم قال ان تجمع امرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله في قصرك
وتجزم انك لا تطلقه حتى لا يبقى منهم احد يامر كل من بجزيرة الاندلس من عسكره
ان يرجع من حيث جا حتى لا يبقى منهم احد بالجزيرة طفل فما فوقه ثم تتفق انت
وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجري فيه له ثم بعد ذلك
تستحلفه باغلظ الايمان انه لا يضمر في نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق
منكم ومنه وتاخذ منه على ذلك رهائن فانه يعطيك من ذلك ما تشاء
فنفسه اعز عليه من جميع ما يلتمس منه فعند ذلك يقتنع هذا الرجل ببلاده
التي لا تصلح الا له وتكون قد استرحت منه بعدما استرحت من الادفونش وتقيم
في موضعك على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الجزيرة ويتسع ملكك وينسب
هذا الاتفاق لك الى سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم اعلم بعد هذا ما
يقتضيه حزمك في مجاورة من عاملته هذه المعاملة واعلم انه قد تهيا لك
من هذا امر سماوي تفنى الامم وتجري بخلافه الدهور دون حصول مثله فلما
سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر في انتهاز الفرصة وكان للمعتمد
ندما قد انهمكوا معه في اللذات فقال له احدهم لهذا الرجل الناصح ما كان
المعتمد على الله وهو امام اهل المكرمات ممن يعامل بالحيف ويغدر بالضيف
فقال له الرجل انما الغدر اخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه
المحذور اذا اضاف به فقال ذلك النديم ضيم مع وفا خير من حزم مع جفا ثم
ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكر له المعتمد ووصله بصلة
واتصل هذا الخبر بيوسف فاصبح غاديا فقدم له المعتمد الهدايا السنية

والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل انتهى خبر وقعة الزلاقة وما يتبعه ملخصا من كتب التاريخ **ولما** انقرض بالاندلس ملك الطوايف بني عباد وبني ذي النون وبني الافطس وبني صمادح وغيرهم انتظمت في سلك اللمتونيين وكانت لهم فيها وقعات بالاعدا مشهورة في كتب التواريخ **ولما** مات يوسف بن تاشفين سنة خمسماية قام بالملك بعده ابنه امير المسلمين علي بن يوسف وسلك سنن ابيه وان قصر عنه في بعض الامور ودفع العدو عن الاندلس مدة الى ان قيض الله للدولة عليه محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي استس دولة الموحدين فلم يزل يسعى في هدم بنيان لمتونة حتى مات ولم يملك حضرة سلطنتهم مراكش ولكنه ملك كثيرا من البلاد فاستخلف عبد المومن بن علي فكان من استيلايه على مملكة اللمتونيين ما هو معروف ثم جاز الى الاندلس وملك كثيرا منها ثم اخرج الافرنج من مهدية افريقية وملك بلاد افريقية وضخم ملكه وتسمى بامير المومنين ولما كانت سنة ٥٤٥ سار الاذفونش صاحب طليطلة وبلاد الجلالقة الى قرطبة ومعه اربعون الف فارس فحاصرها وكان اهلها في غلا شديد فبلغ الخبر عبد المومن فجهز اليهم جيشا يحتوي على اثني عشر الف فارس فلما اشرفوا على الاذفونش رحل عنها وكان فيها القايد ابو الغمر التايب فسلمها الى صاحب جيش عبد المومن يحيى بن ميمون فبات فيها فلما اصبح راى الفرنج عادوا الى مكانهم ونزلوا في المكان الذي كانوا فيه فلما عاين ذلك رتب هنالك ناسا وعاد الى عبد المومن ثم رحل الفرنج الى ديارهم وفي السنة بعدها دخل جيش عبد المومن الى الاندلس في عسكر لما عليهم السابق فصار اليه صاحب غرناطة ميمون وابن همشك وغيرهما فدخلوا تحت طاعة الموحدين وحرصوا على قصد ابن مردنيش ملك شرق الاندلس وبلغ ذلك ابن مردنيش فخاف وارسل الى صاحب برشلونة من الافرنج يستنجده فتجهز اليه في عشرة الاف من الافرنج عليهم فارس وسار صاحب جيش عبد المومن الى ان قارب ابن مردنيش فبلغه امر البرشلوني الافرنجي فرجع ونازل مدينة المرية وهي بايدي الروم فحاصرها فاشتد الغلا في عسكره فرجع الى اشبيلية فاقام فيها وسار عبد المومن الى سبتة فجهز الاساطيل وجمع العساكر ثم سار عبد المومن سنة ٧٤٥ الى المهدية فملكها وملك افريقية وضخم ملكه كما قدمناه ولما مات بويع بعده ولده يوسف بن عبد المومن ولما تمهدت له الامور واستقرت قواعد ملكه رحل الى جزيرة الاندلس ليكشف مصالح دولته وتفقد احوالها وكان ذلك

سنة ست

سنة ست وستين وخمسماية وفي صحبته ماية الف فارس من الموحدين والعرب فنزل بحضرة اشبيلية وخاف ملك شرق الاندلس مرسية وما انضاف اليها الامير الشهير ابو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش وحمل على قلب ابن مردنيش فمرض مرضا شديدا ومات وقيل انه سم ولما مات جا اولاده واهله الى امير المومنين يوسف بن عبد المومن وهو باشبيلية فدخلوا تحت حكمه وسلموا لاحكامه البلاد فصاهرهم واحسن اليهم واصبحوا عنده في اعز مكان ثم شرع في استرجاع البلاد التي استولى عليها الافرنج فاتسعت مملكته بالاندلس وصارت سراياه تغير الى باب طليطلة وقيل انه حاصرها فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلا في عسكره فرجع عنها الى حضرته مراكش ثم جاز البحر الى الاندلس سنة ثمانين وخمسماية ومعه جمع كثيف وقصد غربي بلادها فحاصر مدينة شنترين وهي من اعظم بلاد العدو وبقي محاصرا لها شهرا فاصابه المرض فمات في السنة المذكورة وحمل في تابوت الى اشبيلية وقيل اصابه سهم من قبل الافرنج والله اعلم بحقيقة الحال وفي ابنه السيد ابي اسحاق يقول مطرف التجيبي رحمه الله

سعد كما شا العلى والفخار • تصرف الليل به والنهار
ما دانت الارض لكم عنوة • واعادانت لامر كبار
مهدتموها فصفا عيشها • واتصل الامن فنعم القرار

ومنها •

فالشاة لا يختلها ذيبها • واذا قامت معه في وجار

ولما مات يوسف قام بعده بالامر بعده ابنه الشهير امير المومنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن فقام بالامر احسن قيام ولما مات يوسف المذكور رثاه اديب الاندلس ابو بكر يحيى بن مجبر بقصيدة طويلة اجاد فيها

واولها

حل الاسى فاسل دم الاجفان • ما السلوان لغير هذا الشان

ويعقوب المنصور هو الذي اظهر ابهة ملك الموحدين ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط الاحكام الشرعية واظهر الدين • وامر بالمعروف ونهى عن المنكر واقام الحدود على القريب والبعيد • وله في ذلك اخبار وفيه يقول الاديب ابو اسحاق ابراهيم بن يعقوب الكانمي الاسود الشاعر المشهور •

ازال حجابه عني وعيني • تراه من المهابة في حجاب
وقربني تفضله ولكن • بعدت مهابة عند اقترابي

وكثرت الفتوحات في ايامه واول ما نظر فيه عند صيرورة الامر اليه بلاد الاندلس فنظر في شانها ورتب مصالحها ورتب المقاتلين في مراكزهم ورجع الى كرسي مملكته مراكش المحروسة وفي سنة ٥٨٦ بلغه ان الافرنج ملكوا مدينة شلب وهي من غرب الاندلس فتوجه اليها بنفسه وحاصرها واخذها وانفذ في الوقت جيشا من الموحدين والعرب ففتح اربع مدن مما بايدي الافرنج من البلاد التي كانوا اخذوها من المسلمين قبل ذلك باربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وساله الهدنة والصلح فهادنه خمس سنين وعاد الى مراكش وانشد القايد ابو عبد الله بن وزير الشلبي وهو من امراء كتايب اشبيلية قصيدة يخاطب بها يعقوب المنصور فيما جرى في وقعة مع الفرنج كان الشلبي المذكور مقدما فيها

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا • فمنا ومنهم طايحون عديد
وجال اغرار الهند فينا وفيهم • فمنا ومنهم قايم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف • وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا • كلانا على حر الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا • ومن يتبلد لا يزال يحيد
فولوا وللسمر الطوال بهامهم • ركوع وللبيض الرقاق سجود

رجع الى اخبار المنصور بعد هدنة الافرنج ولما انقضت مدة الهدنة او لم يبق منها الا القليل خرج طايفة من الافرنج في جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر اليه فتجهز لقصدهم في جيوش موفورة وعساكر منكبته واحتفل في ذلك وجاز الى الاندلس سنة ٥٩١ فعلم الفرنج به فجمعوا جمعا كثيرا من اقاصي بلادهم واداينها واقبلوا نحوه وقيل انه لما اراد الجواز من مدينة سلا مرض مرضا شديدا وييس منه اطباؤه فعاث الاذفونش في بلاد المسلمين بالاندلس وانتهز الفرصة وتفرقت جيوش المسلمين بسبب مرض السلطان فارسل الاذفونش يتهدد ويتوعد ويرعد ويبرق ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وخلاصة الامر ان المنصور توجه بعد ذلك الى لقاء النصارى وتزاحفا الفريقان فكان المصاف شمالي قرطبة على قرب قلعة رباح في يوم الخميس تاسع شعبان سنة ٥٩١ فكانت بينهم وقعة عظيمة استشهد فيها جمع كثير من المسلمين وحكي ان يعقوب المنصور جعل مكانه تحت الاعلام السلطانية الشيخ ابا يحيى بن ابي حفص عم السلطان

ابي زكريا

ابي زكريا الحفصي الذي ملك بعد ذلك افريقية وخطب له ببعض الاندلس فقصده الافرنج الاعلام ظنا ان السلطان تحتها فاثروا في المسلمين اثرا قبيحا فلم يرعهم الا والسلطان يعقوب قد اشرف عليهم بعد كسر شوكتهم فهزمهم اشهر هزيمة وهرب الاذفونش في طايفة يسيرة ومهذه وقعة الارك الشهيرة الذكر وحكي ان الذي حصل لبيت المال من دروع الافرنج ستون الفا واما الدواب على اختلاف انواعها فلم يحصر لها عدد ولم يسمع بعد وقعة الزلاقة بمثل وقعة الارك هذه وربما صرح بعض المورخين بانها اعظم من وقعة الزلاقة وقيل ان فل الافرنج هربوا الى قلعة رباح فتحصنوا بها فحاصرها السلطان يعقوب حتى اخذها وكانت قبل للمسلمين فاخذها العدو فردت في هذه المرة ثم حاصر طليطلة وقاتلها اشد قتال وقطع اشجارها وشن الغارات على ارجايها • واخذ من اعمالها حصونا وقتل رجالها • وسبى حريمها • وخرب منازلها وهدم اسوارها • وترك الفرنج في اسوء حال ولم يبرز اليه احد من المقاتلة ثم رجع الى اشبيلية واقام الى سنة ٥٩٣ فعاد الى بلاد الافرنج وفعل فيها الافاعيل فلم يقدر العدو على لقايه وضاقت على الافرنج الارض بما رحبت فطلبوا الصلح فاجابهم اليه لما بلغه من ثورة الميرقي عليه بافريقية مع قراقوش مملوك بني ايوب سلاطين مصر والشام ثم توفي السلطان يعقوب سنة ٥٩٤ وما قيل انه ساح في الارض وتخلى عن الملك ووصل الى الشام ودفن بالبقاع لا اصل له وان حكى ابن خلكان بعضه وممن صرح ببطلان هذا القول الشريف الغرناطي في شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيانات العامة لولوعهم بالسلطان المذكور وتولى بعده ولده محمد الناصر المشوم على المسلمين وعلى جزيرة الاندلس بالخصوص فانه جمع جموعا اشتملت على ستماية الف مقاتل فيما حكاه صاحب الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية وداخله الاعجاب بكثرة من معه من الجيوش فصاف الافرنج فكانت عليه وعلى المسلمين وقعة العقاب المشهورة التي خلا بسببها اكثر المغرب واستولى الافرنج على اكثر الاندلس بعدها ولم ينج من الستماية الف مقاتل غير عدد يسير جدا لم يبلغ الالف فيما قيل وهذه الوقعة هي الطامة على الاندلس بل والمغرب جميعا وما ذاك الا لسوء

التدبير فان رجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج استخف بهم الناصر
ووزيره وشتق بعضهم ففسدت النيات فكان ذلك من بخت الافرنج والله
غالب على امره وكانت وقعة العقاب هذه المشؤمة سنة ٦٠٩ ولم
تقم بعدها للمسلمين قايمة تحمد ومات الناصر سنة عشر وستماية
وولي بعده ابنه يوسف المستنصر وكان مولعا بالراحة فضعفت الدولة
في ايامه وتوفي سنة ٦٢٠ فتولى عم ابيه عبد الواحد بن يوسف ابن
عبد المومن فلم يحسن التدبير وكان اذ ذاك بالاندلس العادل بن المنصور
فراى انه احق بالامر فاستولى على ما بقي في ايدي المسلمين من الاندلس بغير
كلفة **ولما** خلع عبد الواحد وخنق بمراكش ثارت الافرنج على العادل
بالاندلس وتصاف معهم فانهزم ومن معه من المسلمين هزيمة شنعا
فكانت الاندلس فرحا على فرح وهرب العادل فركب البحر يروم مراكش
وترك باشبيلية اخاه ابا العلا ادريس ودخل العادل مراكش بعد خطوب
ثم قبض عليه الموحدون وقدموا يحيى بن الناصر صغير السن غير مجرب
للامور فادعى حينيذ الخلافة ابو العلي ادريس باشبيلية وبايعه اهل
الاندلس ثم بايعه اهل مراكش وهو مقيم بالاندلس فثار على ابي
العلا بالاندلس الامير المتوكل محمد بن يوسف الجذامي ودعا الى بني العباس
فمال الناس اليه وراحوا عن ابي العلا فخرج عن الاندلس اعني ابا العلي
وتركها وراء البحر لابن هود ولم يزل ابو العلا يحارب مع يحيى ابن
الناصر الى ان قتل يحيى وصفا الامر لابي العلي بالمغرب دون الاندلس
ثم مات سنة ٦٣٠ وبويع ابنه الرشيد وبايعه بعض اهل الاندلس
ثم توفي سنة ٦٤٠ وولي بعده اخوه السعيد وقتل على حصن بينه
وبين تلمسان يوم سنة ٦٤٦ وولي بعده المرتضى عمر بن ابراهيم
ابن يوسف بن عبد المومن وفي سنة ٦٦٤ دخل عليه الواثق المعروف
بابي دبوس فغدر ثم فقبض وسيق الى الواثق فقتله ثم قتل الواثق
بنو مرين سنة ٦٦٨ وبه انقرضت دولة بني عبد المومن وكانت من
اعظم الدول الاسلامية فاستولى بنو مرين على المغرب **واما** المتوكل
ابن هود فملك معظم الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج فريب موته
وقتله غدرا وزيره ابن الرميمي بالمرية واغتنم الافرنج الفرصة
بافتراق الكلمة فاستولوا على كثير مما بقي بايدي المسلمين من البلاد
والحصون ثم آل الامر الى ان ملك بنو الاحمر وخطب بعض اهل الاندلس
لابي زكريا الحفصي صاحب افريقية وقد سبق الكلام على اكثر المذكور هنا

واعدناه

واعدناه لتناسق الحديث ولما في بعضه من زيادة الفايدة على البعض
الاخر وذلك لا يخفى على المتامل وقد بسطنا في الباب الثاني احوال
ابن هود وابن الاحمر وغيرهما رحم الله الجميع ثم استفحل ملك يعقوب ابن
عبد الحق صاحب المغرب وحضرة ملكه فاس فاستنصر به اهل الاندلس
على الافرنج الذين تكالبوا عليهم فاجاز الى الاندلس وهزم الافرنج
اشد هزيمة حتى قال بعضهم ما نصر المسلمون من العقاب حتى دخل يعقوب
المريني وقتل في بعض غزواته زعيما من النصارى يقال له دونته
ويقال انه قتل من جيشه اربعين الفا وهزمهم اشر هزيمة ثم تتابعت
غزواته بالاندلس وجوازه للجهاد وكان له من بلاد الاندلس رندة
والجزيرة الخضرا وطريف وجبل طارق وغير ذلك واغاثه به الدين
بعد تمرد الافرنج المعتدين ولما مات تولى بعده ابنه يوسف بن يعقوب
فقدم اليه الاذفونش ملك النصارى لايذا به وقبل يده وهو عنده
تاجه فاعانه على الاسترجاع ملكه ولم يزل ملوك بني مرين يعينون
اهل الاندلس بالمال والرجال وتركوا منهم حصة معتبرة من اقارب
السلطان غزاة فكانت لهم وقايع في العدو مذكورة ومواقف مشكورة
وكان عند ابن الاحمر منهم جماعة بغرناطة وعليهم رئيس من بيت ملك
بني مرين يسمونه شيخ الغزاة **ولما** افضى الملك الى السلطان الكبير
الشهير ابي الحسن المريني وخلص له المغرب وبعض بلاد الاندلس امر
بانشاء الاساطيل الكثيرة برسم الجهاد بالاندلس واهتم بذلك
غاية الاهتمام فقضى الله ان استولى الافرنج على كثير من تلك المراكب
بعد اخذهم الجزيرة الخضرا وكان الافرنج جمعوا جموعا كثيرة برسم
الاستيلا على ما بقي للمسلمين بالاندلس فاستنفر اهل الاندلس السلطان
ابا الحسن المذكور فجاء للمسلمين بالاندلس بنفسه الى سبتة فرضة المجاز
وكمل اساطيل المسلمين فاذا بالافرنج جاءوا بالسفن التي لا تحصى ومنعوا
العبور واغاثة اهل الاندلس حتى استولوا على الجزيرة الخضرا وانكوه
في مراكبه اعظم نكاية ونته الامر وقد افصح عن ذلك كتاب صدر من
السلطان ابي الحسن المذكور الى سلطان مصر والشام والحجاز الملك
الصالح بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي الالفي
رحم الله الجميع وهذه نسخة الكتاب المذكور الذي خاطب به امير المسلمين
السلطان ابو الحسن المريني المذكور ملك المغرب رحمه الله السلطان
الملك الصالح بن السلطان الشهير الكبير الناصر محمد بن قلاوون ووصل

الي مصر في المنصف وقيل في العشر الاواخر من شعبان المكرم سنة ٧٤٠
بعد البسملة والصلاة من عند الله علي امير المسلمين المجاهد في سبيل
رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه في جميع اموره لديه سلطان
البرين حامي العدوتين موثر المرابطة والمشاغرة موازر حزب الاسلام
حامي الموازن ناصر الاسلام. مظاهر دين الملك العلام. ابن مولانا امير
المسلمين. المجاهد في سبيل رب العالمين. فخر السلاطين. حامي حوزة
الدين. ملك البرين. امام العدوتين. ممهد البلاد. مبيد شمل
الاعاد. مجند الجنود. المنصور الرايات والبنود. محط الرحال
مبلغ الامال. ابي سعيد بن مولانا امير المسلمين. المجاهد في سبيل رب
العالمين. حسنة الايام. حسام الاسلام. ابي الاملاك. مبيح اهل الكفر
والاشراك. مانع البلاد. رافع علم الجهاد. مدوخ اقطار الكفار
مصرخ من ناداه للانتصار. القايم لله باعلا دين الحق. ابي يوسف
يعقوب بن عبد الحق اخلص الله لوجهه جهاده. وبسر في قهر عداة
الدين مراده. الي محل ولدنا الذي طلع في افق العلا بدرا تماما. وصدع
بانواع الفخار فجلي ظلاما وظلما. وجمع شمل المملكة الناصرية فاعلي
منها علما. واحيي لها رسما. حايط الحرمين. القايم بحفظ القبلتين
باسط الامان. قابض كف العدوان. الجزيل النوال. الكفيل تامينه
بحياطة النفوس والاموال. قطب المجد وسماكه. حلي الحمد وملاكه
السلطان الجليل. الرفيع الاصيل. الحافل العادل. الفاضل الكامل
الشهير الخطير. الاضخم الافخم. المان الموزر. المويد المظفر. الملك
الصالح ابو الوليد اسماعيل بن محل اخينا الشهير علاوه. المستطير
في الافاق سناوه. زين الايام والليال. كما عين انسان المجد وانسان
عين الكمال. وارث الدولة الناصرية بصحيح رايه في عقود اهل الملل
والنحل حامي القبلتين بعدله وحسامه. النامي في حفظ الحرمين
اخرا اصطلاعه بذلك وقيامه. هازم احزاب المعاندين وجيوشها
هادم الكنايس والبيع ومبيحها وبرا علي عروشها. السلطان الاجل
الهمام الافضل. الافخم الاضخم. الفاضل العادل. الشهير الكبير
الرفيع الخطير. المجاهد المرابط المنبسط عدله في الجاير والقاسط
المويد المظفر. المنعم المقدس المطهر. زين السلاطين. ناصر الدنيا
والدين ابي المعالي محمد بن الملك الارضي الهمام الامضي. والد
السلاطين الاخيار. عاقد لوا النصر في قهر الارمن والتعريج والتتار

يحيي

يحيي رسوم الجهاد. معلي كلمة الاسلام في البلاد. جمال الايام. كمال الاعلام
فاتح الاقاليم. صالح ملوك التقادم. الامام المويد. المنصور المسدد.
قسيم امير المومنين فيما تقلد. الملك المنصور. سيف الدنيا والدين قلاوون
مكن الله له تمكين اوليايه. واحيي دولته التي اطلعها السعد شمسا في سماء
واحسن ايزاعه للشكر اذ جعله وارث ابايه. سلام كريم يفاوح زهر
الربي منشراه. ويناغي نسيم الصبا مجراه. يصحبه رضوان يدوم ما دامت
تنقل الفلك حركاته. ويتولاه روح وريحان. تحييه رحمة الله وبركاته
اما بعد حمد الله مالك الملك. جاعل العاقبة للتقوي صدعا باليقين
ودفعا للشك. وخاذل من اسر في النفاق النجوي فاصر علي الدخن
والافك. والصلاة والسلام علي سيدنا محمد رسوله الذي محا بانوار
الهدي ظلم الشرك. ونبيه الذي ختم به الانبيا ونمو واسطة ذلك
السلك. ودحا به حجة الحق فادت بالكفرة محمولة الافلاك. وماجت
حاملة الفلك والرضي عن اله وصحبه الذين سلكوا سبيل هداه. فسلك
في قلوبهم اجمل المسالك. وملكوا اعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب
انجح المسالك. وصابروا في جهاد الاعدا فزاد خلوصهم مع الابتلا والذهب
يزيد خلوصا علي السبك. والدعا لاوليا الاسلام. وحماية الاعلام
بنصر لهم في العدي اعظم الفتك. وييسر بقضايه درك ما لا لظهور
واحفل بذلك الدرك. فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم. وسبوغ
النعم. من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة. وصنع الله سبحانه يعرف
مذاهب الالطاف. ويكيف مواهب تلهج الالسنة في العصور عن شكرها
بالاعتراف. ويعرف من امره العظيم. وقضايه الملتقي بالتسليم. ما يكون
بين الموثر والكاف. ومكانكم العتيد سلطانه. وسلطانكم المجيد مكا
ولاوكم الصحيح برهانه. وعلاوكم النسيخ في مجال الجلال ميدانه. والي
هذا زاد الله سلطانكم تمكينا. وافاد مقامكم تحصينا وتحسينا
وسلك بكم من سلف من خلفكم سبيلا مبينا. فلا خفا بما كانت عقدته
ايدي التقوي. ومهدته الرسايل التي علي الصفا انطوي بيننا وبين
والدكم نعم الله روحه وقدسه. ويسره مع الابرار في عليين انسه من
مواخاة احكمت منها العهود تالية الكتب والفاتحة. وحفظ عليها
بحكم الاخلاص معوذتاها المحبة والنية الصالحة. فانعقدت علي التقوي
والرضوان. واعتضدت بتعارف الارواح عند تنازح الابدان. حتي
استحكمت وصلتها الولا. والتامت كلحمة النسب لحمة الاخا. فما كان الاوشكا

من الزمان . ولا عجب فضرر من الوصلتان يشكوه الخلان . ورد وارد اورد
رنق المشارب . وحقق قول من يسال الركبان عن كل غايب . انبانا بسيبنا
الله بنفسه الزكية . واكنان درتها لسنيه . وانقلابه الي ما اعد له من المنازل
الرضوانيه . بجليل ما وقر لفقده في الصدور . وعظيم ما تاثرت له النفوس
لوقوع ذلك المقدور . حقا نا للاسلام بتلك الاقطار . واشفانا من
ان ينفور قاصدي بيت الله الحرام من جرا الفتن عارض الاضرار . ومساهمة
في مصاب الملك الكريم . والولي الحميم . ثم عميت الاخبار . وطويت طي
السجل الاثار . فلم تر مخبرا صدقا . ولا معلما بمن استقرله ذلكم الملك حقا
وفي اثنا ذلك احفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ اهل الاندلس وسلطانها
وتواترت الاخبار بان النصري اجمعوا علي خراب اوطانها . ونحن اثنا ذلكم
الشان . نستخبر الوراد من تلكم البلدان . عما اجلي عنه ليل الفتن بتلكم
الاوطان . فبعد لاي وقفنا منها علي الخبر . وجاءنا بوفاته حرم الله بكم
البشير . وتعرفنا ان الملك استقر منكم في نصابه . وتداركه الله منكم
بفاتح الخير من ابوابه . فاطفا بكم نار الفتنة واخمدها . وابرا من داء النفاق
ما اعل البلاد وافسدها . فقام سبيل الحج سابلا . وتعيد طريقه لمن جاء
قاصدا او قافلا . ولما احتفت بهذا الجزا القداني . وتواتر بشعل الحاضر له
والعاني . اثار حفظ الاعتقاد البواعث . والود الصحيح بجزء حفا المواريث
فاصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفننة الاطوار . الجامعة بين الخبر
والاستخبار . الملبسة من العزا والهنا ثوبا الشعار والدثار . ومثل
ذلكم الملك رضوان الله عليه من تحل المصايب لفقدانه . وتحل عرى
الاصطبار بموته ولات حين اوانه . لكن الصبر اجمل ما ارتداه ذو عقل
حصين . والاجر اولي ما اقتناه ذو دين متين . ومثلكم من لا يحف وقاره
ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره . ومن خلفكم فما مات ذكره
ومن قمتم بامره . فما زال بل زاد فخره . وقد طالت والحمد لله العيشة
الراضية بالحقب . وطاب بين مبداه ومختصره . هنيا بما من الاجر
اكتسب . وصار حميدا الي خير المنقلب . ووفد من كرم الله علي افضل ما منح
موقنا ووهب . فقد ادنيناكم الله يغنم لحياطة ارضه المقدسه . وحماية
زواربيته مقبلة او معرسة . ونحن نعتقد تبسط هذه التعزية بهنيكم بما
خولكم الله اجل هذه التهنيه . وفي ذات الله الايراد والاصدار . وفي
مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار . واستقبلوا دولة التي العز عليها
رواقه . وعقد الظهور عليها نطاقه . واعطاها امان الزمان عهده

ومثاقه

ومثاقه . ونحن علي ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود
موثقة . ومولاة محققة . وثنا كما يه عن اذكي من الزهر غب القطر مفتقه
وموالاة مخففة . ولم يغب عنكم ما كان من بيننا المحصنين الاكرمين . اللذين
خطتهما منا اليمين . وادت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين الي قرار مكين
وانه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه . واوردده موارد
احسانه . في ذلكم من الفعل الجميل . والصنع الجليل . ما ناسب مكانه الرفيع
وشاكله فضله من البر الذي لا يضيع . حتي طبق فعله الافاق ذكره . وطوق
اعناق الوراد والقصاد بره . وكان من اجل ما به تحلي واتحف . واعظم ما
به رفد اليه مني الملك العلام وفي ذلك ترفا ذنه للمتوجهين . اذ ذاك في سرا
ربابع توقفا علي المحصنين . ورسم المراسيم المباركة بتحرير ذلك الوقت
مع اختلاف الجديدين . فجرت احوال الغرا فيها بذلك الخراج المستفاد .
ريثما يصلحهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه البلاد . علي ما رسمه رحمة
الله عليه من عنايته بهم متصلة . واحرام في تلك الاوقاف فوايدها
به منوفوره متحصلة . وقد امرنا مودي هذا الكتاب لكم . وموفده علي جلالكم
كاتبنا الاسني الفقيه الاجل الاحظي الاكمل . ابا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه
الاجل الحاج الاتقي الارضي الافضل . الاحظي الاكمل . المرحوم ابي عبدالله
ابن ابي مدين حفظ الله عليه رتبته . ويسر في قصد البيت الحرام بغيته
بان يتفقد احوال تلك الاوقاف . ويتعرف تصرف الناظر عليها وما
فعله من سداد واسراف . وان يتخير لها من يرتضي لذلك . وتحمد تصرفه
فيما هنالك . وخاطبنا سلطانكم في هذا الشان جريا علي الود الثابت
الاركان . واعلاما بما لوالدكم رحمة الله في ذلك من الافعال الحسان
وكالكم يقتضي تخليد ذلكم البر الجميل . وتجديد عهد ذلكم الملك الجليل
وتشييد ما اشتمل عليه من الشكر الاحفل . والاجر الجزيل . والتقدم
بالاذن لسلطاني في اعانة مرسلنا الوافد بهذا الكتاب علي ما يتوخاه في
ذلك الشان . حتي طرق الصواب . وثناؤنا عليكم الثنا الذي يفادح
زهر الربا . ونطارح نغم حمام الايك مطربا . وبحسب المصافاة ومقتضي
الموالاة . نشرح لكم المترايدات بهذه الجهات . وننبيكم بموجب ابطا
انفاذ هذا الخطاب . عليه لكم الجناب . وذلك انه لما وصلنا من الاندلس
الصريخ ونادينا للجهاد عزما . لمثل نداه به يصيح . انبانا ان الكفار قد
جمعوا احزابهم من كل صوب . وحتم عليهم باباهم اللعين التناصر من كل اوب
وان يقصد طوايفهم البلاد الاندلسية باجحافها . وتنقض بالمنازلة

ارضنا من اطرافها • ليمحوا كلمة الاسلام منها • وينقلصوا ظل الايمان عنها
فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من القواد • وسرنا على اثرهم الى سبتة منتهى
المغرب الاقصى وباب الجهاد • فاوصلناها الا وقد اخذ اخذ العدو الكفور •
وسدت اجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور • واتوا من اجفانهم بما
لا يحصى عددا • وارصدوها بمجمع البحر حيث الجواز الى دفع العدى • وتقلصوا
من الانبساط في البلاد • واجتمعوا الى الجزيرة الخضرا اعادها الله بكل من جمعوه
من الاعاد • لكنا مع استداد تلك السبيل • وعدم امور نستعين بها في ذلكم
العمل الجليل • حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد • وامرنا منهم بمن امكن
من الجند • وجهزنا اجفانا مختلسين فرصة الاجازة • وتتردد على خطر
بمن جهز للجهاد جهازه • وامرنا لصاحب الاندلس من المال بما يجهز به حركته
لمدافعة محلة حزب الضلال • واجرينا له ولجيشه العطا الجزل مشاهرة
وارضخنا لهم في النوال ما مزجوبه ثواب الاخرة • وجعلت اجفاننا تتردد
في مينى السواحل • وتلج ابواب الحتوف العاجل • لاحراز الامر الاجل • مشحونة
بالعدد الموفور • والابطال المشهورة • والخيل المسومة • والاقوات
المعومة • فمن ناج حاد دونه الاجل • وشهيد مضى لما عند الله عز وجل
وما زالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر • حتى تلف منها سبع وستون قطعة
غزو تراجرها عند الله يدخر • ولم تقنع بهذا العمل في الامداد • فبعثنا
احد اولادنا اسعدهم الله مشاهرا به لاهل تلك البلاد • فلقي من هول
البحر وارتجاجه • والحاح العدو والجاجه • ما به الامثال تضرب • وبمثله
يتحدث ويستغرب **ولما** خلص لتلك العدوة بما نقيته الشدايد
نزل بازا الكافر الجاحد • حتى كان منه بمرأى وادنى • وقد ضرب
بعيطن بصايح العدو وبماسيه بحرب بها يعني • وقد كان من مددنا بالجزيرة
جيش سربت سرارته • وقويت في الحرب ادارته • يبلون البلاء الا صدق
ولا يبالون بالعدو وهم منذ كان لنا مداليسيقنا في البحر الاورق • الا ان
المطاولة بحصرها في البحرية ثلاثة اعوام ونصف • ومنازلتها في البر
نحو عامين معقودا عليها الحتف بالحتف • ادا الى فنا الاقوات بالبلد
حتى لم يبق لاهله قوت نصف شهر مع انقطاع المدد • وبه من الخلق ما
يربي على عشرة الاف دون الحرم والولد **فكتب** الينا سلطانه الاندلس
يرغب في الاذن له في عقد الصلح • ووقع الاتفاق على انه لاستخلاص المسلمين
من وجوه النجح • فاذنا له فيه الاذن العام • اذ في امراجه واصراخ من بينها
من المسلمين من وجوه النجح توخينا ذلك المرام • هنالك دعا النصارى

الى السلم

الى السلم فاستجابوا • وقد كانوا علموا فنا القوت وما استرابوا • فتم
الصلح الى عشر سنين • وخرج من بها من فرسان ورجال واهل وبنين • ولم
يرزاوا مالا ولا عدة • ولا لقوا في خروجهم غير النزوع عن اوطا رض مس
الجلدة نزلوا بها سنه • ووصلوا الينا فاجزلنا لهم العطا • واسلينا هم
عما جرى بالحيا • من خيل تزيد على الالف عتاقها • وخلع تربي على عشرة
الاف اطواقها • واموال عمت الغني والفقير • ورعاية شملت الجميع
بالعيش النضير • وكف الله من الطواغيت عما عداها • وما انقلبوا بغير
مدرة عفا رسمها وصم صداها • وقد كان من لطف الله حين قضى باخذ
هذا الثغر • اذ قدم لنا فتح جبل طارق من ايدي الكفر • وتموا المطل
على هذه المدرة والفرضة منها ان شا الله تعالى متيسر • حين يحرق
عند الكفار • وتفرج بهذه الجهة منهم مجاوروا هذه الاقطار • فلولا اجلابهم
من كل جانب • وكونهم سدوا مسلك العبور لجميعهم من الاجفان والمراكب
لما بالينا باصفاقهم • ولحللنا بعون الله عقد اتفاقهم • ولكن للموانع
احكام • وللاراد لما جرت به الاقلام • وقد امرنا لذلك الثغر بمزيد المدد
وتخيرنا له ولساير تلك البلاد العدد والعدد • وعزمنا بحضرتنا فاس
لتستريح الجيوش من وعثا السفر • وترتبط الجياد وتنتخب العدد لوقت
الظهور المنتظر • وتكون في اهبة الجهاد • على مرقبة الفرصة عند
تمكنها في الاعاد • وعند عودنا من تلك المحاولة • تيسر الركب الحجازي
موجها الى هنا لكم رواحله • فاصدرنا اليكم هذا الخطاب • اصدار
الود الخالص • والحب اللباب • وعندنا لكم ما عند احبي الايا • واعتقادنا
فيكم في ذات الله لا يخفى جدتيه من البلا • وما لكم من غرض بهذه الاكناف في
قضيه على الكلا لا تمنوا • موالي تتميمه على اجمل الانا • والبلاد باتحاد
الود متحدة • والقلوب والايدي على ما فيه من مرضاة الله عز وجل
معتضدة • جعل الله ذلكم خالصا لرب العباد • مذخورا ليوم التناد
مسطورا في الاعمال الصالحة يوم المعاد • بمنه وفضله وهو سبحانه
يصل اليكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب • وتتضعضع على الانقياد له
صدور المواكب • وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب • والسلام
الاتم يخصكم كثيرا اثيرا • ورحمة الله وبركاته **وكتب** في يوم الخميس
السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة واربعين وسبعماية
وصورة العلامة وكتب في التاريخ المؤرخ ونسخة الجواب عن ذلك
من انشاء خليل الصفدي شارح لامية العجم في سادس شهر رمضان

سنة خمس وثمانين وستمائة نجدا لبسملة في قطع المختصر بقلم الثلث
عبد الله ووليه صورة العلامة ولي اسماعيل بن محمد السلطان الملك
الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المثاغر المظفر المنصور
عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين
منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والعجم
والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار اسكندر الزمان
مملك اصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله في ارضه
القايم بسنته وفرضه مالك البحرين خادم الحرمين الشريفين سيد
الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ولي امير المؤمنين ابو
الفدا اسماعيل بن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا
والدين ابي الفتح محمد بن السلطان السعيد الشهيد الملك المنصور سيف
الدنيا والدين قلاوون خلد الله سلطانه وجعل الملائكة انصاره واعوانه
يخص المقام العالي الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد المرابط المثاغر المعظم
الكريم المظفر المعمر الاسعد الاصعد الاوحد الامجد الاسنى
السري المنصور ابا الحسن عليا بن امير المسلمين ابي سعيد بن امير المسلمين
ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق امتع الله بالظفر وقرن عزمه بالتاييد
في الاصال والبكر سلام وسنا البروق وشايعه وادخرت الكواكب
وذكايه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وبنات الخد
النفحات المسكية طلايعه ونبه للمتغرد في الروض سواجعه وجلا
في كاسه الشفق المحمر مدامه ومن النجوم فواقعه نعتمد حمد الله على نعم
ادت لنا الامانة في عود سلطنة والدنا الموروثة واجلسنا على
سرير مملكة ذرايتها مبثوثة واحنت بنا الخلق عن سلت بين النجوم عهوده
في الاعناق غير منكورة ولا منكوثة وصلاتنا على سيدنا محمد عبده
ورسوله وعلى اله وصحبه الذين بلغ بجهادهم في الكفر غاية امله وسوله
صلاة نحط بالرضوان سيولها ونجر بالغفران ذيولها ما ترسل
اصحاب وتواصل احباب ويوضح للعلم الكريم ورد كتابكم العظيم
وخطابكم الفايق على الدر النظيم تفاخر الخمايل سطوره وتصبغ خد
الورد بالخجل منثوره ويحكي الرياض اليانعة فالالفات غصونه
والهمزات عليها طيوره ويخلع في الافاق حلل الايام والليالي فالطرس
صباح والنقش ديجور لفظه يطرب ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته
تدل على انه اية لان شمس بيانها طلعت من المغرب فاتخذنا سطوره ريحانا

بين النجوم صح

ودجينا

ودجينا الناظر الخالي ورجعنا الى الجد فشبهنا الغاية بظلال الرماح
وورقه بصفايح الصفاح وحروفه المعرقة بافواه الجراح وسطوره المنتظمة
بالفرسان المزدحمة في يوم الكفاح وانتهينا الى ما اودعتموه من اللفظ البديع
والمعنى الذي يطرب طاير المسموع والبلاغة التي تفضح المنطبع ببيانها
المطبوع واما العزا بابيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده والحسن
لسلفه خلفنا بعده فلنا برسول الله اسوة حسنة ولولا الوثوق بانه
في عدة الشهدا ما راى القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيدا يملك
الارض ومات شهيدا يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره بسير مسير
الشمر في الافاق ويوقف على نضارة حدايقه نظرات الاحداق وورثنا منه
حسن الاخا لكم والوفا بعهود مودة تشبه في اللطف شمايلكم والمتنا
الهنا بوراثة ملكه والانخراط مع الملوك في سلكه فقد شكرنا لكم منحى هذه
المنحه وقابلناها بنا يعطر النسيم في كل نفحه ووقفنا عليها حمد اجمل
الود علينا ابراده وعلى انفاس نفحة الروض سرحه وتحققنا به حسن ودكم
الجميل وكريم اخايكم الذي لا يميد طود رسوخه ولا يميل واما ما ذكرتموه
من امر المصحفين الشريفين اللذين وقفتموهما على الحرمين المنيفين وانكم
جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسني الاسمى ابا المجد بن كاتبكم ابي عبد الله
ابن ابي اوفى مدين اعزه الله تعالى لتتعهدا حوالهما والنظر في امر اوقافهما
فقد وصل المذكور ومن معه في حرز السلامة واكرمنا نزلهم وسهلنا بالترحيب
سبلهم وجمعنا على بذل الاحسان اليهم شملهم وحضر المذكور بين ايدينا
وقربناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وامرنا في امر المصحفين الشريفين
بما اشرتم ورسمنا لنوابنا في نواحي اوقافهما بما ذكرتم وهذا الوقف
المبرور جار على احسن عادة الهنا واثبت قاعدة عرفها مرعي الجوانب
محمي المنازل والمشارب امن من ازالة رسمه او ازالة حكمه يبدو ابدا
في مطالع يمنه وزهر دايما يرقص في كمه لا يزداد الا تخليدا ولا
اطلاق ثبوته الا تقييدا ولا عتق اجتهاده الا تقليدا جريا على عادة
اوقاف ممالكنا وقاعدة تصرفاتنا في مسالكنا ولمزيد الرعاية وافادة
الحماية ووفادة العناية واما ما وصفتموه من امر الجزيرة الخضرا
وما لاقاه اهلها ومحيه من الكفار حزنها وسهلها فانه شق علينا سماع
الذي نكي امل الايمان وعدد به ذنوب الزمان كل قلب بانامل الخضع
وطالما فزتم بالظفر ورزقتم النصر على عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر
ولكن الحروب سجال وكل زمان لدوايه دولة وللرحا يه رجال ولو امكنت

ولو امكنت المساعدة لطاردت بنا اليكم عقبان الجياد المسومة • وسالت
على عدوكم اباطحهم بغيثنا المتوجه وسهامنا المتوهجه • ولحلنا متون النجوم
بمزاود الرماح • وجعلنا الليل للعجاج ممزقا ببروق الصفاح • واتخذنا
رؤسهم الصوالج المتواتر كرات • وفرجنا مضايق الحرب بتوالي الكرات وعطفنا
اليهم الاعنة • وخضنا جداول السيوف • ودسنا شوك الاسنة • وفلقنا
الصخرات بالصرخات • واسلنا العبرات بالرعبات • ولكنا في الغاية
من هذا المدى المتطاول • واين الثريا من يد المتناول • وما لنا غير
امدادكم بجنود الدعا الذي نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذي
ترفعه ملايكة القبول من سجايانا • واما ما فقد عوض من الاجفان التي
طرقها طيف التلاف • واما جرم فنايبها الحنا وطاف به نقيد الالطاف
فقد دوع هذا الجرح قلب الاسلام • ونوع له الحزن على اختلاف الاصباح والاظلام
وهذه الدار ما يخلو صفوها من كدر الغدر • وطالما نامت بالامن
اول الليل • وخاطبت بالخطب في السحر • ولكن في بقايكم ما سلي من خطب
العطب • ومع سلامة نفسكم الكريمة فالامر هين لانا لدر يفدي بالذهب
واما ما رايتموه من الصلح فراي عقده مبارك وامر ما فيه فارط
عزم وان كان فيتدارك • والامر يجي كما يجب لا كما نحب • والحروب
يتزودها نصرها تارة ويغب • ومع اليوم غدا • وقد يرد الله الردى
ويعيد الظفر بالعدى • واما عودكم الى فاس المحروسة طلبا لارادة
من عندكم من الجنود • وتجهيزا لمن يصل من عندكم الى الحجاز الشريف من الوفود
فهذا امر ضروري التدبير • سروري التثمير • لان النفوس تمل وتسير
المهاد • فكيف ملازمة صهوات الجياد • وتسام من مجالسة الشرب
فكيف بممارسة الحرب • وتعرض عن دوام اللذة • فكيف بمباشرة المنايا
المغذة • وهذا جبل طارق الذي فتح الله به عليكم • وساق هذه هديته
اليكم • لعله يكون سببا الى ارتجاع ما شرد • وحتما لهذا الطاغية
الذي مرد • وردا لهذا النازل الذي قدم وردا الصبر لما ورد • فعادت
الالطاف الالهية بكم معروفة • وعزماتكم الى جهات الجهاد مصروفة
وقد تنا لنا لكم من هذا الجبل بان طارق حرز من الرحمن يطرق • وجبل
يعصم من سهم يمر من قسي الكفار ويمرق • واما ما تختموه من الخيل
العتاق والملابس التي تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق • والاموال
التي تركت عند الله تعالى ونمت على الانفاق • فعلى الله عز وجل خلفها
ولكم في منازل الدنيا والاخرى شرفها وشرفها • والينا تساق هدايا

ابنتها وتحفكم تحفها • واذا وصل وفدكم الحاج • وانا زله بوجه اقبالنا عليهم
لبلبهم الداج • كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا • وشمول اسعافنا لهم وانعامنا
يتحولون تحتا انتم سببها وبيتنا ولون طرفا من كونس الاعتنا بهم ننضد جبهها
واذا كانوا وان الرحيل الى الحج فسحنا لهم الطريق • وسهلنا لهم الرفيق
وبلغناهم بحول الله تعالى مناهم من منى • وسولهم ممن اذا زاروا الحجرة الشريفة
حازوا الراحة من العنا • وفازوا بالغنا • واذا عادوا عاملناهم بكل جميل
ينسيهم مشقة ذلك الدرب • ونحيل اليهم الامسافر لسا فربين الشرق والغرب
وعمرناهم بالاحسان في العود اليكم وامرناهم بما يبهونه شفاها لديكم
وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم • وتوفر لاخذ الثار رحاتكم • وتحفكم بتاييد
تتزلون روضة الانضر • وتحوز به ثمر النصر اليانع من ورق الحديد الاخضر
وتنحفكم بسعد لا يبلي قشيبه • وعز لا يحو شبابه مشيبه • وتحيته
المباركه تغاديكم وتراوحكم وتناوحكم انفاسها العنبرية وتفاحكم بمنه
وكرمه انتهى ورايت بخط منشي هذا الجواب الصلاح الصفدي رحمه
الله اثر ذكره ما نصه اما بعد حمد الله على نعمايه • وصلاته على سيدنا
محمد عبده ورسوله خاتم انبيايه • فقد قرا الشيخ الامام العالم العامل
العلامة المفيد القدوة عز الدين ابو يعلي حمزة بن الرئيس الكبير الفاضل
القاضي قطب الدين موسى بن احمد بن شيخ السلامية الحنبلي امتع الله بفوايده
الكتاب الوارد من سلطان المغرب • الملك المجاهد المرابط ابي الحسن المريني
صاحب مراكش تغمده الله برحمته والجواب عنه عن السلطان الشهيد الملك
الصالح عماد الدين اسماعيل بن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد قدس الله
روحهما من انشاي وانا اسمع ذلك جميعا من اوله الى اخره قراة اطربت
السمع لفصاحتها • واما لت العطف لرجاحتها •

واخجلت ورق الحمى بالدوي • انصدحت في ذروة الغصن
تكاد من لطفه ومن رقته • تدخل في الاذن بلا اذن

وذلك في مجلس واحد في ذي القعدة سنة ٧٤٦ بالجامع الاموي بدمشق
المحروسة فان راى روايته ذلك عني فله علو الراي في تشريفي بذلك
وكتب خليل ابن ايبك الصفدي الشافعي عفا الله عنه انتهى وكان السلطان
ابو الحسن المريني المذكور كتب ثلاث مصاحف شريفة بخطه وارسلها الى
المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال واوقف عليها اوقافا جليلة
كتب توقيعه سلطان مصر والشام عشا حتها من انشا الاديب الشهير
جمال الدين بن نباتة المصري ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله وهو

الذي مدّ يمينه بالسيف والقلم فكتب في اصحابها • وسطر الختمات الشريفة
فايدا لله حزبه بما سطر من احزابها • وانفصلت اخبار ملايكة النصر بلوايه
تغدو وتروح • وكثرت فتوحاته لاهليا الغرب • فقالت اوقاف الشرق
لابد للفقرا من فتوح • ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه الجيد المجدي
وخط سطورها بالعزي وطالما خط في صفوف الاعدآء بالهندي • ورتب
عليهما اوقافا تجري اقلام الحسنات في اطلاقها وطلقها وحبس املاكا
شامية تحدث بنعم الاملاك التي سرت من مغرب الارض الى مشرقها والله تعالى
يمتع من وقف هذه الختمات بما سطر له في اكرم الصحايف • ويمتع الجالس
من ولاة الامور في تقريرها • ويتقبل منا لواقف انتهي قلت
وقد رايت احد المصاحف المذكورة وهو الذي ببيت المقدس وربعته
في غاية الصنعة وقال بعض المشارقة في حق السلطان ابي الحسن
ما صورته • ملك اضآء المغرب بانوار هلاله • وحرت الي المشرق انهار نواله
وطابت شمايله واشتهرت عزماته • كان حسن الكتابه • كثير الانابه • ذا البلاغة
وبراعه • وشهامة وشجاعه • كتب بخطه ثلاث مصاحف ووقفها علي المساجد
الثلاثة • اقام في الملك عشرين وسبعة اعوام ثم صرف بولده ابي عنان بعد
حروب يطول شرحها انتهي من كتاب نزهة الانام ولما ذكر الامام الخطيب
ابو عبد الله بن مرزوق في كتابه المسند الصحيح الحسن من اخبار السلطان
ابي الحسن امر الربعة التي ارسلها السلطان ابو الحسن بخطه قال ما نصه
وارسل معها للسلطان الملك الناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية
من احجار الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانماية وخمسة وعشرين ومن الزمرد
ماية وثمانية وعشرين ومن الزبرجد ثمانية وعشرين ومن الجوهر النفيس الملوكي
ثلاثماية واربعة وستين وارسل خلالا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن
الاناق عشرون مذهبة ومن الخلادي ستة واربعون ومن الفتوح ستة
وعشرون مذهبة ومن المحررات المختمة ثمانماية ومن الرصاص عشرون شقة والاكسية
المحررة اربعة وعشرون والبرانس المحررة ثمانية عشر والمشقات ماية
وخمسون واحارم الصوف المحررة عشرون ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر
ومن القفاطي الملونة والفرش والحياد المنبوق والحلل ثمانماية واوجه اللحف
المذهبة عشرون وحايطيات حلة وحنابل ماية واثني عشر كلها حرير وفرش جلد
مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلاة بالذهب المنظم بالجوهر عشرة
والسروج عشرة بركب ذهب ومهاميز ذهب كذلك وثلاث ركب فضة وستة
مزججة ومذهبة ومخمتان من ذهب مما يليق بالملوك وشاشية حديد مطوقة

بذهب

بذهب مكلل بالجوهر • ومن الرمانات الفضة عشرة • وسرج مخروز بالفضة عشرة
وعشر علامات مفتشة مذهبة • وعشر رايات مذهبة • وعشر مراتع مذهبة
وعشر امثلة مرقومة • وثلاثون جلدا لمط • واربعة الاف درقة لمط منها مايتان
بنود الذهب • وثمانية عشر بنود الفضة • وخباقية كبيرة من ماية نسيقة
لها اربعة ابواب وقبة اخري مضرب من ست وثلاثين بسيقة مبطنة بحلة مذهبة
وتيجر ابيض ومرابطها حرير ملوث وعمودها عاج وابنوس واكبارها من فضة
مذهبة ومن البزاة الاحرار المنتقات اربعة وثلاثون • ومن عتاق الخيل العراب
ثلاثماية وخمس وثلاثون • ومن البغال الذكور والاناث ماية وعشرون ومن
الجمال سبعماية • وتوجهت مع هذه الهدية ام برسم الحج مع الربعة المكرمة واعطي
الحرم ام اخته امر ولدابنه مريم ثلاثة الاف وخمسماية ذهبا • وللقاضي الركب
ثلاثماية وكسوة • وللقايد الركب اربعماية • وكساوي متعددة وبغلات ولمن يتولد
المغني للهدية الفاولشيخ الركب احمد بن يوسف بن ابي محمد صالح خمسماية • وللجماعة
الضعفا من الحجاج ستماية • وبرسم العطا للعرب ثلاثة الاف وثمانماية • ولسرا
ربع ستة عشرالفا وخمسماية ذهبا انتهي • وذكر في الكتاب المذكوران السلطان
ابا الحسن الموصوف اهدي هدايا غير هذه لكثير من الملوك منها لصاحب
الاندلس صلة وصدقة في مرات ومنها لملوك النصارى بعد هدنتهم هدايا
ومنها السلاطين السودان كصاحب مالي ومنها لصاحب افريقية
ومنها لصاحب تلمسان انتهي وقال مورخ مصر المقريزي في كتابه
السلوك في سنة ٧٣٨ ثمانية وثلاثين وسبعماية • وفي ثاني عشر من رمضان قدمت الحجة
من عند السلطان ابي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني صاحب فاس تريد الحج
ومعها هدية جليلة الي الغاية نزل لحملها من الاسطبل السلطاني ثلاثون
قطارا من بغال النقل سوي الجمال كان من جملتها اربع ماية فرس منها ماية حجرة
وماية فحل وماتيا بغل وجميعها بسرج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها
سروجها وركبها كلها ذهب وكذلك لجمها وعدتها اثنان واربعون ذاسا منها
سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها اثنان وثلاثون بازا • وفيها سيف قرابه
ذهب مرصع وحياصته ذهب مرصع • وفيها ماية كسا وغير ذلك من القماش العالي
وكان قد خرج المهمندار الي لقايهم وانزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح وتم جمع
يوم كبير جدا وكان طلوع الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية علي الامرا
باسرهم علي قدر مراتبهم حتي نفدت كلها سوي الجواهر واللولو فانه اختص به
فقدرت قيمة هذه الهدية ما يزيد علي ماية الف دينار ثم نقلت الحرم الي الميدان
بمن معها ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوي والفاكهة في كل يوم

بكرة وعشية ما عمهم وفضل عنهم فكان مرتبهم كل يوم ثلاثين راسا من الغنم
ونصف اردب ارز وقنطار خبز وثمان دجاج وقنطار سكر وثمان فانوسيات شمع
وتوابل الطعام وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وستين الف درهم والحرة
حملت اليهم مبلغ ستين الف درهم ثم لم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة
الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين قادوا
الخيول وحمل الى الحرة من الكسوة ما يجل قدره وقيل لها ان على ما تحتاج اليه ولا
يعوزها شيء واعتنت بذلك عناية السلطان باكرامها واكرام من معها حيث كانوا
فتقدم السلطان الى النشو والى الامير قجا بتجهيزها اللائق بها فعملا بذلك
واستخدما لها الشماعية الصوفية وهيئا كل ما تحتاج اليه في سفرها من اصناف
الحلاوات والسكر والدقيق والبقسماط وطلبا الجمالة لحمل جهازها وازودتها وندب
السلطان للسفر معها جمال الدين متولي الجيزة وامره ان يرحل بها في ركب لها
بمفردها قدام المحمل ويمتثل كلما تامره به وكتب لامير مكة والمدينة بخدمتها
اتم خدمة انتهى وقال في سنة خمس واربعين وسبعمائة ما نصه وفي نصف
شعبان قدمت الحرة اخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب
السلطان ابي الحسن يتضمن السلام وان يدعوا له الخطباء يوم الجمعة وخطبها
ومشايخ الصلاح واهل الخير بالنصر على عدوهم ويكتب الى اهل الحرمين بذلك وذلك
ان في السنة الخالية كانت بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة قتل فيها ولده
ونصره الله عليهم بمنته على العدو وقتل كثيرا منهم وملكوا منهم الجزيرة الخضراء
فعمر الفرنج ما يتم شيء وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين واوقعوا بهم على حين
غفلة فاستشهد عالم كبير ونجا ابو الحسن في طائفة من الزاهية بعد شدائد
وملك الفرنج الجزيرة واسروا وسبوا وغنموا اشياء يجل وصفه ثم مضوا الى جهة
اغرناطة ونصبوا عليها مائة منجنيق حتى صالحهم اهلها على قطيعة يقومون
بها وتهادنوا مدة عشر سنين انتهى كلامه وقد تقدم نص هذا الكتاب الموجه من
السلطان ابي الحسن فليراجع قريبا وقال ابن مرزوق في المسند الصحيح
الحسن بعد كلام ما ملخصه وكان نعني السلطان ابا الحسن مجتهدا في الجهاد
بنفسه وحرمه وجاز للاندلس برسم ذلك بنفسه واظهر اثاره الجميلة ومنها
ارتجاع جبل الفتح ليد المسلمين بعد ان انفق عليه الاموال الدثرة فالتقيه الجيوش
والحشود اذ كان من عمالة بني الجزيرة ورندة ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه
وضيقوا به الى ان استرجعوه ليد المسلمين وانفق على بنايته احمال المال واعتنى بتحصينه
وبنى حصنه وابراجه وسوره وجامعه ودوره ومخازنه ولما كاد يتم ذلك نازله
العدو برا وبحرا فصبر المسلمون صبر الكرام فخيب الله امل العدو وخاسرا والمنة

لله

لله فراى ان يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو في منازلته
ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته • وراى الناس ذلك من المحال فانفق الاموال
وانضاف لهما الحاجز بجموعه احاطة الهالة بالهلال واما بناؤه للمحارس
والطوالع فامر غير مجهول انتهى وقد رايت ان اذكر هنا بعض انشاء لسان الدين
ابن الخطيب في شان ما يتعلق بجبل الفتح وغيره من بلاد الاندلس وحال العدو
الكافر وما ينخرط في هذا السلك فمن ذلك على لسان سلطانه يخاطب به احد
السلاطين من اولاد السلطان ابي الحسن المريني ونصه المقام الذي يفرح ويجد
ويتهم في الفضل وينجد • ويشيم ويسعد • ويبرق في سبيل الله ويرعد
فياخذ الكفر من عزماته المقيم المقعد • حتى ينجز من نصر الله الموعد • مقام محل
اخينا الذي حسن الظن بمجده جميل • وحد الكفر بسعده كليل • وللاسلام
فيه رجاء وتامل • ليس للعلوي عنه مميل • السلطان الكذا ابن السلطان
الكذا ابقاه الله وعزمه الماضي لصولة الكفر قامعا • وتدبيره الناجح لشمل
الاسلام جامعا • وملكه الموفق لنداء الله مطيعا سامعا • معظم مقداره وملتزم
اجلاله واكباره • المعتمد في الله بكرم شيمته وطيب نجاره • المستظهر على عدو
الله باشراعه الى تدمير الكافر وبداره • سلام كريم عليكم • ورحمة الله وبركاته
اما بعد حمد الله مجيب دعوة السائل • ومتقبل الوسائل • ومسنح
النعم الجلائل • مربح من عامله في هذا الوجود الزائف الزائل • والايام القلائل
بالمتاع الدائم الطائل • والنعيم غير الحائل • ومتمم اود الاسلام المائل
باولي المكارم من اوليائه والفضائل • والصلاة والسلام على سيدنا محمد
رسوله المنقذ من الغوائل • المنجي من الروع الهائل • الصادع بدعوة الحق الصائل
بين المنابر والمحافل • الذي ختم به وبرسالته ديوان الرسل والرسائل
وجعله في الاواخر شرف الاوائل • فحبه كنز العائل • والصلاة عليه زكاة
القائل • والرضى عن آله وصحبه وعترته وحزبه نجباء الاحياء والقبائل
المتميزين بكرم السجايا وطيب الشمائل • والدعاء لمقام اخوتكم في البكر والاصائل
بالسعد الصادق المخائل • والصنع الذي تتبرج مواهبه تبرج العقائل والنصر
الذي تهتز له الصعاد الملد عطفا المراح المتمايل • فانا كتبناه اليكم كتب
الله لكم عز ابائك الحمائل • ونصرا يتكفل للكتائب المدونة في الجهاد ومرضاة
رب العباد ببرد المسائل • واقناع السائل • من حمراء غرناطة حرسها الله
ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استبصار في التوكل على من بيده الامور ونيت
مشروع تتعلق به باذن الله احكام القدر المقدور • ورجاء فيما وعد به من الظهور
تتضاعف على توالي الايام وترادف الشهور • والحمد لله كثيرا كما هو اهله فلا

فلا فضل الا فضله . ومقامكم المعروف محله . الكفيل بالازدياد بفضله وعلوه والي
هذا وصل الله سعدكم . وحرس مجدكم . والي لنسم عندنا فاننا في هذه
الايام امتحنا من اثر الاسلام ما رنق الشراب ونغص الطعام . وذاد المنام لما
تحققنا من علا الكفر علي مكايدته . وسعي الضلال والله الواقي في استيصال
بقيته . وعقد النوادي للاستشارة في شانه . وشرع الحيل في مداركاته
ومن نؤمل من المسلمين لدفع الردي وكشف البلوي . وبث الشكوي . واهله
حاطهم الله ونولاهم وتمم عوايد لطفه الذي اولاهم فهم مولاهم في غفلة
ساهون . وعن المنبت فيه لا يهون . قد شغلتهم دنياهم عن دينهم . وعاجلهم عن
آجلهم . وطول الامل عن نافع العمل . لامن نور الله قلبه بنور الايمان ونمل
بمناصحة الله والاسلام تحمل التسليم واستدل بالشاهد علي الغايب . ومن
الكفر الي مطالبة الامم النوايب . فلما تيقنا ان الدولة المرينية التي هي علي مر
الايام شجي العدي . ومتوعد من بكيد الهدي . وفية الاسلام التي اليها يتحيز
وكهفه الذي اليه يلجا . فقاد ذنا الله في صلاح امورها . ولم شعثها واقامة
صفها . بان صرف الله عنها هناة العذر . واراحها من مس الضر . ورد قوسها
الي يد بارئها . وصير خفها الي بارئها . واقام لرعي مصالحها من حسن الظن
بحقه ودينه . ورجي الخير من غرات نصحه ومن لم يعلم الا الخير من سعيه والسداد
من سيرته ومن لم يسترب المسلمون بصحة عقده . واستقامة قصده . اردنا
ان نخرج لكم عن العهدة في هذا الدين الحنيف الذي وسمت دعوته وجود احيابكم
سملهم الله بالعافية وتنبت بانفس منصارا الي الله من الشك . تعمدهم الله
بالرحمة والمغفرة . وفي هذا القطر الذي بلاده ما بين منكوب يجب رعيه
طبعا وشرعا . وجار يلزم حقه دينا ودنيا . وحمية وفضلا . وعلي الحائز فيه لكم
بعد الله المعول . وفيكم الموتل . فارعونا اسماعكم المباركة . نقص عليكم ما فيه
رضي الله والنجاة من نكيره . والفخر والاجر وحفظ النعم . والخلف في الذرية
بهذا وعدة الكتب المنزلة . والرسل المرسلة . وهو ان هذا القطر الذي
تعددت فيه المحارب والمنابر . والراكع والساجد . والذاكر والعابد
والعالم والكفيف . والارملة والضعيف . قد انقطعت عنه ارفاد الاسلام
ومنحا لا يري به منذ اعوام . وسلم الي عبدة الاصنام . ووفقت ضرايبه
بلا اعذار . والواحد المستغرقة للاعمار . وانقرضت سواعل وفتي وشوا
واخر . فقد كانت بحيث لا يسع الشيب بجملته . ولا يذهب المعروف بكليته
ولا بد من شكوي الي ذي مروة . يواسيك او يسليك او يتوجع
ولو كانت الاسباب تنقطع المعروف وتنصرف عن الواجب لم يفتح المقدس والدكم جبل
الفتح

ومنها الاخاه بسجلماسة ولا امد ولد السلطان ابو عنان ومنها مراكش
بعثنا الي الجبل وشمانه في جملة ما امتنا مبلغ جهد وسداد من عوز وفقد
فضلت عن ضرايرنا اموال فرضت من اجل الله علي عباده . وطعام سمحت به
علي الاحتياج اليه في سبيل جهاده . فلم يسهم المتغلب منها الجانب الله بحبة
ولا قطعة منها ذرة مستحضا بحل وعلامتها وما ينكره الذي يتواحق
ان يخشي فضاعة الامور . واختلت الثغور وتشذبت الحامية وتبددت
العدد وخلت المخازن وهلكت بها الجرذان . وعظمت فيها حسرة الاسلام
اضعاف ما عظمت حسرته ايام ما كانت تكفلها همم الملوك الكرام والخلفا
العظام . والوزرا والنصحا والاشياخ الامجاد . قدس الله ارواحهم
وضاعف انوارهم ولا كالحسرة في الجبل بابا الاندلس وركاب الجهاد وحسنة بني
بني مرين ومآثر اليعقوب وكرامة الله للسلطان المقدس ابي الحسن والد
الملوك وكبير الخلفا المجاهدين والدكم الذي ترد علي قبره منه مع الساعات
والانفاس وفود الرحمة ومدايا الزلفة وريحان الجنة فلولا انكم علي
علم مما حواله لشرحنا المجمل وشكلنا المهمل انما هو اليوم شبح ماثل وطلل
بايد لولا ان الله شغل العدي عنه بفتنته لم يصرف وجهه الا اليه ولا حوم
طير الا عليه . ولكان بجنده ان يتخذ الصليب دارا . وان يغير به
علينا والعدوة فضلا عن الاندلس قدما وشعها شرا . وارهق ما يجاوره
عسرا . نسال الله بنور وجهه الا يسود الوجوه بالفجع فيه ويشمت المسلمين
المنكلة وما دونه فهو وانا نعشر بالتعاليل ووقع بالجند خلفته لم علي
وضم الا ان يصل الله وقايته . ويتولي دفاعه وعصمته . لا اله الا هو
الولي النصير . وما زلنا نشكو الي غير الصمت ونمد اليد الي المدبر عن
الله المعرض ونخطب له زكاة الاموال من المبا في الضخمة والخزاين الشق
والاموا الطامية . والحظ التافه من المفترض برسمه فتمضي الايام
لا نزيد الضرايب فيها الا ضيقا ولا الاحوال الا شدة . ولا الثغر الا ضعفا
ولا نعلم ان نظرا وقع له ولا فكرا اعمل فيه الا ما كان من تسخير رعيته
الضعيفة وبلالة مجباه السخيفة في بنا قصر بمنت ميور من جباله
شادة مرمرا وجلله كلسا . فللطير في ذراه وكور
جليل لينا الزلبيج . واختلفت فيه الاوضاع في ذراس نيق لا مل تروة وسوء
فكرة فلما تم اقتطع الجدران فهو اليوم ممنع البوم وخط الخراب . ولا حول
ولا قوة الا بالله حتي جا امر الله خالي الصحيفة من البر صفر اليد من
العمل الصالح نعوذ بالله من نكيره . ونسال الالهام والسداد والتوفيق

والرشاد • وقد بذلنا جهدنا قولا وفعلا وموعظة ونصحا • واستدعينا
لتلك الجهة صدقة المسلمين • محمولة على اكتاف العباد الضعفا • الذين
كانت صدقات فاتحيه رضي الله تعالى عنهم اجمعين ترفدهم ونوافله تتعهدهم
فما حرك ذلك الجوار حلوبا • ولا استدعى مطلوبا • ولا ارفد مجلوبا فالى
متى نتضور كاب الصبر • وقد بلغ الغاية واستنفد البلالة بعد ان اعاد
الله العهد وجبر البلاد واصلح الشي واجرى ينابيع الخير • وانشق رياح
الاقالة • وجملة ما نريد ان نشرح هو الباب الجامع • والقصد الشامل
والداعي والباعث ان صاحب قشتالة لما عاد الى ملكه ورجع الى قطع جرت
بيننا وبينه المراسلة التي اسفرت بعدم رضاه عن كدحنا النصح ومطالبتنا
اياه وان كنا قد بلغنا جهدنا وابعدنا وسعا واحلت عن شروط ثقيلة
لم نقبلها • واغراض صعبة لم نكملها • ونحن نتحقق انه اما ان تهيج حفيظته
وتثور احنته • فيكشف وجه المطالبة مستكثرا بالامة التي داس بها
الملك قشتالة فزاحم امم غلابا وحقه ابتزازا واستلابا • او يضرمها
ويهادن المسلمين بخلال ما لا يدع جهة من جهات دينه الغريب الا عقد معها
صلحا واخذ عليها باعانتها اياه عهدا • ثم تفرغ الى اشفا غليله وبلوغ
جهده ولا شك انها بحيثية صرفا لباسه عن نحورها • ومعارضته كما وقع
باطريوم من مضيق صدورها • ومرسف جمهورها • وكل من له دين ما فهو
يحرض عليها لتقرب الى من دان به • وكلفة وطائف رجا لو عن • وخوفا
من وعيد • وبالله ندفع ما لا نطيق من جموع تداعت من الجزر وورا البحور
والبر المتصل الذي لا تقطعه الرفاق • ولا تخص ربعه الحذاق •
وقد اصبحنا بدار غربة • ومحل وغرة • ومفترس نبوة • ومظنة فتنة
والاسلام عدده قليل • ومنجعه في هذه البقعة جديب • وعهده
بالارفاد والامداد من المسلمين بعيد • ربنا لا تواخذنا ان نسينا الى
اخر السورة • واذا تداعت امم الكفر نصرة لدينها المكذوب • وحمية
لصليبها المنصوب • فنحن نستدعي نصر الله وحفظ امانته بقية الاهل
ذلك الوطن حيث الماذن بذكر الله تملا الافاق وكلمة الاسلام قد عمت
الربا والوهاد انما الاسلام غريب قد تشبث باهدابكم يناشدكم الله
في بقية الرمق وقبل الرمي تراش السهام ومهدا اوانه الاعتنا واختيار
الحماة واعداد الاقوات قبل ان يضيق المجال وتمنع الموانع وقد وجهنا
هذا الوفد المبارك للحضور بين يديكم معتمرا لعزوة متهيئا للرغبة
مذاكرا بما يقرب عند الله مذاكرا لذمام الاسلام • جالبا على من وراهم

بحول الله

بحول الله من المسلمين البشرى التي تشرح الصدور وتثني الامال وتستدعي الدعا
والثنا فالمومن كثير باخيه وبالله مع الجماعة والمسلمون يد على من سواهم والمومن
للمومن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والتعاون على البر والتقوى
مشروع وفي الذكر الحكيم مذكور وحق الجار مشهور وما كان يوصي جبريل به في
الصحيح مكتوب وكان داع المسلمين اجتماع كلمة الكفر فنرجو ان يرفع الكفر من العز
بالله وشد الحيازيم في سبيل الله ونفير النفرة لدين الله والتشمر في حماية
الثغور وعمرانها وازاحة عللها وجلب الاقوات اليها وانشاء الاساطيل و
ما تلف من عدة البحر امور تدل على ما وراها وتخبر بمشيئة الله عما بعدها وما
تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى ومن خطب علي رضي الله
عنه اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبة البسه الله سيما
الخسف ووسمه بالصغار وما بعد الدنيا الا الاخرة وما بعد الاخرة الا احد
داري البقا افي الله شك ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والاعتنا
بالجبل عنوان هذا الكتاب ومقدمة هذا الباب والغفلة عنه منذ اعوام
قصيرتنا لا نقتنع باليسير وقد ابرمته المواعيد وعز رسومه الانتظار
ومنا المنقول لا تمحوا التسايل ولو خاب على فرس والاشراف في الجرائح في هذا
المحل من عكسه وكان بعض الاجواد يقول وقد افتقر اللهم هب لي الكثير
فان حالي لا تقوم على القليل وعسى ان تكون النظرة بنسبة الغفلة
عنه والاهتمام له مكافيا للازراء به وخلو البحر يغتنم لامداده وارفاده
قبل ان يثوب نظر الكفر الى قطع المدد وسد البحر ومن ضيع الحزم ندم • ولا عذر
لمن علم • والله عز وجل يطلع من قبلكم على ما فيه شفاء الصدور وجبر القلوب
وشعب الصدوع وما نقص مال من صدقة وطعام الواحد كافي الاثنين والدين
دينكم والبلاد بلادكم • ومحل رباطكم وجهادكم • وسوق حسناتكم ومن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره • وقد قلدنا العهد
الحفيظ علينا • المصروفة العناية بفضل الله الينا • والله المستعان وعليه
التكلان • والسلام عليكم ورحمة الله انتهى • وفي اعتقادي ان هذا
المكتوب للسلطان ابي الحسن المريني وان المراد بالمتغلب الوزير عمر
ابن عبد الله الذي ظفر به ابو فارس المذكور واستقل بالملك بعد حواش
حسبما ذكرناه في غير هذا المحل والله تعالى اعلم ومن انشا لسان الدين على
لسان سلطانه في استنهاض عزم صاحب فاس السلطان المريني لنصرة
الاندلس ما نصه المقام الذي يوثر حفظ الله اذا اختلفت الخطوط
وتعددت المقاصد • ويشرع الادنى منه اذا تناضلت المشارع وتمايزت

الموارد • ويشتمل عادة حلمه وفضله الشارد • ويسع وارف ظله الصادر والوارد
والغايب والشاهد • ويعيد من نصر الله للاسلام العوايد • ويبدا الذبايح
ويدني الفوايد • مقام محل اخينا الذي حسنت في الملك سيرته • وتناهت في الفضل
خبره وخبرته • ودلت شواهد مداركه للحقوق • وتعين للعقوق • على ان الله
لا يهمله ولا يذره • فسلك نحو متسقة درره • ووجه ملكه مشادة غرره
السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله رفيعًا علاوه • هامية
لديه منن الله والآوه • مزدانة بكواكب السعد سماوه • محروسة بعز
النصر ارجاوه • متكلا من فضل الله في نصر الاسلام • وكتب عيدة الاهتمام
امله ورجاوه • معظم قدره الذي يحق له التعظيم • وموقر سلطانه الذي له
الحسب الاصيل والمجد الصميم • الداعي الى الله باتصال سعادته حتى ينتصف
من عدو الاسلام الغريم • ويتاح على يدي سلطانه الفتح الجسيم • فلان
سلام كريم طيبا عميم ورحمة الله وبركاته اما بعد حمدا لله الذي لا
يضيع اجر من احسن عملا • ولا يخيب من اخلص الرغبة اليه املا • وموفي من ترك له
حظه اجره المكتوب متمما مكملا • وجاعل الجنة لمن اتقاه حتى تقاته نزلا
ملك الملوك الذي جل وعلا • وجبار الجبابرة الذي لا يجدون عن قدرته
محيصا ولا من دونه موئلا • والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي
انزل عليه الكتاب مفصلا • واوضح طريق الرشد وكان مغفلا • وفتح باب
السعادة ولولاه كان مقفلا • والرضى عن اله واصحابه وعترته والاخيار الذين
سابقوه فيما مر وما حلا • وخلفوه بعده بالسيرة التي راقت مجتلى ورفعوا عماد
دينه فاستقام لا يعرف ميلا • وكانوا في الحلم والعفو مثلا • والدعا لمقامكم
الاسمى بالنصر الذي يلوي نصه مرحبا لا متاولا • والصنع الذي يبهر طلا
ومستقبلا • والعز الذي يرسو جبلا • والسعد الذي لا يبلغ امدا ولا اجلا
فانا كتبناه اليكم اصحبا الله ركابكم حليف التوفيق حلا ومرتحلا • وعرفكم
عوارف اليمن الذي يثير جدلا • ويذعو وافد الفتح المبين ويرد مستعجلا • من حمرا
غرناطة حرسها الله ولا زايد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من التشيع لمقام
حرس الله سلطانه • ومهد اوطانه • الا الخير الذي نتلقى تحسين العقبى
وتوالي عادة الرحمى • والحمد لله على النعم التي هي ازكى وسدل جناح الستر الاضفى
وصلة اللطايف التي هي اكمل واكفى • والبر واوفى • ومقامكم عندنا العدة
التي بها نصول ونرهب • والعمدة التي نطيل في ذكرها ونسهب • وقد
اوفدنا عليكم كل ما ناد لدينا • او فتح الله به علينا • ونحن بهما سند الحق
بكم نستنصر • الحجى او تراخي فتح ودكم نستنصر • او فتح الله فابوابكم نهني ونبشر

وقررنا

وقررنا عندكم ان العدو في هذه الايام توقف عن بلاد المسلمين فلم تصل منه اليها
سرية • ولا انبعثت له بجريه • ولا افترعت من طلايعه ثنية • ولا ندري
الكمية تدبر ام اذا تنقض بحول الله وتتبر • او لشاغل في الباطن لا يظهر
وبعد ذلك وردت علينا ابنا من بعض كبارهم • وزعما اقطارهم • بمخاطبات
يندبون فيها الى جنوحها للسلم في سبيل الله السفح لا يكاد سلفت منا لم نقرها
ووسايل نذكرها • فلم يجمعنا انه امر دبر بليل • وخبية تحت ذيل • فظهر
لنا ان نسبر الغور • ونستفسر الامر • فوجهنا اليه على عادتنا مع سلفه
لنعتبر ما لديه • وننظر الى بواطن امره • ونبحث عن زيد قومه وعمرو فتاتي
ذلك وجرى مفاوضة في الصلح اعدنا لاجلها الرسالة • واستشعرنا البسالة
ووازنا الاحوال واختبرنا • واعتبرنا في الشروط ما قدرنا • ونحن نرتقب
ما يخلق الله من مهادنة تحصل بها الاقوات المهياة للانتساف • وتسكين
ما ساكنا البلاد المسلمة من هذا الارجاف • ونفرغ الوقت لمطاردة هذه
الامال المخاف • او حرب يبلغ الاستبصار فيه غايته • حتى يظهر الله في
نصر الفية القليلة اييده • ولم نجعل سبيلا لاعتزال فيما اردناه • وسموخ
الانف فيما اصدرناه • الا لما اسمعنا من عزمكم في نصرة الاسلام • وارتفاع
خفوق الاعلام • والحقوق الى دعوة الرسول عليه السلام • وانا لارض رحمة
لله قد اهتزت • والنعرة قد غلبت النفوس واستفزت • واستظهرنا بكتبكم
التي تضمنت ضرب المواعد • وشمرت عن السواعد • وان الخيل قد اطلقت
الى الجهاد في سبيل الله الاعنه • والقنا باسدتها بروق الاسنه • وفرض الجهاد
قد قام به المومنون • والاموال قد سمح بها المسلمون • وهذه الامور التي
تمت بعزتها او بعيدها احوال الاسلام والاماني المعدة لترجية الايام
لم تتصل بنا الخبر الكارث بما كان من حور العزايم المومنة بعد كورها • وتسويف
مواعد النصرة بعد استشعار فورها • وان الحركة معلقة الى ما اكشف الجهة
التي في يديكم زمامها • وانكم وان ترخي الطول تراع احكامها • والنظر الذي
لا يفوتكم مع الغفلة ولا يعجزكم مع الصولة • ولا يبطئكم ان تركتموه ولا
يمنعكم ان طرقتموه وغركتموه • فسقط في الايدي الممدودة • واختلفت
المواعيد المحدودة • وخسيت الابصار المرتقبة • ورجعت المعاقل الاشبه
وساءت الظنون • وذرفت العيون • واكذب الفضل الخبر • وخافوا ان يعتبر
وقالوا هذا لا يمكن حيث الدين الحنيف • والملك المنيف • والعلما الذين
اخذ الله ميثاقهم • وحمل النصيحة اعناقهم • هذا المفترض الذي يبعد والناس
الذي يفقد • ياباه الله والاسلام • وتاباه العلما والاعلام • وتاباه

المآذن والمنابر وتناياه الهمم الاكابر فبادرنا نستطلع طلع هذا الينا الذي
ان كان باطلا فهو الظن ولله المن وان كان خلافه لراي ترجح وتنفق بغرب
الملك وتنجح فنحن نوفد كل من يتقرب الى الله بهذا القطر في شفاعه ويبذل فيه
كف ضراعه ومن يوسم بصلاح وعباده ويقصد في الدين بيث افاده يتطارحون
عليكم في نقض ما ابرم وفسخ ما احكم فانكم تجنحون به على من استنصركم عكس ما
قصد وتحلون عليه ما عقد وهب العذر يتقبل في عدم الاعانه وصرف وجه
الاستعانة والاستكانه اي عذر يتقبل في الاطراح والاعراض الصراح
كان الدين غير واحد كان هذا القطر لكلمة الاسلام جاحد كان ذمام الاسلام
غير جامع كان الله غير راء ولا سامع فنحن نسالكم بالله الذي تتساءلون به
والارحام وننافسكم من هذا الاحجام ونتطارح عليكم ان تتركوا حظكم في
اهل تلك الجهة حتى يحكم الله بيننا وبين العدو الذي يتكالب علينا بادباركم
بعد ما تقضاء لاستنفاركم ولا نكلفكم غير اقتراب دياركم وما سامكم المسلمون بها
شططا وما حملكم الا قصدا وسطا وما ذهبتم اليه لا يفوت ولا يبعد
وقد تجاورت البيوت اغنا الغايات ما وراكم من حديث تانفون من سماعه اوذاوكم
ودين يشمت به اعداوكم فاشفعوا بالشفاعة فيمن بتلك الجهة المراكشية
قصدنا وحاشا احسانكم ان يرمي فيه دوننا وانتم تعتدون بالخيار فيما يجريه
الله تعالى على يديكم من قدرة او يليهكم اليه من نصرة وجوابكم مترقب بما
يليق بكم ويجمل بحسبكم والله سبحانه وتعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم
والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى **ومن انشا** لسان الدين
ايضا في مخاطبة سلطان فاس والمغرب على لسان سلطان غرناطة فيما يقرب
من الاخا الثانية ما نصه المقام الذي اقام سعيه في انتظام واتساق وجانم
عن الى الغاية القصوى ذات استباق والقلوب على حبه ذات اتفاق وعناية
الله عليه مديدة الرواق واياديه الجمة في الاعناق الزم من الاطواق
واحاديث مجده سمر النوادي وحديث الرفاق مقام محل ابينا الذي شاننا
الاهتمام بشانه واعظم مطلوبنا من الله سعادة سلطانه السلطان
الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله والصنايع الالهية
تحط ببابه والالطاف الخفية تعرس في جنابه والنصر العزيز يحف بركابه
واسباب التوفيق متصلة باسبابه والقلوب الشجية لفراقه مسرورون بايابه
معظم سلطانه الذي له الحقوق المحتومة والفواضل المشهورة المعلومة
والمكارم المسطورة المرسومة والمفاخر المنسوقة المنظومة الداعي الى الله
في وقاية ذاته المعصومة وحفظها على هذه الامة المرحومة الامير عبد الله يوسف

ابن امير

ابن امير المسلمين ابي الوليد اسماعيل بن فرج ابن نصر سلام كريم طيب برعميم كما
سطعت في غيب الشدة انوار الفرج وهبت نواسم الطاف الله عاطرة الارج
تخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته **اما بعد** حمد الله جالي الظلم
بعد اعتكارها ومقيل الايام من عثارها ومزين سما الملك بنجومها المحتجبة
واقمارها ومريح القلوب من وحشة افكارها ومنشي سحايب الرحمة على هذه
الامة بعد افتقارها وشدة اضطرابها واضطرارها ومتداركها باللطف
الكفيل بتمهيد اوطانها وتيسير اوطارها والصلاة على سيدنا ومولانا
محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ولباب مجدها السامي ونجارها نبي
الملاحم وخايض تيارها ومذهب رسوم الفتن ومطفي نارها الذي لم تزعه
الشدايد باضطراب بحارها حتى بلغت كلمة الله ما شاءت من سطوع انوارها
ووضوح اثارها والرضى عن آله واصحابه الذين تمسكوا بعهده على اختلاف
الحوادث وامرارها وباعوا نفوسهم في اعلاء دعوته الحنيفية واظهارها
والدعا لمقامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها وانسحاب العناية
الالهية وانسدال استارها حتى تقف الايام ببابكم موقف اعتذارها وتعرض على
ذنوبها راغبة في اغتفارها فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم اوفى ما كتب
الصالحي الملوك من مواهب اسعاده وعرفكم عوارف الالاء في اصدار امركم الرفيع
وايراده واجرى الفلك الدوار بحكم مراده وجعل العاقبة الحسنى كما وعد
في محكم كتابه المبين للصالحين من عباده من حمرا غرناطة حرسها الله تعالى
ولا شي بفضل الله الذي عليه في الشدايد الاعتماد والى كنف فضله الاستناد
ثم ببركة جاه نبينا الذي وضح بهدايته الرشاد الا الصنايع التي تشام بوادر
اللطف من خلالها وتجتلى سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل
يمنها على حسن ما لها لله الحمد على نعمها التي نرغب في كمالها ونستدر عذب زلالها
وعندنا من الاستبشار باتساق امركم وانتظامه والسرور بسعادة ايامه
والدعا الى الله في اظهاره واتمامه ما لا تفي العبارة باحكامه ولا ينفسخ
عقد احكامه والى هذا ايد الله امركم واعلاكم وصان سلطانكم وتولاه
فقد علم الحاضر والغايب وخلص الخلوص التي لا تغيره الشوايب ما عندنا
من الحب الذي وضحت منه المذاهب وانا لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام
من الامور التي صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمة وحل على العباد
والبلاد الوقاية والنعمة لا يستقر بقلوبنا القرار ولا تتاتى بالاوطان
الاقطار تشوقا لما تنتجه لكم الاقدار ويترنم من سعادتكم الليل والنهار
ورجاونا في استيناف سعادتكم يستدعي الاوقات ويتوي على باب العافية

ففي هذه الايام عميت الانبا • وتكالبت في البر والبحر الاعدا • واختلفت النصول
والاسنة • وعاقنا ورود الانوا • وعلى ذلك من فضل الله الرجا • ولو كنا نجد للاتصال
بكم سببا • او نلتقي لاعانتكم مذهبا • لما شغلنا الشغل الذي بيننا • اعترض العدو
بساحتنا في هذه الايام ربض • وكان خديمكم الذي رفع من الوفا راية خافقة
واقتنى منه في سوق الكساد بضاعة نافقة • الشيخ الاجل الاوفى • الاود الاخلص
الاصفى • ابو محمد بن الحباب اسنى الله مامولة • وبلغه من سعادة امركم سوله • وقد
ورد على بابنا • وتحيز الى اللحاق بجنابنا • ليتيسر له من جهتنا القدوم • ويتاتى
له باعانتنا الغرض المروم • فبينما نحن ننظر في تتميم غرضه • واعانته على الوفا
الذي قام بمفترضه • اذا اتصل بنا خبر قرقورتين من الاجفان التي استغنتم بها على
الحركة • والعزمة المقترنة بالبركة • حطت احداهما بمرسى المنكب والاخرى بمرسى
المرية في كنف العناية الالاهية • تلقينا من الواصلين فيها الانبا المحققة • بعد
التباسها • والاخبار التي يغني نصها عن قياسها • وتعرفنا ما كان من عزمكم
على السفر • وحركتكم المعروفة باليمن والظفر • وانكم استخرتم الله في اللحاق
بالاوطان التي يا من قدومكم خايفها • ويولف طوايفها • ويسكن واجفها ويصلح
احوالها • ويسكن اهوالها • وانكم سبقتم حركتها بعشرة ايام • مستظهرين
بالعزم المبرور • والسعد الموفور • والمن الرايق السفور • والاسطول
المنصور • فلاتنا الواعز انبعاث الامال بعد سكونها • ونهوض طيور الرجا
من وكونها • واستبشار الامة المحمدية منكم بقرة عيونها • وتحقق ظنونها
وارتياح البلاد الى دعوتكم التي البستها ملابس العدل والاحسان • وقلدتها
قلايد السير الحسان • وما منها الا من باح بما يخفيه من وجد • وجهر بشكر الله
وحمد • وابتهل اليه في تيسير غرض مقامكم الشهير وتتميم قصده • واستشرف
لورود سعده • وكم مطل الانتظار بديونا املها • والمطاولة من اعتلالها
والتاخر فلاتنا الواعز استشعر دنو جيشه • بعد طول المغيبه • انما هو
صدر راجعه فواده • وطرف العزر قاده • وفكر ساعده مراده فلما بلغنا
هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخديمكم المذكور من الوعد • واغتنمنا
ميقات هذا السعد ليصل سببه باسبابكم • ويسرع لحاقه بجنابكم • فهو
خديم من خواص يسر الله اسبابها • ويفتح بنيتكم الصالحة ابوابها • وقد
شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذي ندين له بالتشيع الكريم الوداد
ونفصل له على بعد المزار • ونزوح الاقطار سبيل الاعتداد • ما يغني عن
القلم والمداد • وقد القينا اليه من ذلك كله ما يلقيه الى مقامكم الرفيع
العماد • وكتبنا اليه من ذلك الى من بالسواحل من ولاتنا بحذرهم ما يكون

عليه

عليه عملهم في بر من يرد عليهم من جهة ابوتكم الكريمة • ذات الحقوق العظيمة
والايادي الحديثة والقديمة • وانتم تعلمون في ذلك بحسب المراد • وعلى
ما كله جميل الاعتقاد • ويعلم الله اننا لو لم نعق لعقوا بتوالي الكبير والوازع
الكثير • والاعدا الذين ذهبت بهم في الوقت هذه الجزيرة • ما قدمنا
عملا على اللحاق بكم • والاتصال بسببكم • حتى نوفي لابوتكم الكريمة
حقها • ونوضح من المسرة طرقها • لكن الاعذار واضحة وضوح المثل
السائر • والله العالم بالسرائر • والى الله تعالى نبتهل في ان يوضح لكم
من التيسير طرقا • ويجعل السعد لكم مصاحبا ورفيقا • ولا يعدمكم عناية
منه وتوفيقا • ويتم سرورنا عن قريب بتعرف انبايكم السارة • وسعودكم
الدارة • فذلك منه سبحانه غاية امالنا • وفيه اعمال ضراعتنا وسولنا
هذا ما عندنا بادرنا اعلامكم به اسرع البدار • والله يوفد علينا اكرم
الاخبار • بسعادة ملككم السامي المقدار • وييسر ما له من الاوطار •
ويصل سعدكم • ويحرس مجدكم • والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
انتهى • وكان طاغية النصارى الملعون لكثرة ما مارس من امور ملوك
الاندلس وسلاطين فاس كثيرا ما يدس لاقارب الملوك القيام • على صاحب
الامر ويزين له الثورة ويعده بالامداد بالمال والعدة ويقصد بذلك كله
توهين المسلمين وافساد تدبيرهم وتسخير الدول بعضها ببعض لما له في ذلك
من المصلحة حتى بلغ انبعث الله تعالى من امله الغاية ومن انشا لسان
الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى عن سلطان الاندلس الى سلطان فاس
المريني يعتذر عن فرار الامير ابي الفضل المريني الذي كان معتقلا بغرناطة
فتحيل الطاغية في امره حتى خرج طالبا للملك ما نصه المقام الذي
سعده الليل والنهار باصالة سعادته • وجرى الفلك الدوار بحكم
ارادته • ونفوذ الظفر بمن ناوئه فاطرد والحمد لله جريا نعادته • فوليه
متحقق لافادته وعدوه مرتقب لابادته • وحلل الصنايع الالاهية تفضوا
اعطاف مجادته • مقام محل اخينا الذي سهم سعده صايب • واملى من كاده
خاسر خايب • وسير الفلك المدار في مرضاته دايب • وصنايع الله تعالى له
تفتحها الالطاف العجايب • فبيان شاهد منه في عصمته وغايب السلطان
الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله مسدد السهم
ماضي العزم • تجل سعوده عن تصور الوهم • ولا زال موهوب الحد ممتثل الرسم
موفور الحظ من نعمة الله عند تعدد القسم • فايز ببلج الخصام عند لد الخصم
معظم قدره • وملتزم بره • المبتهج بما يسيبه الله له من اعزاز نصره واعزاز

واظهارا لمن • فلان سلام كريم طيب بر عميم • يخص مقامكم الاعلى ومثابتكم
الفضلى • التي حازت في الفخر الامد البعيد • وفازت من التاييد والنصر بالحظ
السعيد • ورحمة الله وبركاته اما بعد حمدا لله الذي فسح لملككم
الرفيع في العز مدى • وعرفه عوارف الائه وعوائد النصر على عداته يوما
وغدا • وحرس سما علائه بشهب من نقده وقضائه • فمن يستمع الان يجد له شهابا
رصدا • وحصل نجح اعماله وحسن ماله • قياسا مطردا • فرب مريد صرح صنعته
نفسه • وهاذا اليه اهدي وما مهدا • والصلاة على سيدنا ومولانا محمد
نبيه ورسوله الذي ملا الكون نورا وهدى • واشرفهم محتدا • الذي
نجاهد لنلبس اثوابا لسعادة جددا • ونظفر بالنعيم الذي لا ينقطع ابدا والرضى
عن آله واصحابه الذين رفعوا لسنا سنته عمدا • واوضحوا من سبيل اتباعه
مقصدا • وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا • سيوفا على من اعتدى
ونجوما لمن اهتدى • حتى علت فروع ملته صعدا • واضحى بناؤها مشيدا
مخلدا • والدعا لمقامكم الاسمى بالنصر الذي يتوالى مثنى وموحدا • كما جمع
لملككم ما تفرق من الالقاب • على توالي الاحقاب • فجعل سيفكم سفاحا •
وعلمكم منصورا • ورايكم رشيدا وعزمكم مؤيدا • فانا كتبناه اليكم كتب الله
لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا • ونصرا يقيم للدين الحنيف اودا • وعزما
يملا افئدة الكفر كمدا • وجعلكم ممن هيا له من امره رشدا • ويسر لكم
العاقبة الحسنى كما وعد في كتابه والله اصدق موعدا • من حمراء غرناطة
حرسها الله ولا زايد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم في افاق العناية
واعتقاد جميل صنع الله في البداية والنهاية • والعلم بان ملككم يتحدى
من الظهور على اعدائه باية • واجرى جيادا لسعد في ميدان لا يحد بغاية
وخرق حجابا لمعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولاية • ونحن على ما
علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفا • ونبدي للعلية من المحبة
صحفا • فقاسمه الارتياح لوافع نعم الله نصفا ونصفا • ونعتقد بين ابنا
مشربه وبين الشكر لله حلفا • ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله زلفى
ونؤمل من امداده • ومن نعت من جهاده • وقتا يكمل بها الدين • ويكفي ويروي
غلل النفوس وتشفي • والى هذا وصل الله سعدكم • ووالى نصركم وعضدكم
فانا من لدن صدر عن اخيكم ابي الفضل ما صدر من الانقياد لخدع الامال والاغترار
بموارد الال • وقلة الدراية في اقتحام الاهوال • والتورط في هفوة حارفها حين
اهل الكلام في الاحوال • وناصب امركم السعيد حيل اقتضى الله له بالاستغرار
والاستقبال • ومن ذا يزاحم الاطواد ويزحزح الجبال • واخلف الظن منا في وفائه

واضمر

واضمر عملا اسنا ثرعنا باخفائه • واستعان من عدو الدين بمعين • قلما يرى لمن استنصر
به زنده • ولا اضيق لمن تولاه بالنصر يد • وانا لطاغية اعانه وانجد • ورمى الله
سهم على المسلمين سدده • وعضب للفتنة جرده فتخلله الفلك • واملى ان يتخذ من
سببه ذلك الملك فاورده الهلك • والظلم الحلك • علمنا ان طرق سعادته
كابي • وسحابا ما له عن ذات انسكاب • وقدم عزم لم يتبعه من السداد في غرز
ركاب • فان نجاح اعمال النفوس مرتبط بنياتها • وغايات الامور تظهر في بداياتها
وعوايد الله فيمن نازع قدرته لا تجهل • ومن غالب امر الله خاب منه المؤمل
فبينما نحن نترقب خصار تلك الصفقة المعقودة • وخمود تلك الشعلة
الموقودة • وصلنا كتابكم يشرح الصدر ويشرح الاخبار • ويهدي طرف المسرة
على اكف الاستبشار • ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار • عن الود
الواضح وضوح النهار • والتحقق بخلوصنا الذي يعلمه عالم الاسرار فاعاد
في الافادة وابدى • واسدى من الفضائل الجلائل ما اسدى • فعلم منه
ما كان من امر ان تقدح زند الشتات من بعد الالتيام • وتثير عجاجة المنازعة
من بعد ركود القتام • فهيهات تلك قلادة الله التي ما كان يتركها بغير نظام
ولم يدر انكم نصبتم له من الحزم حبالة لا يفلتها قنيص • وسددتم له من السعد
سهاما ما له عنه من محيص • بما كان من ارسال الجوارح الاسطول السعيد في مطار
حايلا بينه وبين اوطانه • فكان الا التسمية والارشاد • ثم الامساك
والقتال • ثم الاقتيات والاستئصال • فيا له من زجر استنطق لسان الوجود
بخذله • واستنصر البحر فخذله • وصارع القدر فجدله لما جادله • وان خدامكم
استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة • ومنتسب لقضية غير سعيدة
وشاني غربته من الكفار • خدام الماء واولياء النار • تحكمت فيهم اطراف العوالي
وصدور الشفار • وتخلص منهم من تخطاه الحمام في قبضة الاسار • فعجبنا من
تيسر هذا المرام • واحمدنا الله لهذا الضرام • وقلنا تكييف لا يحصل في الاوهام
وتسديد لا تستطيع اصابته السهام • كلما قدح الخلاف زندا اطفا سعدكم
شعلته • او اظهر الشتات لما ابرا من طايركم علته • ما ذلك الا لنية صدقت
معاملتها في جنب الله وصحت • واسترسلت بركتها وسحت • وجهاد نذر عزمه اذا
فرغت شواغلكم ونمت • والاهتمام بالاسلام تكفيه الخطوب التي اهمت • فنحن
نهنيكم بمنح الله ومننه • ونسال الله ان يلبسكم من اعتنائه اوفى جننه • فاملنا
ان نطرد امالكم • وننجح في مرضات الله اعمالكم • فمقامكم نمو العمدة التي تدافع
العدو بسلاحها • وتنبلج ظلمات صفاحها • وكيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا
يعود • وبآفاقنا تطلع منه السعود • فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد

الذي رسومه قد استقلت واكتفت ودِيَمه بساحة الود قد وكفت والله عز
وجل يجعل لكم الفتوح عاده ولا يبعد منكم عناية وسعاده وهو سبحانه يبلي
مقامكم ويهدي الاسلام اياكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته
انتهى وكان سلطان الاندلس في الازمان المتاخرة كثيرا ما يشم ارج الفرج في
سلم الكفار ومهادنتهم حيث لم يقدر في الغالب على مقاومتهم ولذلك لما قتل
السلطان ابو الحجاج الذي كان لسان الدين كاتبه ووزيره وقام بالامر بعده
ابنه محمد الغني بالله الذي الى مقاليده لسان الدين كما مر السلم وانتظر
ما يبرمه القضا الجزم والقدر الحتم ومن انشا لسان الدين في ذلك على لسان
الغني مخاطبا لسلطان فاس والمغرب ابي عنان ما صورته المقام الذي يغني عن كل
مفقود بوجوده ويهز الى جميل العوايد اعطاف باسه ونستضي عند اظلام
الخطوب بنور سعوده ونرث من الاعتماد عليه اسنى ذخيرة الولد عن ابيه
وجدوده مقام محل ابينا الذي رعي الاذمة شانه وصلة الرحمي سجية انفرد
بها سلطانه ومواعد النصر ينجزها زمانه والقول والفعل في ذات الله
تكلفت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان
الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله محروسا من غير الايام
جانبه موصولة بالوقاية الالهية اسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر
الله وحجابه مصروفة عنه من صرف القدر ما يحذر عدده ونوايبه ولا زال ملجا
تتفق لديه الوسايل التي تدخرها اولادها اولياوه واحبابه وتسطر في
صحف الفخر نوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا اثوابه وتتكفل بنصر
الاسلام وجبر القلوب عند طوارق كتايبه معظم ما عظم من حقه الشاكر من اجلاله
وشكر خلاله على الاحب طرقه المستضي في ظلمة الخطب بنور رايه الامير عبد الله
ابن امير المسلمين ابي الحجاج ابن امير المسلمين ابي الوليد بن فرج بن نصر سلام كريم
طيب برعميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته اما بعد حمد
الله الذي لا راد لامره ولا معارض لفعله مصرف الامر بحكمته وقدرته
وعدله الملك الحق الذي بيده ملاك الامر كله مقدر الاجال والاعمار
فلا تتاخر عن ميقاته ولا تنزح عن محله جاعل الدنيا مناخ قلعة لا يغتبط
العاقل بعاريه ولا باطله وسبيل رحلة فما اكيس ظعنه من حلها والصلاة
والسلام على سيدنا محمد صفوة خلقه وخيرة انبيايه وسيد رسله الذين
اعتصموا بسببه الاقوى ونتمسك بحبله ونمد يد الافتقار الى فضله وجاهدهم
في سبيله من كذب به او حاد عن سبله ونصل اليه ابتغا مرضاته ومن اجله
والرضى عن آله واحزابه وانصاره واهله المستولين من ميدان الكمال على خصله

والدعا

والدعا لمقامكم الاعلى بنصر ينصره ومضا فضله فانا كتبناه اليكم كتب الله
لكم وقاية لا تطرق الخطوب حماها وعصمة ترجع عنها سهام النوايب كلما
فوقها الدهر ورماها وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسماها وعزا
يزاحم اجرام الكواكب منتماها من حمرا غرناطة حرسها الله ونعم الله تتوالى
لدينا دفعا ونفعا والطاف نتعرفها وترا وشفعا ومقامكم الابوي
هو المستند الاقوى والمورد الذي نرده اما للاسلام فنروى ويهوي
الينا فيه ذمتهم فنجد ما نهوى ومثابتكم المثل التي تاسست مبانيها
على البر والتقوى والى هذا وصل الله سعدكم واثنى مجدكم فانا لما
نعلم من مساهمة مجدكم التي تقتضيها كرام الطباع وطباع الكرم وتدعو
اليها ذمم الرحمي ورعي الذمم ونعرفكم بعد الدعا لملككم بدفاع الله عن
ارتقابه وامتاع المسلمين ببقايه بما كان من وفاة مولانا الوالد نعمه
الله بالشهادة التي البسه خلعتها والشهادة التي في اعماله الزكية
كتبها والدرجة العالية التي ختم بها له واوجبها وبما نصيرا لينا
من امره وضم بنا من نشره وسد الى على من خلفه من ستره وانها لعبرة
لمن القى السمع وموعظة تهز الجمع وتريل الدمع وحادثة اجمل الله سبحانه
فيها الدفع وشرح مجملها وان احرس اللسان هولها واسلم العبارة قولها
وحولها انه رضي الله تعالى عنه لما برز لاقامة سنة هذا العيد مستشعرا
شعار كلمة التوحيد مظهرا سمة الخضوع للمولى الذي تضرع بين يديه
رقاب العبيد امنا بين قومه واهله متسربلا في حلل نعم الله وفضله
قرير العين باكتمال عزه واجتماع شمله قد احترس باقصى استطاعته
واستظهر بخلصان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالاهية
قد انفذت القضا والقدر وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته اتاه
امر الله لميقاته على غفلة الشباب عن جلبابه والسلاح زاخر عبابه
والدين بهذا الفطر قد بيع بالامن جانبه وامر من يقول للشي كن فيكون
قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد اطمانت بذكر الله القلوب وخلصت الرغبات
الى فضله المطلوب الا شقي قيضه الله لسعادته غير معروف ولا
منسوب وحيث لم يكن بمعتبر ولا محسوب تخلل الصفوف المعقودة
وتجاوز الابواب المسدودة وخاض الجموع المشهودة والامم المحشودة
لطاعة الله المحشودة لا تدركه العين عليه شارة ولا ابرة ولا تحمل على
الحذر منه ثقة ولا غرة وانما هو خبيث ممرور وكلب عقور وحية
سمها وحي محذور والة مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه واثبته

واعلق به شرك الحين فلما افلته فبض عليه من الخلصا نا لاوليا من غير ضمير
واحكم تعزيره • فلم يجب عند الاستفهام جوابا يعقل • ولا عثر منه على شي
ينقل • لطفا من الله افاد براءة الذمم • وتعاورته الحين ايدي التمزيق
واتبع شلوه بالتحريق • واحتمل مولانا الوالد رحمه الله الى المتصرف به
ثم ما لم يلبث بعد الفتكة العرتية الاكثير من اليسير • وتخلفنا للملك ينظر من
الطرف الحسير • وينهض بالجناح الكسير • وقد عاد جمع السلامة الى التكسير
الا ان الله تدارك هذا القطر الغريب • بان اقامنا مقامه لوقته وحينه
ورفع بنا عماد ملكه • ولم شعث دينه • وكان جميع من حضر المشهد من شريف
الناس ومشروفهم • واعلامهم وتفيقهم • قد جمع ذلك المتفات • وحضر
الاوليا التقاة • فلم تختلف علينا كلمة • ولا شذت منهم عن بيعتنا نفس
مسلمة • ولا اخيف بري • ولا احذر جري • ولا افتري فري • ولا اوقع لبس • ولا
استوحشت نفس • ولا نبض للفتنة عرق • ولا اغفل للدين حق • فاستندت
النفس الى مفقده • ولم يفقد من فقيدنا غير شخصه • وبادرنا الى مخاطبة
البلاد بمهدها وتسكينها • وتقرير الطاعة في النفوس وتمكينها • وامرنا
الناس بها بكف الايدي • ورفع التعدي • والعمل من حفظ شروط المسالمة
المعقودة بما يجدي • ومن شره منهم للعوار • عاجلناه بالانكار • وصرفنا
على النصارى ما اوصاه مصحبا بالاعتذار • وخاطبنا صاحب قشتالة
نرى ما عندنا في صلة السلم الى امدها من الاختيار • وانثالت بنا البيعات
من جميع الاقطار • وعفي على حزن المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا
من الاستبشار • واستبقوا تطير بهم اجنحة الابتدار • جعلنا الله ممن
قابل الحوادث بالاعتبار • وكان على حذر من تصاريف الاقدار • واختلاف
الليل والنهار • واعاننا على اقامة دينه في هذا الوطن الغريب المنقطع
بين العدو الطاغي والبحر الزخار • والهمنا من شكره • لما نتكفل بالمزيد
من نعمه • ولا قطع عنا عوايد كرمه • وان فقدنا والدنا فانتم لنا بعده
الوالد • والذخر الذي تكرم منه العوايد • والحب يتوارث كما وردت به
الاخبار التي وضحت منها الشواهد • ومن اعد مثلكم لبنيه • فقد
تيسرت من بعد الممات امانيه • وتاسست قواعد ملكه وتشيدت
مبانيه • فالاعتقاد الجميل موصول • والفروع بها في التشيع اليكم
اصول • وفي تقرير فخركم محصول • وانتم ردد المسلمين بهذه البلاد
المسلمة • الذي يعينهم بارفاده • وينصرهم بانجاده • ويعامل الله
فيها بصدق جهاده • وعندما استقر هذا الامر الذي تبعث المحنة

فيه المحنة • ورايت من فضل الله ولطفه فيه المنحة • واخذنا البيعة
من اهل حضرتنا بعد ما استدعينا خواصهم واعيانهم • وتزاحمت على رقها المنشور
خطوط ايمانهم • وتناصلت قواعد الفاظها ومعانيها في قلوبهم وانابهم
وضمنوا الوفا بما عاهدوا الله عليه وقد جرى سلفنا والحمد لله وفا ضمانهم
بادرنا لتعريف مقامكم الذي نعلم مشاهمته فيما ساء وسر • والحلي والامر
عملا بمقتضى الخلوص الذي ثبت واستقر • والحب الذي ما مال يوما ولا
ازور • وما احق تعريف مقامكم بوقوع هذا الامر المحذور • وانجلا الليلة
عن صبح عن صنيع الصنع البادي للسفور • وان كنا قد خاطبنا من خدامكم من
يبادر اعلامكم بالامور • الا انه امر لزم ما بعده • وحادث ياخذ حده • ونبعث
الى بابكم من شاهد الحال لما بينت وقوعها الى استقرارها راي العيان • ونولي
تسديد الامور باعماله الكريمة ومقاصد الحسان • ليكون ابلغ في البر
واشرح للصدر واوعب للبيان • فوجهنا اليكم وزير امرنا وكاتب سرنا
الكذا ابا فلان • والقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى
واستنادنا من التشيع اليه الى الركن الوثيق المبنى • ما نرجو ان يكون له فيه
المقام الاعنى • والثمرة العذبة المجتنى • فلا متمام بهذا الغرض الاكيد
الذي هو اساس بنايتنا • وقائم اعتنائنا • اثرنا توجيهه على توفر الاحتياج
اليه • ومدار الحال عليه • والمرغوب من ابوتكم المؤملة ان يتلقاه قبولها
بما يليق بالملك العالي • والخلافة السامية المعالي • والله عز وجل
يديم ايامكم لصلة الفضل المتوالي • ويحفظ مجدكم من غير الايام والليالي
وهو سبحانه يصل سعدكم • ويحرس مجدكم • ويوالي نصركم وعضدكم والسلام
الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى وقولنا في هذه الرسالة فوجهنا
اليكم وزير امرنا الى اخره هو لسان الدين رحمه الله اذ هو كان الوزير اذ ذاك
والسفير في هذه القضية ومن صفحات هذا الكلام يتضح لك ما نال
لسان الدين رحمه الله تعالى من الرياسة والجاه ونفوذ الكلمة بالاندلس
وبالغرب رحمه الله وقد اكرمه السلطان ابو عنان في هذه الوفادة
وغيرها غاية الاكرام • وكان المقصود الاعظم من هذه الوفادة استعانة
سلطان الاندلس الغني بالله بالسلطان ابي عنان عن طاغية النصارى
كما المعنا بذلك في الباب الثاني من القسم الثاني الذي يتعلق بلسان
الدين وكان السلطان ابو عنان ابن السلطان ابي الحسن معتنيا بالاندلس
غاية الاعتنا وخصوصا بجبل الفتح حتى انه بلغ من اهتمامه به ان امر عليه
ولده ابا بكر السعيد • وهو الذي تولى الملك بعده ومن انشا لسان

الدين ابن الخطيب على لسان سلطانه مما خاطب به الامير السعيد المذكور اذ فلك والدر
جبل الفتح وهو الامانة التي اشرق في سما الملك شهابها • واتصلت باسباب العز
اسبابها • واشتملت على الفضل والطهارة اثوابها • واجتليت قداح المفاخر فكان
الى جهة الله انتدابها • امارة محل اخينا الذي تاسس على مرضات الله اصيل فخره
واتسم بالمرابط المجاهد على اقتبال سنه وجدة عمره • وبدا بفضل الجهاد صحيفة
اجره • وافتتح بالرباط والصلاح ديوان نهيه وامره • لما يسره من سعادة
نقيبته • وحباه من عز نفسه • الامير الاجل الاعز الارفع • الاسنى الاطهر
الاظهر الامنع • الاسعد الاسمى • الموفق الارضى محل اخينا • العزيز علينا
المفداة ابنا مانولجاون البنا • ابي بكر السعيد بن محل والدنا الذي مقاصده
للاسلام واهله على مرضاة الله جاريه • وعزايمه على نصر الملة الحنيفية
متباريه • السلطان الكذا ابو عنان بن السلطان الكذا ابو الحسن بن السلطان
الكذا ابو سعيد بن السلطان يعقوب بن عبد الحق ابقاه الله سديدة اراوه
ناجحة اعماله • مسنى اغراضه من فضل الله متممة اماله • رحيبا في السعد
مجاله • يكنفه من الله ومحل ابينا غمام وارفة ظلاله • هام نواله • حتى يرضي
الله مصاعه بين يديه ومصاله • وتمضي في الاعدا امام رايته المنصورة
نصاله • اخو السرور بقربه • المنطوي على مضمر حبه • امير المسلمين محمد بن امير
المسلمين ابي الحجاج بن امير المسلمين ابي الوليد بن فرج بن نصر سلام كريم • طيب
بر عميم • يخص اخوتكم الفضلا • وامارتكم التي اناف فضلها بحول الله تعالى
ورحمة الله وبركاته اما بعد حمد الله على ما كيف من الطافه المشرقة
الانوار • ويسر لهذه الاوطان • بنصرته من الاوطار • فكلما دجت بها
سدف طلع الفرج عليها طلوع النهار • وكلما اضطرب منها جانب اعاده
بفضل الله من اقامته لذلك واختياره الى حال السكون والقرار والصلاة
على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى المختار • الذي اكد على جبريل
صلوات الله عليه حق الجوار • حتى كاد يلحقه بالوسايل والقرب الكبار
الذي وصانا بالايتام • وانضمامنا اليه في نصرة الاسلام • فنحن نتقابل
وصاته بالبدار • ونجري على نهجه الواضح الاثار • ونرتجي باتباعه الجسيم
بين سعادة هذه الدار • والرضى عن اله واصحابه وانصاره واحزابه
الكرام الال والاحزاب • والاصحاب والانصار • الذين كانوا كما اخبر الله تعالى
عنهم على لسان الصادق الاخبار • رحما بينهم اشداء على الكفار والدعا
لامارتكم السعيدة السعيدة بالتوفيق الذي تجري به الامور على حسب
الاختيار • والعز المنيع الذمار • والسعد المتوفر المدار • والوقاية

التي

التي يامن بها المتلمامن السرار • فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم اسنى ما كتب لامرا
الارضيا الاخيار • ومتعكم من تنباءه والدكم بالعرق العنطي والسيرة الرحمية الجلاة
الرفيع المعتاد • من حمرا غرناطة حرسها الله • ولا زايد بفضل الله سبحانه ثم
ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي اوضح برهانه الا الطاف باهره • وعناية
من الله باطنة وظاهره • وكتبنا داده بالقبول وارده • وبالشكر صادره • والله
يصل لدينا نعمه • ويوالي فضله وكرمه • والى هذا فانا اتصل بنا في هذه الايام
ما كان من عناية والدكم محل ابينا ابقاه الله بهذه البلاد المستندة الى تاميل
مجده • واقطاعها الغاية التي لا فوقها من حسن نظره وجميل قصده • وتعيينكم
الى المقام بجبل الفتح ابلاغا في اجتهاده الديني وجده • فقلنا هذا خبر اصدق
مخبره • ومحصل مستطره • فهو فخر تجددتا ثوابه • واعتنا تفتحت ابوابه
وعمل عند الله ثوابه • فان الاندلس عصمها الله وان تجددت عدده واموا
ونحت في نصرها مقاصده الكريمة واعماله • لا تدري موقعا لمتطولها من نعمته
وزيادة يومه في العناية على امسه • حتى يسنح لها بولده • ويخصها بقرة
عينه وفلذة كبده • فلما ورد الجزا الذي رافقت منه الخبر • ووضحت من
سعادته العذر • باجازتكم البحر • واختياركم في حال السبيبة النحر • وصدق
مخيلة الدين فيكم واستقراركم في الثغر الشهير الذي افتتحه سيف جدكم
واستنقذ سعد ابيكم • سررنا بقرب المزار • ودنو الدار • وقابلنا صنع
الله بالاستبشار • ووثقنا وان لم نزل على ثقة من عناية الله وعناية محل
والدنا بهذه الاقطار • وحمدنا الله على هذه الالا المشرقة • والنعم المغدقة
والصنايع المتالقة • بادرنا بهني اخوتكم • او لا غايتين الله لكم من سلامة
المجاز ثم بما منحكم الله من فضل الاختصاص بهذا الغرض والامتياز فامارتكم
الامارة التي اخذت باسباب السما • وركبتا الى الجهاد في سبيل الله جياد الخيل
والما • واصبحت على حال السبيبة شجى في حلوق الاعدا • ودعوا حق بهذا الثنا
ولكنها عادة الود وسنة الاخا • فالله عز وجل يجعله مقدما ميمون الطاير
متهلل البشاير • تتهلل بصنع الله بعده وجوه القبايل والعشاير • ويجري
جز سعادتكم مجرى المثل الساير • ويشكر محل والدنا فيما كان من اختياره • ويزيد
ايثاره • ويجازيه جزاء من سمح في ذاته بمظنة ادخاره • ومذ راينا ان هذا
الغرض لا يجزي فيه بالكتابة • دون الاستنابة • وجهنا لكم من ينوب من تحيته
ويجري من تقرير ما لدينا على اوضح طرقه • ومنوا التفايد الكذا وبجدكم يقضي لها
بلغته • ونقابل بالقبول ما من ذلك يوديه • والله تعالى يصل سعدكم • ويحرس
مجدكم والسلام انتهى • وكان الطاغية الملعون ايام السلطان ابي عنان

رحمه الله ناداجل الفتح بشركني الله شئ في ذلك التاريخ • ومن انشا السان الدين رحمه الله على لسان سلطانه ابي الحجاج يخاطب اباعنان سلطان فارس والمغرب وذلك بما نصه المقام الذي يحلي الملك الاصيل با قلادة • وادى منه الاسلام الى ملجايه الاحمى وملاذه • وكفلت السعود بامضا امره المطاع وانفاذه • وشاي حلبة الكرم فكان وحيد احاده وفذا افذاذه • وابتدع غرايب الجود • فقال لسان الوجود نعمت البدعة هذه مقام محل اخينا الذي اركان مجد راسية راسخه • وعز عزم بادية باذخه • واعلام فخر سامية شامخه واايات سعد محكمة ناسخه • السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله تجري بسعده الفلك • وتجلي بسعده الحلك • وتسيطر حسنات ملكه الملك • ويشهد بفضل باسه ونداه النادي والمعترك • معظم حقوقه التي تاكد فرضها • المثني على مكارمه التي اغنى الاوصاف البليغة بعضها امير المسلمين عبد الله بن يوسف بن امير المسلمين ابي الوليد اسماعيل بن فرج ابن نصر سلام كريم طيب برعميم يخص اخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته اما بعد حمد الله الذي هيا الملة الاسلام • عظا بمن ملككم المغفور الاعلام • اظهارا واعزازا • وجعل لها العاقبة الحسنى • بملك مقامكم الاسنى • نصرتها لدعوة الحق وانجازا • وسهل لها بسعدكم كل صعب المرام وقد سامتها صروف الايام • ليا واعوازا • واتاح لها منكم وليا يسوم اعداها • استلابا وابتزازا • ويسكن امالها • وقد استشعرت احتفازا • حمدا نكون على جلل النعم العميمه • والالاء الكريمه طرازا • والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي بهرت اياته وضوحا واعجازا • واستحقت الكمال صفاته حقيقة لامجازا • ونبيه الذي بين للخلق احكام دينه الحق امتناعا وجوازا • ويسر لهم وقد ضلوا في مفاوز السلك مفازا • والرضى عن اله واصحابه المستولين على ميادين فضايل الدنيا والدين اختصاصا بها وامتيازا • فكانوا اغيوثا ان وجدوا محلا وليوثا ان شهدوا ابرازا والدعا لمقام اخوتكم الاسمى بنصر على اعدايه تبتدي له الجياد الجود ارتياحا والرماح اللدان اهتزازا • وعز يطا من اكناف البسيطه • وارجايها المحيطه سهلا وعزازا • ويمن يشمل من بلاد الايمان اقطارا نازحة ويعم احوازا • وسعد تجول في ميدان ذكره المناع اطراف السنة اليراع اسهابا وايجازا • وفخر يجوب جيوب الاقطار الاقطار جوب المثل السيار عراقا وحجازا • ولازالت كتايب سعده تنتهز فرص الدهر انتهازا • وتوسع ملكات الكفر انتهابا واحتيازا فانا كتبناه اليمقامكم كتب الله لكم سعدا ثابتا المراكز • وعزا لاتلين قناته

في يد الناهز • وثناء لايثني عنان سراه عرض المفاوز • وصنعا رحيب الجوانب رغيب الحوايز • من حمراء غرناطة حرسها الله وفضله عز وجل قد ادال العسر يسرا واحال القنوط بسطا • وقرب نوازح الامال بعد ان شطت ديارها شحطا وراض مركب الدهر الذي كان لايلين لمن استمطي • وقرب عزيز الرجا في هذه الارجا وكان مشتطا • والتوكل عليه سبحانه قد احكم منه اليقين • والاستبصار المبين ربطا • ومشروط المزيد من نعمه قد لزم من الشكر شرطا ومقامكم هو عدة الاسلام اذا احد حفاظه • وظله الظليل اذا لفح الكفر شواظه وملجاه الذي تنام في كنف امنه ايقاظه • ووزره الذي الى نصره تمد ايديه وتشير الحاظه • فمن ارجايه ثنا يه تشرح معانيه والفاظه • والخطب تجيده وتحميده بفوق فيه وتخفل عكاظه • وتشيعنا الى ذلك الجناب الكريم طويل عريض • ومعتقدات ودنا اياه لايعترضها نقيض • وافلاك تعظيما له لتشرق لا وجها الرفيع حضيض • والنوار اعتقادنا الجميل فيه يشف يسوم الحرعنا وجهها البيض • والى هذا اليسكم الله ثوب السعادة المعادة فضفاضا • كما صرف ببركة ايالتكم الكريمة على هذا نوع الاسلام وجوه الليالي والايام • وقد ازورت اعراضا • وبسطت امالها وقد استشعرت انقباضا فانه ورد علينا كتابكم الذي كرم انحا واغراضا • وجال لنا لبلاغة من طرسه الفسيح المقاد رياضا • ووردت الافكار من معانيه الغرايب • والفاظه المزرية بدرر النحور والترايب بحورا صافية وحياضا • فاجتلينا منه حلة من حلل الود سابغه • وحجة من حجج المجد بالغه • وشمسا في فلك السعد بازغه • الذي بين المقاصد الكريمة وشرحها • وجلا الفضايل العميمة واوضحها • فما اكرم شيم ذلك الجلال واسمحها • وافضل خلال ذلك الكمال وارجحها • حضتم فيه على احكام السلم التي تحوط الانس والحرم بسياج • ويداوي المضطر العليل بها بانجع علاج • والحال ذات احتياج وساحة الجبل عصمه الله ميدان هياج • ومثبوا اعلاج • ومظنة اختلاف الظنون الموحشة واختلاج • فحضر لدينا متحمله وزيركم الشيخ الاجل المعظم الموقر الاسمى الخاصة • الاحظى ابو علي بن الشيخ الوزير الاجل الحافل الفاضل الماجد الكامل • ابي عبد الله بن محلي والشيخ الفقيه الاستاذ الاعرف الفاضل الكامل ابو عبد الله بن الشيخ الفقيه الاجل العارف الفاضل الصالح المبارك المبرور المرحوم ابي عبد الله الفشتالي وصل الله سعادتهما • وحرس مجادتهما • حالين من مراتب ترفيعنا اعلى محل الاعزاز ووارد بن على اعلى القبول الذي لاتشاب حقيقته بالمجاز • عملا بما يجب

عَلينا • لمن يصل الينا من تلك الانحا الكريمة والاحواز • فتلقينا ما اشتملت
عليه الاحالة السلطانية من الود الذي كرم منهوما ونصا • والبر الذي
ذهب من مذاهب الفضل والكمال الامد الاقصى • وقد كان سبقتها صنع الله جل
جلاله بما اخلف الظنون • وشرح الصدور واقر العيون • فلم يصل الينا
الا وقد اهلك الله الطاغية • وفرق احزابه الباغية نعمة منه سبحانه
ومنة ملات الصدور انشراحا • وعمت الارجا افراحا • وعنوانا على سعد
مقامكم الذي راق غررا في المكرمات واوضاحا • ومد يده الى سهام المواهب
الالهية فحاز اغلاها قداحا • فتشوقت نفوس المسلمين الى ما كانت تؤمله
من فضل الله وترجوه • وبدت في القضية التي اسرتم باعمالها الوجوه •
وانبعثت الامال بما الت اليه هذه الحال انبعاثا • والتات امور العدو
فقصمه الله التياثا • وانتقض غزله من بعد قوته بفضل الله انكاثا
واحتملت المسالة التي تفضلتم بعرضها • واسرتم الى فرضها ماخذ واتحاثا
فالقينا في هذه الحال الى رسولكم اعزهما الله ما يلقيانه الى مقامكم الاعلى
ومثابتكم الفضلى • وما يتزيد عندنا من الامور فركايب التعريف بها اليكم
محثوثة • وخبرياتها بين يدي مقامكم الرفيع مبثوثة • وقد اضطربت احوال
الكفر وفالت اراوه • واستحكم بالشتات داوه • وازيحت بزلزال الفتن
ارجاوه • وتيسرت امال الاسلام بفضل الله ورجاوه • وما نحوا الا
السعد يذلل لكم صعب العدو ويروضه • والله يهيئ لكم فضل الجهاد
حتى تقضي بكم فروضه • واما الذي عندنا لكم من الخلوص الصافية
سرايبه • والثنا الذي نوا الروض تارج ذوايبه • فاوضح من فلق الصبح
اذا اشرقت طلايعه • جعله الله في ذاته • ووسيلة الى مرضاته
ورسولاكم يشرحان لكم الحال بجزئياته • ويقرران ما عندنا من الود
الذي سطع نورا باته ونحو سبحانه يصل لكم سعدا سامي المراتب والمراقي
ويجمع لكم بعد المدى • وتمهيد من الهدى بين نعيم الدنيا والنعيم الباقي
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى • وانبى من هذا في القضية
كتاب اخر من انشا لسان الدين رحمه الله تعالى صورته من امير المسلمين
عبد الله يوسف بن امير المسلمين ابي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر الى محل
اخينا الذي نثني على مجادته اكرم الثنا • ونجدد ما سلف بين الاسلاف
الكرام من الولاء ونتحفه من سعادة الاسلام واهله بالاخبار السارة والانبا
السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله
رفيع المقدار • كريم الماثر والاثار • وعرفه من عوارف فضله كل مشرق

الانوار • كفيل بالحسنى وعقبى الدار • سلام كريم • بر عميم • يخص جلالكم الارفع
ورحمة الله وبركاته • اما بعد حمد الله على عميم الايه • وجزيل نعمائه ميسر
الصعب بعد اباية • والكفيل بتقريب الفرج وادنائه • له الحمد والشكر ملا
ارضه وسمائه • والصلاة على سيدنا ومولانا محمد خاتم رسله الكرام وانبيائه
الهادي الى سبيل الرشد وسوائه • مطلع نور الحق يجلو ظلم الشك بضيائه
والرضى عن الدوا صحابه وانصاره واحزابه وخلفائه • الصابرين في الدنيا والاخرة
تحت لوائه • الباذلين نفوسهم في اظهار دينه القويم واعلائه • والدعا
لمقامكم بتيسير امله من فضل الله سبحانه ورجائه • واختصاصه باوفر
الحظوظ من اعتنائه • فانا كتبناه اليكم كتبكم الله فيمن ارتضى قوله وعمله
من اوليائه • وعرفكم عوارف السعادة والعادة في نهاية كل امر وابتدائه
من حمرا غرناطة حرسها الله ولا زايد بفضل الله سبحانه • ثم بركة سيدنا
ومولانا محمد رسوله الكريم الذي اوضح برهانه • وعظم امره ورفع شانه
ثم بما عندنا من الود الكريم • وتجديدنا العهد القديم لمقامكم اعلى الله
سلطانه • الا الخير الهامي السحاب • واليسر المتين الاسباب • واليمن المفتح
الابواب • والسعد الجديد الاثواب • ومقامكم معتمد بترفيع الجناب
متعهد بالود الخالص والاعتقاد اللباب • معلوم له من فضل الدين
واصالة الاحساب • والى هذا وصل الله لكم سعدا مديد الاطناب
ثاقب الشهاب • واطلع عليكم وجوه البشاير سافرة النقاب • فانه قد
كان بلغكم ما الت الحال اليه بطاغية قشتالة الذي كلب على هذه الاقطار
الغربية من وراء البحار • وما سامها من الارهاق والاضرار • وانه
جرى في ميدان الاملاء والاغترار • ومحص المسلمون على يده بالوقايع
العظيمة الكبار • وانه نكث العهد الذي عقد • وحل الميثاق الذي
اكد • وحمله الطمع الفاضح • على ان اجلب على بلاد المسلمين بخيله ورجله
ودمنهما بتيار سيله وقطع ليله • واملا ان يتولى على جبل الفتح الذي بيده
منه فتحها • وطلع للملة المحمدية صبحها • فضيقه حصارا • واتخذه
دارا وعندما عظم الاشفاق • واظلمت الافاق • ظهر فينا العذر الله
الصنع العجيب • ونزل الفرج القريب • وقبل الدعا السميع المجيب • وطرق
الطاغية جند من جنود الله اخذه اخذة رابية • ولم يبق له من باقية
فهلك على الجبل حتف انفه • وغالته غوايل حتفه • فتفرقت جموعه واحزابه
وانقطعت اسبابه • ونجل لنا الله مابه • واصبحت البلاد مستبشره
ورحمة الله منتشره • ورانا ان هذه البشارة التي ياخذ منها كل مسلم

بالنصب الموفور • ويشارك فيما جليته من السرور • استمراوي من تحفة بطيب
ريّاها • وتطلع عليه جميل محيّاها • لما تقرر عندنا من دينكم المتين وفضلكم
المبين • وعلمكم من المساهمة على شاكلة صالحي السلاطين فاذلك الا فضل
نيتكم للمسلمين في هذه البلاد • وأثر ما عندكم من جميل الاعتقاد • وقد
ورد علينا رسولنا اليكم القايم ابو عبد الله محمد بن ابي الفتح اعزه الله تعالى
متقررا ما لديكم من الود الراسخ القواعد • والخلوص الصافي الموارد الواضح
الشواهد • واثنى على مكارمكم الاصيله • والتي ما عندكم من المذاهب الجليلة
فقابلنا ذلك بالشكر الذي يتصل سببه • ويتضح مذهبه • وسالنا الله
ان يجعله ودا في ذاته • ووسيلة الى مرضاته • وتعرفنا ما كان من تفضلكم
بالطريدة المفتوحة المؤخرة ما صدر عن الرئيس المعروف بالناظر من خدام
دار الصنعة بالمريه من قبيح محاولته • وسوء معاملته • فامرنا بقطع جرايته
وثقاف بطونه المقصية جزاء لجنايته • ولولا انا توقفنا ان يكون
عظيم عقابه • مما لا يقع من مقامكم بموقعه • لسهو رعفاقه ورفقه لجعلنا
نكالا لامثاله • وعبرة لاشكاله • وقد وجهنا جنا سفريا لا نساق الخيل
التي ذكرتم • وانفصالها اليه من ذلك استرتم • ويكمل المقصد انشا تحت
لحظ اعتنايكم • وفضل ولايكم • هذا ما تزيد عندنا عرفناكم به علا على
شاكلة الود الجميل والولا الكريم الجملة والتفصيل • فعرفونا بما يتزيد
عندكم يكون من جملة اعمالكم الفاضلة • ومكارمكم الحافلة • والله يصل
سعدكم • ويحرس مجدكم • والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته
انتهى **ومن انشا** لسان الدين فيما يتعلق بالاندلس وانقطاعها وانها
لا عنا لها عن العدوة وغير ذلك ما صورته • المقام الذي بنور سعادته
تنجلي الغما • وتتصل النعما • منيته قد حصل منها الجانب لله الانتما
وانتقت منها التسميات والاسما • مقام محل ابينا الذي تتمنى هذه
الجزيرة افيا نيته الصالحة • وعمله ويثق بحسن العاقبة اعتمادا على
وعد الله المنزل على خيرة رسله • وتجتني ثمار النجح من افنان آراء الملك الموفق
تالق الصبح حالي ريثه وعجله • وتتعرف حالي المودود والمكروه عارفة
الخير والخيرة من قبله • ابقاه الله يحسم الاذى كلما استشرت • ويجلي
موارد العافية كلما امرت • ويعفي على آثار الاطماع الكاذبة مهما خدعت
بخلبها وغرت • ويضمن سعد عودة الامور الى افضل ما عليه استقرت معظم
مقامه الذي هو بالتعظيم حقيق • وموقر ملكه الذي لا يلتبس منه الا النجح
والعز طريق • ولا يختلف في فضله العميم ومجده الكريم فريق • اما بعد

حمد الله

حمد الله المثيب المعاقب • الكفيل لاهل التقوى بحسن العواقب • المشيد
بالعمل الصالح الى ارفع المراقي والمراقب • يهدي من يشاء ويضل من
يشاء بمقتضى ايره وقدره اختلاف المسالك والمذاهب • والصلاة
على سيدنا ومولانا محمد رسوله الحاشر العاقب • ونبيه الكريم الرؤوف
الرحيم ذي المفاخر السامية والمناقب • والرضى عن اله واصحابه وانصاره
واحزابه الذين ظاهروه في حياته باعمال السمر العوالي والبيض القواضب
وخلفوه في امته بخلوص الضماير عند شوب الشوايب • فكانوا في مماثلته
كالنجوم الثواقب • والدعا لمقامكم الاسمى بالسعادة المعادة في السوابق
من الزمن والعواقب • والنصر الذي يقتضي بعدد الكتايب • والفتح الذي
تطلع من ثناياه غرر الصنايع العجايب • من حمرا غرناطة حرسها الله
ولا زايد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم اعلى الله
سلطانه • وسهل بالتمهيد اوطانه • الا تشيع ثابت وتزيد • واخلاص
ما عليه في ميدان الاستطاعة مزيد • وتعظيم اشرف منه جيد • وثنا
راق فوق رياضه تحميد وتمجيد • والى هذا وصل الله سعدكم • وحرس
الطاهر الكريم مجدكم • فقد وصلنا كتابكم الذي هو على الخلوص •
والاعتقاد عنوان • وفي الاحتجاج على الرضى والقبول برهان • تنطق
بالفضل فصوله • وتشير الى كرم المعتمد فروعه الزكية واصوله • ويحق
ان ينسب الى ذلك الفخر الاصيل محصوله • عرفتمونا بما ذهب اليه عيسى
ابن الحسين من الخلاف الذي ارتكبه • وسبيل العقوق الذي انتكبه
وتنبهون على حث الحق في مثل ذلك واوجبه • حتى لا يصل احد من جهتنا
سببه • ولا يطامن منهما ذنبه • ولا يسعف في الاباطيل فاستوفينا
ما استدعاه ذلك البيان الصريح • وحليه وخطه القلم الفصيح وكتبه
وليعلم مقامكم ونحو من اصالة النظر غني عن الاعلام • ولكن لا بد من الاستراحة
بالكلام • والتنفس بنفثات الاقلام • انا انما يجري امورنا مع هذا
العدو الكافر • الذي رمينا بجواره • وبلينا والحمد لله بمصادمة تياره
على نقدار اقطاره • واتساع براريه وبحاره • بان تكون الامة المحمدية
بالعدوتين تحت وفاق • واسواقا لنفاق غير ذات نفاق • والجماهير تحت عهد
الله وميثاق • فمهما تعرفنا ان اثنين اختلف منهما بالعدوتين عقد او وقع
بينهما في قبول الطاعة رد ساءنا واقعه • وعظمت لدينا مواقعه
وسالنا ان يتدارك الخرق رافعه • لما نتوقعه من التشاغل عن نصرنا
وتفرغ العدو الى حصرنا • فكيف اذا وقعت الفتنة في صقعنا وقطرنا

اغاني بشعلة في بعض بيوتنا وقعت • وحادثة الي جهتنا اسرعت • وان كان
لسوانا لفظها فلنا معناها • وعلي وطنتنا يعود جناها • فنحن احرص الناس
علي اطفايها واخمادها • واسعي في اصلاح فسادها والمثابرة علي كفها
واستيسابها • وما الظن بدار قد نبا بابها • واما لو رثت اسبابها • وجرة
لا تستقيم احوال من بها الا بالسكون • وسلم العدو والمغرور المفتون حتي
تقضي منه ما عانتكم الديون • وان اضطرابها انما يعود داء نستنصر من رايكم
فيه بطبيب • ونهدف خطب نرميه من عزمكم بسهم مصيب • وامر نفزع في
تداركه الي سميع للدعاء مجيب • ونحن فيه يدا مام يدكم • ومقصدنا فيه
تبع لمقصدكم • ونصرفنا علي حد اشاراتكم جار • وعزمنا الي منتهي رضاتكم متبار
وعقدنا في مشايعة امركم غير متوار • وقد كنا اول اتصال هذا الخبر
القبيح العين والاثر • بادرنا تعريفكم بجميع ما اتصل بنا في شانه • ولم نطو
عنكم شيا من اسراره ولا اعلانه • وبعثنا رسولنا الي بابكم العلي • نعتد
بسلطانه • ونرجي تمهيد هذا الوطن بتمهيد اوطانه • وبادرنا بالخطاب
من وجبت مخاطبته من اهل مرية • واستبوننة نبثت بصايرهم في الطاعة
وتقويها • ونوذنهم بتوجيه من يحفظ جهاتهم ويحميها • وعجلنا الي بعضها
مددا من الرماة والسلاح ليكون ذلك عدة فيها • وعملنا ما اوجب
الله تعالي من الاعمال التي يزلف بها وبرتضيها • وكيف لا نتظاهر امركم
الذي هو العدة المذخورة • والفية الناصرة المنصورة • والباطل سراب
يخدع • والحق ابلج • والبغي يردي ويصرع • وكم تقدم في الدهر
منتزشذ عن الطاعه • وخرج عن الجماعه • وخالف علي الدول في
العصور الاول • بهرج الحق زايفه • ورجمت بشهب الاسنة طوايفه واخذت
عليه المضيقة وهاده وتنايفه • فتقلص ظله • وتبابه محله • وكان
يذهب الباطل فاهله • لاسيما وسعادة ملككم قد وطات المسالك
ومهدتها • وقهرت الاعدا وتعبدتها • واطفات جذا ولسيوف كم
النار التي اوقدتها • وكان بالامور اذا اعملتم فيها رايكم السديد وقد
عادت الي حال احوالها • والبلاد بيمن تدبيركم قد شفي ما ظهر من اعتلالها
وعلي كل حال فانا نحن علي تحمل مرضاتكم مبادرون • وفي اغراضكم الدينية
واردون وصادرون • ولاشاراتكم التي تتضمن الخير والخيرة منتظرون
عندنا من ذلك عقايد لا يحتمل نصها التاويل • ولا يقبل صحيحها التعليل
فلتكن انوتكم من ذلك علي اوضح سبيل • فشمس النهار لا تحتاج الي دليل
والله تعالي يبقي لكم عوايد الصنع الجميل • حتي لا يدع عزمكم معضوبا الا ادده

ولاثلما

ولا ثلما في ثغر الدين الا سده • ولا عهدا متقاصيا الا هده • ولا عرقا من
الخلاف الا جده • وهو سبحانه يبقي ملككم ويصل سعده • ويعلي امره ويحرس
مجده • والسلام الكريم يخصكم ورحمت الله وبركاته انتهي ومن انشايه
رحمه الله تعالي من جملة رسالة علي لسان سلطانه ابي الحجاج يخاطب الرعايا
ما نص محل الحاجة منه والي هذا فقد علمتم ما كانت الحال التالية من ضيقة
البلاد والعباد بهذا الطاغية الذي جري في ميدان الامل جري الجموح
ودارت عليه حمرة النخوة والخيلاء مع الغبوق والصبوح • حتي طمح بشكر
اعتزازه • ومحص المسلمين علي يديه بالوقايع التي تجاوز منتهي مقداره
وتوجهت الي استيصال الكلمة مطامح افكاره • ووثق بانه يطفي نور الله
بناره • ونازل جبل الفتح فشد مخنق حصاره • وادار اشياعه في البر والبحر
دور السوار علي اسواره • وانتهز الفرصة بانقطاع الاسباب • وابهام الابواب
والامور التي لم تجر للمسلمين بالعدوتين علي مالوف الحساب • وتكالب التثليث
علي التوحيد • وساءت الظنون في هذا القطر الوحيد • المنقطع بين الامة
الكافرة والبحور الزاخرة والمرام البعيد • وانا صابرنا بالله تيار سيله
واستضانا بنور التوكل عليه في جنح هذا الخطب ودجنة ليله • ولجانا الي
من بيده نواصي الخلايق • واعتلقنا من حبله المتين باوثق العلايق ودفعنا
بالامل في ذلك الميدان المتضايق • واخلصنا لله مقيل العثار وماوي
اولي الاضطرار قلوبنا • ورفعنا اليه امرنا ووقفنا عليه مطلوبنا • ولم
نقصر مع ذلك في ابرام العزم • واستشعار الحزم • وامداد الثغور باقصي
الامكان • وبعث الجيوش الي ما يلينا من بلاد علي الاحيان • فرحم الله انقطاعنا
اليكم به • والتجانا الي حرمه • فجلي بفضله سبحانه ظلم الشدة • ومد علي
الجزيرة والاطفال ظلال رحمته الممتدة • وعرفنا عوارف الصنع الذي قدم به
العهد علي طول المدة • ورماه بجيش من جيوش قدرته اغني عن ايجاف الركاب
واحتشاد الاحزاب • واظهر فينا قدرة ملكه عند انقطاع الاسباب
واستخلاص العباد والبلاد من بين الظفر والناب • فقد كان جنح علي الحق
بباطله • وسد المجاز باساطيله • ورمي الجزيرة الاندلسية بشوبوب
شره • وصيرها فريسة بين غربان بحره • وعقبان بره • فلم يخلص الي المسلمين
من اخوانهم مرفقة الا علي الخطر الشديد والافلات من يد العدو العنيد
مع توفر العزايم والحمد لله علي العمل الحميد • والسعي فيما يعود علي الدين
بالتاييد وبينما شفقتنا علي جبل الفتح تقيم وتقعد • وكلب الاعداء
عليه يبرق ويرعد • والياس والرجا خصمان هذا يقرب وهذا يبعد

اذ طلع علينا البشير بانفراج الازمة • وحل تلك العزمة • وموت شاة تلك الرقعة • وانبا الله على تلك البقعة • وانه سبحانه اخذ الطاغية اكمل ما كان اغترارا • واعظم انتصارا • وزلزل الارض عنه • وقد اصابت فرارا وان شهاب سعده اصبح افلا • وعلم كيف انقلب سافلا • وان من بيده ملكوت السموات والارض طرقه بحتفه • واهلكه برغم انفه • وان محلته عاجلها التباب والتبار • وعاثت في منازلها النار • وتمحص عن سوء عاقبتها الليل والنهار • وان حماتها يخربون بيوتهم بايديهم • وينادي ليشتات الشمل لسان مناديهم • وتلاحق الفرسان من جبل الفتح المتلا الذي علته من عناية الله رواق مضروب • والرباط الذي من حادثة دهو المحروب • فاخبرت بانفراج الضيق • وارتفاع العايق لها عن الطريق • وبرء الداء الذي اشرق بالريق وان النصارى دمرها الله حدت في رحالها • واسرعت بجيفة طاغيتها الى سوء مالها وحالها • وسمحت للنهب والنار باسلابها واموالها • فبهرنا هذا الصنع الالهي الذي مهد الاقطار بعد رجفانها • وانام العيون بعد سهاد اجفانها • وسالنا الله ان يعيننا على شكر هذه النعمة التي اتت سلطت عليها قوى البشر فنحتها ورجحتها • ورايناها سر اللطايف الخفية كيف سريانه في الوجود • وشاهدناها بالعيان انوار اللطايف الالهية والجود وقلنا انما هو الفتح الاول شفع بثان وقواعد الدين الحنيف بنيت من صنع الله ببنيان • اللهم لك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة ومننك التي لم تزل انك ولينا في الدنيا والاخرة انتهى **ومن انشا** لسانا لدين من اخرى مما يتعلق بفتوحها للمسلمين بالاندلس ما صورته • وان تشوفتم الى احوال هذا القطر ومن به من المسلمين بمقتضى الدين المتين والفضل المبين • فاعلموا انا في هذه الايام نتدافع من العدو تيارا • ونكابر بحرا زخارا • ونتوقع الا ان وقى الله حظوبا كبارا • ونمد اليد الى الله انتصارا • ونلجا اليه اضطرارا ونستمد دعا المسلمين بكل قطر استعدادا به واستظهارا • ونستشير من خواطر الفضلا ما يحفظ اخطارا • ويبعث ريح روح الله طيبة معطارا • فان النومس الاعظم فيوم دين النصرانية الذي يامرها فتطيع • ومحالفته لا تستطيع رمى هذه الامة الغريبة المنقطعة منهم بجراد لا يسد طريقها • ولا يحصى فريقها التفت على اخي صاحب قشتالة وعزمها ان تملكه بدله • وتبلغه امله • ويكون الكل يدا واحدة على المسلمين • ومناصبة هذا الدين • واستيصال شافة المومنين • ونحن نسند البشرى لاهل هذا الوطن بها عهد ولا عرفنا بجد ولا وهد وقد افتحموا الحدود الغربية • والله ولي هذه الامة الغريبة • وقد حصلنا

متاليد امورنا بيد من يقوي الضعيف • ويدرا الخطب المخيف • ورجونا ان نكون ممن قال الله فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وهو سبحانه المرجو في حسن العقبى والمال • وتنصر فية الهدى على فية الضلال • وما قل من كان الحق كنزه • ولا ذل من استمد من الله عزه • قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الاية • ودعا من قبلكم من المسلمين مدد موفور • والله على كل حال محمود مشكور • انتهى **ومن اخرى** طويلة من جملتها ما صورته • وقد اتصل بنا الخبر الذي يوجب نصح الاسلام • ورعي الجوار والذمام • وما جعل الله للماموم على الامام • انما ظلكم من مرافدكم • وجمع اهواكم المتفرقة وتهييتكم الى مصادمة الشدايد المرعدة المبرقة • وهو ان كبير دين النصرانية الذي اليه ينقادون • وفي مرضاته يصادقون ويعادون • وعند رؤية صليبه يكبرون ويسجدون • لما راى الفتن قد اكلتهم خضما وقضما • واوسعتهم هضما • فلم تبق عظما ولا عظما • ونثرت ما كان نظما • اعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق • ويرقع ما طرق • ويرفو ما مزق الشتات وخرق • فرمى الاسلام بامة عددها القطر المنثال وامرهم وشانهم الامتثال • ان يدعوا الحز ازتضاهم من ازمة الطاعة ويجمعوا في ملة الجماعة • ويطلع الكل على هذه الفية القليلة الغريبة بغتة كقيام الساعة • واقطعهم قطع الله بهم العباد والبلاد • والطارف والتلاد • وسوغهم الحريم والاولاد • وبالله نستدفع ما لا نطيقه • ومنه نسال عادة الفرج فما سدت طريقه • الا انا راينا غفلة الناس موذنة البوار • واشفقنا للدين المنقطع من وراء البحار • وقد اصبح مضغة في لهوات الكفار • واردنا ان نهزكم بالموعظة التي تكحل البصاير بميل الاستبصار • فان جبر الله الخواطر بالضراعة اليه والانكسار • ونسخ الاعسار بالايسار • واخذ اليمين باخيها اليسار • والا فقد تعين في الدنيا والاخرة حظ الخسار • فان من ظهر عليه عدو دين الله وهو من الله مصروف • وبالباطل مشغوف • وبغير العرف معروف • وعلى الحطام المسلوب عنه ملهوف • فقد تله الشيطان للجبين • وقد خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين • ومن نفذ فيه اوله قدر الله عن اداء الواجب وبذل المجهود • وافرد بالعبودية وجه الواحد الاحد المعبود • ووطن النفس عن الشهادة المبوءة دار الخلود • العايدة بالحياة الدايمة او الظهور على عدو المحشور اليه المحشود • صبرا على المقام المحمود • وبيعا من الله

تكون الملايكة فيه الشهود • حتي تغيث يدا لله في ذلك البنا المهدود وتربط ايدي الله
الممدود • والسواد الاعظم الممدود • كان علي امره بالخيار المزوود • قل
هل تربصون بنا الا احدي الحسنيين الاية انتهي • وقال صاحب مناهج الفكر
بعد وصفه لجزيرة الاندلس واقطارها ما صورته • ولم تزل هذه الجزيرة
منتظمة لمالكها في سلك الانقياد • والوفاق الي ان طما بمترفيها سيل العناد
والنفاق • فامتاز كل رييس منهم بصقع كان مسقط راسه • وجعله معقلا يعتصم
من المخاوف بافراسه • فصار كل منهم يشن الغارة علي جاره • ويحاربه في عقر
داره • الي ان ضعفوا عن لقا عدو في الدين يعادي ويراوح معاقلهم بالعيث
ويغادي • حتي لم يبق في ايديهم منها الا ما هو في هدنة معقود • واتاوة في
كل عام علي الكبير والصغير مفروض • كان ذلك في الكتاب مسطورا • وقدرا
في سابق علم الله مقدورا • انتهي • وهذا قاله قبل ان يستولي العدو علي
جميعها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ولنرجع
الي ما كنا بصدده من اخذ النصاري قواعد الاندلس فنقول قد قدمنا اول
هذا الباب ان طليطلة اعادها الله من اول ما اخذ الكفار من المدن العظام
بالاندلس قال ابن بسام لما توالت علي اهل طليطلة الفتن المظلمة •
والحوادث المصطلمة • وترادف عليهم البلا والجلا • واستباح الفرنج لعنهم
الله اموالهم وارواحهم كان من اعجب ما جري من النوادر الدالة علي الخذلان
ان الحنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ولا تؤثر فيها
طول المدة بما يمنع من اكلها فلما كانت السنة التي استولي عليها العدو
فيها لم ترفع الغلة من الاندر • حتي اسرع فيها الفساد • فعلم الناس ان
ذلك بمشيئة الله تعالي لامر اراده من شمول البلوي • وعموم الضر
فاستولي العدو علي طليطلة وانزل اهلها علي حكمه وخرج ابن ذي النون منها
علي اقبح صورة وافظع سيرة • وراه الناس وبيده اصطرلاب ياخذ
يا خذ به وقتا يرحل فيه فتعجب منه المسلمون • وضحك عليه الكافرون وبسط
الكافر العدل علي اهل المدينة وحبب التنصر الي عامة طغامها فوجد المسلمون
من ذلك ما لا يطاق حمله وشرع في تغيير الجامع كنيسة في ربيع الاول سنة
ست وسبعين واربعماية ومما جري في ذلك اليوم ان الشيخ الاستاذ المغامي
رحمه الله صار الي الجامع وصلي فيه وامر مريدا له بالقراءة ووافاه الفرنج
لعنهم الله تعالي وتكاثروا لتغيير القبلة فما جسر احد منهم علي ازعاج
الشيخ ولا معارضته وعصمه الله منهم الي ان اكمل القراة وسجد سجدة ورفع
راسه وبكي علي الجامع بكاء شديدا وخرج ولم يعرض احد له بمكروه وقيل

للملك النصاري ينبغي ان تلبس التاج كمن كان قبلك في هذا الملك فتاك
حتي تاخذ قرطبتهم واعد لذلك ناقوسا تاتق فيه وفيما رصع به من الجواهر
فاكذبه الله وازعجه وورد امير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين
بما اقتصر فيما اثر من اذلال المشركين وارغام الكافرين واستدراك امور المسلمين
انتهي ملخصا وقد مر مطولا وكانت قبلها وقعة بطرنة سنة ست وخمسين
واربعماية وذلك ان الفرنج خذلهم الله انتدبت منهم قطعة كبيرة ونزلت
علي بلنسية في السنة المذكورة واهلها جاهلون بالحرب • مفترون بامر
الطعن والضرب • مقبلون علي لذات من الاكل والشرب • واظهر الفرنج
الندم علي منازلتها • والضعف عن مقاومة من فيها • وخدعوهم بذلك
فانخدعوا واطمعوهم فطمعوا • وكمنوا في عدة اماكن جماعة من الفرسان
وخرج اهل البلد بثياب زينتهم وخرج معهم اميرهم عبد العزيز بن ابي
عامر فاستدرجهم العدو لعنهم الله ثم عطفوا عليهم فاستاصلوهم
بالقتل والاسر وما نجا منهم الا من حصنته اجله • وتخلص الامير بنفسه ومما
حفظ عنه انه انشد لما اعياه الامر •

خليلي ليس الراي في صدر واحد • اشيرا علي اليوم ما تريان

وفي اهل بلنسية يقول بعض الشعرا حين خرجوا في ثياب الزينة والترفه

لبسوا الحديد الي الوغي ولبستم • حلل الحرير عليكم الوانا
ما كان اقبحهم واحسنكم بها • لو لم يكن ببطرنة ما كانا

قال ابن بسام وهكذا جري لاهل طليطلة فان العدو خذله الله استظهر
عليهم وقتل جماهيرهم وكان من جملة ما غنمه الفرنج من اهلها لما خرجوا
اليهم في ثياب التزين المغفارة خارجا عما سواها انتهي قال ابن حيان
وكان تغلب العدو خذله الله علي بربشتر قصبة بلد برطانية وهي تقرب
من سرقسطة سنة ست وخمسين واربعماية وذلك ان جيش الاردمليش نازلها
وحاصرها وقصر يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها ووكل اهلها الي نفوسهم
فاقام العدو عليها اربعين يوما ووقع فيما بين اهلها تنازع في القوت
لقلته واتصل ذلك بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها حتي دخل
المدينة الاولي في خمسة الاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة
الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسماية افرنجي ثم اتفق
ان القناة التي كان الما يجري فيها من النهر الي المدينة تحت الارض في سرب
موزون انهارت وفسدت ووقعت فيها صخرة عظيمة سدت السرب
باسره فانقطع الما عن المدينة ويئس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الامان

على انفسهم خاصة دون اموالهم وعيالهم فاعطاهم العدو الامان فلما خرجوا
نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القايد ابن الطويل والقاضي ابن عيسى في
نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة ما لا يحصى حتى ان
الذي خص بعض مقدمي العدو من الاموال لحصته وهو قايد خيل رومة
نحو الف وخمسماية جارية ابكارا ومن اوقار الامتعة والحلي والكسوة
خمسماية جملة وقدر من قتل واسر ماية الف نفس وقيل خمسون الف نفس ومن نوادر
ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه ان المراة
كانت تقف على السور وتنادي من يقرب منها ان يعطيها جرعة ما
لنفسها او لولدها فيقول لها اعطيني ما معك فتعطيه ما معها من كسوة
وحلي وغيره قال وكان السبب في قتلهم انه خاف ممن يصل لنجدتهم وشاهد
من كثرتهم ما هاله فشرع في القتل لعنه الله حتى قتل منهم نيف على ستة
الاف قتيل ثم نادى الملك بتامين من بقي وامر ان يخرجوا فازدحموا في الباب
الى ان مات منهم خلق عظيم ونزلوا من الاسوار في الحبال للخشية من الازدحام
في الابواب ومبادرة الى شرب الما وكان قد تحيز في وسط المدينة قدر سبعماية
نفس من الوجوه وحاروا في نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت ممن اسر
وقتل واخرج من الابواب والاسوار وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية
بان يبادر كل منهم الى داره باهله وله الامان وارهقوا وازعجوا فلما حصل
كل واحد بمن معه من اهله في منزله اقتسمهم العلوج لعنهم الله بامر الملك
واخذ كل واحد دارا بمن فيها من اهلها نعوذ بالله وكان من اهل المدينة
جماعة قد عاذوا برؤوس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون
من العطش فامنهم الملك على نفوسهم وبرزوا في صور الهلكى من العطش
فاطلق سبيلهم فبينما هم في الطريق اذ لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد
الحادثة فقتلوهم الا القليل ممن نجا باجله قال وكان العلوج لعنهم الله
لما استولوا على اهل المدينة يفتضون البكر بحضرة ابيها والثيب بعين زوجها
واهلها وجرى من هذه الاحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من
الزمان ومن لم يرض منهم ان يفعل ذلك في خادم او ذات مهنة او وخش اعطاهن
خوله وغلمانه يعيثون فيهن عيثه وبلغ الكفرة منهم يومئذ ما لا تلحقه الصفة
على الحقيقة ولما عزم ملك الروم على القفول الى بلده تخير من بنات المسلمين
الجواري الابكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم الحسان الوفا عدة حملهم
معه ليهديهم الى من فوقه وترك من رابطة خيله ببربشتر الفا وخمسماية ومن
الرجالة الفين قال ابن حيان ذا اختم هذه الاخبار الموقظة لقلوب اولي الالباب

بنادرة

بنادرة منها يكتفى باعتبارها عما سواها وهي ان بعض تجار اليهود جاء بربشتر
بعد الحادثة ملتمسا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا من اهلها حصلن في سهم
قومس من الرابطة فيها كان يعرفه قال فهديت الى منزله فيها واستاذنت عليه
فوجدته جالسا مكان ربها لتار مستويا على فراشه وافلا في نفيس ثيابه والمجلس
والسرير كما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيا من رياشهما وزينتهما ووصايف
مضمومات الشعور قايمات على راسه ساعيات في خدمته فرحب بي وسالني
عن قصدي فعرفته وجهه واشرت الى وفور ما ابذله في بعض اللواتي على
راسه وفيهن كانت حاجتي فتبسم وقال بلسانه اسرع ما طمعت فيمن عرضناه
لك اعرض عن هذا وتعرض لمن شيت ممن صيرته لحصني من سبيي واسرايا قاربك
فيمن شيت منهم فقلت له اما الدخول الى الحصن فلا راي لي فيه وبقربك
انست وفي كنفك اطمانيت فسمني ببعض من هنا فاني اصير الى رغبتك
فقال وما عندك قلت العين الكثير الطيب والبز الرقيع الغريب فقال
كانك تشهيني ما ليس عندي يا مجه ينادي بعض اولايك الوصايف يريد
يا بهجة فيقول بعجمته قومي فاعرضي عليه ما في ذلك الصندوق فقامت
اليه واقبلت ببدر الدنانير واكياس الدراهم واسفاط الحلي فكشف
وجعل بين يدي العلج حتى كادت توارى شخصه ثم قال لها ادني الينا
من تلك التخوت فادنت منه عدة من قطع الوشي والخز والديباج
الفاخر مما حاز له ناظري وبهت واسترذلت ما عندي ثم قال لي
لقد كثر هذا عندي حتى ما التذ به ثم حلف بالاهه انه لو لم يكن عنده
شي من هذا ثم بذل له باجمعه في ثمن تلك ما سمحت بها يدي فهي ابنة صاحب
المنزل وله حسب في قومه اصطفيتها له مع جمالها لولادي حسبما كان
قومها يصنعون بنسايننا نحن ايام دولتهم وقد رددنا الكرة عليهم
نصرنا فيما تراه واريدك بان تلك الحوذة الناعمة واشار الى جارية
اخرى قايمة الى ناحية مغنية والدها التي كانت تشدو له على نشوته
الى ان ايقظناه من نومته يا فلانة ينادينها بلكنته خذي عودك تغني
زايرنا بشجوك قال فاخذت العود وقعدت تسويه واني لا تامل دمعها
يقطر على خدها فتسارق العلج مسحه واندفعت تغني بشعر ما فهمته انا
فضلا عن العلج فصار من الغريب ان حث شربه عليه واظهر الطرب منه
فلما يئست مما عنده قمت منطلقا عنه وارتدت لتجارتي سواه واطلعت
لكثرة ما لدى القوم من السبي والمغنم على ما طال العجب به فهذا فيه مقنع
لمن تدبر وتذكر لمن تذكر قال ابن حيان قد اشفينا بشرح هذه الحادثة

المنادحة مصايب جليلة مؤذنة يوشك ان تعظم لطالما حذرا سلافنا لحاقها
بما احتملوه عن قبلهم من اثارة ولاشك عند ذوي الالباب ان ذلك مما
دهانا من داء التقاطع وقد امرنا بالتواصل والالفة فاصبحنا من استشعار
ذلك والتمادي عليه على شفى جرف يؤدي الى التهلكة لامحالة انتهى ببعض
اختصار وذكر بعد كلاما في ذم اهل ذلك الزمان من اهل الاندلس وانهم
يعللون انفسهم بالباطل وان من ادل الدلايل على جهلهم اغترارهم بزمانهم
وبعدهم عن طاعة خالقهم ورفضهم وصية نبيهم وغفلتهم عن سد ثغورهم
حتى اطل عدوهم الساعي لاطفاء نورهم يجوس خلال ديارهم ويستقري
بسايط بقاعهم ويقتطع كل يوم طرفا ويبيد امة ومن لدينا وحوالينا من اهل
كلمتنا صموت عن ذكرهم لهاة عن بثهم ما ان يسمع عندنا بمسجد من مساجدنا
او محفل من محافلنا مذكر لهم او داع فضلا عن نافر اليهم او ماش لهم حتى
كانهم ليسوا منا او كان بثقهم ليس بمنفض الينا • وقد بخلنا عليهم بالدعا
بخلنا بالغنا عجايب فاتت التقدير وعرضت للتغيير • ولله عاقبة
الامور واليه المصير انتهى ولقد صدق رحمه الله فانا لسبق سوى اليهم
جميعا كما ستراه ولا حول ولا قوة الا بالله وقال قبله ان بين نشر
هذه تناسختها قرون المسلمين منذ ثلاثماية وثلاث وستين سنة من عهد
الفتوح الاسلامية بجزيرة الاندلس فرسخ فيها الايمان • وتدورس القران
الى ان طرق الناعي بها قرطبتنا صدر رمضان من العام • فصك الاسماع
واطار الافيدة • وزلزل ارض الاندلس قاطبة وصير لكل شغلا يشغل الناس
في التحدث به والتفاته والتفكير لحلول مثله ايامنا ما لم ينادروا فيها
عاداتهم من استبعاد الوجل • والاغترار بالامل • والاستناد الى امرا الفرقة
الهمل • الذين هم منهم ما بين فشل وكل • يصدونهم عن سواء السبيل
ويلبسون عليهم وضوح الدليل • ولم تزل افة الناس منذ خلقوا في صنفين
هم كالملح فيهم الامرا والفقها بصلاحهم يصلحون • وبفسادهم يفسدون
فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا
بما لا كفاية له ولا مخلص منه • فالامرا القاسطون قد نكبوا على نهج الطريق
ذيادا عن الجماعة وجريا الى الفرقة والفقها ايمتهم صموت عنهم صدوف
عما اكده الله عليهم من التبيين لهم • قد اصبحوا ما بين اكل من حلوائهم
وخابط في اهوايهم • وبين مستشعر مخافتهم اخذ في التقية في صدقهم
ومم الاقلون فيهم فما العول في ارض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع اولئك
اغذيتها وما هي الا مشفية من بوارها • ولقد طما العجب من افعال هولاء

الامرا

الامرا لم يكن عندهم لهذه الحادثة الا الفزع لحفر الخنادق وتعلية الاسوار
وشد الاركان وتوثيق البنيان كاشفين لعدوهم عن السوأة السوآى من القايهم
يوميذ بايديهم اليه امور قبيحات الصدور مؤذنات الصدور باعجاز الغير
امور لو تدبرها حكيم • اذا لنهى وهيب ما استطاعا
انتهى باختصار ثم قال ابن حيان فلما كان عقب جمادى الاولى سنة سبع
وخمسين شاع الخبر بقرطبة برجوع المسلمين اليها وذلك ان احمد المقتدر ابن
هود المفرط فيها والملتهم على امثالها لاخوانهم الى اخيه صمد لها مع امداد
لخليفة عباد وسعى لاصمات سوء المقالة عنه وقد كتب الله عليه منها
ملا يمحوه الاعتذار فناهض العدو ببربشتر في جموع من المسلمين فجالد العدو
الكفار بها جلاد ارتاب منه كل جبان واعز الله اهل الحفيظة والشجعان
وحمي الوطيس بينهم الى ان نصر الله اولياءه وخذل اعداءه وولوا الادبار
مقتحمين ابواب المدينة فاقتحمها المسلمون عليهم وملكوهم اجمعين
الا من فر من مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فاجيل السيف في الكافرين
واستوصلوا اجمعين الا من استرق من اصاغرهم وفدى من اعاظمهم وسبوا
جميع من كان فيها من عيالهم وابنائهم وملكوا المدينة بقدرة الخالق
الباري واصيب على منحة النصر المتاح طايفة من حماة المسلمين الحادثين
في نصر الدين نحو الخمسين كتب الله شهادتهم وقتل فيه من اعداء الله الكافرين
نحو الف فارس وخمسة الاف راجل فغسلها المسلمون من رجس الشرك وجلوها
من صدا الافك انتهى وليت طليطلة الباكية استرجعت كهذه ومع هذا
علي فقد غلبنا العدو بعد الكل والله المرجو في الادالة وقال ابن اليسع اخذ العدو
مدينة طليطلة واخذها طرسونة سنة اربع وعشرين وخمسماية ولما صار
امر بلنسية الى الفقيه القاضي ابي احمد بن جحاف قاضيها صيرها الامير
المسلمين يوسف بن تاشفين فخصم بها القادر بن ذي النون الذي امكن
اذفونش من طليطلة فهجم عليه القاضي في لمة من المرابطين وقتله
ودفع ابن جحاف لما لم يعهد من تدبير السلطان ورجعت عنه طايفة
الملثمين الذين كان يعتد بهم وجعل يستصرخ الى امير المسلمين فيبطي عليه
وفي اثناء ذلك انهض يوسف بن احمد بن هود صاحب سرقسطة ردريق الطاغية
للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهد القاضي ابن جحاف واشترط عليه
احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذي النون واقسم انها ليست عنده فاشترط
عليه ان ان وجدها عنده قتله فاتفق ان وجدها عنده فاحرقه بالنار
وعاث في بلنسية وفيها يقول ابن خفاجة حينئذ

عاثت بساحتك الظبا يا دار • ومحا محاسنك البلا والنار
فاذا تردد في جنابك ناظر • طال اعتباره فيك واستعبار
ارض تقاذفت الخطوب باهلها • وتمخضت بخرابها الاقدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها • لا انت انت ولا الديار ديار

وكان استيلاء القنبيطور لعنه الله تعالى عليها سنة ثمان وثمانين واربعمائة وقيل في التي قبلها وبه جزم ابن الابار قايلا فتم حصار القنبيطور اياها عشرين شهرا وذكر انه دخلها صلحا وقال غيره انه دخلها واحرقها وعاث فيها وممن احرق فيها الاديب ابو جعفر بن البني الشاعر المشهور رحمه الله تعالى وعفي عنه ثم جهز امير المسلمين يوسف بن تاشفين الامير ابا محمد مزدلي ففتحها الله على يديه سنة خمس وتسعين واربعمائة ثم توالى عليها امراء الملثمين ثم صارت ليحيى بن غانية الملثم حين ولي جميع شرق الاندلس فقدم عليها اخاه عبد الله بن غانية ولما ثارت الفتنة في المائة السادسة اخرجه منها مروان بن عبد العزيز الى ان قام عليه جيش بلنسية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وبايعوا لابن عياض ملك شرق الاندلس ففر مروان الى المرية ثم رجعت بلنسية الى ابي عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس بعد ابن عياض فقدم عليها اخاه ابا الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش الى ان رجع ابو الحجاج الى جهة بني عبد المومن الى ان ولي عليها السيد ابو زيد عبد الرحمن بن السيد ابي عبد الله بن ابي حفص بن امير المومنين عبد المومن بن علي فلما ثار العادل بمرسية تمنع واعتز واظهر طاعة في باطنها معصية ودام على ذلك مع ابي العلي المامون وكان قد ابدا لاعنة المشار اليه في الدفاع على بلنسية الامير زيان بن ابي الحملات بن ابي الحجاج بن مردنيش فاخرجه من بلنسية وملكها وفر السيد الى النصارى ولم يزل امر بلنسية يضعف باستيلاء العدو على اعمالها الى ان حصرها ملك برشلونة النصراني فاستغاث زيان بصاحب افريقية ابي زكريا ابن ابي حفص واوفد عليه في هذه الرسالة كاتبه الشهير ابا عبد الله بن الابار القضاعي صاحب كتاب التكملة واعتاب الكتاب وغيرهما فقام بين يدي السلطان منشدا قصيدته السينية الفريدة التي فضحت من باراها وكبا دونها من جاراها وهي

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا • ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست • فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها • فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة اضحى اهلها جزرا • للحادثات وامسى جدها تعسا

في كل شارقة

في كل شارقة المام بايقة • يعود مأتمها عند العدى عرسا
وكل غاربة اجحاف نايبة • تثني الامان حذارا والسرور اسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم • الا عقايلها المحجوبة الانسا
وفي بلنسية منها وقرطبة • ما ينسف النفس او ما ينزف النفسا
مداين حلها الاشراك مبتسما • جذلان وارتحل الايمان مبتئسا
وصيرتها العوادي العابثات بها • يستوحش الطرف منها ضعف ما انسا
فمن دساكر كانت دونها حرسا • ومن كنايس كانت قبلها كنسا
يا للمساجد عادت للعدى بيعا • وللنداء غدا اثناءها جرسا
لهفي عليها الى استرجاع فايتها • مدارسا للمثاني اصبحت درسا
واربعا نمنمت ايدي الربيع لها • ما شيت من خلع موشية وكسا
كانت حدايقها للاحداق مونقة • فصوح النضر من ادواحها وعسا
وحال ما حولها من منظر عجب • يستجلس الركب او يستركب الجلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر وا حربا • عيث الدبا في مغانيها التي كبسا
وابتز بزتها مما تحيفها • تحيف الاسد الضاري لما افترسا
فاين عيش جنيناه بها خضرا • واين عصر جليناه بها سلسا
محا محاسنها طاغ اتيح لها • ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
ورج ارجاءها لما احاط بها • فغادر الشم من اعلامها خنسا
خلا له الجو فامتدت يداه الى • ادراك ما لم تطأ رجلاه مختلسا
واكثر الزعم بالتثليث منفردا • ولو راى راية التوحيد ما نبسا
صل حبلها ايها المولى الرحيم فما • ابقى المراس لها حبلا ولا مرسا
واحي ما طمست منها العداة كما • احييت من دعوة المهدي ما طمسا
ايام صرت لنصر الحق مستبقا • وبت من نور ذاك الهدي مقتبسا
وقمت فيها بامر الله منتصرا • كالصارم اهتز او كالعارض انبجسا
تمحو الذي كتب التجسيم من ظلم • والصبح ماحية انواره الغلسا
وتقتضي الملك الجبار مهجته • يوم الوغى جهرة لا ترقب الخلسا
هذي رسايلها تدعوك من كثب • وانت افضل مرجو لمن يئسا
وافتك جارية بالنجح راجية • منك الامير الرضى والسيد الندسا
خاضت خضارة يعليها ويخفضها • عبابه فتعانى اللين والشرسا
وربما سبحت والريح عاتية • كما طلبت باقصى شده الفرسا
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن ابي • حفص مقبلة من تربه القدسا
ملك تقلدت الاملاك طاعته • دينا ودنيا فغشاها الرضى لبسا

من كل غاد على يمناه مستلما • وكل صاد الى نعماه ملتمسا
مؤيد لو رمى نجما لاثبته • ولو دعا افقا لبى وما احتبسا
تالله ان الذي ترجى السعود له • ما جال في خلد يوما ولا هجسا
امارة يحمل المقدار رايتها • ودولة عزها يستصحب القعسا
يبدي النهار بها من ضوئه شنبا • ويطلع الليل من ظلمائه لعسا
ماضي العزيمة والايام قد نكلت • طلق المحيا ووجه الدهر قد عبسا
كانه البدر والعلياء هالته • تحف من حوله شهب القنا حرسا
تدبيره وسع الدنيا وما وسعت • وعرف معروفه واسى الورى واسا
قامت على العدل والاحسان دعوته • وانشرت من وجود الجود ما رمسا
مبارك هديه باد سكينته • ما قام الا الى حسنى ولا جلسا
قد نور الله بالتقوى بصيرته • فما يبالي طروق الخطب ملتبسا
برى العصاة وراش الطائعين فقل • في الليث مفترسا والغيث منبجسا
ولم يغادر على سهل ولا جبل • حيا لقاحا اذا وافيته بخسا
فرب اصيد لا تلفي به صيدا • ورب اشوس لا تلقى له شوسا
الى الملائك ينمى والملوك معا • في نبعة اثمرت للمجد ما غرسا
من ساطع النور صاغ الله جوهره • وصان صيقله ان يقرب الدنسا
له الثرى والثريا خطتان فلا • اعز من خطتيه ما سما ورسا
حسب الذي باع في الاخطار يركبها • اليه محياه ان البيع ما وكسا
ان السعيد امرؤ القى بحضرته • عصاه محتزما بالعدل محترسا
فظل يوطن من ارجائها حرما • وبات يوقد من اضوائها قبسا
بشرى لعبد الى الباب الكريم حدا • اماله ومن العذب المعين حسا
كانما يمتطي واليمن يصحبه • من البحار طريقا نحوه يبسا
فاستقبل السعد وضاحا اسرته • من صفحة فاض منها النور فانعكسا
وقبل الجود طفاحا غواربه • من راحة غاض فيها البحر وانغمسا
يا ايها الملك المنصور انت لها • عليا توسع اعدا الهدى تعسا
وقد تواترت الانباء انك من • يحيى بقتل ملوك الصفر اندلسا
طهر بلادك منهم انهم نجس • ولا طهارة ما لم تغسل النجسا
واوطئ الفيلق الجرار ارضهم • حتى يطاطئ راسا كل من راسا
وانصر عبيدا باقصى شرقها شرقت • عيونهم ادمعا تهمي زكا وخسا
هم شيعة الامر وهي الدار قد نهكت • داء متى لم تباشر حسمه انتكسا
فاملا هنيئا لك التاييد ساحتها • جردا سلاهب او خطية دعسا

واضرب

واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه • لعل يوم الاعادي قد اتى وعسى

فبادر السلطان باعانتهم وشحن الاساطيل بالمدد اليهم من المال والاقوات والكسى فوجدوهم في هوة الحصار الى ان تغلب الطاغية على بلنسية ورجع ابن الابار باهله الى تونس وكان تغلب العدو على بلنسية صلحا يوم الثلاثاء السابع عشر لصفر من سنة ست وثلاثين صلحا وستمائة فهزت هذه القصيدة من الملك عطف ارتياح وحركت من جنابه اخفض جناح • ولشغفه بها وحسن موقعها منه امر شعراء حضرته بمجاوبتها فجاوبها غير واحد وحال العدو بين بلنسية وتعاهد املها مع النصر على ان يشملهم في انفسهم وذلك سنة سبعة وثلاثين وستمائة اعادها الله للاسلام وكانت وقعة كتندة على المسلمين قبل هذا التاريخ بمدة وكتندة ويقال قتندة بالقاف من خيرة وزقر من عمل سرقسطة من الثغر الاعلى وكانت الهزيمة على المسلمين جبرهم الله قتل فيها من المطوعة نحو عشرين الفا ولم يقتل فيها من العسكر احد وكان على المسلمين الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي الف الفتح باسمه قلائد العقيان وكانت سنة اربع عشرة وخمسمائة وممن حضرها الشيخ ابو يوسف علي الصدفي السابق الذكر وقرينه في الفضل ابو عبد الله بن الفراء خرجا غازيين فكانا ممن فقد فيها وقال بعض احداث العسكر انصرفت مفلولا الى بلنسية وانا القاضي ابا بكر العربي كان ممن حضرها وسئل لخلصه منها عن حاله فقال حال من ترك الخباء والعباء وهذا مثل عند المغاربة معروف يقال لمن ذهبت ثيابه وخباؤه يعني انه ذهب جميع ما لديه ودخل العدو لوشة سنة اثنين وعشرين وستمائة مع السيد ابي محمد البياسي في الفتنة التي كانت بينه وبين العادل فعاثوا فيها اشد العيث ثم ردها المسلمون الى ان اخذت بعد ذلك كما ياتي ودخل العدو مدينة المرية يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاولى سنة اثنين واربعين وخمسمائة عنوة وحكى ابو زكريا الجعيدي عن ابي عبد الله بن سعادة الشاطبي المعمر ان ابا مروان بن ورد اتاه في النوم شيخ عظيم الهيئة فرمى يديه في عضديه من خلفه وهزه هزا عنيفا حتى رعبه وقال له قل •

الا ايها المغرور ويحك لا تنم • فلله في ذا الخلق امر قد انبهم
فلا بد ان يرزوا بامر يسوءهم • فقد احدثوا امرا على حاكم الامم

قال وهذا كان في سنة اربعين وخمسمائة فلم يمض الا يسير حتى تغلب الروم على المرية في سنة اثنين واربعين وخمسمائة بعد تلك الرؤيا بعامين او نحوهما انتهى ونحو ما حكاه ابن الابار الحافظ في كتاب التكملة له وفي وقعة المرية هذه استشهد الرشاطي الامام المشهور وهو ابو محمد عبد الله بن علي بن عبد

الله بن علي بن خلف بن احمد بن عمر اللخمي الرشاطي المريي وكانت له عناية كبيرة بالحديث والرجال
والرواة والتواريخ وهو صاحب كتاب اقتباس الانوار • والتماس الازهار • في نسب الصحابة
ورواة الاثار اخذه الناس عنه واحسن فيه وجمع وما قصر وهو على اسلوب كتاب ابي
سعد بن السمعاني الحافظ المسمى بالانساب وولد الرشاطي سنة ٤٦٦ بقرية من اعمال
مرسية يقال لها اوريوالة بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الرا وضم المثناة
التحتية وبعد الالف لام مفتوحة وبعدها هاء وتوفي شهيدا بالمرية عند تغلب
العدو عليها صبيحة الجمعة ٢٠ جمادي الاولى سنة ٥٤٢ والرشاطي بضم الرا وفتح
الشين المخففة وذكروا ان احد اجداده كان في جسمه شامة كبيرة وكانت حاضنته
عجمية فاذا لاعبته قالت رشاطة وكثر ذلك فقيل له الرشاطي انتهى ملخصا من وفيات
الاعيان وبعضه بالمعنى وبعد اخذ النصارى المرية هذه المرة رجعت الى ملك المسلمين
واستنقذها الله على يد الموحدين وبقيت بايدي اهل الاسلام سنين وكان اول
الولاة عليها حين استولى عليها امير المومنين عبد المومن بن علي رجلا يقال له يوسف
ابن مخلوف فثار عليه اهل المرية وقتلوه وقدموا على انفسهم الرميمي فاخذها
النصارى منه عنوة كما ذكرنا واحصي عدد من سبي من ابكارها فكان اربعة عشر الفا
وقال ابن جبيش اخر الحفاظ بالاندلس كنت في قلعة المرية لما وقع الاستيلا عليها
اعادها الله للاسلام فتقدمت الى زعيم الروم السليطين وهو ابن بنت الاذفونش
وقلت له اني احفظ نسبك منك الى هرقل فقال لي قل فذكرته له فقال لي اخرج
انت واهلك ومن معك طلقا بلا شي وابن جبيش شيخ ابن دحية وابن حوط الله وابي
الربيع الكلاعي رحمهم الله ولما اخذت المرية اقبل اليها السيدان ابو حفص
وابو سعيد ابنا امير المومنين عبد المومن فحصر النصارى بها وزحف اليهما ابو عبد
الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس محاربا لهما فكانا يقاتلان النصارى
والمسلمين داخلا وخارجا ثم راى ابن مردنيش العار على نفسه في قتالهم مع
كونهم يقاتلون النصارى فارتحل فقال النصارى ما رحل ابن مردنيش
الا وقد جاءهم مدد فاصطلحوا ورحلوا وتسلم الموحدون المدينة وخربت وضعفت
الى ان احيى رمقها الرئيس ابو العباس احمد بن كمال وذلك ان اخته اخذت
سبية في دخلة عبد المومن لبجانة فاحظت بقصره واعتنت باخيها فولاه بلده
فصلح به حالها وكان جوادا حسن المحاولة كثير الرفق واشتهر من ولاتها في
مدة بني عبد المومن في المائة السابعة الامير ابو عمران بن ابي حفص عم ملك
افريقية ابو زكريا ولما كانت سنة خمس وعشرين وستماية وثارت الاندلس
على مامون بني عبد المومن بسبب قيام ابن هود عرسية قام في المرية بدعوة
ابن هود ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي يحيى بن الرميمي وجده ابو يحيى

هو الذي

هو الذي اخذها النصارى من يده ولما قام بدعوة ابن هود وفد عليه بمرسية
وولاه وزارته وصرفها اليه سياسته وآل الامر معه الى ان اغراه بان يحصن قلعة
المرية ويجعلها له عدة وهو يبتغي ذلك عدة لنفسه ونزل ابن هود فيها جارية
تعلق ابن الرميمي بها واجتمع معها فبلغ ذلك ابن هود فبادر الى المرية وهو مضمر
الايقاع بابن الرميمي فتعدى به قبل ان يتعشى به واخرج من قصره ميتا ووجه في
تابوت في البحر الى مرسية واستبد ابن الرميمي بملك المرية ثم ثار عليه ولد واد
الامر بعد احوال الى ان تملكها ابن الاحمر صاحب غرناطة وبقيت في يد اولاده
بعده الى ان اخذها العدو الكافر عندما طوي بساط بلاد الاندلس كما سنبينه
عليه والله غالب على امره ومما احسن قول ابن اسحاق ابراهيم بن الدباغ الاشبيلي
في هزيمة العقاب باشبيلية •

وقايلة اراك تطيل فكرا • كانك قد وقفت لدى الحساب
فقلت لها افكر في عقاب • غدا سببا لمعركة العقاب
فما في ارض اندلس مقام • وقد دخل البلا من كل باب

وقول القايد ابي بكر بن الامير ملك شلب ابي محمد عبد الله بن وزير يخاطب منصور
بني عبد المومن وقد التقى هو واصحابه مع جماعة من الفرنج فتناصفوا ثم كان
الظفر للمسلمين •

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا • فمنا ومنهم طايحون عديد
وجال الغرار الهند فينا وفيهم • فمنا ومنهم قايم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف • وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا • كلانا على حر الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا • ومن يتبلد لا يزال يحيد
فولوا وللسمر الطوال بهامهم • ركوع وللبيض الرقاق سجود

وكان المذكور من فرسان الاندلس وكان ابنه الفاضل ابو محمد عمر منقصرا عنه فروسية
وقدرا وادبا وشعرا وولاه ناصر بني عبد المومن مدينة قصر ابي دانس في
الجهة الغربية وقتله ابن هود باشبيلية وزعم انه يروم القيام عليه
ومن شعره قوله في ابن صاحب اعمال اشبيلية •

لا ياس من الخلافة بعد ما • ولي ابن عمر خطة الاشراف
نبا الدهر هذا افعاله • يضع النواخ في يدي كتاف

رجع • ودخل العدو كورة ماردة من محمد بن هود سنة ست وعشرين
وستماية وكانت مفتتح المصايب على من اعادها الله للاسلام وهي قاعدة
بلاد الجوف في مدة العرب والعجم والحضرة المسجدة بعدها هي مدينة

بطليوس في بني ماردة وقرطبة خمسة ايام وملك بطليوس وماردة وما اليها المظفر محمد بن المنصور بن الافطس مشهور وهو من رجال القلائد والذخيرة وهو احد ملوك عصره غير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتاليف الفائق المترجم بالتذكرة المظفري خمسون مجلدا يشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع علوم الادب وقال يوما والله ما يمنعني من اظهار الشعر الا كوني لا اقول مثل قول ابي العشائر بن حمدان ●

اقرات منه ما تخط يد الوغى ● والبيض تشكل والاسنة تنقط

وقول ابي فراس بن عمه ●

وجدنا العوالي في مقام ● تحدث عنه ربات الحجال
كان الخيل تعلم من عليها ● ففي بعض على بعض تعالي

فاين هذا من قولي ●

انفت من المدام لان عقلي ● اعز علي من انس المدام
ولم ارتح الى روض وزهر ● ولكن للحمائل والحسام
اذا لم املك الشهوات قهرا ● فلم ابغي السمو على الانام

وله رحمه الله ●

يا لحظة زد فتورا ● تزد علي اقتدارا
فاللحظ كالسيف امضا ● ه ما يرق غرارا

وابنه المتوكل من رجال القلائد والمسهب وكان في حضرة بطليوس كالمعتمد ابن عباد باشبيلية ● قد اناخت الامال بحضرتهما ● وشدت رحال الاداب الى ساحتهما ● يتردد الامل لتضايل بينهما كتردد النواسم بين جنتين وينظر الادب منهما عن مقلتين والمعتمد اشعر والمتوكل اكتب رحم ● وقال الفاضل الكاتب ابو عبد الله محمد الفازازي وقيل انها وجدت برقعة جيبه يوم موته

الروم تضرب في البلاد وتغنم ● والجور ياخذ ما بقي والمغرم
والمال يورد كله قشتالة ● والجند تسقط والرعية تسلم
وذووا التعين ليس فيهم مسلم ● الا معين في الفساد مسلم
اسفي على تلك البلاد واهلها ● الله يلطف بالجميع ويرحم

وقيل ان هذه الابيات دفعت الى سلطان بلده فلما وقف عليها قال بعدما بكى صدق رحمه الله ولو كان حيا ضربت عنقه وهذا الفازازي اخو الشاعر الشهير الكاتب الكبير ابي زيد عبد الرحمن الفازازي صاحب الامداح في سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعضهم صاحب القلم الاعلى ● والقدح المعلى ● ابرع من الف وصنف ● وابدع من قرط وشنف ● قد طاع القلم لبنانه

والنظم

والنظم والنثر لبيانه ● كان نسيج وحده روية واختيارا ● ووحيد سجيته روية وابتكارا وفريد وقته خبرا واختبارا وصدر عصره ايرادا واصدارا ● صاحب فنون ورافع الوية علوم ● اما الادب فلا يشق فيه مضماره ولا يشق غباره ● ان شا انشى وشا سايل الطبع عذب النبع ● له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم بدايع قد خضع البيان لها وسلم ● اعجز بتلك المعجزات نظما ونثرا واوجز في تحبير تلك الايات البينات فجلا سحرا ● ورفع للقوافي راية استظهار تخير فيها الاظهر ● فخمس وعشر ● وشفع واوتر ● واما الاصول فهي من فروعه ● في منظومه ومنثوره مجموعه ● واما النسب فالى حفظه انتسب ● واما الايام والدول فهي تاريخه الاواخر والاول ● وقد سلك من هذه العلوم في منثوره وموزونه ● ما يشهد باضافتها الى فنونه ● وله سماع في الحديث ورواية وفهم بتوجيهه ودراية ● سمع من ابي الوليد يزيد بن عبد الرحمن بن بقي القاضي ومن ابي الحسن جابر بن احمد القرشي التاريخي ونحو من حدث عنه ومن ابي عبد الله التجيبي كثيرا وتوارد من سمع منه في حياة الحافظ ابي الطاهر السلفي اذ قدم عليهم تلمسان واجاز له الحافظ السهيلي وابن خلف الحافظ وغيرهما وولد بعد الخمسين والخمسماية وتوفي بمراكش سنة ٦٢٧ رحمه الله انتهى ملخصا رجع ولما ثارت الاندلس على طايفة عبد المومن كان الوالي بجزيرة ميورقة ابو يحيى بن ابي عمران التينملي فاخذها الفرنج منه كذا قال ابن سعيد وقال ابن الابار انها اخذت يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنة سبع وعشرين وستماية انتهى وقال المخزومي في تاريخ ميورقة ان سبب اخذها من المسلمين ان اميرها في ذلك الوقت محمد بن علي بن موسى كان في الدولة الماضية احد اعيانها ووليها سنة ست وستماية واحتاج الى الخشب المجلوب من يابسة فانفذ طريدة بحرية وقطعة حربية فعلم بها والي طرطوشة فجهز اليها من اخذها فعظم ذلك على الوالي وحدث نفسه بالغزو لبلاد الروم وكان ذلك رايا مشوما ووقع بينه وبين الروم وفي اخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وستماية بلغه ان مسطحا من برشلونة ظهر على يابسة ومركبا اخر من طرطوشة انضم اليه فبعث ولده في عدة قطع اليه حتى نزل مرسى يابسة ووجد فيه لاتل جفن ومركبا كبيرا فاخذه وسار حتى اشرف على المسطح فقاتله واخذه وظن انه غالب الملوك وغاب عنه ان الشام من عاقر الناقة وان الروم لما بلغهم الخبر قالوا لملكهم وهو من ذرية اذفونش كيف يرضى الملك بهذا الامر ونحن نقاتل بنفوسنا واموالنا فاخذ عليهم العهد بذلك وجمع عشرين الفا من اهل البلاد وجهز في البحر ستة عشر الفا وشرط عليها حمل السلاح وفي سنة ست وعشرين

وستمائة اشتهر امر هذه الغزوة فاستعد لها الوالي وميز منها على الف فارس من
فرسان الحضر والرعية مثلهم ومن الرجالة ثمانية عشر الفا وذلك في شهر ربيع
الاول من السنة ومن سوء الاتفاق ان الوالي امر صاحب شرطته ان يأتيه باربعة
من كبراء المصر فسافهم وضرب اعناقهم وكان فيهم ابنا خاله وخالها ابو حفص ابن
سيري ذو المكانة الوجيهة فاجتمعت الرعية الى ابن سيري فاخبروه بما نزل
وعزوه فيمن قتل وقالوا هذا امر لا يطاق • وعن كل يوم الى الموت نساق
وتعاهدوا على طلب الثار • واصبح الوالي يوم الجمعة منتصف شوال والناس
من خوفه في اهوال • ومن امر العدو في اهمال • فامر صاحب شرطته باحضار
خمسين من اهل الوجاهة والنعمة فلما حضرهم واذا بفارس على هيئة النذير
وكلل ودخل الى الوالي فاخبره بان الروم قد اقبلت وانه عد فوق الاربعين
من القلوع وما فرغ من كلامه حتى ورد اخر من جانب اخر وقال ان اسطول
العدو قد تظاهر وقال انه عد سبعين شراعا فصح الامر عنده فسرح اولئك
بالصفح والعفو وعرفهم بخبر العدو وامرهم بالتجهز فخرجوا الى دورهم كانما
نشروا من قبورهم ثم ورد الخبر بان العدو قرب من البلد فانهم عدوا مائة
وخمسين قلعا ولما عبر وقصد المرسى اخرج الوالي جماعة تمنعهم النزول
فباتوا على المرسى في الرجل والخيل في الثامن عشر من شوال وهو يوم الاثنين
وقع المصاف وانهزم المسلمون وارتحل النصارى الى المدينة ونزلوا
منها على الحربية من جهة باب الكحل ولم يزل الامر في شدة وقد اشرفوا على اخذ البلد
ولما راى ابن سيري ان العدو قد استولى على البلد خرج الى البادية ولما كان يوم
الجمعة الحادي عشر من صفر قاتلوا البلد قتالا شديدا ولما كان يوم الاحد
اخذ البلد واخرج منه اربعة وعشرون الفا فقتلوا على دم واحد واخذ الوالي
وعذب وعاش بعد ذلك خمسة واربعين يوما ومات تحت العذاب واما
ابن سيري فانه صعد الى الجبل وهو منيع لا يتاتى لمن تحصن فيه وجمع عنده ستة
عشر الف مقاتل وما زال يقاتل الى ان قتل يوم الجمعة عاشر ربيع الاخر سنة
ثمان وعشرين وستمائة وجد من الجبلة بن ابراهيم الغساني واما الحصون فاخذت
في اخر رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة وفي شهر شعبان لحق من نجا من المسلمين
الى بلاد الاسلام انتهى ما ذكره ابن عميرة المخزومي ملخصا وكان بميورقة جماعة
اعلام وشعراء ومن شعر ابن عميرة الوالي المخزومي •

هل امان من لحظك الفتان • وقوام يميل كالخيزران

مجتنى منك في جحيم ولكن • حيوني قد متعت في جنان

فتنتني لواحظ ساحرات • لست اخشى من فتنة الشيطان

ولما استولى

ولما استولى النصارى على ميورقة في التاريخ المتقدم نازلوا جزيرة منورقة
وكان وهي قريبة منها الجواد العادل العالم ابو عثمان سعيد بن حكم القرشي
وكان وليها من قبل الوالي ابي يحيى المقتول فتصالح مع النصارى على ضريبة
معلومة واشترط ان لا يدخل جزيرته احد من النصارى وضبطها احسن
ضبط وقال ابو الحسن علي بن سعيد اخبرني احد من اجتمع به انه لقي منه براحيب
اليه الاقامة في تلك الجزيرة المنقطعة وذكر انه ركب معه فنظر الى حمالة
سيف ضيقة قد اثرت في عنقه فامر له باحسان وغسان وكتب معه

حمالة السيف توهي جيد حاملها • لا سيما يوم اسراع واجفاز

وخيرها ما استعمل الانسان يومئذ • لحمل ثقلتها لباس غنباز

والغنباز عند اهل المغرب صنف من الملبوس غليظ يستر العنق واصل ابي
عثمان من مدينة طبيرة من غرب الاندلس وقد الفت باسمه التاليف المشهورة
بالمغرب ككتاب روح الشعر وروح الشحر وغيره واخذ العدو ميورقة بعد
مدة واخذ العدو جزيرة شقر صلحا سنة تسع وثلاثين وستمائة في اخرها
واخذ العدو دمره الله مدينة سرقسطة يوم الاربعاء الرابع خلون
من رمضان سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وكان استيلاء الفرنج على شرق
الاندلس شاطبة وغيرها واجلاؤهم من بلادهم من المسلمين فيما تغلبوا
عليه منها في شهر رمضان سنة خمس واربعين وستمائة وكان استيلاء العدو
دمره الله على مدينة قرطبة يوم الاحد الثالث والعشرين لشوال
سنة ست وثلاثين وستمائة وكان تملك العدو مرسية صلحا ظهر يوم
الخميس العاشر من شوال قدم احمد بن محمد بن هود ولده الى مرسية بجماعة
من وجوه النصارى فملكهم اياها صلحا ولا حول ولا قوة الا بالله وحصر
العدو اشبيلية سنة خمس واربعين وستمائة في يوم الاثنين الخامس
من شعبان للسنة بعدها ملكها الطاغية صاحب قشتالة صلحا
بعد منازلتها حولا كاملا وخمسة اشهر او نحوها وقال ابن الابار في ترجمة
ابي علي الشلوبين من التكملة ما صورته وتوفي بين يدي منازلة الروم
اشبيلية ليلة الخميس منتصف صفر سنة خمس واربعين وستمائة
وفي العام القابل ملكها الروم انتهى وكانت وقعة انيشة التي قتل
فيها الحافظ ابو الربيع الكلاعي رحمه الله تعالى يوم الخميس لعشر
بقين من ذي الحجة سنة اربع وثلاثين وستمائة ولم يزل رحمه الله
تعالى متقدما امام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا على العدو
ينادي بالمنهزمين اعن الجنة تفرون حتى قتل صابرا محتسبا برد الله

مضجعه وكان دايما يقول ان منتهى عمر سبعون سنة لرؤيا راها في صغره فكان كذلك ورثاه تلميذه الحافظ ابو عبد الله بن الابار بقصيدة الميمية الشهيرة التي اولها •

الما بالشلا العلي والمكارم • تقدم باطراف القنى والصوارم

وعوجا عليها مأربا ومفازة • مصارع غصت بالطلى والجماجم

تحيي وجوهها في الجنان وجيهة • مجاسد من نسج الظبا واللهاذم

وهي طويلة ومن شعر الحافظ ابي الربيع المذكور

توالت ليال للغواية جون • ووافى صباح للرشاد مبين

ركاب شباب ازمعت عنك رحلة • وجيش مشيب جهزته منون

ولا كذب لا رحمن فيما اجنه • وكيف ولا يخفى عليه جنين

ومن لم يخل ان الرياء يشينه • فمن مذهبي ان الرياء يشين

لعمري لقد ريع قلبي للشباب وفقده • كما ريع بالعلق العقيد ضنين

والمني وخط الشيب بلمتي • لحظت بقلبي للشجون فنون

وليل شبابي كان انضر منظرا • وانق بمرمي لاحظته عيون

فاها على عيش تكدر صفوه • وانس خلا منه صفي وجون

ويا ويح نودي اذ فوادي كلما • تزيد شيبي كيف بعد يكون

حرام على قلبي سكون بغرة • وكيف مع الشيب الملم سكون

وقالوا شباب المرء شعبة جنة • فما لي عراني للمشيب جنون

وقالوا شجاك الشيب حدثنا بما ارى • ولم تعلموا ان الحديث شجون

وقوله

امولى الموالي ليس غيرك لي مولى • وما احد يا رب منك بذا اولى

تبارك وجه وجهت نحوه المنى • فاوزعها شكرا واوسعها طولا

وما هو الا وجهك الدايم الذي • اقل حلى علياه تحرس القولا

تبرات من حولي اليك وقوتي • فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا

وهب لي الرضا ما لي سوى ذاك منية • ولو لقيت نفسي على نيله الهولا

وكان رحمه الله تعالى حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا للاحكام اساتيده ذاكرا للرجاله ريان من الادب خطب ببلنسية واستقضي وكان مع ذلك من اولي الحزم والبسالة والاقدام والجزالة حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وابلى البلا الحسن وروى عن ابي القاسم ابن حبيش وطبقته وصنف كتبا منها مصباح الظلم في الحديث والاربعون عن اربعين شيخا لاربعين من الصحابة والاربعون السباعية والسباعيات

من حديث

من حديث الصدفي وحلية الامالي في الموافقات والعوالي وتحفة الوراد ونجعة الرواد والمسلسلات والانشادات وكتاب الاكتفا في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي في الثلاثة الخلفا وميدان السابقين وحلية الصادقين المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله والمعجم فيمن وافقت كنيته زوجه من الصحابة والاعلام باخبار البخاري الامام والمعجم في مشيخة ابي القاسم ابن حبيش وبرنامج رواياته وجني الرطب في سني الخطب ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح والامتثال لمثال المنبهج في ابتداع الحكم واختراع الامثال ومفاوضة القلب العليل • ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل ومجاز فتيا اللحن للاحن الممتحن مايتا مسالة ملغزة ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم في مثال النعل النبوية على لابسها الصلاة والسلام قال ابن رشيد لو قال وزكاة النثير والنظيم لكان احسن وله كتاب الصحف المنشر في القطع المعشر وديوان رسايله سفر وديوان شعره سفر وكتب الى الاديب الشهير ابي بحر صفوان بن ادريس المرسي عتبا نقضا له من بلنسية سنة ٥٨٧

احن الى نجد ومن حل في نجد • وماذا الذي يغني حنيني او يجدي

وقد اوطنوها وادعين وخلفوا • محبهم رهن الصبابة والوجد

تبين بالبين اشتياقي اليهم • ووجدي فساوى ما اجن الذي ابدي

وضاقت علي الارض حتى كانه • وشاح بخصر او سوار على زند

الى الله اشكو ما الاقي من الجوى • وبعض الذي لاقيته من جوى يردي

فراقا خلا وصدا احبة • كانهم قد الدهر كانت على عهد

فيا سرحة بنجد نداء متيم • له ابدا شوق الى سرحتي نجد

ظميت فهل ظل يبرد لوعتي • ضحيت فهل ظل يسكن من وجدي

ويا زمنا قد بان عني مذمم • لعل الليالي قد نصرم من رد

ليالي نجني الانس من شجر المنى • ونقتطف زهر الوصل من شجر الصد

وسقيا الاخوان باكناف حاجر • كرام السجايا لا يحولون عن عهد

وكم لي بنجد من سري ممجد • ولا كابن ادريس اخي الشرف المجد

اخو همة كالزهر في بعد نيلها • وذو خلق كالزهر غب الحيا العد

تجمعت الاضداد فيه حميدة • فمن خلق سبط ومن حسب جعد

ايا راحلا اودى بصبري رحيله • وقلل من عزمي وثلم من حدي

اتعلم ما يلقى الفواد لبعدكم • الا مدنا يتم ما يعيد ولا يبدي

فيا ليت شعري هل تعود لنا المنى • وعيش كما نمنمت حاشيتي برد
عسى الله ان يدني السرور بقربكم • فيبدو منا الشمل منتظم العقد

انتهى وقال الحافظ القاضي ابو بكر بن العربي في احكام القران عند تفسير قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا اما صورته ولقد نزل بنا العدو قصمها الله سنة سبع وعشرين وخمسماية فجاس ديارنا واسر جيرتنا وتوسط بلادنا في عدد حدد الناس عدده وكان كثيرا وان لم يبلغ ما حددوه فقلت للوالي والمولى عليه هذا عدو الله قد حصل في الشرك والشبكة فلتكن عندكم بركة ولتكن منكم الى نصرة الدين المتعينة عليكم حركة • فليخرج اليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم احد في جميع الاقطار فيحاط بهم فانه هالك لا محالة ان يسركم الله له فغلبت الذنوب • ورجفت بالمعاصي القلوب • وصار كل احد من الناس ثعلبا ياوي الى وجار • وان راى المكيدة بجاره • فانا لله وانا اليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى ولا حول ان هذا كان قبل العدو وشرق الاندلس قسطه ومبرورقة وغيرها مما قدمنا ذكره والبدايات عنوان على النهايات

وقال ابو جعفر الوقشي البلنسي نزيل مالقة يمدح امير المومنين يوسف بن امير المومنين عبد المومن بن علي •

ابى عزمه بالخيل الا ورودا • وهامت به عذب الحمام ببرودا
وقالت لحاد بها الم زيادة • على العشر فورد له فازيدا
عليك من هذا التنوع وما انا • عهدتك لا تثنين عنه وريدا
اتونا اذا ما كنت منه قريبة • وضيا اذا ما كان عنك بعيدا
ردي حضرة الملك الجليل وقبلي • لعرى فيها تحمديه ورودا
بحيث امام الدين يوسع فضله • جميع البرايا مبتدا ومعيدا
اعاد علينا الانس بعد شروده • واحيى لنا ما كان منه ابيدا
ولين ايام الزمان بعدله • وكانت حديدا في الخطوب حديدا
فلا ليلة الا بروق حسنها • ولا يوم الا عاد يفضل عيدا

ومنها يصف حال الاندلس ويبعث على الجهاد

الا ليت شعري هل يمد لي المدى • فابصر شمل المشركين طريدا
وهل بعد تقضى في النصارى نصرة • تغادرهم للمرهفات حصيدا
ويغزو ابو يعقوب في شنت ياقب • بعيد عميد الكافرين عميدا
ويلقى على افريجهم عبء كلكل • فيتركهم فوق الصعيد هجودا
يغادرهم جرحى وقتلى مرجا • ركوعا على وجه الثرى وسجودا
وتفتك من ايدي الطغاة نواعما • تبدلن من نظم الحجول قيودا

واقبلن

واقبلن في خشن المسوح وطالما • سحبن من الوشي الرقيق برودا
وعوضهن التراب ترابيا • وخددهن النجيع خدودا
تخوفهم امنيتي ان يبيض لا زرق • عليك ما ادمع المدامع سودا
ويا لهف نفسي من معاصم طفلة • تجاور بالقد الاليم نهودا
ويا اسفي ما انزل المسرودا • على سمل اعيا داعيد بديدا
ولها تمد الصوت منتحبا على • خلو ديارا وتكون مشيدا

وقال في اخرها وهو مما استحسنه الناس

حملت اليه من نظامي قلادة • يلقبها اهل الكلام قصيدا
غدت يوم انشاد القريض وحيدة • كما قصدت في المعلوات قصيدا

ولما تمهدت الاندلس لعبد المومن وبنيه كان لهم فيها وقايع مع عدو الدين
واحتاجوا اليها عبد المومن وبنيه كان لهم فيها وقايع مع عدو الدين ثم ولي بعد ملكه ابنه يوسف دخل الاندلس سنة ٥٦٦ وفي صحبته ماية الف فارس من العرب والموحدين فنزل باشبيلية فخافه الامير ابو عبد الله محمد ابن سعد بن مردنيش صاحب شرق الاندلس مرسية واعمالها وما انضاف اليها فحمل على قلبه فمرض فمات وشرع السلطان يوسف في استرجاع بلاد المسلمين من ايدي الفرنج فاتسعت مملكته بالاندلس واغارت سراياه على طليطلة اذ هي قاعدة ملكهم ثم انه حاصرها فاجتمعت طائفة الفرنج عليه واشتد الغلاء في عسكره فرحل عنها وعاد الى حضرة ملكه مراكش المحروسة ولم يزل اهل الاندلس بعد ظهور النصارى دمرهم الله تعالى على كثير منها يستنهضون عزايم الملوك والسوقة لاخذ الثار بالنظم والنثار • فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق • واعضل الدا اهل الغرب والشرق • فمن القصايد الموجهة في ذلك قول بعضهم لما اخذت بلنسية يخاطب صاحب افريقية ابا زكريا ابن عبد الواحد بن ابي حفص

نادتك اندلس فلب نداءها • واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فاحبها • من عاطفاتك ما يقي حوباءها
واشدد بجلبك جرد خيلك ازرها • ترد على اعقابها ارزاءها
هي دارك القصوى اوت لايالة • ضمنت لها مع نصرها ايواءها
وبها عبيدك لا بقاء لهم سوى • سبل الضراعة يسلكون سواءها
خلعت قلوبهم هناك عزاءها • لما رات ابصارهم ما ساءها
دفعوا لابكار الخطوب وعونها • فهم العداة نصب بروز عناءها
وتنكرت لهم الليالي فاقتضت • سراءها وقضتهم ضراءها

تلك الجزيرة لا انثناء لها اذا • لم ينصر الفتح القريب بقاؤها
رشراشها المولى لترحيم جناحها • واعتد بارشية النجاة رشاءها
اشفى على طرف الحياة ذماؤها • فاستبق للدين الحنيف ذماءها
حاشاك ان تفني حشاشتها وقد • قصرت عليك نداءها ورجاءها
طافت بطائفة الهدى آمالها • ترجو بيحيى المرتضى احياءها
واستشرفت امصارها لامامة • عقدت لنصر المستضام لواءها
ياحسرتى لعقائل معقولة • سئم الهدى نحو الضلال هداءها
ايه بلنسية وفي ذكراك ما • يمري الشؤون دماءها لا ماءها
كيف السبيل الى احتلال معاهد • شب الاعاجم دونها هيجاءها
والى ربى واباطح لم تغترب • خطط الربيع مصيفها وشتاءها
طاب المسير والمقيل خلالها • وتطلعت غرر المنى اثناءها
بابي مدارس كالطلول دوارس • نسخت نواقيس الصليب نداءها
ومصانع كسف الضلال صباحها • فيخاله الرائي اليه مساءها
راحت لها الورقاء تسجع شجوها • وغدت ترجع نوحها وبكاءها
عجبا لاهل النار حلوا جنة • منها تمد عليهم افياءها
املت لهم فتعجلوا ما املوا • ايامهم لا سوغوا املاءها
بعدا لنفس ابصرت اسلامها • فتوكفت عن حزنها اسلاءها
اما العلوج فقد احالوا حالها • فمن المطيق علاجها وشفاءها
اهدى اليها بالمكاره جارح • للكفر كدر ماءها وهواءها
وكفى لسانا ان نواجم حية • فتى اسوها اسواءها
هيهات في نظر الامارة كفها • تخشاه ليت الشكر كان ذكاءها
مولاي هاك معادة ابناءها • لتنيل منك سعادة ايتاءها
جرد ظباك لمحو آثار العدى • تقتل ضراغمها وتستبيح ظباءها
واستدع طائفة الامام لغزوها • تسبق الى اشلائها استدعاءها
لا غرو ان يعزى الظهور لعلة • لم يبرح اودى الورى ظهراءها
ان الاعاجم للاعارب نهبة • مهما امرت بغزوها احياءها
تالله لو دببت لها دبابها • لطويت عليها ارضها وسماءها
ولو استقلت عوفها لقتالها • لاستقبلت بالمقربات عفاءها
ارسل جوارحها تجئك بصيدها • صيدا وناد لطحنها ارحاءها
هبوا لها يا معشر التوحيد قد • آن الهبوب واحرزوا علياءها
ان الحفائظ من خلالكم التي • لا يرتضي الداعي لهن خلاءها

هي نكتة

هي نكتة المحيى فجهلا لها (?) • تجدوا سناها في غد وسناءها
اولوا الجزيرة نصرة ان العدى • تبغي على اقطارها استيلاءها
نقضت بامل الشرك من اطرافها • فاستحفظوا بالمومنين عناءها
حاشاكم ان تطمروا انباءها • في ازمة او تضمروا اقصاءها
خوضوا اليها بحرها يصبح لكم • رهوا وجوبوا نحوها بيداءها
وابى الصريخ مثوبا يدعو لها • فلتجملوا احصد الثواب ثواءها
دار الجهاد فلا تفتكم ساحة • ساوت بها احيارها شهداءها
هذي رسائلها تناجي بالتي • وقفت عليها ربها ونجاءها
ولربما انهت سوالب للنهى • من كائنات حملت انهاءها
وفدت على الدار العزيزة تجتلي • آلاءها وتجتلي آراءها
مستشفيات من غيوث غياثها • ما وقعه تتقدم استسقاءها
فتأمنت في سبلها اهواؤها • اذ سوغت في ظلها امواهها
وبحسبها ان الامير المرتضى • مترقب بفتوحها انباءها
في الله ما يوتيه من اذكارها • بكلاءة تغنى بها اكلاءها
لتبرى الاندلس تحت لقائه • ويجيب في ذات الاله لقاءها
صدق الرواة المخبرون بانه • يشفي ضناها او يعيد رواءها
اذ دوخ الدنيا الصعاب مقدم • وابى عليها ان تطيع اباءها
فكان بغلقة العزيز فالعتا • هام الاعاجم ناسفا ارجاءها
انذرهم بالبطشة الكبرى فقد • نذرت صوارمه الرقاق دماءها
لا يعدم الزمن انتصار مؤيد • تتسوغ الدنيا به سراءها
ملك امد النيرات بنوره • وافاده لالاءه لالاءها
خضعت جبابرة الملوك لعزه • ونضت بكف صغارها خيلاءها
ابقى ابو حفص امارته لها • فسما اليها حاملا اعباءها
سل دعوة المهدي عن آثاره • تنبيك ان ظباه فض ازاءها
فغزا عداها واستقر قذالها • وحمى حماها واسترد بهاءها
قبضت يداه على البسيطة قبضة • قادت له في قبضة امراءها
فعلى المشارق والمغارب ميسم • لهداه من فوق سمه اسماءها
نظموا ايتونيها بجاد جيوشه • فيروز من احزموجها زوراءها
وسع الزمان فضاق عنه جلالة • والارض طرا ضنكها وفضاءها
ما انفع الابناء في اكنافها • الا بفضل عزمه زعماءها
دانت له الدنيا وشم ملوكها • فاحتل من رتب العلى شماءها

ردت سعادته على ادراجها • لنيل الزمانة نهنهت غلواها
ان نعيتم لدولة العزيز باسه • فلان يولي جوده اعطاءها
تقع الجلائل وهو راس رامخ • فيها يوقع للسعود جلاءها
كالطود في عصف الرياح وقصفها • لا رهوها يخشى ولا نوجاها
سامي الذوائب في اعز ذوابة • اعلت على قمم النجوم بناءها
بركت بكل محلة بركاته • سقيا تبادر بذلها استسقاءها
كالغيث صب على البسيطة صوبه • فسقى عمائرها وجاد قواءها
يمنه عندنا لواحد الارضين لي • عليا فيجمع باسها وسخاءها
في منعة كرمت وطابت مغرسا • وسمت وطالت نبعة نظراها
طهرت لمحتدها السما وجاورت • سرادقات فخارها جوزاءها
فيه كرام لا تكف عن الوغى • حتى تضرع حولها اكفاءها
وتكب في نار القرى فوق الذرى • من عز الويها وكباءها
قد خلقوا الايام طيب خلايق • فثنت اليهم حمدها وثناءها
يتضون في طلب النفائس انفسا • حسبوا على احرازها امضاءها
واذا انتضوا يوم الكريهة سيفهم • ابصرت فيهم قطعها ومضاءها
لا عذر عند المكرمات لهم متى • لم ينتسبن لعفاتهم عذراها
قوم الامير فتى تقوم بما لهم • من صالحات اعجزت شعراءها
صنعا جميلا ايها الملك الرضى • عن محكمات لم نطق احصاءها
تقفا المتوافي دونهن حسيرة • لا عيها تخفي ولا اعياءها
فلمثل علياكم تسامح راجيا • اصغاءها ومؤملا اغضاءها

ومن ذلك قول بعضهم يندب طليطلة اعادها الله •

لثكلك كيف تبتسم الثغور • سرورا بعدما سبيت ثغور
اما وابي مصاب هد منه • ثبير الدين فاتصل الثبور
لقد قصمت ظهور حين قالوا • امير الكافرين له ظهور
ترى في الدهر مسرورا بعيش • مضى عنا لطيته السرور
اليس بها ابي النفس شهم • يدير على الدوائر اذ تدور
لقد خضعت رقاب كن غلبا • وزال عتوها ومضى النفور
وهان على عزيز القوم ذل • وسامح في الحريم فتى غيور
طليطلة اباح الكفر منها • حماها ان ذا نبا كبير
فليس مثالها ايوان كسرى • ولا منها الخورنق والسدير
محصنة محسنة بعيد • تناولها ومطلبها عسير

المتك

الم تك معقلا للدين صعبا • فذلله كما شاء القدير
واخرج اهلها منها جميعا • فصاروا حيث شاء بهم مصير
وكانت دار ايمان وعلم • معالمها التي طمست تنير
فعادت دار كفر مصطفاة • قد اضطربت باهليها الامور
مساجدها كنائس اي قلب • على هذا يقر ولا يطير
فيا اسفاه يا اسفاه حزنا • يكرر ما تكررت الدهور
وينشر كل حزن ليس يطوى • الى يوم يكون به النشور
اديلت قاصرات الطرف كانت • مصونات مساكنها القصور
وادركها فتور في انتظار • لسرب في لواحظه فتور
وكان بنا وبالقينات اولى • لو انضمت على الكل القبور
لقد سخنت بحالتهن عين • فكيف يصح مغلوب قرير
لئن غبنا عن الاخوان انا • باحزان واشجان حضور
نذور كان للايام فيهم • بمهلكهم فقد وفت النذور
لئن قلنا العقوبة ادركتهم • وجاءهم من الله النكير
فانا مثلهم واشد منهم • نجور وكيف يسلم من يجور
انامن ان يحل بنا انتقام • وفينا الفسق اجمع والفجور
واكل للحرام ولا اضطرار • اليه فيسهل الامر العسير
ولكن جراة في عقر دار • كذلك يفعل الكلب العقور
يزول الستر عن قوم اذا ما • على العصيان ارخيت الستور
يطول علي ليلي رب خطب • يطول لهوله الليل القصير
خذوا ثار الديانة وانصروها • فقد حامت على القتلى النسور
ولا تهنوا وسلوا كل عضب • تهاب مضاربا عنه النحور
وموتوا كلكم فالموت اولى • بكم من ان تجاروا او تجوروا
اصبرا بعد سبي وامتحان • يلام عليهما القلب الصبور
فام الثكل مذكار ولود • وام الصقر مقلات نزور
نخور اذا دهينا بالرزايا • وليس بمعجب بقر تخور
وجبن بني نزار لو سمحنا • ولم نجبن لكان لنا زئير
لقد ساءت بنا الاخبار حتى • امات المخبرين بها الخبير
اتتنا الكتب فيها كل شر • وبشرنا بانحسنا البشير
وقيل تجمعوا لفراق شمل • طليطلة تملكها الكفور
فقل في خطة فيها صغار • يشيب لكربها الطفل الصغير

لقد صم السميع فلم يعول • على نباء كما عمي البصير
تجادبنا الاعادي باصطناع • فيجذب المخول والفقير
بباق في الديانة تحت خزي • تثبطه الشوبهة والبعير
واخر مارق هانت عليه • مصايب دينه فله السعير
كفي خزنا بان الناس قالوا • الي اين التحول والمسير
انترك دورنا ونفر عنها • وليس وراء البحر دور
ولا ثم الضياع تروق حسنا • نباكرها فيعجبنا البكور
وظل وارف وخرير ماء • فلا قر هناك ولا حرور
وظل وارف وخرير ماء • فلا قر هناك ولا حرور
ويوكل من فواكهها طري • ويشرب من جداولها نمير
يودي مغرم في كل شهر • ويوخذ كل صايفة عشور
فهم احمي لحوزتنا واولي • بنا وهم الموالي والعشير
لقد ذهب اليقين فلا يقين • وغر القوم بالله الغرور
فلا دين ولا دنيا ولكن • غرور بالمعيشة ما غرور
رضوا بالرق يالله ماذا • راه وما اشار به مشير
مضى الاسلام فابك دما عليه • فما ينفي الجوي الدمع الغزير
ونح واندب رفاقا في فلاة • حيارى لا تحط ولا تسير
ولا تجنح الي سلم وحارب • عسى ان يجبر العظم الكسير
اننعي عز اسدنا جميعا • وما ان منهم الا بصير
ونلقي واحدا ويفر جمع • كما عن قانص فرت حمير
ولو انا ثبتنا كان خيرا • ولكن ما لنا كرم وخير
اذا ما لم يكن صبر جميل • فليس بنافع عدد كثير
الا رجل له راي اصيل • به مما نحاذر نستجير
يكر اذا السيوف تناولته • واين بنا اذا ولت كرور
ويطعن بالقنا الخطار حتى • يقول الرمح ما هذا الخطير
عظيم ان يكونا الناس طرا • باندلس قتيل او اسير
اذكر بالقراع الليث حرصا • على ان يقرع البيض الذكور
يبادر خرقها قبل اتساع • لخطب منه تنخسف البدور
يوسع للذي يلقاه صدرا • فقد ضاقت بما تلقي صدور
تنغصت الحياة فلا حياة • وودع جيرة اذ لا مجير
فليل فيه هم مستكن • ويوم فيه شر مستطير

ونرجوا

ونرجوا ان يتيح الله نصرا • عليهم انه نعم النصير
ومن مشهور ما قيل في ذلك قول الاديب الشهير ابو البقا صالح بن شريف الرندي رحمه الله تعالى •
لكل شي اذا ما تم نقصان • فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول • من سره زمن ساته ازمان
وهذه الدار لا تبقي على احد • ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة • اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفنا ولو • كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
اين الملوك ذوو التيجان من يمن • واين منهم اكاليل وتيجان
واين ما شاده شداد في ارم • واين ما ساسه في الفرس ساسان
واين ما حازه قارون من ذهب • واين عاد وشداد وقحطان
اتى على الكل امر لا مرد له • حتى قضوا فكان القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك • كما حكي عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله • وام كسرى فما اواه ايوان
كانما الصعب لم يسهل له سبب • يوما ولا ملك الدنيا سليمان
فجايع الدهر انواع منوعة • وللزمان مسرات واحزان
وللحوادث سلوان يسهلها • وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة امر لا عزاء له • هوى له احد وانهد ثهلان
اصابها العين في الاسلام فامتحنت • حتى خلت منه اقطار وبلدان
فاسال بلنسية ما شان مرسية • واين شاطبة ام اين جيان
واين قرطبة دار العلوم فكم • من عالم قد سما فيها له شان
واين حمص وما تحويه من نزه • ونهرها العذب فياض وملان
قواعد كن اركان البلاد فما • عسى البقاء اذا لم تبق اركان
تبكي الحنيفية البيضاء من اسف • كما بكى لفراق الالف هيمان
على ديار من الاسلام خالية • قد اقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنايس ما • فيهن الا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة • حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلا وله في الدهر موعظة • ان كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه • ابعد حمص تغر المرء اوطان
تلك المصيبة انست ما تقدمها • وما لها مع طول الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة • كانها في مجال السبق عقبان

وراء بحر البحر في دعة • لهم باوطانهم عز وسلطان
اعندكم نبأ من اهل اندلس • فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم • قتلى واسرى فما يهتز انسان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم • وانتم يا عباد الله اخوان
الا نفوس ابيات لها همم • اما على الخير انصار واعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم • احال حالهم كفر وطغيان
بالامس كانوا ملوكا في منازلهم • واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم • عليهم من ثياب الذل الوان
ولو رايت بكاهم عند بيعهم • لهالك الامر واستهوتك احزان
يا رب ام وطفل حيل بينهما • كما تفرق ارواح وابدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت • كانما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة • والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد • ان كان في القلب اسلام وايمان

انتهت القصيدة الغريبة ويوجد بايدي الناس فيها زيادات فيها ذكر غرناطة وبسطة وغيرهما مما اخذ من البلاد بعد موت صالح بن شريف وما اعتمدته منها نقلته من خط بعض من يوثق به على ما كتبته ومن له ادنى ذوق علم ان ما يزيدون فيها من الابيات ليست تقاربها في البلاغة وغالب ظني ان تلك الزيادة لما اخذت غرناطة وجميع بلاد الاندلس اذ كان اهلها يستنهضون هم الملوك بالمشرق والمغرب فكان بعضهم لما اعجبته قصيدة صالح بن شريف زاد فيها تلك الزيادة وقد بينت ذلك في ازهار الرياض فليراجع وصالح بن شريف الرندي صاحب القصيدة من اشهر ادباء الاندلس ومن بديع نظمه قوله

سلم على الحي بذات العرار • وحي من اجل الحبيب الديار
وخل من لام على حبهم • فما على العشاق في الذل عار
ولا تقصر في اغتنام المنى • فما الياليالي الانس الا قصار
وانما العيش لمن رامه • نفس تدارى وكوس تدار
ودوحة الراح وريحانه • في طيبه بالوصل او بالعقار
لا صبر للشيء على ضده • والخمر والهم كماء ونار
مدامة مدنية للمنى • في رقة الدمع ولون النضار
مما ابو ريق ابا ريقها • تنافست فيها النفوس الكبار
معلتي والبرء من علتي • ما اطيب الخمرة لولا الخمار
ما احسن النار التي شكلها • كانما تو كشف شرار الشرار

وبي

وبي وان عذبت في حبه • ببعده على اقتراب المزار
ظبي غرير نام عن لوعتي • ولا اذوق النوم الا غرار
ذو وجنة كانها روضة • قد بهر الورد بها والبهار
رحت لمعشوقه في حبه • وطاعة اللهو وخلع العذار
يا قوم قولوا بذمام الهوى • امثل ذا يفعل حب الصغار
وليلة بتنا اجتنا بها • والفجر قد فجر نهر النهار
والليل كالمهزوم يوم الوغى • والشهب مثل الشهب عند الفرار
كانما استخفي السها خيفة • وطولب النجم بثار فثار
لذاك ما شابت نواحي الدجى • وطارح النسر اخاه فطار
وفي الثريا قمر سافر • عن غرة غيرتها السفار
كان عنقودا تثنى به • اذ صار كالعرجون عند السرار
كانها تشبك دينارة • وكفها يفتل منه السوار
كانما الظلماء مظلومة • تحكم الفجر عليها فجار
كانما الصبح لمشتاقه • عزعني من بعد ذل افتقار
كانما الشمس وقد اشرقت • وجه ابي عبد الاله استنار
محمد محمد كاسمه • تخص له في كل معنى يشار
اثنا المعالي هو قطب لها • والقطب لا شك عليه المدار
مؤثل المجد صريح العلى • مهذب الطبع كريم النجار
تزهى به لحم وساداتها • وتنتمي قيس له في النجار
يفيض من جود يديه على • عافيه ما فيه تحار البحار
اليمن من يمناه حكم جرى • واليسر من شيمة تلك اليسار
اخ صفا منه لنا واحد • فالدهر مما قد جنا في اعتذار
فان شكرنا فضله مرة • فقد شكرنا من نداه مرار
ونحن منه في جوار العلى • تدور للسعد بنا منه دار
الحافظ الله واسماؤه • لذلك الجار وذاك الجوار

رجع وقد رايناان نثبت هنا رسالة خاطب بها الكاتب البارع القاضي ابو المطرف بن عميرة المخزومي الشيخ الحافظ ابا عبد الله بن الابار يذكر له العدو مدينة بلنسية ونص

الا فياة للدهر تدنو ابعدنا • وبغيا يرى منها خلافا الذي راى
ويا من يذري منه بعد مزاوي • اليه ولا يدري سوى خلف من وراي
ذخائر ما في البر والبحر صيغة • فلا لؤلؤا ابقى عليه ولا راي

ايها الاخ الذي دهش فاطري لكتابه • نتعمانا حبش خاطري من اجنايره • وسري
من تبشره اعاض • نتعمانا سا في من جهته اعراض • جرت على ذكر الصلة فنوم
قدح نبعتها • وروي اكناف قلعتها • واحدث ذكرا من عهدنا الماضي نسط
وجه عروسه • وتشعشع خمر كوسه • وسقي بماء الشبيبة ثراه • وابرز مثل
مراة • فبورك فيه احوذيا وصل برحمه • وكسي منظره من البهجة ما كان حرمه
وحي الله منه وليا • علي سالف عهدي تمادي • وبشعار ودي نادي • ومن
والاحسان شيمته • وابانوا البيان لا تنجاب عنه ديمته • ولا تغلوا بغير
قلمه قيمته • واعتذر عن كلمة تمتني بتبديلها • ودعوة ذكر • وجوم النادي لها
ثم ارسلها ترجف بوادرها من خيفته • ولو غر رغم صدر قلم وصحيفته • وتندر
من ريحانة قريش ان غنغنة عرفها • رغم صدر قلم وصحيفه • وتندر من ريحانة
قريش وتحدق اليه طرفها • واتقي غارة علي عزة من الناجي براس طمر • ولم
يامن هجران المهاجر بعد وصله • وعكر عكرمة المنطي بجلبه علي ابي جهله
وعند ذكر كتيبة خالد الداجم • وذكر يوم احاطت به فارس فاستلحم • فاعتذر
عما قال • واحمد الحذر الا ان نيال • فمهلا ايها الموفي علي علمه • الناث بسحر
قلمه • اتظن منزلتك في البلاغه • ومنشيها الاحب • ومترعها بالعقول
لاعب • سفل وقد ترفعت • اوتخفي وان تلفعت • عرفناك يا سوده • وشهرت
حلة عطارد الملاحة والجوده • فلم حين نهيب الاخ الاوحد من قصي عطاريفها
ولو استشار من خفا يظها تالدها وطريفها • لم يذكر يد قومه عند ابيها
وقد رام خطة اشرف علي تابيها • حين هاب مكم لهمه • ودعا منكم اخاه
لامته • ولولا ذلك لما خلا له وجه الكعبة • ولا اخلص من تلك المضايق
الحنفية • وبانا هو نحو تجد نكم الموصوفة غلب علي ما كان بايدي صوفه
فكيف تجحد اليد عند عمنا • او نشحذ اسنة الالسنة لذمنا او كيف نلقاكم
بحدنا • وابوكم بكر معدنا • وما تيامنكم الي سبا ابن يشجب • وان اطلنا فيه
النجب • بالذي يقطع ارحامنا • ويمنع اشتباكها والتحامنا • بعدان شدد نا
فعالنا بفعالكم • ورانيا اقدامكم في نعالكم • ولو شيتم لو عددتم باسوده
مسودكم عند الاقدام • والحاح الحافكم في ضرب الهام • لكن نقول ان قومنا
لكرام • ولو شاوا كان لنا منهم شرع وعرام • واعود من حيث بدا الاخ الذي
ابنه شوقي • واتطعم حلاوة عزيته باقية في حاسة ذوقي • طارحني
حديث مورد جف • وقطين خف • فيالله لاتراب • درجوا • واصحاب
عن الاوطان خرجوا • قصت الاجنحة وقيل طيروا • وانما نووا للنقل والا
او سيروا • فتفرقوا ايدي سبا • وانتشروا ملي الوهاد • والربي فني

كل جانب

كل جانب عويل وزفير • ويكل صدر غليل وحسر • ولكل عين عبره • لا ترقا
من اجلها عبره • داخا مر بلادنا حين اتاها • وما زال بها حتي سجي علي موتاها
وسجي لبوثها الاطول كهلها وفتاها • واندرها في العموم بحزانا نيجه • بيوم
اثاروا اسدها المهيجة • فكانت تلك الحطمة طل الشؤبوب • وبا كورة
البلا المصبوب • اثكلتنا اخوانا ابكانا نعيهم • ولله احوذيهم والمعيهم
ذاك ابو ربيعنا • وشيخ جميعنا • سعد بشهادة يومه • ولم ير ما يسوءه
في اهله وقومه • وبعد ذلك اخذ من الام بالمحق المتحقق • ومني بلنسية
ذات الحسن والبهجة والرونق • وما لبثنا ان خرس من مسجدها لسان الاذان
واخرج من جسدها روح الايمان • فبرح الخفا • وقيل علي اثار من ذهب العفا
وانعطفنا النوآيب مفردة ومركبة كما نعطف الفا • فاودت الخفة والحصافة
وذهب الجسر والرصافة • ومزقت الحلة والشملة • واوحشت الحرف والرملة
ونزلت بالحارة وقعة الحرة • وحصلت الكنيسة من جاذرها وظبابيها • علي
طول الحسرة • فاين تلك الخمايل ونضرتها • والجداول وخضرتها • والاندية
وارجها • والاودية ومنعرجها • والنواسم وهبوب مبتلها • والاصايل
وشحوب معتلها • داز ضاحكت الشمس بحرها وبحيرتها • وازهار تري من
ادمع الطل في اعينها ترددها وحيرتها • ثم زحفت كتيبة الكفر بزرقها
وشقرها • حتي احاطت بجزيرة شقرها • فاها للمسقط الراس هوي نجمه ولفتا
الخطب سري كلمه • ويا لجنة اجري الله النهر تحتها • وروضة احيانا بواسحاق
نعتها • وانما كانت داره التي فيها دب • وعلي اوصاف محاسنها اكب •
وفيها انشا منيته كما نشا واحب • ولم نتقدم بعده مجيبي فتشبيهم اليها ساقوه
ودمعهم عليها اراقوه • وقد ابثت من النظم ما يليق بهذا الموضع وان لم
يكن له ذلك الموقع

اقلوا ملامي وفقولوا واكثروا • ملومكم عما به ليس يقصر
وهل عرضت ما تثني غيراته • اذا اصعدت انفاسه تتحدر
يحن وما يجدي عليه حنينه • الي ربع معمور وفيها متنكر
ويندب عهدا بالمشقر فاللوي • واين اللوي منه واين المشقر
تغير ذاك العهد بعدي واهله • ومن ذا علي الايام لا يتغير
واقفر رسم الدار الا بقية • لسايلها عن مثل حالي يخبر
فلم تبق الا زفرة اثر زفرة • ضلوعي لها تنقد او تتفطر
والا اشتياق لا يزال يهزني • فلا غاية تدنوا ولا هو يفتر
اقول للساري البرق في جنح ليلة • كلانا بها قذيات يبكي ويسهر

نعرض بحيا ازا فكان مذكرا • بعهد النوى والشيء بالشيء يذكر
اناديك لقلب مثل قلبك خافق • ودمع سفوح مثل قطرك يقطر
وتحمل انفاسا كومضك نارها • اذا رفعت تنيد ولم تتستر
بقر بعيني اذا غابن من نابي • لما ابصرته منك عيناي تبصر
وان بترا ولك الخليط الذين هم • بقلبي وان غابوا عن العين حضر
كمي جزنا انا كاهل محصب • بكل طريق قد نفرنا وننفر
وان كلانا من مشوق وشايق • بنار اغتراب في حشاه تسعر
الا ليت شعري والاماني ضلة • وقولي الا يا ليت شعري تحير
هل النهر عقد للجزيرة مثلما • عهدنا وهل حصباؤه ونبي جوهر
وهل للصبا ذيل عليه تجره • فيزور عنه موجه المتكسر
وتلك المغاني هل عليها طلاوة • بما راق منها او بما رق تسحر
ملاعب افراس الصبابة والصبى • تروح اليها تارة وتبكر
وقبلي ذاك النهر كانت معاهد • بها العيش مطلول الخميلة اخضر
بحيث بياض الصبح ازرار جيب • تطيب وارادنا النسيم تعطر
ليال بما الورد ينضح ثوبها • وطيب مواقيه مسك وعنبر
وما الجبل الادنى هناك بحظ لنا • الى اللهو لا نكبوا ولا تتعثر
جنان باعلاه بهار ونرجس • فابيض مفتر الثنايا واصفر
ومورد ما في قلب قلت لمقلة • حذارا علينا من قذى العين تستر
وكم قد هبطنا القاع نذعر وحشه • ويا حسنه مستقبلا حين يذعر
نقود اليه طايعا كل جارح • له منخر رحب وخصر مضمر
اذا ما رميناه به عيثت به • مدللة الاطراف عنهن تكسر
نغم لا دوي النيق حزان سهلها • وقد فقدت فيها مهاة وجوذر
فناك الى ان صاح بالقوم صايح • وانذر بالبين المشتت منذر
وفرقهم ايدي صبا واصابهم • على غرة منهم قضاء مقدر

ونعود الى حيث كنا من تبدد شمل الحيرة • وطي بساط الجزيرة • اما شاطبة فكانت من قصبتها شوسا الطرف • وببطحايها عروسا في نهاية الظرف • فتخلى عن الذروة من اخلاها • وقيل للكافر شانك واغلاها • فقبل ان تضع الحرب اوزارها • كشط عنها ازارها • فاستحل الحرمة وتناولها • وما انتظر اقصر المدة ولا اطولها • واما تدمير فجار عودها على الحصر • وامكنت عدوها من النصر • فداجى الكفر الايمان • وناجى الناقوس الاذان • وما وراها من الاصقاع التي بارض الكفر فيها وفرخ • وانزل بها ما انسى التاريخ ومزارخ
فوصفكم

على الحادثة فيها الى • وفي ضمان الغدرة الانتصاف من عدو عنا وعنا • وانا لنرجو كرة تفك البلاد من اثرها • وتجبرها بعد كسرها • وان كانت الدولة العامرية منعت بالنزاع دمارها • ورفعت على البقاع نارها • فهذه العربية تنبلك المتقنة الخلق والعدو لها المبيب ومنها افرق • وما يستوي منسب مع البتل بنت وبالمستفيض من النقل ما ثبت • واخر علت سماوه على اللمس ورسا ركنه في الاسلام • رسوق قواعد الحسن • وكان كما قال ابو حنيفة في خبر النسخ • جانا مثل الشمس والايام العربية • في امر الوقايع المحكية • ومن شاهدها من اليرموكية الى الاركية ومدة الايام الزاهرة في زيدة حلاوتها • وسجدة تلاوتها • واما نهانا العظمى ابدها الله بمثل الكافر مدة املاير • ثم تشتفي الاسلام من دايه • وتطهر الارض بتجرد مايه بفضل الله المرجو زيادة نعم قبلها والابه • راجعت سيدي موديا ما يجب اداوه • ومقتديا وما كل احد يحسن اقتداوه • وانما ناضلت تعليا • وعهدت بالنضال قديم • وناظرت جدليا • وما عندي للمقال تقديم • واطعنت في الجوا ولتر يحتي يعلم الله نكوله • وروبتي لولا حق المسالة بطير الحوادث المرسلة عصف ما كوله • اتم الله عليه الاه • وحفظ مودته وولاه • ومتع بخلته الكريمة اخلاه بمنه والسلام انتهت الرسالة وزاينت من رحلة ابن رشيد لما ذكر ابا المطرف ما صورته واما الكتابة فقد كان حامل لوايها كما قال بعض اصحابنا الان الله له الكلام • كما الان الحديد لداود عليه السلام • واخبرنا شيخنا ابو بكر ان شيخه ابا المطرف راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فاعطاه حزمة اقلام وقال استعن بهذه على كتابتك او كما قال صلى الله عليه وسلم انتهى وبعد كتبي لهذه الرسالة رايت ان اذكر رسالة الحافظ ابن الابار التي هي جواب عنها ونبي من غرض ما نحن فيه فلنقتبس نور البلاغة منها ونبي سيدي وان وجم لها النادي وجمجم بها المنادي • ذلك لصغرها عن كبير في المعارف الاعلام • وصدورها عن صدورا لصحايف والاقلام • واعيذ ريحانة قريش • ان تروح من حفيظتها في جيش • فذهابتها معا وبركل حي • واجابتها الغطاريف من قصي • تدلف بين يديها كتيبة خالد • وتخلف لا قدحت نارا ليحابز ندصالد • اوتقصف من غامطها • وتقذف به وسط غطامطها • لا جرم اني من جرايتي حذر • وعما وضحت به فيمتي للمجد معتذر • الى اذ يصوح من الروض نبته وجناته • ويصوح بالقبول حلمه واناته • الحديث عن القديم شجون • والشان يتقاضى الغريم شوون فلا عزو ان طارحت اباه • وافا تحه الامل في لقياه • ومن لي بما لتر مستقلة اوانا لتر غير مخلة • ابت البلاغة الا عمادها • وعلى ذلك فاسبني عمادها • درجت اللذات والاتراب • وخرجنا الروم بنا الى حيث الاعراب • ايام دفعنا الاعظم الاخطا

وفجعنا بالاوطان والاوطار • فالي م نداري برح الالم • وحتي م نشاري
النجم في الظلم • جم اوصاب ماله من انتضاض • ومضض اغتراب شذ عن ابن
مضاض • فلو سمع الاول بهذا الحادث • ماضرب المثل بالحارث • يا لله من جلد ليس
به يدان • وتناقلها ببيغر عن تدان • وعدا الجدا لعاثر لغاه فانجز • وزام الجلد
الصابر انتضاءه فاعجز • هؤلاء الاخوان • مكنهم لا يمنع بهاوان • وبينهم
كبنت الارض الوان • بين هايم لا يمنح براوان بالسري • ونايم في الثري من
كل صنديد بطل • او منطيق عز ذي خطا والاخطل • قامت عليه النوادب
لما قعدت به النوايب • وبحت بيوتها لنعاه الجماجم والذوايب • واما
الاوطان المحبب عهدها بحكم الشباب • المشيب فيها بمحاسن الاحباب فقد
ودعنا معاهدها وداع الابد • واخني عليها الذي اخني علي لبد • اسلمها
الاسلام • وانتظمها الانتثار والاصطلام • حين وقعت انسرها الطايرة
وطلعت نحسها الغاير • فغلب علي الجدل الحزن • وذهب مع المسكن
السكن •

كزعزع الريح صك الدوح عاصفها • فلم يدع من جني فيها ولا غصن
واها واها يموت الصبر بينهما • موت المحامد بين البخل والجبن

اين بلنسية ومغانيها • واغاريد ورقها واغانيها • اين حلي رصافتها
وجسرها • ومنزل عطايها ونصرها • اين افياوها تندي غضاره وذكاوها
تبدو من خضاره اين جداولها الطفاحة وخمايلها • اين جنابتها النفاحة
وشمايلها • شد ما عطل من قلايد ازهارها نحرها • وخلعت شعشعانية
ضحاها بحيرتها وبحرها • فاية حلية لا حيلة في صرفها مع صرف الزمان
وهل كانت حتي بانت الا درنق الحق وبشاشة الايمان • ثم لم يلبث داء
عقرها ان دب الي جزيرة شقرها • فامر عذبها النمير • وذوي غصنها
النضير • وخرست حمايم ادواحها • وركدت نواسم ارواحها • ومع ذلك
اقتحمت دانية • فنزحت قطوفها وهي دانيه • ويا لشاطبة وبطحاءها
من حيف الايام واخنايها • ولهفاه ثم لهفاه علي تدمير وتلاعها • وجيان
وقلاعها • وقرطبة وتواديها • وحمص وواديها • كلها رعي كلاها • وذي
بالتفريق والتمزيق ملاها • عض الحصار اكثرها • وطمس الكفار عينها
واثرها • وتلك البيرة بصددا لبوار وريه في مثل حلقة السوار • ولا
مرية في المرية وخفضها علي الجوار • الي بنيات لواحق بالامهات • ونواطق
بهاك لا وهاك تقتبهات • ماهذا النفخ بالممور • انما النفخ في الصور • ام
النقر عادنا من الحج المبرور • وما الاندلس اصيبت باشرافها • وتنقصت من

اطرافها • فوض عن صوامعها الاذان • وصمت بالنواقيس فيها الاذان
اجت ما لم تجن الاصطناع • اعتنا الحق فحاق بها الايقاع • كلا بل دانت للسنة
وكانت من البدع في احصن جنة • هذه المروانيه مع اشتداد اركانها • وامتداد
سلطانها • التحت الي البنوه في حبات القلوب • والوت ما ظفرت من خلعه
ولا قلعه بمطلوب • الي المرابطة باقاصي الثغور • والمحافظة علي معالي
الامور • والركون الي الهضبة المنيعة • والروضة المريعة • من معادات
الشيعة • وموالات الشريعة • فليت شعري بم استوثق تمحيصها • ولم تعلق
بعموم البلوي تخصيصها • اللهم غفرا طالما ضر ضجر • ومن الانبيا ما فيه مزدجر
جري بما لم نقدر المقدور • فعسي ان ينفث به المصدور • وربنا الحكيم
العليم • فحسبنا التفويض له والتسليم • ويا عجبا لبني الاصفر • انسيت مرج
الصفر • ورميها يوم اليرموك بكل اغلب غضنفر • دع ذا فالعهد به
بعيد • ومن اتعظ بغيره فهو سعيد • هلا تذكرت العامرية وغزواتها
وهابتها العربية وهبواتها • اما الجزيرة بجيلها محدقة • وباحاديث فتحها
مصدقة • هذا الوقت المرتقب • والزمان الذي رجيت له الشهود
والحقب • وهذه الامامة ايدها الله هي المنتقمة من اسرها • والمتنقمة
لسلطانها مراسم نصرها • فيتاح الاخذ بالثار • وينزاح عن الجنة اهل النار
ويعلم الكافر لمن عقبي الدار • حاورت سيدي بما رالفاجي الناجح • وحاولت
برالجري من جوانبه بالملاح الناجح • وبودي لو تقع في الارجا مصافته
فترفع من الارزا مع اقبه • التي لديه اسوا المكلوم • وتدارك المكظوم
وبيديه ازمة المنثور والمنظوم • خيال يخترع في اقناع اباد • وصوغ ما لم
يخطر علي قلب زيد ولا خاطر زياد • ليت الجبال الطوامخ لما ثبت وابو فتحها
وغيضت البحار الطوامخ • فمن يعيا بالركايا وفتحها • اين ابو الفضل بن
العميد من الماد الفاضل • وصمصامة عمرو من قلمه الناصل • هذا مدرهما
الذي فعل الافاعيل • واحدهما الذي سما علي ابراهيم واسماعيل • ومما
اما ما الصناعة • ومما ما البراعة والبراعه • بهما فخر من نطق بالضاد
وبسببهما حسدت الحروف الصاد • لكن ذ فهم بالراح • واعري بمد عهم
من المراح • وسرف دونهم ضعيف القصب علي صم الرماح • ابقاه الله وبيانا
صادق الانوا • وزمانه كاذب الاسوا • ولا زال مكانه مجاوزا ذوابة الجوزا
واحسانه مكافيا باحسن الجزا • والسلام • وقد عرفت بان الايار في ازهار
الرياض ما لا مزيد عليه عز الي رايت منا ان اذكر فصولا مجموعة من كلامه
في كتابه المسمي بدرر السمط في خبر السبط • قال رحمه الله رحمة الله وبركاته

عليكم اهل البيت فروع النبوة والرساله • وينابيع السماحة والبساله
صفوة ال ابي طالب • وسراة بني لوي بن غالب • الذين خاطبهم الروح الامين
وحلاهم الكتاب المبين • فقل في قوم شرعوا الدين القيم • ومنعوا اليتيم
ان يقهر والاديم • ما قدم من اديم ادم اطيب من ابيهم طينه • ولا اخذت الارض
اجمل من مساعيهم زينه • لولاهم ما عبد الرحمن • ولا عهد الايمان • وعقد
الامانه ذوابه عن شابه • فضلهم ما شانه نقص ولا شابه • سراة تحلتهم ستر
المطلوب • وقرابة محبتهم حبات القلوب • اذهب الله عنهم الرجس • وشرف
بحلتهم الجنس • فان تميزوا فبشريعتهم البيضا او تحيزوا فلشريعتهم الحمرا
من كل يعسوب كتيبة • منسوب لنجيب ونجيبة • تجاره الكرم • وداره الحرم لمته
العرانين من هاشم الي النسب الاصرح الاوضح • الي نبعة فرعها في السما ومغرسها
سرة الابطح • اولئك السادة • احبي وافدي السعادة • نحبهم اوفي وداد
ومن يكتمها فانه اثم قلبه **فصل** ما كانت خديجة لتاتي بخداج
ولا الزهر النقد الا زاهر كالسراج • مثل النخلة لا تاكل الا طيبا • ولا
تضع الا طيبا • خديجة بنت خويلد لتزكو عقبها من الحاشر العاقب • وسمو
مراقيها علي النجم الثاقب • لم تجد بمثلها المهاري • ولم يلد له غيرها
من المهاري • امته من بعولتها قبله • لتفضل السعادة بحيلها حبله
ملاك العمل خواتمه • رب زبات حجال • انفذ من فحول الرجال
وما التانيث لاسم الشمس عيب • ولا التذكير فخر للهلال
هذه خديجة من اجمها حزام احزم • والشعار الصدق من شعرات الفضل الزم
ركنت الي الركن الشديد • وسددت للهدي كما هديت للتسديد يوم بني
خاتم الانبيا • ونبي بالنور المنزل عليه والضيا **فصل** وكان قبيل
المبعث • وبين يدي لم الشعث • يثابر علي كل حسني وحسنه • ويجاور شهرا
من كل سنة • يتحري حرا بالتعهد • ويرجي تلك المدة في التعبد • وذلك
الشهر المقصور علي البر • المقدور فيه التفرد • شهر رمضان المنزل فيه
القران • فبيناه • لا ينام قلبه وان نامت عيناه • جاه الملك مبشرا
بالنجح • وقد كان لا يري رؤيا الا جات كفلق الصبح • فغمه بالكلاية •
وامره بالقراه • وكلما تحبس له غطه ثم ارسله • واذا اراد الله بعبد خيرا
عسله •
تريدين ادراك المعالي رخيصة • ولا بد دون الشهد من ابر النحل
كذلك حتي عاذ بالارق من الغرق • وقد علق فاتحة العلق • فلا يجري
غيرها علي لسانه • وكانما كتبت كتابا في جنانه **فصل** ولما اصبح

يوم الاهل

رفع؟

يوم الاهل • وتوسط الجبل بريد السهل • وقد قضي الاجل ومانفي الوجل
نودي بما في الكتاب المسطور • ونودي كما نودي موسي من جانب الطور • تعرض
له في طريقه • ما شغله عن فريقه • فرفع راسه متاملا • فابصر الملك في
صورة رجل متمثلا • يبشره بالنداء • ويعرفه بالاجتبا • وانما عهده
خبر الليلة بعيانا اليوم • واي في اليقظة مصدقا ما اسمع في النوم • ليحق
الله الحق بكلماته وعلي ما ورد في الاثر • وسرد رواة السير • فذلك اليوم كان
عيد فطرنا الان وغير بدع ولا بعيد ان يبدا الوحي بعيد كما ختم بعيد اليوم
اكملت لكم دينكم فبهت عليه السلام لما سمعه وراه • وثبت لا يتقدم امامه
ولا يرجع وراه •
وقفت لهوي في حيث انت فليس لي • متقدم عنه ولا متاخر
لثم جل في الخوف والرجا • لا يقلب وجهه في السما • الا تعرض له في تلك
الصورة • وعرض عليه ما اعطاه الله من السورة • فيقف موقفا للتوكل
ويمسك عن التامل •
تتوق اليك النفس ثم اردها • حياء ومثلي بالحيا حقيق
لذود سوام الطرف عنك وما له • الي احد الا اليك طريق
فصل فطنت خديجة لاحتباسه • فامعنت في التماسه • تزوجوا
الودود الولود • ولعورها بل لعوزها بعثت في طلبه رسلها • وانبعث
تاخذ عليه شعاب مكة وسبلها • اذا المحب اذا لم يزر زارا
طال عليها الامد • فطار اليها الكمد • والمحب حقيقة • من لا يفيق
فيقه • بالنفس النفيسة سماحة وجوده • وفي وجود المحبوب لا شرف
وجوده • كان بلاد الله ما لم تكن بها • وان كان فيها الخلق طرا بلاقع
اقضي نهاري بالحديث وبالمني • ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتي اذا دجا • لي الليل هزتني اليك المضاجع
لقد ثبتت في القلب منك محبة • كما ثبتت في الراحتين الاصابع
فصل وبعد لاي ما ورد عليها • وقعد مضيفا اليها • فطفقت بحكم
الاجلال تمسح اركانه • وتفسح مجالا لسؤال عما خلف له مكانه • فباح بها
بالسر المغيب • وقد لاح وسم الكرامة علي الطيب المطيب • فعلمت انه
الصادق المصدوق • وحكمت بانه السابق لا المسبوق • اتقوا فراسة
المومن فانه ينظر بنور الله وما زالت حتي ازالت ما به من الغم • وقالت
اني لارجو ان تكون نبي هذه الامة •
اني تفرست فيك الخير اعرفه • والله يعلم ان ما خانني البصر

انت النبي ومن يحرم شفاعته • يوم الحساب فقد ازري به القدر
لا ترهب فسوف تنهر • وسيبدو امر الله ويظهر • انت الذي سجعت به
الكهان • ونزلت له من صوامعها الرهبان • وسارت بذكر كرامته الركبان
انت الذي ما حملت اخف منه حامل • وردت ببركته الشاة فاذا هي حافل

شعر •

وانت لما ولدت اشرقت الارض • وضاقت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضيا وفي النور • وسبل الرشاد نخترق

فصل ولما لبثت ان تغلقت ابوابها • وحجبت عليها اثوابها • وانطلقت
الي ورقة بن نوفل • تطلبه بتفسير ذلك الجمل • وكان يرجع الي عقل حصيف
ويبحث بالدين الحنيف • فاستبشر به ناموسا • واخبرنا الذي كان ياتي
موسي • فازدادت ايمانا • واقامت علي ذلك زمانا • ثم رات ان خبر
الواحد قد يلحقه التفنيد • ودرت ان المجتهد لا يجوز له التقليد •
طلب العلم فريضة علي كل مسلم • فرجحت ازراجها في ارتياد الاقتناع
والنبي في دوعها التا الخمار والقناع • فهنالك وضح البرهان وصح
لها انه الاتي ملك لا شيطان • ستر تولي عليها الروح شعر

تولي عليه الروح من عند ربه • ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصدنا • اذا ما اشتهي انا نطيع ونسمع

فصل سنفت لها عن الله الحسني • فصنعتحنا وقالت حسنا ومن
يومن بالله يهد قلبه ما فتر الوحي بعدها • ولا مطل الحق الحي وعدها
وعد الله لا يخلف الله وعده • دانت لحب ذي الاسلام • فحياها الملك
بالسلام • من الملك السلام • ومن كان لله كان الله له • اغنت عنا الاطناب
فيها لسان الحال
•

هل تذكرين فديتك النفس مجلسنا • يوم التقينا فلم انطق من الحصر
لا ارفع الطرف حولي من مراقبة • بقي علي وبعض الحزم في الحذر

بيت لا اخا الاذى والنصب • فبشرت ببيت في الجنة من قصب • هل
امنت اذ امت من الرعب حتي غنيت عن الشبع في الشعب

لا تحسب المجد تمرا انت اكله • لن تبلغ المجد حتي تلعق الصبرا

واها لها احتملت عض الحصار • وما اطاقت فقد المختار

يطول اليوم لا القاك فيه • وشهر نلتقي فيه قصير

والحبيب شمع المحب وبصر • وله طول الحياه وقصر

انت كل الناس عندي فاذا • غبت عن عيني لم الق الواحد

مكنت للرياسة مواسية واسية • فثلثت في بحبوحة الجنة مريم
واسية • ثم ربعت البتول فبرعت • نطقت بذلك الاثار وصدعت خير
نساء العالمين اربع فصل الي البتول سير بالشرف التالد وسبق
الفخر بالام الكريمة والوالد • حلت في الجيل الجليل • وتحلت بالمجد الاثيل
ثم تولت الي الظل الظليل
•

وليس يصح في الافهام شي • اذا احتاج النهار الي دليل

وابيها انام ابيها • لا تجد لها شبيها • نشت النبي • وطلة الوصي وذات
الشرف المستولي علي الامد القصي • كل ولد الرسول درج في حياته • وحملت
هي ما حملت من اياته • ذلك فضل الله يوتيه من يشا • لا فرع للشجرة المباركة
من سواها • فلا جذوي افخر من جذواها • الله اعلم حيث يجعل رسالاته
حفت بالتطهير والتكريم • وزفت الي الكفو الكريم • فوردا صفو العارفة
والمنة • وولدا سيدي شباب اهل الجنة • عرضت من الامتعة الفاخرة بسيد
الدنيا والاخرة • ما اثقل نحوها ظهرا • ولا ابذل عزه رعد مهرا • كان صفر
اليدين من البيضا والصفرا • ويحالة لا حيلة معها في هذه الحلة السيرا
فضاهر الشارع وخالله • وقال في بعض صعلوك ما ماله نرفع درجات
من نشا فصل

انتهب الايام افلاذ احمد • وافلاذ من عاداهم تتودد
ويضحي ويظمي احمد وبناته • وبنت زياد وردها لا يصرد
افي دينه في امنه في بلاده • تضيق عليهم فسحة تتورد
وما الدين الا دين جدهم الذي • به اصدروا في العالمين واوردوا

انتهي ما سنح لي ذكره من درر السمط وهو كتاب غاية في بابه ولم اورد منه
غير ما ذكرته لان في الباقي ما تشم منه رائحة التشيع والله يسامحه
بمنه وكرمه رجع الي ما كنا بسبيله فنقول قد ذكرنا في الباب الثاني رسالة
ابي المطرف بن عميرة الي ابي جعفر بن امية وهي مشتملة علي التلهف علي
الجزيرة الاندلسية • حين اخذ العدو بلنسية • وظهرت له مخايل الاستيلا
علي ما بقي من الاندلس فراجعها فيما سبق وان كان التناسب التام في ذكرها
هنا فالمناسبة هنالك حاصلة ايضا والله الموفق • وذكرنا هنالك
ايضا جملة غيرها من كلامه رحمه الله تتعلق بهذا المعني وغيره فلتراجع
ثمة ورايت ان اثبت هنا ما رايته بخط الاديب الكاتب الحافظ المورخ
ابي عبد الله محمد بن الحداد الوادي اشي نزيل تلمسان رحمه الله تعالي
ما صورته حدثني الفقيه العدل سيدي حسن بن القايد الزعيم الافضل

سيدي ابراهيم العراقي انه حضر مرة لانزال الطلسم المعروف بزوج الرواح
من العلية بالقصبة القديمة من غرناطة بسبب البنا والاصلاح وانه
عاينه من سبعة معادن مكتوبا فيه

ايوان غرناطة الغرا معتبر • طلسمه بولاة الحال دوار
وفارس وجه ريح تدبره • من الجماد ولكن فيه اسرار
فسوف يبقي قليلا ثم تطرقه • دهيا يخرب منها الملك والدار

انتهي وقد صدق قايل هذه الابيات فانه طرقت الدهيا ذلك القطر
الذي ليس له في الحسن مثال • وسل الخطب اليه من كل حدب وانثال •
وكل ذلك من اختلاف رؤسايه وكبرايه • ومقدميه وفضلته وامرايه
ووزرايه • فكل يروم الرياسة لنفسه • ويجر نارها لقرصه • والنصارى
لعنهم الله يضربون بينهم بالخداع والمكر والكيد • ويضربون عمروا
منهم بزيد • حتى تمكنوا من اخذ البلاد • والاستيلا على الطارف والتلاد
قال الرايس القاضي العلامة الكاتب الوزير ابو يحيي بن عاصم رحمه الله
في كتابه جنة الرضي في التسليم لما قدر الله وقضي ما صورته محل الحاجة
منه ومن استقرا التواريخ المنصوصة • واخبار الملوك المقصوصة •
علم ان النصارى دمرهم الله لم يظفروا في المسلمين ثارا • ولم يرحضوا
عن انفسهم عارا • ولم يخربوا من الجزيرة منازل وديارا • ولم يستولوا عليها
بلادا جامعة وامصارا • الا بعد تمكينهم لاسباب الخلاف • واجتهادهم
في وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف • ونضربهم بالمكر والخديعة
بين ملوك الجزيرة • وتحريشهم بالكيد والخلابة بين حماتها في الفتن
المبيرة • ومهما كانت الكلمة موتلفة • والارا لا مفترقة ولا مختلفة
والعلما بمعانات اتفاقا القلوب الى الله مزدلفة • فالحرب اذ ذاك
سجال • ولله في اقامة الجهاد في سبيله رجال • وللممانعة في غرض
المدافعة ميدان رحب ومجال • ودوية وارتحال • الى ان قال وتطاولت
الايام ما بين مهادنة ومقاطعة • ومضاربة ومنازعة • ومنازلة
ومنازعة • وموافقة وممانعة • ومحاربة وموادعة • ولا امل للطاغية
الا في التربص بالاسلام والمسلمين • واعمال الحيلة على المومنين • واضمار
المكيدة للموحدين • واستبطان الخديعة للمجاهدين • ومن يظهر انه
ساع للوطن في العاقبة الحسنى • وانه منطو لاهله على المقصد الاسنى
ومهتم بمراعاة امورهم وناظر بنظر المصلحة لخاصتهم وجمهورهم • وهو
يبرح وابي ارتقايه • ويعمل الحيلة في التماس هلاك الوطن وابتغايه

فبنا

فبنا بمعقول نقبل مثل هذا المحال • ونصدق هذا الكذب بوجه او بحال
وليت المغرور الذي يقبل هذا او فكر في نفسه • وعرض هذا الممنوع على
مدركات حسه • وراجع اوليات عقله وتجريبات حدسه • وقاس عدوه
الذي لا ترتجي مودته على ابنا جنسه • فانا انا شد الله هل يات قط بصالح
النصارى وسلطانهم مهتما • واصبح من خطب طرقهم مغتما • ونظر لهم
نظر المفكر في العاقبة الحسنه • او قصد لهم قصد المدبر في العيشة المستحسنة
او خطر على قلبه ان يحتط في سبيل الغربة ادبابهم وصلبانهم • او عمر ضميره
من تمكين عزهم بما ترضاه احبارهم ورهبانهم • فاذ لم يكن ممن يدين بدينهم
الخبيث • ولم يشرب قلبه حب التثليث • ويكون صادق اللهجة • منصفا
عند قيام الحجة • فسيعترف ان ذلك لم يخطر له قط على خاطر ولا مر له ببال
وان عكس ذلك هو الذي كان به ذا اغتباط وبفعله ذا احتبال • وان نسب
له ذلك المعنى فهو عليه اثقل من الجبال • واشد على قلبه من وقع النبال
هذا وعقده التوحيد وصلاته التحميد • وملته الغرا • وشريعته البيضا
ودينه الحنيف القويم • ونبيه الروف الرحيم • وكتابه القران الحكيم
ومطلوبه الهداية الصراط المستقيم • فكيف نعتقد هذه المرتبة الكبرى
والمنقبة الشهرى • لمن عقده التثليث • ودينه المليث • ومعبوده •
الصليب • وتسميته للتقليب • وملته الممسوخة • وقضيته المنسوخة
وختانه التصليب التغطيس • وعقد دينه التسيس • وربه عيسى المسيح
ونطقه ليس البين ولا الصحيح • وان ذلك الرب قد ضرج بالدما وسقي
الخل عوض الما • وان اليهود قتلته مصلوبا • واذ ركته مطلوبا
وقهرته مغلوبا • وانه جزع من الموت وخاف • الى سوا ذلك مما ناسب
هذه الاقاويل السخاف • فكيف يرجي من مولا الكفر من الخير مقدار
الذرة • او يطمع منهم في جلب المنفعة او دفع المضرة • اللهم احفظ
علينا العقل والدين • واسلك بنا سبيل المهتدين • ثم قال بعد كلام
ما صورته كانت خزاين هذه الدار النصرية مشتملة على كل نفيسة من
الياقوت ويتيمة من الجوهر وفريدة من الزمرد • وثمينة من الفيروزج
وعلى كل واق من الدروع وحام من الغدق وماض من الاسلحة • وفاخر من
الالة ونادر من الامتعة • من عقود فتنة وسلوك حجر • واقراط
تفضل على قرطي مارية نفاسة فايقة وحسن رايقا • ومن سيوف سواد
في الابداع غرايب في الاعجاب منسوبات الصنايع في الطبع خالصات
الحلي من التبر ومن دروع مقدرة السرد متلاحمة النسج وافية للناس في

يوم الحرب • مشهورة النسبة الى داود نبي الله • ومن جواشن سابغة اللبسة
ذهبية الحلية • هندية الضرب • ديباجية الثوب • ومن بيضات عسجدية
الطوق جوهرية التنضيد زبرجدية التنظيم • ياقوتية المركز • ومن مناطق
لجينية الصوغ • غريبة الشكل • مزججة الصنع • ومن درق لمطية مصمتة
المسام • لينة المجسة • معروفة المنعة • صافية الاديم • ومن قسي ناصعة
الصبغة • هلالية الخلقة • منعطفة الجوانب • زارية بالحواجب • الى
الات فاخرة • من اتوار نحاسية • ومنابر بلورية • وطيافير دمشقية
وسبحات زجاجية • وصحاف صينية • واكواب عراقية • واقداح
طباشيرية • وسوى ذلك مما لا يحيط به الوصف • ولا يستوفيه العد
وكل ذلك النهبة شواظ الفتنة والنفرة تيار الخلاف والفرقة فرزئت
الدار منه مما يتعذر اتيان الدهور بمثله • وتقصر ديار الملوك المؤثلة
النعمة عن بعضه فضلا عن كله انتهى كلامه رحمه الله رجع ولما اخذت
قواعد الاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها
انحاز اهل الاندلس الاسلام الى غرناطة والمرية ومالقة ونحوها
وضاق الملك بعد اتساعه وصار ثغر العدو يلتهم كل وقت بلدا
او حصنا • ويهصر من دوح تلك البلاد غصنا • وملك هذا النزر
اليسير الباقي من الجزيرة ملوك بني الاحمر فلم يزالوا مع العدو في تعب
وممارسة كما ذكره ابن عاصم قريبا وربما اثخنوا في الكفار كما علم في اخبارهم
وانتصروا بملوك فاس بني مرين في بعض الاحايين • ولما قصد ملوك
الافرنج السبعة في المائة الثامنة غرناطة لياخذوها اتفق اهلها
ان يبعثوا لصاحب المغرب من بني مرين يستنجدونه وعينوا للرسالة
الشيخ ابا اسحاق بن ابي العاصي والشيخ ابا عبد الله الطنجالي والشيخ
ابن الزيات البلشي نفع الله بهم ثم بعد سفرهم نازل الافرنج غرناطة
بخمسة وثلاثين الف فارس ونحو مائة الف راجل مقاتل ولم يوافقهم
سلطان المغرب فقضى الله ببركة المشايخ الثلاثة ان كسر النصارى
في الساعة التي كسر خواطرهم فيها ملك المغرب وظهرت في ذلك كرامة
لسيدي ابي عبد الله الطنجالي رحمه الله تعالى ثم ان بني الاحمر
ملوك بالاندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على الجل كانوا في جهاد
وجلاد في غالب اوقاتهم ولم يزل ذلك شانهم حتى ادركت دولتهم
الهرم الذي يلحق الدول • فلما كان زمان السلطان ابي الحسن علي بن
سعد النصري الغالبي الاحمري واجتمعت الكلمة عليه بعد ان كان اخوه

ابو عبد الله

ابو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل وقد بويع بمالقة بعد ان حاربه بعض القواد
من عند النصارى وبقي بمالقة برهة من الزمان ثم ذهب الى اخيه وبقي بمالقة
من القواد والرؤسا فوضى وآل الحال الى ان قامت مالقة بدعوة السلطان
ابي الحسن وانقضت الفتنة واستقل السلطان ابو الحسن بملك ما بقي بيد
المسلمين من بلاد الاندلس وجاهد المشركين وافتتح عدة اماكن ولاحت له بارقة
الكرة على العدو الكافر وخافوه وطلبوا هدنته وكثرت جيوشه فاجمع على
عرضها كلها بين يديه واعد لذلك مجلسا اقيم له بناؤه خارج الحمراء قلعة
غرناطة وكان ابتدا هذا العرض يوم الثلاثا تاسع عشر الحجة عام اثنين وثمانين
وثمانمائة ولم تزل الجنود تعرض عليه كل يوم الى الثاني والعشرين من محرم السنة
تليها ويوم تم ختام العرض وكان معظم المتنزهين والمتفرجين بالسبيكة وما قارب
ذلك فبعث الله سيلا عرما على وادي حدره بحجارة وما غثر كافواه القرب عقابا
من الله سبحانه وتعالى لهم لمجاهرتهم بالفسق والمنكر واحتمل الوادي على ما حاذاه
من المدينة من حوانيت ودور ومعاصر وفنادق واسواق وقناطر وحدائق
وبلغ تيار السيل الى رحبة الجامع الاعظم ولم يسمع بمثل هذا السيل في تلك البلاد
وكان بين رؤسا الافرنج في ذلك الوقت اختلاف فبعضهم استقل بملك قرطبة
وبعض باشبيلية وبعض بشريش وعلى ذلك كان صاحب غرناطة السلطان
ابو الحسن قد استرسل في اللذات وركن الى الراحات واضاع الاجناد واستند
الامر الى بعض وزرائه واحتجب عن الناس ورفض الجهاد والنظر في الملك
ليقضي الله ما شاء وكثرت المغارم والمظالم فانكر الخاصة والعامة ذلك منه
وكان ايضا قد قتل كبار القواد وتوطن ان النصارى لا يغزون بعد البلاد
ولا تنقضي بينهم الفتنة ولا ينقطع الفساد واتفق ان صاحب قشتالة
تغلب على بلادها بعد حروب وانقادت له رؤسا الشرك المخالفون ووجدت
النصارى السبيل الى الافساد والتطرق الى الاستيلا على البلاد وذلك انه كان
للسلطان ابي الحسن ولدان محمد ويوسف وهما من بنت عمه السلطان ابي عبد
الله الايسر وكان قد اصطفى على امهما رومية كانت لها منه بعض ذرية وكانت
حظية عنده مقدمة في كل قضية فخيف ان يقدم اولاد الرومية على اولاد
بنت عمه السنية وحدث بين خدام الدولة التنافر والتعصب لميل بعضهم
الى اولاد الحرة وبعض الى اولاد الرومية وكان النصارى ايام الفتنة بينهم
هادنوا السلطان لامد حدوه وضربوه ولما تم امد الصلح وافق وقت هذا
الشان بين اوليا الدولة بسبب الاولاد وتشكي الناس مع ذلك بالوزير
والعمال لسوء ما عاملوا به الناس من الحيف والجور فلم يصغ اليهم وكثر

الخلاف واشتد الخطب وطلب الناس تاخير الوزير وتفاقم الامر وصح عند النصارى
لعنهم الله ضعف الدولة واختلاف القلوب فبادروا الى الحمة فاخذوها غدرا
اخر ايام الصلح على يد صاحب قادس سنة سبع وثمانين وثمانمائة وغدوا القلعة
وحصنوها ثم شرعوا في اخذ البلد فملوا الطرق خيلا ورجالا وبذلوا السيف
فيمن ظهر من المسلمين ونهبوا الحريم والناس في غفلة نيام من غير استعداد كالسكارى
فقتل من قضى الله بتمام اجله واسر البعض وترك اولاده وحريمه واحتوى
العدو على البلد بما فيه وخرج العامة والخاصة من اهل غرناطة عندما بلغهم
العلم وكان النصارى عشرة الاف بين ماش وفارس وكانوا عازمين على الخروج
بما غنموه واذا بالسرعان من اهل غرناطة وصلوا فرجع العدو الى البلد فحاصرهم
المسلمون وشددوا في ذلك ثم تكاثر المسلمون خيلا ورجالا من جميع بلاد الاندلس
ونازلوا الحامة وطمعوا في منع الماء عن العدو وتبين للعامة ان الجند لم ينصحوا
فاطلقوا السنتهم بقبح الكلام فيهم وفي الوزير وبينما هم كذلك واذا بالنذير
جاء ان النصارى اقبلوا في جمع عظيم لاغاثة من بالحامة من النصارى فاقلع
جند المسلمين عن الحامة وقصدوا ملاقاة الواردين من بلاد العدو ولما علم بهم
العدو ولوا الادبار من غير ملاقاة محتجين بتسليم وكان رئيسهم صاحب قرطبة
ثم ان صاحب اشبيلية جمع جندا عظيما من جيش النصارى وعندما صح هذا
عند العسكر اجتمعوا واشاعوا عن الناس انهم خرجوا بغير زاد ولا استعداد
وان الصلاح الرجوع الى غرناطة ليستعد الناس وياخذوا ما يحتاج اليه الحصار
من العدة والعدد فعندما اقلع المسلمون عنها دخلها النصارى الواردون
وتشاوروا في اخلائها او سكناها واتفقوا على الاقامة بها وحصنوها وجعلوا
فيها جميع ما يحتاج اليه وانصرف صاحب اشبيلية وترك اجناده وفرق فيهم
الاموال ثم عاد المسلمون لحصارها وضيقوا عليها وطمعوا فيها من جهة موضع
كان النصارى في غفلة عنه ودخل مع النصارى جملة وافرة من المسلمين
وخاب السعد بذلك بان شعر بهم النصارى فعادوا عليهم وتردى بعضهم
من اعلى الجبل وقتل اكثرهم وكانوا من اهل بسطة ووادي اش فانقطع امل الناس
من الحامة ووقع الاياس من ردها وفي جمادى الاولى من السنة تواترت الاخبار ان
صاحب قشتالة اتى في جنود لا تحصى ولا تحصر فاجتمع الناس بغرناطة وتكلموا
في ذلك واذا به قد قصد لوشة ونازلها وقصد ان يضيفها الى الحامة وجاء
بالعدة والعدد واغارت على النصارى جملة من المسلمين فقتلوا من جموعهم واخذوا
جملة من المدافع الكبار ثم خرجت جماعة اخرى من اهل غرناطة وفارسوا النصارى
فالجاوهم الى الخروج عن الخيام واخذوها وغيرها وقتلوا اقربا النصارى وتركوا

طعاما

طعاما كثيرا والة ثقيلة وذلك في السابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة وفي
هذا اليوم بعينه هرب الاميران ابو عبد الله محمد وابو الحجاج يوسف خوفا من
ابيهما ان يفتك بهما باشارة حظيته الرومية ثريا واستقرا بوادي اش وقامت بدعوتهما
ثم بايعتهما تلك البلاد المرية وبسطة وغرناطة ومر ابوهما السلطان ابو
الحسن الى مالقة وفي صفر ثمان وثمانين وثمانمائة اجتمع جميع رؤسا النصارى
وقصدوا قرى مالقة وبلش في نحو الثمانية الاف فيهم صاحب اشبيلية وصاحب
شريش وصاحب استجة وصاحب انتقيرة وغيرهم فلم يتمكنوا من اخذ حصن ونشبوا
في اوعار ومضايق وخنادق وجبال واجتمع عليهم اهل بلش ومالقة وصار
المسلمون ينالون منهم في كل محل حتى بلغوا مالقة فقتل كثير منهم ومن بقي اسر او قتل
وكان السلطان ابو الحسن في ذلك الوقت قد تحرك لنواحي المنكب وبقي اخوه
ابو عبد الله بمالقة ومعه بعض الجند وقتل من النصارى في هذه الوقعة
نحو ثلاثة الاف واسر نحو الفين من جملتهم خال السلطان وصاحب اشبيلية
وصاحب شريش وصاحب انتقيرة وغيرهم وهم نحو الثلاثين من الاكابر وغنم
المسلمون غنيمة وافرة من الانفس والاموال والعدة والذهب والفضة
وبعقب ذلك سار اهل مالقة لبلاد النصارى فكسروا اهلها كسرة
شنيعة قتل فيها اكثر قواد غرب الاندلس ولما استقر السلطان ابو عبد
الله ابن السلطان ابي الحسن بغرناطة وطاعت له البلاد غير مالقة والغربية
تحرك السلطان ابو الحسن على المنكب ونواحيها واتى ابنه السلطان ابو
عبد الله صاحب غرناطة بان عمه بمالقة غنم من النصارى اعمل التشمر
للغزو باهل بلاده من غرناطة والشرقية وذلك في ربيع الاول من السنة
الى ان بلغ نواحي لسانة وقتل واسر وغنم فتجمعت عليه النصارى من جميع
تلك النواحي ومعه كبير قبرة وحالوا بين المسلمين وبلادهم في جبال واوعار
فانكسر الجند واسر من الناس كثير وقتل اخرون وكان في جملة من اسر السلطان
ابو عبد الله ولم يعرف ثم علم به صاحب لشانة واراد صاحب قبرة ان ياخذه
منه فهرب به ليلا وبلغه الى صاحب قشتالة ونال بذلك عنده رفعة على
جميع القواد وتناديه فقلما توجه لجهة او بعث سرية الا وبعثه فيها ولما
اسر السلطان ابو عبد الله اجتمع كبراء غرناطة واعيان الاندلس وذهبوا
لمالقة للسلطان ابي الحسن وذهبوا به لغرناطة وبايعوه مع انه كان
اصابه مثل الصرع الى ان ذهب بصره واصابه ضرر ولما تعذر امره قدم اخاه
ابا عبد الله وخلع له نفسه ونزل بالمنكب فاقام بها الى ان مات واستقل
اخوه ابو عبد الله المعروف بالزغل بالملك بعده واما ابو عبد الله ابن السلطان

ابي الحسن فهو في اسر العدو وفي شهر ربيع الاخر من سنة تسعين وثمانماية خرج
العدو في قوة الي نواحي مالقة وبغدان كان في السنة قبلها استولي علي حصون
فاستولي في هذه السنة علي بعض الحصون وقتل ذكوان فهدم اسوارها وكان بها جملة
من اهل الغربية ورندة ودخل الي مدرج ذكوان عنوة فاظفر الله بهم الملك ذكوان
فقتلوهم جميعا ثم طلبوا الامان وخرجوا ثم انتقل في جمادي الاولي الي رندة
وحاصرها وكان اهلها خرجوا الي نصرة ذكوان وسواها فحاصر رندة وهدم اسوارها
وخرج اهلها علي الامان وطاعت له جميع تلك البلاد ولم يبق بغربي مالقة
الا من دخل في طاعة الكافر وتحت ذمته وضيق بمالقة وفرق حصصه علي
بعض الحصون ليحاصر مالقة وعاد الي بلاده وفي تاسع عشر شعبان من العام
سافر صاحب غرناطة لتحصين البلاد وبينما هو كذلك اذا بالخبر جاء ان محلة
العدو خارجة لذلك الحصن وفي صبيحة الثاني والعشرين لشعبان اصبحت
جنود النصاري علي الحصن كانوا قد اسروا اليه ليلا واصبحوا عند الفجر
مع جند المسلمين فقاتلهم المسلمون من غير تعبية فاختل نظام المسلمين
ووصل النصاري الي خباء السلطان ثم التحم القتال واشتد وقوي الله
المسلمين فهزموا النصاري شر هزيمة وقتل منهم خلايق وفر المسلمون
خوفا من محلة النصاري اذ كانت قادمة في اثرهم ولما رجعت اليهم سلطان ح
الغلول رجعوا القهقري واستولي المسلمون علي غنايم كثيرة والات وحملوا
ذلك كله بالحصن ولم يحدث شي بعد الي رمضان فتوجه الكافر لحصن
قنبيل ونازله وهدم اسواره ولما راي المسلمون ان الحصن قد دخل طلبوا
الامان وخرجوا باولادهم واموالهم مومنين وفر الناس من تلك المواضع من
البراجلة هاربين واستولي العدو علي عدة حصون مثل مشاقر وحصن اللوز
وضيق العدو بجميع بلاد المسلمين ولم يتوجه لناحية الا استاصلها ولا قصد
جهة الا اطاعته وحصلها ثم ان العدو دبر الحيلة مع ما هو عليه من القوة
فبعث في السلطان ابي عبد الله الذي تحت اسره وكساه ووعده بكل ما
يتمناه وصرفه لشرقي بسطة واعطاه المال والرجال ووعد ان من دخل
تحت حكمه من المسلمين وبايعه من اهل البلاد فانه في الهدنة والصلح والعهد
والميثاق الواقع بين السلطانين وخرج لبلش فاطاعه اهلها ودخلت
بلش في طاعته ونودي بالصلح في الاسواق وصرخت في تلك البلاد به
الشياطين وسري هذا الامر حتي بلغ اهل البيازين في غرناطة وكانوا
من التعصب وحمية الجاهلية والجهل بالمقام الذي لا يخفي وتبعهم بعض
المفسدين المحبين في تفريق كلمة المسلمين ومن مال الي الصلح عامة غرناطة

لضعف الدولة

لضعف الدولة ووسوس للناس شياطين الفتنة وسماسرتها بتقبيح وتحسين
الي ان قام ربض البيازين بدعوة السلطان الذي كان ماسورا عند المشركين
ووقعت فتنة عظيمة في غرناطة بينها بين المسلمين لما اراده الله من استيلا
العدو علي تلك الاقطار ورجموا البيازين بالحجارة من القلعة وعظم الخطب
وكانت الثورة ثالث شهر ربيع الاول لعام احد وتسعين وثمانماية ودامت الفتنة
الي منتصف جمادي الاولي من العام وبلغ الخبر ان السلطان الذي قاموا بدعوته
قدم علي لوشة ودخلها علي وجه رجاء الصلح بينه وبين عمه الزغل صاحب
قلعة غرناطة بان العم تكون له الملك وابن اخيه تحت ايالته بلوشة واي
المواضع احب ويكونون يدا واحدة علي عدو الدين وبينما هم في هذا اذا بصاحب
قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد وعدد ونازل لوشة حيث السلطان
ابو عبد الله الذي كان اسيرا وضيق بها الحصار وقد كان دخلها جماعة من اهل
البيازين بنية الجهاد والمناصرة وليهم وخاف اهل غرناطة وسواها من ان تكون
ذلك حيلة فلم يات لنصرتهم غير البيازين واشتد عليهم الحصار وكثرت الاقاويل
وفرحت الالسن ان ذلك باتفاق بين السلطان الماسور وصاحب قشتالة ودخل
علي اهل لوشة في ربضهم وخافوا من الاستيصال فطلبوا الامان فامنوا لهم وانفسهم
واهليهم فوفي لهم صاحب قشتالة بذلك واخذ البلد في السادس والعشرين
لجمادي الاولي سنة احدي وتسعين ونبي اغني لوشة كانت بلد سلفنا الوزير
لسان الدين بن الخطيب كما ذكرناه مستوفي في غير هذا الموضع وهاجر اهل لوشة الي
غرناطة وبقي السلطان ابو عبد الله الذي كان ماسورا مع النصاري في بلوشة
فصح عند ذلك اهل غرناطة بان ما جاء للوشة الا ليدخل لها العدو
الكافر ويجعلها فداء له وقيل انه سرح له حينئذ ابنه اذ كان مرهونا في الفداء
وكثر القيل والقال بينهم وبين اهل البيازين في ذلك فظهر بذلك ما كان
كامنا في القلوب ثم رجع صاحب قشتالة الي بلاده ومعه السلطان المذكور
وفي نصف جمادي الثانية خرج الي البيرة فهدم بعض الاسوار وتوعد الناس
فاعطاه اهله الحصن علي الامان فخرجوا وقدموا علي غرناطة ثم فعل بحصن اللين
مثل ذلك وقاتلوا قتالا شديدا ولما ضاقوا ذرعا اعطوا بالمقادة علي الامان
فخرجوا الي غرناطة واطاع اهل قلنبيرة من غير قتال فخرجوا الي غرناطة ثم
وصل العدو الي منتة فريد فرمي عليهم بالمحرقات وغيرها واحرق دار العدة فطلبوا
الامان وخرجوا لغرناطة وانتقل للصخرة فاخذها وحصن هذه الحصون كلها
وشحنها بالرجال والعدة ورتب فيها الخيل لمحاصرة غرناطة ثم عاد الكافر
لبلاده وتعاهد مع السلطان الذي في اسره بان من دخل في حكمه وتحت اسره

نوفي الامان التام واشاعوا ان ذلك بسبب فتنة وقعت بينه وبين صاحب
افرنسية تخرج لبلش واطاعته ثم بعث لمن والاه من البلاد انه اتى بصلح صحيح
وعقد وثيق وان من دخل تحت امن من حركة النصارى عليه فان معه
ونا بخطوط السلاطين فلم يقبل الناس ذلك الا القليل منهم مثل اهل البيازين
فلحوا لهذا الصلح واقاموا على صحته الدلايل وتكلموا في اهل غرناطة الكلام
القبيح مع تمكن الفتنة والعداوة في القلوب فبعث له اهل البيازين انه اذا
قدم بهذه الحجج لتلك الجهات اتبعه الناس وقاموا بدعوته من غير التباس
فاتى على حين غفلة ولم يكن يظن اتيانه بنفسه فاتى البيازين ودخلها ونادى
في اسواقها بالصلح التام الصحيح ولم يقبل ذلك منه اهل غرناطة وقالوا
ما نعهد لوشة من قدم ودخل ربض البيازين سادس عشر شوال احد وتسعين
وثمانماية وعمه بالحمراء وانتقل للقلعة واشتد امر الفتنة ثم ان صاحب
قشتالة امد صاحب البيازين بالرجال والعدة والمال والقمح والبارود وغيرها
واشتد امره بذلك وعظمت اسباب الفتنة وفشا في الناس القتل والنهب
ولم يزل الامر كذلك الى السابع والعشرين من محرم اثنين وتسعين وثمانماية
فرام اهل غرناطة مع سلطانهم على الدخول على البيازين عنوة وتكلم اهل
العلم فيمن انتصر بالنصارى ووجوب مدافعته ومن اطاعه عصى الله ورسوله
ودخلوا على اهل البيازين دخول قتل ثم ان صاحب غرناطة بعث الى الاجناد
والقواد من اهل بسطة ووادي اش والمرية والمنكب وبلش ومالقة وجميع
الانظار وتجمعوا بغرناطة وتعاهدوا وتحالفوا على ان يدهم واحدة
على اعداء الدين ونصرة من قصده العدو من المسلمين وخاف صاحب
البيازين فبعث لصاحب قشتالة في ذلك فخرج بمحلته قاصدا نواحي
بلش وكان صاحب البيازين بعث وزيره الى ناحية مالقة والى حصن
المنشاة يذكر بخوف ومعه النسخة من عقود الصلح فقامت مالقة
وحصن المنشاة بدعوته ودخلوا في الدخول امن صاحب قشتالة وصولته
وطمعا في الصلح وصحته ثم اجتمع كبار مالقة مع اهل بلش وذكروا لهم
سبب دخولهم في هذه الدعوة والسبب الحامل لهم على ذلك فلم يرجع اهل
بلش عما عاهدوا عليه اهل غرناطة وساير الاندلس من العهود والمواثيق
وخرج صاحب قشتالة قاصدا بلش مالقة ونزل عليها في ربيع الثاني
من سنة اثنين وتسعين وثمانماية وحاصرها ولما صح عند صاحب غرناطة
ذلك اجتمع بالناس فاشاروا بالسير لاغاثة بلش للعهد الذي عقده
والي اهل وادي اش وغيرها وحشود البشرات وخرج صاحب غرناطة

منها

منها في الرابع والعشرين لربيع الثاني من السنة ووصل بلش فوجد العدو
نازلا عليها برا وبحرا فنزل بجبل هنالك وكر لغطا الناس وحملوا على
النصارى من غير تعبية وحين حركتهم للحملة بلغ السلطان الزغل ان غرناطة
بايعت صاحب البيازين فانهزموا النصارى فسلين وقبل الالتحام انهزموا
وتبددت جموعهم مع كون النصارى خايفين وجلين منهم ولا حول ولا قوة
الا بالله فرجعوا منهزمين وقد شاع عند الخواص ثورة غرناطة على السلطان
فقصدوا وادي اش وعادت النصارى الى بلش بعد ان كانوا ارتبوا جيوشهم
للقاء السلطان واهل غرناطة فلما عادوا الى بلش دخلوا عنوة ربضها
وضيقوا بها وكانت ثورة غرناطة خامس جمادى الاولى ولما راى اهل بلش
تكالب العدو عليهم ودبار جيوش المسلمين عنهم طلبوا الامان فخرجوا
يوم الجمعة عاشر جمادى الاولى من السنة واطاعت النصارى جميع البلاد
التي بين مالقة وحصن قمارش ثم انتقل العدو الى حصار مالقة وكان
اهل مالقة قد دخلوا في الصلح واطاعوا صاحب البيازين واتى اليها
النصارى بالبرة ولما نزل بلش بعثوا هدية لصاحب قشتالة مع قايدهم
وزير صاحب البيازين وقايد شريش الذي كان ماسورا عندهم فلم
يلتفت اليهم صاحب قشتالة لقيام جبل فاره وتحصن مالقة بدعوة
صاحب وادي اش وارتحل صاحب قشتالة الى مالقة ونازلها برا
وبحرا وقاتلها قتالا عظيما بمدافعهم وعدتهم وخيلهم ورجلهم
وطال الحصار حتى اداروا على مالقة من البر الخنادق والسور والاجفان
من البحر ومنع الداخل اليها ولم يدخلها غير جماعة من المرابطين حال الحصار
وحاربوا حربا شديدا وقربوا المدافع ودخلوا الارباض وضيقوا عليهم
الحصار الى ان فني ما عندهم من الطعام فاكلوا المواشي والخيل والحمير
وبعثوا الكتب للعدوتين وهم طامعون في الاعانة فلم يات اليهم احد واشتد
فيهم الجوع وفشا في اهل نجدتهم القتل ولم يظهروا مع ذلك هلعا ولا ضعفا
الى ان ضعف حالهم ويئسوا من ناصر ومغيث من البر والبحر فتكلموا مع النصارى
في الامان كما وقع ممن سواهم فعوتبوا على ما صدر منهم وما وقع من الجفا وقيل
لهم لما تحقق العدو التجاهم تومنون من الموت وتعطوا مفتاح القلعة
والحصن والسلطان انما يعاملكم الا بالخير اذا فعلتم وهذا خداع من الكفار
فلما تمكن العدو منهم اخذهم اسرى وذلك اواخر شعبان اثنين وتسعين
وثمانماية ولم يبق في تلك النواحي موضع الا وملكه النصارى وفي عام
ثلاثة وتسعين خرج العدو الكافر الى الشرقية وبلش التي كانت في الصلح

فاستولى عليها واحتجوا بالصلح فلم يلتفت اليهم واخذ تلك البلاد كلها
صلحا ثم رجع لبلاده وفي عام اربع وتسعين برجب خرج لبعض حصون بسطة
فاخذها بعد حرب واستولى ما هنالك من الحصون ثم نازل بسطة وكان صا
وادي اش لما تبين العدو بمحلته بعث جميع جنده وقواده وحشد اهل نجدة
تلك البلاد من وادي اش والمرية والمنكب والبشرات فلما نزل العدو بسطة
اتت الحشود المذكورة ودخلوها ووقعت بين المسلمين والنصارى حروب
عظيمة حتى تقهقر العدو عن قرب بسطة ولم يقدر على منع الداخل والخارج
وبقي الامر كذلك رجبا وشعبان ورمضان ومحلات المسلمين نازلة خارج
البلد ثم ان العدو شد الحصار وجد في القتال وقرب المدافع والالات
من الاسوار حتى منع الداخل والخارج بعض منع واشتد الحال في القعدة
والحجة وقل الطعام وفي اخر الحجة اختبروا الطعام في خفية فلم يجدوا
الا القليل وكانوا طامعين في اقلاع العدو عند دخول فصل الشتا واذا
بالعدو بنى وعزم على الاقامة وقوي الباس على المسلمين فتكلموا في الصلح
على ما فعل غيرهم من الاماكن وظن العدو ان الطعام لم يبق منه شي وان ذلك
هو الملجي لهم للكلام وتعموا عنه ذلك فاخذ الولاة في اظهار جميع انواع الطعام
بالاسواق وابدوا للعدو القوة مع كونهم في غاية الضعف والحرب خدعة
فدخل بعض كبار النصارى للتكلم معهم وتوغل ليرى ما عليه البلد وما
صفة الناس وعند تحققهم نبا الطعام والقوة اعطوهم الامان على
انفسهم دون من عداهم من اهل وادي اش والمنكب والمرية والبشرات فان
دفعوا هولا عنهم صح لهم الامان والا فلا فلم يوافق اهل البلد على هذا
وطال الكلام وخاف اهل البلد من كشف الستر فاتفقوا على ان تكون القضية
على بسطة ووادي اش والمرية والمنكب والبشرات ففعلوا ذلك ودخل
جميع هولاء في طاعة العدو على شروط شرطوها وامور اظهروا بعضها للناس
وبعضها مكتوم وقبض الخواص مالا وحصلت لهم فوايد وفي يوم الجمعة عاشر
محرم خمس وتسعين وثمانماية دخل النصارى قلعة بسطة وملكوها ولم يعلم
العوام بكيفية ما وقع عليه الشرط والالتزام وقالوا لهم ما بقي موضعه
فهو امن ومن انصرف خرج بماله وسلاحه سالما ثم اخرج العدو المسلمين من البلد
واسكنهم بالربض خوفا من الثورة ثم رحل العدو للمرية واطاعته جميع تلك
البلاد ونزل صاحب وادي اش للمرية ليلقاه بها فلقيه واخذ الحصون والقلاع
والبروج وبايع له السلطان ابو عبد الله على ان يبقى تحت طاعته
في البلاد التي تحت حكمه كما احب فوعده بذلك وانصرف معه الى وادي اش

وتمكنه

وتمكنه من قلعتها اوايل صفر من العام المذكور واطاعته جميع البلاد ولم يبق
غير غرناطة وقراها وجميع ما كان في حكم صاحب وادي اش صار للنصارى في
طرفة عين وجعل في كل قلعة قايدا نصرانيا وكان قايد من المسلمين اصحاب هذه
البلاد فدفع لهم الكفار مالا من عند صاحب قشتالة اكراما منه لهم بزعمهم قبحا
لعقولهم وما ذلك منه الا توفير لرجاله وعدته ودفع بالتي هي احسن ثم اخذ برج
الملاحة وغيره وبناه وحصنه وشحن الجميع بالرجال والذخيرة واظهر الصحبة
والصلح مع صاحب وادي اش واباح الكلام بالسوء في حق صاحب غرناطة ان
مكنه من الحمرا كما مكنه عمه من القلاع والحصون ويكون تحت ايالته ويعطيه
مالا جزيلا على ذلك واي بلاد شا من الاندلس يكون فيها تحت حكمه قال واطمع
صاحب غرناطة في ذلك فخرج العدو في محلاته لقبض الحمرا والاستيلا على غرناطة
وهذا في سنة بين السلطانين فجمع صاحب غرناطة الاعيان والكبرا والاجناد والعلما
والخاصة والعامة واخبرهم بما طلب منه العدو وان عمه افسد عليه الصلح
الذي كان بينه وبين صاحب قشتالة بدخوله تحت حكمه وليس لنا الا احد
خصلتين الدخول تحته او القتال فاتفق الراي على الجهاد والوفا بما عقده
من صلح وخرج بمحلته ثم ان صاحب قشتالة نزل على مرج غرناطة وطلب من اهل
غرناطة الدخول في طاعته والا افسد عليهم زروعهم فاعلنوا بالمخالفة فافسد
الزرع وذلك في رجب خمسة وتسعين ووقعت بين المسلمين والعدو حروب
كثيرة ثم ارتحل العدو وعند الاياس منهم ذلك الوقت وهدم بعض حصون واصلح
برج همدان والملاحة وشحنهما بما ينبغي ثم رجع الى بلاده وعند انصرافه نزل
صاحب غرناطة بمن معه الى بعض الحصون التي في يد النصارى ففتحها عنوة وقتل
من فيها من النصارى واسكنها المسلمين ورجع لغرناطة ثم اعمل الرحلة الى البشرات
في رجب المذكور فاخذ بعض القرى وهرب من بها من النصارى والمرتدين اصحابهم
ثم الى حصن اندرش فتمكن منه واطاعته البشرات وقامت دعوة الاسلام بها
وخرجوا عن ذمة النصارى وهنالك عمه ابو عبد الله محمد بن سعد بمحلته وافترق
فقصدهم في شعبان من غرناطة واستقر عمه بالمرية واطاعت صاحب غرناطة
جميع البشرات الى برجة ثم تحرك عمه مع النصارى الى اندرش فاخذوها في رمضان
وخرج صاحب غرناطة لقرية همدان وكان برجها العظيم مشحونا بالرجال والعدة
والطعام فحاصره اهل غرناطة ونصبوا عليه انواعا من الحرب ومات فيه خلق
منهم ونقبوا البرج الاول والثاني والثالث والجاوا للبرج الكبير وهو القلعة
فنقبوها ثم اسروا من كان بها وهم ثمانون ومايتة واحتووا على ما هنالك من عدة
والات حرب وفي اخر رمضان خرج صاحب غرناطة بقصد المنكب فلما وصل حصن

شلوبانية نزله واخذ عنوة بعد حصار وامتنعت القلعة فوصلهم الخبر
ان صاحب قشتالة خرج بمحلته لمرج غرناطة فارتحل سلطان غرناطة عن قلعة
شلوبانية وجا غرناطة ثالث شوال وبعد وصوله غرناطة وصل العدو
الى المرج ومعه المرتدون والمدجنون وبعد ثمانية ايام ارتحل العدو لبلاده
بعد هدم برج الملاحة والخلاية وبرج اخر وتوجه الى وادي اش فاخرج المسلمين
منها ولم يبق بها مسلم في المدينة ولا الربض وهدم قلعة اندرش وخاف على
البلاد ولما راى ذلك السلطان الزغل وهو ابو عبد الله محمد بن سعد عم
السلطان اي سلطان غرناطة بادر بالجواز للبر العدوة فجاز لوهران ثم
لتلمسان واستقر بها وبها نسله الى الان يعرفون ببني سلطان الاندلس
ودخل صاحب قشتالة لاقاصي مملكته بسبب فتنة بينه وبين الافرنج
ثم تحرك صاحب غرناطة على برشانة وحاصرها واخذها واسر من كان بها
من النصارى وارادت فنيانة القيام على النصارى فجا صاحب وادي اش
ففتك فيهم وفي القعدة من السنة رفع صاحب غرناطة من السند وخلت
تلك الاوطان من الانس وفي ثاني عشر من جمادى الاخيرة من سنة ست وتسعين
خرج العدو بمحلاته الى مرج غرناطة وافسد الزرع ودوخ الارض وهدم القرى
وامر ببنا موضع بالسور والحفير واحكم بناءه وكانوا يذكرون انه عزم على
الانصراف فاذا به صرف الهمة الى الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة
كل يوم ودام القتال سبعة اشهر واشتد الحصار بالمسلمين غير ان النصارى
على بعد والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق والطعام
من ناحية جبل شلير الى ان تمكن فصل الشتا وكلب البرد ونزل الثلج فانسد
باب المرافق وانقطع الجالب وقل الطعام واشتد الغلا وعظم البلا واستولى
العدو على اكثر الاماكن خارج البلد ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق
الحال وبان الاختلال وعظم الخطب وذلك اول عام سبعة وتسعين
وثمانماية وطمع العدو في الاستيلا على غرناطة بسبب الجوع والغلا دون الحرب
ففر ناس كثيرون من الجوع الى البشرات ثم اشتد الامر في شهر صفر من السنة
وقل الطعام ثم تفاقم الخطب فاجتمع ناس مع من بقي من الاجناد والمن اهل العلم
وقالوا انظروا في انفسكم وتكلموا مع سلطانكم فاحضر السلطان اهل
الدولة وارباب المشورة وتكلموا في هذا المعنى وان العدو يزداد مدده
كل يوم ونحن لا مدد لنا وكان ظننا انه يقلع عنا في فصل الشتا فخاب الظن
وبنى واسس واقام وقرب منا فانظروا لانفسكم واولادكم فاتفق الراي
على ارتكاب اخف الضررين وشاع ان الكلام وقع بين النصارى ورؤسا

الاجناد

الاجناد قبل ذلك في اسلام البلد خوفا على نفوسهم وعلى الناس ثم عددوا
مطالب وشروطا ارادوها وزادوا اشيا على ما كان في صلح وادي اش منها
ان صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفا بالشروط اذا امكنوه من حمرا
غرناطة والمعاقل والحصون ويحلف على عادة النصارى في العهود وتكلم
الناس في ذلك وذكروا ان رؤسا اجناد المسلمين لما خرجوا للكلام في ذلك
امتن عليهم النصارى بما لا جزيل وذخاير ثم عقدت بينهم الوثائق على
شروط قريت على اهل غرناطة فانقادوا اليها ووافقوا عليها وكتبوا
البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم ونزل سلطان غرناطة من الحمرا
وفي ثاني ربيع الاول من السنة اعني سنة سبعة وتسعين وثمانماية استولى
النصارى على الحمرا ودخلوها بعد ان استوثقوا من اهل غرناطة بنحو خمسماية
من الاعيان رهنا خوفا من الغدر وكانت الشروط سبعة وستين منها تامين
الصغير والكبير في النفس والاهل والمال وابقا الناس في اماكنهم ودورهم
ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم احد عليهم
الا بشريعتهم وان تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وان لا يدخل النصارى
دار مسلم ولا يغصبوا احدا والا يولي على المسلمين الا مسلم او يهودي ممن يتولى
عليهم من قبل سلطانهم قبل وان يفتك جميع من اسر في غرناطة من حيث
كانوا وخصوصا اعيانا نص عليهم ومن هرب من اساري المسلمين ودخل
غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا سواه والسلطان يدفع ثمنه لمالكه
ومن اراد الجواز للعدوة لا يمنع ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان
لا يلزمهم الا الكرا وان لا يوخذ احد بذنب غيره والا يقهر من اسلم على الرجوع
للنصارى ودينهم وان من تنصر من المسلمين يوقف اياما حتى يظهر حاله
ويحضر له حاكم من المسلمين واخر من النصارى فان ابى الرجوع الى الاسلام
تمادى على ما اراد ولا يعاتب على من قتل نصرانيا ايام الحرب ولا يوخذ منه
ما سلب من النصارى ايام العداوة ولا يكلف المسلم بضيافة اجناد النصارى
ولا يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم
جميع المظالم والمغارم المحدثة ولا يطلع نصراني للسور ولا يتطلع نصراني
للسور ولا يتطلع على دور المسلمين ولا يدخل مسجدا في مساجدهم
ويسير المسلم في بلاد النصارى امنا في نفسه وماله ولا يجعل علامة
كما يجعل اليهود واهل الدجن ولا يمنع موذن ولا مصل ولا صايم ولا غيره
من امور دينه ومن ضحك منه يعاقب ويتركون من المغارم سنين معلومة
وان يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خطه وامثال هذا

مما تركنا ذكره وبعد انبرام ذلك ودخول النصارى الحمراء والمدينة جعلوا قائدا بالحمراء وحكاما ومقدمين بالبلد ولما علم ذلك اهل البشرات دخلوا في هذا الصلح وشملهم حكمه على هذه الشروط ثم امر العدو الكافر ببنا ما يحتاج اليه في الحمراء وتحصينها وتجديد بنا قصورها واصلاح سورها وصار الطاغية يختلف الى الحمراء نهارا ويبيت بمحلته ليلا الى ان اطمان من خوف الغدر فدخل المدينة وتطوف بها واحاط خبرا بما يرومه ثم امر سلطان المسلمين ان ينتقل لسكنى البشرات وانها تكون له وسكناه باندرش فانتقل اليها واخرج الاجناد منها ثم احتال في ارتحاله لبر العدوة واظهر ان ذلك طلبه منه المذكور فكتب لصاحب المرية ان ساعة وصول كتابي هذا لا سبيل لاحد ان يمنع مولاي ابا عبد الله من السفر حيث اراد من بر العدوة ومن وقف على هذا الكتاب فليعرفه ويقف معه وفاء بما عهد له فصرف في الحين بمقر هذا الكتاب وركب البحر ونزل بمليلة واستوطن فاسا وكان قبل طلب الجواز لمراكش فلم يسعف بذلك وحين جاز لبر العدوة لقي شدة وغلاء ووباء ثم ان النصارى نكثوا العهد ونقضوا الشروط عروة عروة الى ان آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة اربع وتسعمائة بعد امور واسباب اعظمها واقواها عليهم انهم قالوا ان القسيسين كتبوا على جميع من كان اسلم من النصارى ان يرجعوا قهرا للكفر ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة ثم تعدوا الى امر اخر وهو ان يقولوا للرجل المسلم ان جدك كان نصرانيا فاسلم فترجع نصرانيا ولما فحش هذا الامر قام اهل البيازين على الحكام وقتلوهم وهذا كان السبب للتنصر قالوا لان الحكم خرج من السلطان ان من قام على الحاكم فليس الا الموت الا ان يتنصر فينجو من الموت وبالجملة فانهم تنصروا عن اخرهم بادية وحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا الناس فلم ينفعهم ذلك وامتنعت قرى واماكن كذلك منها بلفيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدو الجموع واستاصلهم عن اخرهم قتلا وسبيا الا ما كان من جبل بللنقة فان الله اعانهم على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة واخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف من اموالهم دون الذخائر ثم بعد هذا كله كان من اظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في خفية ويصلي فشدد عليهم النصارى في البحث حتى انهم احرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد وقاموا في بعض الجبال على النصارى ايام هذا العصر القريب اعوام سبعة عشر والف فخرجوا الى فاس والوف اخر الى تلمسان من وهران وجمهورهم خرج بتونس فتسلط عليهم الاعراب ومن لا

تخشى

تخشى الله في الطرقات ونهبوا اموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المعرة واما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم اكثرهم وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها وكذلك بتطاوين وسلا وقيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الان وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها الدور والقصور والحمامات وهم الان بهذا الحال ووصل جماعة الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وهم لهذا العهد على ما وصف والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والسلطان المذكور الذي اخذت على يده غرناطة هو ابو عبد الله محمد الذي انقرضت بدولته مملكة الاسلام بالاندلس ومحيت رسومها ابن السلطان ابي الحسن ابن السلطان سعد ابن الامير علي ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغني بالله واسطة عقدهم ومشيد مبانيهم الانيقة وسلطان دولتهم في الحقيقة وهو المخلوع الوافد على الاصقاع المرينية بفاس العائد منها لملكه في ارفع العنايات الرحمانية العاطر الانفاس وهو سلطان ابن الخطيب لسان الدين ابن الخطيب وقد ذكرنا جملة من اخباره في غير هذا الموضع ابن السلطان ابي الحجاج يوسف ابن السلطان اسماعيل قاتل سلطان النصارى دون بطره بمرج غرناطة ابن فرج ابن اسماعيل ابن يوسف ابن نصر ابن قيس الانصاري الخزرجي رحمهم الله جميعهم وانتهى السلطان المذكور بعد نزوله بمليلة الى مدينة فاس باهله واولاده معتذرا عما اسلفه متلهفا على ما خلفه وبنى بفاس بعض قصور على طريق بنيان الاندلس رايتها ودخلتها وتوفي رحمه الله بفاس عام اربعين وتسعمائة ودفن بازاء المصلى خارج باب الشريعة وخلف ولدين اسم احدهما يوسف والاخر احمد وعقب هذا السلطان الى الان بفاس وعهدي بذريته بفاس سنة ١٠٣٧ ياخذون من اوقاف الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد رايت ان اذكر هنا الرسالة التي كتب بها المخلوع المذكور الى سلطان فاس الشيخ الوطاسي وهي من انشا الكاتب المجيد البارع البليغ ابي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي رحمه الله وسماها بالروض العاطر الانفاس في التوسل الى المولى الامام سلطان فاس ونصها بعد الافتتاح

مولى الملوك ملوك العرب والعجم • رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار انت لمن • جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا • وافظع الخطب ما ياتي على الرغم

حكم من الله حتم لا مرد له • وهل مرد لحكم منه منحتم
وتني الليالي وقالات الله صولتها • تقول حتى على الاساد في الاجم
كنا ملوكا لنا في ارضنا دول • نمنا بها تحت افنان من النعم
فايقظتنا سهام للردى صيب • يرمي بافجع حتف من بهن رمي
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا • واي ملك بظل الملك لم يشم
يبكي عليه الذي قد كان يعرفه • بادمع مزجت امواهها بدم
كذلك الدهر لم يبرح كما زعموا • يشم بالصغار الانف ذا الشمم
وصل واصر كانت لنا اشتبكت • فالملك بين ملوك الارض كالرحم
وانبسط لنا الخلق المرجو باسطه • واعطف ولا تنحرف واعذر ولا تلم
لا تاخذنا باقوال الوشاة ولم • تذنب ولا كثرت اقوال ذي الوخم
فما اطقنا دفاعا للقضاء ولا • ارادت انفسنا ما حل من نقم
ولا ركونا بازعاج لساحته • في زاجر باكف الموج ملتطم
والمرء ما لم تعنه الله اضيع من • طفل تشكى بفقد الام في اليتم
وكل ما كان غير الله يحرسه • فان محروسه لحم على وضم
كن كالسموال اذ سار الهمام له • في جحفل كسواد الليل مرتكم
فلم يبح ادرع الكندي وهو يرى • انا ابنه البرقد اشفى على الرجم
او كالمعلي مع الضليل الاروع • اذ اجاره من اعاريب ومن عجم
وصار يشكر شكرا كما فيما • اسدى اليه من الالاء والنعم
ولا تعاتب على اشيا قد قدرت • وخط مسطورها في اللوح بالقلم
وعد عما مضى اذ لا ارتجاع له • وعد احارنا في جملة الخدم
ايه حنانيك يا ابن الاكرمين على • ضيف الم بناديك غير محتشم
فانت انت ولولا انت ما نهضت • بنا اليها خطى الوخادة الرسم
رحماك يا راحما يمسي اليه رحما • في النفس والاهل والاتباع والحشم
فكم مواقف صدق في الجهاد لنا • والخيل عالكة الاشواق للجم
والسيف يخضب بالحمر من علق • ما ابيض من سبل واسود من لمم
ولا ترى صدر عضب غير منقصف • ولا ترى متن لدن غير منحطم
حتى ذهبنا بدهيا لا اقتدار لنا • سوى على الصون للاطفال والحرم
فقال من لم يشاهدها فرتبها • نجا لحا لحما تقتاد بالخطم
هيهات لو زبنته الحرب كان بها • اعيى يدا من يد جالت على رخم
تالله ما اضمرت غشا ضمائرنا • ولا طوت صحة منها على سقم
لكن طلبنا من الامر الذي طلبت • ولاتنا قبلنا في الاعصر الدهم

فخاننا

فخاننا عنده الجد الخؤون ومن • تقعد به نكبات الدهر لم يقم
فاسود ما اخضر من عيش رغدت به • عدي بالاسمر الدنا وبالابيض الخذم
وشتت البين شملا كان منتظما • والبين اقطع للموصول من جلم
فرب مبني شديد قد اناخ به • ركبا ليلا فقرته ادمع الديم
فما لديه اصيلا نا نسائله • اعيى جوابا وما بالربع من ارم
وما ظننا بان نبقى الى زمن • نرى به عذر الاحباب كالحلم
لكن رضينا بالقضا الجاري وان طويت • منا الضلوع على برح من الالم
لبيك يا من دعانا نحو حضرته • دعا ابراهيم الحجاج للحرم
واعطى الامن الذي رصت قواعده • على اساس وفاء غير منهدم
خليفة الله وافاك العبيد فكن • في كل فضل وطول عند ظنهم
وبين اسلافنا ما قد علمت به • من اعتقاد بحكم الارث مقتسم
وانتم منهم كالاصل مطلع غصنا • او كالثرى الذي قد قد من ادم
وقد حظوت تخطاهم في ماثرهم • فلم يذموا اذا فيها ولم تذم
وصيت مولى الورى الشيخ الامام غدا • في الناس اشهر من نار على علم
سلالة الامرا الجلة الكبرا • العلية الطهر القادة البهم
بنو امرين ليوث في عرين ابو • رويا قرين لهم في الباس والكرم
النازلين من البيضا وسط حمى • احمى من الابلق الشامخ ومن ارم
والجالبين بدهم الخيل كل ذري • والداعسين بسمر الخط كل كمي
يريك فارسهم ان هز عامله • في مارق بلظى الهيجا مضطرم
ليثا على اجدل غار من اجنحة • يسطو بارقم لداغ بغير فم
في اللام يدغم من عشا له الفا • ولم يجد الفا اصلا بمدغم
اهل الحفيظة يوم الروع يحفظهم • من عصمة الله ما يزري على العصم
يا من نظير سرار منه مخترقة • لكل مدرع بالحزم محتزم
هم بطانية التثليث قد فتكوا • كمثل ما يفتك السرحان بالغنم
وان يلثمهم يوما الوغى دمج • انسوك ما ذكروه عن ذوي اللثم
تضيء اراؤهم في كل معضلة • اضاءة السرج في داج من الظلم
هذا ولو من حيا ذاب محتشم • لذاب منهم حياء كل محتشم
طابت مدائحهم اذ طاب اصلهم • فاستنشقت النسمات اسما من النسم
لله درهم والسحب باخلة • بدرهم على الانعام والنعم
بجيشا لا فتى يرى من لون جمرته • كالشيب يخضب بالحنا والكتم
هناك تنهل ايديهم بصوب حيا • يحيي بالاجداث ما فيها من الرمم

وان بيت زياد طالما ذكرا • اذا المتاحاديث بذكرهم
احلام عاد واجسام مطهرة • من المعرة والافات والاثم
يرون حقا عليهم حفظ جارهم • فلم يبعر نازل فيهم ولم يضم
فروعه بالدوابي لا يروع ولا • يلم منها بما يعرو من الغصم
هم البحار سماحا غيران بها • ما قد نأى فعلى الاطواد من شمم
وليس يسلم من حنث محاربهم • حتى يكون اليهم ملقي السلم
كم فيهم من امير اوحد ندس • يقرطس الغرض المقصود بالفهم
ولا كمثل ابي حسون من حسنت • امداحه حسن ما فيه من الشيم
هذاكم ابن ابي ذكري الهمام نجل • في اصله المنتمي من مجده العمم
خليفة الله حقا في خليقته • كنايب ناب في حكم عن الحكم
مهما تنتر قسمات منه نيرة • تنل بنازله ما حل من نعم
فوجهه بدجي او كمه بجدي • اهمى من الزمر او اندى من الديم
وفضله ولد الفضل المبين حري • تجري الامثال في الاقطار والامم
وجوده المتوالي للبرية ما • وجوده بينها طرا بمنهدم
اذا انتفت نعما منه العفاة لم • يسمعوا كلمة منه سوى نعم
وان يعبس زمان في وجوههم • لم يبصروا غير وجه منه مبتسم
وحين تبين سمات المكرمات كما • تبين سمات العتق في الكلم
وراحة لم تزل في كل اونة • في نيلها راحة الشاكي من العدم
لله ما التزمته من نوافله • ايام لا فرض مفروض بملتزم
اسنى الخلايف في حلم وفي شرف • وفي سخا وفي علم وفي فهم
فجاز معتمدا منهم ومقتصدا • وامتاز عن وانق منهم ومعتصم
ونام الدين في الاقبال في افاق • محيي العلم اذري باينه الحكم
افعال اعدايه معتلة ابدا • متى يرم جزمها بالحذف تنجزم
فويل اهل الغلا من حيث ذكرهم • للمنتليب الهمام المجد ملتتم
داموا عداوة من ان ساعادهم • مثل الاحاديث عن عاد وعن ارم
فسوف ياكلهم من حيث لم يحتسب • يجل قرما الى الحمامهم قدم
وان الاعراب اذ ساروا لغابهم • لسايرون الى لقم على لقم
وهم كما قال ماض راي فيه • بسعيه نحو حتفي قد اتى قدمي
فقل اذا المناوي لنا ولاه الا ذيا عزعزك ما ابصرت في الحلم
لذ صوارم لو ناجتك السنها لبشرتك بحزم منك منصرم
وان روحك عن قرب سيقبضه • قبض المسلم ما قد حاز من سلم

صنوا الذي

فهو الذي ماله ندّ يشابهه • من كل منصف بالدهي متسم
يدبر الامر تدبيرا يخلصه • مما عسى اذ يري فيه من الوهم
ويبصر الغيب لحظ الذهن منه اذا • تعمى عن ادراكه الحاظ كل عمي
ونيم النظر المغني بناظره • لعقوب وجه صواب واضح اللقم
ذو منطق لم تزل تحلو نتايجه • عن مبطل لخصام المبطل الخصم
ومسمع ليس للوشاة فلم • ينفق لديه الذي عنهم اليه نمي
فعقله لا توازنها العقول وهل • توازن الطود ما قد طار من اكم
ايه جميع الورى من بدو وحضر • ندا مرتبط بالنصح ملتزم
سدوا وجدوا ولا تعنوا ولا تشوا • فدلها الدليل بالسواقة الحطم
هذا الامام المريني السعيد له • سعد يؤيد في كل مصطدم
قد انتمى لانه المنصور السنة • من نجبة الاوليا مبرورة القسم
فشيعوه ووالوه تروا عجبا • وتظفروا معه بالاجر والغنم
والحمد لله اذ انتهى خلافته • كهفا لنا من يخيم فيه لم يرم
حرز حريز وعز قايم وندي • عم دراك بلا من ولا سأم
دامت ودام لها سعد يساعدها • في كل مبتدا منه ومختتم
فالله عز اسمه قد زانها بحلي • من غرّ امداحه كالدر في النظم
الواهب الالف بعد الالف من ذهب • كالجمر يلمع في مستوقد الضرم
والفاعل الفعل لم يهمم به احد • والقايل القول فيه حكمة الحكم
ذاكم هو الشيخ فاعجب انه هرم • جودا وحاشاه ان يعزى الى هرم
وحسبنا انا يدينا به اعتصمت • من حبله بوثيق غير منفصم
فما لنا نخاف يوما بمضطهد • ولا هو الغمر يوما بمهتضم
ولا هو افيه من جهد بمطرح • ولا مصافيه في ود بمتهم
ولا محيا مجيبه بمنكسف • ولا رجا مرتجيه بمنخرم
ولا تكرمه سترا بمنكشف • ولا تنكن جهرا بمكتتم
وليس لامح مرآه بمكتيب • وليس راضع جدواه بمنفطم
ولا مقبل يمناه الكريمة في • محل يمنهن بل دست محترم
وما وسيلتنا العظمى اليه سوى • ما ليس ينكر ما فيها من العظم
وانما هي وما ادراك ما هي من • وسيلة ردها ادنى من الوخم
نبينا المصطفى الهادي بحير هدى • محمد خير خلق الله كلهم
داعي الورى من دواجي الجهل والظلم • الى طريق رشاد لاحب امم
عليه منا صلاة الله ما ذكرت • امن تذكر جيران بذي سلم

وما تشفع فيها با لتشفيع له • دخيل حرمته العليآء في الحرم
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين انت ولينا فاغفر
لنا وارحمنا وانت خير الغافرين • ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك
المصير • ذلك بان الله مولي الذين امنوا وان الكافرين لا مولي لهم • نعم المولي
ونعم النصير • اما بعد حمد الله الذي لا يحمد علي الضرآء والسرآء سواه • والصلاة
والسلام علي سيدنا ومولانا محمد الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح بيد غوالي
سبيل كل غلاح • اولي قلوب غافلة ونفوس سواه • والرضي عن اله واصحابه وعترته
الاكرمين واخوانه الذين تلقوا بالقبول ما اوردناه عليهم من اوامره ونواه •
وعزروه ونصروه في حال قربه ونواه • فيا مولانا الذي اولانا من النعم ما اولانا
لا حط الله لكم من العزه اوراقا • ولا اذوي لدوحة دولتكم اغصانا ولا اوراقا
ولا زالت محضرة العود • مبتسمة عن زهرات التباشير منحفة بثمرات السعود
ممطورة بسحايب البركات المتداركات دون بروق ولا رعود • هذا مقام
العايذ بمقامكم • المتعلق باسباب دمامكم • المترجي لعواطف قلوبكم
وعوارف انعامكم • المقبل الارض تحت اقدامكم • المتلجلج اللسان عند محاولة
مفاتحة كلامكم • وماذا الذي يقول من وجهه خجل وفواده وجل • وقضيته
المقضية عن التنصل والاعتذار بجل • بيد اني اقول لكم ما اقوله لربي واجرامي
علينا اكثر • واجرامي اليه اكبر • اللهم لا بري فاعتذر • ولا قوي فانتصر
لكني مستقيل مستنبل • مستغيث مستغفر • وما ابري نفسي ان النفس لامارة
بالسوء علي طريق التنزل والانصاف بما تقتضيه الحال ممن يتحيز الي حيز الانصاف هذا خ
واما علي جهة التحقيق فاقول ما قالته الام ابنة الصديق والله اني لا اعلم
اني ان اقررت بما يقوله الناس والله يعلم اني منه بري لا اقول ما لم يكن ولين
انكرت ما تقولون لا تصدقوني فاقول ما قاله ابو يوسف صبر جميل والله
المستعان علي ما تصفون علي اني لا انكر عيوبي فانا معدن العيوب • ولا اجحد
ذنوبي فانا اجل الذنوب • الي الله اشكو عجزي وبجري • وسقطاتي وغلطاتي
نعم كل شي ولا ما يقوله المتقول • المشنع المهول • الناطق بنم الشيطان المسول
ومن امثالهم سبني واصدق • ولا تفتر ولا تخلق • افلي كان يفعل امثالها
ويحمل من الاوزار المضاعفة احمالها • ويهلك نفسه ويحبط اعمالها • عياذا
بالله من خسران الدين • وايثار الجاحدين والمعتدين • قد ضللت اذا وما
انا من المهتدين • وايم الله لقد غلت شعرة فودي تميل الي تلك الجهة
لقطعتها بل لقطعت ما تحت عمامتي من هامتي وقطعتها • عيرانا لرعاع
في كل وقت واوان • للملك اعدا وعليه احزاب واعوان • كانا احمق واجهل

من ابي ثروان او اغفل واغلم من اشج بني مروان • رب متهم بري • ومستر بل
ببر بال ونمو منه عري • وفي الاحاديث صحيح وسقيم • ومن التراكيب
المنطقية منتج وعقيم • ولكن ثم ميزان عقل تعتبر به اوزان النقل وعلي
الراجح الاعتماد • ثم اشاعة الاحاد • المنقل المتماد • وللمرجوح الاطراح
ثم الزم الصراح • نعدا النقض من الراح • واكثر ما تسمعه الكذب • وطبع
جمهور الخلق الا من عصمه الله اليه منجذب • ولقد قذفنا من الاباطيل
باحجار • ورمينا بما لا يرمي به الكفار فضلا من الفجار • وجري من الامر
المنقول علي لسان زيد وعمرو وما لديكم منه حفظ الجار • واذا عظم الاشكا
فعلي نكادا التجلد الاتكا • اكثر المكثرون • وجهد في تغييرنا المتعثرون
ورمونا عن قوس واحدة ونظمونا في سلك الملاحدة • اكفروا انفسا كفرا
غدا اللهم غفرا • اعد نظرا يا عبد قيس • فليس الامر علي ما خيل لك
ليس وهل زدنا عملي ان طلبنا حقنا • ممن رام محقه ومحقنا • فطاردنا
في سبيله عداة كانوا لنا غايظين • فانفتق علينا فتق لم يكن له رتق
وما كنا علي الغيب حافظين • وبعد فسال اهل الحل والعقد والتمييز
والنقد • فعند جهينتهم نلقي الخبر يقينا • وقد رضينا بحكمهم يوما ما
فيونبنا او يبريا فيقينا • ايه يا من اشرأب الي ملامنا • وقدح حتي
في اسلامنا • دونك دارك دونكا • فقد وجدت قوة وايدا • ويحك اغا اطال
لسانك علينا • وامتد بالسوء الينا • لان الزمان لنا مصغر • ولك
مكبر • والامر عليك مقبل • وعنا مدبر • كما قاله كاتب الحجاج
الوبر • وعلي الجملة فنيا صرنا الي التسليم مقالك جدلا وذهبنا
فاقررنا بالخطا في كل ورد وصدر فتنة دار التاويل • ان كنت لخطات
فما اخطا القدر • وكانا بمتعسف اذا وصل الي هنا • وعدم انصافه سهله
الاهنا • فلا زور متجانا • ثم افتر متهانا • وجعل يتمثل بقولهم
اذا احتروا قالوا امتعاد بر قدرت • وبقولهم المرء يعجز لا المحالة •
فيعارض الحق بالباطل • والحالي بالعاطل • ومرع بقول التاويل • ذي
منع هايل • وليس تحته من طايل • وقد فرغنا ولا اشر من جوابه • ونزكي
الضعف بلصق خزانة الجوي به • وسلم الان بما يوسعه تسكينها وسطعة
نكتها • فنقول له ناشدناك الله تعالي هلا نقول لك قط وعرض
خروج امر ما عن القصد منك فيه والغرض • مع اجتهادك اثناه في اصدار
وايرادك • في وقوعه علي وفق اقتراحك ومرادك • او جميع ما فتر ولبر
بارادتك او كل ما تقصد وتنوير • بحزم عماشا وتحوير • فلا يتاتي

يبين اضطرارًا بان مطلوبه يبشد عنه مرارًا بل كثيرًا ما يفلت صيده من
اشركه ويبطله فيعجز عن ادراكه • فنقول ومثالنا من هذا القبيل
ايها النبيه النبيل ثم نسرد له من الاحاديث النبوية ما يناسب ما نحن بصدده
في غرضنا منه ويماشينا • لقوله صلى الله عليه وسلم كل شي بقضا وقدر
حتى العجز والكيس وقوله ايضًا لو اجتمع اهل السموات والارض على ان ينفعوك
بشي لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا على ان يضروك بشي لم
يقضه الله لك لم يقدروا عليه او كما قال صلى الله عليه وسلم فالخلق
بين ان يلوذ باكناف الاحجام ويزم على نفسه قيدًا كما الجم باللجام • حينئذ نقول له
والحق قد بان وجهه وجلاه • وقهره بحجته وعلاه • ليس لك من الامر شي
قل ان الامر كله لله وفي محاجة ادم موسى ما يقطع لسان الخصم • ويرخص عن
اثواب اعراضنا ما عسى ان يعلق بها من درن الوصم • وكيفما كانت الحال
وان سا الراي والانتحال • ووقعنا في اوجال واوحال • فقل عرشنا
وطويت فرشنا • ونكس لوانا • وملك مثوانا • فنحن امثل من سوانا وفي
الشر خيار • وبالالطاف تكسر من صولة الاغيار • فحتى الان لم نفقد من
تعالى لطفا • ولا عدمنا ادوات ادعية نعطف بلا مهلة على جملتنا
المقطوعة جمل النعم الموصولة عطفا • والا فتلك بغداد دار السلام
ومثوى الاسلام • المحفوف بفرسان السيوف والاقلام • مثابة الخلافة
العباسية • ومقر العلما والفضلا • اولي السير الاويسية • والعقول
الاياسية • قد تزلزلت بالجيوش ونزلت • وزوولت بالزحف وزلزلت
وحيف جوانبها الحيف • ودخلها كفار التتر عنوة بالسيف • ولا تسل
اذ ذاك عن كيف ايام تجلت عروس المنية كاشفة عن ساقها مبدية •
وجرت الدما في الشوارع والطرق كالانهار والاودية • وفيد الايمة
والفقهاء تحت ظلال السيوف المنتضاة بالعمايم في رقابهم والاردية
وللنجيع سيول تخوضها الخيول • فتخضبها الى ارساغها وتهم وتهم طهورها
بورودها فتنكل عن تجرعها ومساغها • فطاح عاصمها ومستعصمها وراح ولم
يغدطالمها ومتظلمها وخربت مساجدها ودیارها واصطلم بالحسام اشرارها
وخيارها • فلم يبق من جمهور اهلها غير نطرف حيثما عرفت او حيثما تعرف • فلا
تك متشككا متوقفا • فحديث تلك الواقعة الشنعا اشهر عند المورخين
من قفا • فاين تلك الجحافل • والاراء المدارة في المحافل • حين اراد الله
بادالة الكفر • لم تجد ولا قلامة ظفر اذ من سلمت له نفسه التي هي راس
ماله • وعيا له • واطفاله الذين هم من اعظم اماله • وكل اوجل واعقل

رياشه • واسباب معاشه الكفيلة بانتهاضه وانتعاشه • ثم وجد مع
ذلك سبيلا الى الخلاص في حال مياسرة ومساهلة • دون تعصب واعتياص
بعد ما ظن كل الظن الا محيد ولا مناص فالاحرى حينئذ واولاه • ان يحمد خالقه
ورازقه ومولاه • على ما اسداه اليه من رفق وخيره • ومعافاته مما ابتلى
به كثير من غيره • ويرضى بكل ايراد واصدار • تتصرف بهما الاحكام الالهية
والاقدار • فالدهر غدار • والدنيا دار مشحونة بالاكدار • والقضا
لا يرد ولا يصد • ولا يغالب • ولا يطالب • والدايرات تدور • ولا بد
من نقص وكمال للبدور • والعبد مطيع لا مطاع • وليس يطاع الا المستطاع
وللخالق القدير • جلت قدرته في خليقته علم غيب للاذهان عن مداه
انقطاع • وما لي والتكلف لما لا احتاج اليه من هذا القول • بين يدي
ذي الجلال والطول والمجادة والفضل والطول • فله من العقل
الارجح • ومن الخلق الاسجح • ما لا تلتاط معه تهمتي بصغره • ولا تنفق
عنده وشاية الواشي لا عدمن نفثه • ولا فاز قدح بطعنه • والمولى
يعلم ان الدنيا تلعب باللاعب • وتجر براحاتها الى المتاعب • وقديما
للاكياس من الناس خدعت • واخرفت غروضًا لهم اغفل ما كانوا وقطعت
وفعلت بهم ما فعلت • بيسار الكواعب تلك التي جت وجدعت ولتي
رهضت وهصرت • فقد نبهت وبصرت • ولين فرعت ومعضت • لقد
ارشدت ووعظت • ويا ويلنا من تنكرها لنا بعد • ورميها لنا في
عمق اي عمق • ايام قلبت لنا ظهر المجن • وغيم افقها المصحي واذجن
فسرعان ما عاينا حجاها امنيته • ورانينا منها ما لم يحتسب كما تقوم
الساعة بغتة • فمن استعاذ من شي فليستعذ مما صرنا اليه من الحور
بعد الكور • والانحطاط من النجد الى الغور
فبينا نسوس الناس والامر امرنا • اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فاف لدنيا لا يدوم نعيمها • تقلب تارات بنا وتصرف
وانها لغدار رهقتنا ارزاقها وجرعتنا من صاب الاوصاب كاسا دهاقا
ولم نفزع الى عزيا بكم المنيع الجناب • المنفتح حين سدت الابواب • ولم نلبس
غير لباس نعمايكم حين خلعنا ما البسنا الملك من الاثواب • والى الام يلجا
الطفل لجا اللهفان • وعند الشدايد تمتاز السيوف في الاجفان من الاجفان
ووجه الله يبقى وكل من عليها فان • والى هنا ينتهي القايل ثم يقول
حسبي هذا وكفان • ولا ريب في اشتمال العلم الكريم • على ما تعارفته
الملوك بينها في الحديث والقديم • ومن الاخذ باليد عند زلة القدم

وقرع الاسنان وعض البنان من الندم • دينا ندين حتى مع اختلاف الاديان
وعادة اطردت فيهم على تعاقب الازمان والاحيان • ولقد عرض علينا صاحب
قشتالة مواضع معتبرة جزيلة • واعطى من امانه المؤكد فيه خطه بايمانه
ما يقنع النفوس ويكفيها • فلم نر ونحن من سلالة الانصار مجاورة الصفر ولا سوغ
لنا الايمان الاقامة بين ظهراني الكفر • ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولو
شاسعة • وامنا من المطالب والمشاغب حمة شر لنا لاسعة • واذكرنا الى اذكار
قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الانكار • الم تكن ارض الله واسعة • وقول
الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ في ذلك بابلغ الكلام • وانا بري
من مؤمن مع كافر لا تتراءى ناراهما وقول الشاعر الحاث على حث المطية
المتثاقلة عن السير في طريق منجاتها البطية

وما انا والتلذذ نحو نجد • وقد غصت تهامة بالرجال

ووصلت ايضا من الشرق الينا كتب كريمة المقاصد لدينا تستدعي الاخيار
الى تلك الجنات • وتتضمن ما لا مزيد عليه من الرغبات • فلم نختر الا
دارنا التي كانت دار ابائنا من قبلنا • ولم نرتض الانضوا الا لمن بحبله
وصل حبلنا • ويريش بنبله ريش نبلنا • ادلالا على محل اخائه المتوارث لا عن
كلاله • وامتثالا لوصاة الاجداد لانظارهم واقدارهم اصالة وجلاله
اذ قد رووينا عن سلف من اسلافنا في الايصا لمن يخلف بعدهم من اخلافنا
لا يبتغوا اذا دهمهم داهم بالحضرة المرينية بدلا • ولا يجدوا عن
طريقها في التوجه الى فريقها معدلا • فاخترقنا الى الرياض الاريضة
النجاح • وركبنا الى البحر الفرات ظهر البحر الاجاج فلا افز وان نرده منه
على ما يتر العيني • ونيلي النفس الشاكية من الم البين • ومن توصل هنا
التوصيل • ونتوسل بغير ذلك التوسل • نظارها على سنة امير المومنين
المحارب للمحاربين والمومن للمستامنين • ونو الخليق الحقيق • باذ يسوغ
اصفى مشاربه • ويبلغ اوفى مآربه • على توالي الايام والشهور والسنين
ويخلص من الثبور الى الحبور • ويخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين
ولعل شعاع سعادته يفيض علينا • ونفحة قبول اقباله تسري الينا
فتخامرنا اريحية تحملنا على ان نبادر • ولا انشاد قول الشريف الرضي
في الخليفة القادر • •

عطفا امير المومنين فاننا • في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت • ابدا كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني • انا عاطل منها وانت مطوق

لابل

لابل الاحرى بنا والاحجى • والانجح لسعينا والارجى ان نعدل عن هذا المنهاج • ونقوم
وافدنا بين يدي علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج • وننشد ما قال
في السيرازي ابن حجاج •

الناس يفدونك اضطرارا • منهم وافدنيك باختياري
وبعضهم في جوار بعض • وانت حتى اموت جاري
فعش لخبزي وعش لمائي • وعش لداري واهل داري

ونستوهب من الوهاب تعالى وجلت اسماؤه • وتعاظمت نعماؤه • رحمة تجعل
في يد الهداية اعنتنا • وعصمة تكون في مواقف المخاوف جنتنا • وقبولا ينطف
علينا نوافر القلوب • وصنعا يبني لنا كل مرغوب ومطلوب • ونسأله
وطالما بلغ السائل سولا ومامولا • متابا صادقا على موضوع الندم محمولا
لما غراحنا وصبرا جميلا • عن ارض اورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا
وسادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا • سنة الله التي قد خلت
من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا • فليطر طائر الوسواس المرفرف مطيرا
كان ذلك في الكتاب مسطورا • لم نستطع عن مورده صدورا وكان امر الله
قدرا مقدورا • الا وان الله سبحانه في مقامكم العلي الذي ايدى واعانه
سدا بر النصر بنزحم عنه لسان من الفضل • ونزجح فروع المباسر القادحة
بالفتوحات المتلاحقة • من قاعدته المتاصلة الى الافضل • فيمثله نحيت
البلاد والعباد • ولتنبهه يحق الالتجا والارتجا • ولامر ما اثرناه
واخترفاه • بعد ما استرشدناه الله تعالى واستخرناه • ومنه جل جلاله
نرغب ان يخير لنا ولجميع المسلمين • ويورينا من حمايته ووقايته الى معقل
منيع وجناب امين امين • ونرجوان يكون ربنا • الذي نوى في جميع
الامور حسبنا قد خار لنا حيث ارشدنا وهدانا • وساقنا توفيقه وحدانا
الى الاستجابة بملك حتى كريم في اعز جار امن بجدا ود واحمى انيا من الحارث
ابن عباد • ليشهد بذلك الداني والقاصي والحاضر والباد • ان اغاث
ملهوفا فالاسود بن قنان يذكر • وانا نفس حاشية هالك • فما كعب
ابن مامة في فعله وحده ليشكر • جليسه كجليس القعقاع بن شور •
ومذاكره كذا كر سفيان المنتسب من الرباب الى ثور • الى التحلي بامهات
الفضائل • التي اضدادها امهات الرذائل • وهي الثلاث الحكمة
والعدل والعفة التي تشملها الثلاث الاقوال والافعال والشمائل
وينشا منها ما شئت من عزم وحزم • وعلم وحلم • وتيقظ • وتحفظ • واتقا
وارتقا • وصول • وطول • وسماح • ونايل • فنور حلاه المشرق يتحير

المزب على المشرق • ومحتد الشاي خطره في الاقطار • وبيته الذي ذكره
في النبا منه والنجابة قد طار • يباهي جميع ملوك الجهات والاقطار
وكيف لا وهموا لرفيع المنتمي والنجار • الراضع من لطهانة صفو اللبان
الناشي من السراوة وسط احجار • في صنضي المجد ومحبوح الكرم • وسراوة
استرة المملكة التي اكنافها حرم • وذوابة الشرف التي مجادتها لم ترم
من معشر اي معشر • تخلوا ان وهبوا ما دون اعمارهم • وجبنوا ان لم يحموا
سوى ذمارهم • بنو امرين •

بنو امرين وما ادراك ما بنو مرين • سم العداة وافة الجزر
النازلون بكل معترك • والطيبون معاقد الازر

لهم من المعلوات انتقا • وعندهم من السيرا النبوية الاكتفا • انتسبوا
الى بر بن قيس • فجروا في البر عن المقيس • ما لهم العذيم المعروف • وقد
نفذ في سبيل المعروف • وحديثهم الذي نقلته رجال الزحوف • من
طرقا لقنى والسيوف • على الحسن من المقاصد موقوف • بحمد من صغيرهم
وكبيرهم • ذابلهم ولدتهم • فنعم ابا الحجون هم • والامهات ولدتهم •
منهم الانوف من الطراز الاول • اليهم في السيد آية الاسناد وعليهم
في الازمات المعول • ولهم في الوفا والعفا والاحتفا والعناية
والحماية والرعاية الخطو الواسع والبارع الاطول • كما عناه هنهم
بقوله جرول •

اولئك قوم ان بنوا احسن البنا • وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا اشدوا
وان كانت النعما فيهم جزوا بها • وان انعموا لا كدروها ولا كدوا
وتعذلني ابنا سعد عليهم • وما قلت الا بالذي علمت سعد
وبقوله الوثيق مبناه • البليغ معناه

قوم اذا عقدوا اعقد الجارهم • شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
يزجون عن التنزيل كل نازح قاصم • وليس له منهم عايب ولا واصم
وتواحق بما قاله في منقر قيس بن عاصم

لا يفطنون لعيب جارهم • وهم لحفظ جواره فطن

من قصد منابتكم العزيزة وخدمها • وان المترامي على سنا بكم لجدير بحرمتكم
واعنايكم • وكل ملهوف بتوامن كنفكم حضنا حصينا • عاش بقيته عن محروسا
من الضيم مصونا • وقد قيل في بعض الكلام • من تعمدت به نكاية الايام
اقامته اغاثة الكرام • ومولانا ايده الله ولي ما يزفد الينا من مكرمة
بكر ويصنعه لنا من صنيع حافل • يخلد في صحايف حسن الذكر • ويروي

حديث

حديثهم وشكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر • وعين من ينام عن ذلك
فيوقظ ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر ويوعظ • وما عهده منذ وجد الا سريعا
الى داعي الندا والتكرم • بريا من الضجر بالمطالب والتبرم • حافظا للجار الذي
اوصى النبي صلى الله عليه وسلم بحفظه مستفرغا وسعه في رعيه المستمر ولحظه
اهنا من حسن الثنا في جميع الاوقات والانا بحظه

فهو منه وحة الثنا فرع عز • ليس يحتاج مجتنيه لهز
كنفي المحال اعز وبل • وذراه في الخوف امنع حرز
حلمه يشفر اشه لذا غنه • فنعم يامدعي الفهم لغز
لا تسله شيا ولا تستنله • نظرة منه فيك تغني وتجزي
فنداه مو الفرات الذي قد • عام فيه الانام عوم الاوز
وحماه هو المنيع الذي سر • ح عنه الخطوب مرخم عجز
فدعوا ذهنه يزاول قولي • هو اذري بما تضمن رمزي
دام يجني بكل صنع ومن • وتحيا في من كل بوس ورجز

وكان به قد عمل على شاكلة جلاله • من مد ظلاله • وتمهيد حلاله • وتلقي
وزودنا بحسن تهلله واستهلاله • وتانيسنا بجميل قبوله واقباله • وايرادنا
على حوض كوثر المترع بزلاله والله يسعد مقامه العلي • ويسعدنا به في حله
وارتحاله • وماله وحاله • ويؤيد جند الظفر ويؤيدنا بتاييده على ترادف
عدوه واستنزاله • وهذا الذوابل لاطفا ذباله • وهو سبحانه المسؤول
يزيد قرة العين في نفسه واهله وخدامه وامواله • وانظاره واعماله
وكافة شؤونه واحواله • واحق ما نصل بالسلام واولى • على المقام الجليل
مقام الخليفة المولى • ازكى الصلاة والسلام على خاتمة انبيائه وارساله
سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع اصحابه واله • صلاة
وسلاما دايمين ابدا موصولين بدوام الابد واتصاله • ضامنين لمجدد دمها
ومردد دمها صلاح فاسد اعماله • وبلوغ غاية اماله • وذلك بمشية الله تعالى
واذنه وفضله وافضاله • انتهى وكانت هذه الرسالة على لسان السلطان
المخلوع • قال الوادي اشي في حقه انه امام الصناعة • وفارس حلبة
القرطاس واليراعه • وواسطة عقد البلاغة والبراعة • الذي قطعت
الكمال الماثور • ورتب محاسن البديع في درر فقره وطور • وعزف من بحر عجاج
واقتطف من خاطر وهاج • ابو عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي
وما احسن قوله في من قد طعن به المسلمون

الادب مغرور تنقص صلة • لحاق به سوء الضلالة وسره

فان يرتفع عند النصاري بلادنا فكم عندنا من حرف خيل تجره

وقال الوادي اشي ايضا في موضع اخر مما نصه • والشاعر العصر • ومالك زمام المنظم والنثر • الفقيه العالم المتفنن العارف الاوحد النبيه النبيل سيدي محمد العربي وصل الله دفعه قدره • وحرس من غير الايام اسعه بدره

الحب في جمهور انواره • فاين الاخوان والاحباب

واين الاجتماعات قد • تهيات لهن الاسباب

واين بنت الجبن مهمي بدت • طارت لها شوقا الالباب

واين الالبان لا كواهيا • في برم الارز تنسكاب

واللحم بالبياس قد النت • لطبخه في العذر الاحطاب

والعود ذو دند نتر يطبي • اثارها للطارد بداب

وملح الاصوات قد طورحت • وحيا معبد وزرياب

وفض للمتوشحا فرولم • ليد في وجه الهوي باب

وقيل للوقار قم قبلان • تسلب عنك الان الاثواب

وكل انسان وما يشتهي • ليس علي مناه حجاب

متوسلا ليس لمن عذلك • كلا ولا عليه رقاب

في راحة خلعت ارسانها • لمثلها تقصر الاعتاب

فكل بستان قد اسست • فيه النواوير والاعشاب

واطلع التراب اد واحه • كانها العرب الاتراب

لما تحلت بحلي زهرها • داخلها بالحسن الاعجاب

عرايس ليس لها في سوي • مايه او بينه خطاب

امام تبدي ثمرات بدا • في حينها تمر الارطاب

كانه في العين ياقوتا او • كانه في الفم جلاب

هيهات هيهات امانها • خلب برق لك خلاب

ماحوت الرووس امثالها • فكيف تحويه الاذناب

قد عاق عن ذلك دهر به • تعدم الافراح والاطراب

يروم الانسان غلابا له • والدهر للانسان غلاب

وقال رحمه الله تعالي لما نزل النصاري لمحاصرة غرناطة

بالطبل في كل يوم • وبالنفير نراع

ولسنا من بعد هذا • وذاك الا القراع

يارب جرك نرجو • من هيض منها الذراع

لا تسلبني صبرا • مد لقلبي ادراع

وله رحمه

وله رحمه الله تعالي في الموشحات اليد الطولي فمن ذلك قوله

بدر اهل الزمان الرفيع القدر • لا تزل في امان من كسوف البدر

وله من اخري

هل يصح الامان من شبيه البدر • وهو مثل الزمان منتم للغدر

لم يغير الاغر • غير غمر جاهل • عبثه الحلوم • ونموفيه ماهل

والصبا المغضر • ونمو عنه ذاهل • مرشفا الهرمان • فوق ثغر الدر

مطمع للاماني • باقتراب الدر

وعارض رحمه الله بهاتين الموشحتين الموشحة المشهورة

ضاحك عن جمان سافر عن بدر • ضاق عنه الزمان • وحواه صدري

وممن عارض هذه الموشحة ابن زمرك اذا قال

مبسم البهرمان • في الحيا الدري • صاد قلبي وبان • وانا لم ادر

والانصاف ان معارضة العربي احسن من هذه • وله ايضا معارضتين غير ما تقدم الاولي قوله •

بان لي بين بان • ذا خدود حمر • ينثني مثل بان • في ثياب خضر

والثانية قوله

هل المرآة ثان • في سناه الدر • او لحوباي ثان • عن هواها العذر

يا مليحا جلا • عن محيا جميل • همت فيه ولا • هيما في جميل

مل قلبا الي • من اليك يميل • عاشق فيك فان • كاتم للسر

لك منه مكان • في صميم الصدر •

ومن نظم العربي المذكور لما عرض عليه السلطان رياسة كتابه **من قصيدة**

اوجه سعدي لاح عنه اللثام • ام بدر افق فض عنه الغمام

ام انا في حالي ولا عقل لي • ام حلم قد لاح لي في المنام

يا مالك مراي من راي حسنه • هاج لقلبه غراما وهام

كانما اقتبس نور البها • من وجه مولانا الامام الهمام

ابنا ابي الحسن الاسري الذي • قد كان للاملاك مسك الختام

من قام انجب سبيها له • في صدق باس ومضاء اعتزام

حامي وسامي فافاعله • تنقلها ابناء سام وحام

دام له النصر الذي جاءه • والسيف من طلي اعاديه دام

فيا امير المومنين الذي • له بعروة اليقين اعتصام

ابشر بجد مقبل لم يول • الي انصراف لا ولا لانصرام

وعزة لم يفض بنيانها • الي انهداد لا ولا لانهدام

لله منك ملك حسن • زهر النجوم ولمويذ النمام

ومنها

يطرب مادحه مثل ما • تطرب قلبا لصب سجع الحمام
فيفعل الشعر بلعطافه • ما ليس تفعل بهن المدام
وان حكى في مدحه يوسفا • فحسنه يشبه زهر الكمام

ومنها

فدارة ليست ببغداد بل • مع انها تدعى بدار السلام

ومنها

انا له الاقفا من كل ما • اعجز عن حمله والتزام
مستشفعا لديه خير الورى • محمد عليه ازكى سلام

ومنها

وكل انسان وما لخاش • ورب ذي عذر قد اضحى يلام

واخرها

فالحمد لله على ان غدا • للشمل بعد الانصداع التيام

ولنختم هذه الترجمة بقوله •

جزبا لبساتين والرياض فما • ابهج مرتبها واحلاه
واعجبها للنبات ولتك في • اشغله ناظرا واعلاه
وقدس الله عند ذاك وقل • سبحانه لا اله الا هو

القسم الثاني من الكتاب في التعريف بلسان الدين ابن الخطيب وذكر ابنايه التي يروق سماعها وينادح نفحها ويطيب وما يناسبها من احوال العلما الافراد والاعلام الذين اقتضى ذكرهم شجوت الكلام والاستطراد وفيه ايضا من الابواب ثمانية موصلة الى جنات ادب قطوفها دانية وكل غصن منها رطيب

الباب الاول

في اولية لسان الدين وذكر اسلافه • الذين ورث عنهم المجد وارتضع در اخلافه وما يناسب ذلك مما لا يعدل المنصف الى خلافه اقول هو الوزير الشهير الكبير لسان الدين الطاير الصيت في المغرب والمشرق المزري عرف الثنا عليه بالعنبر والعبير المثل المضروب في الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم على اختلاف انواعها ومصنفاته تخبر عن ذلك يفيدك منها خبير علما الروسا الاعلام • الوزير الشهير الذي خدمته السيوف والاقلام وغنى مشهور ذكره عن مسطور التعريف والاعلام واعترف له بالفضل اصحاب العقول الراجحة والاحلام • قال سليل السلاطين الامير العلامة

اسماعيل

اسماعيل بن يوسف بن السلطان القايم بامر الله محمد بن الاحمر نزيل فاس رحمه الله في كتابه نثر فرايد الجمان فيمن نظمني واياه الزمان في حق المذكور ما نصه ذو الوزارتين الفقيه الكاتب ابو عبد الله محمد بن الرييس الفقيه الكاتب المنتزي ببلدة لوشة عبد الله بن الفقيه القايد الكاتب سعيد بن عبد الله بن الفقيه الصالح ولي الله الخطيب سعيد السلماني اللوشي المعروف بابن الخطيب انتهى • وقال القاضي ابن خلدون المؤرخ المالكي رحمه الله في تاريخه الكبير عندما اجرى ذكر لسان الدين ما نصه اصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة في الشمال من البسيط الذي في ساحتها المسمى بالمرج وعلى وادي شنجيل ويقال شنيل معدود في وزرايها وانتقل ابوه عبد الله الى غرناطة واستخدم لملوك بني الاحمر واستعمل على مخازن الطعام انتهى وقال غيره ان بيتهم يعرف قديما ببني الوزير وحديثا ببني الخطيب وسعيد جده الاعلى اول من تلقب بالخطيب وكان من اهل العلم والدين والخير وكذلك سعيد جده الاقرب كان على خلال حميدة من خط وتلاوة وفقه وحساب وادب خيرا صدرا توفي عام ثلاثة وثمانين وستماية وابو عبد الله كان من العلم بالادب والطب وقرا على ابي الحسن البلوطي وابي جعفر بن الزبير وغيرهما واجازه طايفة من اهل المشرق وتوفي بطريف عام واحد واربعين وسبعماية شهيدا يوم الاثنين السابع من جمادي الاولى من العام المذكور مفقودا ثابت الجاش شكر الله فعله قلت وما ذكره هو اكثره ماخوذ من كلامه عند تعريفه رحمه الله بنفسه اخر الاحاطة ولنذكر ملخصه اذ صاحب البيت ادرى بالذي فيه مع ما فيه من الزيادة على ما سبق ومن يتم للطالب امله ونوفيه قال رحمه الله يقول مؤلف هذا الديوان تغمده الله خطله في ساعات اضاعها وشهوة من شهوات اللسان اطاعها • واوقات للاشتغال بما لا يعنيه استبدل بها اللهو لما باعها • اما بعد حمد الله الذي يغفر الخطيئة ويحث من النفس اللجوج المطية • فتحرك ركايبها البطية • والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ميسر سبل الخير الوطية • والرضى عن اله وصحبه منتهى الفضل ومناح الطية • فاني لما فرغت من تاليف هذا الكتاب الذي حمل عليه النشاط • مع الالتزام لمراعاة السياسة السلطانية والارتباط والتفتت الى فواتني من صوان درر ومطلع غرر قد تخلدت ما توهم بعدها باعيانهم وانتشرت مفاخرهم بعد انطواء زمانهم فنافستهم في اقتحام تلك الابواب • ولباس تلك الاثواب • وقنعت باجتماع الشمل بهم ولو في الكتاب وحرصت على ان انال منهم قربا واخذت اعقابهم ادبا وحبا وكما قيل ساقي القوم اخرهم شربا فاجريت نفسي مجراهم في التعريف وحذوت بها حذوهم في بابي النسب والتصريف بقصد التشريف والله لا يعدمني واياهم واقفا يترحم وركاب الاستغفار بمنكبه يزحم عندما ارتفعت وظايف الاعمال وانقطعت من المكتسبات حبال الامال ولم يبق الا وجه الله الذي تتناسى النفوس وتخلصهما

وتعنيهما بمنسم السعادة وتخصصهما • جعلنا الله ممن حسن ذكره ووقف على التمام
ما لدية فكره بمنه محمد ابن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي ابن احمد السلماني
قرطبي الاصل ثم طليطلية ثم لوشية ثم غرناطية يكنى ابا عبد الله ويلقب من الالقاب
المشرقية بلسان الدين اوليته تعرف ببيتنا في القديم وبيوم حديثنا بلوشة ببني
الخطيب انتقلوا مع اعلام الجالية القرطبية كيحيى ابن يحيى الليثي وامثاله عند وقعة
الربض الشهيرة الى طليطلة ثم تسربوا محومين على وطنهم قبل استيلاء الطاغية
عليه فاستقر منهم بالوسطة الاندلسية جملة من النبهاء تضمن منهم ذكر خلوم كعبد
الرحمن قاضي كورة باغة وسعيد المستوطن بلوشة الخطيب بها المعروف انه
بالتشويد عند اهلها جار يا مجرى التسمية بالمركب تاريخ الغافقي وغيره وسكن عقبهم
بها وسكن لبعضهم منتقر من ملكين اياها مختطين جبل الحصن والمنعة فنسبوا اليها
وكان سعيد هذا من اهل العلم والخير والصلاح والدين والفضل وزكا الطعمة اد
فعني الوزير ابو الحكم بن محمد المنتقريري وهو بقية هذا البيت واخيارهم على جدار
برج ببعض زقي املاكها بلوشة بطاه الطريق المارة من اغرناطة الى اشبيلية
وقال كانت بعرك يزيع بهذا المكان فصولا من العلم ويجهر بتلاوة القران
فيستوقف الرفاق المرجحة الحنين الى نغمته والخشوع الى صدقه فتعرى رحالنا
لصق جداره ونحح طرها موهنا الى اذيا في علي ورده وتوفي وقد اصيب باهله
وحرمه عندما تغلب العدو على بلده عنوة في خبر طويل وقفت على مكتوبات من المتوكل
على الله محمد ابن يوسف ابن هود امير المسلمين بالاندلس في عرض اعانته والشفاعة
الى الملك زوج سلطان فشتالة بما يدل على نباهة قديم بيته وانافة عبرة هـ
واستنفاله عثرة وتخلف ولده عبد الله جاريا مجراه في النحلة والتعيش من حر
النشب والتزلي بالانقباض والتحلي بالنزاهة الى ان توفي وتخلف ولده سعيد
احد نا الاقرب وكان صدرا اخيرا مشتوليا على خلال حميدة من خط وتلاوة وفقه
وحساب وادب فانس جيرته بني الطنجالي الهاشميين وتحول الى غرناطة عندما شعر
بعملهم على الثورة واستطلاعهم الى العرفه التي حضرت الشوكم واستمالت منهم
الشافة وصاهر بها الاعيان من بني اضحى ابن عبد اللطيف الهمداني اشراف جند
حمص الداخلين الى الجزيرة في طلعة بلج بن بشر القشيري ولحقه من جرا منافسيه
لما جاهروا السلطان بالخلعان اعتقال اعتبه السلطان بعد واحظاه
على تعتنيه وولاه الاعمال النبيهة والخطط الرفيعة حدثني من اثق به قال
عزم السلطان ان يعقد جدك استاذا لولده فانفت من ذلك ام الولد اشفاقا
عليه من فظاظ كانت فيه ثم متاهرا لعوادى بني الجعد اله على ام ابي ومت الى ذوي
السلطان ببنوه الخلوه فنبه العذر وانفسحت الحظوة وانثال على البيت الروسا

والنزابة

والنزابة وكان على قوة شكيمته وصلابة مكسره موثرا للخمول محببا في الخير حدثني
ابي عن امه قالت فلما تهننا فانحن وابوك طعاما حافلا لاينا ده يه من كان يكنى
بمسجد جواره من اهل الحاجة واهلا الضرورة ليجمع علينا منهم فكل واته ويجمع
بدمع بين ويشركه في اكليته ملتذا بموقعها من فواده وتوفي في ربيع الاخر سنة
ثلاث وثمانين وستمائة صهرته الشمس مستشفيا في بعض الحمول وقد استغرق
في صراعته فدلت الحتف على نفسه وتخلف والدي فابتاع الترف نبت العليق يكتنفه
دعي ام بجر ذيل نعمة ويحنوا منه على واحد تحذر عليه النسيم اذا سرى فغانه لترفه
حظ كبير من الاجتهاد وعلى ذلك فقرا على الخطيب ابي الحسن البلوطي والمقرى ابي
عبد الله ابن سمعون وابي جعفر ابن الزبير خاتمة الجلة وكان يفضله وانتقل الى لوشة
بلد سلفه محصوصا بلقب الوزارة الى ان قصدها السلطان ابو الوليد متخطيا
الى الحضرة هاديا الى ملك البيضة فعضد امره وادخله بلده لدواع بطول استقصاؤها
ولما تم له الامر صحب ركابه الى دار ملكه مشتملا بستقصر بعض من دنياه وكان من
رجال الكمال حلو الوجه مع الظرف ونضمن كتاب التاج المحلى والاحاطة دا بعاني شعره
وفقد في الكاينة العظمى بطريف يوم الاثنين سابع جمادى الاولى سنة واحد واربعين
وسبعمائة ثابت الجاش غير جزوع واهيا به حدثني الخطيب بالمسجد الجامع من غرناطة
الفقيه ابو عبد الله بن اللوشي قال كنا باخيلة الطرف وقد غشي العدو وصحت الى
ازداقه فانحدر اليه والدك وصرخني وقال انا اولى به فكان اخر العهد بهما انتهى
وما رثي به والد لسان الدين واحوه ما ذكره في الاحاطة في ترجمة ابي محمد عبد الله الازدي
اذ قال ما نصه ومما كتب الي فيما اصابني بطريق •

حظ لعمرك ذهب الاخ والابا • دعنا الاسف شاء ذلك او ابى
قد جرى في الخلق ليجد امري • عما به جرت المقادر مشربا
اما جزعت له فعذر مبين • قضت الدواهي ان نحل الحبا
لا كان يومهما الكريه فكم وكم • فيه المجلى والمصلي قد كبا
يوم لوى ليانه لم يبق لسلا • سلام حدم مهند الا نبا
وتجمعت فيه العلا رفقا بك • فيه الهدى وهو قتا يدي سبا
اها لعزالمهتدين صرامته • لا زال عز المهتدين واذهبا
دهم المصاب فعم الا انه • فيما يخصك ما امر واصعبا
يا ابن الخطيب خطابة مكترث لما • قد الزم البشا لا لدوا وجبا
قاسمتك الشجو المقاسمة التي • صارت بخالص ما محضتك مذهبا
لولا وانت لدى سابق حلبته • تزهو بمن في السابقين فاذ تبا
لا عاد يوم بالمنك وانت • سنه بهما الليل ابدى كوكبا

تهنى الشهيد من الشهادة انها • سبب يزيد من الاله تقربا
وردا على دار النعيم وحورها • كلفا بربرها يردن ترحبا
فاستعز بالرحمن عن قد توى • من حزب خير من ارتقى ومن اجتبى

فاجبته بقولي

اهلا بمقدمك السنى ومرحبا • فلقد حبا لى الله منك بما حبا
وافيت والدنيا على كانها • سم الخياط وطرف صبرى قد كبا
والدهر قد كشف القناع ولم يدع • لى عدة للروع الا اذهبا
صرف العنان الى غير مدافع • عنى وانبت دون نصرتى الشبا
خطب تاوبنى يضيق لهوله • رحب الفضاء وتنتهى لموقعه الربا
لو كان بالورق الصوادح فى الدجا • ما بالهاق الورق عن ان تندبا
فانوت من ظلماه في ما دجى • وقدحت من زند اصطبارى ما خبا
وكانني لعب الهجير بمهجتي • وبعثت لى نفس الصبا
لا كان يومك يا طريف فطالما • اطلعت للامال برقا خلبا
ورميت دين الله منك بقادح • عم البسيطة مشرقا ومغربا
وخصصتني بالرزء والثكل الذي • اوهى القوى منى وهد المنكبا
لا حسن للدنيا لدى وما ارى • للعيش بعد ابى وصنوى مأربا
لولا التعلل بالرحيل وانا • ننضو من الاعمار فيها مركبا
فاذا ركضنا للشبيبة ادهما • حال المشيب به فاصبح اشهبا
والملتقى كثب وفى ورد الردى • نهلا لورى من شاء ذلك او ابى
لجريت طوع الحزن دون نهاية • وذهبت من خلع التصبر مذهبا
والصبر اولى ما استكان له الفتى • رغما وحق العبد ان يتادبا
واذا اعتمدت الله يوما مفزعا • لم تلف منه سوى اليه المهربا

ووقيعة طريف هذه استشهد فيها جماعة من الاكابر وغيرهم وكان سببها ان سلطان فاس امير المسلمين ابا الحسن على ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني اجاز البحر الى جزيرة الاندلس برسم الجهاد ونصرة اهلها على عدوهم حسبما جرت بذلك عادة سلفه وغيرهم من ملوك العدوة وشمر عن ساعد الاجتهاد وجر من الجيوش الاسلامية بحورا تنبئ الغاو جا اليه اهل الاندلس بقصد الامداد وسلطانهم ابا الاحمر ومن معه من الاجناد فقضا الله الكريم لامر لما قدره ان صارت تلك الجموع مكسرة ورجع السلطان ابو الحسن مغلولا واضحى حسام الهزيمة عليه وعلى من معه مسلولا وقتل بها من طرق وحام ولا تسل كيف وقتل جمع من اهل الاندلس وثلة وافرة من الاعلام • وامضى فيهم حكم السيف واسر ابن السلطان وحريمه و ذخايره واستولت على الجميع ايدى الكفر والحيف واشراب العدو الكافر لاخذ ما بقى من الجزيرة

ذات الظل الوريف وثبتت قدمه اذ ذاك فى بلد طريف وبالجملة فهذه الواقعة من الدواهى المعضلة الدا • والارزا التي تضعضع لها ركن الدين بالمغرب وقرت بذلك عيون الاعدا ولولا خشية الخروج عن المقصود لاوردت قصتها الطويلة وسردت منها ما يحول سامعه ان يكثر بكاءه وعويله وقد المّ بها المولى قاضى القضاة ابن خلدون المؤرخ فى كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر فليراجعه من اراده فى المجلد الثامن من هذا التاريخ الجامع فانه ذكر حين ساق هذه الكاينة ما يخرس الالسن ويصم المسامع • ولله الامر من قبل ومن بعد • وقول لسان الدين رحمه الله فى اولية سلفه انهم انتقلوا مع اعلام الجالية القرطبية الخ اشار بذلك الى واقعة الربض الشهيرة التى ذكرها ابن حيان فى تاريخه الكبير المسمى بالمقتبس فى تاريخ الاندلس وقصر امرها غير واحد كابن الوزير وابن خلدون وملخصها ان اهل ربض قرطبة ثاروا على الامير الحكم الاموى وفيهم علماء اكابر مثل يحيى بن يحيى الليثى صاحب امامنا مالك رضى الله عنه وغيره فكانت النصرة للحكم فلما ظفر وقتل من شا اجلى من بقى الى البلاد وبعضهم الى جزيرة اقريطش ببحر الاسكندرية وفى قصتهم طول وليس هذا محلها وقال لسان الدين رحمه الله ايضا فى حق والده ما حاصله عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن احمد بن على السلمانى ابو محمد غرناطى الولادة والاستيطان لوشى الاصل طليطلية قرطبية وقال فى التكميل انطال الكلام وجمحت الاقلام كنت كما قيل مادح نفسه يقريك السلام وان احجمت فما سددت فى الثنا الا الخمت واضعت الحقوق وخفت ومعاذ الله العقوق هذا ولو انى زجرت طير البيان من اوكاره وجئت بعون الاحسان وابكاره لما قضيت حقه بعد ولا قلت الا بالتى علمت سعد فقد كان رحمه الله دمث عزم ورجل رخا وازم تروق انوار خلاله الباهرة • وتضى مجالس الملوك من صورته الباطنة والظاهرة ذكا يتوقد وطلاقة يحسد نورها الفرقد • وكانت له فى الادب بديهة • وفى النادرة العذبة منادمة عريضة • تكلمت يوما بين يديه فى مسايل من الطب وانشدته ابيات من شعرى ورقاعا من انشاى فتهلل وما بوح ان ارتجل •

الشعر والطب والكتابة • سماتنا فى بنى النجابة
هن ثلاث مبلغات • مراتبا بعضها الحجابة

ووقع لى يوما بخطه على ظهر ابيات بعثتها اليه اعرض عليه نمطها •

وردت كما صدر النسيم بسحرة • عن روضة جاد الغمام رباها
وكانما هاروت اودع سحره • فيها وآثرها به وحباها
مصقولة الالفاظ يبهر حسنها • فبمثلها افتخر البليغ وباها
فقرت عينا عند روية حسنها • انى ابوك وكنت انت اباها

ومن نظمه قوله •

وقالوا افترنا واصبر ستشتفي … فترياق الهوى بعد الديار
فقلت هوا بان الحق هذا … بقلبي لم يوافق اصطباري

وقال

عليك بالصمت فكم ناطق … كلامه ادى الى كلمه
ان لسان المرء اهدى الى … غرته والله من خصمه
يرى صغير الجرم مستضعفا … وجرمه اكبر من جرمه

وقال

انا بالدهر يا بني خبير … فاذا شئت علمه فتعالى
كم مليك قد ارتقى منه رتبا … لم يدافع عنه الردى ما ارتقى
كل شي تراه يفنى ويبقى … ربنا الله ذو الجلال العالي

توفي بغرناطة في جمادى الاولى عام اثنين وسبعين وسبعماية وفقد يوم الوقيعة الكبرى بظاهر طريف يوم الاثنين سابع جمادى الاولى عام واحد واربعين وسبعماية ورثيته بقصيدة اولها

سهام المنايا لا تطيش ولا تخطي … وللدهر كف تسترد الذي يعطي
وانا وان كنا على ثبج الدنى … فلا بد يوما ان نحل على الشط
تساوى على ورد الردى كل وارد … فلم يغن رب السيف عن رتبة الوط
وسيان ذل الفقر او عزة الغنى … ومن اسرع السير الحثيث ومن يبطي

ومنها طويلة قال ورثاه شيخنا ابو زكريا ابن هذيل بقصيدة يقول فيها

اذا انا لم ارث الصديق فما عذري … اذا قلت ابياتا حسانا من الشعر
ولو كان شعري لم يكن غير ندبة … واجريت دمعي للبراع عن الحبر
لما كنت اقضي حق صحبته التي … لو خيتها عونا على نوب الدهر
رماني عبد الله يوم وداعه … بداهية دهيا قاصمة الظهر
قطعت رجاي حين صح حديثه … فان لو لي دمعي فقد خانني صبري
وهل مونس كابن الخطيب لوحشتي … ابث له همي واودعه سري

ومنها

تولى واخبار الجلالة بعده … مورجة الانبا طيبة النشر
رضينا بترك الصبر من بعد بعده … على قدر ما في الصبر من عظم الاجر
اذا بغتة المسك نوق جبينه … نجيعا يفوق المسك في موقف الحشر
لقد لقي الكفار منها بعزمة … لها لقيته الحور بالبر والبشر
تجلت عروسا جنة الخلد في الوغى … لقولوا اهل الفوز الذي كم مهري
فكان من القوم الذين تبادروا … الى العالم الاعلى مع الرفقة الغر

لقالوا

لقالوا ابنا نسقي الاباطح والربى … بقطر دموع غالبات على القطر
الا لا تلم عيني لسكب دموعها … فما سكبت الا على الماجد الحر

ومنها

اخوانا جدوا كم جد غيركم … وسيروا على خف من الجوب والوزر
على سفر انتم لدار اخرت … وما الفوز في الاخرى سوى خفة الظهر
وما العيش الا يقظة مثل نومة … وما العمر الا كالخيال الذي يسري
على الحق انتم قادمون فشمروا … فليس لمحتج ولا هالك من عذر

وهي طويلة تجاوز الله عنا وعنهم اجمعين انتهى ملخصه من كلام لسان الدين رحمه الله قلت على منوال الكلام في حكاية ابنه النبيه نسج الوزير الكاتب الشهير القاضي ابو يحيى بن عاصم القيسي الاندلسي رحمه الله في وصف ابيه القاضي ابي بكر بن عاصم صاحب التحفة في علم القضا وهو محمد ابن محمد بن محمد بن عاصم الاندلسي الغرناطي قاضي الجماعة الرئيس ابو بكر ولنص المحتاج اليه في هذا المحل من كلام ولده قوله رحمه الله ان بسطت القول او عددت الطول ذا حكمت الاوصاف • وتوخيت الانصاف • انفذت الطروس • وكنت كما يقول الناس في المثل بن مدح العروس • وان اضربت عن ذلك صفحا فلبيسما صنعت ولشرما امسكت المعروف ومنعت • ولكم من حقوق الابوة اضعت • ومن يد للمعتقد رضعت • ومن سلطان النعمة الحق اطلعت • ولم اوده الا صلاح ما استطعت • وان توسطت واقتصرت • واوجزت واختصرت • فلا الحق نصرت • ولا افنان البلاغة هصرت • ولا سبيل الرشد ابصرت ولا عن هوى الحسد اقصرت • هذا ولو اني اجتهدت السنة البلاغة مجهدت • وايقظت عيون الاجادة فسهدت • واستعرت مواقف عكاظ على ما عهدت • لما قررت من الفضل الا ما به الاعدا قد شهدت • ولا استقصيت من المجد الا ما اوصت به الفئة الثانية لخلفها الابر وعهدت • فقد كان رحمه الله علم الكمال ورجل الحقيقة وقالا لا يخفى اسبه • ولا يعرى كاسبه • وسكونا لا يطرق جانبه • ولا يرهب غالبه • وحلما لا تزل حصاته • ولا تهمل وصاته • وانقباضا لا يتعدى رسمه • ولا يتجاوز حكمه • ونزاهة لا ترخص قيمتها • ولا تلين عزيمتها • وديانة لا تخشى اذيالها • ولا يستفسر بالها • وادراكا لا يفل نصله • ولا يدرك حصله • وذهنا لا يخبو نوره • ولا ينبو مطروره • وفهما لا يخفى فلقه • ولا يهزم فيلقه • ولا يلحق مخه • ولا يطل محه • وتحصيلا لا يفلت قنيصه ولا يسام حريصه • بل لا يحل عقاله • ولا يبعد اصقاله • وطلبا لا تخمد فنونه • ولا تغير عيونه • بل لا تخمر معادنه • ولا تقصر ما رنه • يقوم اتم قيام على النحو على طريقة متاخري النحاة جميعا بين القياس والسماع وتوجيه الاقوال البصرية • واستحضار الشواهد الشعرية • واستظهار اللغات والاعربة • واستبصارا في مذاهب العربية محليا اجياد تلك الاعاريب • من علمي البديع والبيان • بجواهر اسلاك • ومجليا في

في آفاق تلك الأساليب من فوائد هذين الفنين زواهر أفلاك إلى ما يتعلق بذلك من
قافية للعروض وميزان • وما للشعر من بحور وأوزان • تضلّع بالقراءات أكمل اضطلاع
مع التحقيق والاطلاع • فيقتفي أبا الباذش من اتباعه • ويشرح لابن شريح ما
أشكل من أوضاعه • ويقصر عن رتبته الداني • ويحوز قصب المنقبة من حرز الأماني
ويشارك في المنطق وأصول الفقه والعدد والفرائض • والأحكام مشاركة حسنة
ويتقدم في الأدب نظمًا ونثرًا وكتبًا وشعرًا • إلى براعة الخط وأحكام الرسم وإتقان
لبعض الصنائع العلمية • كتفسير الكتب وتنزيل الذهب وغيرها • فنشأ بالحضرة
العلية لا يغب حلقات المشيخة ولا يريم عن مظان الاستفادة ولا يفتر عن المطالعة
والتقييد ولا يسأم من المناظرة والتحصيل مع المحافظة التي لا تنخرم ولا تتكسر
والمفاوضة في الأدب ونظم القريض والفكاهة التي لا تقدح في وقار انتهى ملخصًا
وقد أطال في تعريفه بأوراق عدة • ثم قال مولده في الربيع الثالث من يوم الخميس
ثاني عشر جمادى الأولى من عام ستين وسبعمائة كما نقلته من خط أبيه ثم قال وله مسائل
متعددة في فنون شتى ضمنها كل تحرير من البحث وصحيح النظر • وأما كتبه فالدر
النفيس • والياقوت الثمين • والروض الأنف • والزهر النضير نضاعة لفظ وأصالة
غرض وسهولة تركيب ومتانة أسلوب انتهى • ثم ذكر مشيخته وأطال ثم سرد تواليفه
الأرجوزة المسماة بتحفة الحكام والأرجوزة المسماة بمهيع الوصول في علم الأصول
أصول الفقه والأرجوزة الصغرى المسماة بمرتقى الوصول للأصول كذلك والأرجوزة
المسماة بنيل المنى في اختصار الموافقات والقصيدة المسماة بإيضاح المعاني
في القراءات الثماني • والقصيدة المسماة بالأمل المرقوب في قراءة يعقوب والقصيدة
المسماة بكنز المفاوض في علم الفرائض • والأرجوزة المسماة بالموجز في النحو
حاذى بها رجز ابن مالك في غرض البسط له والمحاذاة لقصده والكتاب بالحدائق
في أغراض شتى من الآداب والحكايات توفي بين العصر والمغرب يوم الخميس حادي عشر
شوال سنة تسع وعشرين وثمانمائة انتهى كلام الوزير ابن عاصم وإنما ذكرته لأن أهل
الأندلس يقولون في حقه إنه ابن الخطيب الثاني ولولا خوف الإطالة لذكرت بعض إنشائه
ونظمه فإنه في الذروة العليا وقد ذكرت جملة من ذلك في أزهار الرياض في أخبار
عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض ولنرجع إلى الترجمة
المقصودة فنقول والسلماني نسبة إلى سلمان بإسكان اللام على الصحيح قال
ابن الأثير والمحدثون يفتحون اللام وسلمان حي من مراد من عرب اليمن القحطانيين دخل
الأندلس منهم جماعة من الشام وسلف لسان الدين رحمه الله ينتسبون إليهم كما سبق
في كلامه وهو مشهور إلى الآن بالمغرب بابن الخطيب السلماني ولذلك خاطبه شيخه
الكاتب الرئيس أبو الحسن ابن الجياب حيث حل بمالقة بقوله •

ابا

أباكما بي إذا ناجيت مالقة • دار المكارم من مثنى ووحدان
فلا تسلم على ربع لذي سلم • بها وسلم على ربع لسلماني

فأجابه لسان الدين رحم الله الجميع بقوله •

يا ليت شعري هل يقضى تلاقينا • ويشتفي الشوق عن غايات أشجاني
أو هل يجن على نفسي تعذبها • أو هل يرق لقلبي قلبي الثاني

وعلى ذكر نسبة ابن الخطيب لسلمان فقد تذكرت هنا بيتًا أنشدنيه لنفسه صاحبنا
الوزير الشهير الكبير البليغ صاحب القلم الأعلى سيدي أبو فارس عبد العزيز الفشتالي
صب الله عليه شآبيب رحماه من قصيدة نبوية مدح بها سيد الوجود صلى الله عليه
وسلم وتخلص إلى مدح مولانا السلطان المنصور بالله أبي العباس أحمد الحسني أمير المؤمنين
صاحب المغرب رحمه الله وهو •

أوليك فخري أن فخرت على الورى • ونافس بيتي في الولاء بيت سلمان

وأنا كما أخبرني ببيت سلمان الفشتالي التي منهما لسان الملة والدين ابن الخطيب
رحمه الله إشارة إلى ولاية الكتابة للخلافة كما كان لسان الدين السلماني رحمه الله كذلك
وفيه مع ذلك تورية بسلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه وقد رأيت أن أورد هنا
هذه القصيدة الفريدة لبلاغتها التي بذت شعراء اليتيمة والخريدة ولأن شجون
الحديث الذي جر إليها شوقي إلى معاهدي المغربية التي أكثر البكاء عليها بحضرة المنصور
بالله الإمام • سقى الله عهادها صوب الغمام • حيث الشباب غض ناعم • والمؤمل لم يحجبه
مانع • والسلطان عارف بالحقوق • والزمان وهو أبو الورى لم يتسم بالعقوق
والدنيا لي مصالحة غير راميه من البين بنبال • والغربة الجالبة للكربة لم تخطر ببال • وولاة
الدولة الحسنية السنية ساعون فيما يوافق الغرض ويلائم • والأيام ثغورها بواسم
وأوقاتها أعياد ومواسم • وأفراح وولائم • فلله فيها عيش ما نسيناه وعن طالما
اقتبسنا نور الهدى من طور سيناه •

مضى ما مضى من حلو عيش ومر • كأن لم يكن إلا أضغاث أحلام

وهذا نص القصيدة

هم سلبوني الصبر والصبر من شاني • وهم حرموا من لذة الغمض أجفاني
وهم أخفروا في مهجتي ذمم الهوى • فلم يثنهم عن سفكها حبي الجاني
لئن نزعوا من قهوة البين أكؤسًا • فنشوتهم أضحى سميري وندماني
وإن غادروني بالعراء حمولهم • لعلي أن قلبي حاديًا إثر أظعاني
قف العيس واسأل ربعهم أية مضوا • ألجزع ساروا أم لحيي أم البان
وهل بكروا بالسفح من جانب اللوى • ملاعب آرام هناك وغزلان
وأين استقلوا أهل هضب تهامة • أناخوا المطايا أم على كثب نعمان

وهل سال في بطن المسيل تشوقا • نفوس نزامت للحمى قبل جثمان
واذ زجروها بالعشي فهل تني • ازمتها الحادي الى شعب بوان
وهل عن سواقي دير عبدون ام سروا • ليوم بهم رهبانهم دير نجران
سروا والدجى صبغ المطارف فانثنى • باحداجهم شتى صفات والوان
وادلج في الاسحار بيض قبابهم • فلحن نجوما في معارج كثبان
لك الله من ركب يرى الارض خطوة • اذا زمها بدنا نواعم ابدان
ارحها مطايا قد يمشي بها الهوى • تمشي الحميا في مفاصل نشوان
ويمم بها الوادي المقدس بالحمى • به الماهدا والكلا نبت سعدان
واهد حلول الحجر منه تحية • تفاوح عرفا ذاكي الرند والبان
لقد نفحت من شيح يثرب نفحة • فهاجت مع الاسحار شوقي واشجاني
وقفت منها الشرق في الغرب مسكة • سحبت بها في ارض دارين ارداني
واذكر نجدا وطيب عراره • نسيم الصبا من نحو طيبة حياني
اخر الى تلك المعاهد انها • معاهد ريحاني وروحي وريحاني
واهفو الى الاشواق للوطن الذي • به صح لي انسي المنى وسلواني
واصبوا الى اعلام مكة سانيا • اذا لاح برق من غمام وهتلاني
اهيل الحمى ديني على الدهر ذوده • احن بها شوقا لكم عزني الوان
متى يشتفي جفني القريح بلحظ • ترنح بها في نوركم عين انساني
ومن لي بان يدنو لنا كم تعطفا • وذهري عني دائما عطفه ثاني
سقى عهدهم بالخيف عهد بمكة • سوافح دمع من شئوني هتان
وانعم في شط العقيق اراكه • بافيائها ظل المنى والهوى دان
وحيى ربوعا بين مروة والصفا • تحية مشتاق بها الدهر حيران
ربوعا بها تتلو الملائكة العلى • اغاني وحي بين ذكر وقران
واولاه من باكرت عرصاتها • وطرزت البطحا سحائب ايمان
وعرس فيها للنبوة موكب • هو البحر طام فوق هضب وغيطان
وادى بها الروح الامين رسالة • افادت بها البشرى مدائح عدنان
هنالك نص ختم اشرف الورى • وفخر نزار من معد ابن عدنان
محمد خير العالمين باسرها • وسيد اهل الارض من انس او جان
ومن بشرت في بعثه قبل كونه • نواميس كهان واحبار رهبان
وحكمة هذا الكون لولاه ما نشت • سما وافلقت طوافح طوفان
ولا زخرفت من جنة الخلد اربع • تسبح فيها ادم حور وولدان
واطلعت شمس الهدى عند جبينه • تجهم من يجحدها ليل كفران

ولا اخذت بالمذنبين شفاعة • يذود بها عنهم زبانية نيران
له معجزات اخرست كل جاحد • وسلت على المرتاب صارم برهان
له انشق قرص البدر شقين وادنو • بما هي من كفه كل ظمآن
وانطقت الاصنام نطقا بتراث • الى الله فيه من زخارف تبيان
تقاسرت عجما فلبت وافيلت • تجر ذيول الزهر ما بين افنان
وضاءت قصور الشام من نوره الذي • على كل افق نازح القطر اوداني
وقد بهج الانوار بدعوته التقى • كستها وجه الغبرا بهجة نيسان
وان كتاب الله اعظم اية • بما افتضح المرتاب واهتاس الشاني
وعدى على شاو البليغ بيانه • فهيهات منه سجع قس وسحبان
نبي الهدى من اطلع الحق انجما • محا نورها اشراف افك وبهتان
لعز بها ذل الاكاسرة الاولى • هم سلبوا تيجانها الساسان
واحرز للدين الحنيفي بالظبى • تراث الملوك الصيد من عهد يونان
وتقع من يمم الفتى السم قيصرا • تجرع منه مجاجة ثعبان
واضحت ربوع الكفر والشرك بلقعا • بها نعمى العدى وفيهن هاتف شيطان
واضحت السمحا بروق نضارة • ووجه الهدى بادى الصباحة للداني
ايا خير اهل الارض نبيا ومحتدا • واكرم كل الخلق عجم وعربان
فمن للقوافي ان تحيط بوصفكم • ولو ساجلت سبقا مدائح حسان
اليك بعثناها اماني اجرتني • لتستغني يمنى من اياديك هتان
لجرمي انا ابدى الحساب جرائمي • وانقلت الاوزار كفة ميزاني
فانت الذي لولا وسائل عزه • لما فتحت ابواب عفو وغفران
عليك سلام الله ما هبت الصبا • وما سمت على كثبانها ملد قضبان
وحملت في جيب الجنوب تحية • ليفوح نشرها شذى كل ترفان
الى الهرين صاحبيك كليهما • وتتلوها في الفضل صهرك عثمان
وحي عليا عم فينا واربحها • ووالى على سبطيك اوفر رضوان
الملك رسول الله صممت عزمة • اذا ادمعت فالسخط والقرب سيان
وخاطبت مني القلب وهو مقلب • على جمرة الاشواق فيك فلباني
فيا ليت شعري هل اذم قلائصي • اليك بدارا واقلقل كيزاني
واطوي اديم الارض نحوك راحلا • نواحي المهاري في صحاصح قيعان
يرنحها فرط الحنين الى الحمى • اذا غرد الحادي بهن وغناني
وهل يمحون عني خطايا اقترفتها • حظي الى في تلك البقاع واوطاني
وماذا اعتني يثني عناني واذني • بالك نجاها هوى الغرام اطاني

اذا انه عن زوارك الباس والغنى • تجود ابنان المنصور احمد افنانى
عمادى الذى اوطا السماكين اخمصا • واوفى على السبع الطباق فاه نابى
متوج املاك الزمان وان سطى • احل السيوف فى معاقد تيجان
وقادر اسود الغاب للصيد مثلها • اذا اطرب الحظى من فوق خدران
هزبر اذا زار البلاد ذئبها • لضال فى اخياسها اسد خفان
فان اطلعت غيم القتام جيوشه • فازدم فى مركومه رعد نيران
صبين على ارض العداه صواعقا • اسلن عليهم بحر خسف ورجفان
كتايب لو علون رض لصدعت • صفاه الجبال الجرد لعد ولعفيان
عديد الحصا من كل اروع معلم • وكل كمى بالردينى طعان
اذا اجزلت الحرب عنهم طلى العدى • هديتهم الى ادواجها شهب خرصان
من اللاى جرعن العدى غصص الردى • وعوت فى وجه الثرى وجه بستان
وفتحن اقطار البلاد فاصبحت • تودى الخراج لجزل املاك سودان
امام البرايا من على نجادة • ومن عترة سادوا الورى على نيران
دعايم ايمان واركان سودد • دوم الهمم قد عرشت فوق كيوان
هم العلويون الذين وجوههم • بدور اذا ما احلكت شهب ازمانى
وهم البيت شيد الله سمكه • على هضبة العليا ثابت اركان
وفيهم فينا الذكر الحكيم وصرحت • لفضلهم ايات ذكر وفرقان
فروع ابن عم المصطفى ووصيه • فناهيك من فخرين قربى وقربان
ووحد مجد معشب الروض بالعلى • يجود باقواه الرسالة ريان
بمحتدهم الاعلى الصريح تشرفت • معد على العربا عاد وقحطان
اولئك فخرى ان فخرت على الورى • وفانس بيني فى الوابيت سلمان
اذا اقتسم المداح فضل فخارهم • فقسمى بالمنصور ظاهر رحمان
امام له فى جبهة الدهر ميسم • ومن عزه فى مفرق الملك تاجان
سما فوق هامات النجوم بهمة • يحوم بها فوق السموات نسران
واطلع فى افق المعالى خلافة • عليها وشاح من علاه وسلطان
اذا ما احتبى فوق الاسرة وارتدى • على كبريا الملك نخوة سلطان
لوسمت لقمان الحجى وهو ناطق • وشاهدت كسرى العدل فى صدر ايوان
وان هوه حر الثنا قد رفعت • انامله عرفا يدفق خلجان
ايا ناظم الاسلام ثم بارق المنى • ومبادر لوصى نعم ذى الجد فينان
وقضما الله فى علياك ان تملك الدنى • وتفتحها ما بين سوس وسودان
وانك تطوى الارض غير مدافع • فمن ارض سودان الى ارض بغداد

وتملاها

وتملاها عدلا يوفر لواوه • على الهرمين وعلى راس غمدان
فكم هنا دارضوا العراق بك العلى • ووافت بك البشرى اطراف عمان
فلو شارفت شرق البلاد سيوفكم • اتاك استلابا تاج كسرى وخاقان
ولو نشر الاملاك دهرك اصبحت • عيالا على علياك ابنا مروان
وشايعك السفاح لعقاد طايفا • براية السودا اهل خراسان
فما المجد الا ما رفعت سماكه • على عمدى سمر الطوال ومران
وهاتيك ابكار العواتق جلبتها • تغاولهن الحور فى دار رضوان
اتتك امير المومنين كانها • لطايم مسك او خمايل بستان
تغاظن حسنا ان يقال شبيهها • فرايد در او قلايد عقيان
فلا زلت للدنيا تحوط جهاتها • وللدين تحميه بملك سليمان
ولا زلت بالنصر العزيز موزرا • تقاد لك الاملاك فى زى عبدان
انتهت القصيدة التى تغزل بها شرح الحال • واعرابها عما فى ضمير الوجد • والاشعار ولنعززها بما جمعها فى البحر والروى قصيدة القاضى الشهير الذكر الاديب الذى سلبت النهى كواعب شعره اذا ابرزها من خدور الفكر • الشيخ الامام سيدى ابو الفتح محمد ابن عبد السلام المغربى التونسى نزيل دمشق الشام • صب الله على مرقده سجال الرحمة والانعام • فانها نفثة مصدور غريب • وبث معذور اديب • فارق مثلى اوطانه وما سلاها • وقرا ايات الشجو وتلاها • وتمنى ان يجود له الدهر برويتها فبخل بها • ومن قوله رحمه الله وانا بدمشق عام واحد وخمسين وتسعمايه
•
سلوا البارق النجدى عن سحب اجفانى • وعما بقلبى من لواعج نيران
ولا تنسوا لو اعبر الصبا عن صبابتى • وشدة اشواقى اليكم واشجان
فما لى سواها من رسول اليكم • سريع السرى فى سيره ليس بالوانى
فيا طال بالاسحار ما قد تكلفت • بانفاس محزون وانفاس ولهان
وتنفيس كرب عن كئيب متيم • يحن الى اهل ويصبو الى اوطان
فسقيا ما ازكى شذى نسمة الصبا • صباحا اذا مرت على الرند والبان
وسارت مسير الشمس وهنا فاصبحت • من الشرق نحو الغرب تجرى بحسبان
وقد وقفت بالشام وقفة حامل • لوافح مسك من ظبا خراسان
لترتاح فى تلك الرياض هنيئة • وتزداد من ازهارها طيب ردان
وما غربت حتى تضاعف عطرها • بواسطة روح هناك وريحان
فكم تحوكم حملتها من رسالة • مدونة فى شرح حالى ووجدانى
وناشدتها بالله الا تفضلت • بتبليغ احبابى السلام وجيرانى
تحية مشتاق الى ذلك الحمى • وسكانه والنازحين باظعان

سقا الله هاتيك الديار واهلها • سحائب تحكي صوب مدمعي القاني
وحيى ربوع الحي من خير بلدة • تخيرها قدما افاضل يونان
هي الحضرة العليا مدينة تونس • انيسة انسان ذاتها بانسان
لها الفخر والفضل المبين بما حوت • من الانس والحسن المنوط باحسان
لقد حل منها الحفص ملوكها • مراتب تسموا فوق هامة كيوان
وشادوا بها كل الملوك وشيدوا • بها من مباني العز افخر بنيان
وكان لهم فيها بها وبهجة • وحسن نظام لا يعاب بنقصان
وكان لهم فيها عساكر جمة • تصول باسياف وتسطو بمران
جيوش وفرسان يضيق بها الفضا • ويحجم عنها الضرس من ال ساسان
وكان لاهليها المفاخر والعلا • وكان بها حصنا امان وايمان
وكان على الدنيا جمال بحسنها • وحسن بنيها من ملوك واعيان
وكانت لطلاب المعارف قبلة • لما في حماها من ايمة عرفان
وكان لاهل العلم فيها وجاهة • وجاه وعز مجد ليس بالفاني
وكان بواديها المقدس قبة • تقدس بواديها بذكر وقرآن
ومن ادبا النظم والنثر معشر • تفوق بناديها بلاغة سحبان
وكانت على الاعدا حومة الوغى • تطول بابطال وتسطو بشجعان
وما برحت فيها محاسن جمة • وفي كل نوع اهل حذق واتقان
الى ان رمتها نائبات باسهم • وسلت عليها سيف بغي وعدوان
فما لبثت تلك المحاسن اذ عفت • واقفر ربع الانس من بعد سكان
وشتت ذاك الشمل من بعد جمعه • كما انتثرت يوما قلايد عقيان
فاعظم بذا من خير مربية • وخير اناس بين عجم وعربان
لعمري لقد كادت عليها قلوبنا • تضرم من خطب عراها بنيران
وقد عمنا غم بفقد مصابها • وان خصني منه المعظم بجمان
وما بقيت فيما علمناه بلدة • من الشرق الا البست ثوب احزان
فما الدهر الا هكذا فاصطبر له • رزية مال او تفرق خلان
احبابنا ان فرق الدهر بيننا • وطال مغيبي عنكمو منذ ازمان
فاني على حفظ الوداد وحقكم • مقيم وما هجر الاحبة من شاني
وواعد بالله العظيم الية • على صدقها قامت شواهد برهاني
لقد زاد وجدي واشتياقي اليكم • وبرح بي طول البعاد واضناني
فلا تحسبوا اني تسليت بعدكم • بشيء من الدنيا وزخرفها الفاني
ولا انني يوما تناسيت عهدكم • بحال ولا ان التكاثر الهاني

ولا راقني روض ولا هش مسمعي • لنغمة اطيار ورنة عيدان
ولا جال في فكري سواكم بخلوة • ولا جاد ما بين حور وولدان
ولا اختلجت يوما ضمائر مهجتي • لغيركم في سر سري واعلان
ولو لم اسل النفس بالقرب واللقا • لادرج جسمي في معاطف اكفاني
فما انا في عودي اليكم بايس • فما الياس الا من علامة كفران
عليكم سلام الله في كل ساعة • تحية صب لا يدين بسلوان
مدى الدهر ما لاحت مطوقة وما • تعاقب بين الخافقين الجديدان

انتهت ولصاحبنا المرحوم لسان الدين بن الخطيب قصيدة طنانة في هذا الوزن والقافية مدح بها السلطان ابا سالم المريني حين فتح تلمسان • وقد رايت ايرادها في هذا الباب لما اشتملت عليه اخرها من شرح امر الاغتراب • الذي حير الالباب • وللمناسبة اسباب لا تخفى على من له فكر مصيب • وكل غريب للغريب نسيب

وهي

اطاع لساني في مديحك احساني • وقد لهجت نفسي بفتح تلمسان
فاطلعتها تفتر عن شنب المنى • وتسفر عن وجه من السعد حسان
كما ابتسم النوار عن ادمع الحيا • وهب بخد الورد عارض نيسان
كما صفقت ريح الشمال شمولها • فمال ارتياح السكر في غصن البان
تهنيك بالفتح الذي معجزاته • خوارق لم ترفع سواك لانسان
خفقت اليها والجفون ثقيلة • كما خفقت الكف من اسد خفان
وقدت الى الاعدا فيها مبادرا • ليوث رجال في مناكب عقبان
تمد بنود النصر منهم ظلالها • على كل مطعام العشيات مطعان
جماجمة غر الوجوه كانما • عمايمهم فيها معاقد تيجان
امدك فيها الله بالملا العلى • فجيشان مهما حققوا الامر جيشان
لقد جليت منك البلاد لخاطب • لقد جنيت منك الغصون لجان
لقد لبس الاسلام بيعتك الرضى • وكانت على اهليه بيعة رضوان
وشد من ملك سعيد ولقبه • فصير المشتري فيها بعزلة كيوان
وسجل حكم العدل بين بيوتها • وقوفا مع المشهور من راي يونان
فلم تخش سهم القوس صفحة بدرها • ولم تشك فيها الشمس من بخس ميزان
فلم تعترض مسراها قطع قاطع • ولا نازعت نوبتها كف عدوان
لولا اختيارا امه صنو اختيارها • فلم يحنج الوغان فيها لوغان
ولا صرفت فيها دقائق نسبة • ولا خفقت فيها طوالع بلدان
وجوه القضايا في كمال بيانها • وجوبا واضحت سوال بابكان
ومن قاس منك الجود بالبحر والحيا • فقد قاس تمويها قياس سفسطان

وطاعتك العظمى بشارة رحمة • وعصيانك المحذور نزغة شيطان
وحبك عنوان السعادة والرضى • ويعرف مقدار الكتاب بعنوان
ودين الهدى جسم وذلك روحه • وكم وصلة ما بين روح وجثمان
تطوف بك الدنيا وتحرسك العلا • كأنك منها بين لحظ واجفان
بنيت على اساس اسلافك العلى • فلا هدم المبنى ولا عدم البانى
وصاحبتك العليا فلم تك غافلا • ونادت بك الدنيا فلم تك بالوانى
ولم تك فى خوض البحار بهايب • ولم تك فى روم النجاد بكسلان
لو ادهن منك العزم لما انتضيته • دوايب ضوعا دمناكب ثهلان
وسل عنها امس رايها محمله • متى الحشر لا يحصى لعد وحسبان
وتسور عزم فاز فى اثر دعوة • يرم اقاصى والادانى بطوفان
عجايب اعطار وما لعشارد • وافلاذ افاق وموعد ركبان
اذا ما سرحت اللحظ فى عرصاتها • تبلد منك الذهن فى العالم الثانى
حباحات والنصر العزيز اعتصاره • اذا انتظمت بالقلب منها جنانان
فمن سحب لاحت بها شهب القنى • ومن كثب بيض بدت فوق كثبان
مضارب فى البطحا بيض قبابها • كما قلبت للعين ازهار سوسان
وما ان راء الراوون فى الدهر قبلها • فوارة عز فى مدينة كتان
لفوت النعاة الطرف حال اقتباله • كانك قد يخرج سليمان
فقد اطرقت من خوفها كل بيعة • وطاطا من اجلالها كل ايوان
وقد رعت خوفا بين بيوتها • غداة بدت منها البيوت بجوان
فلو رسيت مصر بها وصعيدها • لاضحت خلا بلقعا بعد عمران
ولو يممت سيف بن ذى يزن لما • تفرد ان السيف فى غمد غمدان
تراع بها الاوثان فى ارض رومة • اذا خيمت شرقا على طرق اوثان
وتجفل اجفال النعامى برقة • ليوث الشرى ما بين ترك وعربان
وعرضا كيوم الوصل ذهلا هوله • عيانى واعيانى تعدد اعيان
وجيشا كقطع الليل للخيل عتمة • اذا صهلت منتشية رجع الحان
فيومض من بيض الظبا بوارق • وتغذى من عر الرياح بتهتان
ومط من ورق السهام بحاصب • سحايبه من كل عوجا مرنان
وجردا اذا ما ضمرت يوم غاية • لتحجبن من ريح تعاد بارسان
تسابق طمان الغلاة بمثلها • وتدعو غزلان الرمال بغزلان
ودون مهب العزم منك قواضب • ابى النصر يوما ان تلم باجفان
نظرت اليها والجميع لبابها • فقلت سيوف ام شغايق نعمان

تفتح

تفتح ورد اخرها حين جردت • ولا ينكر الاقوام خجلة عريان
كان الوغى قادت بها الولعية • قد اختلفت اوضاعها منذ ازمان
فان طمعت بالنصر كان وضوءها • نجيع وقوا فاها الغبار بابشان
لقد خلعت لله منك بحبسه • جزا على الاحسان منها باحسان
فسيفك للفتح المبين مصاحب • وعزمك والنصر الموزر الغانى
فروح واغد للرحمن تحت كلائه • وريحان فى غابا العدى كل ريحان
ودم والمنى ترفى اليك قطائنا • ميسرا وطار ممهدا وطان
ولكن وانقا بالله مستغفرا له • فسلطانه يعلو على كل سلطان
كفاك العدا كان للكل كافل • فضدك مغموم بيريك كفان
رضى الوالد المولى ابيك رضيته • وقد انكر المرزو من بعد عرفان
فكم دعوة اولاك عند انتقاله • الى العالم الباقى من العالم الفانى
نصرفت فى السر الخفية منعم • والحقت فى العفرا رحمة رحمان
عجبت لمن يبغى المختار بدعوة • مجردة من غير تحقيق برهان
وسنة ابراهيم فى الفخر قد اتت • بكل صحيح عن على وعثمان
ومن مثل ابراهيم فى ثبت موقف • اذا ما التقى فى حومة الحرب صفان
اناهم لم يلفت بلحظ هايب • وان من لم يفت بالحفظ مثان
فصاحة قس فى سماحة حاتم • وقدام عمرو تحت حكمة لقمان
شمايل يسمون النعيمة ادوع • له قصبا السبق فى كل ميدان
محبته فرض على كل مسلم • وطاعته فى الله عقد ايمان
هنيئا امير المسلمين بنعمة • حبيت بها من مطلق الجود منان
لزينت الاعياد المنابر بالتى • اتاح لها الرحمن فى الزمان
قلايد فخر هن لكن قدرها • ترفع ان يدعى قلايد عقيان
امولاى حبى فى علاك وسيلتى • وللطف فى دا بابمدحك اغرانى
ايا دبك يا النبى علي بعد الكرى • نعوذ بك اللهم من شر نسيان
فلا تجعل مخولتنى من تخيبنى • فاكفر نعماك الهميمة من شانى
ومهما تخلف الحقوق لاهلها • فانك مولى الحقوق وسلطانى
وركنى الذى لما نبا بى منزلى • اجاب ندائى بالقبول وآوانى
وعالج ايامى وكانت مريضة • بحكمة من لم ينتظر يوم بحران
فامننى الدهر الذى قد اخافنى • وجدد لى السعد الذى كان ابلانى
وخولنى الفضل الذى هو اهله • وشيكا واعطانى فانعم اعطانى
تخوننى صرف الحوادث فاننى • يغفل ادوائى دون بعدا ادوانى

وانجحي من منشاي ومبوءي • ومعهد احبابي ومألف جيراني
بلادي التي فيها عقدت تمايمي • وجر بها ذيلي وطاب بها شاني
تحدثني عنها الشمال فتنثني • وقد عرفت مني شمايل نشوان
واملا استغفي من الكرى • اذا الحلم اوطاني بها تربه اوطاني
تلون احوالي علي وقد جنت • على خطوب جمة ذات الوان
وما كنت ادري قبل ان يتنكروا • بان خوالي كان مجمع خوالي
وكانت وقد حم القضا صنايعي • على كما لا ارتضي شر اعواني
فلولاك بعد الله يا ملك العلى • وفرقت ما ابغيت من نيل اماني
تداركت مني بالشفاعة منعما • بريا رماه الدهر في موقف الجاني
فان عرف الاقوام حقك وفعوا • وان جهلوا باءوا بصفقة خسران
وان خلطوا عرفا بنكر وقصروا • وزنت بقسطاس قويم وميزان
وحسنه هذا المجد ياتي كمالها • فضيعة در او خطيط نقصان
وقد نمت عن امري ونبهت همة • تحدق من علو الى صرح هامان
اذا ما اتت ابنة الفكر واملت • اقالة ذنب واقالة عثران
لمولاي يا مولاي قبلة وجهتي • وعهدة اسراري ومجلا اعلاني
وقفت على مثوانه نفسي قايما • بترديد ذكر او تلاوة قران
ولو كنت ادري فوق ما من وسيلة • الى ملك الارضي لسيرت ارداني
وابلغت نفسي جهدها غير انني • طلابي بما بعد النهاية اعياني
قرات كتاب الحمد فيك لعاصم • فصح ادائي واقتدائي واتقاني
فدونكها من بحر فكري لؤلؤا • يفصل من حسن النظام بمرجان
وكان رسول الله بالشعر يعتني • وكم جاء في شعر كعب وحسان
ووالله ما وفيت قدرك حقه • ولكنه وسعي ومبلغ امكاني

وكتب لسان الدين رحمه الله قبل هذه القصيدة نثرا من انشائه يخاطب به السلطان ابا
سالم المذكور وذلك انه ورد على لسان الدين وهو بسلا كتاب السلطان
المذكور بفتح تلمسان وكان وروده يوم الخميس ثاني عشر شعبان عام واحد
وستين وسبعماية ولفظ ما كتب به لسان الدين مولاي فتاح الاقطار والامصار
فايدة الازمان والاعصار • اثير هبات الله الامنة من الاعتصار • قدوة اولي
الايدي والابصار • ناصر الحق عند تعود الانصار • مستنصرخ الملك الغريب
من وراء البحار • مصداق دعاء الاب المولى في الاصايل والاسحار • ابقاكم الله
لا تقف ايالتكم عند حد • ولا تحصى فتوحات الله عليكم بعد • ولا تنفق اعداكم
من كد • مبشرا على معاهدكم ما عسر على كل اب كريم وجد • عبدكم الذي خلص ابريز

عبوديته لملك ملككم المنصور المعترف لادنى رحمة من رحماتكم بالعجز عن شكرها
والقصور • الداعي الى الله سبحانه ان يقصر عليكم سعادة العصور • ويذلل
بعز طاعتكم انف الاسد الهصور • ويبقي الملك في عقبكم وعقب عقبكم الى
يوم ينفخ في الصور • فلان من الضريح المقدس حيث له وهو الذي تعددت على
المسلمين حقوقه • وسطع نوره وتلالا شروقه • وبلغ محل السما ما بسقت
فروعه ووسجت عروقه • وعظم بنيكم تحرم فما فوق البسيطة حرم يفوقه
حيث الجلال قد رست هضابه • والملك قد كسيت باستار الكعبة الشريفة
قبابه • والبيت العتيق قد الحقت الملاحة الامامية اثوابه • والقران العزيز
ترتل احزابه • والعمل الصالح يرتفع الى الله ثوابه • والمستجير يحظى بالهيبة
سواله فيجهر بغرة العز جوابه • وقد تقيا من اوراق الذكر الحكيم حديقة •
وجميلة انيقة • وحط بجودي الجود نفسا في طوفان الضر غريقة • والتحف رفرف الهيبة
التي تتدي النفس فيها الا بهداية الله طريقه • واعتز بعزة الله وقد توسط جيش الحرمة
المرينية حقيقة • اذ جعل المولى المقدس المرحوم ابا الحسن مقدمه واباه وجده سيقه
يرى بركم بهذا اللحد الكريم قد ضرب عليه من الرضى فسطاطا • واعلق به يد العناية
المرينية اهتماما واغتباطا • وجرد له احكام الحرمة نصا جليا واستنباطا • وضمن
له حسن العقبى التزاما واشتراطا • وقد عقد البصر بطريق رحمتكم المنتظرة
المرتقبة • ومد اليه الى لطايف شفاعتكم التي تتكفل بعتق المالك كما تكفلت
بعتق الرقبة • وشرع في المراح بميدان نعمتكم بعد اقتحام هذه العقبة لما شنفت
الاذن البشرى التي لم يبق طاير الا سجع بها وصدح • ولا شهاب دجنة الا اقتبس من نورها
واقتدح • ولا صدر الا انشرح • ولا غصن عطف الا مرح • بشرى الفتح القريب
وخبر النصر العزيز الصحيح الحسن الغريب • فتح تلمسان الذي قلد المنابر عقود الابتهاج
ووهب الاسلام منيحة النصر غنية عن الاهتياج • والحف الخلق ظلا ممدودا • وفتح
باب الحج وكان مسدودا • واقر عيون اوليا الله الذين يذكرون الله قياما وقعودا
واضرع بسيف الحق جباها ابية وخدودا • وعلكم حق ابيكم الذي اهان عليه الاموال
وخاض من دونه الاهوال • واخلص فيه الضراعة والسوال • من غير كلل يثني عطف
المسئول • واجهد بكدر صفو النعم الثرة • واحصر بنقض به المنجنيق ذوابته •
ويظهر بتكرر الركوع انابته • فالحمد لله الذي اقال العثار • ونظم بدعوتكم الامنيات
وجعل ملككم يجد الثار ويأخذ الثار • والعبد يهني مولاه بما انعم عليه واواه
فاذا اجال العبيد قداح السرور فللعبد المعلى والرقيب • واذا استهموا حظوظ
الجذل فلي القسم الوافر والنصيب • واذا اقتسموا فريضة شكر الله فلي الحظ
والتعصيب • لمضاعف اسباب العبودية قبلي • وترادف النعم التي عجز عنها قولي وعملي

ونقاصر في ابتغا مكافاته وجعده وان لطا ولا املي شعائكم المقام الذي نفس الكربة وانس
الغربة • ودعى الوسيلة والقربة • وانعش الارماق • وفك الوثاق • وادر الارزاق •
واخذ على الدهر بالاستقالة العهد والميثاق • وانه لم يباشر العبد اليد العالية بهذا
الهنا • ويمثل بين يدي الخلافة العظيمة السنا والسنا • وعد بسبب البدر الى تلك
السما • فقد باشر بها اليد التي عجز مولاي ان يتذكر تقبيلها • ويكلف من المجد بتوفية
حقوقها الابوية وتكميلها • ووقفت بين يدي ملك الملوك الذي اجال عليها
القداح • ووصل في طلب وصالها بالمسا الصباح • وكان فتحه اياها ابا عذرة
الافتتاح • وقلت يهنيك يا مولاي برد ضالتك المنشورة • وجبر لقطعتك المعرفة
المشهودة • ورد امتك المودودة • فقد اسعفتها وارتك الارضى • وتسعد
الاسنى • وقاضي دينك • وقرة عينك • مستنقذ دارك من يد غاصبها • ورادّ
رتبك الى مناصبها • وعامر المثوى الكريم • وساتر الاهل والحريم • مولاي هذه تلمسان
قد طاعت • واخبار الفتح على ولدك الحبيب اليك قد شاعت • والامم الى هنايه
قد تداعت • وعدوك وعدوه قد شردته المخافة • وانفنا الى عرب الصحرا المخففة
الاضافة • وعن قريب يتحكم فيه براحتكامه • وتسلمه السلامة الى حمامه فلتطب
يا مولاي نفسك • وليبتسم بشر نفسك • فقد نمت بركتك وزكا غرسك نسال
الله ان يورد على ضريحك من انبا النصر ما تفتح له ابواب السما قبولا • ويترادف
اليك مددا موصولا • وعدا الاخرة خير لك من الاولى • وتوفيه بركة رضاك طعنا
وطولا • وليضفي عليك منه سترا مسدولا • ولم يقنع العبد بجذمة التبرحتى احيد
الفرحة التي ركضها الدهر فانضاها • واستشفها الحادث الجلل وتقحمها فلقى
من خدمة المنظوم ما يتعمد حلمكم تقصيره • ويكون اغضا فيكم اذا المعى معرض العتب
وليه ونصيره • واحاله مولاي على الله في تغنمي خبرها • وتسيله عن فنها مجد فالكرها
وحكمه بفتح مولاي والده شكرها • ويطلع العبد منه على كمال امله ونجح عمله وتسويغ
مقترحه وتتميم جذله • اطلع لساني في مدحك احسابي الخ القصيدة التي تقدمت
وحيث اقتضت المناسبة جلب هذه المونيات فلنضف اليها قصيدة اديب الاندلس
الفقيه عمر صاحب الازجال • اذ هو من فرسان هذا المجال • وقد وطا لها بنثر وجعل
الجميع مقامة ساسانية سماها شرح النصال الى معاني الفضال ونصها • يا عماد
السالكين • ومحط المستفيدين والمتبركين • وثمال الضعفا والمساكين المتروكين •
في طريقك يتنافس المتنافس • وعلى اعطافك تزهى العباءات وتزوق الدافس وتحابد
تحمي حوامد الاوثام • وبمذيتك تشرد ذباب الاوهام • وفي ذيلك تدرس الثالد والطارف
وبعصاك يهش على براعم المعارف • الله الله في اوسالك ضاقت عليه المسالك وساد • رمي
بابعاد • اذ ركبته متاعب الحرفه • واقيم من صفا اهل الصفة • فلا يجد نشاطا على ما يتعاطى

ولا يلقى اغتباطا • ان حل زاوية او نزل رباطا • اقصي عن اهل الرتب والتخصيص • وابتلى
بمثل حاله برصيص • فاحيل عليك • ولو تقفنا قابلته على توبة بين يديك • فكانك
استدعا • واستوهب منك هداية ودعا • لتيسير على ما سويت • وتجلى عنك انسان
ما رويت • فيلغو الكفا الطرفا عزيزا • ويباهي بك كل من خاطبك مستجيرا فامرف
الى المحمي الرضي • وعد من ايناسك للعهد الذي مضى • ولا تلفني معرضا ولا معرضا • وانح
لي تمعاك كما قدر الله وقضى •

تعال نجدد ها طريقة ساسان • نعص عليها ما توالى الجديدان
ولنعرفا اليها من منار غرائم • ويعلو عليها من موكد ايمان
ولنعقد على حكم الوفا هوانا • لناس من اقوال زور وبهتان
ونقسم على ان لا نصدق واشيا • يروح ويغدوا بين نم وعدوان
ليطوف حوالينا ليفسد بيننا • بمنطق انسان وخدعة شيطان
على اساس عالم كلما بدا • نعوذ منه عالم الانس والجان
وحاشاك ان تلفى عن الصلح موضعا • الى الصالح الحرب عبس وذبيان
واني اهمني سوون كثيرة • وصلحنا ولي ما اقدم من شاني
فانت امامي ان كلفت بمذهب • وانت دليلي ان صدعت ببرهان
شادعا لك في اهل العباد كلما • رايتك في اهل الطبا لس برعاني
ويالابسي تلك العباءات انها • لباس امام في الطريقة دهقان
تعرفنا الالوان منها اشارة • بانك تاتي من حلالك بالوان
ويا مالي الفصال شيخ طريقة • خلو بلا لباب لعوب باذهان
اذا جاني الثوب المحبر حلة • دنيبين قد مد منها جناحان
فما نام من الابدان افة لسعها • وان قبلت في سابغات وابدان
سادعوك في حالات كيدي وكديتي • بشيخي ساسان وعمي هامان
وان كان في الانساب مناسبا بينا • فما تنكر الاداب ما نسيبان
الافادع لي في جنح ليلك دعوة • لسنح امالي وربح ميزاني
لك الطائر الميمون في كل وجهة • شربت اليها غير نكس ولا وان
فكم من فقير بائس قد عرفته • فرفت عليه نعمة ذات افنان
وكم من رفيع الجاه والبيت اسسه • فعاش قرير العين مرتفع الشان
فلو كنت للفتح بن خاقان صاحبا • لما خانه المقدار في ليلة الخان
ولو كنت للصابي صديقا ملاطفا • لما قبلت فيه مقالة بهتان
ولو كنت من عبد الحميد مقربا • لما هزم السفاح اشياع مروان
ولو كنت قد ارسلتها دعوة على • ابي مسلم ما جاز ارض خراسان

ولو كنت في يوم الغبيط مراسلا • لبسطام لم تهزم به الشيبان
ولو كنت في حرب الامير لطاهر • لما هان في يوم اللقا ابن ماهان
ولو كنت في مغزى ابي يوسف لما • رماه بغدر عبده في تلمسان
ولو ان كسرى يزدجرد عرفته • لما راح مقتولا على يد طحان
ولو ان لذريقا وطيت بساطه • لما انزرت فيه مكيدة اليان
وفيما مضى في فاس اوضح شاهد • غنى لديناعن بيان وتبيان
ولما اعتنى بي ملك السعيد بكاتب • رايت ما ابتغي من عز ملك وسلطان
فلا تنسني من اهل ودك انني • اخاف الليالي ان تطول فتنساني
والا خير ان تجعل لها تصيدتي • كما ابن دراج على مدح خيران
تجد بين نانير ولا تكن التي • الم بها الكندي في شعب بوان
فجود ان فيها الغيث من رمل عالج • وتغلك فيها الخبز في غار عثمان
وما زلت من قبل السوال مقابلا • مرادي باحسان وقصدي باحسان
ولا تنس ايام ما تقضت كريمة • براوية المحروق اودار همدان
ومن ليقها فيها الغيض اناوة • واغرام مسلول وقسمة حلوان
وقد جلس الطرقون بالبعد طرفنا • لقول الضبي او ابوح بكتمان
عريفي بلحاني اذا ما انيته • ولم انصرف عنكم بواجب الحان
وقد جمعت تلك الطريقة عندنا • ايمة حساب واعلام كهان
اذا استنزلوا الارواح باسم نادر • طوابق فيقون واشياع برقان
وان لم يحوا عند الحلول تارجت • مباخرهم عن زعفران ولوبان
وان نفحوا الذارات في زرايق • نمت عزمة اوهام خوف دخان
فيحسب ان الارض حيث ارتمت به • وكاينه سرعان رجل وركبان
وقد عاشرتنا اسوة كيموية • اقامت لدينا في مكان واسكان
فمنهم من اعيان قوم تالفوا لك • على عقد سحر او على قلب اعيان
ونحن على ما يغفر الله اثمنا • نروح ونغدوا من رباط الى خان
مع الصبح نضفيها عباه صفقة • وبالليل نلويها زنانير رهبان
اتذكر في سفح العقاب بينكم • ثمانين شخصا من اناث وذكران
لديكم من الالوان ما لم يجي به • ظهور ابن ذي نون واعرس بوران
وكم تايق منكم الى عقد نكحة • وكم هايم فيكم على حل هميان
فاطفات قنديل المكان تعمدا • واومات فانقضوا كامثال عقبان
ونادتي في القوم الركوب فانزعوا • فريق لنسوان وقوم لذكران
فاقسم بالايمان لولا تعففي • عن السو لانحلت عقيدة ايمان

فقد

فعد للذي كنا عليه فان لي • على الغبر ان صاحب حقد غيران
فيوم اذ ضيرت ودي جانبا • واعرضت عني ما انا لطم غيران
واردت الكتاب بعد نفارنا • مجاورة من تغلباز لسرحان
وما هو قصدي منك الا اجارة • تحولني التفصيل ما بين خلان
وانك ان تحرت لي واجزتني • لنعم ولي صان وودي وجازان
ولم لا تروني وانت اجل من • سقاني من قبل الرحيق وراوني
الا فاجزني يا امامي بكل ما • رويت لدى غليس او ابن قرمان
ولا تنس للدباغ نظما عرفته • فانكما في ذلك النظم سيان
ومن دوجات بنسبون نظامها • الى ابن سجاع في مديح ابن بطان
والمم بشي من خرافات عنتر • والمم ببعض من حكايات سوسان
وان كنت طالعت البتيمة والنجا • بلا منية في النحس من نظم واساني
اجزني بكشف الهم تحوا رضى وسيلة • وخير جليس في بساط ودكان
وناولني المصباح وهو لغز بني • ميسر اغراضي وزايد سلوان
والحونة تمس المعارف انني • اسايل عن اسناده كل انسان
وكنت قبل اليوم عرفتني به • ولكنني انسيته بعد عرفان
ولا بد بالاسناد من ان تخبرني • ببدا ابن سعيد وفضل بن رضوان
وكتبا ابن احلى كيف كانت فانها • لوزن دقيق القوم اكرم ميزان
ولا تنس ديوان الصبابه والصفا • لاخوان صدق في الصبا خير اخوان
وزهر رياض في مسوق اماجه • وجيد كسا في مكايد نسوان
كذاك فناولني كتاب عجايب • وزدني لترتيفا بها وبرجان
ولي امل في ان اروى رسالتي • مضمنة اخبار حي بن يقظان
وحبسي على الكاس والكوز والعصي • فانك مثري من عصي وكيزان
وصيرلها لدلغاسل دمع لبستة • فقد حل قدري عن هم بر وكتان
وقد رق طبعي واعترتني حشمة • ليكاد بها وجهي بنادي قد حماني
وخل مفاتيح الطريقة في يدي • وسوغ لهم حكمي من بريد ونقصان
فاني لم احذمك الا بنية • واني لم اسعك الا باحسان
فكن لي ما لا شرار اوضح معلن • فاني قد اخلصت سري واعلاني

ولنس قصدي علم الله بجلب هذه القصيدة ما فيها من المجون بل ما فيها من التلميحات التي ترغب في مثلها اهل الادب والحديث سيحون على ان امثالهم الا علام لا يقصدون بمثل هذا الكلام الا مجرد الاحماض فينبغي ان ينظر كلامهم الواقف عليه بعين الاغضا عن النقص والاغماض ولا يبادر بالاعتراض من لم يعلم في الاصول برهان القطع

والافتراق والله المسئول في التجاوز عن الزلات والنجاة من الامور المعضلات فعفوه سبحانه ورجا جميع ذلك والله المطلع على اسرار الضماير والخبير بما هنالك لا رب غيره ولا خير الا خيره وقد ذكرنا هذه القصايد النونية التي اتفق فيها النجح والروى وجرت من البلاغة على النهج السوى فلا باس ان نغوزها بقصيدة الرئيس الوزير ابى عبد الله بن زمرك رحمه الله وهي وصيته ميلاديه انشدها سلطان الاندلس عام خمسة وستين وسبعماية ونجعلها مكوزة لما مر في قصيدة العقيقة عمر من المجون ومبلغه للناظرين في هذا التاليف ما يرجون والحديث شجون وهي قوله

لعل الصبا ان صافحت روض نعمان • تؤدى امان القلب عن ظبية البان
وما ذا على الارواح وهي طليقة • لو احتملت انفاسها حاجة العان
وما ضر من يستودع الريح سره • ويطلبها وهي النموم بكتمان
وكالطيف استقريه في سنة الكرى • وهل تنفع الاحلام غلة ظمان
اسايل عن نجد ومن حل باللوى • ملاعب غزلان الصريم بنعمان
واندى اذا ريح الشمال تنفست • شمايل من تلك المعاطف نشوان
عرفت بهذا الحب اذ سلوة • واني لمسلوب الفواد بسلوان
فيا صاحبي نجواي والحب غاية • لمن سابق حلى مداه ومن وان
وذا كلما اللوم يثنى معادلى • فاني عن شان الملامة في شان
واني وان كنت الابي فتبادة • لبا مرني حب الحسان وينهاني
وما زلت ارعى العهد فيمن يضيعه • واذكر الفي ما حبيت وينساني
فلا تنكرا ما شامني مصطفى الهوى • لمن قبل ما اودى بقيس وغيلان
لي الله اما ومض البرق في الدجى • اقلب تحت الليل مقلة وسنان
وان سل من غمد الغمام حسامه • برى كبدى الشوق المبرح احشاني
تراني باعلام الثنية باسما • فاذكرني العهد القديم فابكاني
اشام نجوما الافق حتى كاننا • وقد سدل الليل الرواق حليفان
وقما اناجي الانق اعذبه بالجوى • فارعى له سرح النجوم وترعاني
ويرسل صوب القطر من فيض ادمعي • ويقدح زند البرق من نار اشجاني
وضاعف وجدي ربع دار عهدتها • مطالع شهب او مراتع غزلان
على حين شرخ لو صال غير مصرود • وصفو الليالي لم يكدر بهجران
لين انكرت عيني الطلول فانما • نمت الي قلبي بذكر وعرفان
ولم ادمثل الدمع في عرصاتها • سقى نزبها حين استهل واحياني
ومما شجاني ان سرى الركب موهنا • تقاد به لعوج الرياح بادسان
غواديب في بحر السراب تخالها • وقد سبحت فيه سوابح غربان

على كل نضو مثله فكانما • رمى منهما صدر المفازة سهمان
ومن زاجركوما محطة الحشى • لو سد منها فوق عوجا مرنان
نشاوى غرام يستميل رؤسهم • من النوم والشوق المبرح سكران
اجابوا ندا البين طوع غرامهم • وقد تبلغ الاوطار فرقة اوطان
يومون من قبر الشفيع مثابة • تطلع منها جنة ذات افنان
اذا نزلوا من طيبة بجواره • فاكرم مولى ضم اكرم ضيفان
بحيث علا الايمان واستد ظله • وزان حلى التوحيد تعطيل اوثان
مطالع ايات مثابة رحمة • معاهد املاك مظاهر ايمان
هنالك تصفو للقبول موارد • يسقون منها فضل عفو وغفران
هنالك تودى للسلام امانة • يحييهم عنها بروح وريحان
يناجون عن قرب شفيعهم الذي • يومله القاصي من الخلق والداني
لين بالغواد وي وخلفت انه • فما جرى من مالك الامر ضرديان
وكم عزمة مليت نفسي صدقها • وقد عرضت مني مواعد ليان
الي الله نشكوها نفوسا ابية • تحيد عن الباقي وتغتر بالفان
الا ليت شعري هل يساعدني المنى • فاترك اهلي في رضاه وجيراني
واقضي لبانات الفواد بان اري • اعفر خدي في ثراه واجفاني
اليك رسول الله دعوة نازح • خفوق الحشى رهن المطامع هيمان
غريب باقصى الغرب قيد خطوه • شباب تقضى في مراح وخسران
يجد اشتياقا للعقيق وبانه • وليس يبوا اليها ما استجد الجديدان
وان اومض البرق الحجازي موهنا • يردد في الظلما انة لهفان
فيا مولى الرحمى ويا مذهب العمى • ويا منجي الغرقى ويا منقذ العان
لبسطت يد المحتاج يا خير راحم • وذنبي الجاني الي موقف الجاني
وسيلتي العظمى شفاعتك التي • يلوذ بها عيسى وموسى بن عمران
فانت حبيب الله خاتم رسله • واكرم مخصوص بزلفى ورضوان
وحسبك ان سماك اسماه العلى • وذلك كال لا يشاب بنقصان
وانت لهذا الكون علة كونه • ولولاك ما امتاز الوجود باكوان
ولولاك للافلاك لم تخل نيرا • ولا قلدت لباتهن بشهبان
خلاصة صفو المجد من آل هاشم • ونكتة سر الفخر من آل عدنان
وسيد هذا الخلق من نسل آدم • واكرم مبعوث الي الانس والجان
وكم اية اطلعت في افق الهدى • يبين صباح الرشد منها ليقظان
وما الشمس يجلوها النهار لمبصر • باجلى ظهورا او باوضح برهان

وأكرم بآيات تحدثنا بها • وما ملأ آيات المحكم فرقان
وما ذا عسى يثني البليغ وقد أتى • ثناؤك في وحي كريم وقرآن
فصلى عليك الله ما انسكب الحيا • وما سجعت ورقاء في غصن البان
وأيد مولانا أبي نصر فإنه • لأشرف من يحمي الملك وسلطان
أقام كما يرضيك مولاك الذي • به سنن الإسلام عن وجه جذلان
سمي رسول الله ناصر دينه • معظمة في حال سر وإعلان
ووارث سر المجد من آل خزرج • وأكرم من ينمى قبائل قحطان
ومرسلها ملأ الفضا كتائبا • تدين بها غلب الملوك بإذعان
حرائر حضر والدروع غدائر • وما أنبتت إلا ذوابل مران
تجاوب فيها الصاهلات وترتمي • جوانبها بالأسد من فوق عقبان
فمن كل خوار العنان قد امتطى • به كل مطعام العشيات مطعان
وموردها ظمأى الكعوب ذوابلا • ومصدرها من كل أملد ريان
ودنت منها والربوع نواحل • غمام ندى كفت المحل كغمان
إذا أخلف الناس الغمام وأمحلوا • فإن نداه والغمام لسيان
إمام أعاد الملك بعد ذهابه • إعادة لا فاني الحسام ولا واني
فغادر أطلال الضلال دوارسا • وجدد للإسلام أرفع بنيان
وشيدها والمجد يشهد دولة • محافلها تزهى بيمن وإيمان
ودان من النصر العزيز ابتسامه • وهز له الإسلام أعطاف مزدان
لك الخير ما أسنى شمائلك التي • ليقصر عن إدراكها كل إنسان
ذكا إياس في سماحة حاتم • وإقدام عمرو في بلاغة سحبان
أمولاي ما أسنى مناقبك التي • هي الشهب لا تحصى بعد وحسبان
فلا زلت يا غوث البلاد وأهلها • مبلغ أوطار ممهد أوطان

ولابن زمرك المذكور ترجمة ثانية في هذا التأليف إن شاء الله في محلها وهو من تلامذ لسان الدين ومن عداد خدامه تخير شأنه الزمان ولقوض الخوف بعد الأمان كان أحد الساعين في قتله كما سنذكره وصرح بذمه وهجوه بعدما كان ممن يشكره وهكذا عادة بني الدنيا يدورون معها حيث دارت • ويسيرون حيث سارت ويشربون من الكاس الذي أدارت وقد تولى المذكور الوزارة عوضا عن ابن الخطيب وصرع طير عزه بعد علو فنن من الإقبال رطيب ثم آل الأمر به إلى القتل كما سمع في قتل لسان الدين وكان الجزاء له من جنس عمله والمريدان بما كان به يدين وعفو الله مرجو للجميع في الآخرة وهو سبحانه وتعالى المسؤول أن يشملنا وإياهم الرحمة الفاخرة فإنه لا يتعاظمه ذنب ولا يتسلل للكل غيره من رب رجع المساكنا بسبيله وأما لوشة التي ينسب إليها لسان

الدين

الدين فقد تقدم من كلام ابن خلدون أنها على مرحلة من حضرة غرناطة في الشمال من البسيط الذي في ساحتها المسمى بالمرج وقد أجرى ذكرها لسان الدين في الإحاطة وقال إنها بنت الحضرة يعني غرناطة • وقال ذلك في ترجمة ابن شيخ الكحل ولنذكر الترجمة بكمالها تتميما للغرض فنقول قال رحمه الله ما نصه محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم من أهل جزيرة شقر يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن مرج كحل حاله كان شاعرا مغلقا غزلا بارع التوليد رقيق الغزل • وقال الأستاذ أبو جعفر شاعر مطبوع حسن الكتابة ذاكر للأدب متصرف فيه • قال ابن عبد الملك وكانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها إجادته وكان متبذلا في اللباس على هيئة أهل البادية ويقال إنه كان أميا من أخذ عنه روى عنه أبو جعفر بن عثمان الوراد وأبو الربيع ابن سالم وأبو عبد الله بن الأبار وابن عسكر وأبو أبي البقا وأبو محمد بن عبد الرحمن بن برطلة وأبو الحسن ابن الرعيني شعره ودخوله غرناطة قال في عشية بنهر الغنداق من خارج بلدنا لوشة بنت الحضرة والمحسوب من دخلها أنه دخل البيرة وقد قيل إن نهر الغنداق من أحواز برجة وهذا الخلاف داع لذكره •

عرج بمنعرج الكثيب الأعفر • بين الفرات وبين شط الكوثر
ولتغتبقها قهوة ذهبية • من راحتي أحوى المدامع أحور
وعشية كم كنت أرقب وقتها • سمحت بها الأيام بعد تعذر
فلنا بها ما شئنا في روضة • تهدي لنا شقيقها نسيم العنبر
والدهر من ندم يسفه رأيه • فيما مضى فيه بغير تكدر
والورق تشدو والأراكة تنثني • والشمس ترفل في قميص أصفر
والروض بين مفضض ومذهب • والزهر بين مدرهم ومدنر
والنهر مرقوم الأباطح والربى • بمصندل من زهره ومعصفر
وكأنه وكأن خضرة شطه • سيف يسل على بساط أخضر
وكأنما ذاك الحباب فرنده • مهما طفى في صفحه كالجوهر
وكأنه وجهاته محفوفة • بالآس والنعمان خد معذر
نهر يهيم بحسنه من لم يهم • ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها • إلا لفرقة حسن ذاك المنظر

ولا خفاء ببراعة هذا الشعر وقال منها •

أرأيت جفونك مثله من منظر • ظل وشمس مثل خد معذر
وجداول كأراقم حصباؤها • كبطونها وحبابها كالأظهر

وهذا تتميم عجيب لم يسبق إليه ثم قال منها •

وقرارة كالعشر بين خميلة • سالت مذانبها بها كالأسطر

فكانما مشكولة بمصندل * من يانع الازهار او بمعصفر
امل بلغناه بهضب حديقة * قد طرزته يد الغمام الممطر
فكانه والزهر تاج فوقه * ملك تجلى في بساط اخضر
راق النواظر منه رايق منظر * يصف النضارة عن جنان الكوثر
كم قاد خاطر خاطر مستوفر * وكم استوقف جالرمن متبصر
لو لاح لي فيما تقادم لم اقل * عوج بمنعرج الكثيب الاعفر

قال ابو الحسن الرعيني وانشدني لنفسه

وعشية كانت قنيصة فتية * الفوا من الادب الصريح شيوخها
فكانما العنقا قد نصبوا لها * من الافق الى الوقوع فخوخها
علمتهم اذا بهم فتجاذبوا * سر السرور محدثا ومصيخا
والورق تقرا سورة الطرب التي * ينسيك منها ناسخا منسوخها
والنهر قد صفحت به نارنجه * فتيممت من كان فيه منيخا
فكانه خلل السما كواكبا * قد قارنت بسعودها المريخا
خرق العوايد في السرور نهارهم * فجعلت ابياتي له تاريخا

ومن ابياته في البديهة قوله

وعندي من مراشفها حديث * يخبر ان ريقتها مدام
وفي اجفانها السكرى دليل * وما ذقنا ولا زعم الهمام
تعالى الله ما اجرى دموعي * اذا عنت لمقلتي الخيام
واشجاني اذا لاحت بروق * واطربني اذا غنت حمام

ومن قصيدة

عذيري من الامال خابت قصورها * ونالت جزيل الحظ منها الاخابث
وقالوا اذكرنا بالغنى فاجبتهم * خمولا وما ذكر مع البخل ماكث
يهون علينا ان يبيد اثاثنا * وتبقى علينا المكرمات الاثايث
وما من اصلا طيبا عدم الغنى * اذا لم يغيره من الدهر حادث

وله يتشوق الى ابي عمرو بن ابي غياث

اباعمرو متى تقضي الليالي * بلقياكم وهم قصص ربيني
ابت نفسي هوى الا ربيشا * ويا بعد الجزيرة من ربيش

وله من قطعة

طفل المسا وللنسيم تضوع * والانس يجمع شملنا ويجمع
والزهر يضحك من بكا غمامة * ريعت لشيم سيوف برق تلمع
والنهر مرتاب يصفق موجه * والغصن يرقص والحمامة تسجع

فانتم ابا عمران قاله بروضة * حسن المصيف بها وطاب المربع
يا شادن البان الذي دون النقا * حيث التقى وادي الحمى والاجرع
الشمس يغرب نورها ولربما * كسفت ونورك كل حين يسطع
ان غاب نور الشمس لسنا نتقي * بسناك ليل تفرق ينطلع
اذلك فناب سناك عن اشراقها * وجلا من الظلما ما يتوقع
فامنت يا موسى الغروب ولم اقل * فوددت يا موسى لو انك يوشع

وقال

الا بشروا بالصبح مني باكيا * اضر به الليل الطويل مع البكا
ففي الصبح للصب المتيم راحة * اذا الليل اجرى دمعه واناشكا
ولا عجبا ان يمسك الصبح عبرتي * فلم يزل الكافور للدم ممسكا

ومن بديع مقطوعاته قوله

مثل الرزق الذي تطلبه * مثل الظل الذي يمشي معك
انت لا تدركه متبعا * فاذا وليت عنه تبعك

وقال

دخلتم فافسدتم قلوبا بملكها * فانتم على ما جا في سورة النمل
وبالجود والاحسان لم تتخلقوا * فانتم على ما جا في سورة النحل

قال ابو بكر محمد ابن محمد بن جهور رايت ابن موج الكحل مرجا احمر قد اجهد نفسه في خدمته فلم ينجب فقلت

ايا موج كحل ومن هذي المروج له * ما كان احوج هذا المرج للكحل
ما حمرة الارض من طيب ومن كرم * فلا تكن طمعا في رزقها النجل
فان من شانها اخلاق املها * فما تفارقها كيفية الخجل

فقال مجيبا

يا قايلا اذ راى مرجي وحمرته * ما كان احوج هذا الموج للكحل
هو احمر ردما الروم سيلها * بالبيض من سرمن ماء الاول
اجبته ان حكى من قد فتنت به * في حمرة الخد او اخلاقه املي

وفاته توفي ببلده يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول عام اربعة وثلاثين وستماية ودفن في اليوم بعده انتهى ما في الاحاطة في شان ابن موج الكحل وكتب ابو الحسن على ابن لسان الدين على اول ترجمته ما نصه شاعر جليل القدر من مشايخ شعرا الاندلس من اهل بلنسيه وسكن جزيرة شقر انتهى وكتب على قوله والنهر مرقوم الاباطح ما صورته لم يصف احد النهر بازرق ديباجة ولا اطرف من هذا الامام رحمه الله عليه انتهى كلام ابن لسان الدين قلت وما رايت رائية تقرب من التي لابن موج الكحل السابقة التي اولها عوج بمنعرج

الكثيب الاعفر الاداية شمس الدين الكوفي الواعظ وهي قوله •

روح الزمان هوا الربيع فبكر • وانهض الي اللذات غير منكر
هذا الربيع يبيع من لذاته • اصناف ما تهوى فاين المشتري
فافرح به فالفرحة بقدومه • دخل الشقايق في القبا الاحمر
والكون مبتهج وخفاقا الصبا • يحيي القلوب بنشرها المتعطر
والغيم يبكي والاقاحي باسم • لبكاية كتبسم المستبشر
والسرو ان عبث النسيم فهز • اعطافه الغصون يميس ميس موقر
وكانما العداح فستق فضة • يهدي اليك اريج مسك اذفر
وكانما المنثور في الوانه • الوان ياقوت انيق المنظر
وترى البهار كعاشق متخوف • معشوق باد بوجه اصفر
وكانما النارنج في اوراقه • القندبل والاوراق شبه مسحر
وكانما الخشخاش قوم جاءهم • خبر بشرهم بطيب المخبر
فثنوا ملابسهم لفرط سرورهم • كي يخلعوا فرحا بقول المخبر
فتعلقت اذيالها باكفهم • وتعلقت ازياقها بالمنحر
والطل من فوق الرياض كانه • در نثرن على بساط اخضر
وترى الربى بالنور بين متوج • ومدبلج ومخلخل ومسور
ودبابجها بالزهر بين منطق • ومطوق ومنطق ومزنر
والورد بين مضعف ومشنف • ومكنف وملطف لم يقصر
والدهر بين مفضض ومذهب • ومرصع ومدرهم ومدنر
والنشر بين مطيب وممسك • ومعطر ومصندل ومعنبر
والورق بين مرجع ومرجع • ومفجع ومسجع في منبر
ومغرد ومردد ومعدد • ومبدد في الحذما المحجر

ولكن قصيدة ابن مرج الكحل اعذب مذاقا وكل منهما لم يقصر رحمهما الله فلقد اجاد فيما
قاله الي الغاية وليس الخبر كالعيان ومن نظم ابن مرج الكحل قوله •

الشمس لغرب نورها ولربما • كسفت ونورك كل حين يسطع
افلت فناب سناك عن اشراقها • وجلا من الظلما ما يتوقع
فامنت يا موسى الغروب ولم اقل • لوددت يا موسى لو انك يوشع

ولح بهذه الابيات المقول الرصافي الاندلسي البلنسي يخاطب من اسمه موسى بقصيدة اولها

ما مثل موضعك ابن رزق موضع • زهر يرف وجدول يتدفع

ومنها

وعشية لبست ثياب شحوبها • والجو بالغيم الرقيق مقنع

بلغت بنا امد السرور تالفا • والليل نحو فراقنا يتطلع
فابلل بها ريق الغبوق فقد اتى • من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت فلم يملك نديمك ردها • فوددت يا موسى لو انك يوشع

انتهى قلت ومن نثر ابن مرج الكحل المذكور ما كتبه الي الاديب الاندلسي ابي بحر صفوان
بن ادريس مراجعا له بعد نظم ولفظ الجميع •

يا من تبوا في العليا منزلة • جراه فرا استاها اي تاسيس
لم يتركا في العلى حظا لملتمس • سيان هذا وهذاك ابن ادريس
واني كاتبكم فاذن لي جدلي • واغتنضت من فرط اشواقي بتانيس
فللهوى لوعة تطفو فيطفيها • مسك المداد وكافور القراطيس

حرس الله سناك وسناك • واطفر بمناك يمناك • ودي الاسلم كما تعلم وعهدي الاقدم لم تزل
له قدم • وانا دائم عزكم ان اتفق معكم انتسابا فلم اتفق في سنا وللادب باعا • ولا قاربتكم
طباعا وانطباعا • بل بذلك الاتفاق تشرفت • وسموت الي ذروة العلى واستشرفت
واوردت بذلك الفضل واعترفت • وكرعت في مناهله واغترفت • ولقد واني كتابكم
فقلت لعذر نثر الدر فيه من فيه • وبلغ نفسي ما كانت تنويه من التنويه
حديث لوان الميت يوذى ببعضه • لاصبح حيا بعد ما ضمه القبر
ولو ما تطا الغنى وجه من رضاكم وسيم • وسقاني من اهنا لكم ما ازرى به واسيم
وحياني منكم روض وتسنيم • لما ساعدني الفكر بتسنيم • لا زلتم في ظل من العيش وارف
مرتدين ردا المعارف والسلام انتهى • وكانت مخاطبة صفوان له التي اجاب عنها بما نصه

يا قاطع البيد يطويها وينشرها • الي الجزيرة يبغي ببرك العيس
الثم بها عن اخي حب وذي كلف • يد العلى والقوافي وابن ادريس

وابلغها اليه تحية كالمسك صدرا وردا • وكالماء الزلال عذوبة وبردا • ينتهي بها الي دار
ابن تسنيم • ويستفر منها بجزيرة شقر وجه وسيم • ومن وان كانت تزرى بالمسك خلا
وتستغرق لصوبها وحلا • فانها الحايفة تترقب • وسافرة تكاد تتنقب تمشي
على استحيا • وتعتذر من التقصير في ذيل واعيا • هذا لانها جلبت الي هجر تمرا • والي شمام
وبيته نار حمرا • ولكن على المجدان يبدي في قبول عذرها ويعيد لعلمه ان يتيمم من لم يجد
الصعيد فلله الفضل الا يلفحها بنار النقد • ولا يعرضها على ما هنا لك من الحل
والعقد • والله يبقي ذكره في مغلة الادب حورا • وفي قلب الحسود جورا • ويديمه
والقوافي طوع قريحته والاغراض الجميلة ملازم يضنه وتعريجته • وزهر البيان يطلع
في سما جنانه • وزهر التبيان ينوع في اندا جنانه • وعذرا اليه فاني كتبت والحامل
لمبسك زمامه • ويلتفت في البيدا امامه والسلام انتهى • ومن انشا صفوان بكاح
نصها الحمد لله الذي يطول بالاحسان من غير جزا ولا ثواب • والبس المخلوقات من فواضل

سوابغ المطارف وكواسي الاثواب • وجاوا على اقدام الرجا الى محال نوافله فوجدوها مفتحة لهم الابواب • وسالوه كفاية المؤنة فكان الفعل بدل القول والاسعاف بدل الجواب خلق البرية من غير افتقار ولا اضطرار • ونقلهم من الطفولية الى غيرها نقل البدر من التمام الى السرار • وشرف هذه الطبقة الانسانية فوزقها الادراكات العقلية • والابانات اللسانية • فضرب سرادق اعتنايه علينا • وانشانا من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها • ونوع صنعه الرفيق بهم اللطيف • وتنويه الحال بارجايهم المطيف ورزقهم احسن الصور الحيوانية واجملها • واتاح لهم اتم اقسام الاعتنا واكملها • وبعث اليهم الرسل صلوات الله عليهم صنعا منه جميلا • ووكل الصنيعة لديهم وتكميلا فبشروا وانذروا وامنوا وحذروا • وبانوا بين الحرام والحلال بما يه ادراك البصير بين الكدر والزلال • ودلوا على السمت الاهدى • ونصبوا على اعلام التوفيق والهدى • ولم يدعوا شيا سدى • بل توازنت بهم مقادير الاقوال والاعمال • وكانت اشاراتهم مثال الهداية واى مثال • فاب كل مستجيب لهم الارتباط وشد كل موثق على الاعتلاق بحبالهم يد الانبساط • فصلوات الله الزاكية عليهم ونوافح رحمته النامية تغدو وتروح اليهم واتم الصلاة والسلام • على علم اولي الاعلام • الداعي على بصيرة الى دار السلام • السراج المنير • البشير النذير • محمد صلى الله عليه وعلى اله وصحبه صلاة توصلهم الى فسيح رضوانه ورحيبه • بعثه الله رحمة للعالمين عامة • وارسله نعمة للناس موفورة تامة • فاخذ بحجز مصدقيه على التهافت في مداحض الاقدام • والتتابع في مغويات الجراة على العصيان والاقدام • فاقام الحجج • واوضح المحج • ودل على المقامات التي يحلها الاوليا • وافصح عن الكرامات التي تتخذ الاتقيا • وقال واقفلا من قايل تناكحوا فاني مكاثر بكم الانبيا ورهبانية ...ه صلوات الله عليه على الزنا ...ة في اهل الاسلام والغنا • ودفعا في صدر الباطل بواضح الحق الصادع غيهب الظلما وحض على ذات الدين الحصان واغرى بالاعتصام والاحصان • ونصب اعلام النكاح مشيد المباني وجلاها سنة عذبة المجاني • قال من تزوج فقد كمل نصف دينه فليتق الله في النصف الثاني وامر بالنكاح الذي توافقت فيه الطبيعة والشريعة • وليتة النفوس ومنه سريعة واخصبت به ربوة التناسل فهي موضوعة مربعة • وسدت به عن ابتاع الهوى وارتكاب المحارم الذريعة • وحفظت به الانساب والانساب • وفاض به نهر الانسام السلسل المنساب ولا سبيل ان يستغني بذاته من كان اسير هواه وصاحب لذاته وانما الانفراد والاستغنا • لمن له الكمال والغنا ولا يجوز ان يتعاقب عليه الانا الا الله الاهو له السنا والسنا وان فلانا لما ارتقت همته الى ابتاع الصالحات وسمت

ودمته النجابة من اعلامها اللايحة بما وسمت • راى ان الاعتصام بالنكاح اولى ما حمى به دينه ووقاه • واهم ما دفع اليه اعتقاده ورقاه فخطب الى فلان ابنته فلانة خطبة تطاير فيها اليمن والقبول ونفخت بها نسمات من الجد الصميم وقبول وارتقى بها الى اللوح المحفوظ والديوان المكنون المكتوب عمل مقبول فتلقى فلان خطبته بالاجابة لما توسم فيه من مخايل النجابة حرصا منه على المساعدة والعون واغتباطا بمياسم اهل الرشد والصون • وانعقد النكاح بينهما على بركة الله التي يتضاعف بها العدد القليل ويتزيد • ويمنه الذي ينهض به من اعتمده ويتايد • وحسن توفيقه الذي يرتبط به من اخلص ضميره ويتقيد على ان امهرها كذا تزوجها بكلمة الله التي علت الكلمات وتبين بها • وعلى سنة نبيه التي احيت الحنيفية واظهرتها وانفت الملة من ادجاكها الجاهلية وطهرتها • وهداية مهديه التي غلبتها لا باطل وفهمتها ولتكون عنده بامانة الله التي هي جنة واعتصام وعهدته للزوجات على ازواجهن التي ليس لعروتها انفصام • وعلى امساك بمعروف او تسريح باحسان • وتسلسل في ميدان التناصف وارسان • ولها عليه من حسن العشرة التي هي حقيق الاتفاق عايدة مثل ذلك وله درجة زايدة • والله تعالى يمهد لهما مهاد نعمه الوثير • ويخلف منهما الطيب الكثير • ويرزقهما التوفيق الباعث لطول المرافقة المثير • بمنه ونعمته انتهت وله رحمه الله من رسالة عتاب • ادام الله مودة الاخ الذي استديم اخاه وان واجهني زعازع ارتقب رخاه • وتجاوزت عن لومه لا مسه • واغضيت عن ظلامة لشمسه • انا واعتنا وانذارا واحذارا • ورحم الله من اعتمد على الانها وعصى اوامر الاوهام • راى الخايف في المعقول • لا في المختلف المنقول • وبعد فانه وصل كلامات بل ملامات وكتايب بل عتايب ودسايس بل ... لنا ... سمعتني بالفاظك العذاب شوا العذاب • وارتني لمعاني الحسام • من فوق الوسام • وقال صفوان رحمه الله اجتمعت مع ابن مرج الكحل يوما فاشتكى الي ما يجد لفراقه واطال عتب الزمان في اشتامه واغرابي فقلت اذا افترقنا والنفوس مجتمعة • فما يضر ان الجسوم للرحيل مزمعة ثم قلت له

انت مع العين والفواد • دنوت او كنت ذا ابتعاد

فقال وهو من بارع الاجازة

فانت في القلب في السويدا • وانت في العين في السواد

انتهى ولما جرى ذكر صفوان فلا حرج ان نترجم فنقول قال في الاحاطة ما ملخصه صفوان بن ادريس بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبي المرسي ابو بحر كان اديبا حسيبا ممتعا من الظرف ريان من الادب حافظا سريع البديهة ترف النشاة على تصاون وعفاف جميلا سريا ممن تساوى حظه في النظم والنثر على تباين الناس في ذلك

روي عن ابيه وخاله ابن عم ابيه القاضي ابي القاسم ابن ادريس ابي بكر ابن مغاور وابي محمد
بن غلبون وابو العباس بن مضا سمع عليه صحيح مسلم وابي القاسم بن حبيش وابن حوط الله
وابي الوليد ابن رشد واجاز له ابن بشكوال وروى عنه ابو اسحاق بن الياسري وابو
الربيع بن سالم وابن عيشون وله نوادر ادبية منها نادر المساور وكتاب الرحلة وكتاب
الحالة سفران يتضمنان من نظمه ونثره ادبا كافيا له وانفرد بن تابين الحسين
وبكا اهل البيت بما طرت عليه مزكنته في حكايات تكتبين ثم سرد لسان الدين جملة من نظمه
الى ان قال وقال في عرض الرصافي من وصف بلده وذكر احوا له بساحله في الوعد والرد
عقب رسالة تما هاطرادا لجياد في الميدان • وتنازع اللذات والاحدات في تقديم مرتبة
على غيرها من البلدان •

لعل رسول البرق يغتنم الاجرا • فينثر عني ماء عبرته نثرا
معاملة ارجي بها غير مذنب • فاقضيه دمع العين عن نقطه قطرا
ليسقي من تدمير قطرا محببا • لتربعني القطر ان تشرب القطرا
ويقرضه ذوب اللجين وانما • توفيه عيني من مدامعها تبرا
وماذاك تقصيرا بها غير انه • سجية ماء البحر ان يزدري الزهرا
خليلي قوما فاحبسا طرق الصبا • مخافة ان يحمى بزفرتي الحرا
فان الصبا ريح على كريمة • باية ماتسرى من الجنة الصغرا
خليلي اعني ارض مرسية المنى • ولولا توخي الصدق سميتها الكبرا
محلي بل جوي الذي عبقت به • نواسم اذا بي معطرة نشرا
ووكري الذي منه درجت فليتني • فجعت بريش العزم كي الزم الوكرا
وما روضة الخضراء قد مثلت بها • مجرتها نهرا وانجمها زهرا
باتهج منها والخليج مجرة • وقد فتحت ازهار ساحتها الزهرا
وقد اسكرت اعطاف اغصانها الصبا • وما كنت اعددت الصبا قبلها خمرا
هنالك بين الغصن والقطر والصبا • وزهر الربى ولدت اداب العرا
اذا نظم الغصن الحيا قال خاطري • تعلم نظام النثر من ههنا شعرا
وان نثرت ريح الصبا زهر الربى • تعلمت حل الشعر اشبكه نثرا
فوابدا سحار هناك اعتبتها • ولم ادر وضاعيره يقري السحرا
كان هزاز الدوح يمدح روضها • فملا فاها من ازهاره درا
ايا زنقات الحسن هل فيك نظرة • من الجرف الاعلى الى السكة الغرا
فانظر من هذي لتلك كانما • اغير اذا غازلتها اختها الاخرى
هي الكاعب الحسنا تمم حسنها • وقد قبلت اوراقها حللا خضرا
اذا خطبت اعطت دراهم زهرها • وما عادة الحسنى ان تنقد المهرا

وقال

وقامت بعرس الانس قينة ايكها • اغاريدها تسترقص الغصن النضرا
فتعلو في خليج يلبس الحوت درعه • ولكنه لا يستطيع بها نصرا
اذا ما بدا فيها الهلال رايته • كصفحة سيف وسمها قبعة صفرا
وان لاح فيها البدر شبهت متنه • ببسط لجين ضم من ذهب عشرا
وفي جرني روض هنالك تجانيا • بنهر نوقا افق لو زاره فخرا
كانهما خلا صفا وتعاتبا • وقد بكيا من رقة ذا الليل النهرا
وكم بابيات الحرير عشية • من الانس ما فيه سوى انه مرا
عشيات كان الدهر غض بحسنها • فاجلت بساط البرق اوراقها النشرا
عليهن اجري خيل دمعي بوجنتي • اذا ركبت حمرا ميادينها الصفرا
اعهدي بالغرس المنعم دوحه • سقتك مغاني اهلها مزنة شكرا
فكم فيك من يوم اغر محجل • تقضت اماني فخلدتها ذكرا
على مذنب كالبحر من فرط حسنه • تود الثريا ان يكون لها نحرا
سقتنا دمعي والقطر ايهما ابرا • نقي الوشلة البيضا فالنهر فالجسرا
واخوان صدق لو قضيت حقوقهم • لما فارقت عيني وجوههم الزهرا
ولو كنت اقضي حق نفسي ولم اكن • لما بت استحلي فراقهم المرا
وما اخترت هذا البعد الا ضرورة • وهل تستجير العين ان تفقد الشفرا
قضى الله ان تناي بي الدار عنهم • اراد بذاك الله ان اعتب الدهرا
وو الله لو نلت المنى ما حمدتها • وما عادة المشعوف ان يحمد الهجرا
ويانس قلبي ودودهم • مرام يجد الكوب في طيها شهرا
ولصحب هادي الليل راوحرقه • وصادا ولونا قد تدنس واصفرا
فديتهم بانوا وضنوا بكتبهم • فلا خبرا منهم لقيت ولا خبرا
ولولا علي هما بهم لعتبتهم • ولكن عذاب الحب لا يحمد الزجرا
ضربت عراب البيد في مهرق السرى • بحيث جعلت الليل في ضربه حبرا
وحققت ذاك الضرب جمعا وعدة • وطرحا وتجميلا فاخرج لي صفرا
كان زماني حاسب متعسف • يطارحني كسرا اما يحسن الجبرا
فكم عارف بي وهو يحسن رتبتي • فيمدحني سرا ويشتمني جهرا
لذلك ما اعطيت نفسي حقها • وقلت لسرب الشعر لا تزم العفرا
فلم بعت نكري عذاري فصايدي • ومن خلق العذر ان تالف الخدرا
ولست وان طاشت سهامي بايس • فان مع العسر الذي يتقي يسرا

وقال يراجع ابا الربيع بن سالم عن ابيات مثلها

سقى نجد بالحيمات من على نجد • اسح غمامي ادمعي والحيا والرعد

باللذات

وقد كان في دمعي كفاء وانما • تخففها اما بالضلوع من الوقد
فان فترت نار الضلوع هنيهة • فسوف ترى تجبيره الحيا العد
وان ضن صوب المزن يوما فادمعي • تنوب كما ناب الجميع عن الفرد
وان هطلا يوما بساحتها معا • فاروا هما ما صاب من منتهى الورد
ارى زفرتي تزكي ودمعي يهمي • تغيضني فاما بالعلا وبالورد
فهلا ما الذي ابصرتموا او سمعتم • غمام بلا افق وبرق بلا رعد
لى الله كم اهدي بنجد واهلها • وما لى بها الا التوهم من عهد
وما لي بنجد من ربع ولا هوى • خلا انهم شنوا الغواني على نجد
وجادوا بدعوى حسن الشعر دونها • فصارت لهم في مصحف الحب كالحمد
شغلنا ابناء الزمان عن الهوى • وللدمع وقت ليس يصلح للبرد
الى الله اشكوا ريب دهر يغيض في • نوائبه قد الجمت الحسن العد
لقد عرفت حكم الفؤاد الى الهوى • كما فوضت امر الجفون الى السهد
اما تتوقى ويحها ان اصيبها • بدعوة مظلوم على جورها تعدى
اما اما ان زحزحت عن كادم • فواقهم دل القلوب على جدى
اعانيها فيهم فتزداد قسوة • اجدك هل عاينت للحجر العقد
اما علمت ان القساوة قد فوضت • طباع بني ايام دايا الا من الرد
اذا وعدت يوما بتاليف شملنا • فالم يوم قرب وكاس من وعد
وان عاهدتنا لا تولع بيننا • تذكرت اثار السموال في العهد
خليلي اغنى النظم والنثر رسلا • جيادكما في حلبة الشكر والحمد
قفا ساعداني انزح ساحب • يرى جام الكتم من كبد الحقد
بايد ما فيد بها السن الورى • بذكري ثياب الكاني والكدي
فاين بياني او فاين فصاحتي • اذا لم اعد ذكر المكادم او ابدى
فما خاطري دون الثنا حقوقه • وضعه كما قالوا سوار على زند
ولا تلمني بالتكاسل حجبة • تستبيها نار الحيا على جدي
تكلفت القوافي ومن ابنا خاطري • وغيبها الاحجام عني في لحد
ليبلغ اضع زهر النجوم قلادة • وات ببدر التم واسطة العقد
الى ان يقول السابقون لرفعتي • لقم طاردات السعط عن ذلك الوتد
احمي بوماها جناب بن سالم • فيفرع فيه الباب في زمن الورد

وهي طويلة ومن مقطوعاته

يا من اطلعه اصطلى • له سواد القلب فيها غسق
وربما استوقد خاد الهدب • فتاجيها لونها عن شفق

تملكتني

تملكتني في دولة من صبا • وصدتني في شرك من حذق
عذبت من حبك ما لو رمت • في البحر منه شعلة احترق

وقال

لو كان لي قلب فلما فارقوا • سوى جناحا للغرام وطارا
وجرت سحاب للدموع فاوقدت • بين الجوانح لوعة واوانا
ومن العجايب ان فيض مدامعي • ماء ويثمر في ضلوعي نارا

وشعره الرمل والقطر كثيرة فلنختمه بقوله

قالوا وقد طال في مدى خطأ • ولم ازل في تجري ساهج
اعددت شيا ترجوا النجاة به • فقلنا اعددت رحمة الله

وكتب يهني قاضي الجماعة ابا القاسم بن يحيى بن سالم منها • لان محله دار عمرو • وامتثل نهيه الشرعي وامره • اعلى رتبة واكرم محلا من ان يختلي • بحظ يحيى به تتحلي • كيف يهنا بالقعود لسماع دعاوى الباطل • والمعافاة لانصاف المحطود من المماطل • والتعب في المقاولة بين ذوي المجادلة • اما لو علم المتشوفون لحظة الاحكام • المستشرفون اليها لما من التبسط والاحتكام • ما يجب لها من اللوازم • والشروط الجوازم • كبسط الكنف • ورفع الجنف • والمساواة بين المساواة بين العدو وذي الذنب • والصاحب بالجنب • وتقديم ابن السبيل • على ذي الرحم والقبيل • وايثار الغريب على القريب • والتوسع في الاخلاق • حتى لمن ليس له من خلاق • الى غير ذلك مما علم قاضي الجماعة احصاه واستعمل خلقه الفاضل ادناه واقصاه • لجعلوا امولهم • ما مولهم • واضربوا عن ظهورهم فنبذوه وراء ظهورهم • اللهم الا من اوتي بسطة في العلم ورسا طودا في ساحة الحلم • وبات ميزانه في الحرب والسلم • وكان كمولانا في المماثلة بين اجناس الناس فقصاراه ان يتقلد الاحكام للاجر • لا للتعنيف والزجر • ويتولاها للثواب • لا للتغالظ في رد الجواب • وياخذها الحسن الجزا لا القبيح الاستهزا ويلتزمها بجزيل الوزر للازر والسحر • فاذا كان كذلك • وسلك المتولي هذه المسالك • وكان مثل قاضي الجماعة واسلك • وتفع الحوبه غلله • ونقع غلله • فيومئذ يهنى به حظة القضا • ونعرف ما الله عليها من اليد البيضا امتنت • ونحل اليه اكتسى في جهاد بنت بكفت التزويج وقصد الدار الامادة مادحا • فما تيسر له شي من امله • فتفكر في خيبة قصده وقال لو كنت املت ما املت في بنيه صلى الله عليه وسلم واهل بيته الطاهرين لبلغت املي محمود على ثم استغفر الله تعالى من اعتماده في توجهه • وعلم ان ليس على غير الباري معول • فلم يلبث الا ان صوت نحو هذا المقصد سهمه • وامضى فيه عزمه • واذا به قد وجه عنه فادخل على الخليفة فساله عن مقصده فاخبره مفصحا به فانفذ ورد ما عليه واخبره ان ذلك لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم يامر بقضا حاجته فانفصل موفي الاغراض واسم

في مدح اهل البيت عليهم السلام حتى اشتهر بذلك وتوفي سنة ثمانية وتسعين وخمسماية
وسنه دون الاربعين وصلى عليه ابوه فانه كان بمكان من الفضل والدين رحم الله الجميع
انتهى كلام ابن الخطيب في حق المذكور ملخصا ولا باس ان نزيد عليه ما حضر فنقول قال
ابن سعيد وغيره ولد صفوان سنة ستين وخمسماية او في التي بعدها قال وديوان شعره
مشهور بالمغرب اسمى ومن نظمه قوله •

او من ببرق الاضلع • واسكب غمام الادمع
واحزن طويلا واجزع • فهو مكان الجزع
وانثره ما العقيقين • ناء عني الحسين
وابك بدمع دون عين • ان اقل فيض الادمع

وهذا من تضمين غاير من بناء الحريري في قوله • خل ادكار الاربع • وله ايضا مطالع
قصيدة فيه • ناعين بحي فابكي • ولو بدمع بجفن عين • وقال
ابن الابار توفي صفوان بمرسية ليلة يوم الاثنين السادس عشر من شوال سنة ثمان وتسعين
وخمسماية وصلى عليه ابوه وهو صلى عليه وهو دون الاربعين اذ مولده سنة احدى وستين وخمسماية
وكان من جلة الكتاب البلغا • ومهرة الادبا الشعرا فاقدا فصيحا سريا جليل
القدر متقدما في النظم والنثر ممن جمع ذلك وله رسايل بديعة وقصايد جليله
وخصوصا في مراثي الحسين رضي الله عنه وتذكر هنا قول ناهض بن محمد الاندلسي
الوادي اشي في رثاء الحسين رضي الله عنه •

امزنة مجة بعود اراك • ام لحمامة علم بكاك
احجاب العلل ام بلبيت بغرفة • ام لاح برق بالحمى فشجاك
لو كان حقا ما ادعيت من الجوى • يوما لما طرق الجفون كراك
اوكان [illegible] وعلق الغواة اذا لما • ضنت بما جفونها عيناك
ولما الف الروض [illegible] عرفه • وجعلت بين فروعه مغناك
ولما اتخذت من الغصون منصة • ولما بدت محفوفة كفاك
ولما ادرت الوشي بردا معلما • ولطمت من فوح شلو الطلاك
لوكنت مثلي ما افقت من البكا • لا تحسبي شكواي من شكواك
ابه حمامة خبريني انني • ابكي الحسين وانت ما ابكاك
ابكي قتيل الطف فرع نبينا • اكرم بفرع للنبوة زاكي
ويل لقوم غادروه مضرجا • بدمايه نضوا صريع شكاك
متعفرا قد مزقت اشلاوه • ثوبا بكل مهند فتاك
ايزيد لو راعيت حرمة جده • لم تقتنص ليث العرين الشاكي
اوكنت تصغي اذ نقرت بثغره • قرعت صماخك انة المسواك

ادم

اتروم ويك شفاعة من جده • هيهات لا ومدير الافلاك
ولسوف تنبذ في جهنم خالدا • ما الله شاء ولات حين فكاك

وتوفي ناهض المذكور بوادي اش سنة ٦١٥ رجع الى اخبار صفوان بن ادريس رحمه الله
فنقول ومن شعر صفوان قوله •

قلنا وقد شام الحسام مخوفا • رشا بجادية الضراغم عابث
هل سيفه من طرفه ام طرفه • من سيفه ام ذان طرفان ثالث

وقوله

غبري يروع بسيفه • رشا نساج ساحرا
ان كان عن طرفه • فالسيف اضعف ناصرا

وقال صفوان المذكور رحمه الله حييت لبعض اصحابنا بزهرة سوسن فقال

حيى بسوسنة ابو بحر • فقلت مجيزا
نصرت اتفضح يانع الزهر •
عجبا لها لم تذو هاتيه • من طول ما مكثت على الصدر

وقال ايضا ماشيت الوزير الكاتب ابا محمد بن حامد يوما فاتفق ان قال لامر تذكره

بين الكثيب ومنبت السدر • ريم غدا مثواه في صدري

فقلت اجيزه

لو شاخه قلم فلا اكم • ولفرط خفق بلا ذعر
لوكنت قد انصفت مقلته • بوات هادوت من السحر
اوكنت اقضي حق مرشفه • اعرضت لا ورعا عن الخمر

وناولته يوما وردة مغلقة فقال

ومحمرة تختال في ثوب سندس • كوجنة محبوب اطل عذاره

فقلت اجيزه

كنظريف كف قد احاط بنانها • بقلب محب ليس يخبو اواره

وقال راني الوزير ابو اسحاق وانا اقيد اشعارا من ظهر دفتر فقال

ماذا الذي يكتبه الوزير فقلت
بدايع ما لها نظير فقال
در ولكنه نظيم • من غير اسلاكه السطور

فقلت

من اظهر الكتب اقتنيها • وهل ما تحوي البحور
بتلك تزهى البحور لكن • بهذه تزدهي الصدور

وكم لا افصاح واخيه وقال المعنى احير نثرا وانا سبكته نظما وقال جلستنا

بعض العشايا بالولجة خارج مرسية والنسيم يهب على النهر فقال ابو محمد بن حامد

هب النسيم وما النهر يطرد • فقلت على جهة المداعبة لا الاجازة

وماد سوقي في الاحشا تتقد • فقال ابو محمد ما الذي يجمع بين هذا العجز والصدر فقلت ما اجمع بينهما ثم قلت •

فصاغ من مائه درعا مفضضة • وزاد قلبي وقدا للذي يجد

وانما شب احشاي لحاجته • اذ ليس دون لهيب يصنع الزرد

وحضرنا مرة فوقفنا على سرحة تهزها الريح فقال ابو محمد

وسرحة كاللواء تهفو • بعطفها هبة الرياح

فقلت

كان اعطافها سقتها • كف النعامي كؤوس راح

فقال

اذا انتحاها النسيم هزت • اعطافها هزة السماح

فقلت

كانما غصنها كرام • تقابل الضيف بارتياح

ولصفوان رحمه الله

تحية الله وطيب السلام • على رسول الله خير الانام

على الذي فتح باب الهدى • وقال للناس ادخلوا بسلام

بدر الهدى غيم الندى والسدى • وما عسى ان يتناهى الكلام

تحية تهزأ انفاسها بالمسك • لا ارضى بمسك الختام

تخصه مني ولا تنثني • عن اهله الصيد السراة الكرام

وقدرهم ارفع لكنني • لم الف اعلى لفظة من كرام

وقال

يقولون لي لما ركبت بطالتي • ركوب فتى جم الغواية معتد

اعندك شيء ترتجي ان نالك • فقلت نعم عندي شفاعة احمد

صلى الله عليه وسلم • وشرف وكرم • ومجد وعظم • وبارك وانعم • ووالى وكمل واتم

الباب الثاني في نشأته

وترقيه ووزارته وسعادته ومساعدة الدهر له ثم قلبه له ظهر المجن على عادته في مصافاته ومنافاته وادنابه كرة في شباكه • وما لقي من احن الحاسد ذي المذهب الفاسد • ومحن الكايد المستاسد والمتاسد • وذكر قصوره واموالة وغير ذلك من احواله في تقلباته عندما قابله الزمان باهواله في بدئه واعادته المعتادة اقول

كان

كان مولد الوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله كما في الاحاطة في الخامس والعشرين من شهر رجب عام ثلاثة عشر وسبعماية وقال الرئيس الامير ابو الوليد بن الاحمر رحمه الله نشأ لسان الدين بن الخطيب على حالة حسنة سالكا سبيل اسلافه فقرأ القرآن على المكتب الصالح ابي عبد الله بن عبد المولى العواد تكتيبا ثم حفظا ثم تجويدا ثم قرأ القرآن ايضا على استاذ الجماعة ابي الحسن القيجاطي وقرأ عليه العربية وهو اول من انتفع به وقرأ على الخطيب ابي القاسم بن جزي ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الامام ابي عبد الله بن الفخار البيري شيخ النحويين لعهده وقرأ على قاضي الجماعة ابي عبد الله بن بكر وتادب بالرئيس ابي الحسن بن الجياب وروى عن كثير من الاعيان وسرد ابن الاحمر المذكور هنا جملة اعلام من مشايخ لسان الدين سيأتي ذكرهم ان شاء الله ثم قال واخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الامام ابي زكريا يحيى ابن هذيل ولازمه انتهى وقال بعضهم في حق لسان الدين هو الوزير العلامة المتحلي باجمل الشمائل • وافضل المناقب المتميز في الاندلس بارفع المراقي واعلى المراتب • علم الاعلام • ورئيس ارباب السيوف والاقلام • جامع اشتات الفضائل • والمربي بحسن سياسته • وعظيم رياسته على الاواخر والاوائل • حائز رتبة رياسة السيف والقلم • والقائم بتدبير الملك على ارسخ قدم • صاحب العلم الاعلى • الوارد من البراعة المنهل الاحلى • صاحب الاحاديث التي لا تمل على كثرة ما تتلى • والمحاسن التي صورها على منصة الشهرة تجلى انتهى وقال لسان الدين في الاحاطة بعد ذكر سلفه رحمهم الله ما ملخصه وخلفني لعيني اباه عبد الله عالي الدرجة شهير الخطة مشمولا بالقبول مكنوفا بالعناية فقلدني السلطان سره ولما يستكمل الشباب ويجتمع السن معززا بالقيا ورسوم الوزارة واستعملني في السفارة الى الملوك واستنابني بدار ملكه ورمى الي يدي بخاتمه وسيفه • وائتمنني على صوان حضرته وبيت ماله وسجوف حرمه ومعقل امتناعه ولما هلك السلطان ضاعف ولده حظوتي واعلى مجلسي وقصر المشورة على نصحي الى ان كانت عليه الكائنة فاقتدى في اخوه المتغلب على الامر به فسجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حمل اهل الشحناء من اعوان ثورته على القبض علي فكان ذلك وتقبض علي ونكث ما ابرم من اماني واعتقلت بحال ترفيه وبعد ان كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس وختم على الاعلاق وابرد الحماما واستوصلت نعمة لم تكن بالاندلس من ذوات النظاير ولا ربات الامثال في تبحر الغلة وفراهة الحيوان وغبطة العقار وظرافة الالات ورفعة الثياب واستجادة العدة ووفور الكتب الى الانية والرياش والماعون والزجاج والطيب والذخيرة والمضارب والابنية واكتسحت السائمة ونيران الحرث وظهر الحمولة وقوام الفلاحة والخيل فاخذ ذلك البيع وتناهبتها الاسواق وصاحبها البخس ورزأتنا الخونة وتملك الخاصة والاقارب الطلب واستخلصت القرى واعملت الحيل وطوقت الذنوب فامد الله بالعون وانزل السكينة وانصرف اللسان الى ذكر الله

وتعلقت الآمال به وطبقت نكبة مصحفية مطلوبها الذات وسببها المال حسبما قلت عند إقالة العثرة والخلاص من الهفوة •

تخلصت منها نكبة مصحفية • لفقدانى المنصور من آل عامر

ووصلت الشفاعة فى مكتتبة بخط ملك المغرب وجعل خلاصى شرطا فى العقدة ومسالمة الدولة فانتقلت صحبة سلطانى المكفور الحق إلى المغرب وبالغ ملكه فى برى فتبوأت رحبا وعيشا خفضا واقطاعا جما وجراية ما وراءها مرمى وجعلنى بمجلسه صدرا ثم اشتمل قصدى فى تهيئة الخلوة بمدينة سلا منوه الصكوك تهنئا القرار منفقدا بالبر والخلع محول العقار موفور الحاشية مخلا بينى وبين إصلاح معادى إلى أن رد الله على السلطان أمير المسلمين أبى عبد الله ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ملكه وصير إليه حقه وطالبنى بوعد صرفته وعمل فى القدوم عليه بولده أحكمته فلم يوسعنى عذرا ولا فسح فى الترك مجالا فقدمت عليه بولده وقد شابا بامتثاله هيئته صدرى ونفض مسرة الفتح لتجنى على حال من التقشف والزهد فيما بيده • وعزفت عن الطمع فى ملكه وزهدت فى رفده حسبما قلت من بعض المقطوعات •

قالوا لخدمته دعاك محمد • فأنفت من زهدت فى التنويه
فأجبتهم أنا والمهيمن كاره • فى خدمة المولى محب فيه

عاهدت الله على ذلك وشرحت صدرى إلى الوفا وجنحت إلى الانفصال لبيت الله الحرام لتسيد أملى وبرح نيتى وعملى فعلق بى وخرج لى عن الضرورة ورأى أن مؤازرته أبر القرب وراكننى إلى عهد بخط يده نسخ لقاصيه أمد السوء وتندى بشعيب صلوات الله عليه فى طلب الزيادة على تلك النسخة وأشهد من حضر من الملأ عليه ثم رمى إلى بعد ذلك بمقاليد رأيه وحكم عقلى فى اختيارات عقله وغطى من جفاء بحلمه وحثى فى وجوه شهواته تراب زجرى ووقف القبول على وعظى وصرف هواى فى التحول ثانيا وقصدى واعترف بقبول نصحى فاستعنت الله وعاملت وجهه فيه من غير تلبس بجرايه ولا تشبث بولاية مقتصرا على الكفاية حذرا من النقد حايل المركب معتمدا على النساء مستمتعا بخلق الفقر راضيا بغير النصيب من النوب مشفقا من مواقعه الغرور هاجرا الزخرف صادعا بالحق فى أسواق الباطل كافا عن التحالف براثن السباع ثم صرفت الفكر إلى بناء الزاوية والمدرسة والتربة بكر الحسنات بهذه الخطة بل بالجزيرة فيما سلف من المدة فما أبى بمنه الله من صلاح السلطان وعفاف الحاشية والأمن ودروم الثغور وتمييز الجباية وإنصاف الحماة والمقاتلة ومقارعة الملوك المجاورة فى إيثار المصلحة الدينية والصدع فوق المنابر ضمانا من السلطان بترياق سم الثورة وإصلاح بواطن الخاصة والعامة ما الله المجازى عليه والمعوض من سهر خلعته على أعطافه وخطر اقتحمته من أجله لا للتزيد لا عز ولا للجد بمرح فى الأرسان ولا للتبذير تنقل للأكتاد فهو الذى لا يضيع عمل من ذكر وأنثى

سبحانه

سبحانه وتعالى ومع ذلك فلم أعدم الاستهداف للشر ورد الاستعراض للمحذور والنظر الشزر المنبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله بسياسة الدهما • ووقاية بحظ أزرار السما • وفتنة الأنبيا وعبدة الأهوا • ممن لا يجعل لله إرادة نافذة ولا مشيئة سابقة ولا يقبل متعذرا • ولا يجمل فى الطلب • ولا يلتبس مع الله بأدب • ربنا لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا والحال إلى هذا العهد وهو منتصف عام خمسة وستين وسبعماية ما ذكر أدام الله نجال السلامة وتهيئة العافية والتمتع بالعبادة وربك يخلق ما يشاء ويختار وعلى أن أستغفر وأبتئس على إدراك الخلاص • ولله فيما علم الغيب نحن صابرون للنية • ألهمنا الله بلباس التقوى • وختم لنا بالسعادة وجعلنا فى الآخرة من الفائزين • نعتت عن بت وتاوهت من حمى ليظهر بعد المنقلب وصدرى • ونيل مكتتبى على عقدى انتهى • وحله بلفظه • وكان رحمه الله عارفا بأحوال الملوك سريع الجواب • حاضر الذهن حاد النادرة • ومن حكاياته فى حضور الجواب ما حكاه عن نفسه **قال** حضرت يوما بين يدى السلطان أبى عنان فى بعض وفادات علينا لغرض الرسالة فجرى ذكر بعض أعدائه فقلت ما اعتقدته فى الحط من ذلك العدو وما عرفته من نقله فأنكر على بعض الحاضرين ممن لا يحطب إلا فى حبل السلطان فصرفت وجهى وقلت أيدكم الله تحقير عدو السلطان بين يديه ليس من السياسة فى شىء بل غير ذلك أحق وأولى فإن كان السلطان غالب عدوه كان قد غلب غير حقير وهو الأولى بفخره وجلالة قدره وإن غلبه العدو لم يغلبه حقير فيكون أشد للحسرة وأكد للفضيحة فوافق رحمه الله على ذلك واستحسنه وشكر عليه وخجل المعترض انتهى • وكان رحمه الله مبتلى بداء الأرق لا ينام من الليل إلا النزر اليسير جدا وقد قال فى كتاب الوصول لحفظ الصحة فى الفصول العجب منى مع تأليفى لهذا الكتاب الذى لم يؤلف مثله فى الطب وعملى ذلك لا أقدر على مداواة داء الأرق الذى بى أو كما قال ولذا يقال له ذو العمرين لأن الناس ينامون فى الليل وهو ساهر فيه ومؤلفاته ما كان يصنف غالبها إلا بالليل وقد سمعت بالمغرب بعض الرؤسا يقول لسان الدين ذو الوزارتين وذو العمرين وذو الميتتين وذو القبرين انتهى وسيأتى ما يعلم منه معنى الأخيرين وقد عرف رحمه الله بالسلطان أبى الحجاج فى الإحاطة فقال ما حاصله يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصارى الخزرجى أمير المسلمين بالأندلس أبو الحجاج تولى الملك بعد أخيه بوادى السقايين من ظاهر الحضرا ضحوة يوم الأربعاء ثالث عشر ذى الحجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية وسنه خمسة عشر عاما وثمانية أشهر أمه أم ولد وكان له ثلاثة أولاد كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده ويتلوه أخوه إسماعيل لمحبوبة وتاليهم قيس شقيق إسماعيل وذكر لسان الدين أنه وزر له بعد شيخه ابن الجياب وتولى كتابة سره مضافة إلى الوزارة فى أواخر أيام شوال عام تسع وأربعين وسبعماية انتهى وقد علم أنه وزر بعد لابنه محمد كما تقدم ويأتى وأما إسماعيل بن أبى الحجاج فهو الذى تغلب على الأمر وانتهز الفرصة فى ملك أخيه

محمد كما تقدم وفيه وفي اخيه فيس البيتين وذكر العمار رحمه الله حكاية وفاة السلطان ابي الحجاج ما محصله انه هجم عليه رجل من عداد الممرورين وهو في الركعة الاخيرة من صلاة عيد الفطر عام خمس وخمسين وسبعماية فطعنه بخنجر وقبض عليه واستفهم فتكلم بكلام مخلط واحتمل الى منزله على موت لم يستقر به الا وقد قضى واخرج قاتله الى الناس فقتل للحينه واحرق بالنار ودفن عشية اليوم المذكور في مقبرة قصره صجيع والده وولي امره ولده محمد ورثيته في عرض ما عن الجزاله المختار ولده

العمر نوم والمنى احلام • ماذا عسى ان يستمر منام
واذا تحققنا الشي بداة • فلربما تقضي العقول تمام
والنفس تجمح في مدى امالها • ركضا وتابى ذلك الايام
من لم يصب في نفسه فمصابه • بحبيبه تقذف بذا الاحكام
بعد الشبيبة كبرة ووراها • هرم ومن بعد الحياة حمام
وبحكمة ما اشرقت شهب الدجى • وتعاقب الاصباح والاظلام
دنياك يا هذا محل نقلة • ومناخ ركب ما لديه مقام
هذا امير المسلمين ومن به • وجد السماح واعدم الاعدام
سر الامامة والخلافة يوسف • غيث الملوك وليثها الضرغام
فقدته عادية الزمان فاقفرت • والعز سام والخميس لهام
فجعت به الدنيا وكدر عيشها • وشكي العراق مصابه والشام
اسفا على الخلق الجميل كانما • بدر الدجنة قد جلاه تمام
اسفا على العمر الجديد كانه • غصن الحديقة زهره بسام
اسفا على الخلق الرضي كانه • زهر الرياض هما عليه غمام
اسفا على الوجه الذي مهما بدا • طاشت لنور جماله الافهام
يا ناصر الثغر الغريب واهله • والارض ترجف والسما قتام
يا صاحب الصدقات في جنح الدجى • والناس في فرش النعيم نيام
يا حافظ الحرم الذي بظلاله • ستر الارامل واكتسى الايتام
مولاي هل لك للقصور زيارة • لبعد انتزاح الدار والمستام
مولاي هل لك للعبيد تذكر • حاشاك ان ينسى لديك ذمام
يا واحدا الاحاد والعلم الذي • خفقت بعز نصره الاعلام
وافاك امر الله حين تكاملت • فيك النهى والجود والاقدام
ورحلت عنا الركب خير خليفة • اثنى عليك الله والاسلام
نعم الطريق سلكت كان رفيقه • والزاد فيه تهجد وصيام
وكسفت يا شمس المحاسن ضحوة • فاليوم ليل والضياء ظلام

وسقاك عيد الفطر كاس شهادة • فيها من الاجر الوحي مدام
وختمت عمرك بالصلاة مجتدلا • عمل كريم سعيه وختام
مولاي كم هذا الرقاد الى متى • بين الصفايح والتراب تنام
اعد التحية واحتسبها قربة • ان كان عليك الغداة كلام
تبكي عليك مصانع شيدتها • بيض كما تبكي الهديل حمام
تبكي عليك مساجد عمرتها • فالناس فيها سجد وقيام
تبكي عليك خلايق امنتها • بالسلم وهي كانها انعام
عاملت وجه الله فيما رمته • منها فلم يبعد عليك مرام
لو كنت تفدى او تجار من الردى • بذلت نفوس من لدنك كرام
لو كنت تمنع بالصوارم والقنا • ما كان ركنك بالغلاب يرام
لكنه امر الاله وما لنا • الا الرضى بالحكم والاستسلام
والله قد كتب الفنا على الورى • وقضاوه جفت به الاقلام
ثم في جوار الله مسرورا بما • قدمت يوم تزلزل الاقدام
واعلم بان سليل ملكك فرغدا • في مستقر علاك وهو امام
ستر تكنف منه من خلفته • ظل ظليل فهو ليس يضام
كنت الحسام وصرت في غمد الثرى • ولنصر ملكك سل منه حسام
خلفت امة احمد لمحمد • ففضت بسعد الامة الاحكام
فهو الخليفة للورى في عهده • ترعى العهود وتوصل الارحام
ابقى رسومك كلها محفوظة • لم ينتثر منك عليك نظام
العدل والشيم الكريمة والتقى • والدار والايام والخدام
حسبي بان اغشى ضريحك لاثما • واقول والدمع السفوح سجام
يا مدفن التقوى ويا مثوى الهدى • مني عليك تحية وسلام
اخفيت من حزني عليك وفي الحشا • نار لها بين الضلوع ضرام
ولو انني اديت حقك لم يكن • لي بعد فقدك في الوجود مقام
واذا الفتى ادى الذي في وسعه • والجهد ما عانيه ملام

قال لسان الدين وكتب في بعض معاهده

غبت فلا عين ولا مخبر • ولا انتظار منك مرقوب
يا يوسفا انت لنا يوسف • وكلنا في الحزن يعقوب

انتهى رحمه الله الجميع بمنه وقد قدمنا ما كتبه لسان الدين على لسان سلطانه الى السلطان ابي عنان في شان قتل السلطان ابي الحجاج في الباب الثامن من القسم الاول وقال لسان الدين في كتابه اللمحة البدرية في الدولة النصرية في ذكر ما يتعلق بخلع السلطان

وتمام لخيه عليه وفي خلال ذلك بما نعته كان السلطان ابو عبد الله عهد لعشير الامر البته
قد الزم اخاه اسماعيل قصرا من قصور ابيه بجوار داره موفيا عليه منعمة وظايف لديه والكبر
معه امه واخواته منها وقد استاثرت يوم وفاة والده بما الجم من خزاينه الكاينة في
بيتها فوجدت السبيل الى السعي لولدها فجعلت تواصل زيارة ابنتها التي عقد لها
الوالد مع ابن عمه الرييس ابي عبد الله بن الرييس ابي الوليد بن الرييس ابي عبد الله المتابع الى
باندرش ابن الرييس ابي سعيد جرهم الذي يجمعهم جرثومته وثمر الصهر المذكور عن ساعد
عونه وجد وهو ما هو من الاقدام ومداخلة ذوبان الرجال واستعان بمن سفهته
الدولة وهفت به الاطماع فتالف منهم زهاء مائة فقصدوا جهة من جهات القلعة لم
مستسمين شق صعب المرتقى واعدوا الة تدرك ذروته لقعود بنية كانت بها عن التمام
ولتسوا مرسيا باعلاه بما اقتضى صمانته فاستووا به وتزلوا الى القلعة سحور
الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعماية فاستظهروا
بالمشاعل والصياح وفاجوا دار الحاجب رضوان فنقضوا اغلاقها ودخلوها فقتلوه بين
اهله وولده وانتهبوا ما اشتملت عليه داره وانزعجت طايفة مع الرييس فاستخرجت
الامير المعتقل اسماعيل واركبته وقرعت الطبول ونودي بدعوته وقد كان اخوه
السلطان متحولا بولده الى سكنى الجنة المنسوبة للعريف لصق داره وبين المثل المفروض
في الظل الممدود والماء المسكوب والنسيم البليل يفصل بينهما وبين معقل
الملك السور المنيع والخندق المصنوع فراعه الا النداء والعجيج واصوات
الطبول ونصب الى الدخول الى القلعة فالفاها قد احرزت دونه فشعا بها كلما
ونعا بها وقذفته الحراب ورشقته السهام موج ادراجه وسدده الله في محل الخير
ودس له عرق الخول من حوله فامتطى صهوة فرس كان مرتبطا عنده وصار لوجهه قاصدا
المشرق وصبح مدينة وادي اش وقد لم يشعر حافظ قصبتها الا به وقد بولغ عليها له
فالتفت به اهلها واعطوه صفقتهم بالرغبة فكان املك بها وتجهزت الحشود
الجهاد لسنه وقد جدد اخوه المتغلب على ملكه عقد السلم مع طاغية قشتالة
باحتياجه الى سلم المسلمين بجرا فتنة بينه وبين البرجلونيين من امته
واغتبط به اهل المدينة فذبوا عنه ورضوا بهلاك نعمتهم دونه واستمرت الحال
الى يوم عيد النحر من عام التاريخ وفصله رسول صاحب النوب مستنزلا عنها ومستدعيا
الى حضرته لما عجز عن امساكها وراسل ملك الروم فلم يجد عنده من معول فانفصل عن
يوم عيد النحر المذكور وتبعه الجمع الوافر من اهل المدينة خيلا ورجلا الى مرسلة من
ساحل اجانة وكان وصوله الى مدينة فاس مصحبا من البر والكرامة بما لا مزيد عليه
في السادس من شهر محرم فاتح عام احدى وستين وسبعماية وركب السلطان للقاية
ونزلنا اليه عندما سلم عليه وبالغ في الحفاية به وكنت قد الحقت به مغلتنا من ترك

النكبة

النكبة التي استاصلت المال واذهبت سوء الحال بشفاعة السلطان ابي سالم
قدس الله روحه فقمت بين يديه في الحفل المشهود يوم عيد وانشدته

سلا هل لديها من مخبرة ذكر • وهل اعشب الوادي ونم به الزهر
وهل باكر الوسمي دارا على اللوى • عفت اية الا التوهم والذكر
بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى • باكنافها والعيش فينان مخضر
وجوي الذي ربى جناحي وكره • فها انا ذا ما لي جناح ولا وكر
نبت بي لا عن جفوة وملالة • ولا نسخ الوصل الهني بها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها • ولذاتها دابا تزور وتزور
فمن لي بقرب العهد منها ودوننا • مدى طال حتى يومه عندنا شهر
وتقه عينا من رانا وللاسى • ضرام له في كل جانحة جمر
وقد بددت در الدموع يد النوى • وللشوق انحاء تضيق لها الصدر
بكينا على النهر الشروب عشية • فعاد اجاجا بعدنا ذلك النهر
اقول للاظعاني وقد غالها السرى • وانسها الحادي واوحشها الزجر
رويدك بعد العسر يسر فابشري • بانجاز وعد الله قد ذهب العسر
وبنه فينا من عتيب وربما • ابى النفع من حال الهدبها الضر
وان تخن الايام لم تخن النهى • وان تخذل الاقوام لم يخذل الصبر
وان عركت مني الخطوب محربا • نقابا تساوى عنده الحلو والمر
فقد عجمت عودا صليبا على الردى • وعزما كما يمضي المهند الشبر
اذا انت بالبيضا قررت منزلي • فلا اللحم حل ما حييت ولا الظهر
زجرنا بابراهيم بر همومنا • فلما راينا وجهه صدق الزجر
بمنتخب من ال يعقوب كلما • دجا الخطب لم يكذب لغرته فجر
تناقلت الركبان طيب حديثه • فلما راته صدق الخبر الخبر
ندي لو حواه البحر لذ مذاقه • ولم يفتقد منه ابدا جزر
وباس غدا يرتاع من خوفه الردى • وترفل في اثوابه الفتكة البكر
اطاعته حتى العصم في قنن الربى • وتمشت الى ناسيله الانجم الزهر
قصدناك يا خير الملوك على النوى • لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الايام عن غلوايها • وقد رابنا منها التعسف والكبر
وعدنا بناك المجد فانصرم الردى • ولذنا بذاك العزم فانهزم الذعر
ولما اتينا البحر يرهب موجه • ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها • فايمانه لغو وعرفانه نكر
ووصفك يهدي المدح قصد صوابه • اذا ضل في اوصافك من دونك الشعر

دعتك قلوب المومنين واخلصت • وقد طاب منها السر لله والجهر
وتمدت الي الله الاكف ضراعة • فقال لهن الله قد قضي الامر
والبسنها النعما بتبعتك التي • لنا الطاير الميمون والحمد الحر
فاصبح ثغر الثغر يبتسم ضاحكا • وقد كان مما نابه ليس يفتر
وامنت بالسلم البلاد واهلها • فلاظبية تزعى ولادوعة تعرو
وقد كان مولانا ابوك مصرحا • بانك في ابنايه الولد البر
وكنت حقيقا بالخلافة بعده • على الفور لكن كل شي له قدر
واوحشت من دار الخلافة هالة • اقامت زمانا لا يلوح بها البدر
فرد عليك الله حقك اذ قضي • بان تشمل النعما وينسدل الستر
وقاد اليك الملك رفقا بخلقه • وقد عدموا ركن الامامة واضطروا
وزادك بالتمحيص عزا ورفعة • واجرا ولولا السبك ما عرف التبر
وانت الذي تدعي اذا دهم الردي • وانت الذي ترجي اذا اخلف القطر
وانت اذا جار الزمان محكم • لك النقض والابرام والنهي والامر
وهذا ابن نصر قد اتي وجناحه • مهيض ومن علياك يلتمس الجبر
غريب يرجي منك ما انت اهله • فان كنت تبغي الفخر قد جاءك الفخر
فقم يا امير المسلمين لبيعة • مونقة قد حل عروتها الغدر
ومثلك من يرعي الدخيل ومن دعا • بيا المرين جاءه العز والنصر
وخذ يا امام الحق بالحق ثاره • ففي ضمن ما تاتي به العز والاجر
وانت لها يا ناصر الحق فلتقم • بحق فما زيد يرجي ولا عمرو
فان قيل مال ما لك الدثر وافر • وان قيل جيش عندك العسكر المجر
يكون بك العادي ويحيي بك الهدي • ويبني بك الاسلام ما هدم الكفر
اعده الي اوطانه عنك راضيا • وطوقه نعماك التي ما لها حصر
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها • فقد صدهم عنه التغلب والقهر
وهم يرقبون الفعل منك وصفقه • تحاول يمناك ما بعدها خسر
مرامك سهل لا يوودك كلفة • سوي عرض ما ان له في العلي خطر
وما العمر الا زينة مستعارة • ترد ولكن الثنا هو العمر
ومن باع ما يفني بباق مخلد • فقد انجح المسعي وقد ربح التجر
ومن دون ما تبغيه يا ملك الهدي • جياد المذاكي والمحجلة الغر
وزرق دوشقر واضحات شياتها • فاجسامها تبر وارجلها در
وتهب اذا ما ضمرت يوم غارة • مطهمة غارت بها الانجم الزهر
واسد رجال من مرين مخيفة • عمايمها بيض واسيافها حمر

عليها

عليها من الماذي كل مفاضة • تدافع في اعطافها اللجج الخضر
هم القوم ان هبوا لكشف ملمة • فلا الملتقي صعب ولا المرتقي وعر
اذا سيلوا اعطوا وان نوزعوا سطوا • وان واعدوا وفوا وان عاهدوا ابروا
وان مدحوا اهتزوا ارتياحا كانهم • نشاوي تمشت في معاطفهم خمر
وان جمعوا العورا فروا بانفس • حرام علي هاماتها في الوغي الفر
وتبتسم ما بين الوشيج ثغورهم • وما بين قضب الدوح يبتسم الزهر
اموليي غاضت فكرتي وتبلدت • طباعي فلا طبع يعين ولا فكر
ولولا احتقان سنك واركنني به • واحييتني لم تبق عين ولا اثر
فاوجدت مني فانيا اي فايت • وانشرت ميتا ضمه اللحد والقبر
بدات بفضل لم اكن لعظيمه • باهل فجرا اللطف وانفرج العذر
وطوقتني النعمي المضاعفة التي • يقل عليها مني الحمد والشكر
وابت بنيهم الصنايع كافل • الي ان تعود الجاه والعز والوفر
جزاك الذي اسني مقامك عصمة • يفك بها عان وينعش مضطر
اذا عن اثنينا عليك بمدحة • فهيهات يحصي الرمل او يحصر القطر
ولكننا ناتي بما نستطيعه • ومن بذل المجهود حق له العذر

فلا نسل عن امتعاض وانتفاض • وسدا داعي الناثر لنا والاغراض • والله غالب علي امره • وفي صبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شوال عام اثنين وستين وسبعماية كان انصرافه الي الاندلس • وقد الح صاحب قشتالة في طلبه واتزح الراي علي فضله فقعد السلطان بقبة العرض من جنة المصادرة وبرز الناس وقد اسمعهم التبريح واستحضرت البنود والطبول والالة والبس خلعة الملك وقيدت له مراكبه فاستقل وقد التف عليه كل من جلا عن الاندلس من لدن الكاينة في جملة كثيفة وداي من رقة الناس ه واجهاشهم وعلو اصواتهم بالدعا ما قدم به العهد اذ كان مظنة ذلك سكونا وعفافا وقربا قد ط لله الله برواق الرحمة • وعطف عليه وشايج المحبة الي كونه مظلوم العقد منتزع الحق فتبعته الخواطر وحببت عليه الانفس وانعرف لوجهته وهو الان برنده مستقر بها وبجماتها ومفتتح برتم وقد قام له برسم الوزارة الشيخ القايد ابو الحسن علي ابن يوسف ابن كاشة الحضرمي وبكتابته الفقيه ابو عبد الله بن زمرك وقد استفاض عنه من الحزم والتدرب والتيقظ للامور والمعرفة بوجوه المصالح ما لا ينكر كان الله لنا وله بفضله انتهي كلام لسان الدين ابن الخطيب في اللمحة البدرية وقد علمت انه بعد هذا التاريخ عاد سلطانا الي حضرة غرناطة واستبد بملك الاندلس وعاد لسان الدين اليه حسبما احسن سياق ذلك لسان الدين رحمه الله في كتاب من انشايه علي لسان سلطانه الغني بالله وخاطب به ملك مصر والشام السلطان المنصور بن احمد بن الناصر بن قلوون وقد ذكرنا منه ما يتعلق ه

وقال بعد ذلك فيما يتعلق بالخلع المذكور بالاندلس في الباب الثاني من القسم الاول
ما نصه ولما صير الله الينا تراث سلفنا الهنى • وامرهم السنى • ونباؤهم العادى • وملكهم
الجهادي • اجرانا وله الطول على سننهم • ودفع اعلامنا في هضبتهم المشرفة وقننهم
وحملنا فيهم خير حمل • ونظم بنا لهم اي شمل • والبسنا ايامنا سلما فسيح الداره • واحكم
الاداره وهنا الاستاره • ومكن العماره • وامن في البحر والبر السياره والعماره
لولا ما طرقتهم فينا من تمحيص • اجلى عن تخصيص • ومحض تبرم بعد تخليص • ومرام
عويص • نبثكم بثه ونوالي اليكم حثه ونجمع منبثه • فان في الحوادث ذكرا • ومعروف
الدهر ايومن ان يعود نكرا • وشر الوجود معاقب بخيره • والسعيد من اتعظ بغيره •
والحزم افضل ما اليه ينتسب • وعقل التجربة بالمران يكتسب • وهو ان بعضا ممن
ينتسب الينا بوشائج الاعراق • لا بمكارم الاخلاق • ويمت الينا بالقرابة البعيدة •
لا بالقربة السعيدة • ممن كفلناه يتيما • وصناه نعيما شتيتا • وبوأناه مبوأ
كريما • بعد ان خشي هو شا فطيما • وملعونا اليما • ولو هناه من حولي بالولاية • ونسحنا
حكم تسجيه باية العناية • داخل اخا لنا كان الزمناه الاقتصار على فترة • ولم نجعل
اداة تدل على حصره • وسامحناه في كثير من امره • فلم نرتب بزيده وعمره • واغتررنا
يوما دعا على جمره • فاستدعى له من الصعاليك شيعته كل دب بيت الاغلاق • ومن
انفاق النفاق • وخارق للاجماع والاصفاق • وخبير بمكان الخراب ومذاهب الفساق
وتسور بهم القلعة من ثلم شرع في سده بعد هدنه • ولم تحمد الاقدار المميزة • في ليلة
اثرنا مبيتنا ببعض البساتين خارج قصورنا • واستنبنا من يضطلع بامورنا
فاستتم الحيلة التي شرعها • واقتحم القلعة وافترعها • وجد اخرين النوبة وصرعها
وكبس محل النايب عنا وجدله • ولم ينشب ان جدله • واستخرج الاخ البايس فنصبه
وشد به تاج الولاية وعصبه • وابتز امرنا وغصبه • وتوهم الناس ان الحادثة على ذاتنا
قد تمت • والدبرة بنا قد المت • ولقد همت فحدلا للناصر • وانقطعت الاواصر
واندم المتقاصر • واقتحمت الابها والمقاصر • وتفرقت الاجرا وتحللت العناصر •
وفقد من عين الاعيان النور الباصر • فاعطوه طاعة معروفة • واصبحت الوجوه اليه
مصروفة • وركضنا وسرعنا الخيل تنفقوا اثر مجاتنا والظلام يخفينا • وتكفي
علينا السما والله يكفينا • الى ان تخلصنا الى مدينة وادي اش خلوص القمر من السرار
لا نملك الا انفسا مسلمة لحكم الاقدار • ملقية لله مقادة الاختيار • مسلوبة بموجب
الاستقرار • وناصحنا اهل تلك المدينة فحملوا على الحصار • واستبصروا في الدفاع
عنا اتم الاستبصار • ورضوا ببيوتهم المصحرة وبساتينهم المستبحرة • بفساد
الحديد وغيابات النار • ولم يرضوا لجوارهم بالاخبار • ولا لنفوسهم بالعار • الى ان
كان الخروج عن الوطن بعد خطوب تشيب فيها الاقلام شرحا طويلا • ولو سعها السجوت

شرحا

شرحا وما دونها • وتلقى الفصص منها على الاذان قولا ثقيلا • وجزنا البحر وطلوع
موجه اشفاقا علينا تخفق • والف رياحه حسرة تصفق • ونزلنا من جناب سلطان
بني مرين على المثوى الذي رحب بنا ذرعه • ودل على كرم الاصول فرعه • والكريم الذي
وهب فاجزل • ونزل لنا عن الصهوة وتنزل • وخير وحكم • ورد على الدهر الذي تحكم •
واستغبر وتبسم • ووالى وقسم • وبسمل وندم • واستركب لنا واستخدم • ولما
بنا لما رنانا سيات ما كسبوا • وحققوا ما حسبوا • وطفا الغثا ورسبوا • ولم
يشب السقي الجزى ان قتل البايس الذي نوه بزينه • وطوقه بسيفه • ودل ركب
المخافة على خيفه • اذا من المضعوف من كيده • وجعله غنيمة بازيا لصيده • واستقل
على اريكته استقلال الظليم على تريكته • حاسر الهامة • متقنعا بالشجاعة والشهامة
مستظهرا باولي الجهالة والجهامة • وساءت في محاولة عدو الدين سيرته • ولما
حصحص الحق انكشفت سريرته • وارتابت بجيئته المستوره جيرته • وفغر عليه طاغية
الروم فاه فالتقمه • ومد عليه الصليب ذراعه فراعه • وشد الكفر عليه يده • فما
عضده الله ولا ايده • وتخرمت ثغور الاسلام بعد انتظامها • وتمكنت ليه باهتضامها
وغصت باشلا عباد الله وعظامها طهورها وضاها • وفكت السنة والجماعة • وانقطعت
من البحر الطماعة • واشتدت المجاعة • وطلعت شمس عوتنا من المغرب فقامت علينا
الساعة • واجزنا البحر كادحين تتقاذف بنا سفيرا • ورياحه لا تعرف في غير وجهتنا
سيرا • وكانت مائه ذوب لقي كسيرا • ونهضنا يتقدمنا الرعب ويتقدمنا الدعا
ويحاجي بنا الاشارة ويحقرنا الاستدعا • واقصر الطاغية عن البلاد بعد ان ترك
ثغورها مهتومة • والاخافة علينا محتومة • وطوابعها مفضوضة وكانت بنا
مختومة • واخذت الخاين الصيحة فاختبل • وظهر تهوره الذي عليه جبل • فجمع
اوباشه السفله واوشابه • وبهرجه الذي غش به المحض وشابه • وعمد الى الرخيم التي
ضمنتها الاعلاق الحريزه • والمعاقل العزيزة • فملاها المناطق • واستوعب الصامت
والناطق • والوشح والقراطق • واحتمل عدد الحرب والزينة • وخرج ليلا عن المدينة
وافتقدنا اراوه القايله • ونعامته الشايله • ودولته بغتة الزايله • ان يقصد
طاغية الروم بقصته وضيعته • واجه وحقيبته • وطويته وعريبته •
من غير عهد اقتضى وثيقته • ولا امر عرق حقيقته • الا ما امل اشتراطه • من تبديل
الكلمة • واستيصال الامة المسلمة • فلم يكن الا ان تحصل في قبضته • ودنا من منهج
ربضته • واستشار فصحاه في امره • وحكم الحيلة في جناية غدره • وشهره ببلده
وتولى قتله بيده • والحق به جميع من امده في غيه • وظاهره على سوء سعيه • ووجه
الينا بروسهم فنصبت بسور عذرها • وقلدت لبة تلك البنية بسذرها • واصبحت
عبرة للمعتبرين • واية للمستبصرين • واحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين • وعدنا

الى ربيله ملكنا كما رجع القمر الى بيته . بعد كبيته وكبيته . او العقد الجيد . لبدد
انتثار فريده . او الطير الى وكره . معتلقا من غول الشرك ومكره . بنظر الناس الينا بعيون
لم تروع من عتبنا من محيا رحمة . واطمئنت علينا بعد ما غمامة رحمة . ولما بانت للسياسة
في ذمة . واركنت لدين وا همة . وطوينا بساط العتاب طي الكتاب . وعاجلنا سطور المواطن
بلا اضطراب . وانستنا النفوس اولي الاقتراف بلا اقتراب . وسهلنا الوصول الينا .
واستغفرنا الله لنفسنا ولمن جني علينا . فلا تسالوا عما اثار ذلك من استدرك
ندم . ورسوخ قدم . واستمتاع بوجود بعد عدم . فسبحان الذي يمحص ليثيب .
وياءمر بالدعا ليجيب . وينبه من الغفلة ويهيب . ويجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه
من ينيب . ورأينا ان مطالع علومكم الشريفة بهذا الواقع تستهلها للمفاتحة
المعتمدة وتمهيدا للموالات المجددة . واخبار الاقطار مما تنفقه الملوك على
اسمارها . وتوشح بيدايعه هالات اقمارها . وتستفيد منه حسن السير . والامان
من الغير . وتستعين على الدهر بالتجارب . وتستدل بالشاهد على الغايب . وبلادكم ينبوع الخير
واهله . ورواق الاسلام الذي ياوي قريبه وبعيده الى ظله . ومطلع نور الرسالة .
وافق الرحمة المنثالة . منه تقدم علينا الكواكب تعرب اباط افلاكها . وتتخلل
مذاربها المذهبة عذاير احلاكها . ولنستجلي البدور . ثم ترجعها الى المغرب
الحدور . وتطلع الشمس منجردة من كمايم لياليها . متهادية في دكان مثلها . ثم تسحب
الى الغروب فضل ذيلها . ومن تلقاكم ورد العلم والعمل . وارجي الامل . فنحن نستوهب
من مظان الاجابة لديكم دعا يقوم لنا مقام المدد . وتعد منه السني بالمال والعدد .
فدعا المؤمن بظهر الغيب ما فيه مما ورد . واياه سبحانه نسال ان يدفع عنا وعنكم دعاوي
الفتن . وغوايل المحن . ويحملنا على سنن السنن . ويلبسنا من تقواه اوفى الجنن
وهو سبحانه وتعالى يصل ابوتكم ما تستقل لدى قاضي القضاه رسومه . فتكتنف
حقوقه وتكبت خصومه . ولا تكلفه الايام ولا تسومه . بفضل الله وعزته وكرمه ومنته
والسلام الكريم الطيب المبارك بدا وبعد عود . وجودا اثر جود . ورحمة الله وبركاته
انتهى . وللسان الدين ابن الخطيب رحمه الله عن سلطانه المذكور كتاب اخر في هذه الكاينة
الى كبير الموحدين ابي محمد عبد الله بن تفراجين . ولعلنا نذكره ان شا الله في الباب
الخامس من هذا القسم عند نوضنا لبعض نثر لسان الدين رحمه الله وقد ساق هذه
القضية قاضي القضاه الشهير الكبير ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي رحمه الله
في تاريخه الكبير في ترجمة السلطان الشهير ابي سالم بن السلطان ابي الحسن المريني
صاحب المغرب بما نصه الخبر عن خلع ابن الاحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على
السلطان لما هلك السلطان ابو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعماية وتغلب
ابنه محمد للامر واستبد عليه رضوان مولى ابيه وكان قد رشح ابنه الاصغر اسماعيل بما القى

عليه

عليه وعلى امه من محبته فلما عدلوا بالامر عنه حجبوه ببعض قصورهم وكان له صهر من ابن عمه
محمد بن اسماعيل بن ابي الرييس ابي سعيد فكان يدعوه سرا الى القيام بامره حتى امكنته فرصة
في الدولة بخروج السلطان الى بعض منتزهاته برياضة فصعد سور الحمرا ليلة سبع
وعشرين لرمضان من سنة ستين في اوشاب جمعهم من الطغام لثورته وعمد الى دار
الحاجب رضوان فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمه وبناته وقربوا الى اسماعيل فرسه
وركب فادخلوه القصر واعلنوا ببيعته وقرعوا طبولهم بسور الحمرا وفر السلطان
من مكانه بمنتزهه فلحق بوادياش وغدا الخاصة والعامة على اسماعيل فبايعوه
واستبد عليه هذا الرييس ابن عمه فخلعه لشهرين ببيعته واستقل بسلطان الاندلس
ولما السلطان لحق ابو عبد الله محمد بوادياش بعد مقتل حاجبه رضوان وانتقل الخبر بالمولى
السلطان ابي سالم امتعض لمهلك رضوان وخلع السلطان رعيا لما سلف له في
جوارهم وارجح لحينه ابا القاسم الشريف من اهل مجلسه لاستقدامه فوصل الى الاندلس
وعقد مع اهل الدولة على اجازة المخلوع من وادياش الى المغرب واطلق من اعتقالهم
الوزير الكاتب ابا عبد الله بن الخطيب كانوا اعتقلوه لاول امرهم لما كان رديفا للحاجب
رضوان وركنا لدولة المخلوع فاوصى المولى ابو سالم اليهم باطلاقه فاطلقوه ولحق مع الرسول
ابي القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادياش للاجازة الى المغرب واجاز لذي القعدة
من سنته وقدم على السلطان بفاس واحتفل لقدومه وركب للقايه ودخل به الى المجلس ملكه
وقد احتفل ترتيبه وغص بالمشيخة والعلية ووقف وزيره ابن الخطيب فانشد السلطان
قصيدته الرايية يستصرخه لسلطانه ويستحثه لمظاهرته على امره واستعطف
واسترحم بما ابكى الناس شفقة له ورحمة ثم سرد ابن خلدون القصيدة وقد تقدمت
ثم قال بعد ما صورته ثم انفض المجلس وانصرف ابن الاحمر الى نزله وقد فرشت له القصور
وقربت الجياد بالمراكب الذهبية وبعث اليه بالكسى الفاخرة ورتبت الجرايات له ولمواليه
من المعلوجي وبطانته من الصنايع وحفظ عليه رسم سلطانه في الراكب والرجل فلم يفقد
من القابه ملكه الا الاله ادبا مع السلطان واستقر في جملته الى ان كان من لحاقه بالاندلس
وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين ما نحن نذكره انتهى المقصود جلبه من كلام ابن خلدون
في هذه الواقعة وفيه بعض مخالفة لكلام لسان الدين السابق في اللمحة البدرية اذ
قال فيها ان الثورة عليهم كانت ليلة ثمان وعشرين من رمضان وابن خلدون جعلها
ليلة سبع وعشرين منه والخطب سهل وقال في اللمحة ان فرار السلطان من وادي
اش كان ثاني يوم النحر وقال ابن خلدون في ذي القعدة ولعله غلط من الكاتب حيث جعل
مكان الحجة القعدة ورواية ابن الخطيب التي ذكرها هي من حر كلامه وعز شعره على انه كله عذب
ادرج فيها المطلوب في ذلك الوقت بابدع لفظ واحسن عبارة في ذلك المحفل الاعظم ولم
نزل نسمع في المذاكرات بالمغرب انه لما انتهى فيها الى قوله فقد انجح المسعى وقد ربح التجر قال

له بعض من حضر ولعله أراد الغض منه أحسنت يا وزير فيما قلت وفي ومن المال والسلطان غير أنه بقي عليك شيء وهو ذكر قرابة السلطان موالينا بني مرين وهم من هم ولا ينبغي السكوت عنهم فارتجل ابن الخطيب حينئذ قوله ومن دون ما تبغيه يا الخ حتى تخلص لمدح بني مرين فأعجب السلطان بما أسر محياه ثم قال بعد ذلك معتذرا يا مولاي غامت فكرتي الخ وهذا إن صح أبلغ مما وقع لأبي تمام في سينيته حيث قال لا تنكروا ضربي له البيتين لأن أبا تمام ارتجل بيتين فقط ولسان الدين ارتجل بضعة عشر بيتا مع ما هو عليه من الخروج عن الوطن وذهاب الجاه والمال فأين الحال من الحال وقد ذكر ابن خلدون رحمه الله في تاريخه قضية اعتقال لسان الدين وخلع سلطانه في موضع آخر ولنذكره وإن سبق بعضه لاشتماله على منشأ الوزير لسان الدين وجملة من أحواله إلى قريب من مهلكه فنقول

قال رحمه الله بعد ذكره عبد الله والد لسان الدين وأنه انتقل من لوشة إلى غرناطة واستخدم لملوك بني الأحمر واستعمل على مخازن الطعام ما محصله ونشأ ابنه محمد هذا يعني لسان الدين ابن الخطيب بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى ابن هذيل وأخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز في الطب وانتحل الأدب وأخذ عن أشياخه وامتلأ حوض اللسان نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه ونبغ في الشعر والترسيل بحيث لا يجارى فيهما وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر لعصره وملأ الدنيا بمدائحه وانتشرت في الآفاق فرقاه السلطان إلى خدمته وأثبته في ديوان الكتاب ببابه مرؤوسا بأبي الحسن ابن الجياب شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه عندما قتل وزيره محمد ابن الحكيم المستبد عليه فاستبد ابن الخطيب برياسة الكتاب ببابه مثناة بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله السلطان في تولية العمال على يده بالمشارطات فجمع له بها أموالا وبلغ به في المخالصة إلى حيث لم يبلغ بأحد ممن قبله وسفر عنه إلى السلطان أبي عنان ملك بني مرين بالعدوة معزيا بأبيه السلطان أبي الحسن مع جملة من أغراض سفارته ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعماية عدا عليه بعض الزعانف في سجوده للصلاة وطعنه فأشواه وفاظ لوقته وتعاورت سيوف الموالي المعلوجي هذا القاتل فمزقوه أشلاء وبويع ابنه محمد لوقته وقام بأمره مولاهم رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الأصاغر من ملوكهم واستبد بالدولة وأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لأبيه وجعل ابن الخطيب رديفا لرضوان في أمره ومشاركا في استبداده فجرت الدولة على أحسن حال وأقوم طريقة ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرا إلى السلطان فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الأندلس وفقهائها واستأذنه في إنشاد شعر قدمه بين يدي نجواه فأذن له وأنشد وهو قائم

خليفة

خليفة الله ساعد القدر ⁂ علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته ⁂ ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى ⁂ لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس ⁂ لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وجملة الأمر أنه وطن ⁂ في غير علياك ما له وطر
ومن به مذ وصلت حبلهم ⁂ ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهمتهم بأنفسهم ⁂ فوجهوني إليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الأبيات وأذن له في الجلوس وقال له قبل أن يجلس ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم ثم أثقل كاهلهم بالإحسان وردهم بجميع ما طلبوه وقال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف وكان معه في ذلك الوفد لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا ومكثت دولتهم هذه بالأندلس خمس سنين ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن عم السلطان شركته في جده الرئيس أبي سعيد وتحين خروج السلطان إلى منتزهه خارج الحمراء وتسور دار الملك المعروفة بالحمراء وكبس رضوانا في بيته فقتله ونصب للملك إسماعيل ابن السلطان أبي الحجاج بما كان صهره على شقيقته وكان معتقلا بالحمراء فأخرجه وبايع له وقام بأمره مستبدا عليه وأحس السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان فركب ناجيا إلى وادي آش وضبطها وبعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب وقد كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالأندلس واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالأندلس وكان غالبا على هوى السلطان أبي سالم فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادي آش يعده زبونا على أهل الأندلس ويكف به عادية القرابة المرشحين هنالك متى طمحوا إلى ملك المغرب فقبل ذلك منه وخاطب أهل الأندلس في تسهيل طريقه من وادي آش إليه وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمساني وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب وحل معتقله فأطلق وصحب الشريف أبا القاسم إلى وادي آش وسار في ركاب سلطانه وقدموا على السلطان أبي سالم فاهتز لقدوم ابن الأحمر وركب في الموكب لتلقيه وأجلسه إزاء كرسيه وأنشد ابن الخطيب قصيدته يستصرخ السلطان لنصره فوعده وكان يوما مشهودا ثم أكرم مثواه وأرغد نزله ووفر أرزاق القادمين في ركابه وأرغد عيش ابن الخطيب في الجراية والإقطاع ثم استأذن السلطان في التجول في جهات مراكش والوقوف على آثار الملك بها فأذن له وكتب إلى العمال بإتحافه فتبادروا في ذلك وحصل منه على حظ وعند مروره بسلا إثر قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان أبي الحسن وأنشد قصيدة على روي الراء يرثيه ويستجير به في استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها

إن بان منزله وشطت داره ⁂ قامت مقام عيانه أخباره

• قسم زمانك عبرة او عبره • هذي تراه وهذه اتاه له •

فكتب السلطان ابو سالم في ذلك الى اهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو ببلده
منتبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس
سنة ثلاث وستين وسبعماية وبعث عن مخلفه بفاس من الاهل والولد والقايم بالدولة
يوميذ الوزير عمر بن عبد الله بن علي فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره فسر السلطان
لقدومه ورده الى منزلته كما كان مع رضوان كافله وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة وابن
اشياخهم قد لحق بالطاغية ملك النصارى في ركاب ابيه عندما احس بالشر من الرئيس صاحب
غرناطة واجاز يحيى من هنالك الى العدوة واقام عثمان بدار الحرب فصحب السلطان
في مثوى اغترابه هنالك وتقلب في مذاهب خدمته وانحرفوا عن الطاغية عندما يئسوا
من الفتح على يديه فتحولوا عنه الى ثغور بلادهم وخاطبوا الوزير عمر بن عبد الله في ان يمكنهم
من بعض الثغور الغربية التي لطاعتهم بالاندلس يرتقبون منها الفتح وخاطبني السلطان
المخلوع في ذلك وكانت بيني وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية وخاصة متاكدة فوفيت
للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله وحملته على ان يرد عليه مدينة رندة اذ هي من تراث
سلفه فتقبل اشارتي في ذلك وتسوغها السلطان المخلوع ونزل بها وعثمان بن
يحيى في جملته وهو المقدم في بطانته ثم غزوا منها مالقة فكانت ركابا للفتح وملكها
السلطان واستولى بعدها على دار ملكه بغرناطة وعثمان بن يحيى متقدم القدم في
الدولة عريق في المخالصة وله على السلطان دالة واستبداد على هواه فلما وصل
ابن الخطيب باهل السلطان وولده واعاده الى مكانه في الدولة من علو يده وقبول
اشارته ادركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان الاستكفاء به واراه التخوف من هوا
الاعياص على ملكه فحذره السلطان واخذ في التدبير عليه حتى نكبه واباه واخوته في رمضان
سنة اربع وستين وسبعماية واودعهم المطبق ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب
على هوى السلطان ودفع اليه تدبير الدولة وخلط بنيه بندمايه واهل خلوته وانفرد
ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت به الامال وغشي بابه الخاصة
والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتفننوا في السعايات فيه وقد صم
السلطان عن قبولها ونمى الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده في التقويض واستخدم
للسلطان عبد العزيز بن السلطان ابي الحسن ملك العدوة يوميذ في القبض على ابن عمه
عبد الرحمن بن ابي يفلوسن بن السلطان ابي علي بن السلطان ابي سعيد بن السلطان يعقوب
بن عبد الحق كانوا انتصبوه شيخا على الغزاة بالاندلس لما اجاز من العدوه بعد ما جاس خلالها
لطلب الملك واضرم بها نار الفتنة في كل ناحية واحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القايم
حينيذ بدولة بني مرين فاضطر الى الاجازة الى الاندلس فاجاز هو ووزيره مسعود بن ماساي
ونزلوا على السلطان المخلوع اعوام سبعة وستين وسبعماية فاكرم نزلهم وتوفي علي ابن بدر الدين

شيخ

شيخ الغزاة فقدم عبد الرحمن مكانه وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد مقتل
الوزير عمر بن عبد الله فغص بما فعله السلطان المخلوع من ذلك وتوقع انتقاض امره منهم
ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يستربيها في بني مرين للخروج لذلك وداخله ابن الخطيب
في اعتقال ابن ابي يفلوسن وابن ماساي واراحة نفسه من شغبهم على ان يكون له المكان
من دولته متى نزع اليه فاجابه الى ذلك وكتب له العهد بخطه على يد سفيره الى الاندلس
كاتبه ابي يحيى بن ابي مدين واغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن ابي يفلوسن
وابن ماساي فتقبض عليهما واعتقلهما وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب
لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما تخيل ان السلطان مال الى قبولها
وانهم قد احفظوه عليه فاجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستاذن السلطان في تفقد
الثغور وسار اليها في لمة من فرسانه وكان معه ابنه علي الذي كان خالصة للسلطان
وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز الى العدوة مال اليه وسرح اذنه بين
يديه فخرج قايد الجبل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز اوعز اليه بذلك وجهز
له الاسطول من حينه فاجاز الى سبتة وتلقاه ولاتها بانواع التكرمة وامتثال
المراسم ثم سار لقصد السلطان فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين وسبعماية بمقامه
من تلمسان فاهتزت له الدولة واركب السلطان خاصته لتلقيه واحله من مجلسه
بمحل الامن والغبطة ومن دولته بمكان التنويه والعزة واخرج لوقته كاتبه ابا يحيى ابن
ابي مدين سفيرا الى صاحب الاندلس في طلب اهله وولده فجاء بهم على اكمل حالات الامن والتكرمة
ثم اكثر المنافسون له في شانه واغروا سلطانه بتتبع عثراته وابدا ما كان كامنا
في نفسه من سقطاته واحصا معايبه وشاع على السنة اعدايه كلمات منسوبة الى الزندقة
احصوها عليه ونسبوها ورفعت الى قاضي الحضرة ابي الحسن ابن الحسن فاسترعاها وسجل
عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رايه فيه وبعث القاضي ابن الحسن الى السلطان عبد
العزيز في الانتقام منه بتلك السجلات وامضا حكم الله فيه فصم عن ذلك وانف لذمته
ان تخفر ولجواره ان يرد وقال لهم هلا انتقمتم منه وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه
واما انا فلا يخلص اليه بذلك احد ما كان في جواري ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه
ولمن جاء من اهل الاندلس في جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة اربع وسبعين
وسبعماية ورجع بنو مرين الى المغرب وتركوا تلمسان سار هو في ركاب الوزير ابي بكر ابن غازي
القايم بالدولة فنزل بفاس واستكثر من شرا الضياع وتانق في بنا المساكن واغتراس
الجنات وحفظ عليه القايم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى واتصلت
حاله على ذلك الى ان كان ما نذكره انتهى وقال ابن خلدون في تاريخه ما صورته
كان محمد ابن الاحمر المخلوع قد رجع من رندة الى ملكه بغرناطة في جمادى من سنة ثلاث وستين
وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المنتزي على ملكهم حين هرب من غرناطة اليه ووفاه بعهده

المخلوع واستوى على كرسيه واستقل بملكه ولحق بكاتبه وكاتب ابيه محمد ابن الخطيب فاستخلصه
وعقد له على وزارته وفوض اليه في القيام بملكه فاستولى عليه وملك هواه وكانت عينه
ممتدة الى المغرب وسكناه ان نزلت به آفة في رياسته فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل
عند ملوكه وكان لابناء السلطان ابي الحسن كلهم غيرة من ولد عمهم السلطان ابي علي وخشونة
على امرهم فلما لحق الامير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن بالاندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه
لنجواه ورفع في الدولة رتبته واعلى منزلته وحمل السلطان على ان عقد له على الغزاة المجاهدين
من زناتة مكان بني عمه من الاعياص وكانت له اثارة في الاصطلاح بهذا فلما استبد السلطان
عبد العزيز بامره واستقل بملكه وكان ابن الخطيب ساعيا في مرضاته عند سلطانه فدس اليه
باعتقال عبد الرحمن بن ابي يفلوسن ووزيره مسعود بن ماساي واداه ابن الخطيب
في ذلك مكره وحمل السلطان عليهما الى ان سطا بهما ابن الاحمر واعتقلهما سائر
ايام السلطان عبد العزيز وتغير الجو بين ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب واظلم وتنكر له
فنزع عنه الى عبد العزيز سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين وسبعمائة لما قدم من الوسائل
وقدم من السوابق فتقبله السلطان واحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب وخاطب ابن
الاحمر في اهله وولده فبعثهم اليه واستقر في جملة السلطان ثم تاكدت العداوة بينه
وبين السلطان ابن الاحمر فرغب السلطان عبد العزيز في ملك الاندلس وحمله عليه وواعده
لذلك عند رجوعه من تلمسان الى المغرب ونمي ذلك الى ابن الاحمر فبعث الى السلطان عبد
العزيز بهدية لم يسمع بمثلها انتقى فيها من متاع الاندلس وماعونها وبغالها الفارهة
ومعلوجي السبي وجواريه واوفد بها رسله يطلب السلام وزيره ابن الخطيب اليه وابى
السلطان من ذلك ونكره ولما هلك السلطان واستبد الوزير ابن غازي بالامر تحيز
اليه ابن الخطيب وداخله وخاطبه ابن الاحمر فيه بمثل ما خاطب السلطان عبد العزيز فلج
واستنكف عن ذلك واقبح الرد وانصرف رسوله اليه وقد رهب سطوته فاطلق ابن الاحمر
لحينه عبد الرحمن بن ابي يفلوسن واركبه الاسطول وقذف به الساحل بطوية ومعه الوزير
مسعود بن ماساي ونهض في اثرهم ابن الاحمر الى جبل الفتح فنازله بعساكره ونزل عبد الرحمن
ببطوية ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا تركته لطوله وملخصه ان الوزير ابا بكر بن غازي
الذي كان تحيز اليه ابن الخطيب ولى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبتة خوفا عليهما من ابن
الاحمر ونهض هو اعني الوزير الى منازلة عبد الرحمن بن ابي يفلوسن ببطوية اذ كانوا قد
بايعوه فامتنع عليه وقاتله اياما ثم رجع الى تازا ثم الى فاس واستولى عبد الرحمن
على تازا وبينما الوزير ابو بكر بفاس يدبر الراي اذ وصله الخبر بان ابن عمه محمد بن عثمان
بايع السلطان احمد بن ابي سالم وهو المعروف بذي الدولتين وهذه هي دولته الاولى
وذلك ان ابن عم الوزير وهو محمد بن عثمان لما تولى سبتة كان ابن الاحمر قد طالع حصار
جبل الفتح واخذ بمخنقه وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان والعتاب فاستعتب

له وبلغ ما جابه ابن عمه الوزير ابو بكر بن غازي من الاستغلاظ له في شان ابن الخطيب
وغيره فوجد ابن الاحمر بذلك السبيل الى غرضه وداخله في البيعة لابن السلطان ابي سالم
من الابناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة وان يقيمه للمسلمين سلطانا ولا
يتركهم فوضى وهم تحت ولاية الصبي الذي لم يبلغ ولا تصح ولايته شرعا وهو السعيد ابن ابي
فارس الذي بايعه الوزير ابو بكر ابن غازي بتلمسان حين مات ابوه واستبد عليه واختص
ابن الاحمر احمد ابن ابي سالم من بينهم لما سبق بينه وبين ابيه ابي سالم من المواتاة
وكان ابن الاحمر اشترط على محمد ابن عثمان وحزبه شروطا منها ان ينزلوا له عن جبل الفتح
الذي هو محاصر له وان يبعثوا اليه جميع ابناء الملوك من بني مرين ليكونوا تحت حوطته
وان يبعثوا اليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا عليه فانعقد امرهم على ذلك وتقبل محمد
ابن عثمان شروطه وركب من سبتة الى طنجة واستدعى ابا العباس احمد من مكان اعتقاله
فبايعه وحمل الناس على طاعته واستقدم اهل سبتة للبيعة وكاتبهم فقدموا وبايعوا
وخاطب اهل جبل الفتح فبايعوا وافرج ابن الاحمر عنهم وبعث اليه محمد ابن عثمان عن سلطانه
بالنزول له عن جبل الفتح وخاطب اهله بالرجوع الى طاعته فادخل ابن الاحمر من ساعته
اليه وخلا ومحا دولة بني مرين مما وراء البحر واهدى للسلطان ابي العباس وامده بعسكر
من غزاة الاندلس وحمل اليه مالا للاعانة على امره ولما وصل الخبر بهذا كله الى
الوزير ابي بكر ابن غازي قامت عليه القيامة وكان ابن عمه محمد ابن عثمان كتب اليه يموه
بان هذا عن امره فتبرا من ذلك ولاطف ابن عمه ان ينقض ذلك الامر فاعتل له بالعقد
البيعة لابي العباس وبينما الوزير ابو بكر ينتظر اجابة ابن عمه الى ما رامه منه بلغه
الخبر بانه اشخص الابناء المعتقلين كلهم للاندلس وحصلوا تحت كفالة ابن الاحمر
فوجم واعرض عن ابن عمه ونهض الى تازا لمحاصرة عبد الرحمن ابن ابي يفلوسن فاهتبل
في غيبته ابن عمه محمد ابن عثمان ملك المغرب ووصله مدد السلطان ابن الاحمر رجال
الاندلس الناشبة نحو سبعماية وعسكرا من الغزاة وبعث ابن الاحمر رسله الى الامير عبد
الرحمن بالاتصال اليه مع ابن عمه السلطان احمد ومظاهرته واجتماعهما على ملك فاس
وعقد بينهما الاتفاق على ان يختص عبد الرحمن بملك سلفه فتراضيا وزحف محمد ابن عثمان
وسلطانه الى فاس وبلغ الخبر الى الوزير ابي بكر بمكانه من تازا فانفض بعسكره ورجع
الى فاس ونزل بكدية العرائس وانتهى السلطان ابو العباس احمد الى زرهون فصمد اليه
الوزير بعساكره فاختل مصافه ورجع على عقبه مغلولا وانتهب عسكره ودخل البلد
الجديد وجاءا بالعرب والحصين فعسكروا بالزيتون ظاهر فاس ونهض اليهم الامير عبد
الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب احلافه وشيعهم الى الصحراء وشارف السلطان ابو
العباس احمد بجموعه من العرب وزناتة وبعثوا الى وليهم ونزمار بن عريف بمكانه من قصره
الذي اختطه بملوية فجاءهم واطلعوه على كامن اسرارهم فاشار عليهم بالاجتماع والاتفاق

فاجتمعوا بوادي النجا ونحا الغوانم اذ تحلوا الى كدية العرايس في ذي قعدة من سنة خمس وسبعين ونزل اليهم الوزير بعساكره فانهزمت جموعه واحيط به وخلص الى البلد الجديد بعد عض الريق واضطرب معسكر السلطان ابي العباس بكدية العرايس ونزل الامير عبد الرحمن بازائه وضربوا على البلد الجديد سياجا بالبنا للحصار وانزلوا بها انواع القتال والارهاب ووصلهم مدد السلطان ابن الاحمر فاحكموا الحصار وتحكموا في ضياع الوزير ابن الخطيب بفاس فهدموها وعاثوا فيها ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل محمد ابن عثمان ابن عمه الوزير ابا بكر في النزول عن البلد الجديد والبيعة للسلطان لكون الحصار قد اشتد به وليس في الحجرة المال فاجاب واشترط عليهم الامير عبد الرحمن التجافي له عن اعمال مراكش بدل ايالة سنة فعقدوا له على كره وطووا على المكر وخرج الوزير ابو بكر الى السلطان وبايعه وانتقض عهده بالامان وتخلية سبيله من الوزارة ودخل السلطان ابو العباس الى البلد الجديد سابع المحرم وارتحل الامير عبد الرحمن لوقته الى مراكش واستولى عليها انتهى

وقال حفيد السلطان ابن الاحمر في تاريخه ما صورته لما لحق الرئيس ابو عبد الله بن الخطيب بالمغرب عام اثنين وسبعين وسبعماية وكان من وفاة مجيره والحامي عنه السلطان عبد العزيز ما المعنا بذكره سد الوزير ابو بكر بن غازي يده على ابن الخطيب بالثناء على اشد الاشيا الاخسل مولانا فاجد فانع لوقع البغضا واقتدى هذا الوزير بالسلطان عبد العزيز في اعراضه عن العفو والموجهة من الاندلس بالمقذع من موبقات ابن الخطيب ولج في الغلو وجحد موجبات الوفا والبواعث من مولانا فاجدنا تترايد والاساطيل تجهز والارا بالقصد للخطير يستنهض منها الصواب وينتخب حتى خيم مولانا جدنا بظاهر جبل الفتح وكان اذ ذاك راجعا الى ايالة المغرب فاناخ عليه بكلكل الجيش واهمهم ثقل الوطاة ولم يبال مولانا جدنا بما ارسلت ايدي الليل واطراف النهار من شابيب الانفاط والجواز من باب الشطابين وتب والخالصة من النعمات منتزيب والنجاة من تلك الاهوال من الامر العزيب ولم يبق بعزنا ظن له خلوص ولا من تراميه همة الا واعمل السير الحثيث ولحق بمولانا جدنا لحاق المحب بالحبيب حتى اهل العلم والرجاحة والحلم ولا كالسيد الامام الاستاذ ابي سعيد قطب الجلة • وعميد الملة • وهو الذي بلغنا نظمه في هذه الوجهة وعندما القى عصى التسيار في الجهة الغربية من اولي العداوة ومن ذلك قصيدته المشهورة التي اولها

• يا جبل الفتح استملت نفوسنا • فلا قلبا لا تحوم فناك قد سبق •
• فارسلنا دجينا لدينا صواعقا • تخال بها جو السما قد انطبق •

وقوله في اجابة السفها من لها تعنى بالسور هو طيا مجيبا رحمه الله تعالى عليه

• ودعوا وما يعنون الا دمما • وانت بجدامه تدعى محمد •

وقول حامل اللوا الا في ذكره في تضاعيف الاسما •

اما تراك في هراحي البيد • لتبلغ ما شيت من مقصود
والهران الفئة السنة العدى • يا با ان فضل مقامك المحمود
سحقا لهم سفهاً كل منيله • شذت مقالتهم عن المعهود
قد ضلت الاحلام منهم رشدها • هذا ومنك الحلم غير بعيد
مع عز مقلو شيت هدت كلا • قد احكموا من معلم وشيد

الى ان قال الخبر عن اجتماع الاميرين ابي العباس وابي زيد متصاحبين ومتوافقين على استخلاص مدينة فاس من يد الوزير ابي بكر ابن غازي ابن الكاس وكتب الرئيس ابو عبد الله بن زمرك في مخلص هذه الكاينة حيث الوزير محمد ابن عثمان السيري في وسط عام خمسة وسبعين وسبعماية وبلاد سلطانه ابي العباس مع الامير ابي زيد عبد الرحمن واستقلا بالطايل وحصلا من التضييق على السعيد الطفل الصغير وعلى وزيره ابي بكر بن غازي في متسع الخط ورحيب درع الخلافة ورضا الجماعين رهنا وتسليم منهما ومن اشياعهما على تسليم السعيد الى اللحاق بمن كان في طنجة من الامرا وانفصل السلطان عبد الرحمن بمراكش فكان ملكها وحاز اموالها وتملك السلطان ابو العباس مدينة فاس وما والى البلاد الساحلة وسواها مما يحتوي عليه ملك المدينة البيضا برا وبحرا وعبر كاتب الدولة عن المدينة وعن الطفل متملكها بقوله والى هذا فقد ارتفع الالتباس والطرد القياس • وغير خفي عن ذي عقل سليم • وذي تفويض للحق وتسليم • ان دار الملك المريني كامة بلا زهر • ورياض بلا نهر • ان لم يقتعد كرسيها من يزين جيدها حليها • وان اوان البشرى لمن يمتعض للدين والان قلادة الثغور بنوط بقلم اعلام الملوك المهتدين • ثم ذكر ما يطول من فصول • وربما اشتملت على فضول وملحفة مثل ما ذكر ابن خلدون ثم ساق قاضي القضاة ابن خلدون بعد ما تقدم جلبه من تاريخه الكلام على محنة لسان الدين بن الخطيب ووفاته مقتولا رحمه الله فقال ما صورته ولما استولى السلطان ابو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح سنة ست وسبعين استقل بسلطانه والوزير محمد ابن عثمان مستبد عليه وسليمان ابن داود ابن اعراب كبير بني عسكر رديفه وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الاحمر عندما بويع بطنجة على نكبة الوزير ابن الخطيب واسلامه اليه لما نمي اليه عنه انه كان يغري السلطان عبد العزيز بملك الاندلس فلما دخل السلطان ابو العباس من طنجة ولقيه ابو بكر ابن غازي بساحة البلد الجديد فهزمه السلطان ولاذ منه بالحصار اوى معه ابن الخطيب الى البلد الجديد خوفا على نفسه فلما استولى السلطان على البلد اقام اياما ثم اغراه سليمان ابن داود بالقبض على ابن الخطيب فقبضوا عليه واودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر وكان سليمان ابن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الاحمر على مشيخة الغزاة بالاندلس

منجا عادة الله الى ملكه فلما استقر اليه سلطانه اجاز اليه سليمان سفيرا عن الوزير
عمر ابن عبد الله ومتقضيا عهده من السلطان فصد الوزير بن الخطيب عن ذلك محتجا بان تلك
الرياسة انما هي لاعياص الملك من بني عبد الحق لانهم يعسوب زناتة فرجع سليمان وآثار
حقد ذلك لابن الخطيب ثم جاز الى الاندلس لمحل امارته من جبل الفتح فكانت تقع بينه
وبين الخطيب مكاتبات ينفث كل منهما لصاحبه بما يحفظ مما كمن في صدورهما وحين بلغ
خبر القبض على ابن الخطيب الى السلطان ابن الاحمر بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب
وهو ابو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان ابي العباس واحضر ابن الخطيب
بالشورى في مجلس الخاصة وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه في المحبة فعظم
النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملا ثم نقل الى محبسه واشتوروا
في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وافتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان
ابن داود لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاؤوا
في الغيف الخدم مع سفرا السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقا في محبسه واخرج شلوه
من الغد فدفن بمقبرة باب المحروق ثم اصبح من الغد على شافة قبره طريحا وقد جمعت له
اعواد واضرمت عليه نار فاحترق شعره واسود بشره فاعيد الى حفرته وكان في ذلك
انتها محنته وعجب الناس من هذه السنعا التي جا بها سليمان واعتدوها من هنات
وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه واهل دولته والله الفعال لما يريد وكان عفا الله
عنه ايام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فيجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه
ومما قال في ذلك رحمه الله

بعدنا وان جاورتنا البيوت • وجينا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة • كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما • وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سما العلا • غربن فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبى • وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة • فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدى ذهب ابن الخطيب • وفات ومن ذا الذي لا يفوت
ومن كان يفرح منهم له • فقل يفرح اليوم من لا يموت

بوعظ — اسلمت

انتهى كلام ابن خلدون في ديوان العبر وقال الحافظ ابن حجر في انبا الغمر بعد ان ذكر
ما قدمناه على سبيل الاختصار ما نصه واشتهر ان لسان الدين نظم حين قدم للقتل
الابيات المشهورة التي يقول فيها •
وقل للعداة مضى ابن الخطيب • ومات فسبحان من لا يموت
فمن كان يشمت منكم به • فقل يشمت اليوم من لا يموت

والصحيح

والصحيح في ذلك ما ذكره صديقه شيخنا ولي الدين ابن خلدون انه نظم الابيات المذكورة وهو
في السجن لما كان يسمعه من التشديد انتهى ثم حكى عن ابن حجر عن بعض الاعيان ان ابن
حجر وجهه الى ملك الافرنج في رسالة فلما اراد الرجوع اخرج له رسالة لابن الخطيب
تشتمل على نظم ونثر فلما قراها قال له مثل هذا كان ينبغي ان يقتل ثم بكى حتى بل
ثيابه انتهى كلام الحافظ وبعضه بالمعنى فانظر سدد ك الله بكا العدو الكافر على هذا
العلامة وقتل اخوانه في الاسلام له على حظ نفساني ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم لا رب غيره قلت ______ ورايت بحضرة فاس حاطها الله تخميسا لهذه الابيات
بديعا منسوبا الى بعض بني الصباغ وزاد في الاصل بعض ابيات على ما ذكره ابن خلدون
من هذه القطعة والمزيد فيه نفس لسان الدين ابن الخطيب فلعل ابن خلدون اختصرها
او لم يقف على الزايد ولنثبت جملته تتميما للمقصود فنقول قال رحمه الله

• بانا جاهلا عزة ما يفوت • والهاه حال قليل الثبوت •
• تامل لمن بعد انس يفوت • بعدنا وان جاورتنا البيوت •
• وجينا بوعظ ونحن صموت •
• لقد نلت من دهرنا فرحة • تقضت كبرق تقضى سرعة •
• فهيهات نرجو لها رجعة • وانفاسنا سكنت دفعة •
• كجهر الصلاة تلاه القنوت •
• بدا لي من العز وجه شباب • يومل شيبي وياسي بياب •
• فسرعان مرق ذاك الاهاب • ومدت وقد انكرتنا الثياب •
• علينا نسايجها العنكبوت •
• فاها العز نعقني شاما • منحنا به الجاه قوما كراما •
• وكنا نسوس امورا عظاما • وكنا عظاما فصرنا عظاما •
• وكنا نقوت فها نحن قوت •
• وكنا الذي الملك حلي الطلى • فها ها عليه رمانا خلا •
• نغوص من جن يا لبلا • وكنا شموس سما العلى •
• غربن فناحت علينا السموت •
• لقوة بالرغم صرف الليال • وحملت نفسي فوق احتمال •
• وايقنت ان سوف يا لي ارتحال • ومن كان منتظرا للزوال •
• فكيف يومل منه الثبوت •
• هو الموت يا سالم من نبا • يجوز الحجاب الى من ابى •
• ويا نفا حذ سنى الحبا • فكم اسلمت في الحسام الطبي •
• وذا البخت كم جدلته البخوت •

هو الموت افصح عن عجمة • فايقظ بالوعظ من خفقة •
وسلا عن الحزن ذا حرقة • وكم سيق للعبر في خرقة •
فتم ملبت من كساه المتحوت •

تقضي زماني بعيش خصيب • وعندي لذنبي انكسار المنيب •
وها الموت قد صفت منه نصيبي • فقل للعدى ذهب ابن الخطيب •
وفات ومن ذا الذي لا يفوت •

مضى ابن الخطيب كمن قبله • ومن بعده يقتفي سبله •
وهذا الردى نازح سجله • فمن كان يفرح منهم له •
فقل يفرح اليوم من لا يموت •

هو الموت عم فنا للعدى • لبرون في حين وقت الردى •
ومن فاته اليوم ياتي غدا • سبيل الخليقة ذا ما المدى •
تنابع احاده والسبوت •

اخي نوخ طرق النجاه • وقدم لنفسك قبل المماة •
ولا تجد للهوات • ولا تغتر بسراب الحياة •
فانك عما قريب تموت •

انتهى وقد ذكرني قوله رحمه الله فمن كان يفرح منهم له الخ قول بعض العلما الشاميين

ما ضاحكا بمن استقل عماره • سيتور عن قدميك ذاك العثير •
لا فارس بجنودها منعت حمى • كسرى ولا الروم خلد قيصر •
جدد مضت عاد عليه وجرهم • وتلاه كهلان وعقب حمير •
وسطا بغسان الملوك وكنده • فلنا دما عندن لا نتشار •
لعبت بهم فكانهم لم يخلقوا • ونسوا بها فكانهم لم يذكروا •

وما احسن قول ابي الخطاب ابن دحية الحافظ بعد كلام ماثورة واخذت من طريق خوزستان الى طريق حلوان • وقاسيت من الغربة اصناف الالوان • ومررت على مداين انوشروان وزرت بها قبر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم الزاهد العابد المومن سلمان واعلت منها السير والاغذاذ • الى مدينة بغداد • فنظرت اليها معالم وربوعا واقمت بها مدة عاما وفي اسبوعا واسبوعا فانا ابدي في مرابهم واعيد • والترب قد علا سنادلهم والصعيد • واسال عن الخلفا الماضين وانشد • ولسان الحال يجاوبني وينشد

يا سايل الدار عن اناس • ليس لهم نحوها معاد
مروا كما مرت الليالي • اين جديس واين عاد

بل اين ابو البشر ادم الذي خلقه بيده الكبير المتعال • اين الانبيا من ولده والارسال اهل النبوة والرسالة • والوحي من الله ذي الجلالة • اين سيدهم محمد الذي فضله عليهم

ذو العزة والجلال • وجعله شفيعهم مع امته والناس في شدايد الاهوال • اين القرون الماضية والاجيال • اين التبابعة والاقيال • اين ملوك همدان • اين اولو الابرق الزرد والعمدان اين اولوا التيجان والاكاليل • اين الصيد والبهاليل • بل اين النماردة واكبرهم نمرود ابراهيم الخليل • اين الفراعنة ومن هو بالسحر عليم • الذين منهم فرعون موسى الكليم اين ملوك الهند فانية هدد بن بدد الكودي • الذي لم يكن عن زمنه بعيد له ولا مجدي • وقد اخبر الموحد جل جلاله عنه انه كان ياخذ كل سفينة غصبا • وزعم المورخون انه كان ايضا يملا القلوب رعبا • وليسوا اصحابه قتلا وتلبا • مع الطمع في المال • وعدم النظر في عقبي المال • اين الفرس وملوكها وعدلها وعدولها • اين دارا ابن دارا ابن يمان • اين اسكندر ابن فيلبس اليوناني الذي غلبه وملك بلاده في ذلك الزمان • والملك جميع ملوك الاقاليم • وقدر الله به امتحان الخلق ذلك تقدير العزيز العليم • اين كسرى وقيصر • غلبهما من الموت الاسد القسور • بعد ان اخرجهما من بلادهما امير المومنين ابو حفص عمر • لما ظهرت الملة الحنيفية كما ظهر الشمس وبدا القمر • اين اولاد جفنه وملوك غسان • اين صاحب ذبيان وحسان • اين هرم ابن سنان • اين الملاعب بالسنان • اين اولاد مضر ابن نزار بن معد ابن عدنان • اين بنو عبد المدان • اين ارباب العواصم • اين قيس ابن عاصم • اين العرب العربا الامة الفاطمة والجماعة المناضلة اولوا الباس والحفاظ • وذوو الحمية والاحفاظ • حيث الوفا والعهد • والحيا والرفد • الى علو الهمم • والوفا بالذمم • والعطا الجزل • والضيف والنزل • وهبة الاموال والبذل • واتها لا تدين عزا واقتناد • ولا تروم انفة ولا انقياد • اين قريش العز وون في الجاهلية بالحي اللقاح • والشعب الرقاح • اين الماضون من ملوك بني امية • ذووا الالسن الذلق • والاوجه الطلق والحمية • اين خلفا بني العباس بن عبد المطلب الذين شرفهم بالامامة وليقوا اليهم بالمناجاب • ذووا الشرف الشامخ • والفخر الباذخ • والخلافة السنية الرضية • والمملكة العامة المرضية بلغتنا وانته وفاتهم • ولم يبق الا ذكرهم وصفاتهم • قبض ملوك الموت ارواحهم قبضا • ولم يترك لهم حراكا ولا نبضا • ومزق الدود لحومهم تمزيعا • ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا • الا ما كان من اجساد الانبيا عليهم افضل التسليم • فان الله تعالى حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا • وقد تكلمت على هذا الحديث واثبات من الصحيح لا السقيم • وخرجت طرقه في كتابي العلم المشهور بعون من العزيز الرحيم • فما ابعد المرء عن رشده وما اقصاه • كم وعظه الدهر وكم وصاه • يخلط الحقيقة بالمحال • والعاطل بالحال • ولا ترتجي لشيب الغراب • وما الف الدم التراب • فيا لهفي لبعد الدار • وانقضاض الجدار • وانتهاء منه لنزل اوهناك وقاعدة من عمرك على شفا جرف هار • تقرا العلم وتدعيه • ولا تفهمه ولا تعيه • فهو عليك

لا لك • فأقلّ لك ثم أقلّي لك • أما آن للقلب الغافل أن ينجلي إحلاكه • وللنظم البديع أن ينتثر أسلاكه • وأن يسقط الجاني جناه • ويأسف على ما اقترفه وجناه • وأن يلبس عماده بها ويطلق الدنيا بتًّا • ويقوم منها قوام الأسد • ويتيقن أنه لا بد من مفارقة الروح للجسد بهمنا اللهم من سنات غفلاتنا • وحقق ما سلمت مصانعنا الذميمة وسلاتنا • واجعل التقوى أحصن عددنا وأوثق آلاتنا • اللهم إليك المآب • وبيدك المتاب • قد واقعنا الخطايا • وركبنا الآجام رواحل ومطايا • فتب علينا أجمعين • وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين الطائعين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد شفيعنا يوم القيامة • وصاحب الحوض المورود • والمقام المحمود والكرامة • وعلى آله الطاهرين وأصحابه أهل الرضوان المنتخبين وسلام عليه وعليهم إلى يوم الدين انتهى • وهو آخر كتاب النبراس في تاريخ بني العباس • وذكرته بطوله لمناسبته قلت ـــــ وقد سلك هذا المنحى لفظًا في خطبة هذا الكتاب كما مرّ • وللسان الدين رحمه الله كلام قريب من هذا سيأتي في نثره إن شاء الله تعالى وأقول إني قد تذكرت هنا قول القائل •

لطوي شبوبتنا وأعاد ونشرها • وكذا في الطي بين السبت والأحد
فعد ما شئت من سبت ومن أحد • لابد أن يدخل المطوي في الأحد

وقول الآخر

ألم تر أن الدهر يوم وليلة • يكران من سبت عليك إلى سبت
فقل لجديد العيش لا بد من بلى • وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

واعلم أن لسان الدين لما كانت الأيام له مسالمة لم يقدر أحد أن يواجهه بما يدنس معاليه أو يطمس معالمه فلما قلبت الأيام له ظهر مجنها • وعاملته بمنعها بعد منحها • ومنها أكثر أعداؤه في شأنه الكلام • ونسبوه إلى الزندقة • والإخلال بربقة الإسلام بتنقص النبي عليه أفضل الصلاة والسلام • والقول بالحلول والاتحاد • والانخراط في سلك أهل الإلحاد • وسلوك مذاهب الفلاسفة في الاعتقاد • وغير ذلك مما أثاره الحقد والعداوة والانتقاد مقالات نسبوها إليه خارجة عن السنن السوي • وكلمات كدروا بها منهل علمه الروي • ولا يدين بها ويتفوه إلا الضال الغوي • والظن أن مقامه رحمه الله من لبسها بري وجنابه سامحه الله عن لبسها عري • وكان الذي تولى كبر محنته • وقتله تلميذه أبو عبد الله بن زمرك الذي لم يزل معظم الحنق فلو تدبر على حظ من لسان الدين على أن نسب في قتل لسان الدين إليه وسيأتي مع الإلمام بابن زمرك المذكور في تلامذة لسان الدين مع أنه أعني لسان الدين حلاه في الإحاطة أحسن الحلي وصدقه فيما انتحله من أوصاف العلى • وقد سبق في كلام ولي الدين بن خلدون أنه قدم على السلطان أبي العباس أحمد المريني في شأن الوزير ابن الخطيب وأخرج إلى المجالس الخاصة وامتحن • والمجالس بالأعيان غاصة • ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ومن أعدائه الذين بالغوا بعد أن كانوا يتشيعون في مرضاته سعي العبيد القاضي أبو الحسن ابن الحسن النباهي فكم قبل يده ثم جاهره بعد انتقال الحال وجد في أمره مع ابن زمرك حتى قتل لسان الدين وانقضت فسبحان من لا يحول ملكه ولا يبيد وقد سبق فيما جلبناه من كلام ابن خلدون أن القاضي ابن الحسن قدم على السلطان عبد العزيز في شأن لسان الدين والانتقام منه بسبب تلك السجلات وأمضاه حكم الله فيه بمقتضاها فأبى السلطان من ذلك وقال هلا فعلتم أنتم ذلك حين كان عندكم وامتنع له منه الحضرة فلما أراد الله بنفوذ الأمر وعدم نفع ضد وغيره توفي السلطان عبد العزيز واختلفت الأحوال واضطرب بالمغرب نيران الأهوال فقدم في شأنه الكاتب الوزير ابن زمرك خادمه الذي رباه وصنيعه فكان ما كان مما سبق بالإلمام وقدم ذكرنا في الباب الأول قول لسان الدين رحمه الله في قصيدته النونية

تلون إخواني عليّ وقد جنت • عليّ خطوب جمة ذات ألوان
وما كنت أدري قبل أن يتنكروا • بأن خواني كان مجمع إخواني
وكانت وقد حم القضاء صنائعي • عليّ بما أرتضي شر أعواني

فلقد صدق رحمه الله على أنه قال هذه القصيدة في النكبة الأولى التي انتقل فيها مع سلطانه إلى المغرب كما مر منقلا وكأنه عبر عن هذه المحنة الأخيرة التي ذهبت فيها نفسه على يد صنائعه الكاتب ابن زمرك والقاضي أبي الحسن سامح الله الجميع ورحم الله أبا إسحاق التلمساني صاحب الرجز في الفرائض حيث يقول

الغدر في الناس شيمة سلفت • قد طال بين الورى تصرفها
ما كل من قد ترت له نعم • منك يرى قدرها ويعرفها
بل ربما أعقب الجزاء بها • مضرة عن علاك مصرفها
أما ترى الشمس كيف تعطف • بالنور على البدر وهو يكسفها

قال لسان الدين بعد ذكره أن ملك النصارى دون جاجمه ابن دون الفنش استنصر على ابنه بالسلطان المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ولاذ به ورهن عنده تاجه ذخيرة النصارى والقنية المعجزة عباد من أحواذ زنده فسلم عليه ويقال إن أمير المسلمين لما فرغ من ذلك طلب بلسان زناتة الماء ليغسل يده به من قبلة الفنش ومصافحته ما نصه والشيء يذكر فأثبت حكاية اتفقت لي بسبب ذلك استدعى بها الدعاء بحسن عقد موقعها وهي أن اليهودي الحكيم ابن زرزار على عهد ملك النصارى حفيد هذا الفنش المذكور وصل إلينا بغرناطة في بعض حوائجه ودخل إلى بدار سكناي بمحاورة القصر السلطاني بحمراء غرناطة وعندي القاضي اليوم بغرناطة وغيره من أهل الدولة وبيده كتاب من سلطان المغرب محمد بن أبي عبد الرحمن بن السلطان الكبير المولى أبي الحسن وكان محمد هذا قد فرّ إلى صاحب قشتالة واستدعى من قبله إلى الملك فمهد

له ذلك وشرط عليه ما شاء وربما وصله خطابه بما لم يقنعه في اطرائه فقال له مولاه
السلطان دونك بطره يسلم عليك ويقول لك انظر مخاطبة هذا الشخص وكان بالامس
كلبا من كلاب بابه حتى يرى خسارة الكرامة فيه فاخذت الكتاب من يده وقرأته وقلت
له ابلغه عني ان هذا الكلام ما جرى اليه الحامل بابك من الشيوخ الذين اخرفوك بالكلام
وبالاسود ومن لغسل الايدي منهم اذا قبلوها فتعلم من الكلب الذي تغسل اليد منه
مرة وان جد هذا الولد هو الذي قبل حرك يده واستدعى الماء لغسلها بزعمه لمحضر
النصارى والمسلمين ونسبة الجد الى الجد كنسبة الحفيد للحفيد وكونه لجأ الى
بلادك ليس بعار عليه وانت معرض الى الالتجاء اليه فيكافيك باضعاف ما عاملته
به فقام ابو الحسن المستقضي يبكي ويقبل يدي ويصفني بولي الله وكذلك من حضرني
وتوجه الى المغرب رسولا فقص على بني مرين خبر ما شاهد مني وسمعه وبالحضرة اليوم
ممن تلقى منه ذلك كثير وجعل الله ذلك خالصا لوجهه انتهى وقد اثنى لسان الدين
في الاحاطة على القاضي ابي الحسن المذكور كما سيأتي وقال في ترجمة السلطان
ابن الاحمر ما نصه ثم قدم للقضاء الفقيه الحسيب ابا الحسن وهو عين الاعيان
لمالقة المخصوص برسم الجلالة والقيام بالعقد والحل فسدد وقارب وحمل الكل
واحسن مصاحبة الخطة والخطبة واكرم المشيخة مع النزاهة ولم يقف في حسن الثاني
على غاية فاتفق على رجاحته ولم يقف في النصح عند غاية انتهى وحين اظلم الجو بينه
وبين لسان الدين ذكره في الكتيبة الكامنة بما يباين ما سبق ولعنه بالجسوس ولم
يقنعه ذلك حتى الف فيه خلع الرسن في وصف القاضي ابي الحسن وقد وقفت بفاس
المحروسة على كتاب مطول كتبه ابو الحسن للسان الدين بعد تحوله عن الاندلس ولنص ما تعلق
به الغرض هنا فشرعتم في الشراء وتشييد البناء وتركتم الاستعداد لهادم اللذات
هيهات تبنون ما لا تسكنون وتدخرون ما لا تأكلون وتؤملون ما لا تدركون اينما
تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة فاين المهرب مما هو كائن ونحن انما نتقلب
في قدرة الطالب شرقتم او غربتم الايام تتقاضى الدين وتنادي بالنفس الفرارة الى
اين الى اين ونترك الكلام مع الناقد فيما ارتكبه من تزكية نفسه وعد ما جلبه من مناقبه
ما عدا ما هدد به من حد بذلسانه خشية اندراجه في غط من قال فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان من شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه واعتبه فيمن القى جلباب
الحياء عن وجهه ورجع على ما ابداه او اهداه من العيوب التي نسبها لاخيه واستراح
على قوله بما فيه ونذكره على طريق نصيحة الدين بالحديث الثابت في الصحيح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم
له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة
ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته

دعوا

وهذا من حسناته فاذا فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت
عليه ثم طرح في النار ويعلم الله ان معنى هذا الحديث الثابت عن النذير الصادق هو الذي
حملني على نصحكم ومراجعتكم في كثير من الامور ومنها الاشارة عليكم بالاضراب عن
ما كنتم به في التاريخ واما ما لكم فانكم نفقتم بما وقعتم فيه من الغيبة المحرمة احياء واموانا
لغير شيء حصل بيدكم وصدرتم نفسكم بما دبتم لهم من المطالبات بنص الكتاب والسنة له
قبلكم والوصي هذه العقبة الكاثرة امر بعيد من الدين والعقل وقد قلت لكم غير
مرة عن اطراسكم المسودة بما دعوتم اليه من البدعة والتلاعب بالشريعة والتلاعب
بها ان حقها التخريق والتحريق وان من اطراها لكم فقد خدع نفسه وخدعكم والله الشهيد
بان نصحتكم وما غششتكم وليس هذا القول وان كان ثقيلا عليكم بمخالف لكل المخالفة
لما ذهبتم به من تقدم المواجهة بالملاطفة والمعاملة بالمكارمة فليست المداراة
بقادحة في الدين بل هي محمودة في بعض الاحوال مستحسنة على ما بينه العلماء اذ هي مقاربة
في الكلام او مجاملة باسباب الدنيا لصلاحها او صلاح الدين وانما المذموم المداهنة
وهي بذل الدين لصلاح الدنيا والمصانعة به لتحصيلها ومن خالط للضرورة منكم ذا بلة
باختلاف ونصحه بمخاطبة ومكاتبة واستدل له بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
على صحة مقالته فقد سلم والحمد لله من مداهنته وقام لله بما يجب عليه في حقكم من التحذير
والانكار مع الاشفاق والوجل والترحم في كتابكم من الحسن ما ذكرتم انكم متعتم وعلى تقدير
الموافقة لكم لسبتكم ما فعلتم فسلمنا من المعرة وسلمتم وجل القائل سبحانه قول معروف
ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم وقد اشاركم انتم في شيء الا باعراض
حاصلة في يدكم ولا غراض دنيوية خاصة بكم فالملام اذن في الحقيقة انما هو متوجه اليكم
واما ما اظهرتم بمقتضى حركاتكم وكلامكم من التندم على فراق محلكم والتعلل باخبار
قطركم واهلكم فشيء نعرفه منكم وان كتمتم فيه بعذركم

اتبكي على لبنى وانت تركتها • فكنت كآت غيه وهو طائع
وما كل ما منتك نفسك خاليا • تلاقي ولا كل الهوى انت تابع
فلا تبكين في اثرها ندامة • اذا نزعته من يديك النوازع

وعلى ان تأسفكم لما وقعتم فيه من الغدر لسلطانكم والخروج لا لضرورة غالبة عن وطنكم
من الواجب بكل اعتبار عليكم سيما وقد هديتم الى التمتع بغيرها عيشكم ولو لم يكن لهذه
الجزيرة الواردة من الفضيلة الا ما خصت به من بركة الرباط ورحمة الجهاد لكفاها فخرا
على ما يجاورها من سائر البلاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رباط يوم في سبيل الله
خير من الف يوم مما سواه قال عليه السلام الروحة يروحها العبد في سبيل او الغدوة خير
من الدنيا وما فيها وعلى كل تقدير فاذا لم يكن يا اخي فراركم من الاندلس لحا نعم وخذ بالتوبة
الكملة والاستغفار مع الانقطاع في احد المواطن المكرمة المعظمة بالاجماع ومن طيبة او مكة

اوبيت المقدس فقد خسر بتمز صفقته رحلتكم وتبين ان لغير وجه الله المعظم كانت نيته
هجرتكم الله الا ان كنتم قد احطتم بمسالة الرجل الذي قتل ماية نفس وسال
اعلم اهل الارض فاشار عليه بعد ارتماع التوبة بمفارقة المواطن التي ارتكب فيها
الذنوب واكتسب بها الحوب فاما احسب ان كلام العلما في هذا الحديث معروف
ويقال لكم من الجواب الخاص بكم فعليكم اذا بترك القيل والقال وكثرة القتال
والجدال وقصر ما بقي من مدة العمر على الاشتغال بصالح الاعمال ووقعت في مكتوبكم
كلمات اوردها السعدي في قالب الاستهزا والازدرا والجهالة بمقادير الاشيا منها
ربع صفصف وهو لغة القران وقاع قرقر وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد صلى الله
عليه وسلم ثبت في الصحيح في باب التغليظ فيمن لا يودي زكاة ماله قيل يا رسول الله
والبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يودي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح
لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيا تنطحه بقرونها وتطاه باظلافها الحديث الشهير
قال صاحب المعلم بطح لها بقاع قرقر اي القي على وجهه والقاع المستوي من الارض والقرقر
كذلك هذا ما حضر من الجواب وبقي في مكتوبكم حشو كثير من كلام اقذاع وفحش لعبيد من الحشمة
والحيا رايت من الصواب الاعراض عن ذكره وصون اليد عن استعمال فيه والظاهر انه انما
صدر منكم وانتم بحال مرض فلا حرج فيه عليكم انشا الله اصلحكم ومكن امكنكم وسكن
وحلكم ومنه جل اسمه نسال لي ولكم حسن الخاتمة والفوز بالسعادة الدايمة والسلام
الاتم يعتمدكم والرحمات والبركات من كاتبه علي بن عبد الله بن الحسن وفقه الله وذلك
بتاريخ اخريات جمادى الاولى من عام ثلاث وسبعين وسبعماية وقيد رضا الله عنه مدرج
طي هذا الكتاب ما نصه يا اخي ايدكم الله وانكم بقي من الحديث في الصواب الخروج
عنه لكم اذ هذا اوانه وتاخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه وليكون البنا بعد
الان على اصل صحيح بحول الله وحاصله انكم عددتم ما شاركتكم فيه بحسب الارفاق
وقطعتم بنسبة الامور كلها الى انفسكم وانها انما صدرت عن امركم وبانكم من غير
مشارك في شي منها لكم ثم منتم بها المن القبيح المبطل لعملكم على تقدير التسليم
في فعله لكم ورميتم غيركم بالتقصير تعالى الله كل طريقة من يبصر القذى في عين اخيه ويدع
الجذع في عينه واقتفيتم نسبي للحبا ايام كونكم بالاندلس تقلد كلفة بعضنا الجماعة
وما كان الا ان وليتها بقضا الله وقدره فقد تبين لكل ذي عقل سليم انه لا يوجد
الا الله واذا كان كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية حاصلا بايجاده سبحانه
وتخليقه وتكوينه من غير عاضد له على تحصيل مراده ولا معين ولكنه جلت قدرته
وعد فاعل الخير بالثواب بفضل منه واوعد فاعل الشر بالعقاب عدلا منه وكاني
بكم تضحكون من تقدير هذه المقدمة وما احوجكم الى تاملها بعين اليقين فكانت
ايام تلك الولاية النكدة من النكاية باستجهادكم للقضايا الشرعية وتبادركم

بالامور الدينية ما يعظم الله به الاجر وذلك في جملة مسايل منها مسالة ابن الزبير المعقود
على الوتر قد تجد تقضي موجبا نزع على كره منكم ومنها مسالة ابن ابي العيش المتقف
في السجن على ارايه المضلة التي كان منها دخوله على زوجة اثر تطليقه اياها
بالثلاث وزعمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره مشافهة بالاستمتاع بها
فحملتم احد ناسكم بنا والاخراج من النفقات من غير مبالات باحد ومنها ان احد
الفتيان المتعلقين بكم لو وجبت عليه المطالبة بدم قتيل وسيق المدعي عليه للذبح
بغير سكين قفا وسعى بمقتضى الدين الا حبسه على ما احكمته السنة فانفتم
لذلك وسجنتم المطالب ولي الدم وسرحتم الفتى المطلوب على الفور الى غير ذلك
مما لا يتسع الوقت شرحه ولا يعذر في ولا بكم ذكره والمسالة الاخرى انتم توليتم كبرها
حتى جرى فيها القدر بما جرى من الانفصال والحمد لله على كل حال واما الرمي بكذا
وكذا مما لا علم لنا بسببه ولا عذر لكم من الحق في التكلم به ● فشيء قلما يقع مثله
من البهتان ممن كان يرجوا لقا ربه ● وكلامكم في المدح والهجو عندي من قبيل
اللغو الذي نمر به كراما والحمد لله فكثروا او قللوا من اي نوع شيتم انتم وما ترضو
لانفسكم وما فهمت لكم مما فهمت من الكلام الا على جهة الاعلام لا على جهة الانتحال
لما صدر او يصدر عنكم من الاقوال والافعال فمذهبي غير مذهبكم ومحتدي ما لسو
عندكم وكذلك رايتكم تكثرون في مخاطباتكم من لفظ الرقية في موضع الانكار
لوجود نفعها والرمي بالمنقصة والحكم بالحمق لمستعملها ولو كنتم قد نظرتم في
شيء من كتب السنة وسير الايمة المهتدين لظهر مصداق لها وسعكم انكار ما انكرتم وكتبه
بخط يدكم فهو قادح كبير في عقيدة دينكم فقد ثبت بالاجماع في سورة الفلق انها
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وان المراد بها هو واحد امته وفي امهات الاسلام
الخمس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى رقاه جبريل فقال
بسم الله يبريك ومن كل دا يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر كل ذي
عين وفي الصحيح ايضا ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا
في سفر فمروا بحي من احيا العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقالوا لهم هل فيكم
راق فان سيد الحي لديغ او مصاب فقال رجل من القوم نعم فاتاه فرقاه بفاتحة
الكتاب فبرى الرجل فاعطي قطيعا من غنم الحديث الشهير قال اهل العلم فيه
دليل على جواز اخذ الاجرة على الرقية والطب وتعليم القران وهو قول مالك واحمد
والشافعي وابي ثور وجماعة من السلف وفيه جواز المقارضة وان كان ضد ذلك
احسن وفي هذا القدر كفاية وما رقيت قط احدا على الوجه الذي ذكرتم ولا استرقيت
والحمد لله وما حملني على تبيين ما بينته الان لكم في المسالة الا ارادة الخير التام
لجنسكم والطمع في اصلاح باطنكم وظاهركم فاني اخاف عليكم من الافتضاح بالطعن

في الشريعة ودمي علمائها بالمنقصة على عادتكم وعادة المستخف ابن هذيل شيخكم
منكر علم الجزئيات القائل بقدم قدرة الرب جل اسمه على جميع الممكنات وانتم قد استحللتم
الجواز اناس اعلام فلما يجوز عليهم حفظهم الله المغالطات فناسبكم شهادة العدول
التي لا مدفع لكم فيها وتبع الفضيحة والدين النصيحة اعاذنا الله من درك الشقا
وشماتة الاعدا وجهد البلا وكذلك احذركم من الوقوع بما لا ينبغي في الجناب الرفيع
جناب سيد المرسلين وقائد الغر المحجلين صلوات الله وسلامه عليه فانه نقل عنكم في هذا
الباب اشيا منكرة يكبر في النفوس التكلم بها انتم تعلمونها وهي التي زرعت في القلوب
ما زرعت من بغضكم وايسا دبعدكم مع استشعار الشفقة والوجل من جرائم عليكم
ولو انكم ساويتم قبل تقلص ظل السلطنة عنكم لكانت الامة المسلمة استغاثتنا
لدينها ودنياها قد بورزت بهذه الجنايات لطلب الحق منكم فليتبين بعلم انه صدر عن مثلكم
من خدام الدول ما صدر عنكم من العبث في الابشار والاموال وهتك الاعراض وافشا
الاسرار وكشف الاستار واستعمال المكر والحيل والغدر في غالب الاحوال للشريف
والمشروف والخديم والمخدوم ولو لم يكن في الوجود من الادلة على ما رضيتم به لنفسكم
من الاتسام بسوء العهد والنجاد المحض وكفران النعم والركون الى ما يحتمل من الحطام
الا علكم مع سلطانكم مولاكم وابن مولاكم ايده الله بنصره وما ثبت من مقالكم
الشنيعة فيه وفي الكثير من اهل قطره لكفاكم وصمة ابقيتم ونسيها البحر وايستى
غابرها الدهر فانكم تركتموه اولا بالمغرب عند تلون الزمان وذهبتم للكدية والاخذ
بمقتضى المقامة الساسانية الى ان استدعاه الملك وتخلصت له بعد الجهد الاندلس
فتسقطتم تخلية سقوط الذباب على الحلوا وضربتم وجوه رجاله بعضها ببعض حتى
خلا لكم الجو وتمكن الامر والنهي فجمرتم ولمرتم وجمعتم من المال ما جمعتم ثم وريتم
بتفقد ثغور الجزيرة الخضرا مكرا منكم فلما بلغتم ارض الجبل انحرفتم عن الجادة
وهربتم بانفسكم الهروب الذي انكره عليكم كل من بلغه حديثكم او يبلغه الى
اخر الدهر في الحدود ثني من مومن وكافر وبر وفاجر فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة
بتصرفاتكم حاذم او يثق بكم في قول وفعل صالح او طالح ولو كان قد بقي لكم من
العقل ما تتفكرون به في الكيفية التي ختمتم بها عملكم لما انتبهتم من الزيادة في المعرم
وغيره لك مما لكم ورده وردته عملكم به لعدكم الى يوم القيامة حسبما ثبت في الصحيح
لحملكم على مواصلة الحزن وملازمة الاسف والندم على ما او فرطتم فيه انفسكم الامارة
من التورط والتنشط في اشطان الامال ودسائس الشيطان ونعوذ بالله من شرور
الانفس وسيئات الاعمال واما قولكم عن فلان انه كان حسنة في قلوب الغزوات
فلانا كان موعوظا في ثوب الخمول فكلام سفسفنا فيه الك لكم من الجواب عليه وانتم
يا هذا اين كنتم منذ خمسين سنة مثلا حلو البدر الحلوة الا استظهار بهم ولا استكثار

وانتم

وانتم كالمتقدمين احدا وافظوا ذا واستقلوهم في الارض بقدامة امما وبعد عصر اعصارا
وكلفهم شرائعه واحكامه فلم يتركهم هملا وامرهم ونهاهم ليبلوهم ايهم احسن عملا ان اكرمكم
عند الله اتقاكم ونحلا عبادا فلا نعلم في نمط الطلبة بذبحا كان اسمج من تدبيجكم
وتبدلكم اذا كان كذا وكذا واكثر اهل زمانه تنحلا وتقللا في نفسه بالنسبة الى منصب
ابن الجياب ولكنه حين علم رحمه الله من شانكم وما لكم ما علم نبذ مصاهرتكم وقرت
عليكم مدائنكم وكذلك فعلت بنت جوزي زوج الرهيني معكم حسبما هو مشهور في
بلدكم وذكرتم انكم ما زلتم من اهل الغنى حيث تعرضتم بذكر العرض وهو بفتح العين
والراء حطام الدنيا على ما حكى ابو عبيد قال ابو زيد وهو بسكون الرا المال
الذي لا ذهب فيه ولا فضة واي مال حال العرض يعلم لكم او لابيكم بعد الخروج من النفاق
فكل ما كان قد تبقى عندكم من مجي قرويتم متزايل من الحد دار الذي بورثتكم ايام
كانت اشتغال الطعام بيدكم على ما شهد به الجمهور من اصحابكم واما الفلاحة
التي اثرتم الينا فلاحظ لكم فيها اذ هي في الحقيقة لبيت مال المسلمين مع ما بيدكم
على ما تقرر في الفقهيات فالمعدوم شرعا كالمعدوم حسا ولو قيل من اهل
المعرفة بكم لعظم ما لديهم حسن سقطاتكم في المال والعيال فلم يضر الى دفع معرتها
عنكم وجه التاويل لكانت قصة ابنكم ثانية لمسافة ابي الخير بن ابي الشن الحادثة ايام
خلافة الحكم المسطورة في نوادر ابي الاصبغ ابن سهل فاعلموا ذلك ولا تحملوا الشارع
عليكم قديما وحديثا بلزوم الصلوات وحضور الجماعات وفعل الخيرات والعمل
على التخلص من التبعات ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله
الغرور وقلتم في كتابكم ابن الخطط المتوارثة عن الاباء والاجداد وقد ذهب عنا
ببركة الملة المحمدية عنجهية الجاهلية في التفاخر بالاباء ولكني اقول لكم على جهة المقابلة
لكلامكم ان كانت الاشارة الى الحسب فذا من المعلوم المتحقق عند فضلاء الناس
انه من حيث الاصالة احد اماثل قطره قال القاضي ابو عبد الله بن عسكر
وقد ذكره في كتابه من سلفي فلان بن فلان ما نصه وبيته بيت فضل وعلم وجلالة
لم يزالوا يتوارثون ذلك كابرا عن كابر استقضى جده المنصور ابن ابي عامر وقال غيره وغير
وبيدي من عهود الخلفا وصكوك الامرا المكتتبة بخطوط ايديهم من لدن فتح جزيرة
الاندلس والى هذا العهد القريب ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والجاحد
والمنة لله وحده وان كانت الاشارة للخير من الاصحاب في الوقت حفظهم الله بكل
واحد منهم اذا نظر اليه بعين الحق وجد اقرب منكم نسبا للخطط المعتبرة واولى
بميراثها بالفرض والتعصيب ومساويا على فرض المسامحة لكم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره حرام دمه وماله وعرضه
ونوح الطريقة اقول فنقول من كان يا فلان من قومكم في عمود نسبكم نبيها مشهورا

وكانا قبلكم معروفا او شلوا مطبوعا او رجلا نبيها مذكورا ولو كان يا لوشاد كان لكا
من الواجب الرجوع الى التناصف والتواصل والتواضع وترك التحاسد والتباغض والتقاطع
ان الله لا ينظر الى صوركم وابدانكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وكذلك العجب كل العجب
من تسميتكم لجريات التى شرعتم فى بنايهما بدار السلامة وهيهات هيهات المودى
من الدنيا انما دار بلاء وخلاء وعناء وفنا ولعل يكون من الموعظ الواقعة بتلك الدار
فى الوقت الاموت سعيدكم عند دخولها اغناكم عن العلم اليقين بما لها وا طهرتم
سورا كثيرا انما قلتم انكم ملكتم حيث انتم من الشهوات التى ذكرتمان منها الاكثار
من الاكل والحرق والعقود بان جارية الما على قطع الجلد والامساك اولى بالجواب
على هذا الفصل فلا حقا بما فيه من الخشية والخبايث والخبث وبالجملة فثمرا العقل
انما ينبغى ان يكون بما يجد تقدمه من زاد التقوى للدار الباقية فالعيش كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم العيش الاخرة فقدموا ان قبلتم وصاة الحبيب
او البغيض بعضا عسى ان يكون لكم وان تخلفوا فلا يكون عليكم هذا الذى قلته
لكم وان لدى من يقع عليه من نمط الكثير فهو باعتبار المكان ومقام من الزمان
فى حيز اليسير وهو فى نفسه قول حق وصدق ومستند اكثره كتاب الله وسنة محمد
رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى ساير انبيائه فاحمدوا الله العلى
العظيم على تذكيركم به اذ هو جار مجرى النصيحة الصريحة يسرنى الله واياكم لليسرى
وجعلنا ممن ذكر فانتفع بالذكرى والسلام انتهى كلام القاضى ابى الحسن النباهى
فى كتابه الذى خاطب به لسان الدين رحمه الله وان هذا الكلام الذى صدر من ابى الحسن
فى حق مثل لسان الدين رحمه الله فى تولى ابى الحسن المذكور القضاء وهو هذا
ظهير كريم انتج مطلوب الاختيار قياسه • ودل على ما يرضى الله عز وجل التماسه
واطلع نور العناية يجلو الظلام نبراسه • واعتمد بما به العدل • من عرف بافتراع
هضبتها ناسه • والتى بيد المعتمد به زمام الاعتقاد الجميل بتوزيع انواعه اجناسه
وشيد مبنى العز الرفيع فى قبة الحسب المنيع • وكيف لا والله بانيه والمجد اساسه •
امر به • وامضى العمل بمقتضاه وحسبه امير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا امير المسلمين
ابى الحجاج ابن مولانا امير المسلمين ابى الوليد اسماعيل ابن فرج بن نصر ايد الله امره •
وخلد مفاخره لقاضى حضرته العلية • وخطيب حمرايه السنية المخصوص لديه بترفيع المزيد
المصروف اليه خطاب العناية بالبلدة النصرية قاضى الجماعة ومعرف الاحكام الشرعية
المطاعة • الشيخ الكذا ابى الحسن ابن الشيخ الكذا ابى محمد بن الحسن وصل الله سعادته
وحرس مجادته • وسنى من فضله امداده • عصب منه جبين المجد بتاج الولاية واجال
قداح الاختيار حتى بلغ الغاية وجاوز النهاية • فالفى منه بيمين عرابة الدراية
واجل منه محل اللفظ من المعنى والاعجاز من الاية • وحشر المرعات توشيعه وجوه

البر

البر واعتبار الجباية • وانطق بتبجيله السن اهل حيله بين الافصاح والكناية • ولما كان
له المنتمى الاصيل التى شهدت به ورقات الدواوين والاصالة التى قامت عليها صحاح
البراهين واما با الذين اعتمدهم قضاتهم الدين • وطبقوا مفاصل الحكم بسيوفهم
الحق المبين • وازدانت بمجالسهم ومراتبهم السلاطين • فمن فارع حكم او حكيم تدبير •
وقاض فى الامور الشرعية ووزير • او جامع بينهما جمع سلامة لا جمع تكسير • تفرد
ذلك واطرد ووجد مشرع المجد عذبا فورد • وقصرت النظراء عن مداه فانفرد •
وفرى الفرى فى يد الشرع فاشبه السيف البرد • وجاء اعقابهم محييا لما درس
لما حقق ودرس جانيا لما غرس السلف المبارك واغترس • طاهر النشأة وقورها
محمود السجية مشكورها متحليا بالسكينة حالا من النزاهة بالمكانة المكينة
ساحبا اذيال العفوف بعيدا عن الاتصاف بالفساد من لدن الكون • فخطبته
الخطط العلية • واغتبطت به المجادة الاولية • واستعملته دولته التى ترتاد
اهل الفضايل للرتب • واستظهرت على المناصب بابناء التقاء والحسب • والفضل
والمجد والادب • ممن يجمع بين الطارق والتالد والارث والمكتسب • فكان معدود
من عدول قضاتها • وصدور نبهائها • واعيان وزرائها • وولى ابانها
فلما زان الله خلافته بالتمحيص • المتحلى من التخصيص • وخلص ملكه الامثل •
كالذهب الابريز بعد التخليص • كان ممن صحب ركابه الطالب للحق بسيف الحق • وسلك
فى مظاهرته اوضح الطرق وجادل من حاده باتقى من الحداد الذلق واشتهر خبر
وفائه فى الغرب والشرق • وصلى به صلاة السفر والحضر • والامن والحذر • وخطب
به فى الاماكن التى بعد بذكر الله عهدها • وخاطب عنه ايده الله المخاطبات التى
حمد قصدها حتى استقل ملكه فوق سريره • وابتهج منه الاسلام باميره وابن
اميره • ونزل الستر على العباد والبلاد ببركة ايالته ويمن تدبيره • وكان الجليس
المؤنس المحل والحظى المشاهد فى العقد والحل والرسول المؤتمن على الاسرار • والامير
على الوظايف الكبار • مزين المجلس السلطانى بالوقار • ومستحق الملك
بغرايب الاخبار • وخطيب منبره العالى فى الجماعات • وقارى الحديث لديه فى
المجتمعات ثم راى ايده الله ان يشرك رعيته فى نفعه ويعرف عوايد الحظوة على
مزيد رفعه • ويجلسه مجلس الشارع صلوات الله عليه لايضاح شرعه واصله الوثيق
وفرعه وقدمه اعلى الله قدمه وشكر الاءه ونعمه • قاضيا فى الامور الشرعية وفاصلا
فى القضايا الدينية بحضرته غرناطة العلية تقديم الاختيار والانتقاء وابقاء لهم
فخر السلف على الخلف والله يمتعه بطول البقاء فليتول ذلك عادلا فى الاحكام الحكم
مهتديا بنور العلم مسويا بين الخصوم حتى فى لحظه والتفاته متصفا من الحلم بافضل
صفاته • مهيبا بالدين روفا بالمومنين جزلا فى الاحكام مجتهدا

في الفصل بامضى حسام • مراقبا لله عز وجل في النقض والابرام • واوصاه بالمشورة التي
تقدح زناد التوفيق • والتثبت حتى يتضح قياس التحقيق • بادا بمشيخة اهل الفتوى
عاما الى سعة الاقوال عن المضيق • سايرا من مشورة المذهب على اهدى طريق • وصية
اصدرها له مصدر الذكرى التي تنفع • ويعلي الله بها الدرجات وترفع • والاهتمام عن الوصا
غني • وقصده قصد سني • والله عز وجل ولي اعانته • والحارس من الشبهات اكناف
ديانته • والكفيل بحفظ من الشبهات وصيانته • واما يرحم الله ان ينظر في الاحباس
على اختلافها • والاوقات على شتى اصنافها • واليتامى التي استدلت كفالة القضا
على ضعافها • فيذود عنها طوارق الخلل • ويجري امورها بما يتكفل لها بالامل • وليعلم
ان الله عز وجل يراه • وان فلتات الحكم تعاوده المراجعة في اخراه • فيدرع جنة تقواه •
ويتبعات من يقول ان الهدى هدى الله • فعلى من يقف عليه ان يعرف قدر هذا الاجلال •
حانيا منصبه من الاخلال • مبادرا امره الواجب امتثال بحول الله وكتب في الثالث
من شهر الله المحرم فاتح عام اربعة وستين وسبعماية عرف الله فيه هذا المقام العلي عوارف
النصر المبين والفتح القريب بمنه وكرمه فهو المستعان لا رب غيره انتهى • ونظير
هذا ما انشاه لسان الدين على لسان سلطانه للكاتب ابي عبد الله بن زمرك حين
تولى كتابة السر وكتب هذا ظهير الدين كريم نصب المعتمد به للامانة الكبرى ببابه
فرفعه وافرد له متلو العز وجمعه • واوتره وشفعه • وقربه في بساط الملك تقريبا
فتح له ابواب السعادة وشرعه • واعطاه لوا القلم الاعلى فوجب على من دون رتبته
من اولي صنعته ان يتبعه • ورعى له وسيلته السابقة عند استخلاص الملك لما ابتزه
الله من يد الغاصب وانتزعه • وحسبك من ذمام لا يحتاج الى شي معه امر به امير المسلمين
محمد للمكنا الكذا فلان وصل الله سعادته وحرس مجادته اطلع له وجه العناية ابهى
من الصبح الوسيم واقطعه جناب الانعام الجسيم وانشقه ارواح الحظوة عاطر النسيم
ونقله من كرسي التدريس والتعليم • الى مرقى التنويه والتكريم والرتبة التي لا يلقاها
الا ذو حظ عظيم • وجعل اقلامه جيادا لاجالة امره العلي • وخطابه السني في ميدان
الاقاليم • ووضع في يده امانة القلم الاعلى جاريا من الطريقة المثلى على النهج القويم
واختصه بمزية الشفوف على كتاب بابه والتقديم • لما كان ناهض الفكر في طلبه حضرته
زمن البداية • ولم تزل تظهر عليه ولها التمييز مخايل هذه العناية فان حضر في حلق العالم
جلى في حلبة الحفاظ الى الغاية • وان نظم او نثر اتى بالقصائد المعقولة • والمخاطبات المنقولة
فاشتهر في بلده وغير بلده وصارت ائمة العناية طوع يده بما اوجب له المزية في يومه وغده
وحين رد الله عليه ملكه الذي جبر به جناح الاسلام • وزين وجوه الليالي والايام • واذال
الضيا من الاظلام • كان ممن وسمه الوفا وشهره • وعجم الملك عود خلوصه وخبره مجد اثره
ونكوظاهره ومضمره واستصحب على كاهله الذي صحب اليمن سرمه • واخلصت الحقيقة نفره ••

وكفل الله ونده وصدره • ميمون النقيبة حسن الضريبة • صادقا في الاحوال المريبة
ناطقا عن مقامه بالمخاطبات العجيبة • واصلا الى المعاني البعيدة • ما لعبادة الموهبة
مبرزا في الخدم القريبة • حتى استقام العماد • ونطق بصدق الطاعة الحي والجماد • ودخلت
في دين الله افواجا العباد والبلاد • فلله الحمد على نعمة النزرة العهاد • ولما بدت المتوالية التزداد
رعي له ايده الله هذه الوسايل • وهو احق من رعاها • وشكر له الخدم المشكور مسعاها
فقصر عليه الرتبة الشما التي خطبها بوفايه • والبسه اثواب اعتنايه • وفسح له مجال
الايه • وقدمه اعلى الله قدمه كاتب السر • وامين النهي والامر • تقدم الاختيار بعد
الاختبار • والاغتباط بخدمته الحسنة الايثار • وثمن باستخدامه قبل الحلول بدار
الملك والاستقرار • وغير ذلك من موجبات الاكبار • فليتول ذلك عارفا بمقداره
مقتفيا الا ثاره • مستغنيا بالكتم لاسراره • والاصطلاع بما يجد من امانته وعفافه
ووفايه • معطيا هذا الرسم حقه من الرياسة • عارفا بان اركان السياسة اكبر
حتى يتاكد الاغتباط • بتقريبه وادنايه • وتتوفر اسباب الزيادة في اعلايه • وهو ان
شا الله غني عن الوصاة فيما ناقبا سدد لعنايه • وهو ليعلم في ذلك اقصى العمل المتكفل
ببلوغ الامل • وعلى من يقف عليه من حملة الاقلام • والكتاب الاعلام • وغيرهم من الكفاة
والخدام • ان يعرفوا قدر هذه العناية الواضحة الاحكام • والتقديم الراسخ الاقدام •
ويوجبوا له ما اوجب من البر والاكرام • والاجلال والاعظام • بحول الله وكتب في كذا انتهى •
فانظر اصلحني الله واياك من الاغيار • وكفانا شر من كفر الصنيعة التي هي على النقص
عنوان ومعيار • الى حال الوزير لسان الدين بن الخطيب مع هذين الرجلين القاضي ابن الحسن
والوزير بن زمرك اللذين تسببا في هلاكه حتى صارا انوا ابدعيني مع تنويهه بهما
في هذا الانشا وغيره • وتنقيبها كما هو معلوم ظلال خيره • فقابلاه بالغدر • واظهرا
عند الامكان حقد القلب • وغل الصدر • وسددا الفتك سهاما وقسيا • وصيرا سبيل
الوفا نسيا منسيا ولا حول ولا قوة الا بالله **ومن انشا لسان الدين في حق القاضي**
ابن الحسن ابن الحسن حين اصيفت اليه الخطابة الى القضا على لسان السلطان سلطانه
هذا ظهير كريم اعلى رتبة الاحتفا اختيارا واختبارا واظهر معاني الكرامة والتخصيص
انتقا واصطفا وايثارا • ورفع لوا الجلالة على من اشتمل عليه حقيقة واعتبارا •
ورقى في درجات العز من طاولها على بهرا نوارا • ودنيا كرم في الصالحات اثارا •
وزكا في الاصالة نجارا • وخلوصا الى هذا المقام العلي السعيد الذي راق اظهارا
واضمارا • امر به وامضاه • وانفذ حكمه ومقتضاه • امير المسلمين عبد الله محمد ابن
للشيخ الكذا القاضي العدل الارضى قاضي الجماعة وخطيب الحضرة العلية • المخصوص
لدى المقام العلي بالحظوة السنية • والمكانة الحفية • الموقر الفاضل • الحافظ
الكامل • المبرور ابي الحسن ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل الاعز الماجد الاسنى المرفع

الاجل الاصيل المبارك الاكمل الموقر المبرور المرحوم ابي محمد بن الحسن وصل الله عزته وتوالى
رفعته ومبرته • ووهب من صلة العناية الربانية امله وبغيته • لما اصبح في صدور
القضاة العلماء مشارا اليه بالجلالة مستندا الى معرفته المخصوصة بما له سطرنا على الانا
العلمية والادبية محاسنه البديعة وخصصنا له محفوظا مقعد الحكم النبوي ببركة
عدالته وفضل خلاله • وجلى في هذه الحضرة العلية المحل الذي لا يرقاه الا الاعيان
ولا ينتسوا لمداه الا الاصيل من ابناء المجد الثابت المكان • وموصلي العلم الواضح البرهان
والمبرزين بالمآثر العلية في الخلق والاحسان • وتقدم لقضاء الجماعة فصدرت
عنه الاحكام الراجحة الميزان • والانظار الحسنة الاثر والعيان • والمقاصد التي
وفت بالغاية التي لا تستطاع في هذا الميدان • فكم من قضية جلى بمعارفه مشكلها
وتناول بفهمه فتح ابواب مقفلها • ومسألة عرف نكرتها وفسر مجملها •
حتى قرت بعدالته وجزالته العيون • وصدقت فيه الآمال الناجحة والظنون
وكان في تصديره لهذه الولاية العظمى من الخيرة والخيرة ما عسى ان يكون كان احق
بالتشفيع لولاياته واولى • واجدر بمضاعفة النعم التي لا تزال تترادف على
قدره الاعلى • فلذلك استدركنا له هذا اليوم هذا الظهير الكريم مشيدا بالترفيع
والتنويه • ومؤكدا للاحتفاء الوجيه • وقدمه اعلى الله قدمه • وشكر نعمه
خطيبا بالجامع الاعظم • عمره الله بذكره من علية الخطباء • وكبار العلماء • وخيار
النبهاء الصلحاء • فليتداول ذلك في جماعته • مظهرا في الخطة اثر بركاته وحسناته
عاملا على ما يقربه عند الله من مرضاته • وليظفره بجزيل مثوباته بحول الله وقوته
انتهى • فهذا ثناء لسان الدين المرحوم على القاضي ابن الحسن واشادته بذكره
واشارته وتدبيره • وولايته القضاء وخطابة الجامع الاعظم بغرناطة • وهذان
المنصبان لم يكن في الاندلس في ذلك الزمان من المناصب الدينية اجل منهما
ولما حصل للسان الدين ما حصل رحمه الله من التفرق عن الاندلس واعمال الحيلة
في الانفصال عنها لعلمه ان سعايات ابن زمرك وابن الحسن ومن يعضدهما تمكنت
فيه عند سلطانه خلص منها على الوجه الذي قدمناه وشمر القاضي ابن الحسن عن
ساعد اذايته والتشنيع عليه بما يوجب الزندقة كما سبق جميعه مفصلا فحينئذ
اطلق لسان الدين عنان قلمه في سب المذكور وثلبه واورد في كتابه الكتيبة
الكامنة في ابناء المائة الثامنة من مثالبه ما انسى ما سطره صاحب القلائد
في ابن باجه المعروف بابن الصائغ حسبما نقلنا ذلك اعني كلام الفتح في غير
هذا الموضع ولم يقتنع بذلك حتى الف الكتاب الذي سماه بخلع الرسن كما المعنا به
فيما سبق والله سبحانه يتجاوز عن الجميع بمنه وكرمه واعلم ان لسان الدين ابن الخطيب
رحمه الله الغاية في المدح والقدح فتارة على طريق الترسل وطورا على غيرها وقد اتفق

وبالغ

وبالغ رحمه الله في هجو اعدائه بما لا تحتمله الجبال وهو اشد من وقع النبال ومنه ما وصف به
الوزير الذي كان استوزره السلطان اسماعيل بن الاحمر الثائر على سلطان ابن الخطيب
حسبما سبق الالماع بذلك والوزير هو ابراهيم ابن ابي الفتح الاصلع العروي اذ قال
في المذكور وفي ابن عمه محمد بن ابراهيم ابن ابي الفتح الفهري العروي بعد كلام ما صورته وما
ظنك برجل مجهول الجد موصوم الابوة الى ان قال تنور خبز وبركة مرقة ونسيان حلوا
وفاكهة معقودة نحو النفس متبال في منتزل الطبع علية العذر يوط الغبي
ابن عمه سفاحة وعوامع كونه قبيح الشكل شنيع الطلعة الى ان قال وفي العشر
الاول من رمضان عام واحد وستين وسبعمائة تقبض على الوزير المشؤوم وابن عمه العرق
المشؤوم وولد العروي مرسل الطرفين ابعد الناس في مهوى الاغترار بحبائل
في السرقة والخليقة سم من سم الغواير والتلامز لذوي الغيرة يروح نشوان ٥
العشيات يرقص بين يديه ومن خلفه عدد من الاخلاق يعاقرون النبيذ في الشكل
الغامضة وولد الغضوب الردي بعدم فاه وتقطيبا تتنبو عنهما العيون ويبكي
منهما الخزر كانهما صما عند المحاورة واظلاما عند اللالاء من ادلى اليه المغتير
ومقتضى خيبر فنقفا مليا وبودر بهما الى ساحل المنكب قال المخبر فما رأيت
منكوبين اقبح شكلا ولا افقد صبرا من ذينك التيسين الحبقيين صلع الرؤوس
فخام الكروش مبهوري الانفاس متلجلجي الالسنة قد ربت بجلد السيف من عنق
كل حبيا منهما سحة الترجيه كانها سنام الحوار لا يثيرون دمعا ولا يستنزلون
رحمة ولا يمهدون عذرا ولا يتزودون من كتاب الله اية قد طبع الله على قلوبهم
واخذهم ببغيهم وعجل لهم سوء سعيهم وللحين اركبوهم وجراوهم ليعني ادلاهم في جفن
غزوي تحف بهم المساعير من الرجال وانتهى بهم الى فرضة محل جاجا الى الاسكندرية
لورية بالقصد فلما لججوا قذف بهم في لجة بعد استخلاص ما صنعوا به وتلكا الاصلع
العروي فانبت بجارحة اشعرتها هديه واختلط الحق بالردي فنال من جناب
الله سخطا وضيقا تعالى الله عن نكيره فكان فرعون هذا الزمان جبروتا وعتوا
ومسيده عجل الله لهم العذاب واغرقهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فسبحان
من لا تقنيع الحقوق مع عدله ولا تتفسخ الامام مع منازعة ذوي الكبرياء من عنه
الانوف وقاطع دابر الكافرين في ذلك اقول مستريحا وان لم تكن علم الله شاني ولا تكرر
في ديواني

• وما كنت ممن يدخل العشق قلبه • ولكن من يبصر جفونك يعشق •

ومن امثالهم من استغضب فلم يغضب فهو حمار والله يقول ومن اصدق من الله قيلا
وجزاء سيئة سيئة مثلها وان تعفوا اقرب للتقوى والقرب والبعد بيده سبحانه
وصدرت هذه الكلمة لحين بعث اجلائهم في الجفن الى الاسكندرية وبعد ذلك

صح هلاكهم

كن من صروف الردى على حذر • لا يقبل الدهر عذر معتذر
ولا تعولنّ على دعة • فانت في قلعة وفي سفر
فكل راي ينقضي الى ظما • وكل امن يدعوا الى غرر
كم شامخ الانف ينثني رغما • بال عليه زمانه وخري
قل للوزير البليد قد ركضت • في ربعك اليوم غارة الغير
يا ابن ابي الفتح نسبة عكست • فلا يفتح انت ولا ظفر
وزارة لم يجد مقلدها • عن شومها في الوجود من وزر
في طالع النحس حزت رتبتها • وكل شي في قبضة القدر
اي اختيار لم تال نصبته • في حسد للنحوس او نظر
بات له المشتري على غير • واحرقت فيه قرصة القمر
يا ظللا ما عليه من عمل • يا شجرا ما لديه من ثمر
يا مفرط الجهل والغباوة لا • يحسب الا من جملة البقر
دايم الحقد والعظاظة لا • يفرق ما بين ظالم وبري
يا كمدا اللون يطفي كمدا • من حسد يستطير بالشرر
يا عدلا سرح يا ذوي مقتعد • ملان من ريبة ومن قذر
يا واهلا للخنا نا شيه • الليل وربا للغراط في السحر
من غير لب ولا مراقبة • لله في مورد ولا صدر
يا خاملا جاهه العروج يرى • صهرا ولي الجاه نحو مفتخر
كانوا نبيطا في الاصل او حبشا • ما عند غيره بمعتبر
يا ناقص الدين والمروة والعقل ومجرى اللسان بالهذر
يا والد السحق غير مكتتم • حديثه يا ابن فاسد الدبر
يا بغل طاحونة يدورها • مجتهد السير مغمض البصر
في اشهر عشرة طحنتهم • فيا رحى الشوم والبوادر
والله ما كنت يا مشوم ولا • انت سوى عرة من العور
ومن ابو الفتح في الكلاب وقل • لجاهل في الانام من خطر
قد ستر الدهر منك عورته • وكان لليوم غير مستتر
خافوت بن يميني على فرش • وتوز عرسي نحيا انه خبر
لا امة تنفي بهم معترك • ولا لسان يبين عن خبر
وايد تنتمي الى كرم • ولا صفا يروح من كدر
عهدي بذاك الجبين قد مليت • غضونه الغمر بالدم الهدر

لمعتزل

عهدي

عهدي بذاك القفا الغليظ وقد • مد لوقع المهند الذكر
اهديك للبحر كي تنتقم • الفلك للحوت كي مقتدر
يا بيتم اولادك الصغار وبا • حيرتهم بعد ذاك في الكبر
يا ثكل تلك الصما امهم • وظاعن الموت غير منتظر
والله لا نال من تخلفه • من امل بعدها ولا وطر
والله لا مستقال لا انقلبت • رحلك منها الا الى سقر
الحقك الله بالهوان ولا • رعاك فيمن تركت من عدد
ما عوقب الليل بالصباح وما • تقدم البرق غارض المطر
انتهى وقال مورياً بدم الاخوين في شان سلطان تلك الدولة الذي افتضح امره بعد عين
ما سماعيل ثم اخيه قينش • ما دون ليل هي بانبلاج
دم الاخوين داوى جرح قلبي • وعالجني وحسبك من علاج
وهذه تورية بديعة لان الاطبا يقولون ان من خاصيته دم الاخوين النفع من الجراح قال رحمه الله قلت في راس الغادر بالدولة •
في فير حفظ الله من هامة • هام بها الشيطان في كل واد
ما تركت حمدا ولا رحمة • في فم انسان ولا في فؤاد
وقال ايضا في تلك الدولة بعد كلام ما نصه وانتدب فامنهم الشيخ المنزاحي الدين والفلان المنخل العصب والعقيد المعرق في العمومية المشهور بقبول الرشوة بن فلان بن فلان العزيب الاسم والولاية ومفتيهم معدن الربا والهوادة والبعد عن التخصص والحشمة والمثل في العماة والظرف في الهمالك على الحطام فلان البنا المسخر في بنا الحفيرة المستخدم في دار ابنه اجيرا محتميا بالطين معانيا في رمق العيشة وحسبك به دليلا على الحيا وفضل النبوة فلفقوا من خيوط العناكب شبهات تقلدوا بها حل العقد او توديدهم في معارضة صلب الملة بلاد الخبيثه يحكم الوقاح منهم في الحكم الذي نزل به شديدا القوى على الذي لا ينطق عن الهوى بحسب شهوته بحكمه في غزل امة ايثارا للعاجل واسترابة بالوعيد ففسخوا النكاح وحللوا لهم البضع للدابر وقد تاذن الله بفسخه واجرى دمه نقدا قبل وقع فقد سبحانه حكم الحكام وقاهر الظلام وباسنحة النسوا بلعنة الله وسوء الاحدوثة ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا انتهى ومن كلامه في نقاضة الجراب وقد ذكر وزير المغرب محمد بن علي ابن مسعود ما ملخصه وانه مجنون احول العين وحشي النظرة يطن به الغضب في حال الرضى يهيج به المرار فيكمن زمانا خلف كله مر قدم يدخل اليه وغا الحاجبين خوفا من امحاده الى فضا منزله وتوحشه من اهله وولده الى ان نفعت سورة المرة

فيخف امره قد يأتي زوجه مع السحاب رواق دواق التشبيبه وتوفر داعية الغبطه لخلف جرم الوسواس السوداوي فيندفع باسه شر بلائه فاستعان متشوق زده منه براي الفضل بن سهل ويحيي بن خالد وامثالهما تدارك الله رمق الاسلام بلطفه انتهى ولما دخل لسان الدين رحمه الله مدينة مكناسة الزيتون باحر قاضيها الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد ابن علي ابن ابي رمانة عن لقايه يوم دخوله فكتب اليه عابثه

جفا ابن ابي رمانه وجه مقدمي • ونكب عني معرضا وتحاماني
وحجب عني وجهه غير جاهل • باني ضعيف والمبرة من شاني
ولكن راني مغربيا محققا • وان طعامي لم يكن حب رماني

زيادة القاضي اصلحه الله لستلني عن اعفائه ولا يرجوه • تحب من وجود ادلها كونى ضيفا من ابعد على الاختيار زيفا • ولا يخرم مؤانسته حيفا • وفضلا عن ان تشرع رمحا • او تسل سيفا • وثانيهما اني امتاليه من الطلب • بنسب بين موروث ومكتسب وقاعدة الفضل يدور بها الحق واصلها • والرحم كما علم من عولمن وصلها • وثالثها المبدا في هذا الغرض • ولكن لو ولا تترتب الا بالعرض • وهو انقطاعي لمن المولى ايده الله تانيسي • ووصفه اياي بمونسي وجليسي • ورابعها وهو على كيسى وهو برخليي • وقافيه تخنيسي • ومقام تلويني وتلبيسي • مودة رئيس هذا الصنف العلمي ورئيسي • فليت شعري ما الذي عارض هذه الاصول الاربعة ودحض مزاعمها المتبعة • الا ان يكون عمل اهل المدينة ينافيها • فهذا يحسب النفس ويكفيها • وان تعذر لقا او استدعا • وعدم طعام او وعا • ولم يقع نكاح ولا استدعا • فلم يتعذر عذر يقتضيه الكرم • والمنصب المحترم فالجله الى التماس الحدوات استباق • والعرف بترامعدوا للناس باق • والعيرة على لسان مثله مفروضة • والاعمال معروضة • والله ايستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة • وان كان لدى القاضي في ذلك عذر فليفده • واولى الاعذار به انه لم يقصد والسلام انتهى • ويعني بالمولى السلطان ابا سالم بن السلطان ابي الحسن المريني وبرئيس هذا الصنف العلامة الخطيب • ابا عبد الله بن مرزوق رحم الله الجميع ومن كلام لسان الدين رحمه الله رسالة في احوال خدمة الدولة ومصايرهم وتنبيههم على التعرض عواقب الرياسة بعيون بطايرهم عن فهمته عن ذوق ووجدان وليس الخبر كالعيان وخاطب بها الامام الخطيب عين الاعيان سيدي ابا عبد الله بن مرزوق وكانه اعنى لسان الدين اشار ببعض فصولها الى نفسه ونطق بالغيب في نكبته التي قادته الى رمسه • وكان ذلك منه عندما اراد التخلي عن خدمة الملوك • والتحلي بزينة اهل التصوف والسلوك فلم يرد الله ان تكون مهجته نايله عن ساحة الطلمة خارجة • واراد سامحه الله وغفر له عما قاماد الله

خارجة • وصورة ما قال رحمه الله ولحسبت منه يعني ابن مرزوق في بعض كتبه الواردة الي تماغيه الى الدنيا وخنينا لما تلاه من عزورها فحملني الطور الذي اتكبته في حقق الايام بتوفيق الله على ان اخاطبه بهذه الرسالة وخصها ان يجعلها خدمة الملوك مما يجتنب الى نيل ويلم بموقفه مصحفا درسه وشعارا لا يلتزمه وتيا الذي يستبك تدع الينبعنا لتذهب بشهرتها المكافات • ولم تختلف في مدحها الافعال ولا تعايرت الصفات ولا نال العتزف بها العظام الرفات • اطلعك الله من اسرار الكون كما اطلعك من اسر بعضه • وزهدك في سمايه الفانية وفي ارضه • وحقر الحظ في عين بصيرتك بما يحملك على رفضه • اتصل بي الخبر السار • من تركك لشانك • واجتنا الله اياك ثمرة احسانك واجتنابك ظلام الشر الحالك • عن افقك الحالك • فكبرت وفي الفرح من بعد الشك اعتبر لا يستوي ذلك من رضي مخلوق يوم ونيا تم • ويدعوه العقنا فيبتدر انما هو في • وظل ليس له من الا رتج • ونساله جل وعلا ان يجعلها اهم عهدك بالدنيا وبنيها • واول معارج نفسك التي تقربها من الحق وتدنيها • وكاني والله احس بثقل هذه الدعوة على سمعك • ومضاديتها • ولا حول ولا قوة الا بالله لطبعك • وانا انازلك الى العقد الذي هو قسطاس الله في عالم الانسان • والاله لبث العدل والاحسان • والملك الذي يبين عنه ترجمان اللسان • فاقول ليت شعري ما الذي غبط سيدي بالدنيا • وان بلغ من زبرجها الرتبة العليا • وتقوض المنال بجال اقبالها ووصل حبالها • وخشوع جبالها وضراعة سبالها • الموقع المكروه صباحا ومسا • وارتقاب الحوالة التي تذيل من النعيم الباسا • ولزوم المنافسة التي تعادي الاشراف والروسا • الرتب العتب على التقصير في الكتب • ومنغبنه جار الجنب • وولوع الصديق باحصا الذنب • النغبة وقايح الدوله اليك وانت برى • ولطويقك الموبقات وانت منها عرى • الاستهدافك للمضار • التي تنتجها غير الغروح • والاحقاد التي تضبطها ركبة السروج ورحه المروج • ونجوم السماوات البروج • البقليدك التقصير • فيما ضاقت عنه طاقتك • ومحنة اليه فاقتك • عن حاجة لا يقتضي قضاها الوجود • ولا يكفيها الركوع للملك والسجود • القطع الزمان بين سلطان يعبد • وسهام للعيوب تكبد • ومجاجة تتلبد • واقتوحة تحلو وتوبد • الوزير يصانع ويداري • وذي حجة صحيحة يجادل في مرضات السلطان ويماري • وعورة لا تواري • المباكرة كل عدب حاسد • وعدو مستاسد • وسوق للانصاف والشفقة كاسد وحال فاسد • الوفود تتزاحم بسدتك مكلفة لك غير ما في طوقك • فان لم يقع الاسعاف قلبت عليك السماء من فوقك • الجلسا ببابك • لا يقطعون زمان رجوعك واياك • الا بقبيح اغتيابك • فالمنصرفات نعت • والقواطع توقفت • والالا في نبت • والسعايات تحث • والمساجد يشتكي في خلوها البث

يعتقدون ان السلطان في يدك بمنزلة الحمار المربوط . واليتيم المحجور . والاسير المامور
ليس له شهوة ولا غضب . ولا امل في الملك ولا ارب . ولا موجب لاحد كاسنة . والمستر
مامنه . والحق في نفسه عن تمام يغرم . ولا بار اما لا يعتمد نرده واطرحه . انما هو
جارح لصيدك . وعاني في قيدك . واله لنصرك وكيدك . وانك علة جيفته .
ومسلط سيفه . الشرار يسملون عيون الناس باسمك . ثم يرفون بالغنيمة مرق
جسمك . قد تخلهم الوجود اخبث ما فيه . واختارهم السفيه فالسفيه . اذا الخير
يسنتره الله على الدول ويخفيه . ويقنعه بالقليل فيكفيه . فهم يتماحون بك
ويولونك الملامة ويفتحون عليك القول ويسدون طرق السلامة . ولتس لك
في انتا هذه الامال يعوزك مع ارتفاعه . ولا يعوزك مع اتساعه . وذهاب
صداعه . من غذا يشبع . وثوب يقنع . وفراش ينيم . وخديم يقعد ويقيم .
وما الفائدة في نوبتي تحتها جمر الغضا . وما المراد به سوء القضا . وجاه يحلو
عليه سيف منتضى . وادا بلغت النفس الى الالتذاذ بما لا تملك . والحجاج حول
المسقط الذي يعلم انها فيه تهلك . فكيف ينسب الى نبل . او يسير من السعادة
في سبل . وانا وجدت في القعود بمجلس الصحبة لبعض الاريحية . فليت شعري هل تتراودها
او تمنعني انادها . الا مباكرة وجه الحاسد . وذي القلب الفاسد . ومواجهة العدو
والمستاسد . او شموت ببعض الايناس . في الركوب بين الناس . فما النزت الا
علم كاذب . او جرنبا غير الغرور بجاذب . انما ونكبك من يحدق الى الحلية والبزة
ويستطيل مدة الغرة . ويرتاب ذا حدثت بخبرك . ويتتبع بالنقد والتجسس
مواقع نظرك . ويمنعك من مشاورة انيسك . ويحيل على نزاع كيسك وليضمر
الشر لك ولرئيسك . واي راحة لمن لا يباشر قصده . ويمشي اذا شا وحده . ولو
صح في هذه الحال حظ وهبة رهينا . او عين الرشد علاجيدا . لساغ الصاب
وخفف الاوصاب . وتيسر المصاب . لكن الوقت اشغل . والفكر اوغل . والدين
تدعو الحصص الوهمية . واستنفذت منه الكمية . اما ليله فكفر او نوم . وعتب
بجرا الصابر ولوم . واما يومه فتدبير . وتبييل دبير . وامور ليس بها بصير . وبلا
مبير . ولغط لا يدخل فيه حكم كبير . وانا بمثل ذلك خبير . وو الله يا سيدي ومن
فلق الحب . واخرج الاب . وذرا من مشى ومن دب . وسمى نفسه الرب . لو تعلق
المال الذي يحويه هذا القدح . ويؤدي سقيطه هذا القدح . باذيال الكواكب
وزاحمت البدر بدره بالمناكب . لما ورثه عقب . ولا خلص به محتقب . ولا فاز به
سار ولا منتقب . والشاهد الدول . والمتشايم الاول . فاين الرباع المقتنات
واين الديار المبتناه . واين الحوايط المغترسات . واين الذخاير المختلسات . واين
الودايع المؤملة . واين الامانات المحملة . تاذن الله بتتبيرها . واذنا بار التبار
من دنانيرها . فقلما تلقى اعقابهم الا على الظهور . متر متفين لجرايات الشهور .
متعللين بالهبات المنثور . يطردون من الابواب التي حجب عنها اباوهم . وعرفهم
اباوهم . وثم من مقاصيرها عبيرهم وكباوهم ولم يسامحهم الايام الا في ارث محذور او خلال
مظنون . وربما محقه الحرام . وتعذر منه المرام . هذه اعزك الله حال متولها مع الترفيه
وما لها المرغوب فيه . وتعلى موضر ان يستوي المعزي في العز مستوفيه . واما ضده من عدم
ويتحكم وينتقم . وحوت لغير يبتلع ويلتقم . ومطبق يحجب الهوا . ويطيل في الترب
الثوا . وثعبان قيد لعض الساق . وشوبوب عذاب يمزق الابشار الرقاق . وقتيله
يهذبها الراقب الفاسق . ويجرعها العدو الناسق . وصرف السوق . وسلعة المعتاد
الطروق . مع الغول والشروق . فلان تمس هذا مغتبط النفس حره . او ما يساوي جرعه
حال مره . واحسنوا للاحلام ضلت . وللاقدام زلت . ويا لها مصيبة جلت .
وليسيدي ان يقول حكمت باستعمال الموعظة واستجفايها . ومراودة الدنيا بين خلانها
والكفايها . وتناسي عدم وفايها . فاقول الطبيب ادرى بالعلل . والشفيق بسوء الظن
مغري . وكيف لا وانا اقف على السحادات بخط يد سيدي من مطارح الاعتقال
ومنافث النوب الثقال . وخلوات الاستعداد . للقا الخطوب الشداد . ونوبي الاسنة
الحداد . وحيث يجمل بمثله الا يصرف في غيره الخضوع لله بنانا . ولا يثني لمخلوق عنانا .
والترى انها قد ملئت الحو والدو . وقصدت الجاد والبو . تقتحم الى ايدي السمات
وحفظ المدعات . واعوان النوب المسلمات . زيادة في الشقا . وقصد ابرؤيا
من الاختيار والانتقا . مشتملة من التجاوز على اغرب من العنقا . ومن النفاق
على اشهر من البلقا . فهذا يوصف بالامامة . وهذا يجعل من اهل الكرامة .
وهذا يكلف الدعا وليس من اهله . وهذا يطلب منه لقا الصالحين وليس من
شكله . الى ما احفظني وانه من البحث عن الشؤوم . وكتب النجوم . والمذموم من العلوم
هلا كان من ينظر في ذلك قد صوطع بنا تا . واعتقد ان الله قد جعل الرمان والشر
ميقاتا . وانا لا نملك موتا ولا نشورا ولا حياتا . وان اللوح قد حصر الاشيا محوا
واثباتا . فكيف نرجوا لما امتنع منالا او نستطيع مما قدر افلاتا . افيدونا ما يرجح
العقيدة المستقرة فنحول اليه . وبينوا الحق لنعول عليه . الله الله يا سيدي في النفس
المرنحة . واللذات المحللات بالفضايل الموضحة . والسلف الشهير الخير . والعمر
المشرف على المرحلة بعد حث السير . ودع الدنيا لبنيها فما اوكس حظوظهم . واخس
لحوظهم . واقل متاعهم . واعجل ارتياعهم . واكثر عناهم . واقصر اناهم .

ما ثم الا ما رايت . وربما تعيي السلامة
والناس اما جاير . او حاير يشكو ظلامه
وانا اردت العز لا . تزل انبي الدنيا فلا بد

والله ما المحتسب المريض • سوى الذنوب والملامة
هل ثم شك في المعاد • للخلق او يوم القيامة
قولوا لنا ما عندكم • الخطابة واهل الامامة

وان رميته باحجاري • واوجرت المرّ استجاري • فوالله ما تلبست اليوم منها ببني قديم ولا حديث • ولا استانست بطبيب فضلا عن خبيث • وما انا الا عابر سبيل • وهاجر من غير سبيل • ومرتقب وعدا قد رضيه الاعجاز • وعاكف على حقيقة لا تؤمن المجاز • فقد زرت من الدنيا كما يزور الاسد • وحاولت المقاطعة حتى بين روحي والجسد • وعسل الله قلبي وله الحمد من الطمع والحسد • فلم ابق عادة الا قطعتها • ولا جنة للصبر الا ادرعتها • اما اللباس فالصوف • واما الزهد فيما بايدي الخلق فمعروف • واما المال الغبيط فعلى الصدقة مصروف • ووالله لو علمت ان حالي هذه تنتصر وعراها لا تنفصل • وان ترتيبي هذا يدوم • ولا يجري الوعد المحتوم • والوقت المعلوم • لمت اسفا • وحسبي الله وكفى • ومع هذا يا سيدي فالمواعظ تتلقى من لسان الوجود • والحكمة ضالة المومن يطلبها ببذل المجهود • ويأخذها من غير اعتبار بمحلها المذموم والمحمود • ولقد علمت بتطرق فيما يكافي على بعض برك • او ينتهي في الفضل الى امدك • فلم ار لك الدنيا كفا هذا لو كنت صاحب دنيا • والفيت بذل النفس قليلا لك من غير شرط ولا ثنيا • فلما الهمني الله لمخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة في قالب الجفا من لا ينبت غير الصفا • ولا يشيم بارقة الوفا • ولا يعرف قاذورة الدنيا • معرفة مثلي من المنتسبين بها المنهمكين • وينظر عوارها الفادح بعين اليقين • ويعلم انها المومسة التي حسنها زور • وعاشقها مغرور • وسرورها شرور • تبين لي انني قد كافيت صنيعتك المتقدمة • وخرجت عن عهدتك الملتزمة • وامحضت لك النصح الذي يعز لعمر الله ذائقه • ويطيب حياتك • ويحيي مواتك • ويريح جوارحك من الوصب • وقلبك من النصب • ويحقر الدنيا واهلها في عينيك اذا اعتبرت • ويلاشي عظائمها لديك اذا اختبرت • كل من تقع عينك عليه حقير قليل • وفقير ذليل لا يفضل بنيه الا باقتفاء رشدا وترك عمائم النبيهة يجردها الغاسل • وعروة عزة يفصلها الفاصل • وماله الحاضر الحاصل • يعبث فيه الحسام الفاصل • والله ما تعين المخلف • الا ما تعين للسلف • ولا مصير الجموع الا الى التلف • ولا صح من الهياط والمياط • والصياح والعياط • وجمع القيراط الى القيراط • والاستظهار بالوزعة والاشراط • والخبط والخباط • والاستكثار والاغتباط • والغلو والاشتطاط • وبناء الصرح وعمل الساباط • ورفع العمد وادارة الفسطاط الا امل يذهب القوة • وينسي الاماد المرجوة • ثم نفس يتصعد • وسكرات تتردد

وحسرات

بحسرات لفراق الدنيا تتجدد • ولسان يتقل • وعين بسهم الفراق تمقل • قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون • ثم القبر وما بعده • والله منجز وعيده ووعده • فالاضراب الاضراب • والتراب التراب • وان اعتذر سيدي بقلة الجلد • لكثرة الولد • فهو ابن مرزوق لا ابن رزاق • وبيده من التسبب ما يتكفل بامساك ارماق • ابن الشيخ الذي يتبلغ الانسان باجرته في كل مجرته • لا بل السؤال الذي لا عار عند الحاجة بمعرفته • السؤال والله اقوم طريقا • واكرم رفيقا • من يد يمتد الى حرام لا يقوم بمرام • ولا يومن من ضرام • احترقت فيه الحلل • وقلبت الاديان والملل • وضعت الابشار • ونحرت العشار • ولم يصل منه على يد واسطة السوء العشار • ثم طلب عند الله نفضح • وبان شومه ووضح • اللهم طهر منها ايدينا وقلوبنا • وبلغنا من الاصراف اليك مطلوبنا • وعرفنا بمن لا يعرف غيرك • ولا يستنزف الا خيرك • يا الله • وحقيق على الفضلا ان كنت سيدي منها الى اشارة او اعملت في اجتلائها امتناده • او لبس منها شارة • او تشوف لخدمة امارة • الا يحسنوا ظنونهم بعدها بابن ناس • ولا يغتروا ببسمة ولا خلق ولا لباس • فما عدا عما بدا تقضي الحمس في سجن وقيد • وعمرو وزيد • وضرو وكيد • وطراد صيد • وسعد وسعيد • وعبد وعبيد • فمتى تنظم الانكاد • ويقل العواد • وتلازم الافكار • وتشام الانوار • وتنجلي الاسرار • ثم يقع الشهود الذي يذهب معه الاضبار • ثم يحق الوصول الذي الله من كل ما سواه العرار • وعليه المدار • وهو الحق الذي ما سواه فباطل • والفيض الرحماني الذي ربابه الابد هاطل • ما شابت مخاطبتي لك شائبة تريب • ولقد محضت لك ما يمحضه الحبيب للحبيب • فتحمل جفاي الذي حملت عليه الغيرة • والا فالظن بي غيره • وان لم تعذرني في مكاشفة سيادتك بهذا الشك في الاسلوب الرث • فالحق اقدم • وبناؤه لا يهدم • وشاني معروف في مواجهة الجبابرة على حين يدي الى رفدهم ممدوده • ونفسي في النفوس المتهافتة عليهم معدوده • ونشبا بي فاحم • وعلى الشهوات مزاحم • فكيف بي اليوم مع الشيب • ونصح الحبيب • واستكشاف العيب • انما انا اليوم على كل من عرفني كل ثقيل • وسيف العدل في كفي صقيل • اعذل اهل الهوى • وليست النفوس في القبول سوا • ولا لكل مرض دوا • وقد شفيت صدري • وان جهلت قدري • فاحملني حملك الله على الجادة الواضحة • وسحب عليك ستر الابوة الصالحة • والسلام

انتهت الرسالة البديعية في بابها • الانبه من المواعظ بلبابها • ذات النصيحة الصريحة التي ينبغي على كل عاقل خصوصا • من يريد خدمة الملوك المتمسك باسبابها

قلت • وقد رايت بخط العلامة الخطيب ابن مرزوق على هامش قول لسان الدين اول الكلام واختشيت منه في بعض كتبه الخ ما صورته توهم ما لم يقع بل لما تخلت عني بحبل النكبة والامتحان جزمت بالرحلة • وعزمت على النقلة • وتفرغت عن خدمة السلطان

وملازمة الاوطان • قال ابن مرزوق والعجب كل العجب انه جميع ما خاطبني به ابقاه الله على
براجم وابتلى بما منه حذر فكانه خاطب نفسه وانذرها بما دوم له فالله يحسن له الخاتمة والملا
انتهى • وكتب تحت كلامه ابن مرزوق هذا بخط ابن لسان الدين على ما نقله صدق والله سيدي
ابو عبد الله بن مرزوق كان له قاله والد ابن المولف انتهى قلت وهذا الذي قال
ابن مرزوق كان في حياة ابن الخطيب ولذلك دعا له بالبقا وبحسن الخاتمة والخلاص
وقد اسفر الغيب عن محنته ثم قتله على الوجه الذي وصفه انشا هذه الرسالة اذ قال
واما اصلا من عدو يتحكم وينتقم • وحوت بني يبتلع ويلتقم • ومطبق يحجب اهل
الهوى • ويطيل في الترب الثوى وثعبان قيد لعض الساق • وشوبوب عذاب
يمنى اشار الرفاق • وغيلة يهدى بها الواقب الغاسق • ويجرعها العدو الفاسق
ونصرى النسوق • وسلعته المعتادة الطروق • مع الافول والشروق • فانه رحمه الله
حصل له ما ذكر ثم اغتيل له ليلا وخنقه في محبسه عدوه الفاسق سليمان بن داود
كما تقدمت الاشارة الى ذلك • فالله يثيبه بالشهادة • وقد تذكرت هنا مرثيه
ابن صابر المنجنيقي وهي •

هل لمن يرتجي البقا خلود • وسوى الله كل شي يبيد
والذي كان من تراب وان • عاش طويلا الى التراب يعود
فمصير الانام طرا لما • صار اليه اباوهم والجدود
اين حوى وادم اذ • فاتهما الملك والثوى والخلود
اين هابيل اين قابيل اذ • هذا لهذا معاند وحسود
اين نوح ومن نجا معه بالفلك • والعالمون طرا فقيد
اسلمته الايام كالطفل للموت • فلم يغن عمره الممدود
اين عاد بل اين جنة عاد • ارم اين صالح وثمود
اين ابراهيم الذي شاد بيت • الله فهو المعظم المقصود
اين اسحاق اين يعقوب ام • اين بنوه وعدهم والعديد
حسدوا يوسفا اخاهم فكا • دوه ومات الحاسد والمحسود
وسليمان في النبوة والملك • قضى مثل ما قضى داود
ذهبا بعد ما اطاع لذا الخلق • وهذا له الين الحديد
وابن عمران بعد اياته التسع • وشق الخضم فهو صعيد
والمسيح ابن مريم وهو روح • الله كادت تقضي عليه اليهود
وقضى سيد النبيين والهادي • الى الحق احمد المحمود
وبنوه واله الطاهرون • الرهط صلى عليهم المعبود
ونجوم السما منتثرات بعد • حين وللهوا ركود

ولنار

ولنار الدنيا التي توقد • الصخر خمود وللمياه جمود
وكذا للثرى غداة يوم • الناس منها تزلزل وهمود
هذه الامهات نار وترب • وهوا رطب وما برود
سوف تفنى كما فنينا فلا • يبقى من الخلق والد وولد
لا الشقي الغوي من نوب • الايام ينجو ولا السعيد الرشيد
ومتى سلت المنايا سيوفا • فالموالي حصيدها والعبيد
واما قصيدة ابن عبدون الاندلسي التي رثى بها بني الافطس وذكر فيها كثيرا من
الملوك الذين اباد هم الدهر وطحنهم برحاه وصيرهم احاديث فيها ما يوقظ النوام

واولها

الدهر يفجع بعد العين بالاثر • فما البكا على الاشباح والصور

وبالجملة فالامر كما قال ابن المبارك

الموت لا يبقي احد • لا والدا ولا ولد
مات لبيد ولبد • وخلد الفرد الصمد

كل من عليها فان • ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام • اللهم اختم لنا بالحسنى
ورد نا اليك ردا جميلا • وتذكرت هنا ايضا مرثية على روي مرثية المنجنيقي
السابقة ومنها •

اين اهل الديار من قوم نوح • ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما هم على الاسرة والانماط • افضت الى التراب الخدود
ثم لم ينقض الحديث ولكن • بعد ذا الوعد كله والوعيد
واطبا بعدهم لحقوهم • ضل عنهم سعوطهم واللدود
وصحيح اضحى يعود مريضا • وهو ادنى للموت ممن يعود

واما حكم قول السلطان بن علي بن السلطان ابي سعيد المريني يخاطب اخاه السلطان
ابي الحسن وقد حصره بسجلماسة حتى اخذه قسرا

فلا يغرنك الدهر الخؤون فكم • اباد من كان قبلي يا ابا الحسن
الدهر مذ كان لا يبقي على صفة • لا بد من فرح فيه ومن حزن
اين الملوك التي كانت تهابهم • اسد العرين ثووا في اللحد والكفن
بعد الاسرة والتيجان قد سكنت • رسومها وعفت من كل ذي حسن
فاعمل لاخرى وكن بالله مؤتمرا • واستغفر الله في سري وفي علني
واختر لنفسك امرا انت ناصره • كانني لم اكن يوما ولم تكن

ودخل السلطان ابي الحسن سلجماسة عنوة على اخيه السلطان ابي علي عمر سنة ٧٣٤
وجابه في الكبل للناس ثم قتله بالفصد والخنق في ربيع الاول من السنة وكان القبض

عليه في الحمام رحمه الله ومما وجد مكتوبا على قصر لبعض السلاطين

قد كان صاحب هذا القصر مغتبطا • في ظل عيش يحاه الناس من باسه
فبينما هو مسرورا بلذته • في مجلس اللهو مغبوط بجلاسه
اذ جاءه بغتة ما لا مرد له • فخر ميتا وزال التاج عن راسه

رجع الى اخبار لسان الدين بن الخطيب رحمه الله قلت وقد زرت قبره رحمه الله مرارا بفاس المحروسة فوق باب المدينة الذي كان يقال له باب الشريعة وهو يسمى الان باب المحروق وشاهدت موضع دفنه غير مستو مع الارض بل ينزل اليه باحجار كثيرة ويزعم الجل من عوام فاس ان الباب المذكور انما سمي بباب المحروق لاجل ما وقع من حرق لسان الدين به حيثما اخرجه بعض اعدايه من حفرته كما مر وليس كذلك وانما سمي بباب المحروق في دولة الموحدين قبل ان يوجد لسان الدين ولا ابوه بسبب ثاير ثار على الدولة فامسك واحرق في ذلك المحل والله غالب على امره وحصل لي من الخشوع والحزن عند زيارة قبره رحمه الله ما لا مزيد عليه جعل الله له تلك المحن كفاره وطهره فانه كان اية الله علما وجلالة وحكمة وشهرة وقد تذكرت عند كتبي هذا المحل رسالة كتبها العضاية المحدث في عزا الوزير الشهير ابي جعفر بن جبير الاندلسي رحمه الله الى بنيه وهي مما يصلح ان يوصف بمثلها لسان الدين رحمه الله وهي ما عزا بما مضى ونصها عزا يا كواكب الهدى في بدركم الذي يحيي الردى • وفجع به الفضل والندى • فحق للشهب ان تنكدر على فراقه • وللصبح ان يخبو نور اشراقه وللدوح ان تمزق صداها • وللاهلة ان لا تروا ابدارا • وللليل ان يشتمل خفيقه الحزن • وللسما ان تبكيه بادمع المزن • وللثريا ان تنفصم سوارها • وللشمس ان تكسف انوارها وللنسر ان تنتثر كواكبها • وللجوزا ان تنفض مناكبها • وللنيرات ان تنقض مواكبها • وللرواح ان يبيت اغرها • وللبحار ان لا يالف مقرها • وللمجرة ان تغيض معا نهرها • وللغميصا ان يطرد بكاوها وسهرها • وللروض ان يفارق مراعه • وللاوراق ان تمسك بما ذاعه • وللغصون ان تنهصر لفقده • وتنقصف اسفا على حتفه • لكن هو الحمام يختل فيختر • ولا يحفل بمن يتزيد مما اوجد الكون • ويذيل من اكنفا الصون • واين بنا عن حكم لا نقاتله • ودا ما ازواحنا متافلة • لا يرده ناصر • وعزمته قاصرة للقياصرة • ويمينه كاسرة للاكاسرة • لم يبق من رسم لطسم • ولا من احسان لغسان • ولا من اقاد لاياد • ولا من سلطان لقحطان • ولا من نجيب لتجيب • ولا من ترف ضخم للخم • لم يكن له عن اليمين اقصار • ومنهم الانصار • وهم اسماع للنبي وابصار • وعمد الى المصابيح من مضر يطفيها • هذا والوحي يتنزل فيها • ولم يقع في الصديق الى التصديق • واصمى الفاروق برداية • وحكم فيه ابا لؤلؤة ومداه • وامكن من ذي الامداد • من شهيد الدار • فلم يرع من علي

بالبسالة

بالبسالة • والدليل العاله • ولا ابقى سبطيه • وقد نفقا عنها بنصنه الرسالة واذهب الزبير حواري الرسول • وحنظلة وهو بايدي الملايكة مغسول • واوفات ابن معاذ ولم يحفل بنبوته • على انه اهتز العرش لموته • واودى بحمزة ومقعده من النبوة مقعد الابوة • وسقى من عمار صدور الاسل • واذوى ما لكا لشهيه من عسل • ولم يغبا بمصا عمرو والحلم معاوية ودهاء عمرو • فيا له من خطب مود بكل يابس ورطب • ليزهق الاعمار ويجعل الاجداث منازل الاقمار • ويبلو السوقة والاملاك • ولا يبالي اية الاسلاك • لا يبقى شفيقا • ولا يغادر معطا ولا رفيقا • ها هو اعتمد نور علا فكسفه • وطود حلم فنسفه • واعلق المجد في حباله • وافقد الفضل نبل اله • ونجم كان لسهم لم يشتر مثله من كنانه • فما طارق الاعين لقد يوحت بانفس الاعلاق • ويا ناعية لقد نعيت ما سوى الاخلاق • رويدا اسايلك • عمن لم تفنع لدينه وشمايله • اين سماحه وطلاقته • اين كلفه بالمجد وعلاقته • ما الذي ثنى عطفه عن الارتياح • ام اي عافية من ذلك الامتياح • ام من يولع امنية كالفتا السعي ابدي الرياح فيا هذه الحمد • اطوي عرفك فما تنتشق • ويا رتبة المجد اقصري طرفك فما العشق ويا معشر عفاته كيف حييتم وقد علمتم بوفاته • ويا زمر امالة صفرت ايديكم من احباله • ويا اخاير صحابه اين مواقع سحابه • ويا بني ولايه من يسمو امقام علايه ويا منافسي شيمه • من يجود بمثل ديمه • ويا منازعي كرمه • من يطيف المعتفين بمثل حرمه • ويا حاسدي همه • من له كحفاظه وذممه • سيدي لقد اضات مساعيك واشرقت • واغصت الحاسدين طرا واشرقت • وحسبهم ان لم ينبهوا الا اذا نمت ولا نطقوا الا حين صمت • وليس من ملاك وصحبك • الا احبتك صنايعك وقد قضيت نحبك • وان حم فناوك • فقد ابقى الحياة الخالدة ثناوك

ردت صنايعه عليه حياته • فكانه من نشرها منشور
والناس مايتهم عليه واحد • في كل دار انه وزفير

سيدي اما تجيب صرخة لهفان • ام عداك عن الجواب انك فان سيدي من لاملك • ببسط انامله • من للمرملات الضرايك • بادشادك واراتك • من لغرايبك بصلتك وحبايك • من لاجل نوانو واخيك • من لابنايك بلطفا حبايك • انعضر تملمهم وكان حفيا • وناد وك لو ناد وا امنك سميعا • هذا كبيرهم يدعوك فلا تجيبه • وقد فت الاملاك وجيبه • يبكي عند تلك الرجام • باد مع سجام وقد الهبت الزفرات حشاه • والح الدمع بجفنه حتى اعشاه • والاصاغر ما لهم بعدك مفزع • ورضيعهم تستلب به الانفس رحمة وتنزع • لا يدري ما جزع عليك فيجزع • لشد ما اذا بنهم وفده الادوار • حين عدموا منك كرم الجوى والجوار • افا الدهر رماهم بالاجوار • وتركهم انما مشلوبة الانوار • لا جرم وان يحزنوا عليك ويكتربوا • فلقد تسلوا عند

ببعض ما درسوا • وما درسنهم غير الحزن والبث • وامل في الحياة كالعبا المنبت • كما
نثلي محاسنك فانعم • طفقت عليك شؤون عيني تدمع • ايامرجية • كيف وجدت بحم
لعدارج بك ذلك الغصن • حتى مايناجه المسك الاذفر • وكاظفرت بوجوده • تجد
كل قبر بجوده • فغنيه سماترة وغمام • ونور الصم عليه منك كام • ولو علمت بمن بين
جنبيك زافد • لعلوت حتى تلوح في اذيال الفراقد • ويا افنية كيف هلمتم عليه
الرغام • اولم تشكروا على الشمس ان تغام • هيهات لقد محتم باقبار رعى الشمايل •
طيب الاخبار والحاد • من نازع في فضله ولا الحاد • اي نفس تخذتم له التراب مستودعا
فاضحى عونين المكادم مجدعا

فتى مثل نصل السيف من حيث جئته • لنائبة نابتك فهو مضارب
فتى همه حمد على الناي رابح • وان بات عنه ماله وهو عازب

اما وان ازدحمت بمهلكه الاوصاب • وقدح الرزا وجل المصاب • حتى لا قالف الناسا
فلقد سر الموت من حيث سا • فلقد خلفنا برهما فيه غير مصاييب • ولا يبالي
ولا يبالي من افصد سهمه المصابيب • فيا فقيد الندى ما كان اجدرك بالخلود والخلد
ويا جواد عمره ما كان اقصر طلقك • لو حين استوى وتوارى • اذ ملا الافق
انوارا • وكسف حين بلغ الكمال • فكان كالغصن عندما اعتدل مال • اوكالشهاب
عندما استقام خار • وكان عمر كوكب الاسحار • هذه البراعة الخفنة تبعد
الصنى • والعصى تطوي على جبالة وحنى • وعهدي به ان امتطى داحته البراع داع •
ادرج الاوراق ذاق • او اسند طبعه السلسال سال • واي رومنا ناد زاد •
ومتى اراع الانشا • احسن ان شا • فحق للعوادات يستعبر بوقدم • والمدامع ان
تستل دما على فقده • بيد انه الموت لا بد لامرء من مشرعه • ونسيغ على شرق
به جرعه • فانا ذوع يحصد الذي ازدرعه • وصبرا يا ذوي ارحامه وبنيه •
ومن من غلوا الوجد فالسلوان ينبنيه • وشحا على اجركم لا يذهب به الجزع
ويغنيه • واسر بوالي الفقيد من رحمة ويدنيه • ويقطفه زهر رضوانه
ويجنيه • ويبشر لكم العزا الاجل برحمته ويلبسه • والسلام انه نهب ويرحم الله
القايل •

كل حي الى الشتات بصير • اي صفو لها شابه تكدير
انت في اللهو والاماني مقيم • والمنايا في كل وقت تسير
والذي غره بلوغ الاماني • بسراب وخلب مغرور
ويك يا نفس اخلصي ان ربي • بالذي اخفت الصدور بصير
واحتجا على ذوي الاحلام من الاعلام • ان الدنيا اضغاث احلام
يندم المرء على ما فاته • من لبانات انام يقضها

وتراه

وتراه فرحا مستبشرا • بالتي امضى كانلم يقضها
انها عندي كاحلام الكرى • لقريب بعضها من بعضها

وقال ابن منصور اسعد الغوي

يجمع المرء ثم يترك ما • يجمع من كسبه لغير شكور
ليس يحظى الا بذكر جميل • او بعلم من بعده ما ثور

وقال الامام الشهير ابو الفرج بن الجوزي

يا ساكن الدنيا تاهب • وانتظر يوم الفراق
واعد زادا للرحيل • فسوف يحدى بالرفاق
وابك الذنوب بادمع • تنهل من سحب المآقي
يا من اضاع زمانه • ارضيت ما يغني بباقي

وكان ابن الجوزي المذكور اية الله في كثرة التاليف والكتابه والوعظ والحفظ وافل من
كان يحضر مجلسه عشرة الاف وربما حضر عنده ماية الف وقال في اخر عمره
على المنبر كتبت باصبعي هاتين الفي مجلد وتاب على يدي ماية الف واسلم على يدي
عشرون الف يهودي ونصراني واجمع رحمه الله الناس اكثر من اربعين سنة وحدث
بمصنفاته مرارا وقال الحافظ الذهبي في حقه الحافظ الكبير الواعظ المفنن
صاحب التصانيف الكثيرة الشهيره في العلوم المتعدده وعظ من صغره وفاق
فيه الاقران ونظم الشعر المليح وكتب بخطه ما لا يوصف وراى من القبول والاحترام
ما لا مزيد عليه وحزر مجلسه غير مرة بماية الف وحضر مجلسه المستضي مرارا من
ورا الستر انتهى ومن كلامه في بعض مجالسه والله ما اجتمع لاحد امله • الا وسعي في
تفريق اجله • وعقارب المنايا تلسع الناس • وخذران جسم الامل يمنع الاحساس
وقال في قوله صلى الله عليه وسلم اعمار امتي من الستين الى السبعين • انما طالت
اعمار القدما لطول البادية فلما شارف الركب بلد الاقامة قيل حثوا المطي •
وقال في الذين عبدوا العجل لو ان الله خار لهم ما خار لهم وقال يوما
وقد طرب اهل المجلس فهمتم • وقال في خلافة ابي بكر رضي الله عنه بعد ان ذكر احاديث
تدل على خلافته كقوله صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر فليصل بالناس وغيره مما
صورته فهذه احاديث تجري مجرى النص فهمها الخصوص غير الرافضة في اخفا بيها
كاللصوص فقال السايل لما قال انيلو لي ما سمعنا مثل جواب علي رضي الله عنه
والله لا اقلناك فقال لما غاب علي عن البيعة في الاول اخلف ما فات بالمدح في
المستقبل ليعلم السامع ان الرضا ببيعة ابي بكر وان كانت من وراي فهي راي وميل
ذلك الصدر لا برأي وقال في قول فرعون اليس لي ملك مصر يفتخر بما اجراه
ما اجراه وتواجد رجل في مجلسه فقال عجبا كلنا في انشاد الضالة سوا فلم وجدت

وكان ابن الجوزي اية الله

وحذرك السم الجوي وانشد

قد كتمت الحب حتى شفني * واذا ما كتم الداء قتل
بين عينيك علالات الكرى * فدع النوم لربات الحجل

ونظر يوما الى اقوام يبكون في مجلسه ويتواجدون فانشد

ولو لم يهجني الظاعنون لهاجني * حمايم ورق في الديار وقوع
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى * نوايح لم تقطر لهن دموع

وقام رجل وتواجد فانشد

وما زال يشكو الشوق حتى كانما * تنفس من احشايه وتكلما
ويبكي فابكي رحمة لبكايه * اذا ما بكى دمعا بكيت له دما

واعجبه يوما كلامه فانشد

تزدحم الالفاظ والمعاني * على فوادي وعلى لساني
تجري لي الافكار في ميدان * ازاحم النجم على مكان

قف على وعظه للمستضي

ووعظ المستضي يوما فقال يا امير المومنين ان تكلمت خفت منك وان سكت خفت عليك فانا اقدم خوفي عليك على خوفي منك لمحبتي لدوام ايامك ان قول القايل اتق الله خير من قول القايل انتم اهل بيت مغفور لكم وقال الحسن البصري لان تصحب اقواما يخوفونك حتى تبلغ المامن خير لك من ان تصحب اقواما يومنونك حتى تبلغ المخاوف وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول اذا بلغني عن عامل ظالم انه قد ظلم الرعية ولم اغيره فانا الظالم يا امير المومنين كان يوسف عليه السلام لا يشبع في زمان القحط لئلا ينسى الجياع وكان عمر رضي الله عنه يضرب بطنه عام الرمادة ويقول قرقري ان شئت او لا تقرقري فوالله لا شبعت والمسلمون جياع فتصدق الخليفة المستضي بصدقات كثيرة واطلق من في السجن * وقال رحمه الله لبعض الولاة اذكر عدل الله فيك وعند العقوبة قدرة الله عليك واياك ان تشفي غيظك بسقم دينك وقال الطاعة تبسط اللسان والمعاصي تذل الانسان * وقال له قايل ما نمت البارحة من شوقي الى المجلس فقال نعم لانك تريد ان تتفرج وانما ينبغي ان لا تنام الليلة لاجل ما سمعت فيه وقيل له ان فلانا اوصى عند الموت فقال طين سطوحه في كانون وقال له قايل اسبح ام استغفر فقال الثوب الوسخ احوج الى الصابون من البخور * وسأله سايل ما الذي وقر في قلب ابي بكر رضي الله عنه فقال قوله ليلة المعراج ان كان قال فقد صدق فله السبق ولما قال له بعضهم سيف علي نزل من السما فسعفة ابي بكر اجابه بقوله ان سعفة نوت يوم الردة فاغمدت سيبا جاءت مثل ابن الحنفية لانضى من سيوف الهند ثم قال يا عجبا الروافض اذا مات لهم ميت تركوا معه سعفة

من ابن

من ابن ذا المصلح * وسيل عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى ابي بكر * فقال الميت يقسم ماله ويكفن وابو بكر اخرج ماله كله وتخلل بالعباء * وقال في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا قال علي والله اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم ثم قال ابو الفرج اذا اصطلح اهل الحرب فما بال النظارة وقال قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم على عايشة ولم يواجهها بالخطاب احتراما لزوجها وواجه مريم لانها لم تكن لها زوج فمن يحترمها جبريل كيف يجوز في حقها الا باطيل قال ابو شامة وكان ابن الجوزي رحمه الله مبتلى بالكلام في مثل هذه الاشيا لكثرة الروافض ببغداد وتعنتهم بالسوالات فيها فكان يتصبر بالخروج منها احسن اشارة وانقطع العراقي يوما عن مجلسه فانشد

وما الحلي الا زينة لنقيصة * يتمم من حسن اذا الحسن قصرا
واما اذا كان الجمال موفرا * كحسنك لم يحتج الى ان يزورا

وقيل له لم تعلل يوسف عليه السلام بسوف ترابي فانشد

ان لم يكن وصل لديك لنا * يشفي الصبابة فليكن وعد

ولما ذكر ان بلالا رضي الله عنه لما منع الطواف بالبيت كان يقف من بعيد وينظر اليه ويبكي انشد *

امر على منازلهم واني * بمن اضحى بها صبا مشوق
واومي بالتحية من بعيد * كما يومي باصبعه الغريق

ومن شعر ابي الفرج رحمه الله

لعبت وملاح الملعب * وقد ذهب الاطيب الاطيب
وقد كنت في ظلمات الشباب * فلما اضا انجلا الغيهب
الا اين اقرانك الراحلون * لقد لاح اذ ذهبوا المذهب

ولنقتصر على هذا المقدار ولنرجع الى اخبار لسان الدين رحمه الله وارتحاله والاعتبار بحاله * فنقول ومما يناسب ان نذكره في هذا المحل ونثبته فيه ما حكاه العالم العلامة بلدينا سيدي ابو الفضل ابن الامام التلمساني رحمه الله عن جده الامام قاضي القضاة سيدي ابو عبد الله المقري التلمساني رحمه الله وهو احد اشياخ لسان الدين كما يأتي ان شا الله تعالى ذلك في محله قال كنت مع ذي الوزارتين ابي عبد الله ابن الخطيب في جامع البيرة من الاندلس اذ عن بنا الاعتبار في تلك الاثار فانشد ابن الخطيب ارتجالا *

اقمنا برهة ثم ارتحلنا * كذاك الدهر حالا بعد حال
وكل بداية فالى انتهاء * وكل اقامة فالى ارتحال
ومن سام الزمان دوام امر * فقد وقف الرجا على المحال

انتهى وحكى لسان الدين في الاحاطة عن نفسه انه خطط هذه الابيات في مرحلة نزلها
رحمه الله حسبما يأتي ذلك في شعره وما احسن قوله رحمه الله

لبسنا فلم نبل الزمان وابلانا • يتابع اخرانا على الغي اولانا
ونختر بالامال والعمر ينقضي • فما كان بالرجعى الى الله اولانا
وماذا عسى ان ينظر الدهر من عسى • فما اعتاد للرزء الحثيث ولالانا
جزينا صنيع الله شر جزايه • فلم نرع ما من سابق الفضل اولانا
فيا رب عاملنا بما انت اهله • من العفو واجبر صدعنا انت مولانا

وقد حكى غير واحد انه رحمه الله رئي بعد موته في المنام فقال له الرائي ما فعل الله بك
فقال غفر لي ببيتين قلتهما وهما •

يا مصطفى من قبل نشاة ادم • والكون لم تفتح له اغلاق
ايروم مخلوق ثناءك بعدما • اثنى على اخلاقك الخلاق

وقد ذكر رحمه الله هذا المعنى في قصيدة في حقه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
ومجد وعظم وبارك وانعم وهو قوله •

مدحتك ايات الكتاب فما عسى • يثني على علياك نظم مديحي
واذا كتاب الله اثنى مفصحا • كان القصور قصار كل فصيح

وسنأتي هذه القصيدة في نظمه ان شاء الله تعالى • وقد رايت بالمغرب تخميسا للبيتين
الاولين منسوبا للاديب الشهير الذكر بالمغرب ابي عبد الله محمد بن جابر الغساني المكناسي
رحمه الله ولا باس ان نورده هنا وهو قوله رحمه الله

يا سايرا للضريح خير العالم • يهني اليه مقام صب هايم
بالله ناد وقل مقالة عالم • يا مصطفى من قبل نشاة ادم
• والكون لم تفتح له اغلاق •
بثناك قد شهدت ملايكة السما • والله قد صلى عليك وسلما
يا مجتبى ومعظما ومكرما • ايروم مخلوق ثناك بعدما
• اثنى على اخلاقك الخلاق •

وما احسن قول لسان الدين رحمه الله بعد ما عرف بنفسه وسلفه وكان بالحي
ممن ذكر قد الحق بالميت • وبالقبر قد استبدل من البيت • وقال رحمه الله
بعد ابيات جملة من نظمه ما صورته • وقلت والبقا لله وحده وبه يختم الهذر •

عد عن كيت وكيت • ما عليها غير ميت
كيف ترجى حالة البقيا • لمصباح وزيت

وسيأتي ذلك ولقد صدق رحمه الله ورقى درجته في الجنة واما البيتان الشايعان
على السنة اهل المشرق والمغرب واهلهما فنسبة لسان الدين رحمه الله وبعضهم

ينسبهما

تقف على سبب منغرة لسان الدين

ينسبهما له نفسه فالصحيح خلاف ذلك كما سياتي وهما

قف كيف ترى مغرب شمس الضحى • بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله قتيلا بها • كان امام العصر بالمغرب

وشرح بعضهم البيتين فقال ان قوله قتيلا بها من باب الاستخدام • اي قتيلا
بشمس الضحى التي هي المتغزل فيها • وقد رايت وانا بالمغرب بخط الشيخ الاغصاوي
انهما لم يعن بهما قايلهما لسان الدين ابن الخطيب وانما هما مقولان في غيره ونسبهما
ونسبت الى ذلك لطول العهد والله اعلم • ويدل على ذلك انه رحمه الله لم يقتل
بين العصر والمغرب وانما قتل من جوف الليل كما علم في محله على انه يمكن بتكلف
تاويل ذلك بانه قامت لقايلهما قرينة على انه بصدد الموت ذلك الوقت وهذا
لو ثبت انهما قيلا فيه وقد علمت ان الاغصاوي نفى ذلك فالله اعلم بحقيقة
الامر في ذلك • ثم رايت في كتاب اسماعيل ابن الاحمر في ترجمة بعض العلما ما نصه
من قوله بر لي لبعض الامرا بالمغرب وقد حل رمسه بين صلاة العصر والمغرب

قف كي ترى مغرب شمس الحلي • بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله دفينا به • كان مليك العصر في المغرب

وهذا مما يبعد نسبتها في لسان الدين من وجوه لا تخفى على المتامل منها قوله كان مليك
العصر فان لسان الدين لم يكن كذلك وقد تقدم انه كان امام العصر في المغرب
وهو احسن لما فيه من التورية البديعية والله اعلم رجع الى اخبار لسان الدين
ابن الخطيب رحمه الله وقد عرض عدوه الرييس ابن زمرك في بعض قصايده التي
مدح بها سلطانه الغني بالله ابا عبد الله ابن نصر بما تسنى له من الظفر بابن الخطيب
ومن حاه منه وهو الوزير ابن الكاتب على يد من عينه لملك المغرب واعانه بجنده
وعضده كما تقدم وهو السلطان احمد المريني فقال من قصيدة عيدية

يهني زمانك اعياد مجدده • من الفتوح مع الايام نغشاه
غضبت للدين والدنيا بجهتها • يا حبذا غضب في الله ارضاه
فوقت للغرب سهما راشه قدر • وسدد الله للاغراض مرماه
سهم اصاب وراميه بذي سلم • لقد رمى الغرض الاقصى فاصماه
من كان بدلك يا مولاي يقدمه • فليس يخلفه فتح ترجاه
من كان جندك جند الله ينصره • اناله الله ما يرجو وسناه
ملكته غربة خلدت من ملك • للغرب والشرق منه ما تمناه
وسام اعدائك الاشقين ما كسبوا • ومن يرى بقيا بما الغدر اداه
فقل للذي رمدت جهلا بصيرته • فلم تر الشمس شمس الهدى عيناه
غطى الهوى عقله حتى اذا ظهرت • له المراشد اعشاه واعماه

هل عندي وذنوب العذر توبقه • ان الذي قد كساه العز اعزاه
لو كان مشكر ما اوليت من نعم • ما زلت ملجاه الاحمى ومنجاه
سل السعود وحل البيض ممتحنا • فالسيف مهما مضى فالسعد اقصاه
واسرع من البرق نصلا راع منصلته • وارفع من الصبح بدرا راق مجلاه
فالعدو تاه وتاد قد ضم ملكهما • انصار ملكك حاشا الله علياه
لا اوحش الله قطرا انت مالكه • ولا انس الله بالالطاف مغناه
لا اطلع الله افقا انت نيره • لا اهدا الله سرحا انت مرعاه
واهنا بشهر صيام جا دا ايوه • مستنزلا من اله العرش رحماه
اهلا بالسعد فاستملت به مننا • واوسع الصنع اجمالا ووفاه
اما ترى فوكاف الارض شاملة • والنعم الله قد عمت براياه
وعاد ك العيد تستجلي موارده • ويجزل الاجر والرحمى مصلاه
حمزت جليس دعا فيه توقعه • لذى المعارج والاخلاص رقاه
اقضت فيه من النعما اجزلها • بخا شرف البر والاحسان مرجاه
والبيت للخلق مما اوليت من نعم • والى الى الله ما اولى واولاه

واولهذه القصيدة

هذى العوالم لفظ انت معناه • كل يقول اذا استنطقته الله
بحر الوجود وفلك الكون جاريه • وباسم الله مجريه ومرساه
من نوره جعل ضا اللوح اجمعه • حتى تشيد بالافلاك مبناه
عرش وفرش واملاك مسخرة • وكلها ساجد لله مولاه
سبحان من اوجد الاشيا من عدم • واوسع الكون قبل الكون نعماه
من ينسب النور للافلاك قلت له • من اين اطلعت الانوار لولاه
هو الذي بحر الجود اغرقني • والخلق اجمع في ذا البحر تاهوا
فالعقل يجري كالافلاك جارية • بحر السما وبحر الارض اشباه
وكلهم نعم للخلق شاملة • تبارك الله لا تحصى عطاياه
يا فاتق الرتق من هذا الوجود كما • في سابق العلم قد خطت قضاياه
كن لي كما كنت لي اذ كنت لا عمل • ارجو ولا ذنب قد اذنبت اخشاه
وانت في حضرات القدس تنقلني • حتى استقر بهذا الكون مثواه
بما اقبح العبد ان ينسى وتذكره • وانت باللطف والاحسان ترعاه
عفرانك الله من جهل بليت به • من افاد وجودي كيف انساه
منى على عتاب لنشتا ادفعه • الا بتوفيق هدى منك ترضاه
فعد علي بما عودت من كرم • فانت اكرم من املت رحماه

ثم الصلاة صلاة الله دائمة • على الذي باسمه في الذكر سماه
المجتبى ونهاد النور ما فرحت • ولاح كما من نسيم الروض مسراه
والمصطفى ذكا الكون ما ندحت • عن زهر زهر بروق العين مرآه
ولا تعجبن للنسيم ار على • دارا الدرادي فعطاه واخفاه
يا فاتح الرسل او ما ختمها شرفا • والله قدس في الحالين معناه
لم ادخر غير حب فيك ادفعه • وسيلة لكريم يوم القاه
صلى عليك اله انت صفوته • ما طيبت بلذيذ الذكر افواه
وعم بالروح والريحان صحبته • وجادهم من نمير العفو اصفاه
وخص انصاره الاعلين صفوته • واسكنوا من جوار الله اعلاه
انصار ملته اعلام بيعته • مما بشرفت انتمى بها الله
وايد الله من احياها دهم • ووصل النجم اخراه باولاه
المنتقى من صميم الفخر جوهره • ما بين نصر وانصار بما داه
العلم والحلم والافضال شيمته • والباس والجود لعفو من سجاياه

وهي طويلة ولنقتصر منها على ما ذكرناه وقد صح ابن مرزوق المذكور في قصيدة اخرى يمدح بها سلطانه الغني بالله ويهناه بفتح المغرب على يد السلطان احمد وذكر فيما ظفر به ما الوزير ابن الكاس وهو اعني ابن الكاس كان القايم بنصرة لسان الدين والمانع له والمجير له منهم حين طلبوه منه فلما لم يخفر ذمته تمكنت كما سبق اسباب العداوة وجر ذلك للسلطان احمد على ملك فاس واشترطوا عليه القبض على لسان الدين وارساله اليهم وقد تعلقت ان هذه القصيدة من تاليف الحفيد السلطان الغني بالله ولنص محل الحاجة منه ومن ذلك ايضا قوله يعني ابن مرزوق هنا لمولانا الجد رحمه الله بالفتح المريني للسلطان ابي العباس ابن السلطان ابي سالم المريني •

هي نفحة هبت من الانصار • اهدتك فتح ممالك الامصار
في نشرها وبشارة الدنيا بها • مستمتع الاسماع والابصار
هبت على قطر الجهاد ومنت • ارجاه بالنفحة المعطار
وسرت وامر الله طي برودها • تهدي البرية صنع لطف الباري
مرت باد واح المنابر فانبرت • خطباؤها مفتنة الاطيار
حنت معارجها الى اعشارها • لما تعشق بها حنين عشار
لو انصفتك لكان دواحها • تلك البشائر يانع الازهار
فتح الفتوح اتاك في حلل الرضى • لعجايب الازمان والاعصار
فتح الفتوح جنيت من افنانه • ما شئت من نصر ومن انصار

كم آية لك في السعود جلية • خلدت منها غرة استبصار
كم حكمة لك في النفوس خفية • خفيت مرادا كنهها عن الافكار
كم من امير رام بابك فانثنى • يدعى الخليفة دعوة الاكبار
اعطيت احمد راية منصورة • بركاتها تسهدي من الانصار
اركبته في المنشآت كانما • جهزته في وجهة لمزار
من كل خافقة الشراع مصفق • منها الجناح لطير كل مطار
القت بايدي الريح فضل عنانها • فتكاد تسبق لمحة الابصار
مثل الجياد تدافعت وتتابعت • من طافح الامواج في مضمار
سمنها في المجاز سوابح • وقفت عليك النحو بحر جوار
لما قصدت بها لزي سبتة • عطفت على الاسوار عطف سوار
لما دات من صبح عزمك غرة • محفوفة باشعة الانوار
ودنت جبينا دونه شمس الضحى • لبتك بالاجلال والاكبار
فاوضت فيها من تداول موهبا • حسنت عواقبها على التكرار
واريت اهل الزيغ عزم مغرب • قد ساعدته عواقب الاقدار
وخطبت من فاس الجديد عقيلة • لبتك طوع تسرع وبدار
ما صدقوا متن الحديث بفتحها • حتى راوه في متون شفار
وتسمعوا الاخبار باستفتاحها • والخبر قد اغنى عن الاخبار
قولوا العدو في الحراره عنوه • حلم سننت به على مقدار
اسكنته من فاس جنة ملكها • متمتعا منها بدار قرار
حتى اذا كفر الصنيعة وازدرى • بحقوقها الحقته بالنار
جرعته الكاس كاسا مرة • دسست اليه الحتف في الاسكار
كفر الذي اوليته من نعمة • لا تامن النعما بالكفار
وطرحته طرح النواة فلم يفز • من عز مغربه بغير فرار
لم يتفق لخليفة مثل الذي • اعطى الاله خليفة الانصار
لم ادر والايام ذات عجائب • تزداد اعلوا على التذكار
الواصبح في ثنية مشرق • امرا يبه في جحفل جرار
ونهاب انوام سهام طامع • ينقض رجما في سما غبار
ومناقب المولى الامام محمد • قد اشرقت ام هن زهر دراري
فاق الملوك بهمة علوية • من دونها نجم السما السار
لو صافح الكف الخضيب بكفه • فجرت بنهر المجرة جار
والشهب تطمع في مطالع افقها • لو اجرزت منه منيع جوار

سل

سل بالمنابر صبحها عن وجهه • يخبرك منه عن خبير نهاد
سل بالغمائم صوبها عن كفه • تنبئك عن بحر بها زخار
سل بالبروق صفاحها عن عزمه • تخبرك عن امضى شبا وغرار
قد احرز الشيم الخطيرة عزمها • امضى العزائم صهوة الاخطار
ان يلتق ذو الاجرام صفحة صفحه • فتسيح القبول له خطى الاعذار
يا من اذا هبت نواسم حمده • ازرت بعرف الروضة المعطار
يا من اذا افترت مباسم بشره • وهب النفوس وغانت في الاقتار
يا من اذا طلعت شموس سعوده • لعشي اشعتها قوى الابصار
فسما بوجهك في الضيا واسه • شمس تمد الشمس بالانوار
فسما لعزمك في المصاب فانه • سيف تجرده يد الاقدار
اسماح كفك كلما استوهبته • يزري بغيث الديمة المدرار
مد حضرتك العلية لم تزل • يلقى الغريب بها عصى التسيار
كم من طريد نازح قذفت به • ايدي النوى في الغور هن سفار
بلغته ما نام من اماله • فسلا عن الاوطان والاوطار
صيرت بالاحسان دارك داره • متعت بالحسنى وعقبى الدار
والخلق تعلم انك الغوث الذي • يصفو عليها وافي الاستار
كم دعوة لك في المحول مجابة • اغرت جفون المزن باستعبار
جادت مجاري الدمع من قطر الندى • فرعى الربيع لها حقوق الجار
فاعاد وجه الارض طلقا مشرقا • متضاحكا بمباسم النوار
يا من بمأثره وفضل جهاده • تجري القطار بها الى الاقطار
حطت البلاد ومن حوته ثغورها • وكفى بسعدك حاميا لذمار
فلرب بكر للفتوح خطبتها • بالمشرفية والقنا الخطار
وعقيلة للكفر لما رعتها • اخرست من ناقوسها المهزار
اذهبت من صبغ الوجود كيانها • ومحوتها الا من التذكار
عمروا بها حينا وعدن زخرفت • ثم انثنوا عنها ديار بوار
صبحت منها روضة مطلولة • فاغتدت بها المحين موقد نار
واسود وجه الكفر من خزي متى • ما احمر وجه الابيض البتار
ولرب روض للقنا متاود • نادى الصهيل به عن الاطيار
مهما حكت زهر الاسنة زهره • حكت السيوف معاطف الانهار
منوقد لبس الحديد بجوه • تصلى به الاعدا لظى اوار
فبكل ملتف صقال مشتهر • مدام دنه الحفيظة وار

في كف ادوع فوق نهد سابح • ممنوح الاعطاف في الاحضار
من كل منعرف بالمجرة بارق • حمل السلاح به على طيار
من اشهب كالصبح طلع غرة • في مستهل العسكر الجرار
او ادهم كالليل الا انه • لم يرض بالجوزاء حلي عذار
او احمر كالجمر يذكي شعلة • وقدا رمى منه باسد شرار
او اشقر حلى الجمال اديمه • وكساه من زهو جلال نضار
او اشهل راق العيون كانه • غلس يخالط سدفة بنهار
سبب وشقرته الطراد كانما • روض تفتح عن شقيق بهار
عودتها ان ليس تورد منهلا • حتى يخالط بالدم الموار
يا ايها الملك الذي ايامه • غرر تلوح باوجه الاعصار
يهنيك انك ان جدك راحف • بلواء خير الخلق للكفار
لا غرو ان خفقت الملوك كبادة • اذ كان جدك سيد الانصار
السابقون الاولون الى الهدى • والمصطفون لنصرة المختار
متهللون اذا التنزيل عراهم • سفروا له عن اوجه الاقمار
من كل وضاح الجبين اذا احتبى • تلقاه معصوبا بتاج فخار
فدنا تصبحا فوق بدر بعدما • لبس الحكادم وارتدى بوقار
فاسأل لبدر عن مواقف باسهم • فهم تلاقوا امره ببدار
لهم العوالي عن معالي فخرها • نقل الرواة عوالي الاخبار
واذا كتاب الله يتلو حمدهم • اودى القصور بمنه الاشعار
يا ابن الذين اذا تذكر فخرهم • فخروا بطيبة زمزم وجبار
حفظ العدا او صحت من اثارهم • لما اخذت لدينهم بالثار
اصبحت وارث مجدهم وفخارهم • ومشرف الاعصار والامصار
يا ماد رافي الفتح عن ورد للنز(?) • [illegible]
واهنا بفتح جا يشمل الرضى • جذلان يرفل في حلي استبشار
واليكها ملك العيون وسامه • حيتك بالابكار من افكار
تجري حداة العيس طيب حديثها • فيعللون به على الاكوار
ان شئتم لمح العبير ابلهشم(?) • منه نسيم نوافح المعطار
وتميل من اصغى لها فكانما • عاطيته منها كؤوس عقار
قد وقفت بحور الفكر منها جوهرا • لما وصفت انامل بحار
لا زلت للاسلام سترا كلما • ام الحجيج البيت ذا الاستار
وبقيت يا بدر الهدى بحريها • شأن علاك سوابق الاقدار

انتهت

انتهت ولابن زمرك السابق قصيدة اخرى قالها بعد موت لسان الدين ابن الخطيب وخلع السلطان ابي العباس احمد ابن ابي سالم الذي قتل ابن الخطيب في دولته وكان سلطان الاندلس موئلا للسلطان احمد المذكور ولذلك استعض لرده لملكه فقال ابن زمرك وزير صاحب الاندلس بعد ابن الخطيب هذه القصيدة يمدح بها سلطانه اثناء جهته لتجديد الدولة الاحمدية المذكورة صدر عام تسعة وثمانين وسبعماية

هب النسيم على الرياض مع السحر • فاستيقظت في الدوح اجفان الزهر
وربى القضيب وقد اهاب من نومه • فاغتاض من حلل الغمام بما در
نثر الازاهر بعد ما نظم الندى • يا حسن ما نظم النسيم وما نثر
قم هاتها والجو زهر باسما • شمسا تحل من الزجاجة في القمر
ان شجها بالماء كف مديرها • ترميه من شهب الحباب بما شرر
نارية نورية من ضوئها • يقدح السراج لنا اذا الليل اعتكر
لم يبق منها الدهر الا صبغة • قد ارعشت في الكاس من ضعف الكبر
من عهد كسرى لم يفض ختامها • اذ كان يدخر كنزها فيما ذخر
كانت مذاب التبر فيما قد مضى • فاحالها ذوب اللجين لمن نظر
جدد بها عرس الصبوح فانها • بكر يحييها الكرام مع البكر
وابلل بها رمق الاصيل عشية • والشمس من وعد الغروب على خطر
محمرة مصفرة قد اظهرت • خجل المريب يشوبه وجل الحذر
من كف مشتاق يجدد نوره • من جوهر الا مهجة تهتصر
يهوى البدور كالنه ونوداته • لو اودنيت منه المحاسن والغرر
قد خط نون عذاره في خده • قلما تراه هناك ومن شعر
والى عليك بها الكؤوس وربما • ليسقيك من كاس الفتور اذا فتر
سكرا من امي من ترنح لحظه • متعاقبين متى سقا واذا نظر
حيث الهديل مع الهدير تناغيا • فالطير تنشد في الغصون بلا وتر
والقضب مالت للعناق كانها • وقد الاحبة قادمين من السفر
متلاعبات في الحلي يثوبه • وجنابها الورد حسنا عن خفر
والنرجس المطلول يرنو نحوها • بلواحظ دمع الندى منها انهمر
والنهر مصقول الحسام متى يرد • درع الغدير مصفقا فيه صدر
يجري على الحصبا ومنى جواهر • متكسرا من فوقها مهما عثر
هل هذه ام روضة البشرى التي • فيها لارباب البصائر معتبر
لم ادر من شغفي بها وبحسنها • من منهما فتن القلوب ومن سحر
جاءت بها الاجفان ملا ضلوعها • ملا الخواطر والمسامع والبصر

وسامر في البحر ملاء عنانه • واتى مع الفتح المبين على قدر
قادته نحوك بالخطام كانه • جمل يساق الى القياد وقد نفر
واراه دين الله عزة اهله • بك يا اعف القادرين اذا قدر
يا فخر اندلس وعصمة اهلها • للناس سر في اختصاصك قد ظهر
كم معضل من دائها عالجته • فشفيت منه بالبدار وبالبدر
ماذا عسى يصف البليغ خليفة • والله ما اياته الا غرر
ورثت هذا الفخر يا ملك الهدى • من كل من اوى النبي ومن نصر
من سايرون بفخرهم وكانهم • فليسال وحي الله فيهم والسير
اننا وهم انصار يعبدهم • بسيوفهم دين الاله قد انتصر
مولاي سعدك والصباح تشابها • وكلاهما في الخافقين قد اشتهر
هذا وزير المغرب عبد ابو • لم يلف غيرك في الشدائد من وزر
كفؤ الذي اوليته من نعمة • والله قد حتم الجزاء لمن كفر
ان لم يمت بالسيف مات بغيظه • وصلى سعيرا للتاسف والفكر
ركبا الزوارق مطية يجوابها • فجرت به حتى استوى على سقر
وكذا ابوه وكان منه حمامه • قد حم وهو من الحياة على غرر
بلغته والله اكبر شاهد • ما شاء من وطن بعيد ومن وطر
حتى اذا جحد الذي اوليته • لم يبق منه الحادثات ولم تذر
في حاله والله اعظم عبرة • لله عبد في القضاء قد اعتبر
فاصبر مثل امثالها في مثله • ان العواقب في الامور لمن صبر
روحت شيت تسوغا ورد المنى • فالله حسبك في الورود وفي الصدر
لا زلت محروسا بعين كلاءة • ما دام عين الشمس يغشى من نظر

ومنها وقد اهدا الى اليه من التغزل طوع بداره وحجة اقتداره فقال ـــــــ

والعود في كف النديم بعسرما • تلقى لنا منه الانامل قد جهر
غنى علينا الطير وهو بروضه • والان غنى فوقه ظبي اغر
عود ثوى حجر القضيب رعى له • ايام كانا في الرياض مع الشجر
لا سيما لما راى من ثغره ٥ • زهوا واين الزهو من تلك الدرر
ويظن ان عذاره من اسه • ويظن تفاح الخدود من الثمر
يسبي القلوب بلفظه وبلحظه • وافتتني بين التكلم والنظر
قد قيدته انسنا اوتاره • كالظبي قيد في الحبائل اذ نفر
لم يبل قلبي قبل سهم عنايه • بمعذر سلب العقول وما اعتذر
جس القلوب بجسه اوتاره • حتى كان قلوبنا بين الوتر

نمت

نمت لنا الحانه بجميع ما • قد اودعت فيه القلوب من الفكر
يا صاح ما والعود تحت بنانه • يغنيك نطق الخبر فيه عن الخبر
اغنى غناؤك عن مرامك ناكرا • هل من لحاظك ام بنانك ذا السكر
يا حسن انامله اللذان بكلا • كان المتيم في هواه قد سحر
وبمقاتل ما سل غير لحاظه • والرمح هز من القوام اذا خطر
دانت له منا القلوب بطاعة • والسيف يملك ربه نهي ونهد

انتهى وسنتم ان شاء الله تعالى برحمة ابن زمرك هذا في باب التلامذة ونشير هنالك الى كثير من احواله وكيفية قتله مع اولاده وخدمه بمراي ومسمع من اهله فكان الجزا من جنس العمل وخاب منه الامل اذ لسان الدين قتل غيلة بليل غاسق على يد مختاس في السجن فاسق واما ابن زمرك فقتل بالسيف جهارا ونهارا وشلت شيوخه مجذوعة بين بناته ابدا للتشفي والظهار وقتل معه من وجد من خدمه وابناه وابعده الدهر وطالما ادناه وهكذا الحال في خدام الدول وذوي الملك انهم اقرب شي من الهلاك ويرحم الله من قال اياك وخدمة الملوك فانهم يستثقلون في العقاب ضرب الرقاب ويستكثرون في الثواب رد الجواب انتهى الحاكانيه من احوال لسان الدين ابن الخطيب

وكان رحمه الله قبيل موته لما توفي السلطان ابو فارس عبد العزيز ابن السلطان ابي الحسن المريني بتلمسان وتغلب على الامر الوزير ابو بكر بن الغازي بن الكاس مبايعا لابن صغير السن من اولاد السلطان عبد العزيز الف كتابه المسمى باعمال الاعلام بمن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام ومراده بذلك تثبيت دولة الوزير الذي ابى ان يخفر عهده وذمته وامتنع ان يمكن منه اهل الاندلس فاكثروا القالة في الوزير بسبب مبايعته للصبي وتواطاوا الامر على ان ذلك لا يجوز ما بشرع وابدوا واعادوا في ذلك واشروا ومن كان امرهم حتوا في ادنيها ومن جملة كلام لسان الدين في ذلك الكتاب قوله فتى يبسوا اهل الاندلس بانكار بيعة صبي صغير او نيابة حاجب او وزير فقد عموا وصموا وحطوا وابوع الانصاف فلا عسوا وما الموا وبما سوه لغيرهم ذموا انتهى وكان رحمه الله الف للسلطان عبد العزيز حين اخيا وه اليه المباحث الطيبية في المفاخر الخطيبية يذكر فيه نباهة سلفه وما لهم من المجد وقصد الرد على اهل الاندلس المجاهرين له بالعداوة القادحين في مجد سلفه ثم الف للسلطان المذكور كتاب خلع الرسن في التعريف باحوال ابن الحسن لكونه تولى كبر الحط منه والسعي في هلاكه كما مر وقال في حق هذا الكتاب انه لا شي فوقه في الظراف والاستظراف ويسلي الثكالي ونستغفر الله انتهى ومع هذا كله لما انشبت المنية

الطنا دها لم تنفعه مما كسب نميمة ونال مما امل فيه اهل السعاية والنميمة وتجلو اغلبية المقالات الذميمة • وقد صار الجميع الى حكم عدل قادر يحيى من العظم رميمه وينصف المظلوم من الظالم ويجازى الجاهل والعالم ويساوى بين الملوك والامر والشريف والمشروف والعزيز والحقير والمنكر والمعروف وعفوه سبحانه مومل بعد وهو لا يخالف الوعد ومن سبقت له العناية لم تضره الجناية وقد كان لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله محبا في العفو حتى انه كان اذا جرى لديه ذكر عقوبة الملوك اتباعهم لتميز نفسه من ذلك ويقول ما معناه ما ضرهم لو عطفوا • وقد رايت له رحمه الله في بعض مولفاته وقد اجرى ذكر استعطاف ذي الوزارتين ابي بكر ابن عمار للسلطان المعتمد بن عباد حين قبض عليه بقوله

سجاياك ان عافيت اندى واسمح • وعذرك ان عاقبت اولى واوضح
وان كان بين الخطتين مزية • فانت الى الادنى من الله اجنح
وما ذا عسى الاعداء ان يتزيدوا • سوى ان ذنبي ثابت ومصحح
وان رجائي ان عندك غير ما • يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح
اقلني بما بيني وبينك من رضى • له نحو روح الله باب مفتح
ولا تلتفت قول الوشاة ورايهم • فكل اناء بالذي فيه يرشح
وقالوا سيجزيه فلان بذنبه • فقلت وقد يعفو فلان ويصفح
الا ان بطشا للمويد يرتجي • ولكن حلما للمويد يرجح
وبين ضلوعي من هواه تميمة • ستشفع لو ان الحمام يجلح
سلام عليه كيف دار به الهوى • الى فيدنو او على فيبرح
ويهنيه ان مت السلو فانني • اموت ولي شوق اليه مبرح

ما دعته ولابن عمار كلمات شهيرة تكاد بمراهمها جراح القلوب وتعفى على هفوات الذنوب لولا ما فرغ عنه من القدر المكتوب والاجل المحسوب الى ان قال وما كان اجمل بالمعتمد ان يبقى على جان من عبيده قد مكنه الله من عنقه لا يومل الخصول على امره ولا يحذر لعصب قبيله ولا يزيد العفو عنه الا ترفعا وعزة وجلالة وهيبة وذكرا جميلا واجرا جزيلا • فلا تمحى للسيئة من الحسنة ولا اقتل للشر من الخير ورحم الله الشاعر اذ يقول

وطعننهم بالمكرمات وباللهى • فحيث لو طعن القنى لتكسرا

انتهى وقد تذكرت هنا قول الاديب ابي عبد الله محمد بن احمد البجائي رحمه الله ورضي عنه

العجب ان حطت يد الدهر فاضلا • عن الرتبة العليا فاصبح تحتنا

اما هذه الانجاد تحمد اكلها • وتسقط منه كلما طاب وانتهى

يحكى عن واحد من مورخي الاندلس ان الكاتب الشهير الوزير ابا جعفر بن عطية القضاعي لما تغير له عبد المومن وتذاكر مع بعض من اهل العلم ابيات ابن عمار السابقة قال ما كان المعتمد الا قاسي القلب حيث لم تعطفه هذه الابيات الى العفو ووقع لابن عطية المذكور مثل قضية ابن عمار واستعطف فما نفع ذلك وقتل رحمه الله ولنلم بذلك فنقول كان ابو جعفر هذا من اهل مراكش واصله القديم من طرطوشة ثم من دانية وهو ممن كتب عن علي ابن يوسف بن تاشفين امير لمتونه وعن ابنيه تاشفين واسحاق ثم استخلصه لنفسه سالب ملكهم عبد المومن ابن علي واسند اليه وزارته فنهض باعبائها وتحبب الى الناس باجمال السعي والاحسان فعمت صنايعه وفشا معروفه وكان محمود السيرة منجح المحاولات ناجح المساعي سعيد الماخذ يسير المارب وكانت وزارته زينا للوقت وكمالا للدولة وفي ايام توجهه للاندلس وجد حساده السبيل الى التدبير عليه والسعي به حتى اوغروا صدر الخليفة عبد المومن عليه فاستوزر عبد السلام ابن محمد الكومي وانبرى لمطالبة ابن عطية وجد في التماس عوراته وتتبع سقطاته وطرحت بمجلس السلطان ابيات منها

قل للامام اطال الله مدته • قولا تبين لذي لب حقايقه
ان الزراجين قوم قد وترتهم • وطالب الثار لم تومن بوايقه
وللوزير الى ارايهم ميل • لذاك ما كثرت فيهم علايقه
فبادر الحزم في اطفاء نارهم • فربما عاق عن امر عوايقه
هم العدو ومن والاهم كهم • فاحذر عدوك واحذر من يصادقه
الله يعلم اني ناصح لكم • والحق ابلج لا تخفى طرايقه

قالوا ولما وقف عبد المومن على هذه الابيات البليغة في معناها وغر صدره على وزيره ابي جعفر واسرها في نفسه تغيرا فكان من اقوى اسباب نكبته وقيل افضى اليه بسر فافشاه وانتهى ذلك كله الى ابي جعفر وهو بالاندلس فقلق وعجل الانصراف الى مراكش فحجب عند قدومه ثم قيد الى المسجد في اليوم التالي حاسر العمامة واستحضر الناس على طبقاتهم وقرروا على ما يعلمون من امره وما صار اليه منهم فاجاب كل بما اقتضاه هواه وامر بسجنه ولف معه اخوه ابو عقيل عطية وتوجه في اثر ذلك عبد المومن الى زيارة تربة المهدي محمد بن تومرت فاستصحبهما منكوبين بحال الثقاف وصدرت عن ابي جعفر في هذه الحركة من لطايف الادب نظما ونثرا في سبيل التوسل بتربة امامهم المهدي عجايب

لم تجد شيئا مع نفوذ قدر الله فيه ولما انصرف من وجهته اعادها معه قافلا
الى مراكش فلما حاذى تامورت انفذ الامر بقتلهما بالشعرا المتصله بالحصن
على مقربه من الملاحة هنالك قضيا لسبيلهما رحمهما الله تعالى • ومما
خاطب به الخليفة عبد المومن مستعطفا له من رسالة تعالى فيه فغالته
المنية ولم ينل الامنية وهذه سنة الله فيمن لم يحترم جناب الالوهية
ولم يحرس لسانه من الوقوع فيما يخدش في وجه فضل الانبيا على غيرهم وعصمتهم
قوله سامحه الله تا الله لو احاطت في كل خطيئة ولم تنفك نفسي عن الحوبات
بطية حتى سخرت بمن في الوجود وانفت لادم من السجود وقلت ان الله لم يوح في
الفلك لنوح وبريت لعاد وثمود نبلا وابرمت لنار الخليل حبلا • وحططت
عن يونس بحوت اليقطين واوقدت مع هامان على الطين • ونقضت قبضة
من اثر الرسول فنبذتها • وافتريت على العذرا البتول فقذفتها • وكتبت
صحيفة القطيعة بدار الندوة • وظاهرت الاحزاب بالقصوى من العدوة
وذممت كل قرشي • واكرمت لاجل وحشي كل حبشي • وقلت ان بيعة السقيفة
لا توجب امامة خليفة • وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبة • واعتلقت
من حصار الدار وقتل اشمطها بشعبة • وقلت تقاتلوا رغبة في الابيض
والاصفر • وسفكوا الدما على الثريد الاعفر • وغادرت الوجه من الهامة
خضيبا • وتناولت من قرع سن الحسين قضيبا • ثم اتيت حضرة المعلوم
لائذا • وبقبر الامام المهدي عائذا • لقد آن لمقالتي ان تسمع • وتغفر لي
هذه الخطيات اجمع • مع اني مقترف • وبالذنب معترف

فعفوا امير المومنين فمن لنا • بحمل قلوب هدها الخفقان

وكتب مع ابن له صغير احرم

عطفا علينا امير المومنين فقد • بان العزا لفرط البث والحزن
قد اغرقتنا ذنوب كلها لجج • وعطفكم يحيي من الغرق والسفن
وصادفتنا سهام كلها غرض • ورحمة منكم اوقى من الجنن
هيهات للخطب ان تسطو حوادثه • بمن اجاره رحماكم من المحن
من جا عندكم يسعى على ثقة • بنصره لم يخف بطشا من الزمن
فالثوب يطهر عند الغسل من درن • والطرف ينهض بعد الركض في سنن
انتم بذلتم حياة الخلق كلهم • من دون من عليهم ولا ثمن
ونحن من بعض من احيت مكارمكم • كلنا الحياتين من نفس ومن بدن
وصبية كفراخ الورق من صغر • لم يالفوا النوح في فرع ولا فنن
قد اوجدتهم ايادٍ منك سابغة • والكل لولا الله لم يوجد ولم يكن

فوقع عبد المومن على هذه القصيدة الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين

ومما كتب به من السجن

انوح على نفسي ام انتظر الصفحا • فقد آن ان تنسى الذنوب وان تمحا
فها انا في ليل من السخط حاير • ولا اهتدي حتى ارى للرضى صبحا

وامتحن عبد المومن الشعرا بهجو ابن عطية فلما اسمعوه ما قالوا اعرض عنهم وقال
ذهب ابن عطية وذهب الادب معه • وكان لابي جعفر اخ اسمه عطية قتل معه
ولعطية هذا ابن اديب كاتب وهو ابو طالب عقيل ابن عطية ومن نظمه في رجل
تعشق قينة كانت قد زنت من مولاها مالا فكانت تنفق عليه منه فلما فرغ
المال مَلّها

لا تلحه ان مل من حبها • فلم يكن ذلك من ود
لما راها قد صفا مالها • قال صفا الوجد مع الوجد

وكان ابو جعفر ابن عطية من ابلغ اهل زمانه • وقد حكي انه مر مع الخليفة
عبد المومن ببعض طرق مراكش فاطلت من شباك جارية بارعة الجمال
فقال عبد المومن

قدت فوادي من الشباك اذ نظرت • فقال الوزير ابن عطية مجيزا له
حورا ترنوا الى العشاق بالمقل • فقال عبد المومن
كانما لحظها في قلب عاشقها • فقال ابن عطية
سيف المويد عبد المومن بن علي • ولا خفا ان هذه طبقة عالية

ومن فصول رسالته التي كتب بها عن ابي حفص ومن الي اورنة الرتبة العلية
السنية • والعزارة الموحدية المومنية • قوله كتبنا هذا من وادي
ماسة • بعد ما تجدد من امر الله الكريم • ولنصر الله المعهود المعلوم • وما
النصر الا من عند الله العزيز الحكيم • فتح بهر الانوار اشراقا • واحدق بنفوس
المومنين احداقا • ونبه للاماني النايمة جفونا واحداقا • واستغرق
غاية الشكر استغراقا • فلا تطيق الالسن لكنه وصفه ادراكا ولا لحاقا •
جمع اشتات الطلب والارب • وتقلب في النعم اكرم منقلب • وملا دلو الامل
الى عقد الكرب

فتح تفتح ابواب السما له • وتبرز الارض في ابرادها القشب

وتقدمت بشارتنا به جملة • حين لم يعط الحال بشرحه مهلة • كان اولائك
الضالون المرتدون قد بطروا عدوانا وظلما • واقتطعوا الكفر معنى واسما
واملى لهم الله ليزدادوا اثما • وكان مقدمهم الشقي قد استمال النفوس بخزعبلاته • واستهوى القلوب بمهولاته • ونصب له الشيطان من حبالاته •

فاتته المخاطبات من بعد وكثب • وتسللت اليه الرسل من كل حدب • واعتقدته
الخواطر اعجب عجيب • وكان الذى قادهم الى ذلك واوردهم تلك المهالك • وصول
من كان ببلك السواحل • ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من
الاعوام • واشتغل على زعمه بالقيام والصيام • اناء الليالى والايام • لبسوا
الناموس اثوابا • وتدرعوا الريا جلبابا • فلم يفتح الله لهم للتوفيق بابا
ومنها فى ذكر صاحبهم السابى المدعى للهداية • فضرع بحمد الله لحينه • وبادرت
اليه بوادر منونه • واتته وافدات الخطيات عن يساره ويمينه • وقد
كان يدعى انه يبشر بان المنية فى هذه الاعوام لا تصيبه • والنوايب لا تنوبه
ويقول فى سواه قولا كثيرا • ويختلق على الله افكا وزورا • فلما راوا هياه
اضطجاعه وملاحظة الاسنة فى اعضايه • ونفوذ فيه من امر الله ما لم
يقدروا على استرجاعه • هزم من كان لهم من الاحزاب • وتساقطوا على وجوههم
تساقط الذباب • واعطوا عن كره ايديهم صفحات الرقاب • فلم تقطر كلومهم
الا على الاعقاب • فامتلات تلك الجهات باجسادهم • واذنت الاجال بانقراض
اعدادهم • واخذهم الله بكفرهم وفسادهم فلم يعاين منهم الامن حرصريعا • وسقى
الارض نجيعا • ولقى من امر الهندوان قطيعا • ودعت الضرورة باقيهم
الى الترامى فى الوادى • ممن كان يومل الفوار ويرتجيه • ويسبح طامعا
من الخروج الى ما ينجيه • اختطفته الاسنة اختطافا • واذاقته
موتا ذعافا • ومن نجح فى الترامى على لجه • ورام البقاء فى ثبجه • وقضى
عليه شرقه • والوى بزفنه غرقه • ودخل الموحدون الى البقية الكاينة
فيه يتناولون قتالهم طعنا وضربا • ويلحقونهم بامر الله هولا عظيما وكربا
حتى انبسطت مراقات الدما • على صفحات الما • وحكت حمرتها على
زرقته حمرة الشفق على زرقة السما وجرت العبرة للمعتبر • فى جرى ذلك الدم
جرى النهر • وبالجملة فالرجلان كان شيخ وحده • رحمه الله وسامحه • وقضية
لسان الدين شبيه قضيته • وكلاهما قد ذاق من الذل بعد العز غصته
وبدل الدهر نصيبه من الوزارة وحصته • بعد ان افتعد ذروة الامر
ومنصته • رحم الله الجميع انه مجيب سميع

الباب الثالث

فى ذكر مشايخه الجلة • هداة الناس ونجوم الملة • وما يتعلق بذلك من الاخبار
الشافية من العلة • والمواعظ المنجية من الاهوا المضلة • والمناسبات
الواضحة البراهين والادلة • اقول لا خفا ان الشيخ لسان الدين رحمه
الله اخذ عن جماعة من اهل العدوة والاندلس عدة فنون • وحدث عنهم بما

يعنى

بما يصدق الاقوال ويحقق الظنون • فمن اشياخه رحمه الله الفقيه الجليل
الشريف النبيه الشهير رايس العلوم اللسانية بالاندلس قاضى الجماعة ابو
القاسم محمد ابن احمد ابن محمد الحسينى السبتى رحمه الله كان هذا الشريف اية
الله الباهرة فى العربية والبيان والادب • ويكفيه فضلا انه شرح الخزرجية
وافترع هضاب مشكلاتها بفهمه من غير ان يسبقه احد الى استخراج كنوزها
وايضاح رموزها وشرح مقصورة اديب المغرب الامام ابى الحسن حازم بن محمد
القرطاجنى الاندلسى التى مدح بها امير المومنين المستنصر بالله ابا عبد الله
محمد الحفصى • وسمى هذا الشرح برفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة
وهذا الشرح فى مجلدين كبيرين وفيه من الفوايد ما لا مزيد عليه وابيه بالمغرب
واستفدت منه كثيرا ومن فوايد الشريف المذكور انه قال فيما جاء
من الحديث فى صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل بهما وادبر
ان احسن الوجوه فى تاويله ان يكون قدم الاقبال تفاولا واتم فسر بعد
ذلك على معنى ادبر واقبل قال والعرب تقدم فى كلامها الفاظا على
الفاظ اخر وتلتزمه فى بعض المواضع كقولهم قام وقعد ولا تقول قعد وقام
وكذلك اكل وشرب ودخل وخرج وعلى هذا النمط كلام العرب فتكون هذه
المسالة من هذا قال ويويد ما قلناه وهو موضع النكتة تفسيره لا
قيل وادبر فى باقى الحديث على معنى ادبر ثم اقبل ولو كان اللفظ على
ظاهره لم يحتج الى تفسير انتهى • وحدث رحمه الله عن جل لامه قال كنت
بالمشرق فدخلت على بعض المقرايين فالفيت الطلبة يعربون عليه قول
امرى القيس

كان ابانا فى افانين ودقه • كبير اناس فى بجاد مزمل
فانشد ولا ادرى هل هى له او لغيره •
اذا ما الليالى جاورتك بساقط • وتدرك مرفوع فعنه تزحل
الم تر ما لاقاه فى جنب جاره • كبير اناس فى بجاد مزمل
وكان بعض الناس ينشد فى هذا المقصد قول الاخر
عليك بارباب الصدور فمن غدا • مضافا لارباب الصدور تصدرا
واياك ان ترضى بصحبة ساقط • فتنحط قدرا من علاك وتحقرا
فرفع ابو من ثم خفض مزمل • يبين قولى مغريا ومحذرا

وهذا معنى قول الشاعر

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم • ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى
انتهى وما احسن قول ابى بحر صفوان بن ادريس المرسى رحمه الله

أما إلى الله من أناس • قد خلعوا ألبسة الوقار
جاورتهم فاتخذت هونا • يا رب خفف على الجوار

ومن نظم الشريف رحمه الله

وأحور ذات خديه عذار • سبى الألباب منظره العجايب
أقول لهم وقد عابوا غرامي • به أولاح للدمع انسكاب
أبعد كتاب عارضه يرجى • خلاص لي وقد سبق الكتاب

ومن الغريب في توارد الخواطر ما وجد بخط الأديب البارع المحدث الكاتب أبي عبد الله محمد بن الشيخ الكبير أبي القاسم بن جزي الكلبي رحمهما الله وسيأتي إن ما معناه قلت هذه القطعة •

ومعسول اللمى عاد نعز ابا • على قلبي ثنا باه العذاب
وقد كتب العذار بوجنتيه • كما بالخط قاريه الكتاب
وقالوا لو سلوت فقلت خيرا • واني لي وقد سبق الكتاب

ثم عرضتها على شيخنا القاضي أبي القاسم الشريف بعد نظمها بمدة يسيرة فقال لي قد نظمت هذا المعنى بالعروض والقافية في هذه الأيام اليسيرة وأنشدني وأحور ذات خديه عذار الأبيات السابقة وهذا يقع كثيرا ومنه ما وقع لابن الرقام حيث قال من شعره قوله

جلت في البلاد تبلغ عزا ومكرمة • في أي أرض فكن تبلغ سناك بها
جل الفوائد في الأسفار مكتسب • والله قد قال فامشوا في مناكبها

فقال له الفقيه ابن حذلم مثل هذا وقع لأبي حيان إذ قال

يا نفس ما لك تهوين الإقامة في • أرض تعذر كل من مناك بها
أما تلوت وعجز المرء منقصة • في محكم الوحي فامشوا في مناكبها

فحصل التعجب من هذا الاتفاق الغريب • ونقلت ممن نقل من خط الفقيه محمد بن علي بن الصباغ العقيلي ما صورته كان الشريف الغرناطي رحمه الله أية زمانه وارمنة البيان طوع بنانه له شرح المقصورة القرطاجنية • أغرب ما تتحلى به الآذان • وأبدع ما ينشرح له الجنان • إلى العقل الذي لا يدرك والفضل الذي حمد منه المسلك • حدثني بنادرة جرت بينه وبين مولاي أبي الوليد من أتى به من طلبة الأندلس وأعلامها • قال دخل والدي يوما لأداء الشهادة عنده فوجد بين يديه جماعة من الغزاة يؤدون شهادة فسمع القاضي منهم وقال هل ثم من يعرفكم فقالوا نعم يعرفنا علي الصباغ فقال القاضي أتعرفهم يا أبا الحسن فقال له نعم يا سيدي معرفة محمد ابن يزيد فأنكر عليه شيئا بل قال لهم عرف الفقيه أبو الحسن ما عنده فانظروا من يعرف معه رسم حالكم فانصرفوا له

راضين

راضين ولم يتحقق والدي في شيء من حالتهم ولا كشف القاضي لهم ستر القضية قال محمد بن علي ابن الصباغ أما قول والدي معرفة محمد ابن يزيد فأشار إلى قول الشاعر

أسائل عن ثمالة كل حي • فكلهم يقول وما ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم • فقالوا الآن زدت بهم جهاله

فتفطن القاضي رحمه الله لجودة ذكائه إلى أنه لم يتحقق في شيء من معرفتهم ممتنعا من إظهار ذلك بلفظ الصريح لكن واكتفى بذكاء القاضي الصحيح رحمهما الله تعالى انتهى • ومن فوائد الشريف ما حكاه عنه تلميذه الإمام النظار أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله ونفعه قال لي الشيخ القاضي الشهير الكبير أبو القاسم الحسني يوما وقد جرى ذكر حتى التي للابتداء وإن معناها التي يقع بعدها الكلام سواء كان ذلك متعلقا بما قبلها لم يتم دونه أو لا بل لا يكون الأمر إلا كذلك • قال وقد حدثني بعض الأصحاب أنه سمع رجلا يصلي أشفاع رمضان فقرأ من سورة الكهف إلى قوله تعالى ثم أتبع سببا فوقف هنالك وركع وسجد قال فظننت أنه نسي ما بعد ثم ركع وسجد حتى يتذكر بعد ذلك وليعيد أول الكلام فلما قام من السجود ابتدأ القراءة بقوله حتى إذا بلغ فلما تم الصلاة قلت له في ذلك فقال إليست حتى للابتدائية قال القاضي الشريف المذكور فيجب أن يفهم أن الاصطلاح في حتى وفي غيرها من حروف الابتداء ما ذكر انتهى • وقال الشاطبي أنشدني أبو محمد بن حذلم لنفسه

شأن المحبين في أشجانهم عجب • وحالتي بينهم في الحب أعجبها
قد كنت أبعث من ريح الصبا رسلا • فأي قنطي أشواقي فتذهبها
والآن أرسل دمعي إثرها ديما • فتلتظي نار وجدي حين أسكبها
فاعجب لنار اشتياق في الحشا وقدت • الريح تذهبها والماء يلهبها

ثم قال الشاطبي ما نصه أخذ هذا المعنى فتممه من قطعة أنشدناها شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف رحمة الله عليه أذكر الآن آخر بيت منها وهو •

يا من رأى الشادن تطفي بحالته • فبالرياح وإن توقد فبالماء

انتهى وأخذ عن الشريف المذكور رحمه الله جماعة غير لسان الدين من أشهرهم العلامة النظار أبو إسحاق الشاطبي والوزير الكاتب أبو عبد الله بن زمرك قال حفيد السلطان الغني بالله بن الأحمر رحمه الله في حق ابن زمرك أنه تردد الأعوام العديدة إلى قاضي الجماعة أبي القاسم الشريف فاختص بالإصغاء وتبا الأيمة البلغاء بما أوجب أن رثاه عند الوقوف على قبره بالقصيدة الغريبة التي أولها

• أعزى سراة الحي بالإطراق • وقال في مواضع أخر ومما بذبه يعني

ابن مرك سبقا وتبريزا • وعونه علي نقدة البيان فوات منه كل مذهبة خلعت
ابن بيرا من مرثيته للقاضي المعظم الشريف ابي القاسم الحسني من شيوخه ومنها

اغرى سراة الحي بالاطراق • نبا اصم مسامع الافاق
امسى به ليل الحوادث داجيا • والصبح اصبح كاسف الاشراق
فجع الجميع بواحد جمعت له • شتى العلى ومكارم الاخلاق
هبوا الحاكم الرضي فانه • مرق القضا فما له من واق
نفس الزمان بعرفه في صفحة • كل اجتماع موذن بفراق
ماذا توحى من زمانك بعدما • علق الغنا بانفس الاعلاق
من تحت السبع الطباق علاه • عالوا عليه من الثرا اطباق
ان للمنايا للبرايا غاية • سبق الكرام لخصلها باستباق
لما حسبنا ان نحول ابو سنا • كشفت عوان حروبها عن ساق
ماكان الا البدر طال سراره • حتى رمته يد الردى بمحاق
الف المقام مع الفنا نزاهة • فنوى الرحيل الى مقام باق
عدم الموافق في موافقة الدنى • فمضى الركاب الى الرفيق الباقي
اسفا على ذاك الجلال تغلصت • افياوه وعهدن خير رواق
يا امرى بالصبر عيل تصبري • دعني عدتك لواعج الاشواق
وذوا السواع تسني بدمع مدادها • وشي الفريض يروق في الاوراق
ملكت رياح المعلوات لفقدها • كسدت به الاداب بعد نفاق
كم من غوامض قد صدعت بفهمها • خفيت مداركها على الحذاق
كم قاعد في البيت بعد قعوده • قعدت به الامال دون لحاق
لمن الركايب بعد بعدك تنتضي • ما بين شام نزيهي وعراق
تعلي الفلا بمناسم مغلولة • لثم الحصى بنجيعها الرقراق
كانت اذا اشتكت الوجا تو فقد • يتلوا نسيم ثنايك الخفاق
فاذا تقسمت المقام امامها • مدت لها الاعناق في الاعناق
يا موحي البدن الفلاة خوافقا • دفعا بها فالسعي في اخفاق
مات الذي ورث العلا عن معشر • ورثوا تراث المجد باستحقاق
رفعت لهم رايات كل جلالة • فمضوا في حلبة السباق
علم الهداة وعلم الحياق الكهى • حرم العفاة المجتنى الارزاق
رقت سجاياه وراقت مجتلي • كالشمس في بعد وفي اشراق
كالبدر في العلياء والبدر في • علياء والزهر في الايراق
مهما مدحت سواه قيد وصفه • وصفاته حمدا على الاطلاق

التي

يا وارثا

يا وارثا نسب النبوة جامعا • في العلم والاخلاق والاعراق
يا ابن الرسول وانها لوسيلة • يرقى بها اوج المصاعد راق
ورد الكتاب بفضلكم وكالكم • فكفى بنا الواحد الخلاق
مولاي اني في علاك مقصر • قد ضاق عن حصر النجوم نطاق
ومن الذي يحصي مناقب مجدكم • عد الحصى والرمل غير مطاق
يمني قبورا زرتها فلقد ثوت • منا مقبور جوانح وحداق
حط الردى منها سطورا نعتها • لا ابرانك للعفاء سلاق
تلحقت توجه الكتاب وصدره • ذو فوايد المكتوب في الالحاق
كم من سراة في القبور كانهم • في بطنها درر ثوى بحقاق
قل للسحاب انتحب في يومك نحو • والعب لجبادم برقك الخفاق
اودى الذي عين العباد بكفه • يزري بواكف غيثك الغيداق
ان كان صوبك بالمياه قدرها • در بروض ما حل الاملاق
لبشر كثير قد بغوا المسا بغي • قاضي القضاه وغاب في الاطباق
البستهم ثوب الكرامة ضافيا • واردت من كردين رهاف
يتفياون ظلال جاهك كلما • لفحت سموم الخطب بالاحراق
عدموا المرافق في فراقك وانطوى • عنهم بساط الرفق والارفاق
رفعوا سريرك خافضين رؤوسهم • ما منهم الاحليف سياق
لكن مصيرك للنعيم مخلدا • كان الذي ابقى على الارماق
ومن العجايب ان يرى بحر الندى • طود الهدى يسري على الاعناق
ان يحملوك على الكواهل طالما • قد كنت محمولا على الاحداق
او يرفعوك على العواتق طالما • رفعت ظهر منابر وعتاق
ولين رحلت الى الجنان فاننا • نصلى بنار الوجد والاشواق
لو كنت تشهد حزن من خلفته • اثنى عناك كثرة الاشفاق
ان لحزن لبداح من فرط الاسى • وسوى كلامك ما له من راق
فابعث خيالك في الكرى يبعث به • منك السرور لنا كل مشتاق
اغليت نار الحزن التصبر مثلما • ارخصت در الدمع في الاماق
ان تخلف الارض الغمام فانني • اسقي الضريح بدمعي المهراق

وكانت وفاة الشريف المذكور سنة احدى وستين وسبعماية قال ابن الخطيب القسنطيني
في وفياته وفي هذه السنة يعني واحد وستين وسبعماية توفي شيخنا قاضي
الجماعة بغرناطة حرسها الله ابو القاسم محمد ابن احمد الشريف الحسني وكتب لي بالاجازة
العامة بعد التمتع بمجلسه وله شعر مدون سماه جهد المقل وله الشرح على الخزرجية

الخزرجية في العروض واقدم عليها بعد ان عجز الناس عن فكها وكان اماما في الحديث
والفقه والنحو وهو على الجملة ممن حمل الفخر بلعنايه ولم يكن احد بعده مثله
بالاندلس انتهى وقال في الاحاطة ان مولد الشريف كان سنة سبع وتسعين
وستماية وان وفاته سنة ستين وسبعماية وفي وفاته مخالفة لما تقدم
والله اعلم ومما احسن فيه الشريف ابو القاسم المترجم به

حدايق ابنتت فيها الغوادي • ضروب النور رايقة البها
فما يبدو بها النعمان الا • فيشباه الجمان الشما

وكان للشريف ابي القاسم المذكور ابنان نجيبان احدهما قاضي الجماعة ابو
المعالي والاخر ابو العباس احمد • قال الراعي في كتابه الفتح المنير في بعض
ما يحتاج اليه الفقير ما نصه حكاية تتعلق بالانقطاع فنسال الله تعالى
العافية وقع للسيد الشريف قاضي الجماعة بغرناطة ابي المعالي ابن السيد
الشريف ابي القاسم الحسني شارح الخزرجية ومقصورة حازم نفع الله تعالى
بسلفهم الكريم وكانت ام السيد ابي المعالي حسينية فكان شريفا من الجهتين
انه كان قد ترك كبار الوظايف والرياسات وتجرد للعبادة ولبس المرقعة
وسلك طريق القوم وكان من الدين والعلم والتعظيم في قلوب اهل الدنيا
واهل الاخرة على جانب عظيم يشار اليه بالاصابع وكان اخوه شيخي واستاذي
ابو العباس احمد قاضيا ايضا في الاندلس فكان اخوه ابو المعالي المذكور ياكل
في بيت شقيقه شيا لاجل ذلك ولعيشه من خدم السلطان وكان اذا احتاج
الى الطعام وهو في بيت اخيه اعطاه درهما من عنده اشترى له به ما ياكل
واقام على هذه الحالة الحسنة سنين كثيرة ثم اذ دخل يوما على الفقرا بزاوية
المحروق من ظاهر غرناطة وكان شيخ الفقرا بها في ذلك الوقت الشيخ ابا جعفر
احمد المحدود فقال لهم يا سادتي انه كان معي قنديل استغني به ففقدته في
هذه الايام وما بقيت ابصر شيا فقال له شيخهم المذكور يا شريف اول رجل
يدخل علينا في هذا المجلس يجيبك عن سوالك فدخل عليهم رجل من خيارهم
من اهل البادية فسلم وجلس فقال له الشيخ ان الشريف سال الجماعة
فقلت اول رجل يدخل علينا يجيبك فوقفت انت فاجبه عن سواله فقال
له ما سوالك يا شريف فقال انه كان لي قنديل استضي به ففقدته وما
بقيت ابصر شيا فقال له الفقير هذا لا يتقدر الا عن سوء ادب اخبرنا بما
وقع منك فقال له الشريف ما اعلم انه وقع مني شي غير ان المباشر فلانا
طلبه السلطان للمصادرة فاستخفى منه فمررت ببابه يوما فنادى لي من شقة
الباب يا سيدي اجعل خاطرك معي لله تعالى فقلت له اذكر الذكر الفلاني قلت

وانا اظن انه امره بذكر اسمه تعالى اللطيف فانه سريع الاجابة في تفريج
الشدايد والكروب نص عليه البوني في منتخبه وهو مجرب في ذلك وقد
رواه لي عن بعض مشايخه السيد الشريف احمد اخوه فقال له الفقير هل
كان اذن لك في تلقينه قال لا قال له الفقير لا يعود اليك نورك ابدا
لانك تعديت الادب فكان كما قال فانقطع وولي بعد قضا الجماعة
وعزل عن سخط وخدم الملوك واكل طعامهم وحالته اولا واخرا معروفة •
بغرناطة نسال الله تعالى ان لا يجعلنا من المطرودين عن باب رحمته بمنه
وكرمه انتهى كلام الراعي رحمه الله رجع الى مشايخ لسان الدين رحمه الله
ورضي عنه وسامحه فنقول ومن مشايخ لسان الدين الامام الرحالة
شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جابر الوادي اشي ولد بتونس • وهو محمد بن
جابر بن محمد بن قاسم بن احمد القيسي شيخ الامام المحدث معين
ممتنع نبيل رحال متقن قال الخطيب ابن مرزوق وعاشرته كثيرا
سفرا وحضرا وتعلقت بقراته وسمع بقرايي • وقرات عليه الكثير وقيدت
من فوايده وانشدني الكثير فاول ما قرات عليه بالقاهرة بمسجد
وقرات عليه بمدينة فاس وبظاهر قسنطينة وبمدينة بجاية
وبظاهر المهدية وبمنزلي من تلمسان وقرات عليه احاديث عوالي من
تخريج الدمياطي وفيها الحديث المسلسل بالاولية وسلسلته عنه
من غير رواية الدمياطي لشرطه ثم قرات عليه اكثر كتاب الموطا رواية يحيى
واعجله السفر فاتممته عليه في غير القاهرة • وحدثني به عن جماعة
ومعوله عن الشيخين قاضي القضاة ابي العباس بن الغماز الخزرجي
وهو احمد بن محمد بن حسن والشيخ ابي محمد ابن هرون وهو عبد الله بن
محمد القرطبي الطاي الكاتب المعمر الا ديب بحق سماعه لاكثره على الاول
وقراته بجميعه على الثاني قال الاول انا ابو الربيع بن سالم بجميع طرقه
فيه منها عن ابن مرزوق وابي عبد الله ابن ابي عبد الله الخولاني عن ابي عمر
وعثمان ابنا احمد المعافري عن ابي عيسى بسنده • وقال الثاني انا
ابو القاسم بن بقي بقرطبة • انا ابو عبد الله محمد بن عبد الحق • عن
محمد بن فرج مولى الطلاع عن يونس بتمام سنده قال شيخنا وفي هذا
السند غريبتان احداهما انه ليس فيه اجازة والثانية ان شيوخه
كلهم قرطبيون • قال ابن مرزوق قلت واغرب في اتصال سماع الموطا
وقراته فقد وقع لي على قلة التحصيل متصلا من طرق ولله الحمد • وقد
رويته عن قرطبي وهو ابو العباس بن العشا • ثم قرات عليه كتاب الشفا لعياض

وحدثني به عن ابي القاسم عن ابي عبد الله بن ابي القاسم الانصاري المالقي نزيل سبتة ويعرف بها بابن حكم وبابن اخت ابي صالح عن ابي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجي عن ابي جعفر احمد بن حكم عن المولف وحدثني به ايضا عن قاضي الجماعة ابن ابي الربيع عن سالم عن ابي جعفر بن حكم منه قال ابن مرزوق بعد كلامه رويت عنه وانشدنا لابي محمد بن هرون

لا تطمعن في نفع الكاتب • مرزوق قل النفع عند الال
اقصر وبذلك انما اغلقته • بالال من اهل كتب الال

ولابن هرون المذكور

اقل زيارة الاحباب • تزدد عندهم قربا
فان المصطفى قد قال • زر غبا تزدد حبا

ولابن هرون ايضا

وما لي بالنوى زمني • فشمل الانس مفترق
وليلي كله فكر • فقلبي منه محترق
وللاداب ابنا • ببحر الفقر قد غرقوا
وكل منهم وجل • بما يلقاه او فرق
لبغض برلعيم منه • في النطق او نزق
وقد صفرت اكفهم • فلا ورق ولا ورق
ولطفا سرتعب • من الحادثات تخترق

قال ابن مرزوق وشعره الفايق لا يحصر وهو عندي في مجلد كبير وولد ابن جابر سنة سبع وستين وسمع بمصر عن جماعة وكتب بخطه كثيرا وله معرفة بالحديث والنحو واللغة والشعر وله نظم حسن وتوفي ببنونش سنة تسع وسبعين وسبعماية واخذ القراات عن ابن الزيات وغيره وترجمة الحافظ ابن جابر رحمه الله واسعة مشهورة وقد ذكرناه في غير هذا الكتاب بما جمعناه ومما انشده لسان الدين رحمه الله لبعض المتصوفة من شيوخه ولم يسمه قوله

هل تعلمون مصارع العشاق • عند الوداع بلوعة الاشواق
والبين يكتب من نجيع دمايهم • ان الشهيد بنوى بعراق
لو كنت شاهد حالهم يوم النوى • لرايت ما يلقون غير مطاق
منهم كئيب لا يبل بكاوه • قد احرقته مدامع الاماق
محرق الاحشا اشتعل نارها • طول الوجيب بقلبه الخفاق
وموله لا يستطيع كلامه • مما يقاسيه في الهوى ويلاقي

حزين

حزين اللسان فما يطيق عبارة • الا التي وما له من راق
ما للمحب من المنون وقاية • ان لم يجد محبوبه بتلاقي
مولاي عبدك ذاهب بغرامه • ادرك بفضلك من رماه الباقي
اني اليك برلبي متوسل • فاعطف بلطف منك او اشفاق

وهذه الابيات اوردها رحمه الله في الروضة في العشق بعد ان حد وتكلم عليه ثم اورد عدة مقطوعات ثم ذكر بعدها هذه الابيات كما ذكر وانشد لسان الدين رحمه الله لبعض اشياخه وسماه وانشدنيه اما الان فانا بيتنا من خلوق معنوية ارق من النجوى واحلى من السلوى •

ففي ساعة في ساحة الدار والطريق • الى عاشق لا يستفيق من البلوى
وكم قد سالت الريح شوقا اليكم • فاحسن مسراها على ولا الوى

وقوله

انست بوحدتي حتى لوان • اتاني الانس لاستوحشت منه
ولم تدع التجارب لي صديقا • اميل اليه الا ملت عنه

وقوله رحمه الله

عليك بالعزلة ان الفتى • من طاب بالقلة في العزلة
لا يرتجي عزله وال ولا • يخشى من الذلة في العزلة

ومن اكابر شيوخ ابن الخطيب رحمه الله جدي الامام العلامة قاضي القضاة بحضرة الخلافة فاس المحروسة ابو عبد الله قال في الاحاطة محمد بن محمد بن احمد بن ابي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن ابي بكر بن علي القرشي المقري يكنى ابا عبد الله قاضي الجماعة بفاس تلمساني اوليته نقلت من خطه قال وكان الذي اتخذها من سلفنا قرارا بعد ان كانت لمن قبله مزارا عبد الرحمن بن ابي بكر بن علي المقري صاحب الشيخ ابي مدين الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين وهو ابي الخامس فانا محمد بن محمد بن احمد بن ابي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن وكان هذا الشيخ عوود الصلاة حتى انه ربما امتحن بخيرتي فلم يونس منه التفات ولا استشعر منه شعور ويقال ان هذا الحضور مما ادركه من مقامات شيخه ابي مدين انتهى • وكتب بعض المغاربة على هامش هذا المحل من الاحاطة ما صورته القرشي وهم انتهى • فكتب تحته الشيخ الامام ابو الفضل بن الامام التلمساني رحمه الله ما نصه بل صحيح نطقت به الالسن والمكاتبات والاجازات واعربت عنه الخلال الكريمة الا ان البلدية يا سيدي ابا عبد الله والمنافسة تجعل الوشية في امام الغرب

أبي عبد الله المقري وهما والحمد لله اثنتان انتهى قلت وممن صرح بالقرشية في حق الجد المذكور ابن خلدون في تاريخه وابن الأحمر في نثير الجمان وفي شرح البردة عند قوله لعل رحمة ربي حين يقسمها والشيخ ابن غازي والولي الصالح سيدي أحمد زروق والشيخ علامة زمانه سيدي أحمد الونشريسي وغير واحد وكفى بلسان الدين شاهدا مزكيا وقد ألف العالم الدنيا ابن مرزوق تأليفا استوفى فيه التعريف بمولاي الجد سماه النور البدري في التعريف بالفقيه المقري وهذا بناء منه على مذهبه أنه بفتح الميم وسكون القاف كما صرح بذلك في الالغيه عند قوله وضبطه غيره وهم الأكثرون بفتح الميم وتشديد القاف وعلى ذلك عول أكثر المتأخرين وهما لغتان في البلدة التي نسب إليها وهي مقرة من قرى زاب افريقية وانتقل منها جده إلى تلمسان صحبة شيخ ولي الله سيدي أبي مدين رضي الله عنه

إلى تكملة كلام مولاي الجد في حق أوليته قال رحمه الله بعد الكلام السابق في حق جده عبد الرحمن ما صورته ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر طبقتنا بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير وكان ولد يحيى الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال فكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسبي من جميع جهات أمي وأبي بتلمسان وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بإيوالاتن فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار وتزوجوا النسا واستولدوا الإما وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوزة والتبر والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان حتى اتسعت أموالهم وارتفعت في الضخامة أحوالهم ولما افتتح التكرور كورة إيوالاتن وأعمالها أصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها بعد أن جمع من كان بها منهم إلى نفسه الرجال ونصب دونها ودون مالهم القتال ثم اتصل بملكهم فأكرم مثواه ومكنه من التجارة بجميع بلاده وخاطبه بالصديق الأحب والخلاصة الأقرب ثم صار يكاتب من بتلمسان يستقضي منهم مآربه فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبي عن ذلك فلما

استوثقو

استوثقوه من الملوك • تذللت لهم الأرض للسلوك • فخرجت أموالهم عن الحد • وكادت تفوت الحصر والعد • لأن بلاد الصحراء قبل أن يدخلها أهل مصر كانت تجلب إليها من المغرب ما لا بال له من السلع فتعاوض عنه بما له بال من الثمن أبي مديون دنا ضم جنبا أبي حمو وشمل ثوباه كان يقول لولا الشناعة لم أزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع • ومن سواهم يحمل منها الذهب ويأتي إليها بما يضمحل عن قريب ويذهب • ومنهم من يغير من العوائد • ويجر السفهاء إلى المفاسد • ولما درج هؤلاء الأشياخ جعل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم ولم يقوموا بأمر التثمير قيامهم وصادفوا تولي الفتن ولم يسلموا من جور السلاطين فلم يزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمن فها أنا ذا لم أدرك من ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فضوله عيشا وأصوله حرمة ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب وأسباب كثيرة تعين على الطلب فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة فاستوعبت أهل البلد لقا • وأخذت عن بعضهم عرضا وإلقا • سوا المقيم القاطن • والوارد الظاعن • انتهى كلامه في أوليته وقد نقله لسان الدين في الإحاطة • وقال مولاي الجد رحمه الله كان مولدي بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان وقد وقفت على تاريخ ذلك ولكني رأيت الصفح عنه لأن أبا الحسن بن مومن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه فقال أقبل على شأنك • فإني سألت أبا الفتح الروياني عن سنه فقال أقبل على شأنك فإني سألت علي بن محمد اللبان عن سنه فقال أقبل على شأنك فإني سألت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال أقبل على شأنك فإني سألت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنه فقال أقبل على شأنك فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنه فقال أقبل على شأنك فإني سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنه فقال أقبل على شأنك فإني سألت الشافعي عن سنه فقال أقبل على شأنك فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال أقبل على شأنك ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه انتهى قلت ولما تذاكرت مع مولاي العم الإمام صب الله على مضجعه من الرحمة الغمام هذا المعنى الذي ساقه مولاي الجد رحمه الله أنشدني لبعضهم •

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة • سن ومال ما استطعت ومذهب
فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة • بمكفر وبحاسد ومكذب

قال الونشريسي في حق الجد ما نصه القاضي الشهير العالم الامام
ابو عبد الله محمد ابن محمد المقري التلمساني المولد • والمنشأ الفاسي المستكن
كان رحمه الله علما عاملا ظريفا ذكيا نبيلا فهما مستيقظا جزلا محصلا
انتهى • وقد وقفت له بالمغرب على مؤلف عرف فيه بمولاي الجد وذكر جملة
من احواله وذلك ان طلبه بعض اهل عصره في تاليف اخبار الجد قال
فيه ما ذكر • وقال في الاحاطة في ترجمة مولاي الجد بعد ذكره اوليته ما صورته
حاله هذا الرجل مشار اليه بالعدوة الغربية اجتهادا ودؤوبا وحفظا وعناية
واطلاعا ونقلا ونزاهة سليم الصدر قريب الغور صادق القول
مسلوب التصنع كثير الهشة مفرط الخفة ظاهر السذاجة ذاهبا اقصى
مذاهب التخلق محافظا على العمل مثابرا على الانقطاع حريصا على العبادة
مضايقا في العقد والتوجه يكابد من تحصيل النية بالوجه واليدين مشقة
ثم يغافص الوقت فيها ويوقعها دفعة متبعا اياها زعقة التكبير
برجفة ينبو عنها سمع من لم يونسه بها العادة بما هو دليل على حسن المعاملة
وادمان المجيء قديم النعمة متصل الخيرية مكب على النظر والدرس والقراءة
معلوم الصيانة والعدالة منصف في المذاكرة حاسر للذراع عند المباحثة راحب
عن الصدر في وطيس المناقشة غير مختار للمعرفة ولا مبال بالعادة كثير
الالتفات متقلب الحدقة جهير بالحجة بعيد عن المراء والمباهتة قايل بفضل
اولي الفضل من الطلبة يقوم اتم القيام على العربية والفقه والتفسير
ويحفظ الحديث ويتهجر بحفظ التاريخ والاخبار والاداب ويشارك مشاركة
فاضلة في الاصلين والجدل والمنطق ويكتب ويشعر مصيبا غرض الاجادة
ويتكلم في طريقة الصوفية كلام ارباب المقال ويعتني بالتدوين فيها شرق
وحج ولقي جلة واضطبن رحلة مفيدة ثم عاد الى بلده فاقرا بها وانقطع الى
خدمة العلم فلما ولي ملك المغرب السلطان محال الصنع وتشييد
الملك واثيرا الله من بين العرابة والاخوة امير المومنين • ابو عنان
اجتذبه وخلطه بنفسه واشتمل عليه وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس
فاستقل بذلك اعظم الاستقلال وانفذ الحق والان الكلمة وآثر التسديد
وحمل الكل وخفض الجناح فحسنت عنه القالة واحبته الخاصة والعامة حضرت
بعض مجالسه للحكم فرايت من صبره على اللدد وتاتيه للحجج ورفقه بالخصوم
ما قضيت منه العجب دخول غرناطة ثم لما اخر عن القضاء استعمل بعد لاي
في الرسالة فوصل الاندلس اوايل جمادى الثانية من عام سبعة وخمسين وسبعماية
فلما قضى رسالته وابرم عقد وجهته واحتل مالقة في منصرفه بدا له في نبذ

الكلفة واطراح وظيفة الخدمة وحمل المتقيد الى ملازمة الامرة فتقاعد
وشهر غرضه وتبين للانتقال الطمع من كان صحبته واقبل على شانه فخلى بينه
وبين همه وترك وما انتحله من الانقطاع اليه وطار الخبر الى مرسله فانف
من تخصيص ايالته بالهجرة والعدول عنها بقصد التخلي والعبادة وانكر
ما حقه الانكار من ابطال عمل الرسالة والانقباض قبل الخروج عن العهدة
فوغر صدره على صاحب الامر ولم يبعد حمله على الظنة والمواطاة على التفريق
وتجهزت جملة من الخدام المحلين في مارق الشبهة المصطلعين باقامة الحجة
فولين حظوة الملام تخير بين سحائب عاد من استلامه رطبة اعلاق النقمة
وايقاع العقوبة او الاشارة بسبب اجارته بالقطيعة والمنابذة وقد كان
المترجم به لحق بغرناطة فتذمم بمسجدها وجاور بالانقطاع الى الله وتوعد من
يجب بنكير من يجيره واجار عليه سبحانه فاهم امره وشغلت القلوب
ابذته وامسك الرسل خلالما صدرت شفاعة اقتضى له فيها وضع التبعة
وترك الى تلك الوجهة • ولما تحصل ما تيسر من ذلك انصرف محفوفا بعلي القدر
قاضي الجماعة ابي القاسم الحسني المذكور قبله والشيخ الخطيب ابي البركات بن
الحاج متسهلي لو رده شافعين بالشفاعة في غرضه فانقشعت الغمة
وتنفست الكربة واستصحبا من المخاطبة السلطانية في امره من املاءي ما يذكر
حسبما ثبت في الكتاب المسمى بكناسة الدكان بعد انتقال السكان المجموع
بسلا ما صورته المقام الذي يحسب الشفاعة ويرعى الوسيلة وينجز
العدة ويتمم الفضيلة • ويضفي مجده المنن الجزيلة • ولعني حمد المادح
الوجيزة الطويلة • مقام محل والدنا الذي كرم مجده • ووضح سعده •
وصح في الله عقده • وخلص في الاعمال الصالحة قصده • واخجل الالسنة
حمده السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ••
ابقاه الله لوسيلة يرعاها • وشفاعة يكرم مسعاها • واخلاق جميلة
يجيب دعوة الطبع الكريم اذا دعاها • معظم سلطانه الكبير • وممجد
مقامه الشهير • المتشيع لابوته الرفيعة • قولا باللسان واعتقادا
بالضمير • المعتمد منه بعد الله على الملجا الاحمى والولي النصير فلان •
سلام كريم • طيب برعميم • يخص مقامكم الاعلى • وابوتكم الفضلى • ورحمة
الله وبركاته • اما بعد حمد الله الذي جعل الخلق الحميدة دليلا على عنايته
بمن حلاه حلاها • وميزها النفوس النفيسة التي اختصها بكرامته
وتولاها • حمدا يكون كفوا للنعيم التي اولاها واعادها ووالاها • والصلاة
على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المتوقل من درجات الاختصاص ارفعها واعلاها

الممتاز من انوار الهداية باوضحها واجلاها • مطلع ايات السعادة بروق
مجتلاها • والرضى عن آله وصحبه الذين خير صدق صحابتهم لما امتلاها
وعطر ذكره في الافواه فما اعذب وصافهم على الالسن واحلاها • والدعا لمقام
ابوتكم حرس الله علاها بالسعادة التي يقول الفتح انا طلاع الثنايا وابن
جلاها • والصنايع التي تخنو المقا وزنوكا بها المبشرات فتجلى فلاها
فانا كتبناه اليكم عن غرة مشيدة البنا • وحسنة على اعلام صنايعكم الكرام
جيوش الثنا • وقلدكم من قلايد مكارم الاخلاق ما يشهد لذاتكم سنه
بسابقة الاعتنا من حمرا غرناطة حرسها الله • والود باهر السنى طاهر
مجدد على الانا والتشييع بحب المسيقة والعنا • والى هذا وصل الله
سعدكم • وحرس مجدكم فانا خاطبنا مقامكم الكريم في شان الشيخ الفقيه
الحافظ الصالح ابي عبد الله المقري خار الله لنا وله • وبلغ الجميع من فضله
العميم امله • جوابا عما صدر عن مثابتكم فيه من الاشادة المنسكة بابوابكم
لاير • وظماها عن منهل قبوله لاخلاف وافصد • حسبما سنه الاب الكريم
والجد • والقبيل الذي صدر منه في المكارم الرسم والحد • ولم نصدر الخطاب
حتى ظهر لنا من احواله صدق المخيلة • وبلغ مبلغ الزهادة والفضيلة
وجود النفس الشحيحة بالعرض الادنى البخيلة • وظهر تخليه عن هذه الدار
واختلاطه بالعفيف والعفار • واقباله على ما يعني مثله من صله الاوراد
ومداومة الاستغفار • وكنا لما لوقفنا اقامته بمالقة لهذا الغرض الذي
نهره • والفضل الذي اوزره للعيان واظهره • امرنا ان يعتنى باحواله
ويعان على فراغ باله • ويجري عليه شيء من ديوان الاعمار الشرعية
وصح ماله • وقلنا ما اتاك من غير مسالة مستند صحيح لاستدلاله • فقد
من مقالة على ما لقوفنا لهذا السبب • وتعدد يحضرنا مستوى المنتمي
والمنتسب • وسكن بالمدرسة لبعض الاساكن المعدة لسكنى المتسمين
بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب • بحيث لم يتعرف وروده ووصوله
الا من لا يوبه بتعريفه • فلم نتحقق زواياه واصول نقلة لتعريفه • ثم
ملاحق ادرسالكم الجلة فوجبت حينئذ الشفاعة عرضت على سوق الحلم والفضل
من الاستلطاف والاستعطاف النصاعة • وقررنا ما تحققناه من امره
وانقباضه عن زيد الخلق وعمرو • واستقبله الوجه التي من وفى وجهه
شرطها فقد اتى نيرا • ومن ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلا كبيرا
وخيرا كثيرا • وسالنا منكم ان تنبحوا له ذلك الغرض الذي رماه بعزمه
ووقف عليه اقصى همه • فما اخلق مقامكم ان يفوز منه طالب الدنيا بسهمه • محلا

منه

منه طالب الاخرة على حظه الباقي وقسمه • ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعلمه
والعول البرور على فضله • ويثق المذنب بحلمه • فوصل الجواب الكريم بحجة الامان
وهو ادب من اداب • وفايدة من جواب • ووجه من وجوه اعراب • فراينا ان المطل
بعد جفا • والاعادة ليس بنقلها اخفا • والمجدكم بما صمتنا عنه وفاو بادرنا
الان الى العزم عليه في ادعاله • وان يكون الانتقال عن رضى منه من صفة
حاله • وان يقتضي له ثمرة المقصد • ويبلغ لحيته الاسعاف على الطريق الاقصد
اذ كان الامانة لمسالة ممن يتلو عنابا الله من مثلكم حاصلا • والبر المتبين
بين نفسه وبين وبين المخافة فاصلا • وطالب كيميا السعادة باعانتكم واصلا
ولما مدت اليد في تسويغ حاله هديتكم علينا ابدا يجب وعلمكم يصرح بموجبها
فلا ينقص فكافوا ابقاكم الله مالم تستغنيا عنه مسامحة الكتاب والحقوا الاصل
حديث هذه الاباحة فهو اصح حديث في الباب • ووفوا غرضنا من مجدكم وخلوا
بينه وبين مراده من ترك الاسباب • وتندع فاوا الذنب وقابل التوب باخلاص
المتاب والتشمير ليوم العرض وموقف الحساب • واظهروا عليه عناية الجناب
الذي يتعلق به اعلق الله به يدكم من جناب • ومعاذ الله ان تعود شفاعتنا
من لدنكم غير مكملة الاراب • وقد بعثنا من ينوب عنا في شافهتكم بها احمد
المناب • ويقتضي خلاصها بالرغبة لا بالغلاب وهما فلان وفلان • ولولا
الاعذار لكان في هذا الغرض اعمال الركاب يستبق اعلام الكتاب • وانتم تولون
هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثنا الجميل ويربي على التاميل • ويكتب
على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل • وهو سبحانه يبقيكم لتشييد
المجد الاثيل • وانالة الرفد الجزيل • والسلام الكريم • يخص مقامكم الاعلى ومثابتكم
الفضلى • ورحمة الله تعالى وبركاته في الحادي والعشرين لجمادى الاخرة من عام
سبعة وخمسين وسبعماية انتهى كلام ابن الخطيب • في الاحاطة وذكر في الريحانة
انه كتب في هذا الغرض ما نصه والى هذا فانا وقفنا على كتابكم الكريم في
شان الشيخ الصالح • الفقيه الفاضل • ابي عبد الله المقري • وفقنا الله
واياه لما يزلف لديه • وهدانا لما يقرب اليه • وما بلغكم بتقاعده بمالقة وما
اثرتم به في امره فاستوفينا جميع ما قررتم • واستوعبنا ما اجملتم في ذلك
وفسرتم • واعلموا ايها المحل والدنا امتعنا الله ببقايكم الذي في ضمنه اتصال
السعادة • وكثرة النعم المعادة • اننا لما انصرف عنا بما هو ومن افقه
عن انشراح صدور وتكييف جذل بما تفضلتم به وسرور • لم نعرفنا انه تقاعد
بمالقة عن صحبه واظهر الاشتغال بما يخلصه عند ربه • وصرف الوجه الى
التخلي مشفقا من ذنبه • واحتج بان قصده ليس له سبب ولا تعين له في الدنيا

ادب • والله عوض عليكم ان تسمحوا له فيما ذهب اليه وتعرده عليه فيعجل له
البدار ويمهد تحت ايالتكم القرار • فلما بلغنا هذا الخبر لم يعلق الله عزمنا
به شتات بغيته • ولا اعددنا فاه فيما يذكر فكيف فيما ينكر • وقطعنا
وقطعنا الامر فيه هيئ • وان مثل هذا الغرض لا تلتفت اليه عين فان
بابكم غني من طبقات اولي الكمال • ملي بتسويغ الامال موفور الرجال
معمور بالفقها العارفين باحكام الحرام والحلال والصلحا اولي المقامات
والاحوال والادبا فرسان الروية والارتجال فلم ينقص بفقدان الحصى
اعداد الرمال ولا يستكثر بالقطرة حديث العارض المنثال مع ما علم من
اعانتكم على مثل هذه الاعمال واستمساككم باسعاف غرض من صرف وجهه
الى ذي الجلال ولو علمنا ان شيا يحشى في الخاطر من امر مقامه لقابلناه •
بعلاج سقامه • ثم لم ينشب ان تلاحق مقامه بحضرتنا جادا في طور التقلل
والتخفيف • خالطا نفسه بالضعيف • قد صار يكره تعدا العلمية والتعريف
وسكن ببعض مواضع المدرسة منقبضا عن الناس لا يظهر الا للصلاة يشهد
جماعتها • ودعوى للعبادة بجان اصناعتها ثم تلاحق انسابكم الجلة الذين
نمو لسلفهم النجلة • تحضروا لدينا وادوا المخاطبة الكريمة كما ذكرا الينا وتكلمنا
معهم في القضية • وتخللنا في الوجوه المرضية • فلم نجد وجها اخلص من
هذا الغرض ولا علاجا يتكفل ببرء المرض من ان كلفناهم الاقامة التي ينيرلك
بجوارها ويعول على ايثارها بجلاله ما نخاطب مقامكم بهذا الكتاب الذي
مضمنه شفاعة يمضي حياؤكم احتسابها • ويرعى انتماها الى الخلوص
وانتسابها ويعيدها قد اعملت الحظوة ابوابها • ونقصدكم ومثلكم من
يقصد في المهمة فانتم المثل الرايع في عموم الحلم وعلو الهمة في ان تصدروا
له مكتوبا مكمل الفصول موطد الاصول يذهب الوجل ويرفع الخجل ويسوغ من
ساوبه لديكم الامل ويخلص النية ويرتب العمل حتى يظهر ما لنا عند ابوتكم
من تكميل المقاصد جريا على ما بذلتم من جميل العوايد واذا حصل ذلك
كان بفضل الله ايابه • والى ناحيتكم لعقوة وعدكم الوفي ركابه • ويحصل المقامكم
عزه ومجده وثوابه • وانتم ممن يرعى امور المجد حق الرعاية • ويحرص على معالم
الله على ما استتر من فضل البداية • وتحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة
الاسلام والحماية • هذا ما عندنا عجلناه بالاعلام • واعملنا فيه الاقلام •
بعد ان احمدنا الاختيار • وتخللنا الكلام • وجوابكم بالخير كفيل • ونظركم
لنا وللمسلمين جميل • والله تعالى يصل سعدكم • ويحرس مجدكم والسلام انتهى
واتفق هذا فانه مخالطة الملوك فان مولاي الجد المذكور كان • من الفضلا

وغيره

وغيره فلما اراد التحلل الى ربه لم يتركه السلطان ابو عنان كما رايت وقد
ذكر لسان الدين رحمه الله في الاحاطة شيوخ مولانا الجد فلنذكرهم من جزء الجد
الذي سماه نظم اللالي في سلوك الامالي ومنه اختصر لسان الدين ما في
الاحاطة في ترجمة مشيخته فنقول قال مولاي الجد رحمه الله
فممن اخذت عنه واستفدت منه علماها يعني تلمسان الشامخان وعالماها
الراسخان • ابو زيد عبد الرحمن وابو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله ابن الامام
وكانا قد رحلا في شبابهما من بلدهما برشك الى تونس فاخذا بها عن ابن جماعة
وابن العطار والبغوري وتلك الحلبة وادركا المرجاني وطبقته
من اعجاز المائة السابعة • ثم وردا في اول المائة الثامنة تلمسان
على امير المسلمين ابي يعقوب وهو محاصر لها وفقيه حضرته يومئذ ابو
الحسن علي بن يخلف التنسي وكان قد خرج اليه برسالة من صاحب تلمسان
المحصورة فلم يعد وارتفع شانه عند ابي يعقوب حتى انه شهد جنازته ولم
يشهد جنازة احد قبله وقام على قبره وقال نعم الصاحب فقدنا اليوم
حدثني الحاج الشيخ بعباد تلمسان ابو عبد الله محمد بن محمد ابن مرزوق العجيسي
ان ابا يعقوب طلع الى جنازة التنسي في الجبل يعتل الى صحيح الشيخ هلا
عرضتم هنالك وانا رايت المعراض الا ان حشمته فتعللنا فلما قتل
ابو يعقوب وخرج المحصور ان اتكوا لك فاختبرهما فاما ابو زيان وكان
السلطان يومئذ فنزل وطاطا راسه ودخل واما ابو حمو وكان اميرا فوثب
وخلفهما فلما رجع الملك الى هذين الرجلين اختصا ابني الامام وكان ابو حمو
اشد اعتناء بهما ثم بعده ابنه ابو تاشفين ثم زادت حظوتهما عند امير المسلمين
ابي الحسن الى ان توفي ابو زيد في العشر الاوسط من رمضان عام احد واربعين
وسبعماية بعد وقعة طريف باشهر فزادت مرتبة ابي موسى عند السلطان
الى ان كان من امر السلطان بافريقية ما كان في اول عام تسعة واربعين
وكان ابو موسى قد صدر عنه قبل الوقعة فتوجه صحبة ابنه امير المومنين
ابي عنان الى فاس ثم رده الى تلمسان وقد استولى عليها عثمان بن عبد
الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان فكان عنده الى ان مات الفقيه عقب
الطاعون العام قال لي خطيب الحضرة الفارسية ابو اسحاق ابراهيم
بن عبد الله بن مالك بن عبد الله الزندي لما ادرج الفقيه وبن اطلق متعته
على القفول الى تلمسان بت على تشييعهم فرايتني كاني نظمت هذا البيت
في المنام

وعند وداع القوم ودعت سلوتي • وقلت لها بيني فانت المودع

فانتبهت وهو في محاولته فرجبني بالزيادة عليه فلم يتيسر لي مثله
ولما استحكم ملك ابي تاشفين واستوسق رحل الفقيهان الى المشرق
في حدود العشرين وسبعماية فلقيا علاء الدين القونوي وكان يجيء الي
لما رحلت فلقيت ابا علي حسين بن حسين ببجاية قال لي ان قدرت
الا يفوتك شي من كلام القونوي حتى تكتب جميعه فافعل فانه لا نظير له
ولقيا ايضا جلال الدين القزويني صاحب البيان وسمعا صحيح البخاري
على الحجار وقد سمعته انا عليهما وناظرا تقي الدين بن تيمية وظهرا
عليه وكان ذلك من اسباب محنته وكانت له مقالات فيما يذكر وكان
شديد الانكار على الامام فخر الدين حدثني شيخي العلامة ابو عبد الله الابلي
ان عبد الله بن ابي ابراهيم الزموري اخبره انه سمع ابن تيمية ينشد لنفسه

محصل في اصول الدين حاصله • من بعد تحصيله علم بلا دين
اصل الضلالة والافك المبين فما • فيه فاكثره وحي الشياطين

قال وكان في يده قضيب فقال والله لو رايته لضربته بهذا القضيب
هكذا ثم رفعه ووضعه وحسبك مما طار لهذين الرجلين من الصيت
بالمشرق اني لما حللت بيت المقدس وعرف به مكاني من الطلب وذلك اني
قصدت قاضيه شمس الدين ابن سالم ليضع لي يده على رسم استوجب به هنالك
حقا فلما اطللت عليه عرفه بي بعض من معه فقام الي حتى جلست ثم
سالني بعض الطلبة بحضرته فقال لي انكم معشر المالكية تبيحون
للشامي يمر بالمدينة ان يتعدى ميقاتها الى الجحفة وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان عين المواقيت لاهل الافاق هن لهن
ولمن مر عليهن من غير اهلهن وهذا قد مر على الحليفة وليس من اهله فيكون
له فقلت له ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غير اهلهن اي من غير اهل
المواقيت وهذا سلب كلي وانه غير صادق على هذا الفرد ضرورة صدق
نقيضه وهو الايجاب الجزئي عليه لانه من بعض اهل المواقيت قطعا فلما
لم يتناوله النص رجعنا الى القياس ولا شك انه لا يلزم احدا ان يحرم قبل
ميقاته وهو يمر به لكن من ليس من اهل الجحفة ايمر بميقاته اذا مر بالمدينة
وجب عليه الاحرام من ميقاتها بخلاف اهل الجحفة فانها بين ايديهم وهم
يمرون عليها فوقعت من نفوس اهل البلد بسبب ذلك فلما عرفت اتاني
ات من اهل المغرب فقال لي يعلم ان مكانك في نفوس اهل هذا البلد مكين
وقدرك عندهم رفيع وانا اعلم انقباضك عن ابني الامام فان سئلت فانتسب
لهما فقد بعثت منهما واخذت عنهما ولا تظهر العدول عنهما الى غيرهما فتمنع

من

من قدرك فانما انت عند هولاء الناس خليفتهما ووارث علمهما وان لا احد
فوقهما

ولست لما تبني يد الله هادم • شهدت مجلسا بين يدي السلطان
ابي تاشفين عبد الرحمن بن ابي حمو ذكر فيه ابو زيد ابن الامام ان ابن القاسم
مقلد مقيد النظر باصول مالك ونازعه ابو موسى عمران بن موسى المشذالي
وادعى انه مطلق الاجتهاد واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه ويبلغه
عنه لما ليس من قوله واتى من ذلك بنظائر كثيرة • قال فلو تقيد بمذهبه
لم يخالفه لغيره فاستظهر ابو زيد بنص لشرف الدين التلمساني في مثل فيه
الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر الى مذهب مالك والمزني الى
الشافعي فقال عمران هذا مثال والمثال لا يلزم صحته فصاح به ابو موسى ابن
الامام وقال لابي عبد الله ابن ابي عمرو تكلم فقال لا اعرف ما قال هذا
الفقيه الذي اذكره من كلام اهل العلم انه لا يلزم من فساد المثال فساد
الممثل فقال ابو موسى للسلطان هذا كلام اصولي محقق فقلت لهما
وانا يومئذ حديث السن ما انصفتما الرجل فان المثل كما يوخذ على جهة
التحقيق كذلك يوخذ على طريق التقريب • ومن ثم جاء ما قاله هذا الشيخ
اعني ابن ابي عمرو وكيف لا وهذا سيبويه يقول وهذا مثال ولا يتكلم به
فاذا صح ان المثال قد يكون تقريبا فلا يلزم صحة المثال ولا فساد الممثل
لفساده فهذان القولان من اصل واحد وشهدت مجلسا اخر عند هذا
السلطان قرئ فيه على ابي زيد ابن الامام حديث لقنوا موتاكم لا اله
الا الله في صحيح مسلم فقال له الاستاذ ابو اسحاق ابن حكم السلوي هذا
الملقن محتضر حقيقة ميت مجازا فما وجه ترك محتضريكم الى موتاكم
والاصل الحقيقة فاجابه ابو زيد بجواب لم يقنعه وكنت قد قرات على
الاستاذ بعض التنقيح فقلت زعم القرافي ان المشتق انما يكون حقيقة
في الحال مجازا في الاستقبال مختلفا فيه في الماضي اذا كان محكوما به اما اذا
كان متعلق الحكم كما هنا فهو حقيقة مطلقا اجماعا وعلى هذا التقرير لا مجاز
فلا سوال لا يقال انه احتج على ذلك بما فيه نظر لانا نقول انه نقل الاجماع
وهو احد الاربعة التي لا يطالب مدعيها بالدليل كما ذكر بعضنا بل نقول انه انما
حيث احتج في موضع الوفاق كما اسا اللخمي وغيره في الاحتجاج على وجوب
الطهارة ونحوها بل هذا اشنع لكونه مما علم كونه من الدين بالضرورة ثم
انا لو سلمنا نفي الاجماع قلنا ان نقول ان ذلك اشارة الى ظهور العلامات
التي يعقبها الموت عادة لان تلقينه قبل ذلك ان لم يدهش فقد يوحش فهو

تنبيه على وقت التلقين اي لغتوا من تحكمون بانه ميت او نقول انما عدل عن الاحتضار لما فيه من الابهام الا ترى اختلافهم فيه هل اخذ من حضور الملايكة او حضور الاجل او حضور الجلاس ولا شك ان هذه حالة خفية يحتاج في نصبها دليلا على الحكم الى وصف ظاهر ينضبطها وهو ما ذكرناه او من حضور الموت وهو ايضا مما لا يرى بنفسه بل بالعلامات فلما وجب اعتبارها وجب كون تلك التسمية اشارة اليها والله تعالى اعلم

كان ابو زيد يقول فيما جاء من الاحاديث من معنى قول ابي زيد واذا سلم الامام فلا يثبت بعد سلامه ولينصرف اي ذلك بعد ان ينتظر بقدر ما يسلم من خلفه لئلا يمر بين يدي احد وقد ارتفع عنه حكمه فيكون كالداخل مع المسبوق جمعا بين الادلة قلت وهذا من ملح الفقه اعترض عند ابي زيد قول ابن الحاجب ولبن الادمي والمباح طاهر بانه انما يقال في الادمي لبان فاجاب بالمنع واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم اللبن للفحل واجبت ان قول ذلك لتشريكه المباح معه في الحكم لان اللبان خاص به وليس موضع تغليب لان اللبان ليس بعاقل ولا حجة على تغليبه ما يختص بالعاقل

تكلم ابو زيد يوما في مجلس تدريسه في الجلوس على الحرير فاحتج ابراهيم السلوي للمنع بقول انس فقمت الى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس فمنع ابو زيد ان يكون انما اراد باللباس الافتراش لحسبنا احتمال ان يكون انما اراد التغطية معه او وجدها او ذكر حديثا فيه تغطية الحصير فقلت كلا الامرين يسمى لباسا قال الله عز وجل هن لباس لكم وانتم لباس لهن وفي بحث كان ابو زيد يصحح قول الخونجي في الجمل والمعارفات التي يمكن اجتماعه منها فيقول فالفارقات ولعله في هذا كما قال ابو عمرو بن العلا للاصمعي لما قرا عليه

وغررتني وزعمت انك لابن الصيف تامر

فقال

وغرزتني وزعمت انك لاتني بالصيف تامر

فقال انت في تصحيفك اشر من الحطيئة او كما حكى عمن صلى بالخليفة في رمضان ولم يكن يومئذ يحفظ القران فكان ينظر في المصحف فصحف ايات صنعة الله اصيب به من اسا انما المشركون بخس وعدها اباه تقية الله خير لكم هذا ان دعوا للرحمن ولدا لكل امري منهم يومئذ شان يعنيه سمعت ابا زيد يقول ان ابا العباس الغماري التونسي اول من دخل معالم الامام فخر الدين للمغرب وبسببه ما تعلق به من الفوايد رحل ابو القاسم

بن زيتون وسمعته يقول ان ابن الحاجب الف كتابه الفقهي من ستين ديوانا وحفظت من وجادة انه ذكر عند ابي عبد الله بن قطران المراكشي ان ابن الحاجب اختصر الجواهر فقال ذكر هذا لابي عمرو حين فرغ منه فقال بل ابن شاس اختصر كتابي قال ابن قطران وهو اعلم بصناعة التاليف من ابن شاس والانصاف انه لا يخرج عنه وعن ابن بشير الا في الشي اليسير فهما اصلاه ومعتمداه ولا شك ان له زيادات وتصرفات تنبي عن رسوخ قدمه وبعد مداه وكان ابو زيد من العلما الذين يخشون الله حدثني امير المومنين المتوكل ابو عنان ان والده امير المسلمين ابا الحسن ندب الناس الى الاعانة باموالهم على الجهاد فقال له ابو زيد لا يصح لك هذا حتى تكنس بيت المال وتصلي ركعتين كما فعل علي بن ابي طالب وساله ابو الفضل ابن ابي مدين الكاتب ذات يوم عن حاله وهو قاعد ينتظر خروج السلطان فقال له اما الان فانا مشرك فقال اعوذ بالله من ذلك فقال لم ارد الشرك في التوحيد لكن في التخطيط والمراقبة والا فاي شي جلوسي هاهنا والشي يذكر بالشي قمت ذات يوم على باب السلطان بمراكش فيمن ينتظر خروجه فقام الى جانبي شيخ من الطلبة وانشدني لابي بكر بن خطاب رحمه الله سبحانه

ابصرت ابواب الملوك تغص بالساعين ادراك العلى والجاه
متزاحمين لما يهم فتحت • حوى الاذقان لهم وجباه
فانفت من ذاك الزحام وعففت • نفسي على انضاحي الواهي
ورايت باب الله ليس عليه من • متزاحم فقصدت باب الله
وجعلته من دونهم لي عدة • فانفت من غمي وطول سفاه

يقول جامع هذا المولف رايت بخط عالم الدنيا ابن مرزوق على هذا المحل من كلام مولاي الجد مقابل قوله ورايت باب الله ما صورته قلت ذلك لسعته او لقلة اهله

ان الكرام كثير في البلاد وان • قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

قل لا يستوي الخبيث والطيب الاية انتهى رجع الى كلام مولاي الجد قال رحمه الله ورضي عنه وحدثني شيخ من اهل تلمسان انه كان عند ابي زيد مرة فذكرا القيامة واهوالها فبكى فقلت لا باس علينا وانت امامنا فصاح صيحة واسود وجهه وكاد ينفجر دما فلما سري عنه رفع يديه وطرفه الى السما وقال اللهم لا تفضحنا مع هذا الرجل واخباره كثيرة واما شقيقه ابو موسى فسمعت عليه كتاب مسلم واستفدت منه كثيرا ممن ساله

عند قول ابن الحاجب في الاستلحاق وإذا استلحق مجهول النسب الحق به ولو
او الشرع بشهرة نسبه كيف يصح هذا القسم مع فرضه مجهول النسب فقال
يمكن ان يكون مجهول النسب في حال الاستلحاق ثم يشتهر بعد ذلك فيبطل
الاستلحاق فكانه يقول الحقه ابدا او دواما ما لم يكذبه احدهما في احد
الحالين لان هذا انما يتصور في الدوام فقط

تم رقم الجزء الاول من هذا الكتاب
المشتمل على عجب العجاب من فنون
البلاغة وصناعة البراعة
بحمد الله وعونه
وصلى الله على
نبيه
وآله
وسلم